سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٦٨)

ذكرا كثيرا

من مصنفات التفسير و الحديث و الرقائق

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"وقوله: (وخاتم النبيين).

جائز أن يكون ذكره وإخباره: أنه خاتم النبيين؛ لما علم - جل وعلا - أنه يسمى غيره بعده نبيا؛ على ما قالته الباطنية: إن قائم الزمان هو نبي؛ فأخبر بهذا أن من ادعى ذلك لا يطالب بالحجة والدلالة؛ ولكنه يكذب؛ وكذلك روي عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " لا نبي بعدي " أخبر أنه ختم به النبوة.

وقوله: (وكان الله بكل شيء عليما)، أي: لم يزل الله بما كان ويكون وبما به صلاحهم عليما.

* * *

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**. وسبحوه بكرة وأصيلا. هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما. تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما.

وقوله: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١)

أما أهل التأويل يقولون: اذكروا الله في كل حال وفي كل وقت، **ذكرا كثيرا** باللسان.

وجائز أن يكون تأويل أمره بالذكر له كثيرا، أي: اذكروا نعمه؛ لتشكروا له، واذكروا أوامره؛ لتأتمروا، ونواهيه ومناهيه؛ لننتهي، ومواعيده؛ لنخاف وعداته؛ لنرغب، واذكروا عظمته وجلاله وكبرياءه؛ ليهاب، (**ذكرا كثيرا**)، أي: دائما يذكرون ما ذكرنا؛ ليكون ما ذكرنا؛ إذ إنما يكون ذلك بالذكر؛ والله أعلم.

وقوله: (وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)

البكرة: هي ختم الليل وابتداء النهار، والأصيل: هو ختم النهار وابتداء الليل؛ فكأنه أمر بالذكر له، والخير في ابتداء كل ليل وختمه، وابتداء كل نهار وانقضائه؛ ليتجاوز عنهم ويعفو ما يكون منهم من الزلات في خلال ذلك؛ وعلى ذلك ما روي في الخبر " أن من صلى العشاء الأخيرة والفجر بالجماعة فكانما أحيا ليلته ".

وجائز أن يكون ذلك ليس على إرادة البكرة والأصيل؛ ولكن على إرادة كل وقت وكل." [1]

"الإخلاص، وهي: "لا إله إلا الله" على الدوام. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾. ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ انتهى.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾

قال الحَرَالِّي: ففي طيه إشعار بما وقع، وهو واقع، وسيقع، من قتال طائفة الحق لطائفة البغي سائر اليوم المحمدي، بما تخلص من الفتنة ويخلص الدين لله توحيدا ورضى وثباتا، على حال السلف الصالح وزمان الخلافة والنبوة - انتهى.

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٣٩٦/٨

﴿فَإِنِ انْتَهَوْا﴾ والنهي:
قال الْحَرَالِّي: الحكم المانع من الفعل المترامي إليه بمنزلة أثر العقل المسمى نهى، لمنعه عما تهوى إليه النفس مما يستبصر فيه النهي، قال، عليه الصلاة والسلام: "ليلني منكم أولو الأحلام والنهي" فمن لم يكن من أهل النهي كان نهاه النهي، وهو الحكم المذكور – انتهى.
﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
قال الْحَرَالِّي: فذكر الظلم الشامل لوجوه إيقاع الأمر في غير موضعه من أعلى الدين إلى أدناه – انتهى.." (١)

"في هذه الآية، وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد، إلحاد عندي، وتطرق خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوة، فالحذر الحذر منه! والله الهادي برحمته. قلت: وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا نبوة بعدي إلا ما شاء الله). قال أبو عمر: يعني الرؤيا- والله أعلم- التي هي جزء منها، كما قال عليه السلام: (ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة). وقرأ ابن مسعود" من رجالكم ولكن نبيا ختم النبيين". قال الرماني: ختم به عليه الصلاة والسلام الاستصلاح، فمن لم يصلح به فميئوس من صلاحه. قلت: ومن هذا المعنى قوله عليه السلام: (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون. منها ويقولون لولا موضع اللبنة! – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم- فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء (. ونحوه عن أبي هريرة، غير أنه قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين).

[سورة الأحزاب (٣٣): آية ٤١]
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١)
أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم. وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد. ولعظم الأجر فيه قال ابن عباس: لم يعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غلب على عقله. وروى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون). وقيل: الذكر الكثير ما جرى على الإخلاص من القلب، والقليل ما يقع على حكم النفاق كالذكر باللسان.

[سورة الأحزاب (٣٣): آية ٤٢]
وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)
أي اشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير. قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب. وقيل: ادعوه. قال جرير:." (٢)

---
(١) تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي، الحرالي، أبو الحسن ص/٣٦٤
(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/١٩٧

"لأنه لا يبان عضو المسلم إلا في مال عظيم. وبه قال أكثر الحنفية. ومن يعجب فيتعجب لقول الليث بن سعد: إنه لا يقبل في أقل من اثنين وسبعين درهما. فقيل له: ومن أين تقول ذلك؟ قال: لأن الله تعالى قال: لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين «١» [التوبة: ٢٥] وغزواته وسراياه كانت اثنتين وسبعين. وهذا لا يصح، لأنه أخرج حنينا منها، وكان حقه أن يقول يقبل في أحد وسبعين، وقد قال الله تعالى: اذكروا الله **ذكرا كثيرا** [الأحزاب: ٤١]، وقال: لا خير في كثير من نجواهم [النساء: ١١٤]، وقال: والعنهم لعنا كبيرا [الأحزاب: ٦٨]. الصورة السادسة- إذا قال له: عندي عشرة أو مائة أو ألف، فإنه يفسرها بما شاء ويقبل منه، فإن قال ألف درهم أو مائة وعبد أو مائة وخمسون درهما فإنه يفسر المبهم ويقبل منه. وبه قال الشافعي: وقال أبو حنيفة: إن عطف على العدد المبهم مكيلا أو موزونا كان تفسيرا، كقوله: مائة وخمسون درهما، لان الدرهم تفسير للخمسين، والخمسين تفسير للمائة. وقال ابن خيران الإصطخري من أصحاب الشافعي: الدرهم لا يكون تفسيرا في المائة والخمسين إلا للخمسين خاصة ويفسر هو المائة بما شاء. المسألة الرابعة- قوله تعالى: ولو ألقى معاذيره

ومعناه لو اعتذر بعد الإقرار لم يقبل منه. وقد اختلف العلماء فيمن رجع بعد ما أقر في الحدود التي هي خالص حق الله، فقال أكثرهم منهم الشافعي وأبو حنيفة: يقبل رجوعه بعد الإقرار. وقال به مالك في أحد قوليه، وقال في القول الآخر: لا يقبل إلا أن يذكر لرجوعه وجها صحيحا. والصحيح جواز الرجوع مطلقا، لما روى الأئمة منهم البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رد المقر بالزنى مرارا أربعا كل مرة يعرض عنه، ولما شهد على نفسه أربع مرات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (أبك جنون) قال: لا. قال: (أحصنت) قال: نعم. وفي حديث البخاري: (لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت). وفي النسائي وأبي داود: حتى قال له في الخامسة (أجامعتها) «٢» قال: نعم. قال: (حتى غاب ذلك منك في ذلك منها) قال: نعم. قال: (كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر). قال: نعم. ثم قال: (هل تدري ما الزنى) قال: نعم، أتيت منها حراما مثل ما يأتي الرجل من أهله حلالا. قال: (فما تريد مني)؟

---

(١). جملة (ويوم حنين) ساقطة من ز، ط والمطبوع.

(٢). اللفظ في رواية لابي داود.." (١)

"كل شي، وحفظ الله عليه كل شي، وكان له عوضا من كل شي. وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله. والأحاديث في فضل الذكر وثوابه كثيرة خرجها الأئمة. روى ابن ماجه عن عبد الله بن بسر أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأنبئني منها بشيء أتشبث به، قال: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل). وخرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عز وجل يقول أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه). وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان عند قوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** «١» " وأن المراد ذكر القلب الذي يجب استدامته في عموم الحالات. قوله تعالى:"

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٠٤/١٩

واشكروا لي ولا تكفرون" قال الفراء يقال: شكرتك وشكرت لك، ونصحتك ونصحت لك، والفصيح الأول «٢». والشكر معرفة الإحسان والتحدث به، وأصله في اللغة الظهور، وقد تقدم «٣». فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته له، إلا أن شكر العبد نطق باللسان وإقرار بالقلب بإنعام الرب مع الطاعات. قوله تعالى:" ولا تكفرون" نهي، ولذلك حذفت منه نون الجماعة، وهذه نون المتكلم. وحذفت الياء لأنها رأس آية، وإثباتها أحسن في غير القرآن، أي لا تكفروا نعمتي وأيادي. فالكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب. وقد مضى القول في الكفر «٤» لغة، مضى القول في معنى الاستعانة «٥» بالصبر والصلاة، فلا معنى للإعادة.

[سورة البقرة (٢): آية ١٥٤]

ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون (١٥٤)

---

(١). راجع ج ١٤ ص ١٩٧.

(٢). الذي في معاجم اللغة أن الفصيح الثاني.

(٣). تراجع المسألة الثالثة وما بعدها ج ١ ص ٣٩٧ طبعه ثانية.

(٤). يراجع ج ١ ص ١٨٣.

(٥). يراجع ج ١ ص ٣٧١ طبعه ثانية.." (١)

"أحيانه. أخرجه مسلم. فدخل في ذلك كونه على الخلاء وغير ذلك. وقد اختلف العلماء في هذا، فأجاز ذلك عبد الله بن عمرو وابن سيرين والنخعي، وكره ذلك ابن عباس وعطاء والشعبي. والأول أصح لعموم الآية والحديث. قال النخعي: لا بأس بذكر. الله في الخلاء فإنه يصعد. المعنى: تصعد به الملائكة مكتوبا في صحفهم، فحذف المضاف. دليله قول تعالى:" ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" [ق: ١٨] «١». وقال:" وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين" [الانفطار: ١١ - ١٠] «٢». ولان الله عز وجل أمر عباده بالذكر على كل حال ولم يستثن فقال:" اذكروا الله **ذكرا كثيرا**" [الأحزاب: ٤١] «٣» وقال:" فاذكروني أذكركم" [البقرة: ١٥٢] «٤» وقال:" إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا" [الكهف: ٣] «٥» فعم. فذاكر الله تعالى على كل حالاته مثاب مأجور إن شاء الله تعالى. وذكر أبو نعيم قال: حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الأحبار قال قال موسى عليه السلام: (يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني قال: يا رب فإنا نكون من الحال على حال نجلك ونعظمك أن نذكرك قال: وما هي؟ قال: الجنابة والغائط قال: يا موسى اذكرني على كل حال (. وكراهية من كره ذلك إما لتنزيه ذكر الله تعالى في المواضع المرغوب عن ذكره فيها ككراهية قراءة القرآن في الحمام، وإما إبقاء على الكرام الكاتبين على أن يحلهم موضع الأقذار والأنجاس لكتابة ما يلفظ به. والله أعلم.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢/١٧٢

و (قياما وقعودا) نصب على الحال. (وعلى جنوبهم) في موضع الحال، أي ومضطجعين ومثله قول تعالى:" دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما" [يونس: ١٢] «٦» على العكس، أي دعانا مضطجعا على جنبه. وذهب، جماعة من المفسرين منهم الحسن وغير إلى أن قوله" يذكرون الله" إلى آخره، إنما هو عبارة عن الصلاة، أي لا يضيعونها، ففي حال العذر يصلونها قعودا أو على جنوبهم. وهي مثل قول تعالى:" فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم" [النساء: ١٠٣] «٧» في قول ابن مسعود على، ما يأتي بيانه. وإذا كانت الآية في الصلاة ففقهها أن الإنسان يصلي قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنبه، كما ثبت عن عمران

---

(١). راجع ج ١٧ ص ٨.

(٢). راجع ج ١٩ ص ٢٤٥.

(٣). راجع ج ١٤ ص ١٩٧.

(٤). راجع ج ٢ ص ١٧١.

(٥). راجع ج ١٠ ص ٣٩٥.

(٦). راجع ج ٨ ص ٣١٧.

(٧). راجع ج ٥ ص ٣٧٣.." (١)

"(١٥) - كتاب الأذْكَار

٢٤٤ - باب فَضلِ الذِّكْرِ وَالحَثِّ عليه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ الله أكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ والآصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]، وقال تَعَالَى: ﴿إنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ﴾ ... إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وقال تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] الآية. والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.." (٢)

"﴿يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا﴾ بِمُحَمد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَالْقُرْآن ﴿اذْكروا الله ذِكْراً كثِيراً﴾ بِاللِّسَانِ وَالْقلب عِنْد الْمعْصِيَة وَالطَّاعَة." (٣)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١١/٤

(٢) رياض الصالحين ت الفحل، النووي ص/٣٩١

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروزآبادي ص/٣٥٤

"الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)." [١]

"(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) أمر سبحانه عباده بأن يستكثروا من ذكره بالتهليل والتحميد والتسبيح وكل ما هو ذكر لله تعالى، قال مجاهد: هو أن لا ينساه أبدا، وقال الكلبي: ويقال **ذكرا كثيرا** بالصلوات الخمس، وقال مقاتل: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال، وقال ابن عباس في الآية لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها أجلا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله؛ فقال: (اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) بالليل والنهار، في البر والبحر، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، في الصحة والسقم، في السر والعلانية وعلى كل حال، وقد ورد في فضل الذكر والاستكثار منه أحاديث كثيرة.

وقد صنف في الأذكار المتعلقة بالليل والنهار جماعة من الأئمة كالنسائي والنووي والجزري وغيرهم، وقد نطقت الآيات القرآنية بفضل الذاكرين وفضيلة الذكر، ولذكر الله أكبر، وقد ورد أنه أفضل من الجهاد كما في حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد والترمذي والبيهقي: " أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيرا. قلت: يا رسول الله ومن الغازين في سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى يتكسر ويتخضب دما لكان الذاكرون أفضل منه درجة، وأخرج أحمد عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا وما هو يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل وأخرجه أيضا الترمذي وابن ماجة.

وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال: قال رسول." [٢]

"كتاب الأذْكَار

٢٤٤ – باب فَضلِ الذِّكْرِ وَالحَثِّ عليه

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أي: ذكر الله أفضل الطاعات.

وقال ابن عباس: يقول ولذكر الله أكبر إذا ذكروه من ذكرهم إياه.

وقال تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي، أذكركم بمعونتي.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١/١٠٠

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١/١٠٢

وفي الحديث الصحيح: يقول الله تعالى: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم».

وقال تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهْرِ مِنَ القَوْلِ بِالغُدُوِّ والآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قال مجاهد: أَمَرَ أن يذكروه في الصدور، وبالتضرع إليه في الدعاء، والاستكانة، دون رفع الصوت، والصياح بالدعاء.

وقال تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

قال قتادة: افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون عند الضرب بالسيوف.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. -[٧٧٢]-

يخبر الله تعالى أنه هيَّأ لهؤلاء المذكورين مغفرة منه لذنوبهم، وثوابًا عظيمًا، وهو الجنة.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْرًا كَثِيرًا** * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

أشار بذلك للآيات بعد الرغبة في الذكر لما اشتملت عليه من صلاة الله وملائكته على الذاكرين، وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣، ٤٤].

وَالآيَاتُ فِي البَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

أي: وكثرتها تمنع من استيعابها، دفعًا للتطويل، وفيما ذكر كفاية لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيد.." [(١)]

"فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب (٤٨)﴾ [الأنفال: الآيات ٤٥ - ٤٨].

يقول الله جل وعلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (٤٥)﴾ [الأنفال: الآية ٤٥].

هذه الآية الكريمة تضمنت تعليم الله لنبيه وأصحابه بعض الخطط العسكرية، قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ ناداهم باسم الإيمان ليكون ذلك مدعاة للقبول: ﴿إذا لقيتم فئة﴾ أي: طائفة. أي: جيشا من جيوش الكفار يقاتلونكم إذا لقيتموهم في ميدان القتال والتحمتم أنتم وهم ﴿فاثبتوا﴾ يعني: لا تنهزموا، ولا تولوهم الأدبار، فاصمدوا أمامهم واثبتوا، ولا تتزعزعوا، ولا تنهزموا، ولا ترجعوا القهقرى. وهذا تعليم من خالق السماوات والأرض للمسلمين إذا التحم القتال أن يثبتوا ويصمدوا صمود الرجال، ولا ينهزموا ولا يرجعوا القهقرى.

ثم إنه علمهم التعليم الأكبر الذي هو سبب للنصر والظفر في جميع الميادين، قال: ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ (كثيرا): نعت لمصدر محذوف؛ أي: **ذكرا كثيرا** ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي: لأجل أن تفلحوا (١). وهذا هو التعليم السماوي للخطط

(١) تطريز رياض الصالحين، فيصل المبارك ص/٧٧١

الميدانية التي يحصل بها انهزام الكفر وانكسار شوكته، كأنه يقول لهم: في هذا الوقت الضنك الحرج الذي التحمتم فيه مع جيوش الكفار في هذا الوقت قووا صلتكم بمن خلقكم -جل وعلا- واذكروه **ذكرا كثيرا**. والمعنى: أنكم عند هذه الشدائد، وعند التحام القتال والمفروض أن

---

(١) انظر: الأضواء (٢/ ٤١٣).." [1]

"الرجال تنزل رؤوسهم عن أعناقهم، في هذا الوقت الضنك الحرج وثقوا صلتكم بالله، واذكروا ربكم **ذكرا كثيرا**، فبذلك ينزل عليكم المدد من السماء، ويتسنى لكم النصر، وتقهرون الكفار، وتنكسر شوكة الكفر. هذه عادة التعاليم السماوية، تجمع للناس بين ما تنتعش به أرواحهم، وبين ما تتقوى به أجسامهم (١)، فالتعاليم السماوية تعطي الإنسان نصيب جزئيه، أعني: نصيب جسمه ونصيب روحه، وإذا أهمل أحد النصيبين تحقق الفشل والخور والهزيمة؛ لأن هذا الإنسان هو حيوان مركب من عنصرين مختلفين اختلافا أساسيا جوهريا؛ أحدهما: يسمى الجسم، والثاني: يسمى الروح، فالإنسان جسم وروح، فأحد عنصريه اللذين هما أساساه: الروح، والثاني: الجسم. والروح والجسم مختلفان اختلافا أساسيا جوهريا، وبحسب اختلافهما الأساسي تختلف متطلباتهما في هذه الحياة، فللجسم متطلبات لا بد له منها، وللروح متطلبات لا بد له منها، ولا تغني متطلبات هذا عن متطلبات هذا. والقرآن العظيم يعطي كلا من العنصرين حقه كما ينبغي. يقول: أعطوا الأجسام حقها بالثبوت والصمود، وأعطوا الأرواح حقها بتغذيتها بصلتها بخالقها وتقويتها، وانتظار المدد من السماء.
ونظير هذه الآيات: إذا قرأتم آيتين من سورة النساء فهمتم هذا المعنى كما ينبغي، وهما الآيتان اللتان أنزلهما الله في صلاة الخوف، فإنه يقول لنبيه: ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طآئفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورآئكم ولتأت طآئفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك﴾ [النساء: الآية ١٠٢] هذا وقت التحام

---

(١) مضى عند تفسير الآية (١١٥) من سورة الأنعام.." [2]

"ويؤمله من ورائهم فهو مغفل؛ لأن هؤلاء ليسوا برجال ميدان، فلا يمكن أن يردوا مسلوبا من مجد ولا من بلاد، ولا أن ينتصفوا من أحد كائنا ما كان؛ لأنهم تركوا التعاليم السماوية والخطط العسكرية التي هي كفيلة بقمع الكفار، وإيقافهم عند حدهم، وكسر شوكة الكفر، وإعلاء كلمة الله جل وعلا.
فالحاصل أن السلاح الأكبر في ميادين القتال هو ذكر الله -جل وعلا- وطاعته وامتثال أمره؛ لأنه هو الذي منه النصر والمدد. والله كذلك يأمر خلقه ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله﴾ أما الذين إذا لقوا فئة فلا يذكرون الله، وليس في قلوبهم خشية من الله، ولا عمل بدينه، فهؤلاء لا يؤمل من ورائهم فائدة إلا مغفل مثلهم لا يفهم شيئا. وهذا معنى قوله: ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾ **ذكرا كثيرا**؛ لأن ذكركم لله كثيرا تتقوى به أرواحكم، وتتصلون به بربكم، وينزل لكم بسببه

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٧٥/٥

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٧٦/٥

المدد من خالق السماوات والأرض.
والصحابة (رضي الله عنهم) كذلك كانوا يفعلون، يذكرون الله ويخافونه في الميدان فيأتيهم النصر؛ ولذا قهروا الدنيا بأسرها، وأخذوا كنوز قيصر وكسرى كما هو معلوم. وهذا معنى قوله: ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾.
﴿لعلكم تفلحون﴾ قال بعض العلماء (١): (لعل) في القرآن كلها مشمة معنى التعليل، فهي تفيد معنى التعليل، إلا التي في الشعراء: ﴿وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (١٢٩)﴾ [الشعراء: الآية ١٢٩]

---

(١) مضى عند تفسير الآية (٥٢) من سورة البقرة.." (١)

"وإن ذكر الله إذا جهر به في الميدان ازداد المؤمنون حماسة، وألقى بالرعب في قلوب المشركين، وإن ذكر الله يجعلهم لا يشغلهم عن الله شاغل، وتكون أجسامهم وقلوبهم لنصره، و (كثيرا) مفعول مطلق أي اذكروا الله **ذكرا كثيرا** بحيث لا تتوقفوا عن ذكره مهما تشتد الحرب، وتلتحم السيوف وتتلاقى بالحتوف وقال تعالى: (لعلكم تفلحون) أي راجين بثباتكم وذكر ربكم أن تفوزوا بالنصر، فالرجاء من الناس لا من الله؛ لأن الله تعالى يعلم الغيب في السماء والأرض، ويعلم ما كان وما يكون.
وإن طاعة القائد والاتحاد أولى دعائم النصر، ولذا قال عز من قائل:." (٢)

"وإن هذا التآزر الذي دعا موسى ربه أن يجيبه ذكر نتيجته وأولى ثمراته، وهو كثرة التسبيح لله تعالى وذكره، أي نسبحك ونقدسك تقديسا كثيرا ونذكرك في أنفسنا كثيرا، إذ نكون قوة تجهر بتقديسك وذكرك، ويكون معنا من بني إسرائيل من يسبحك كثيرا، ويذكرك **ذكرا كثيرا** ويشيع ذكرك في أرض الفراعنة الذين استبد بهم فرعون فمنع كل الناس من أن يذكروا غير اسمه، وإنك أنت علام الغيوب وأعلم بنا من أنفسنا، ولذا قال عليه السلام:." (٣)

"تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**)
قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب:٤١].
هذه الآية كالآية السابقة في تعداد المؤمنين والمؤمنات وصفاتهم الصالحة نساء ورجالا، في ذلك النسق المتسلسل الذي ختمه الله في تلك الآية المطولة بقوله: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ [الأحزاب:٣٥]، وهنا دعا الله المؤمنين وناداهم، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب:٤١]، أي: يا من آمن بالله الواحد وآمن بمحمد خاتم النبيين، ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب:٤١].
وذكر الله يكون باللسان والجنان والأركان، فالصلاة ذكر والصيام ذكر، والحج ذكر، والتفكر والاعتبار بالقلب ذكر، والنطق باللسان ذكر، وهكذا الذكر يكون بكل خلايا الإنسان وبكل حواسه قال عبد الله بن عباس حبر الأمة رضي الله عنهما:

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٧٨/٥
(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٣١٤٩/٦
(٣) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ٤٧٢١/٩

إن الله أمر أوامره فجعل لها حدودا وأوقات، أمر بالحج وحدد له زمنا، وأمر بالصيام وحدد له وقتا، وأمر بالصلاة وحدد لها أوقاتا، إلا الذكر فلم يحد له حدا، قال: ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ [النساء:١٠٣]، أي: اذكروا الله برا وبحرا، واذكروا الله حضرا وسفرا، واذكروا الله في اليقظة وعند النوم، واذكروا الله في الصحة والمرض، واذكروا الله عند الغنى والفقر، واذكروا الله تعالى في الكبر والصغر وفي جميع الأحوال.

فلم يحد له زمنا ولا وقتا ولا عذر لتاركه، لكن عذر المصلي فأذن له إن عجز أن يصلي جالسا، الحاج إن لم يجد زادا وراحلة فعذره في تأجيل الحج، وعذر الفطر في الصيام للمريض والحائض والنفساء على أن يؤجلوا ذلك ويرجئوه، أما الذكر لم يعذر فيه أحد إلا من غاب عقله، وإلا فمن عجز باللسان ذكر الله بالقلب، ومن عجز في وقت من الأوقات فالأوقات كثيرة في الحضر والسفر، وعلى ذلك فالذكر يكون في جميع الأحوال.

وتذكر السيرة النبوية العطرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر الله في جميع أحواله، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (اذكر الله حتى يقال إنك مجنون) أي: اذكر الله في نفسك واذكر الله في الملأ، واذكر الله سرا وجهرا.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وسبحوه بكرة وأصيلا)

قال تعالى: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب:٤٢].

أمرنا الله بذكره وبتسبيحه وبتمجيده وبتعظيمه في جميع الأحوال، قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال عليه الصلاة والسلام: (ألا أعلمكم بخير أموركم، وأرفعها عند ربكم، وأعلاها درجة في آخرتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن تضربوا رقاب أعدائكم وأن يضربوكم؟ قالوا: بلى! قال: ذكر الله).

والقتال فيه ذكر الله كذلك؛ لأن المقاتل يقاتل وهو ذاكر، ويبذل حياته رخيصة إعلاء لكلمة الله، ودفاعا عن المسلمين وعن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

وقال نبي الله عليه الصلاة والسلام: (إن المؤمن ستشتد حسرته يوم القيامة عندما ينسى ويترك ذكر الله في مجلس)، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

وفي الحديث القدسي: (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه).

والمسلم إذا ذكر الله متدارسا كتابه وسنة نبيه بينه وبين إخوانه المسلمين يذكره الله في ملأ خير منه، يذكره بين الملائكة ومع الملائكة.

وذكر الله عبادة دائمة لا تحتاج إلى قبلة، ولا تحتاج إلى وضوء، ولا تحتاج إلى زمن، ولا يعجز عن ذلك مريض ولا مسافر ولا شيخ هرم ولا رجل ولا امرأة.

وقد كتب وخصص المؤلفات في الأذكار الإمام النسائي والإمام العمري والكثير منها مطبوع، وأجمعها وأكملها وأشملها كتاب (الأذكار) للإمام النووي.

---

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٤/٢٠٥

فقوله: ﴿ذكرا كثيرا﴾ [الأحزاب:٤١]، قال عليه الصلاة والسلام: (إذا أيقظ الرجل أو الزوجة أحدهما الآخر ليلا فصليا ركعتين من الليل كتبا عند الله من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات).

قال الله تعالى: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب:٤٢].

التسبيح: هو التعظيم والتمجيد والذكر بصفة عامة، أي: اذكروا الله يا أيها المؤمنون! ومجدوه وعظموه ونزهوه عن المثلية في الذات والصفة والأفعال، وسبحوه صباحا ومساء، وقالوا: يشمل الصباح صلاة الصبح إلى صلاة الظهر، والمساء من الظهر إلى العصر إلى المغرب إلى العشاء، وكل من صلى هذه الصلوات في أوقاتها بأركانها وواجباتها وسننها يكون قد ذكر الله كثيرا، ولكن الذكر لا وقت له كما قاله ابن عباس، والصلوات تنتهي بأوقاتها، ولا تعاد الصلوات إلا لحاجة أو ضرورة.

والذكر يشمل جميع أنواع العبادات، يشمل الذكر: لا إله إلا الله، والله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرة وأصيلا.

فقوله: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب:٤٢]، الأصيل: العشي مفرد آصال، والبكرة بداية اليوم، وكما في الحديث (بورك لأمتي في بكورها) جمع بكرة.

والبركة في البكور والصباح وقت العبادة ووقت الذكر إلى شروق الشمس، فصلاة الضحى، ثم بعد ذلك يذهب كل إلى عمله، سواء كان يدويا أو فكريا أو أي شيء كان هذا العمل، وقد يكون العمل إذا كان لله ذكرا؛ لأن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قد حضا على العمل الصالح، فالعمل الصالح هو ما صحبته نية صالحة، حتى إن سائلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أيأتي أحدنا شهوته فيكون له بذلك أجر؟ قال له النبي عليه الصلاة والسلام: أرأيت لو وضعها في حرام هل يكون عليه وزر؟ قال: نعم، فقال عليه الصلاة والسلام: كذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر).

وإذا صحبت النية المباحات تتحول إلى عبادات، فمن أكل ليقوى على ذكر الله، ومن سافر ليعتبر ويتفكر في خلق الله في مشارق الأرض ومغاربها يكون ذاكرا لله، وهكذا قل عن جميع أنواع العبادات.." (١)

"عن عبد الله بن بشر قال : " أتى النبي (رجل فقال يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على قباب نتمسك به جامع ، قال : " لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله" أخرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ .

هذا الحديث موافق لقوله تعالى : ؟ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ؟ الآيات ، وقد قال تعالى : ؟ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ؟ قال كعب : من أكثر ذكر الله برئ من النفاق .

وقال الحسن : أحبّ عباد الله إلى الله أكثرهم له ذكراً وأتقاهم قلباً .

وكان أبو مسلم الخولاني كثير الذكر فرآه بعض الناس فأنكر حاله ، فقال لأصحابه أمجنون صاحبكم؟ فسمعه أبو مسلم ، فقال : لا يا أخي ولكن هذا دواء الجنون ، وقد قال الله تعالى : ؟ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ

(١) تفسير المنتصر الكتاني، الكتاني، محمد المنتصر ٥/٢٠٥

وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ؟ وعموم هذه الآية يجمع معنى ما تقدم من الأحاديث ، والله أعلم .

الفهرس

الموضوع

الصفحة

"قال الله تعالى : ؟ ولذكر الله أكبر ؟ [العنكبوت (٤٥)] .

أي : ذكر الله أفضل الطاعات .

وقال ابن عباس : يقول ولذكر الله أكبر إذا ذكروه من ذكرهم إياه .

وقال تعالى : ؟ فاذكروني أذكركم ؟ [البقرة (١٥٢)] .

قال ابن عباس : اذكروني بطاعتي ، أذكركم بمعونتي .

وفي الحديث الصحيح : يقول الله تعالى : « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم » .

وقال تعالى : ؟ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ؟ [الأعراف (٢٠٥)] .

قال مجاهد : أمر أن يذكروه في الصدور ، وبالتضرع إليه في الدعاء ، والاستكانة ، دون رفع الصوت ، والصياح بالدعاء .

وقال تعالى : ؟ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ؟ [الأنفال (٤٥)] .

قال قتادة : افترض الله ذكره عند أشغل ما يكون عند الضرب بالسيوف .

وقال تعالى : ؟ إن المسلمين والمسلمات ؟ إلى قوله تعالى : ؟ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما؟ [الأحزاب (٣٥)] .

يخبر الله تعالى أنه هيأ لهؤلاء المذكورين مغفرة منه لذنوبهم ، وثوابا عظيما ، وهو الجنة .

وقال تعالى : ؟ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا ؟ [الأحزاب (٤١ ، ٤٢)] .." (٢)

(١) تعليم الأحب أحاديث النووي وابن رجب، ص/٤٦

(٢) تطريز رياض الصالحين، ٢/٢٤٠

"قال: (أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فباب نتمسك به جامع ...) طلب هذا الرجل شيئا يكون جامعا يشتغل به ويستعين الله عز وجل عليه لأن الشرائع قد كثرت والإنسان إذا كثر عليه الشيء قد يضيع الكثير فهو يريد شيئا يتمسك به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل) هكذا أوصاه أن لسانك أيه السائل لا يزال رطبا من ذكر الله عز وجل يعني أكثر من ذكر الله عز وجل فإنك إذا أكثرت من ذكره فإن هذا باب جامع ولا شك أن الذكر باب جامع لأن الذكر يقوي الروح وإذا قويت الروح قوي البدن وإذا قوي البدن اشتغل بطاعة الله عز وجل بأنواعها فهذا والله أعلم وجه كونه أنه جامع أن الذكر يقوي الروح وإذا قويت الروح قوي البدن ونشط البدن ثم إذا نشط البدن سيشتغل بأنواع طاعة الله عز وجل ، والكلام في ذكر الله عز وجل كلام يطول وفوائد الذكر كثيرة أيضا لكني أحيلكم إلى كتاب ابن القيم رحمه الله تعالى المسمى بالوابل الصيب من الكلم الطيب فإنه ذكر للذكر أكثر من مئة فائدة في ذكر الله عز وجل ثم عد منها قرابة الثلاث والسبعين فائدة ما عد المائة كلها مما يدلك على أن الذكر شأنه عظيم ولذلك لم يأمر الله سبحانه وتعالى بالاستكثار من عمل كما أمر بالاستكثار من ذكره (يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) ولا تجد والله أعلم (صلوا كثيرا) (قوموا كثيرا) بنفس هذه الصيغة إنما وردت هذه بالذكر خاصة مما يدلك على ما قلت لك أن الذكر شأنه عظيم .." (١)

"ولو كانت صلاته غير مجزية بدون الصلاة عليه لأمر بالإعادة كما أمر المصلي الصلاة الناقصة في حديث رفاعة بن رافع إذ قال له ارجع فصل فإنك لم تصل مرتين أو ثلاثا الحديث ولا حجة لمن أوجب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الآخر بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لأن ذلك يدل على وجوب الصلاة قولا وغيرها مثل قوله اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه الآية فلو ترك رجل في صلاته التسبيح لم تفسد صلاته بذلك وإن كان فيه ترك فضيلة فكذا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة بتركها يكون المصلي تاركا لحظه في الفضيلة وكذا لا دليل فيه لمن أوجبها في التشهد الذي يتلوه السلام بقوله تعالى وسلموا تسليما لأنه يحتمل أن يكون المراد به التسليم له صلى الله عليه وسلم في أمره ونهيه في الصلاة وغيرها كما في قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك إلى قوله ويسلموا تسليما إذ لا خلاف من المخالف في تأويل هذه الآية والله أعلم في النهي عن الاقعاء روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن التورك والاقعاء في الصلاة اختلف في الاقعاء المنهي عنه فذهب أبو حنيفة وجماعة إلى أنه جلوس الرجل على عقبيه في صلاته لا على إليتيه محتجين بما روى عن علي رضي الله عنه إني أحب لك ما أحب لنفسي وأكره لك ما أكره لها لا تقع على عقبيك في الصلاة وبما روى عن أبي هريرة قال نهاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اقعي في صلاتي اقعاء الذئب على العقبين يعني عقبي نفسه لأن الذئب ليس له عقبان وقال أهل الحديث هو أن يضع الرجل اليته في صلاته على الأرض ناصبا فخذيه لما روى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بينما راع يرعى." (٢)

---

(١) شرح الأربعين النووية وتتمة ابن رجب، ص/١٨٧

(٢) المعتصر من المختصر من مشكل الآثار، ١/٥٣

"(حديث أبي أمامة في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين : البقرة و آل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة و تركها حسرة و لا تستطيعها البطلة .

(حديث عبد الله بن عمرو في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : الصيام و القرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام : أي رب إني منعته الطعام و الشهوات بالنهار فشفعني فيه يقول القرآن : رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان .

تحلية اللسان بالذكر :

قال تعالى (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ، وسبحوه بكرة وأصيلا)

[الأحزاب :٤١ ، ٤٢]." [١]

"وهذه الخصال الأربع لكل مجتمعين على ذكر الله تعالى ، كما في " صحيح مسلم " (١) عن أبي هريرة وأبي سعيد ، كلاهما عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((إن لأهل ذكر الله تعالى أربعا : تنزل عليهم السكينة ، وتغشاهم الرحمة ، وتحف بهم الملائكة ، ويذكرهم الرب فيمن عنده)) . وقد قال الله تعالى : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ (٢) وذكر الله لعبده : هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى بين ملائكته ومباهاتهم به وتنويهه بذكره . قال الربيع بن أنس : إن الله ذاكر من ذكره ، وزائد من شكره ، ومعذب من كفره (٣) ، وقال – عز وجل – : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ (٤) ، وصلاة الله على عبده : هي ثناؤه عليه بين ملائكته ، وتنويهه بذكره ، كذا قال أبو العالية ، ذكره البخاري في " صحيحه " (٥) .

وقال رجل لأبي أمامة : رأيت في المنام كأن الملائكة تصلي عليك ، كلما دخلت ، وكلما خرجت ، وكلما قمت ، وكلما جلست ، فقال أبو أمامة : وأنتم لو شئتم ، صلت عليكم الملائكة ، ثم قرأ : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ خرجه الحاكم (٦) .

---

(١) ٨/٧٢ (٢٧٠٠) (٣٩) .

(٢) البقرة : ١٥٢ .

(٣) أخرجه : الطبري في " تفسيره " ٢/٣٧ .

(٤) الأحزاب : ٤١ — ٤٣ .

(٥) ٦/١٥١ معلقا .

---

[١] الضياء اللامع من صحيح الكتب الستة وصحيح الجامع، ٢/٣٩

(٦) في " المستدرك " ٤١٨/٢ .

وانظر : تهذيب الكمال للمزي ٤٥١/٣ (٢٨٥٨) .." [١]

"قد أمر الله سبحانه المؤمنين بأن يذكروه **ذكرا كثيرا** ، ومدح من ذكره كذلك ؛ قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ (١)، وقال تعالى : ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (٢)، وقال تعالى : ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ﴾ (٤) .

وفي " صحيح مسلم " (٥) عن أبي هريرة : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مر على جبل يقال له : جمدان ، فقال : ((سيروا هذا جمدان (٦) ، قد سبق المفردون)) . قالوا : ومن المفردون يا رسول الله ؟ قال : ((الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)) .

وخرجه الإمام أحمد (٧) ، ولفظه : ((سبق المفردون)) قالوا : وما المفردون ؟ قال : ((الذين يهترون(٨) في ذكر الله)) .

وخرجه الترمذي (٩) ، وعنده : قالوا : يا رسول الله ، وما المفردون ؟ قال :

((المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم ، فيأتون يوم القيامة خفافا)) .

---

(١) الأحزاب : ٤١ – ٤٢ .

(٢) الجمعة : ١٠ .

(٣) الأحزاب : ٣٥ .

(٤) آل عمران : ١٩١ .

(٥) ٦٣/٨ (٢٦٧٦) (٤) .

(٦) جمدان : هو جبل بين ينبع والعيص ، على ليلة من المدينة ، وهو بضم الجيم ، ثم سكون الميم . مراصد الاطلاع ٣٤٥/١ .

(٧) في " مسنده " ٣٢٣/٢ و٤١١ من حديث أبي هريرة .

(٨) أي : يولعون .

(٩) في " جامعه " (٣٥٩٦) من حديث أبي هريرة .." [٢]

"٢٤٣٣٥ - (وعن البراء) بالتخفيف والمد (ابن عازب) بالمهملة والزاي والموحدة (رضي الله عنهما عن النبي قال في عمرة القضاء «لما خرج النبي وتبعته بنت حمزة تنادي يا عم يا عم، فتناولها علي فأخذها بيده وقال لفاطمة: دونك بنت

---

[١] جامع العلوم والحكم محقق، ٢٩/٣٨

[٢] جامع العلوم والحكم محقق، ٢/٥٢

عمك احمليها، فاختصر فيها علي وزيد وجعفر، فقضى بها النبي لخالتها وقال (الخالة بمنزلة الأم) الحديث. قال العلقمي: أي في هذا الحكم الخاص لأنها تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء لما يصلح الولد فلا حجة فيه لمن قال: الخالة ترث. وفي حديث مرسل للباقر «الخالة والدة، وإنما الخالة أم ـ وهو بمعنى قوله: «بمنزلة الأم» أي لا أنها أم حقيقة اهـ. والمصنف أورده في الباب اعتبارا بعموم لفظه في طلب أنواع البر وإسداء المعروف لها كما تسدى ذلك للأم مطلب البر لها (رواه الترمذي وقال: حديث صحيح) ورواه أبو داود من حديث علي بن أبي طالب كما في «الجامع الصغير» (وفي الباب) أي البر والصلة (أحاديث) مع حديث علي بن أبي طالب كما في «الجامع الصغير» (وفي الباب) أي البر والصلة (أحاديث) جمع حديث على غير قياس أو جمع أحدوثة بمعنى حديث كأراجيز جمع أرجوزة، قاله في «المفاتيح في شرح المصابيح» كما تقدم أول الكتاب بمزيد (كثيرة في الصحيح) أي للبخاري لأنه صار علما بالغلبة في لسان المحدثين عليه، ويحتمل أنه يريد في الصحيح من الحديث للقابل للحسن والضعيف (مشهورة منها حديث أصحاب الغار الثلاثة وحديث جريج وقد سبقا) سبق حديث الغار في باب الإخلاص وحديث جريج في باب فضل ضعفة المسلمين (وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختصارا) وقد ذكرا كثيرا منها المنذري في «ترغيبه» (ومن أهمها حديث عمرو بن عبسة) بفتح المهملة والموحدة والسين المهملة (رضي الله عنه الطويل) صفة حديث (المشتمل على جمل كثيرة) بالمثلثة تأكيد لمدلول جمل وتنوينه (من قواعد الإسلام) أي أصوله وضوابطه الشاملة لكثير من جزئياته (وآدابه) جمع أدب وهو." [(١)]

"٢٤٣٣٥ ـ (وعن البراء) بالتخفيف والمد (ابن عازب) بالمهملة والزاي والموحدة (رضي الله عنهما عن النبي قال) في عمرة القضاء «لما خرج النبي وتبعته بنت حمزة تنادي يا عم يا عم، فتناولها علي فأخذها بيده وقال لفاطمة: دونك بنت عمك احمليها، فاختصر فيها علي وزيد وجعفر، فقضى بها النبي لخالتها وقال (الخالة بمنزلة الأم) الحديث. قال العلقمي: أي في هذا الحكم الخاص لأنها تقرب منها في الحنو والشفقة والاهتداء لما يصلح الولد فلا حجة فيه لمن قال: الخالة ترث. وفي حديث مرسل للباقر «الخالة والدة، وإنما الخالة أم ـ وهو بمعنى قوله: «بمنزلة الأم» أي لا أنها أم حقيقة اهـ. والمصنف أورده في الباب اعتبارا بعموم لفظه في طلب أنواع البر وإسداء المعروف لها كما تسدى ذلك للأم مطلب البر لها (رواه الترمذي وقال: حديث صحيح) ورواه أبو داود من حديث علي بن أبي طالب كما في «الجامع الصغير» (وفي الباب) أي البر والصلة (أحاديث) مع حديث علي بن أبي طالب كما في «الجامع الصغير» (وفي الباب) أي البر والصلة (أحاديث) جمع حديث على غير قياس أو جمع أحدوثة بمعنى حديث كأراجيز جمع أرجوزة، قاله في «المفاتيح في شرح المصابيح» كما تقدم أول الكتاب بمزيد (كثيرة في الصحيح) أي للبخاري لأنه صار علما بالغلبة في لسان المحدثين عليه، ويحتمل أنه يريد في الصحيح من الحديث للقابل للحسن والضعيف (مشهورة منها حديث أصحاب الغار الثلاثة وحديث جريج وقد سبقا) سبق حديث الغار في باب الإخلاص وحديث جريج في باب فضل ضعفة المسلمين (وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختصارا) وقد ذكرا كثيرا منها المنذري في «ترغيبه» (ومن أهمها حديث عمرو بن عبسة) بفتح المهملة والموحدة والسين المهملة (رضي الله عنه الطويل) صفة حديث (المشتمل على جمل كثيرة) بالمثلثة تأكيد لمدلول جمل وتنوينه (من

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٢/٤٨٧

قواعد الإسلام) أي أصوله وضوابطه الشاملة لكثير من جزئياته (وآدابه) جمع أدب وهو
.)"[١]

"الباب الثامن عشر في فضيلة السلام) ويستحب القيام للإمام العادل والوالدين وأهل الدين والورع وأكرم الناس كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قُومُوا إلى سَيِّدِكُم» (الباب التاسع عشر في فضيلة الدعاء) وهو سيف المؤمن، قال الله تعالى: ﴿وقال ربكم ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وسئل إبراهيم بن أدهم رحمه الله فقيل له: ما بالنا ندعو الله فلا يستجيب لنا؟ فقال: لأنكم عرفتم الرسول، فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم ترهبوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ورافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس. (الباب العشرون في فضيلة الاستغفار) قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ جَعَلَ الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجا، وَمِنْ كُلِّ ضيقٍ مَخْرَجا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ» (الباب الحادي والعشرون في فضيلة ذكر الله) قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْرا كَثِيرا﴾ [الأحزاب: ٤١] (الباب الثاني والعشرون في فضيلة التسبيح) قال أبو ذر رضي الله عنه: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي الكلام أحب إلى الله عز وجل؟ قال صلى الله عليه وسلم: «ما اصْطَفَى الله سُبحَانَهُ لَمَلائِكَتِهِ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ وسُبْحَانَ الله العَظِيمِ» (الباب الثالث والعشرون في فضيلة التوبة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغرِبها تابَ الله عَلَيْهِ» رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ» رواه الترمذي وابن ماجه. ("[٢]

" ومباهاته به وتنويهه بذكره قال الربيع بن أنس إن الله ذاكر من ذكره وزائد من شكره ومعذب من كفره قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور الأحزاب وصلاة الله على عبد هي ثناؤه عليه بين ملائكته وتنويهه بذكره كذا قال أبو العالية ذكره البخاري في صحيحه وقال رجل لأبي أمامة رأيت في المنام كأن الملائكة تصلي عليك كلما دخلت وكلما خرجت وكلما قمت وكلما جلست فقال أبو أمامة وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة ثم قرأ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكره وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته الأحزاب خرجه الحاكم قوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه معناه أن العمل هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة كما قال تعالى ولكل درجات مما عملوا الأنعام فمن أبطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند الله لم يسرع به نسبه فيبلغه تلك الدرجات فإن الله تعالى رتب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب كما قال تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون المؤمنون وقد أمر الله تعالى بالمسارعة إلى مغفرته ورحمته بالأعمال كما قال تعالى وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين آل عمران وقال إن الذين هم من

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ١٣٣/١

(٢) تنقيح القول الحثيث في شرح لباب الحديث، ص/٩

خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون المؤمنون قال ابن مسعود يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس على قدر أعمالهم زمرا زمرا أوائلهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر المطر ثم كمر البهائم حتى يمر الرجل سعيا وحتى يمر الرجل مشيا حتى يمر آخرهم يتلبط على بطنه فيقول يا رب لم أبطأت بي فيقول إني لم أبطئ بك إنما أبطأ بك عملك وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أنزل عليه وأنذر عشيرتك الأقربين يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا أغني عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا وفي رواية خارج الصحيحين إن أوليائي منكم المتقون تأتي الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول قد بلغت وخرج ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن أوليائي المتقون يوم القيامة وإن كان نسب أقرب من نسب يأتي الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فأقول هكذا وهكذا ." (١)

" وخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه بمعناه وقال الترمذي حسن غريب وكلهم خرجه من رواية عمرو بن قيس الكندي عن عبدالله بن بشر وخرجه ابن حبان في صحيحه وغيره من حديث معاذ بن جبل قال آخر ما فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم أن قلت له أي الأعمال خير وأقرب إلى الله قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله وقد سبق في هذا الكتاب مفرقا ذكر كثير من فضائل الذكر ونذكر هنا فضل إدامته والإكثار منه قد أمر الله المؤمنين بأن يذكروه ذكرا كثيرا ومدح من ذكره كذلك قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا الأحزاب وقال تعالى واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون الجمعة وقال تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما الأحزاب وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم آل عمران وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مر على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا ومن المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وخرجه الإمام أحمد ولفظه سبق المفردون قالوا ومن المفردون قال الذين يهترون في ذكر الله وخرجه الترمذي وعنده قالوا يا رسول الله وما المفردون قال المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا وروى موسى بن ." (٢)

" | استطعت ، واذكر الله عند كل شجرة وحجر ، وإذا عملت شرا فأحدث لله توبة ، السر | بالسر ، والعلانية بالعلانية ' . | | قال الشيخ الإمام الزاهد – رحمه الله – : قوله – [ ] – : | ' عليك بتقوى الله ما استطعت ' قول اديب متأدب بأدب الله تعالى موافق الله عز وجل | قولا وفعلا وخلقا لا يتقدم بين يدي الله عز وجل ، ولا يتأتي عليه – [ ] – | سمع الله – عز وجل – يقول منزلا عليه موحيا إليه ، ^ (فاتقوا الله ما استطعتم) ^ | [التغابن : ١٦] فقال

(١) جامع العلوم والحكم، ص/٣٤٧

(٢) جامع العلوم والحكم، ص/٤٤٣

النبي – [ ] – كما قال الله عز وجل . | | فيجوز أن يكون معنى قوله ' ما استطعت ' أي على مقدار طاعتك ، ومبلغ | قدرتك ، فإنك لن تطيق قدره ، ولا تتقيه حق تقاته ، لانه تعالى لا يعبد حق عبادته ، | ولا يطاق إقامة حقه على قدر ما يستحقه ، لكن على قدر القوة ، ومبلغ الطاقة . | | ويجوز أن يكون قوله ' ما استطعت ' أي بجميع استطاعتك ، واستفراغ طاقتك | وبذل جهودك حتى لا تبقى مما تستطيع ، ولا تستبقي مما تطيق شيئا إلا بذلته في تقواه ، | طلبا لمرضاته ، ووفاء بعهده ، مستعينا بالله مفتقرا إليه كما قال : ^ (إياك نعبد وإياك | نستعين) ^ [الفاتحة : ٥] . | | | وقوله : ' واذكر الله عند كل شجر وحجر ' أي حيث ما كنت من سفر وحضر | فيكون الشجر إشارة إلى الحضر ، والحجر عبارة عن السفر ، ويجوز أن يكون معناه في | الرخاء والشدة ، والخصب والجدب ، والسراء والضراء ، فيكون المشجر عبارة عن الخصب | وهو حال الرخاء والسراء ، والحجر عبارة عن الجدب ، وهو حال الشدة والضراء ، | قال الله تعالى : ^ (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) ^ [آل عمران : ١٩١] | وهو الذكر الكثير الذي قال الله عز وجل : ^ (أذكروا الله ذكرا كثيرا) ^ [الأحزاب : ٤١] . | | وقوله – [ ] – : ' وإذا عملت شرا فأحدث لله توبة ' أشار إلى | ضعف البشرية وعجز الإنسانية كأنه يقول : إنك أن توقيت بجميع استطاعتك فغير سليم |

(١) ".

"٥- أن يداوم على فعل الطاعات ولو كانت تلك الطاعات قليلة في نظره، ففي الحديث: «وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَادَامَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ»(١).

وفي رواية مسلم: «وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى الله مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّ، وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ»(٢).

٦- دوام ذكره على كل حال؛ باللسان والقلب، والعمل والحال .كما في الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم -: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(٣).

ولقد أمر الله به في القرآن في مواضع عديدة :

مثل قوله تعالى: ؟ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ؟ [سورة الأحزاب:٤١-٤٢]. وقوله تعالى: ؟فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ؟ [البقرة: ١٥٢].

(١) رواه البخاري في الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، برقم: (٤٣).

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، والأمر بالاقتصاد في العبادة، وهو أن

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص/٣٦٤

يأخذ منها ما يطيق الدوام عليه، وأمر من كان في صلاة وفتر عنها ولحقه ملل ونحوه بأن يتركها حتى يزول ذلك: (٧٨٢).
(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله: ويحذركم الله نفسه، برقم: (٧٤٠٥) و مسلم في الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، برقم: (٢٦٧٥).." [١]

"الأصل في الصلاة: اللزوم فكأن العبد لزم هذه العبادة لا يحتاج طلبه من الله
تعالى، وقال الخطابي: الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمعنى التعظيم والتكريم، وهي
خصيصة له لا شرك فيها، وعن الفخر الفارسي المزي: قال بعض العلماء
ينبغي أن ينوي المصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقلبه أن صلاتي على النبي إنما تكون
امتثالا لأمر الله تعالى حيث أمرنا بالصلاة عليه، الثاني: ينوي موافقة الله
وملائكة، الثالث: ينوي امتثال أمر الله تعالى في ذكره حيث قال: (اذكروا
الله **ذكرًا كثيرًا**) الرابع: ينوى أن هذا ذكر حبيب الله وذكر الحبيب
موجب لرضا المحب، الخامس : ينوي أن الله تعالى أمره بالدعاء وأنا اخترت
هذا الدعاء، السادس: ينوي طلب الزيادة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقيام حقوقه الواجبة
عليه، السابع: ينوي إظهار محبته ؛ لأن من أحبّ شيئا أكثر من ذكره،
الثامن: ينوى تعظيمه، التاسع: ينوي ذكر آله وتعظيم آله، العاشر: ينوي ارتجاء
الشفاعة والزلفة، وفي المحكم الصلاة أو الاستغفار صلى دعاء (١) ، قال الأعشى
عليك مثل الذي صليت فاعتمني يوما فإنّ يبحث المرء مضطجعا، وقد
اختلف العلماء في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الصلاة، فمذهب الشافعي أنها
فرض في التشهد / الآخر، قال النووي: ونقله أصحابنا عن عمر بن الخطاب
وابنه، ونقله الشيخ أبو حامد عن ابن مسعود وأبي مسعود البدري، وقد أسلفناه
أيضا عن الشعبي وهو أحد الروايتين عن أحمد بن حنبل- رحمه الله-، وقال
إسحاق: إن تركها عمدا لم تصح صلاته وإن تركها سهوا رجوت أن تجزيه،
وقال ابن أبي زيد عن ابن المواز: الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فريضة، " قال أبو
محمد: يريد ليس من فرائض الصلاة، وحكى ابن القطان وعبد الوهاب أنّ
ابن المواز يراها فريضة في الصلاة، وفال أبو حنيفة ومالك وأكثر العلماء: هي
مستحبة، وقال ابن حزم: فإن قائل يقول: لم تجعلوا الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في
أثر التشهد فرضا كما يقول الشافعي ؟، قلنا: لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل أن هذا
القول فرض في الصلاة، ونحن نقول أنَّه فرض على كل مسلم أن يقوله مرَّة

---

(١) ثلاث من كن فيه، ص/٢٩

في الدهر، وزعم محمد بن جرير والطحاوي أنّه لا سلف للشافعي في هذا
القول ولا سنة يتبعها، وما أسلفناه من الأخبار يرد قولهما ويوضح صحة ما

---

(١) كذا ورد هذا السياق' بالأصل " ، والمعنى مضطرب؛ لاضطراب المتن.." [١]

"فأولها : قوله : ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ (البقرة : ٢٨٦) وضد النسيان هو الذكر كما قال تعالى : ﴿عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ (الأحزاب : ٤١) وقوله : ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ (الكهف : ٢٤) وقوله : ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف : ٢١) وقوله : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وهذا الذكر إنما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧

وثانيها : قوله : ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَه عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ ودفع الأصر . والأصر هو الثقل . يوجب الحمد/ وذلك إنما يحصل بقوله الحمد لله رب العالمين.

وثالثها : قوله : ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِه ﴾ وذلك إشارة إلى كمال رحمته ، وذلك هو قوله الرحمن الرحيم.

ورابعها : قوله : ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ لأنك أنت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين ، وهو قوله مالك يوم الدين.

وخامسها : قوله تعالى : ﴿وَاغْفِرْ لَنَآ ﴾ لأنا في الدنيا عبدناك واستعنا بك في كل المهمات ، وهو قوله إياك نعبد وإياك نستعين.

وسادسها : قوله : ﴿وَارْحَمْنَآ ﴾ لأنا طلبنا الهداية منك في قولنا : اهدنا الصراط المستقيم.

/ وسابعها : قوله : ﴿أَنتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة : ٢٨٦) وهو المراد من قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

فهذه المراتب السبع المذكورة في آخر سورة البقرة ذكرها محمد عليه الصلاة والسلام في عالم الروحانيات عند صعوده إلى المعراج ، فلما نزل من المعراج فاض أثر المصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة ، فمن قرأها في صلاته صعدت هذه الأنوار من المظهر إلى المصدر كما نزلت هذه الأنوار في عهد محمد عليه الصلاة والسلام من المصدر إلى المظهر ، فلهذا السبب قال عليه السلام : "الصلاة معراج المؤمن".

الفصل الثاني

في مداخل الشيطان

مداخل الشيطان :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧

اعلم أن المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها في الأصل ثلاثة : الشهوة ، والغضب ، والهوى ، فالشهوة بهيمية ، والغضب

---

(١) شرح ابن ماجه لمغلطاي، ص/١٥٤١

سبعية ، والهوى شيطانية : فالشهوة آفة لكن الغضب أعظم منه ، والغضب آفة لكن الهوى أعظم منه ، فقوله تعالى : ﴿اتْلُ مَآ أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ﴾ المراد آثار الشهوة ، وقوله : ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ المراد منه آثار الغضب ، وقوله : ﴿وَالْبَغْيَ﴾ (العنكبوت : ٤٥) المراد منه آثار الهوى فبالشهوة يصير الإنسان ظالماً لنفسه ، وبالغضب يصير ظالماً لغيره ، وبالهوى يتعدى ظلمه إلى حضرة جلال الله تعالى ، ولهذا قال عليه السلام : الظلم ثلاثة : فظلم لا يغفر ، وظلم لا يترك وظلم عسى الله أن يتركه ، فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك بالله ، والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد بعضهم بعضاً ، والظلم الذي عسى الله أن يتركه هو ظلم الإنسان نفسه ، فمنشأ الظلم الذي لا يغفر هو الهوى. ومنشأ الظلم الذي لا يترك هو الغضب ، ومنشأ الظلم الذي عسى الله أن يتركه هو الشهوة ، ثم لها نتائج ؛ فالحرص والبخل نتيجة الشهوة ، والعجب والكبر نتيجة الغضب ، والكفر والبدعة نتيجة الهوى ، فإذا اجتمعت هذه الستة في بني آدم تولد منها سابع . وهو الحسد . وهو نهاية الأخلاق الذميمة. كما أن الشيطان هو النهاية في الأشخاص المذمومة ، ولهذا السبب ختم الله مجامع الشرور الإنسانية بالحسد ، وهو قوله : ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق : ٥) كما ختم مجامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة وهو قوله : ﴿الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس : ٥) فليس في بني آدم أشر من الحسد كما أنه ليس في الشياطين أشر من الوسواس ، بل قيل : الحاسد أشر من إبليس ، لأن إبليس روي أنه أتى باب فرعون وقرع الباب فقال فرعون / من هذا ؟

فقال إبليس : لو كنت إلهاً لما جهلتني ، فلما دخل قال فرعون : أتعرف في الأرض شراً مني ومنك ، قال : نعم ، الحاسد ، وبالحسد وقعت في هذه المحنة.

إذا عرفت هذا فنقول : أصول الأخلاق القبيحة هي تلك الثلاثة ، والأولاد والنتائج هي هذه السبعة المذكورة فأنزل الله تعالى سورة الفاتحة وهي سبع آيات لحسم هذه الآفات السبع وأيضاً أصل سورة الفاتحة هو التسمية ، وفيها الأسماء الثلاثة ، وهي في مقابلة تلك الأخلاق الأصلية الفاسدة ، فالأسماء الثلاثة الأصلية في مقابلة الأخلاق الثلاثة الأصلية/ والآيات السبع (التي هي الفاتحة) في مقابلة الأخلاق السبعة ، ثم إن جملة القرآن كالنتائج والشعب من الفاتحة ، وكذا جميع الأخلاق الذميمة كالنتائج والشعب من تلك السبعة ، فلا جرم القرآن كله كالعلاج لجميع الأخلاق الذميمة.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧

(١) ".

"الفائدة الثالثة : أنه قال : "إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله تعالى : "ذكرني عبدي" وفيه أحكام : أحدها : أنه تعالى قال : ﴿فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ﴾ (البقرة : ١٥٢) فههنا لما أقدم العبد على ذكر الله لا جرم ذكره تعالى في ملأ خير من ملائه. وثانيها : أن هذا يدل على أن مقام الذكر مقام عالٍ شريف في العبودية ، لأنه وقع الابتداء به ، ومما يدل على كماله أنه تعالى أمر بالذكر فقال : ﴿فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ﴾ ثم قال : ﴿عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب : ٤١) ثم قال : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران : ١٩١) ثم قال : ﴿إِنَّ

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/١٦١

الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَا ائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ (الأعراف : ٢٠١) فلم يبالغ في تقرير شيء من مقامات العبودية مثل ما بالغ في تقرير مقام الذكر. وثالثها : إن قوله : يدل على أن قولنا : "الله" اسم علم لذاته المخصوصة ، إذ لو كان اسماً مشتقاً لكان مفهومه مفهوماً كلياً ، ولو كان كذلك لما صارت ذاته المخصوصة المعينة مذكورة بهذا اللفظ ، فظاهر أن لفظي الرحمن الرحيم لفظان كليان ، / فثبت أن قوله : "ذكرني عبدي" يدل على أن قولنا الله اسم علم ، أما قوله : "وإذا قال الحمد لله يقول الله تعالى حمدني عبدي" فهذا يدل على أن مقام الحمد أعلى من مقام الذكر ويدل عليه أن أول كلام ذكر في أول خلق العالم هو الحمد ، بدليل قول الملائكة قبل خلق آدم ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ (البقرة : ٣٠) وآخر كلام يذكر بعد فناء العالم هو الحمد أيضاً ، بدليل قوله تعالى في صفة أهل الجنة ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ (يونس : ١٠) والعقل أيضاً يدل عليه ؛ لأن الفكر في ذات الله غير ممكن ، لقوله عليه الصلاة والسلام : "تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق" ولأن الفكر في الشيء مسبوق بسبق تصوره ، وتصور كنه حقيقة الحق غير ممكن ، فالفكر فيه غير ممكن فعلى هذا الفكر لا يمكن إلا في أفعاله ومخلوقاته/ ثم ثبت بالدليل أن الخير مطلوب بالذات ، والشر بالعرض فكل من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله وإحسانه أكثر ، فلا جرم كان اشتغاله بالحمد والشكر أكثر ، فلهذا قال : الحمد لله رب العالمين ، وعند هذا يقول : حمدني عبدي ، فشهد الحق سبحانه بوقوف العبد بعقله وفكره على وجود فضله وإحسانه في ترتيب العالم الأعلى والعالم الأسفل ، وعلى أن لسانه صار موافقاً لعقله ومطابقاً له ، وإن غرق في بحر الإيمان به والإقرار بكرمه بقلبه ولسانه وعقله وبيانه ، فما أجل هذه الحالة.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٧

وأما قوله : "وإذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي" فلقائل أن يقول : إنه لما قال بسم الله الرحمن الرحيم فقد ذكر الرحمن الرحيم وهناك لم يقل الله عظمني عبدي ، وههنا لما قال الرحمن الرحيم قال عظمني عبدي فما الفرق ؟

وجوابه أن قوله الحمد لله دل على إقرار العبد بكماله في ذاته ، وبكونه مكملاً لغيره ، ثم قال بعده : رب العالمين ، وهذا يدل على أن الإله الكامل في ذاته المكمل لغيره واحد ليس له شريك ، فلما قال بعده الرحمن الرحيم دل ذلك على أن الإله الكامل في ذاته المكمل لغيره المنزه عن الشريك والنظير والمثل والضد والند في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده ولا شك أن غاية ما يصل العقل والفهم والوهم إليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس إلا هذا المقام ، فلهذا السبب قال الله تعالى ههنا : "عظمني عبدي".

وأما قوله : "وإذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي" أي : نزهني وقدسني عما لا ينبغي. فتقريره أنا نرى في دار الدنيا كون الظالمين متسلطين على المظلومين ، وكون الأقوياء مستولين على الضعفاء ، ونرى العالم الزاهد الكامل في أضيق العيش ، ونرى الكافر الفاسق في أعظم أنواع الراحة والغبطة ، وهذا العمل لا يليق برحمة أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين ، فلو لم يحصل المعاد والبعث والحشر حتى ينتصف الله فيه للمظلومين من الظالمين ويوصل إلى أهل الطاعة الثواب ، وإلى أهل الكفر العقاب ، لكان هذه الاهمال والامهال ظلماً من الله على / العباد ، أما لما حصل يوم الجزاء ويوم الدين اندفع وهم الظلم ، فلهذا السبب قال الله تعالى : ﴿لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَا ـُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِىَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (النجم : ٣١)

وهذا هو المراد من قوله تعالى : مجدني عبدي ، الذي نزهني عن الظلم وعن شيمه. (١) ".

"والجواب من وجوه أحدها : أن مذهبنا أن أسماء الله تعالى توقيفية لا قياسية فقوله أولاً : ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أمر بالذكر ، وقوله ثانياً : ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أمر لنا بأن نذكره سبحانه بالأسماء والصفات التي بينها لنا وأمرنا أن نذكره بها ، لا بالأسماء التي نذكرها بحسب الرأي والقياس وثانيها : أنه تعالى أمر بالذكر أولاً ، ثم قال ثانياً : ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أي وافعلوا ما أمرناكم به من الذكر كما هداكم الله لدين الإسلام ، فكأنه تعالى قال : إنما أمرتكم بهذا الذكر / لتكونوا شاكرين لتلك النعمة ، ونظيره ما أمرهم به من التكبير إذا أكملوا شهر رمضان ، فقال : ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة : ١٨٥) وقال في "الأضاحي" : ﴿كَذَالِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ﴾ وثالثها : أن قوله أولاً : ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ أمر بالذكر باللسان وقوله ثانياً : ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أمر بالذكر بالقلب ، وتقريره أن الذكر في كلام العرب ضربان أحدهما : ذكر هو ضد النسيان والثاني : الذكر بالقول ، فما هو خلاف النسيان قوله : ﴿وَمَآ أَنسَانِيهُ إِلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَه ﴾ (الكهف : ٦٣) وأما الذكر الذي هو القول فهو كقوله : ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِى أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾ (البقرة : ٢٠٣) فثبت أن الذكر وارد بالمعنيين فالأول : محمول على الذكر باللسان والثاني : على الذكر بالقلب ، فإن بهما يحصل تمام العبودية ورابعها : قال ابن الأنباري : معنى قوله : ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ يعني اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته وخامسها : يحتمل أن يكون المراد من الذكر مواصلة الذكر ، كأنه قيل لهم : اذكروا الله واذكروه أي اذكروه ذكراً بعد ذكر ، كما هداكم هداية بعد هداية ، ويرجع حاصله إلى قوله : ﴿عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب : ٤١) وسادسها : أنه تعالى أمر بالذكر عند المشعر الحرام ، وذلك إشارة إلى القيام بوظائف الشريعة ، ثم قال بعده :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٢٢

﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ والمعنى أن توقيف الذكر على المشعر الحرام فيه إقامة لوظائف الشريعة ، فإذا عرفت هذا قربت إلى مراتب الحقيقة ، وهو أن ينقطع قلبك عن المشعر الحرام ، بل عن من سواه فيصير مستغرقاً في نور جلاله وصمديته ، ويذكره لأنه هو الذي يستحق لهذا الذكر ولأن هذا الذكر يعطيك نسبة شريفة إليه بكونك في هذه الحالة تكون في مقام العروج ذاكراً له ومشتغلاً بالثناء عليه ، وإنما بدأ بالأول وثنى بالثاني لأن العبد في هذه الحالة يكون في مقام العروج فيصعد من الأدنى إلى الأعلى وهذا مقام شريف لا يشرحه المقال ولا يعبر عنه الخيال ، ومن أراد أن يصل إليه ، فليكن من الواصلين إلى العين ، دون السامعين للأثر ورابعها : أن يكون المراد بالأول هو ذكر أسماء الله تعالى وصفاته الحسنى ، والمراد بالذكر الثاني : الاشتغال بشكر نعمائه ، والشكر مشتمل أيضاً على الذكر ، فصح أن يسمي الشكر ذكراً ، والدليل على أن الذكر الثاني هو الشكر أنه علقه بالهداية ، فقال : ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾ والذكر المرتب على النعمة ليس إلا الشكر وثامنها : أنه تعالى لما قال ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ جاز أن يظن أن الذكر مختص بهذه البقعة وبهذه العبادة ، يعني الحج

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/١٦٥

فأزال الله تعالى هذه الشبهة فقال ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ يعني اذكروه على كل حال ، وفي كل مكان ، لأن هذا الذكر إنما وجب شكراً على هدايته ، فلما كانت نعمة الهداية متواصلة غير منقطعة ، فكذلك الشكر يجب أن يكون مستمراً غير منقطع وتاسعها : أن قوله : ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ المراد منه الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك ، ثم قوله : ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ والمراد منه التهليل والتسبيح.

/ السؤال الثاني : ما المراد من الهداية في قوله : ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾ ؟

.

الجواب : منهم من قال : إنها خاصة ، والمراد منه كما هداكم بأن ردكم في مناسك حجكم إلى سنة إبراهيم عليه السلام ، ومنهم من قال لا بل هي عامة متناولة لكل أنواع الهداية في معرفة الله تعالى ، ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وشرائعه.

السؤال الثالث : الضمير في قوله : ﴿مِّن قَبْلِهِ ﴾ إلى ماذا يعود ؟

.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٢٢

الجواب : يحتمل أن يكون راجعاً إلى ﴿الْهَدْيِ ﴾ والتقدير : وإن كنتم من قبل أن هداكم من الضالين ، وقال بعضهم : إنه راجع إلى القرآن ، والتقدير : واذكروه كما هداكم بكتابه الذي بين لكم معالم دينه ، وإن كنتم من قبل إنزاله ذلك عليكم من الضالين.

". (١)

"والقول الرابع : أنه يبتدأ بها من صلاة الفجر يوم عرفة ، وينقطع بعد صلاة العصر من يوم النحر من آخر أيام التشريق ، فتكون التكبيرات بعد ثلاث وعشرين صلاة ، وهو قول أكابر الصحابة ، كعلي وعمر وابن مسعود وابن عباس ، ومن الفقهاء قول الثوري وأبي يوسف ومحمد وأحمد وإسحاق والمزني وابن شريح ، وعليه عمل الناس بالبلدان ، ويدل عليه وجوه الأول : ما روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلّم صلى الصبح يوم عرفة ، ثم أقبل علينا فقال : الله أكبر ، ومد التكبير إلى العصر من آخر أيام التشريق والثاني : أن الذي قاله أبو حنيفة أخذ بالأقل ، وهذا القول أخذ بالأكثر ، والتكثير في التكبير أولى لقوله تعالى : ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب : ٤١) الثالث : أن هذا هو الأحوط ، لأنه لو زاد في التكبيرات فهو خير من أن ينقص منها والرابع : أن هذه التكبيرات تنسب إلى أيام التشريق ، فوجب أن يؤتى بها إلى آخر أيام التشريق.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٤٠

فإن قيل : هذه التكبيرات مضافة إلى الأيام المعدودات وهي أيام التشريق ، فوجب أن لا تكون مشروعة يوم عرفة.

قلنا : فهذا يقتضي أن لا يكبر يوم النحر وهو باطل بالإجماع ، وأيضاً لما كان الأغلب في هذه المدة أيام التشريق ؛ صح أن يضاف التكبير إليها.

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٨٣١

الموضع الثاني : قال الشافعي رضي الله عنه : المستحب في التكبيرات أن تكون ثلاثاً نسقاً أي متتابعاً ، وهو قول مالك ، وقال أبو حنيفة وأحمد : يكبر مرتين ، حجة الشافعي ما روى عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، قال : رأيت الأئمة يكبرون في أيام التشريق بعد الصلاة ثلاثاً ، ولأنه زيادة في التكبير ، فكان أولى لقوله تعالى : ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ثم قال الشافعي رضي الله عنه : ويقول بعد الثلاث : "لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد" ثم قال : وما زاد من ذكر / الله فهو حسن ، وقال في التلبية : وأحب أن لا يزيد على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، والفرق أن من سنة التلبية التكرار فتكرارها أولى من ضم الزيادة إليها ، وههنا يكبر مرة واحدة فتكون الزيادة أولى من السكوت ، وأما التكبير على الجمار فقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يكبر مع كل حصاة ، فينبغي أن يفعل ذلك.

أما قوله تعالى : ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْه لِمَنِ اتَّقَى ﴾ ففيه سؤالات :

السؤال الأول : لم قال فمن تعجل ولم يقل فمن عجل ؟

.

الجواب : قال صاحب "الكشاف" : تعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل ، يقال : تعجل في الأمر واستعجل ، ومتعديين يقال : تعجل الذهاب واستعجله.

السؤال الثاني : قوله : ﴿وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْه ﴾ فيه إشكال ، وذلك لأنه إذا كان قد استوفى كل ما يلزمه في تمام الحج ، فما معنى قوله : ﴿فَلا إِثْمَ عَلَيْه ﴾ فإن هذا اللفظ إنما يقال في حق المقصر ولا يقال في حق من أتى بتمام العمل.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٤٠

". (١)

"ثم قال تعالى : ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ لما أمرهن ونهاهن وبين ما يكون لهن وذكر لهن عشر مراتب الأولى : الإسلام والانقياد لأمر الله والثانية : الإيمان بما يرد به أمر الله ، فإن المكلف أولاً يقول كل ما يقوله أقبله فهذا إسلام ، فإذا قال الله شيئاً وقبله صدق مقالته وصحح اعتقاده فهو إيمان ثم اعتقاده يدعوه إلى الفعل الحسن والعمل الصالح فيقنت ويعبد وهو المرتبة الثالثة : المذكورة بقوله : ﴿وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾ ثم إذا آمن وعمل صالحاً كمل فيكمل غيره ويأمر بالمعروف وينصح أخاه فيصدق في كلامه عند النصيحة وهو المراد بقوله : ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ ثم إن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه كما قال تعالى : ﴿وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ﴾ ثم إنه إذا كمل وكمل قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله : ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ أو نقول لما ذكر هذه الحسنات أشار إلى ما يمنع منها وهو إما حب الجاه أو حب المال من الأمور الخارجية أو الشهوة من الأمور الداخلة ، والغضب منهما يكون لأنه يكون بسبب نقص جاه أو فوت مال أو منع من أمر مشتى فقوله : ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ أي المتواضعين الذين لا يميلهم الجاه عن العبادة ، ثم قال تعالى : ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ أي الباذلين الأموال الذين لا يكنزونها لشدة محبتهم إياها. ثم قال تعالى : ﴿وَالصَّا ئِمِينَ وَالصَّا ئِمَاتِ﴾ إشارة إلى الذين لا تمنعهم الشهوة البطنية من

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث ، ص/٨٤١

عبادة الله. ثم قال تعالى : ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ أي الذين لا تمنعهم الشهوة الفرجية.

/

جزء : ٢٥ رقم الصفحة : ١٧٠

ثم قال تعالى : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ يعني هم في جميع هذه الأحوال يذكرون الله ويكون إسلامهم وإيمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم بنية صادقة لله ، واعلم أن الله تعالى في أكثر المواضع حيث ذكر الذكر قرنه بالكثرة ههنا ، وفي قوله بعد هذا ﴿عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب : ٤١) وقال من قبل : ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الاخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب : ٢١) لأن الإكثار من الأفعال البدنية غير ممكن أو عسر فإن الإنسان أكله وشربه وتحصيل مأكوله ومسروبه يمنعه من أن يشتغل دائماً بالصلاة ولكن لا مانع له من أن يذكر الله تعالى وهو آكل ويذكره وهو شارب أو ماش أو بائع أو شار ، وإلى هذا أشار بقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران : ١٩١) ولأن جميع الأعمال بذكر الله تعالى وهي النية.

ثم قال تعالى : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ تمحو ذنوبهم وقوله : ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ذكرناه فيما تقدم.

جزء : ٢٥ رقم الصفحة : ١٧٠

١٧١

قيل بأن الآية نزلت في زينب حيث أراد النبي صلى الله عليه وسلّم تزويجها من زيد بن حارثة فكرهت إلا النبي عليه السلام وكذلك أخوها امتنع فنزلت الآية فرضيا به ، والوجه أن يقال إن الله تعالى لما أمر نبيه بأن يقول لزوجاته إنهن مخيرات فهم منه أن النبي صلى الله عليه وسلّم لا يريد ضرر الغير فمن كان ميله إلى شيء يمكنه النبي عليه السلام من ذلك ، ويترك النبي عليه السلام حق نفسه لحظ غيره ، فقال في هذه الآية لا ينبغي أن يظن ظان أن هوى نفسه متبعه وأن زمام الاختيار بيد الإنسان كما في الزوجات ، بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله فما أمر الله هو المتبع وما أراد النبي هو الحق ومن خالفهما في شيء فقد ضل ضلالاً مبيناً ، لأن الله هو المقصد والنبي هو الهادي الموصل ، فمن ترك المقصد ولم يسمع قول الهادي فهو ضال قطعاً.

جزء : ٢٥ رقم الصفحة : ١٧١

١٧١

/ وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالتحرير والإعتاق ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ همَّ زيد بطلاق زينب فقال له النبي أمسك أي لا تطلقها ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ قيل في الطلاق ، وقيل في الشكوى من زينب ، فإن زيداً قال فيها إنها تتكبر علي بسبب النسب وعدم الكفاءة ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ من أنك تريد التزوج بزينب ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾ من أن يقولوا أخذ زوجة الغير أو الإبن ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ ليس إشارة إلى أن النبي خشي الناس ولم يخش الله بل المعنى الله أحق أن تخشاه وحده ولا تخش أحداً معه وأنت تخشاه وتخشى الناس أيضاً ، فاجعل الخشية له وحده كما قال

تعالى : ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَه وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلا اللَّهَ ﴾ (الأحزاب :).
(١) ".

"لما بين الله ما في تزوج النبي عليه السلام بزينب من الفوائد بين أنه كان خالياً من وجوه المفاسد ، وذلك لأن ما كان يتوهم من المفسدة كان منحصراً في التزوج بزوجة الابن فإنه غير جائز فقال الله تعالى إن زيداً لم يكن ابناً له لا بل أحد الرجال لم يكن ابن محمد ، فإن قائل النبي كان أبا أحد من الرجال لأن الرجل اسم الذكر من أولاد آدم قال تعالى : ﴿وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالا وَنِسَآءً﴾ (النساء : ١٧٦) والصبي داخل فيه ، فنقول الجواب عنه من وجهين أحدهما : أن الرجل في الاستعمال يدخل في مفهومه الكبر والبلوغ ولم يكن للنبي عليه السلام ابن كبير يقال إنه رجل والثاني : هو أنه تعالى قال : ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ ووقت الخطاب لم يكن له ولد ذكر ، ثم إنه تعالى لما نفى كونه أباً عقبه بما يدل على ثبوت ما هو في حكم الأبوة من بعض الوجوه فقال : ﴿وَلَـاكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ فإن رسول الله كالأب للأمة في الشفقة من جانبه ، وفي التعظيم من طرفهم بل أقوى فإن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، والأب ليس كذلك ، ثم بين ما يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم من جهتهم بقوله : ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّانَ ﴾ وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئاً من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده ، وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى ، إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد وقوله : ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ يعني علمه بكل شيء دخل فيه أن لا نبي بعده فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد صلى الله عليه وسلّم بتزوجه بزوجة دعيه تكميلاً للشرع وذلك من حيث إن قول النبي صلى الله عليه وسلّم يفيد شرعاً لكن إذا امتنع هو عنه يبقى في بعض النفوس نفرة ، ألا ترى أنه ذكر بقوله ما فهم منه حل أكل الضب ثم لما لم يأكله بقي في النفوس شيء ولما أكل لحم الجمل طاب أكله مع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب.
جزء : ٢٥ رقم الصفحة : ١٧٢
١٧٢
وجه تعلق الآية بما قبلها هو أن السورة أصلها ومبناها على تأديب النبي صلى الله عليه وسلّم وقد ذكرنا أن الله تعالى بدأ بذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي عليه السلام مع الله وهو التقوى وذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي عليه السلام مع أهله وأقاربه بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لازْوَاجِكَ﴾ (الأحزاب : ٢٨) والله تعالى يأمر / عباده المؤمنين بما يأمر به أنبياءه المرسلين فأرشد عباده كما أدب نبيه وبدأ بما يتعلق بجانبه من التعظيم فقال : ﴿عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ كما قال لنبيه : ﴿مُّنتَظِرُونَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ (الأحزاب : ١).
ثم ههنا لطيفة وهي أن المؤمن قد ينسى ذكر الله فأمر بدوام الذكر ، أما النبي لكونه من المقربين لا ينسى ولكن قد يغتر المقرب من الملك بقربه منه فيقل خوفه فقال : ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ فإن المخلص على خطر عظيم وحسنة الأولياء سيئة الأنبياء وقوله : ﴿ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ قد ذكرنا أن الله في كثير من المواضع لما ذكر وصفه بالكثرة إذ لا مانع من الذكر على ما بينا.
جزء : ٢٥ رقم الصفحة : ١٧٢

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٣٦٣٥

١٧٣

أي إذا ذكرتموه فينبغي أن يكون ذكركم إياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء وهو المراد بالتسبيح وقيل المراد منه الصلاة وقيل للصلاة تسبيحه بكرة وأصيلاً إشارة إلى المداومة وذلك لأن مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط كقوله عليه السلام "لو أن أولكم وآخركم" ولم يذكر وسطكم ففهم منه المبالغة في العموم.

جزء : ٢٥ رقم الصفحة : ١٧٣

١٧٤

يعني هو يصلي عليكم ويرحمكم وأنتم لا تذكرونه فذكر صلاته تحريضاً للمؤمنين على الذكر والتسبيح ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ يعني يهديكم برحمته والصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار فقيل بأن اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معاً وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز وينسب هذا القول إلى الشافعي رضي الله عنه وهو غير بعيد فإن أريد تقريبه بحيث يصير في غاية القرب نقول الرحمة والاستغفار يشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر له والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية لكون العناية جزأ منهما ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ بشارة لجميع المؤمنين وإشارة إلى أن قوله ﴿يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ غير مختص بالسامعين وقت الوحي.

جزء : ٢٥ رقم الصفحة : ١٧٤

١٧٤

". (١)

"اللطيفة الثانية : قال في حق النبي عليه السلام سراجاً ولم يقل إنه شمس مع أنه أشد إضاءة من السراج لفوائد منها ، أن الشمس نورها لا يؤخذ منه شيء والسراج يؤخذ منه أنوار كثيرة فإذا انطفأ الأول يبقى الذي أخذ منه ، وكذلك إن غاب والنبي عليه السلام كان كذلك إذ كل صحابي أخذ منه نور الهداية كما قال عليه السلام : "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" وفي الخبر لطيفة وإن كانت ليست من التفسير ولكن الكلام يجر الكلام وهي أن النبي عليه السلام لم يجعل أصحابه كالسرج وجعلهم كالنجوم لأن النجم لا يؤخذ منه نور بل له في نفسه نور إذا غرب هو لا يبقى نور مستفاد منه/ وكذلك الصحابي إذا مات فالتابعي يستنير بنو النبي عليه السلام ولا يأخذ منه إلا قول النبي عليه السلام وفعله ، فأنوار المجتهدين كلهم من النبي عليه السلام ولم جعلهم كالسرج والنبي عليه السلام أيضاً سراج كان للمجتهد أن يستنير بمن أراد منهم ويأخذ النور ممن اختار ، وليس كذلك فإن مع نص النبي عليه السلام لا يعمل بقول الصحابي فيؤخذ من النبي النور ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله سراجاً وهذا يوجب ضعفاً في حديث سراج الأمة والمحدثون ذكروه وفي تفسير السراج وجه آخر وهو أن المراد منه القرآن وتقديره إنا أرسلناك ، وسراجاً منيراً عطفاً على محل الكاف أي وأرسلنا سراجاً منيراً وعلى قولنا إنه عطف على مبشراً ونذيراً يكون معناه وذا سراج لأن الحال لا يكون إلا وصفاً للفاعل أو المفعول ، والسراج ليس وصفاً لأن النبي عليه السلام لم يكن سراجاً حقيقة أو يكون كقول القائل رأيته أسداً أي شجاعاً فقوله سراجاً أي هادياً

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث، ص/٣٦٣٧

مبيناً كالسراج يرى الطريق ويبين الأمر.

جزء : ٢٥ رقم الصفحة : ١٧٥

١٧٦

/ وقوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عطف على مفهوم تقديره إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً فاشهد وبشر ولم يذكر فاشهد للاستغناء عنه ، وأما البشارة فإنها ذكرت إبانة للكرم ولأنها غير واجبة لولا الأمر. وقوله تعالى : ﴿بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلا كَبِيرًا﴾ هو مثل قوله : ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب : ٣٥) فالعظيم والكبير متقاربان وكونه من الله كبير فكيف إذا كان مع ذلك كبارة أخرى.

جزء : ٢٥ رقم الصفحة : ١٧٦

١٧٦

إشارة إلى الإنذار يعني خالفهم وورد عليهم وعلى هذا فقوله تعالى : ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾ أي دعه إلى الله فإنه يعذبهم بأيديكم وبالنار ، ويبين هذا قوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾ أي الله كاف عبده ، قال بعض المعتزلة لا يجوز تسمية الله بالوكيل لأن الوكيل أدون من الموكل وقوله تعالى : ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾ حجة عليه وشبهته واهية من حيث إن الوكيل قد يوكل للترفع وقد يوكل للعجز والله وكيل عباده لعجزهم عن التصرف ، وقوله تعالى : ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا﴾ يتبين إذا نظرت في الأمور التي لأجلها لا يكفى الوكيل الواحد منها أن لا يكون قوياً قادراً على العمل كالملك الكثير الأشغال يحتاج إلى وكلاء لعجز الواحد عن القيام بجميع أشغاله ، ومنها أن لا يكون عالماً بما فيه التوكيل ، ومنها أن لا يكون غنياً ، والله تعالى عالم قادر وغير محتاج فكيفي وكيلاً.

جزء : ٢٥ رقم الصفحة : ١٧٦

١٧٧

وجه تعلق الآية بما قبلها هو أن الله تعالى في هذه السورة ذكر مكارم الأخلاق وأدب نبيه على ما ذكرناه ، لكن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه المرسل فكلما ذكر للنبي مكرمة وعلمه أدباً ذكر للمؤمنين ما يناسبه ، فكما بدأ الله في تأديب النبي عليه الصلاة والسلام بذكر ما يتعلق بجانب الله بقوله : ﴿مُّنتَظِرُونَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ (الأحزاب : ١) وثنى بما يتعلق بجانب من تحت يده من أزواجه بقوله بعد : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾ (الأحزاب : ٢٨) وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا﴾ (الأحزاب : ٤٥) / كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال : ﴿عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب : ٤١) ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ ثم كما ثلث في تأديب النبي بجانب الأمة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بجانب نبيهم ، فقال بعد هذا : ﴿رَّقِيبًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ (الأحزاب :

٥٣) وبقوله : ﴿النَّبِيِّا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ (الأحزاب : ٥٦) وفي الآية مسائل :
". (١)

"الأول : أن المراد هو الصلاة قالوا : لأن التقييد بالبكرة والأصيل يدل على أن المراد من قوله : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ الصلوات. ثم قالوا : البكرة هي صلاة الصبح والأصيل صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَه ﴾ المغرب والعشاء ، فتكون هذه الكلمات جامعة الصلوات الخمس وقوله : ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلا طَوِيلا﴾ المراد منه التهجد ، ثم اختلفوا فيه فقال بعضهم : كان ذلك من الواجبات على الرسول عليه السلام ، ثم نسخ كما ذكرنا في سورة المزمل واحتجوا عليه بأن قوله : ﴿فَاسْجُدْ لَه وَسَبِّحْهُ﴾ أمر وهو للوجوب لا سيما إذا تكرر على سبيل المبالغة ، وقال آخرون : بل المراد التطوع وحكمه ثابت.

القول الثاني : أن المراد من قوله : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ إلى آخر الآية ليس هو الصلاة بل المراد التسبيح الذي هو القول والاعتقاد ، والمقصود أن يكون ذاكراً لله في جميع الأوقات ليلاً ونهاراً بقلبه ولسانه ، وهو المراد من قوله : ﴿عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْرًا كَثِيرًا** * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا﴾ (الأحزاب : ٤١).

واعلم أن في الآية لطيفة أخرى وهي أنه تعالى قال : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلا﴾ (الإنسان : ٢٣) أي / هديناك إلى هذه الأسرار ، وشرحنا صدرك بهذه الأنوار ، وإذ قد فعلنا بك ذلك فكن منقاداً مطيعاً لأمرنا ، وإياك وأن تكون منقاداً مطيعاً لغيرنا ، ثم لما أمره بطاعته ، ونهاه عن طاعة غيره قال : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وهذا إشارة إلى أن العقول البشرية ليس عندها إلا معرفة الأسماء والصفات ، أما معرفة الحقيقة فلا ، فتارة يقال له : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ وهو إشارة إلى معرفة الأسماء ، وتارة يقال له : ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ وهو إشارة إلى مقام الصفات ، وأما معرفة الحقيقة المخصوصة التي هي المستلزمة لسائر اللوازم السلبية والإضافية ، فلا سبيل لشيء من الممكنات والمحدثات ، إلى الوصول إليها والاطلاع عليها ، فسبحان من اختفى عن العقول لشدة ظهوره واحتجب عنها بكمال نوره.

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٧٦١

واعلم أنه تعالى لما خاطب رسوله بالتعظيم والنهي والأمر عدل إلى شرح أحوال الكفار والمتمردين ، فقال تعالى :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٧٦١

٧٦٢

والمراد أن الذي حمل هؤلاء الكفار على الكفر ، وترك الالتفات والإعراض عما ينفعهم في الآخرة ليس هو الشبهة حتى ينتفعوا بالدلائل المذكورة في أول هذه السورة ، بل الشهوة والمحبة لهذه اللذات العاجلة والراحات الدينية ، وفي الآية سؤالان :

السؤال الأول : لم قال : وراءهم ولم يقل : قدامهم ؟

الجواب : من وجوه أحدها : لما لم يلتفتوا إليه ، وأعرضوا عنه فكأنهم جعلوه وراء ظهورهم وثانيها : المراد ويذرون وراءهم

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٣٦٣٩

مصالح يوم ثقيل فأسقط المضاف وثالثها : أن تستعمل بمعنى قدام كقوله : ﴿مِّن وَرَآائِهِ جَهَنَّمُ﴾ (إبراهيم : ١٦) ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ (الكهف : ٧٩).

السؤال الثاني : ما السبب في وصف يوم القيامة بأنه يوم ثقيل ؟

الجواب : استعير الثقل لشدته وهوله ، من الشيء الثقيل الذي يتعب حامله ونحوه ﴿ثَقُلَتْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ ﴾ (الأعراف : ١٨٧).

ثم إنه تعالى لما ذكر أن الداعي لهم إلى هذا الكفر حب العاجل ، قال :

جزء : ٣٠ رقم الصفحة : ٧٦٢

٧٦٤

والمراد أن حبهم للعاجلة يوجب عليهم طاعة الله من حيث الرغبة ومن حيث الرهبة ، أما من حيث الرغبة فلأنه هو الذي خلقهم وأعطاهم الأعضاء السليمة التي بها يمكن الانتفاع باللذات العاجلة ، وخلق جميع ما يمكن الانتفاع به ، فإذا أحبوا اللذات العاجلة ، وتلك اللذات لا تحصل / إلا عند حصول المنتفع وحصول المنتفع به ، وهذان لا يحصلان إلا بتكوين الله وإيجاده ، فهذا مما يوجب عليهم الانقياد لله ولتكاليفه وترك التمرد والإعراض ، وأما من حيث الرهبة فلأنه قدر على أن يميتهم ، وعلى أن يسلب النعمة عنهم ، وعلى أن يلقيهم في كل محنة وبلية ، فلأجل من فوت هذه اللذات العاجلة يجب عليهم أن ينقادوا لله ، وأن يتركوا هذا التمرد ، وحاصل الكلام كأنه قيل لهم : هب أن حبكم لهذه اللذات العاجلة طريقة مستحسنة ، إلا أن ذلك يوجب عليكم الإيمان بالله والإنقياد له ، فلو أنكم توسلتم به إلى الكفر بالله ، والإعراض عن حكمه ، لكنتم قد تمردتم ، وهذا ترتيب حسن في السؤال والجواب ، وطريقة لطيفة : وفي الآية مسائل :

المسألة الأولى : قال أهل اللغة : الأسر الربط والتوثيق ، ومنه أسر الرجل إذا وثق بالقد وفرس مأسور الخلق وفرس مأسور بالعقب ، والمعنى شددنا توصيل أعضائهم بعضاً ببعض وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب.

". (١)

"خطايا الأذنين ، فيكون قوله : (من أطراف شعره) بفتح العين وسكونها نظرا إلى الأصل أو التغليب. (فإن) شرطية. (هو) أي الرجل ورافعه فعل مضمر يفسره. (قام) ولحذفه برز ضميره المستكن فيه ، أي فإن قام بعد فراغ الوضوء. (وأثنى عليه) أي ذكر الله ذكرا كثيرا وقيل فائدته الإعلام بأن لفظ الحمد غير متعين. (ومجده) أي عظمه بالقلب واللسان ، فهو تعميم بعد تعميم ، أو بعد تخصيص. وجعله ابن حجر لمزيد التأكيد والإطناب. (بالذي) أي بالتحميد الذي. (هو له أهل) أي مما يليق بعظمته وجلاله وكماله. وقدم الجار لإفادة الاختصاص والاهتمام قال ابن الملك : ضمير "هو" عائد إلى الموصول ، وضمير "له" إلى الله. (وفرغ قلبه) من التفريغ ، أي جعله حاضرا لله وغائبا عما سواه ، أي في صلاته وحالة مناجاته. (لله) أي لا لغيره. (إلا انصرف من خطيئته) قيل : "هو" في قوله فإن هو فاعل محذوف وعائد إلى الرجل المذكور وتقديره : إن قام الرجل المذكور ففعل كذا ، وكذا فليس إلا انصرف من خطيئته. وقيل : الأولى أن تكون إن فيه نافية.

---

(١) تفسير الرازي: دار إحياء التراث- ، ص/٤٦٢٠

وقال ابن حجر : وجواب "إن" فلا ينصرف خارجا من شيء من الأشياء إلا انصرف خارجا من خطيئته أي صغائره ، فيصير متطهرا منها. وقال الطيبي : فإن هو قام ، إن شرطية ، والضمير المرفوع بعدها فاعل فعل محذوف يفسره ما بعده ، وجواب الشرط محذوف ، وهو المستثنى منه ، أي لا ينصرف في شيء من الأشياء إلا من خطيئته. وجاز تقدير النفي لما مر من أن الكلام في سياق النفي. وهذا على مذهب الزمخشري. وأما مذهب ابن الحاجب فيجوز في الإثبات نحو قرأت إلا يوم الجمعة. (كهيئتة) أي كصفته. (يوم ولدته أمه) بفتح ميم يوم. وفي نسخة : كهيئة يوم بالإضافة مع تنوين يوم وفتحه على البناء قاله القاري. (رواه مسلم) وأخرجه أيضا أحمد (ج٤ : ص١١٢) والبيهقي. ولأبي داود وأحمد أيضا نحوه. وأخرجه النسائي." (١)

"عن شيوخنا. وقال النووي في شرح مسلم : بفتح الفاء وكسر الراء المشددة هكذا نقله القاضي عن متقنى شيوخهم وذكر غيره أنه روى بتخفيفها وإسكان الفاء. وقال في الأذكار : روي المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والمشهور الذي قاله الجمهور التشديد ، يقال فرد الرجل في رأيه وأفرد وفرد واستفرد كله بمعنى أي استقل به وتخلى بتدبيره. والمراد به الذين تفردوا بذكر الله تعالى وانفردوا واعتزلوا عن الناس للتعبد. وقيل : هم الذين هلك أترابهم من الناس وذهب القرن الذين كانوا فيه وانفردوا عنهم وبقوا بعدهم يذكرون الله تعالى ، وقال ابن الإعرابي : يقال فرد الرجل إذ اتفقه واعتزل الناس وخلا بمراعاة الأمر والنهي (قالوا) أي بعض الصحابة (وما المفردون) أي من هم "فما" بمعنى من كما في قوله تعالى : "والسماء وما بناها " [الشمس : ٥] والواو رابطة بين السؤال والجواب. وقيل : الواو للعطف على محذوف كأنهم قالوا : لا نعلم المفردين ونقول ما المفردون. وقيل : الواو زائدة للتحسين ، قال التوربشتي : فإن قيل لم قالوا ما المفردون ؟ ولم يقولوا من المفردون ؟ قلنا : لأنهم فتشوا عن معرفة معنى هذا اللفظ عند الإطلاق ما هو المراد منه لا تعيين المتصفين به وتعريف أشخاصهم يعني أن السؤال عن الصفة أي التفريد أو الإفراد فأجاب صلى الله عليه وسلم بأن التفريد الحقيقي المتعبد هو تفريد النفس بذكر الله تعالى. وقيل : الأظهر إن "ما" ههنا تغليب غير ذوي العقول لكثرتهم على ذوي العقول لقلتهم لما حرر في محله أن الأشياء كلها له حظ من الذكر والتسبيح ومعرفة الرب والخشية منه (الذاكرون الله كثيرا) أي **ذكرا كثيرا**. واختلف في تفسير الكثرة. فقال ابن عباس : كثرة الذكر يحصل بالذكر في أدبار الصلاة والغدو والعشي وفي المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا أو راح من منزله. وقال." (٢)

"" صفحة رقم ٣٧٨ "

كان له ابن بالغ لاق بمنصبه أن يكون نبيا كما قال (صلى الله عليه وسلم) في إبراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا ولا يقدح في نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل كان على دنيه مع أن المراد منه انه آخر من نبئ) وكان الله بكل شيء عليما (فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه

الأحزاب : (٤١) يا أيها الذين . . . . .

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٩٣٤/٣

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٧٦١/٧

) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (يغلب الاوقات ويعم الانواع بما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد

الأحزاب : (٤٢) وسبحوه بكرة وأصيلا

) وسبحوه بكرة وأصيلا (أول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كأفراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان أليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة

الأحزاب : (٤٣) هو الذي يصلي . . . . .

) هو الذي يصلي عليكم (بالرحمة) وملائكته (بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح أمركم وظهور شرفكم مستعار من الصلو وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليه سيما وهو السبب للرحمة من حيث إنهم مجابو الدعوة) ليخرجكم من الظلمات إلى النور (من ظلمات الكفر والمعصية إلى انوري الإيمان والطاعة) وكان بالمؤمنين رحيما (حيث اعتنى بصلاح أمرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين

الأحزاب : (٤٤) تحيتهم يوم يلقونه . . . . .

) تحيتهم (من إضافة المصدر إلى المفعول أو يحيون) يوم يلقونه (يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبور أو دخول الجنة) سلام (إخبار بالسلامة عن كل مكروه." (١)

"منهن خديجة وهي لم تجتمع معهن قال في المواهب فهؤلاء أزواجه اللاتي دخل بهن لا خلاف في ذلك بين أهل السير والعلم بالأثر خديجة وعائشة وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وسودة وزينب وميمونة وأم المساكين وجويرية وصفية اللهم إلا أن يقال بتغليب النساء على السراري والله تعالى أعلم

وجاء في خبر البخاري أنه قيل لأنس أو كان يطيقه فقال كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين رجلا وعند الإسماعيلي عن معاذ قوة أربعين زاد أبو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال أهل الجنة وفي الحديث قال الترمذي صحيح غريب إذ كل رجل من أهل الجنة يعطى قوة مائة رجل فيكون عليه الصلاة والسلام أعطي قوة أربعة آلاف رجل وبهذا يندفع ما استشكل من كونه عليه الصلاة والسلام أعطي قوة أربعين فقط وأعطي سليمان عليه السلام قوة مائة رجل أو ألف على ما ورد وحكمة تميزه عن الخلق في زيادة الوطء وقلة الأكل أن الله جمع له بين الفضيلتين في الأمور الإعتيادية كما جمع الله له بين الفضيلتين في الأمور الشرعية حتى يكون حاله كاملا في الدارين بل فيه خرق للعادة لأن من قل أكله قل جماعة غالبا ولعل هذه الحكمة في إباحة أربع من النساء ويدل على أنه كان في غاية من الصبر عن الجماع بالنسبة إلى ما أعطي من قوته ويحتمل أنه أعطي قوة أكل أربعين في الأكل أيضا لتلازمهما غالبا فيدل على نهاية صبره على الجوع أيضا وإنه كان يطعمه ربه ويسقيه بمعنى أنه يسليه حضوره مع الله وعدم شعوره عما سواه من الأكل والشرب وغيرهما والله تعالى أعلم وعن عائشة قالت كان النبي يذكر الله على كل أحيانه جمع حين بمعنى الوقت قال الأشرف الذكر نوعان قلبي ولساني والأول أعلاهما

---

(١) تفسير البيضاوي. ، ٣٧٨/٤

وهو المراد في الحديث وفي قوله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا الأحزاب وهو أن لا ينسى الله تعالى في كل حال وكان للنبي حظ وافر من هذين النوعين إلا في حالة الجنابة ودخول الخلاء فإنه يقتصر فيهما على النوع الذي لا أثر فيه للجنابة ولذلك إذا خرج من الخلاء قال." (١)

"الاذنين ولذا يمسحان بمائه عندنا فيكون قوله من أطراف شعره بفتح العين وسكونها نظرا إلى الأصل أو التغليب مع الماء ثم يغسل قدميه إلى الكعبين كما مر إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء فإن شرطية هو أي الرجل ورافعه فعل مضمر يفسره قام ولحذفه برز ضميره المستكن فيه أي فإن قام بعد فراغ الوضوء فصلى فحمد وفي نسخة وحمد أي شكر الله أي بعد الصلاة وأثنى عليه أي ذكر الله ذكرا كثيرا وقيل فائدته الاعلام بأن لفظ الحمد غير متعين ومجده أي عظمه بالقلب واللسان فهو تعميم بعد تخصيص وجعله ابن حجر لمزيد التأكيد والاطناب بالذي أي بالتحميد الذي هو له أهل أي مما يليق بعظمة جماله وجلالة جلاله وبهاء كماله وقدم الجار لإفادة الاختصاص والاهتمام قال ابن الملك ضمير هو عائد إلى الموصول وضمير له إلى الله وفرغ قلبه أي جعله حاضر الله وغائبا عما سواه أي في صلاته وحالة مناجاته لله أي لا لغيره حتى الثواب لأن ربط القصد به ينافي مقام الكمال المشار إليه بقوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا الكهف إلا انصرف قيل هو في لفظ في قوله فإن هو فاعل محذوف وعاد إلى الرجل المذكور تقديره إن قام الرجل المذكور ففعل كذا وكذا فليس إلا انصرف من خطيئته وقيل الأولى أن تكون أن فيه نافية وقال ابن حجر وجواب أن فلا ينصرف خارجا من شيء من الأشياء إلا انصرف خارجا من خطيئته أي صغائره فيصير متطهرا منها كهيئته أي كصفته يوم ولدته أمه بفتح الميم وفي نسخة كهيئة يوم بالإضافة مع تنوين يوم وفتحه على البناء وظاهره غفران الكبائر والصغائر إلا أن الصغائر محققة والكبائر بالمشيئة مقيدة قال الطيبي فإن هو قام أن شرطية والضمير المرفوع بعدها فاعل فعل يفسره ما بعده وجواب الشرط محذوف وهو المستثنى منه أي لا ينصرف في شيء من الأشياء إلا من خطيئته إلخ وجاز تقدير النفي لما مر من أن الكلام في سياق النفي وهذا على مذهب الزمخشري وأما." (٢)

" اعلمهم انه لا حرج على نبيه فى نيل ما فرض الله له واباحه من تزويجه لزينب بعد زيد ثم اعلم ان هذا ونحوه هو السنن الأقدم فى الأنبياء من ان ينالوا ما احله الله لهم وعبارة الواحدي ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له اي احل الله له من النساء سنة الله فى الذين خلوا من قبل يقول هذه سنة قد مضت لغيرك يعنى كثرة ازواج داود وسليمان عليهما السلام وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا الذين يبلغون رسالات الله من نعت قوله فى الذين خلو من قبل انتهى

وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الى قوله كريما اذهب الله بهذه الاية ما وقع فى نفوس المنافقين وغيرهم لانهم استعظموا ان تزوج زوجة ابنه فنفى القرءان تلك البنوة وقوله ابا احد من رجالكم يعنى المعاصرين له وباقى الاية بين ثم امر سبحانه عباده بان يذكروه ذكرا كثيرا وجعل تعالى ذلك دون حد ولا تقرير لسهولته على العبد ولعظم الاجر فيه قال

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢/٣٧٥

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٤/١٥٣

ابن عباس لم يعذر احد فى ترك ذكر الله عز و جل الا من غلب على عقله وقال الذكر الكثير ان لا تنساه ابدا وروى ابو سعيد عن النبى صلى الله عليه و سلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون ت وهذا الحديث خرجه ابن حبان فى صحيحه

وقوله وسبحوه بكرة واصيلا اراد فى كل الأوقات فحدد الزمن بطر فى نهاره وليله والاصيل من العصر الى الليل وعن ابن ابى اوفى قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والأظلة لذكر الله رواه الحاكم فى المستدرك انتهى من السلاح

وقوله سبحانه هو الذى يصلى عليكم وملائكته الاية صلاة الله على العبد هى رحمته له وصلاة الملائكة هى دعاؤهم للمؤمنين ثم اخبر تعالى برحمته بالمؤمنين تانيسا لهم

وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام قيل يوم القيامة تحي الملائكة المؤمنين بالسلام ومعناه السلامة من كل مكروه وقال قتادة يوم دخولهم الجنة ." (١)

"﴿ وما كان لمؤمن ﴾ زيد ﴿ ولا مؤمنة ﴾ زينب ﴿ إذا قضى الله ورسوله أمرا ﴾ تزويجا بينهما ﴿ أن يكون لهم الخيرة ﴾ الاختيار ﴿ من أمرهم ﴾ خلاف ما اختار الله ورسوله لهما ﴿ ومن يعص الله ورسوله ﴾ فيما أمره ﴿ فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ قد أخطأ خطأ بينا عن أمر الله ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ﴾ بالإسلام يعني زيدا ﴿ وأنعمت عليه ﴾ بالعتق ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ ولا تطلقها ﴿ واتق الله ﴾ واخش الله ولا تخل سبيلها ﴿ وتخفي في نفسك ﴾ تسر في نفسك حبها وتزويجها ﴿ ما الله مبديه ﴾ مظهره في القرآن ﴿ وتخشى الناس ﴾ تستحي من الناس من ذلك ﴿ والله أحق أن تخشاه ﴾ أن تستحي منه ﴿ فلما قضى زيد منها وطرا ﴾ حاجة يقول إذا خرجت من عدتها من زيد ﴿ زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين ﴾ بعدك ﴿ حرج ﴾ مأثم ﴿ في أزواج أدعيآئهم ﴾ في تزويج نساء من تبنوهم ﴿ إذا قضوا منهن وطرا ﴾ حاجة إذا خرجن من عدتهن بعد موتهم أو طلاقهن ﴿ وكان أمر الله ﴾ تزويج زينب محمدا A ﴿ مفعولا ﴾ كائنا ويقال كان أمر الله قضاء الله مفعولا كائنا ﴿ ما كان على النبي من حرج ﴾ من مأثم وضيق ﴿ فيما فرض الله ﴾ فيما رخص الله ﴿ له ﴾ من التزويج ﴿ سنة الله ﴾ هكذا كان قضاء الله ﴿ في الذين خلوا ﴾ مضوا ﴿ من قبل ﴾ من قبل محمد A يعني داود في تزويج امرأة أوريا ويقال سليمان في تزويج بلقيس ﴿ وكان أمر الله قدرا مقدورا ﴾ كان قضاء الله كائنا ﴿ الذين ﴾ في تزويج الذين ﴿ يبلغون رسالات الله ﴾ يعني داود وسليمان ومحمد A ﴿ ويخشونه ﴾ يخافون الله في تبليغ الرسالة ﴿ ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ﴾ شهيدا ﴿ ما كان محمد أبآ أحد من رجالكم ﴾ يعني زيدا ﴿ ولكن رسول الله ﴾ ولكن كان محمد رسول الله ﴿ وخاتم النبيين ﴾ ختم الله به النبيين قبله فلا يكون نبي بعده ﴿ وكان الله بكل شيء ﴾ من قولكم وفعلكم ﴿ عليما يأيها الذين آمنوا ﴾ بمحمد A والقرآن ﴿ اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ باللسان والقلب عند المعصية والطاعة .." (٢)

---

(١) تفسير الثعالبي، ٣/٢٣١

(٢) تنوير المقباس، ١/٤٤١

في أمر الإقدام عليهم أو الإحجام عنهم وقيل معنى التنازع في الأمر الاختلاف الذي تكون معه مخاصمة ومجادلة كل واحد إلى واحد إلى ناحية والمعنى : لاضطرب أمركم واختلفت كلمتكم) ولكن الله سلم (يعني : ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم.

وقيل : معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل) إنه عليم بذات الصدور (يعني أنه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة والجبن والصبر والجزع.

وقال ابن عباس : أنه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل : (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا (يعني أن الله سحبانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد في اليفظة ما رآه النبي (صلى الله عليه وسلم) في منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود : لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين قال : أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال : كنا ألفا.

ويقللكم في أعينهم يعني ويقللكم يا معشر المؤمنين في أعين المشركين.

قال السدي : قال ناس من المشركين إن العير قد انصرف فارجعوا فقال أبو جهل الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم إنما محمد وأصحابه أكلة جزور يعني لقلتهم في عينيه ثم قال : فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة التي في نفسه والحكمة في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي (صلى الله عليه وسلم) ولتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جراءتهم عليهم ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يهربوا وإذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم.

فإن قلت : كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل ؟

قلت : ذلك ممكن في القدرة الإلهية فإن الله سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي (صلى الله عليه وسلم) والمعجزة من خوارق العادات فلا ينكر ذلك) ليقضي الله أمرا كان مفعولا (يعني أمرا كان كائنا من إعلاء كلمة الإسلام ونصر أهله وإذلال كلمة الشرك وخذلان أهله فإن قلت : قد قال في الآية المتقدمة ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا وقال في هذه الآية ليقضي الله أمرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار ؟

قلت : المقصود من ذكره في الآية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والمقصود من ذكره في هذه الآية لأنه تعالى قلل عدد الفريقين في أعين بعضهم بعضا للحكمة التي قضاها فلذلك قال ليقضي الله أمرا كان مفعولا) وإلى الله ترجع الأمور (يعني في الآخرة فيجازى كل عامل على قدر عمله فالمحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أو يغفر.

)

الأنفال : (٤٥ - ٤٦) يا أيها الذين...

" يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين " (قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة (يعني جماعة كافرة) فاثبتوا (يعني

لقتالهم وهو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتوالي) واذكروا الله كثيرا (يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم **ذكرا كثيرا** بقلوبكم وألسنتكم أمر الله عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين بأن يذكروه في أشد الأحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله ، وفيه تنبيه على أن الإنسان لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله.

وقيل : المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو عند اللقاء ثم قال." [١]

" صفحة رقم ٢٦٤

الله (صلى الله عليه وسلم) ، لزيد : اذهب فاذكرها على قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسل رسول الله يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فدخل عليها بغير إذن قال : فلقد رأيتنا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس ، وبقي أناس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال : فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أم غيري قال فانطلق حتى دخل البيت ، وذهبت لأدخل معه فألقى الستر بيني وبينهم ونزل الحجاب

(ق) عن أنس قال ما أولم النبي (صلى الله عليه وسلم) على شيء من نسائه ، ما أولم على زينب أولم بشاة وفي رواية أكثر وأفضل ، ما أولم على زينب قال ثابت : بم أولم قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه.

قوله عز وجل) لكيلا يكون على المؤمنين حرج (أي إثم) في إزواج أدعيائهم (جمع الدعي وهو المتبني) إذا قضوا منهن وطرا (يقول : يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي كنت تبنيته ، ليعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبني وإن كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب) وكان أمر الله مفعولا (أي قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه سلم.

(

الأحزاب : (٣٨ - ٤٤) ما كان على...

" ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما " (قوله تعالى : (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له (أي فيما أحل الله له من النكاح ، وغيره) سنة الله في الذين خلوا من قبل (معناه سن الله سنة في الأنبياء ، وهو أن لا حرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح ،

---

(١) تفسير الخازن . ، ٣٨/٣

وغيره فإنه كان لهم الحرائر والسراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ، ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك سن لمحمد (صلى الله عليه وسلم) التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم) وكان أمر الله قدرا مقدورا (يعني قضاء مقضيا أن لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أثنى الله على الأنبياء بقوله) الذين يبلغون رسالات الله (يعني فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم) ويخشونه (يعني يخافونه) ولا يخشون أحدا إلا الله (يعني لا يخافون قالت : الناس ولائمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم) وكفى بالله حسيبا (أي حافظا لأعمال خلقه ومحاسبهم.

قوله عز وجل) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما تزوج زينب قال : الناس." (١)

" صفحة رقم ٢٦٥

إن محمدا تزوج امرأة ابنه فأنزل الله) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (يعني زيد بن حارثة والمعنى أنه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة ، حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح.

فإن قلت : قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وقال الحسن : : إن ابني هذا سيد.

قلت : قد أخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل : أراد بالرجال الذي لم يلدهم) ولكن رسول الله (أي إن كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه) وخاتم النبيين (ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن عباس : يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا ويكون بعده نبيا وعنه قال : إن الله لما حكم أن لا نبي بعده ، لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا) وكان الله بكل شيء عليما (أي دخل في علمه أنه لا نبي بعده.

فإن قلت : قد صح أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبي قلت إن عيسى عليه السلام ممن نبيء قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد (صلى الله عليه وسلم) ومصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته

(ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الأنبياء

(ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله الكفر بي وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي) وقد سماه الله رؤوفا رحيما (م) عن أبي موسى قال : كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يسمي ، لنا نفسه أسماء فقال (أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي وأنا الماحي ونبي التوبة ونبي الرحمة) المقفي هو المولى الذاهب ، يعني آخر الأنبياء المتبع لهم فإذا قفي فلا نبي بعده.

قوله تعالى) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (قال ابن عباس : لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل

---

(١) تفسير الخازن . ، ٥/٢٦٤

لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر ، فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله ، وأمرهم به في الأحوال كلها فقال تعالى) فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم (" وقال تعالى) اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية ، وقيل الذكر." [١]

"متعلقة بمعرفة المبدأ وهي معرفة الربوبية ثم ذكر بعدها ما يتعلق بمعرفة العبودية وهو مبني على أمرين أحدهما المبدأ والثاني الكمال فالمبدأ هو قوله تعالى وقالوا سمعنا وأطعنا البقرة ٢٨٥ لأن هذا المعنى لا بد منه لمن يريد الذهاب إلى الله وأما الكمال فهو التوكل على الله والالتجاء بالكلية إليه وهو قوله غفرانك ربنا البقرة ٢٨٥ وهو قطع النظر عن الأعمال البشرية والطاعات الإنسانية والالتجاء بالكلية إلى الله تعالى وطلب الرحمة منه وطلب المغفرة ثم إذا تمت معرفة الربوبية بسبب معرفة الأصول الأربعة المذكورة وتمت معرفة العبودية بسبب معرفة هذين الأصلين المذكورين لم يبق بعد ذلك إلا الذهاب إلى حضرة الملك الوهاب والاستعداد للذهاب إلى المعاد وهو المراد من قوله وإليك المصير البقرة ٢٨٥ ويظهر من هذا أن المراتب ثلاثة المبدأ والوسط والمعاد أما المبدأ فإنما يكمل معرفته بمعرفة أمور أربعة وهي معرفة الله والملائكة والكتب والرسل وأما الوسط فإنما يكمل معرفته بمعرفة أمرين سمعنا وأطعنا نصيب عالم الأجساد وغفرانك ربنا نصيب عالم الأرواح وأما النهاية فهي إنما تتم بأمر واحد وهو قوله وإليك المصير فابتداء الأمر أربعة وفي الوسط صار اثنين وفي النهاية صار واحدا ولما ثبتت هذه المراتب السبع في المعرفة تفرع عنها سبع مراتب في الدعاء والتضرع فأولها قوله ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا البقرة ٢٨٦ وضد النسيان هو الذكر كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** الأحزاب ٤١ وقوله واذكر ربك إذا نسيت الكهف ٢٤ وقوله تذكروا فإذا هم مبصرون الأعراف ٢٠١ وقوله واذكر اسم ربك المزمل ٨ وهذا الذكر إنما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم وثانيها قوله ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا البقرة ٢٨٦ ودفع الإصر – والإصر هو الثقل – يوجب الحمد وذلك إنما يحصل بقوله الحمد لله رب العالمين وثالثها قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به البقرة ٢٨٦ وذلك إشارة إلى كمال رحمته وذلك هو قوله الرحمن الرحيم ورابعها قوله واعف عنا البقرة ٢٨٦ لأنك أنت المالك للقضاء والحكومة في يوم الدين وهو قوله مالك يوم الدين وخامسها قوله تعالى واغفر لنا البقرة ٢٨٦ لأنا في الدنيا عبدناك واستعنا بك في كل المهمات وهو قوله إياك نعبد وإياك نستعين وسادسها قوله وارحمنا البقرة ٢٨٦ لأنا طلبنا الهداية منك في قولنا اهدنا الصراط المستقيم وسابعها قوله أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين البقرة ٢٨٦ وهو المراد من قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين فهذه المراتب السبع المذكورة في آخر سورة البقرة ذكرها محمد عليه الصلاة والسلام في عالم الروحانيات عند صعوده إلى المعراج فلما نزل من المعراج فاض أثر المصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها في صلاته صعدت هذه الأنوار من المظهر إلى المصدر كما نزلت هذه الأنوار في." [٢]

"وقد دللنا على أن هذه الصلاة أفضل من الصلاة المؤداة بقراءة غير الفاتحة ولا يلزم من الخروج عن العهدة بالعمل الكامل الخروج عن العهدة بالعمل الناقص فعند إقامة الصلاة المشتملة على قراءة غير الفاتحة وجب البقاء في العهدة

---

(١) تفسير الخازن. ، ٢٦٥/٥

(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب. ، ٢١٣/١

وتاسعها أن المقصود من الصلاة حصول ذكر القلب لقوله تعالى وأقم الصلاة لذكري طه ١٤ وهذه السورة مع كونها مختصرة جامعة لمقامات الربوبية والعبودية والمقصود من جميع التكاليف حصول هذه المعارف ولهذا السبب جعل الله هذه السورة معادلة لكل القرآن في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم الحجر ٨٧ فوجب أن لا يقوم غيرها مقامها البتة وعاشرها أن هذا الخبر الذي رويناه يدل على أن عند فقدان الفاتحة لا تحصل الصلاة الفائدة الثالثة أنه قال

إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله تعالى ذكرني عبدي وفيه أحكام أحدها أنه تعالى قال فاذكروني أذكركم البقرة ١٥٢ فههنا لما أقدم العبد على ذكر الله لا جرم ذكره تعالى في ملأ خير من ملئه وثانيها أن هذا يدل على أن مقام الذكر مقام عال شريف في العبودية لأنه وقع الابتداء به ومما يدل على كماله أنه تعالى أمر بالذكر فقال اذكروني أذكركم البقرة ١٥٢ ثم قال يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** الأحزاب ٤١ ثم قال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم آل عمران ١٩١ ثم قال إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون الأعراف ٢٠١ فلم يبالغ في تقرير شيء من مقامات العبودية مثل ما بالغ في تقرير مقام الذكر وثالثها أن قوله ذكرني عبدي يدل على أن قولنا الله اسم علم لذاته المخصوصة إذ لو كان اسما مشتقا لكان مفهومه مفهوما كليا ولو كان كذلك لما صارت ذاته المخصوصة المعينة مذكورة بهذا اللفظ فظاهر أن لفظي الرحمن الرحيم لفظان كليان فثبت أن قوله ذكرني عبدي يدل على أن قولنا الله اسم علم أما قوله

وإذا قال الحمد لله يقول الله تعالى حمدني عبدي فهذا يدل على أن مقام الحمد أعلى من مقام الذكر ويدل عليه أن أول كلام ذكر في أول خلق العالم هو الحمد بدليل قول الملائكة قبل خلق آدم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك البقرة ٣٠ وآخر كلام يذكر بعد فناء العالم هو الحمد أيضا بدليل قوله تعالى في صفة أهل الجنة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين يونس ١٠ والعقل أيضا يدل عليه لأن الفكر في ذات الله غير ممكن لقوله عليه الصلاة والسلام

تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق ولأن الفكر في الشيء مسبوق بسبق تصوره وتصور كنه حقيقة الحق غير ممكن فالفكر فيه غير ممكن فعلى هذا الفكر لا يمكن إلا في أفعاله ومخلوقاته ثم ثبت بالدليل أن الخير مطلوب بالذات والشر بالعرض فكل من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله وإحسانه أكثر فلا جرم كان اشتغاله بالحمد والشكر أكثر فلهذا قال الحمد لله رب العالمين وعند هذا يقول حمدني عبدي فشهد الحق سبحانه بوقوف العبد بعقله وفكره على وجود فضله وإحسانه في ترتيب العالم الأعلى والعالم الأسفل وعلى أن لسانه صار موافقا لعقله ومطابقا له وإن غرق في بحر الإيمان به والإقرار بكرمه بقلبه ولسانه وعقله وبيانه فما أجل هذه الحالة وأما قوله

وإذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمني عبدي فلقائل أن يقول إنه لما قال بسم الله الرحمن الرحيم فقد ذكر الرحمن الرحيم وهناك لم يقل الله عظمني عبدي وههنا لما قال الرحمن الرحيم." (١)

"العبودية ورابعها قال ابن الأنباري معنى قوله واذكروه كما هداكم يعني اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته وخامسها يحتمل أن يكون المراد من الذكر مواصلة الذكر كأنه قيل لهم اذكروا الله واذكروه أي اذكروه ذكرا بعد ذكر كما هداكم هداية

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ٢١٨/١

بعد هداية ويرجع حاصله إلى قوله عليما يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (الأحزاب ٤١) وسادسها أنه تعالى أمر بالذكر عند المشعر الحرام وذلك إشارة إلى القيام بوظائف الشريعة ثم قال بعده واذكروه كما هداكم والمعنى أن توقيف الذكر على المشعر الحرام فيه إقامة لوظائف الشريعة فإذا عرفت هذا قربت إلى مراتب الحقيقة وهو أن ينقطع قلبك عن المشعر الحرام بل عن من سواه فيصير مستغرقا في نور جلاله وصمديته ويذكره لأنه هو الذي يستحق لهذا الذكر ولأن هذا الذكر يعطيك نسبة شريفة إليه بكونك في هذه الحالة تكون في مقام العروج ذاكرا له ومشتغلا بالثناء عليه وإنما بدأ بالأول وثنى بالثاني لأن العبد في هذه الحالة يكون في مقام العروج فيصعد من الأدنى إلى الأعلى وهذا مقام شريف لا يشرحه المقال ولا يعبر عنه الخيال ومن أراد أن يصل إليه فليكن من الواصلين إلى العين دون السامعين للأثر ورابعها أن يكون المراد بالأول هو ذكر أسماء الله تعالى وصفاته الحسنى والمراد بالذكر الثاني الاشتغال بشكر نعمائه والشكر مشتمل أيضا على الذكر فصح أن يسمي الشكر ذكرا والدليل على أن الذكر الثاني هو الشكر أنه علقه بالهداية فقال كما هداكم والذكر المرتب على النعمة ليس إلا الشكر وثامنها أنه تعالى لما قال فاذكروا الله عند المشعر الحرام جاز أن يظن أن الذكر مختص بهذه البقعة وبهذه العبادة يعني الحج فأزال الله تعالى هذه الشبهة فقال واذكروه كما هداكم يعني اذكروه على كل حال وفي كل مكان لأن هذا الذكر إنما وجب شكرا على هدايته فلما كانت نعمة الهداية متواصلة غير منقطعة فكذلك الشكر يجب أن يكون مستمرا غير منقطع وتاسعها أن قوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام المراد منه الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك ثم قوله واذكروه كما هداكم والمراد منه التهليل والتسبيح

السؤال الثاني ما المراد من الهداية في قوله كما هداكم

الجواب منهم من قال إنها خاصة والمراد منه كما هداكم بأن ردكم في مناسك حجكم إلى سنة إبراهيم عليه السلام ومنهم من قال لا بل هي عامة متناولة لكل أنواع الهداية في معرفة الله تعالى ومعرفة ملائكته وكتبه ورسله وشرائعه

السؤال الثالث الضمير في قوله من قبله إلى ماذا يعود

الجواب يحتمل أن يكون راجعا إلى الهدى والتقدير وإن كنتم من قبل أن هداكم من الضالين وقال بعضهم إنه راجع إلى القرآن والتقدير واذكروه كما هداكم بكتابه الذي بين لكم معالم دينه وإن كنتم من قبل إنزاله ذلك عليكم من الضالين

أما قوله تعالى وإن كنتم من قبله لمن الضالين فقال القفال رحمة الله عليه فيه وجهان أحدهما وما كنتم من قبله إلا الضالين والثاني قد كنتم من قبله من الضالين وهو كقوله إن كل نفس لما عليها حافظ (الطارق ٤) وقوله وإن نظنك لمن الكاذبين (الشعراء ١٨٦)." (١)

"العصر من يوم النحر فتكون التكبيرات بعد ثمان صلوات وهو قول علقمة والأسود والنخعي وأبي حنيفة

والقول الرابع أنه يبتدأ بها من صلاة الفجر يوم عرفة وينقطع بعد صلاة العصر من يوم النحر من آخر أيام التشريق فتكون التكبيرات بعد ثلاث وعشرين صلاة وهو قول أكابر الصحابة كعلي وعمر وابن مسعود وابن عباس ومن الفقهاء قول الثوري وأبي يوسف ومحمد وأحمد وإسحاق والمزني وابن شريح وعليه عمل الناس بالبلدان ويدل عليه وجوه الأول ما روى

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ١٥٣/٥

جابر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) صلى الصبح يوم عرفة ثم أقبل علينا فقال الله أكبر ومد التكبير إلى العصر من آخر أيام التشريق والثاني أن الذي قاله أبو حنيفة أخذ بالأقل وهذا القول أخذ بالأكثر والتكثير في التكبير أولى لقوله تعالى اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (الأحزاب ٤١) الثالث أن هذا هو الأحوط لأنه لو زاد في التكبيرات فهو خير من أن ينقص منها والرابع أن هذه التكبيرات تنسب إلى أيام التشريق فوجب أن يؤتى بها إلى آخر أيام التشريق

فإن قيل هذه التكبيرات مضافة إلى الأيام المعدودات وهي أيام التشريق فوجب أن لا تكون مشروعة يوم عرفة

قلنا فهذا يقتضي أن لا يكبر يوم النحر وهو باطل بالإجماع وأيضا لما كان الأغلب في هذه المدة أيام التشريق صح أن يضاف التكبير إليها

الموضع الثاني قال الشافعي رضي الله عنه المستحب في التكبيرات أن تكون ثلاثا نسقا أي متتابعا وهو قول مالك وقال أبو حنيفة وأحمد يكبر مرتين حجة الشافعي ما روى عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم قال رأيت الأئمة يكبرون في أيام التشريق بعد الصلاة ثلاثا ولأنه زيادة في التكبير فكان أولى لقوله تعالى اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ثم قال الشافعي رضي الله عنه ويقول بعد الثلاث (لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد) ثم قال وما زاد من ذكر الله فهو حسن وقال في التلبية وأحب أن لا يزيد على تلبية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والفرق أن من سنة التلبية التكرار فتكرارها أولى من ضم الزيادة إليها وههنا يكبر مرة واحدة فتكون الزيادة أولى من السكوت وأما التكبير على الجمار فقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يكبر مع كل حصاة فينبغي أن يفعل ذلك

أما قوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ففيه سؤالات

السؤال الأول لم قال فمن تعجل ولم يقل فمن عجل

الجواب قال صاحب (الكشاف) تعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الأمر واستعجل ومتعدين يقال تعجل الذهاب واستعجله

السؤال الثاني قوله ومن تأخر فلا إثم عليه فيه إشكال وذلك لأنه إذا كان قد استوفى كل ما يلزمه في تمام الحج فما معنى قوله فلا إثم عليه فإن هذا اللفظ إنما يقال في حق المقصر ولا يقال في حق من أتى بتمام العمل

والجواب من وجوه أحدها أنه تعالى لما أذن في التعجل على سبيل الرخصة احتمل أن يخطر ببال قوم أن من لم يجر على موجب هذه الرخصة فإنه يأثم ألا ترى أن أبا حنيفة رضي الله عنه يقول القصر." (١)

"واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من ءايات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا

ثم قال تعالى واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من ءايات الله والحكمة أي القرآن والحكمة أي كلمات النبي عليه السلام إشارة إلى ما ذكرنا من أن التكاليف غير منحصرة في الصلاة والزكاة وما ذكر الله في هذه الآية فقال واذكرن ما يتلى ليعلمن الواجبات كلها فيأتين بها والمحرمات بأسرها فينتهين عنها

(وقوله) إن الله كان لطيفا خبيرا إشارة إلى أنه خبير بالبواطن لطيف فعلمه يصل إلى كل شيء ومنه اللطيف الذي يدخل

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب ، ٥/١٦٥

في المسام الضيقة ويخرج من المسالك المسدودة

إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما

ثم قال تعالى إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات لما أمرهن ونهاهن وبين ما يكون لهن وذكر لهن عشر مراتب الأولى الإسلام والانقياد لأمر الله والثانية الإيمان بما يرد به أمر الله فإن المكلف أولا يقول كل ما يقوله أقبله فهذا إسلام فإذا قال الله شيئا وقبله صدق مقالته وصحح اعتقاده فهو إيمان ثم اعتقاده يدعوه إلى الفعل الحسن والعمل الصالح فيقنت ويعبد وهو المرتبة الثالثة المذكورة بقوله والقانتين والقانتات ثم إذا آمن وعمل صالحا كمل فيكمل غيره ويأمر بالمعروف وينصح أخاه فيصدق في كلامه عند النصيحة وهو المراد بقوله والصادقين والصادقات ثم إن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه كما قال تعالى والصابرين والصابرات ثم إنه إذا كمل وكمل قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله والخاشعين والخاشعات أو نقول لما ذكر هذه الحسنات أشار إلى ما يمنع منها وهو إما حب الجاه أو حب المال من الأمور الخارجية أو الشهوة من الأمور الداخلة والغضب منهما يكون لأنه يكون بسبب نقص جاه أو فوت مال أو منع من أمر مشتى فقوله والخاشعين والخاشعات أي المتواضعين الذين لا يميلهم الجاه عن العبادة ثم قال تعالى والمتصدقين والمتصدقات أي الباذلين الأموال الذين لا يكنزونها لشدة محبتهم إياها ثم قال تعالى والصائمين والصائمات إشارة إلى الذين لا تمنعهم الشهوة البطنية من عبادة الله ثم قال تعالى والحافظين فروجهم والحافظات أي الذين لا تمنعهم الشهوة الفرجية ثم قال تعالى والذكرين الله كثيرا والذكرات يعني هم في جميع هذه الأحوال يذكرون الله ويكون إسلامهم وإيمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم بنية صادقة لله واعلم أن الله تعالى في أكثر المواضع حيث ذكر الذكر قرنه بالكثرة ههنا وفي قوله بعد هذا عليما يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (الأحزاب ٤١) وقال من قبل لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا (الأحزاب ٢١) لأن الإكثار من الأفعال البدنية غير ممكن أو عسر فإن الإنسان أكله وشربه وتحصيل مأكوله ومسروبه يمنعه من أن يشتغل دائما بالصلاة ولكن لا مانع له من أن يذكر الله تعالى وهو آكل ويذكره وهو شارب أو ماش أو بائع أو شار وإلى هذا أشار بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم (آل عمران ١٩١) ولأن جميع الأعمال بذكر الله تعالى وهي النية

ثم قال تعالى أعد الله لهم مغفرة تمحو ذنوبهم وقوله وأجرا عظيما ذكرناه فيما تقدم

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا

قيل بأن الآية نزلت في زينب حيث أراد النبي (صلى الله عليه وسلم) تزويجها من زيد بن حارثة فكرهت إلا النبي عليه." (١)

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ١٨٢/٢٥

"ما كان محمد أبآ أحد من رجالكم ولاكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شى ء عليما

لما بين الله ما في تزوج النبي عليه السلام بزينب من الفوائد بين أنه كان خاليا من وجوه المفاسد وذلك لأن ما كان يتوهم من المفسدة كان منحصرا في التزوج بزوجة الابن فإنه غير جائز فقال الله تعالى إن زيدا لم يكن ابنا له لا بل أحد الرجال لم يكن ابن محمد فإن قائل النبي كان أبا أحد من الرجال لأن الرجل اسم الذكر من أولاد آدم قال تعالى وإن كانوا إخوة رجالا ونساء (النساء ١٧٦) والصبي داخل فيه فنقول الجواب عنه من وجهين أحدهما أن الرجل في الاستعمال يدخل في مفهومه الكبر والبلوغ ولم يكن للنبي عليه السلام ابن كبير يقال إنه رجل والثاني هو أنه تعالى قال من رجالكم ووقت الخطاب لم يكن له ولد ذكر ثم إنه تعالى لما نفى كونه أبا عقبه بما يدل على ثبوت ما هو في حكم الأبوة من بعض الوجوه فقال ولاكن رسول الله فإن رسول الله كالأب للأمة في الشفقة من جانبه وفي التعظيم من طرفهم بل أقوى فإن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم والأب ليس كذلك ثم بين ما يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم من جهتهم بقوله وخاتم النبيين وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد وقوله وكان الله بكل شى ء عليما يعني علمه بكل شيء دخل فيه أن لا نبي بعده فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد (صلى الله عليه وسلم) بتزوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع وذلك من حيث إن قول النبي (صلى الله عليه وسلم) يفيد شرعا لكن إذا امتنع هو عنه يبقى في بعض النفوس نفرة ألا ترى أنه ذكر بقوله ما فهم منه حل أكل الضب ثم لما لم يأكله بقي في النفوس شيء ولما أكل لحم الجمل طاب أكله مع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب

يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا

وجه تعلق الآية بما قبلها هو أن السورة أصلها ومبناها على تأديب النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد ذكرنا أن الله تعالى بدأ بذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي عليه السلام مع الله وهو التقوى وذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي عليه السلام مع أهله وأقاربه بقوله قديرا يأيها النبى قل لازواجك (الأحزاب ٢٨) والله تعالى يأمر عباده المؤمنين بما يأمر به أنبياءه المرسلين فأرشد عباده كما أدب نبيه وبدأ بما يتعلق بجانبه من التعظيم فقال عليما يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا كما قال لنبيه منتظرون يأيها النبى اتق الله (الأحزاب ١)

ثم ههنا لطيفة وهي أن المؤمن قد ينسى ذكر الله فأمر بدوام الذكر أما النبي لكونه من المقربين لا ينسى ولكن قد يغتر المقرب من الملك بقربه منه فيقل خوفه فقال اتق الله فإن المخلص على خطر عظيم وحسنة الأولياء سيئة الأنبياء وقوله ذكرا كثيرا قد ذكرنا أن الله في كثير من المواضع لما ذكر وصفه بالكثرة إذ لا مانع من الذكر على ما بينا." (١)

"ذكرناه لكن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه المرسل فكلما ذكر للنبي مكرمة وعلمه أدبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه فكما بدأ الله في تأديب النبي عليه الصلاة والسلام بذكر ما يتعلق بجانب الله بقوله منتظرون يأيها النبى اتق الله (الأحزاب ١) وثنى بما يتعلق بجانب من تحت يده من أزواجه بقوله بعد قديرا يأيها النبى قل لازواجك (الأحزاب ٢٨

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ١٨٥/٢٥

) وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله كريما يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا (الأحزاب ٤٥) كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال عليما يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (الأحزاب ٤١) ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله وكيلا يأيها الذين ءامنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم كما ثلث في تأديب النبي بجانب الأمة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بجانب نبيهم فقال بعد هذا رقيبا يأيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوت النبى (الأحزاب ٥٣) وبقوله النبى يأيها الذين ءامنوا صلوا عليه (الأحزاب ٥٦) وفي الآية مسائل

المسألة الأولى إذا كان الأمر على ما ذكرت من أن هذا إرشاد إلى ما يتعلق بجانب من هو من خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس بالذكر فنقول هذا إرشاد إلى أعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها وبيانه هو أن المرأة إذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تأكد العهد ولهذا قال الله تعالى في حق الممسوسة وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا (النساء ٢١) وإذا أمر الله بالتمتع والإحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة إليها بالإفضاء أو حصل تأكدها بحصول الولد بينهما والقرآن في الحجم صغير ولكن لو استنبطت معانيه لا تفى بها الأقلام ولا تكفي لها الأوراق وهذا مثل قوله تعالى فلا تقل لهما أف (الإسراء ٢٣) لو قال لا تضربهما أو لا تشتمهما ظن أنه حرام لمعنى مختص بالضرب أو الشتم أما إذا قال لا تقل لهما أف علم منه معان كثيرة وكذلك ههنا لما أمر بالإحسان مع من لا مودة معها علم منه الإحسان مع الممسوسة ومن لم تطلق بعد ومن ولدت عنده منه

وقوله إذا نكحتم المؤمنات التخصيص بالذكر إرشاد إلى أن المؤمن ينبغي أن ينكح المؤمنة فإنها أشد تحصينا لدينه وقوله ثم طلقتموهن يمكن التمسك به في أن تعليق الطلاق بالنكاح لا يصح لأن التطليق حينئذ لا يكون إلا بعد النكاح والله تعالى ذكره بكلمة ثم وهي للتراخي وقوله فما لكم عليهن من عدة بين أن العدة حق الزوج فيها غالب وإن كان لا يسقط بإسقاطه لما فيه من حق الله تعالى وقوله تعتدونها أي تستوفون أنتم عددها فمتعوهن قيل بأنه مختص بالمفوضة التي لم يسم لها إذا طلقت قبل المسيس وجب لها المتعة وقيل بأنه عام وعلى هذا فهو أمر وجوب أو أمر ندب اختلف العلماء فيه فمنهم من قال للوجوب فيجب مع نصف المهر المتعة أيضا ومنهم من قال للاستحباب فيستحب أن يمتعها مع الصداق بشيء وقوله تعالى وسرحوهن سراحا جميلا الجمال في التسريح أن لا يطالبها بما آتاها." (١)

"والكفور مطلقان غير مختصين بشخص معين وهذا هو الأقرب إلى الظاهر ثم قال الحسن الآثم هو المنافق والكفور مشركوا العرب وهذا ضعيف بل الحق ما ذكرناه من أن الآثم عام والكفور خاص

السؤال الرابع كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله أو كفورا واذكر الجواب الكفور أخبث أنواع الآثم فخصه بالذكر تنبيها على غاية خبثه ونهاية بعده عن الله

السؤال الخامس كلمة أو تقتضي النهي عن طاعة أحدهما فلم لم يذكر الواو حتى يكون نهيا عن طاعتهما جميعا الجواب ذكروا فيه وجهين الأول وهو الذي ذكره الزجاج واختاره أكثر المحققين أنه لو قيل ولا تطعهما لجاز أن يطيع أحدهما لأن

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ١٨٩/٢٥

النهي عن طاعة مجموع شخصين لا يقتضي النهي عن طاعة كل واحد منهما وحده أما النهي عن طاعة أحدهما فيكون نهيا عن طاعة مجموعهما لأن الواحد داخل في المجموع ولقائل أن يقول هذا ضعيف لأن قوله لا تطعه هذا وهذا معناه كن مخالفا لأحدهما ولا يلزم من إيجاب مخالفة أحدهما إيجاب مخالفتهما معا فإنه لا يبعد أن يقول السيد لعبده إذا أمرك أحد هذين الرجلين فخالفه أما إذا توافقا فلا تخالفهما والثاني قال الفراء تقدير الآية لا تطع منهم أحدا سواء كان أو كفورا واذكر كقول الرجل لمن يسأله شيئا لا أعطيك سواء سألت أو سكت

واعلم أنه تعالى لما ذكر هذا النهي عقبه بالأمر فقال

واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن اليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا

وفي هذه الآية قولان

الأول أن المراد هو الصلاة قالوا لأن التقييد بالبكرة والأصيل يدل على أن المراد من قوله واذكر اسم ربك الصلوات ثم قالوا البكرة هي صلاة الصبح والأصيل صلاة الظهر والعصر ومن اليل فاسجد له المغرب والعشاء فتكون هذه الكلمات جامعة الصلوات الخمس وقوله وسبحه ليلا طويلا المراد منه التهجد ثم اختلفوا فيه فقال بعضهم كان ذلك من الواجبات على الرسول عليه السلام ثم نسخ كما ذكرنا في سورة المزمل واحتجوا عليه بأن قوله فاسجد له وسبحه أمر وهو للوجوب لا سيما إذا تكرر على سبيل المبالغة وقال آخرون بل المراد التطوع وحكمه ثابت

القول الثاني أن المراد من قوله واذكر اسم ربك إلى آخر الآية ليس هو الصلاة بل المراد التسبيح الذي هو القول والاعتقاد والمقصود أن يكون ذاكرا لله في جميع الأوقات ليلا ونهارا بقلبه ولسانه وهو المراد من قوله عليما يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا (الأحزاب ٤١)

واعلم أن في الآية لطيفة أخرى وهي أنه تعالى قال إنا نحن نزلنا عليك القرءان تنزيلا (الإنسان ٢٣) أي هديناك إلى هذه الأسرار وشرحنا صدرك بهذه الأنوار وإذ قد فعلنا بك ذلك فكن منقادا مطيعا لأمرنا وإياك وأن تكون منقادا مطيعا لغيرنا ثم لما أمره بطاعته ونهاه عن طاعة غيره قال واذكر اسم ربك وهذا إشارة إلى أن العقول البشرية ليس عندها إلا معرفة الأسماء والصفات أما معرفة الحقيقة فلا فتارة يقال له واذكر اسم ربك وهو إشارة إلى معرفة الأسماء وتارة يقال له واذكر ربك في نفسك وهو." (١)

"وقد بان بهذا أن إتيان عيسى عليه السلام غير قادح في هذا النص ، فإنه من أمته صلى الله عليه وسلم المقررين لشريعته ، وهو قد كان نبيا قبله لم يستجد له شيء لم يكن ، فلم يكن ذلك قادحا في الختم. وهو مثبت لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم إذ لولاه لما وجد ، وذلك أنه لم يكن لنبي من الأنبياء شرف إلا وله صلى الله عليه وسلم مثله أو أعلى منه ، وقد كانت الأنبياء تأتي مقررة لشريعة موسى عليه السلام مجددة لها ، فكان المقرر لشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم المتبع لملته من كان ناسخا لشريعة موسى صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بفتح التاء والباقون بكسرها ، فالفتح : اسم للآلة التي يختم بها كالطابع والقالب لما يطبع به ويقلب فيه ، والكسر على أنه اسم فاعل. وقال بعضهم : هو بمعنى المفتوح يعني بمعنى

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ٢٢٨/٣٠

آخرهم لأنه ختم النبيين فهو خاتمهم ﴿وكان

٣١٩

الله﴾ أي : الذي له كل صفة كمال أزلا وأبدا ﴿بكل شيء﴾ من ذلك وغيره ﴿عليما﴾ فيعلم من يليق بالختم ومن يليق بالبدء.

قال الأستاذ ولي الدين الملوي في كتابه حصن النفوس : في سؤال القبر واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالأحمدية والمحمدية علما وصفه برهان على ختمه ، إذ الحمد مقرون بانقضاء الأمور مشروع عنده ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحكم بنيانه ، ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون بسواها ، فكنت أنا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل" وقال عليه الصلاة والسلام : "إن لي أسماء أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي يمحو الله تعالى بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الله تعالى الناس على قدمي ، وأنا العاقب" والعاقب الذي ليس بعده نبي.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣١٤

ولما كان ما أثبته لنفسه سبحانه وتعالى من إحاطة العلم مستلزما للإحاطة بأوصاف الكمال قال تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي : ادعوا ذلك بألسنتهم ﴿اذكروا الله﴾ الذي هو أعظم من كل شيء تصديقا لدعواكم ذلك ﴿ذكرا كثيرا﴾ قال ابن عباس : لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر ، فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ، ولم يعذر أهله في تركه إلا مغلوبا على عقله. وأمرهم به في الأحوال فقال تعالى : ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ (النساء : ١٠٣)

وقال تعالى : ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ أي : بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية ، وقال مجاهد : الذكر الكثير : أن لا ينساه أبدا ، فيعم ذلك سائر الأوقات وسائر ما هو أهله من التقديس والتهليل والتمجيد.

﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أي : أول النهار وآخره خصوصا ، وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات ؛ لكونهما مشهودين. كإفراد التسبيح من جملة الإذكار لأنه العمدة فيها ، وقال البغوي : وسبحوه أي : صلوا له بكرة أي : صلاة الصبح ، وأصيلا يعني صلاة العصر. وقال الكلبي : وأصيلا يعني صلاة الظهر والعصر والعشاءين وقال مجاهد : معناه قولوا سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فعبر بالتسبيح عن إخوانه ، وقيل : المراد من قوله تعالى : ﴿ذكرا كثيرا﴾ هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

وعن أنس لما نزل قوله تعالى : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ (الأحزاب : ٥٦)

وقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ما أنزل الله تعالى عليك خيرا إلا أشركنا فيه أنزل الله تعالى :

﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ أي : يرحمكم ﴿وملائكته﴾ أي : يستغفرون لكم ، فالصلاة من الله تعالى رحمة ، ومن الملائكة استغفار للمؤمنين ، فذكر صلاته تحريضا للمؤمنين على الذكر والتسبيح. قال السدي : قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : أيصلي ربنا ؟

فكبر هذا الكلام على موسى ، فأوحى الله

٣٢٠

تعالى إليه قل لهم : إني أصلي ، وإن صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء ، وقيل : الصلاة من الله : هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده. وقيل : الثناء عليه. واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم ، وهو سبب للرحمة من حيث أنهم مجابو الدعوة ، فقد اشتركت الصلاتان ، واللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معا ، وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز. قال الرازي : وينسب هذا القول للشافعي رحمه الله تعالى وهو غير بعيد ، وذلك لأن الرحمة والاستغفار مشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر له ، والمراد : هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣١٤." (١)

"ولما بدأ الله تعالى بتأديب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله تعالى : ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من أزواجه الشريفات بقوله تعالى : بعده : ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ وثلث بما يتعلق بذكر العامة بقوله تعالى : ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا﴾ وكان تعالى كلما ذكر لنبيه مكرمة وعلمه أدبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه ، فلذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بجانب الله تعالى فقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله تعالى :

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات﴾ أي : عقدتم على الموصوفات بهذا الوصف الشريف المقتضى لغاية الرغبة فيهن ، وأتم الوصلة بينكم وبينهن ثم كما ثلث في تأديب النبي صلى الله عليه وسلم بجانب الأمة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ (الأحزاب : ٥٣)

﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ (الأحزاب : ٥٦)

فإن قيل : إذا كان هذا إرشادا بما يتعلق بجانب منه ومن خواص المرأة فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس بقوله تعالى : ﴿ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أي : تجامعوهن ، أطلق المس على الجماع ؛ لأنه طريق له كما سمى الخمر إثما ؛ لأنها سببه ؟

أجيب : بأن هذا إرشاد إلى أعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها.

وبيانه : أن المرأة إذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تأكيد العهد ، ولهذا قال تعالى في حق الممسوسة : ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ (النساء : ٢١)

فإذا أمر الله تعالى بالتمتع والإحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بما حصلت المودة بالنسبة إليها بالإفضاء ، أو حصل تأكدها بحصول الولد بينهما ، وهذا كقوله تعالى : ﴿فلا تقل لهما أف﴾ (الإسراء : ٢٣)

ولو قال : لا تضر بهما ولا تشتمهما ظن أنه حرام لمعنى يختص بالضرب أو الشتم لهما ، فأما إذا قال : ﴿لا تقل لهما أف﴾ لعلم منه معان كثيرة فكذلك ههنا أمر بالإحسان مع من لا مودة معها ، فعلم منه الإحسان إلى الممسوسة ، ومن

---

(١) تفسير السراج المنير ، ٣/٢١٦

لم تطلق بعد ، ومن ولدت عنده منه ، وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء وألف بعد الميم ، والباقون بفتح التاء ولا ألف بعد الميم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٢١

ولما كانت العدة حقا للرجال وإن كانت لا تسقط بإسقاطهم لما فيها من حق الله تعالى قال تعالى : ﴿فما لكم عليهن من عدة﴾ أي : أياما يتربصن فيها بأنفسهن ﴿تعتدونها﴾ أي : تحصونها وتستوفونها بالإقراء وغيرها ، فتعتدونها صفة لعدة ، وتعتدونها إما من العدد ، وإما من الاعتداد ، أو تحسبونها أو تستوفون عددها من قولك : عد الدراهم فاعتدها أي : استوفى عددها نحو : كلته فاكتال ووزنته فاتزن ، فإن قيل : ما الفائدة في الاتيان بثم وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك ؟

أجيب : بأن ذلك إزاحة لما قد يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما تمكن الإصابة كما يؤثر في النسب فيؤثر في العدة ، وظاهره يقتضي عدم وجود العدة بمجرد الخلوة ، وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على أن شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيرا لنطفة المؤمن ، وفي هذه الآية دليل على أن تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح ؛ لأن الله تعالى رتب الطلاق بكلمة ثم وهي

٣٢٣

للتراخي حتى لو قال لأجنبية : إذا نكحتك فأنت طالق ، أو كل امرأة أتزوجها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق. وهو قول علي وابن مسعود وجابر ومعاذ وعائشة رضي الله تعالى عنهم ، وبه قال أهل العلم : منهم الشافعي وأحمد رضي الله تعالى عنهما. وروي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : يقع الطلاق ، وهو قول إبراهيم النخعي وأصحاب الرأي : وقال ربيعة ومالك والأوزاعي : إن عين امرأة يقع وإن عمم فلا يقع.

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : كذبوا على ابن مسعود رضي الله عنه ، إن كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول : إن تزوجت فلانة فهي طالق ، يقول الله تعالى : ﴿إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن﴾ ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن. وروى عطاء عن جابر : لا طلاق قبل النكاح وقوله تعالى : ﴿فمتعوهن﴾ أي : أعطوهن ما يستمتعن به محله كما قال ابن عباس رضي الله عنه : إذا لم يكن سمى لها صداقا وإلا فلها نصف الصداق ولا متعة لها ، وقال قتادة : هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ﴿فنصف ما فرضتم﴾ (البقرة : ٢٣٧)

أي : فلا متعة لها مع وجوب نصف الفرض.." (١)

"﴿ ٤١ - ٤٤ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْرًا كَثِيرًا** * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ .

يأمر تعالى المؤمنين، بذكره **ذكرا كثيرا**، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله، وأقل ذلك، أن يلازم الإنسان، أوراد الصباح، والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب.

---

(١) تفسير السراج المنير ، ٣/٢١٨

وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح.
﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾ أي: أول النهار وآخره، لفضلها، وشرفها، وسهولة العمل فيها.." (١)
"

وما دام قد أوضح لك المولى سبحانه وتعالى من قبل أن هذا القرآن بصائر من ربنا وهدى ورحمة، ألا يستحق أن تحتفي به أيها المؤمن؟.. ألا تجذبك هذه الحيثيات الثلاث لأن تعطي له أذنك وألا تنصرف عنه؟.

إذن لا بد أن تنصت للقرآن الكريم لتتلقى الفوائد الثلاث؛ البصائر، والهدى، والرحمة، وهو حقيق وجدير أن يُحْرَص على سماعه إن قُرِئ.

ولنلحظ أن الله تعالى قال: ﴿ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ ﴾ ولم يقل " اسمعوا " ، لأن الاستماع فيه تعمد أن تسمع، أما السمع فأنت تسمع كل ما يقال حولك، وقد تنتبه إلى ما تسمع وقد لا تنتبه، ومن الرحمة المحمدية يقول حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ناهياً عن التسمع لأسرار الغير تجسساً عليهم بالبحث عن عوراتهم فيما يرويه عنه سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تجسَّسُوا ولا تحسّسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا ".

وفي هذا تحذير من هذه الأمور الخمسة التي منها التلصص والتصنت إلى أسرار الناس. ﴿ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

والإنسان قد يصمت ويستمع ولكن بغير نية التعبد فيحرم من ثواب الاستماع، فاستمع وأنصت بنية العبادة، لأن الله هو الذي يتكلم، وليس من المعقول والتأدب مع الله أن يتكلم ربك ثم تنصرف أنت عن كلامه، وقد لفت أنظارنا سيدنا جعفر الصادق: ونبهنا إلى ما فيه الخير حيث يقول:

" عجبت لمن خاف ولم يفزع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ، فإني سمعت الله عقبها يقول: ﴿ فَانْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ ﴾.

وعجبت لمن اغتم، ولم يفزع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿ لاَّ إِلَاهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ فإني سمعت الله عقبها يقول: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذالِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وعجبت لمن مُكر به، ولم يفزع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾. فإني سمعت الله عقبها يقول:- ﴿ فَوقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ ﴾.

وعجبت لمن طلب الدنيا ولم يَفْزَع إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿ مَا شَآءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾. فإني سمعت الله عقبها يقول:- ﴿ فعسَا رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ ﴾.

(١) تفسير السعدي، ص/٦٦٧

ونحن حين نستمع لقراءة القرآن الكريم بنية التعبد فذلك هو حُسْن الأدب الذي يجب أن نستقبل به العبر التي تعود بالفائدة علينا.

ووقف العلماء حول الإنصات سماعاً للقرآن؛ أيكون الإنصات إذا قرئ القرآن مطلقاً في أي حال من الأحوال، أو حين يُقرأ في الصلاة، أو حين يُقرأ في خطبة الجمعة؟

وقد اختلفوا في ذلك، فبعضهم قال: إن المقصود هو الإنصات للقرآن حين يُقرأ في الصلاة، والسبب في ذلك أن الأوائل من المسلمين كانوا حينما يقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة، يعيدون بعده كل جملة قرآها فإذا قال: بسم الله الرحمن الرحيم؛ قالوا: بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا قال: " الحمد لله رب العالمين " ، قالوا: " الحمد لله رب العالمين " فينبههم الله عز وجل إلى أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وهم يستمعون إليه دون ترديد للقراءة.

وقال آخرون من العلماء: الإنصات للقرآن الكريم يكون في الصلاة، وفي خطبة الجمعة أو العيدين، لأنها تشتمل على آيات من القرآن، ولكن اشتمالها على الآيات أقل مما يقوله الخطيب، ونبه البعض إلى أن الإنصات للخطبة ثبت بدليل قول النبي عليه الصلاة والسلام: " إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت ".

إذن الإنصات للخطبة جاء بدليل من السنة.

وهناك قول بأن الاستماع مطلوب للقرآن في أي وضع من الأوضاع حين يُقرأ؛ ففي هذا احترامٌ ومهابةٌ لكلام الله عز وجل، وينسب هذا القول إلى إمامنا وسيدنا ومولانا سيدي " أبي عبدالله الحسين " ، فيقول:

إذا قُرئ القرآن سواءٌ إن كنت في صلاة أو كنت في خطبة، أو كنت حرّاً فأنصت؛ لأن الحق سبحانه وتعالى أراد أن يميز القرآن على مطلق الكلام، فميزه بأشياءَ، إذا قُرئ ننصت له، وإذا مسّ المصحف لا بد أن يكون على " وضوء " حتى لا يجترئ الناس ويمسّوا المصحف كأي كتاب من الكتب، وهذا يربي المهابة فلا تمسك المصحف إلا وأنت متوضئ، فإذا علمنا أولادنا، نقول للواحد منهم: لا تقرب المصحف إلا وأنت متوضئ؛ فتنشأ المهابة في نفس الولد.

وأيضاً في " الكتابة " شاء الحق تبارك وتعالى لبعض ألفاظه كتابة خاصة غير كتابة التقعيد الإملائي؛ حتى يكون للقرآن قداسة خاصة، فهو كتاب فريد وليس ككل كتاب وكلامه ليس ككل كلام. ﴿ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وبعض العلماء قال: ليس المطلوب مجرد الاستماع بالآذان، بل المقصود بالاستماع هنا هو أن نستجيب لمطالبه، ألا تقولون لبعضكم حين يدعو بعضكم لبعض: " الله يسمع دعاك "؟ إنك تقولها وأنت تعلم أن الله سامعك، ولكنك تقصد بها أن يستجيب سبحانه وتعالى لهذا الدعاء، إذن فالاستماع للقرآن يقتضي الاستجابة لمطلوبات القرآن. لماذا؟ لننال الرحمة من الحق فهو الرحمن الرحيم. ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.

ونعلم أن " لعل " " وعسى " حين تقال يقصد بها الرجاء، و " ليت " تعني التمني وهو مستحيل ولا يُتَوَقّع، ونحن نتمنى لنظهر أن هذا أمر محبوب لنا، لكننا نعلم أنه مستحيل، مثلما قال الشاعر العجوز:

ألا ليت الشباب يعود يوما   فأخبره بما فعل المشيبإنه يعلم يقيناً أن الشباب لن يعود ولكن قوله يدل على أن الشباب فترة محبوبة. ومثل قول الشاعر:ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها   عقود مدح فما أرضى لكم كَلِمولن تدنو الكواكب.

إذن ساعة تسمع " عسى " أو " لعل " يتبادر إلى ذهنك أن هذا رجاء لأن يحدث، وإذا كان رجاء من الله، فهو رجاء من كريم لا بد له من واقع.

ويقول الحق بعد ذلك:

والذكر مرور الشيء، إن كان بالبال، فهو ذكر في النفس، وإن كان باللسان ولا يُسْمِع الغير ويُسْمِعك أنت فهذا ذكر السر، وإن كان جهرا فهو قسمان؛ جهر مقبول، وجهر غير مقبول، والجهر غير المقبول هو أن يتحول الذِّكرُ إلى إزعاج والعياذ بالله، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى:﴿ ...وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذالِكَ سَبِيلاً ﴾[الإسراء: ١١٠].

ولعل إخواننا القراء يتنبهون إلى هذه الآية؛ تنبهاً يجعلهم يلتفتون إلى أداء أمر الله في هذا المجال فلا يجهرون ولا يرفعون أصواتهم به لدرجة الإزعاج، لأني أقول لكل واحد منهم: إن ربك لم يطلب منك حتى الجهر، إنما طلب دون الجهر، وأقول ذلك خاصة لهؤلاء الذين يفسدون نعمة الله على خلقه؛ فيصيحون ليلا ويمنعونهم من رحمة الله ليلا التي قال عنها:﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الْلَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[القصص: ٧٣].

فلا تفسدوا على الناس رحمة ربنا؛ لأن الدعوة إلى الله ليست صياحاً على المنابر، إلا إذا كنتم تصنعون لأنفسكم دعاية إعلامية على مساجد الله وعلى منابر الله. وهذا أمر مرفوض وغير مقبول شرعاً. ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً ﴾ والحق تبارك وتعالى يقول مرة:﴿ ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ **ذِكْراً كَثِيراً** ﴾[الأحزاب: ٤١].

ومرة يقول: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ ﴾

وقوله: " اذكر الله " يستشعر سماعها التكاليف؛ لأن الله هو المعبود، والمعبود هو المطاع في الأوامر والنواهي.

أما قوله: " اذكر ربك " فهو تذكير لك بما حباك به من أفضال؛ خلقك ورباك وأعطاك من فيض نعمه ما لا يعد ولا يحصى. فاذكر ربك؛ لأنك إن لم تعشقه تكليفاً، فأنت قد عشقته لأنه ممدك بالنعم، وسبحانه يتفضل علينا ويوالينا جميعاً بالنعم.

وأضرب لك هذا المثل - ولله المثل الأعلى وهو منزه عن التشبيه - وأنت لك أولاد، وتعطي لهم مصروفاً، وحين تعطي لهم المصروف كل شهر، تجدهم لا يحرصون على أن يروك إلا كل شهر، لكن إن كنت تعطي مصروفهم يوميا فأنت تلتفت لتجدهم حولك، فإن كنت نائماً يدخل ابنك لغرفة نومك يسير بجانبك ويتنحنح ليقول إنه يحتاج لشيء موجود بالغرفة، فما بالك وأنت بكل وجودك عبد لإحسان ربك؟ وما دمت عبد الإحسان فاذكر من يحسن إليك، اذكر ربك دائماً.

واذكره على حالين: الأول تضرعاً. أي بذلة، لأنك قد تذكر واحداً بكبرياء، إنما الله الخالق المحسن يجب عليك أن تذكره بذلة عبودية لمقام الربوبية، واذكر ربك " خيفة " أي خائفاً متضرعاً؛ لأنك كلما ذللت له يعزك، ولذلك نجد العبودية مكروهة في البشر وهي استعباد، والناس ينفرون ممن يستعبدهم؛ لأن عبودية الإنسان لمساويه طغيان كبير وظلم عظيم فهي تعطي خير العبد للسيد، ولكن عبوديتك لله تعطي خير الله لك. ولذلك نجد الحق يمتن على رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[الإسراء: ١].

وقد أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم منزلة كبرى بحادث الإسراء، وكان الحديث عنها بامتنان من الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

والشاعر المؤمن يقول:حسب نفسي عزاً بأني عبد   يحتفي بي بلا مواعيد ربهو في قدسه الأعز ولكن   أنا ألقي متى وأين أحبوأنت أيها العبد المؤمن تلقى الله متى أردت، وإذا أسلمت زمامك للإيمان؛ فالزمام في يدك. يكفي أن تنوي الصلاة وتقول: الله أكبر فتكون في حضرته سبحانه سواء كنت في البيت أو في الشارع أو في أي مكان. وفي منتهى العزة لك.﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ... ﴾[الأعراف: ٢٠٥].

ولم يقل هنا رب العالمين: بل ربك أنت يا محمد، وهذه قمة العطاءات التي جاءت للناس، فهذا العطاء الذي جاء بمحمد رسولاً، نعمةٌ ومنةٌ من الله على المؤمنين برسالته، وبعد ذلك ينسب لكل مسلم العطاء الذي جاء لمحمد. وقوله تعالى لرسوله: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ أي أنه سبحانه لم يجعل دليل عنايته بك مقصوراً على ما يشاهد في الخارج والبعيد عنك فقط؛ لأنك قد لا ترى شيئاً في الكون أو لا تسمع شيئاً في الكون؛ لأن الكون منفصل عنك، إنما انظر إلى نفسك أنت وستجد الآيات كلها تذكرك بخالقك،﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ ﴾[الذاريات: ٢١].

فقبل أن يجعل ربنا الدليل في الكون الذي حولك، جعل لك الدليل أيضا في نفسك؛ لأن نفسك لا تفارقك وأنت أعلم بملكاتها وبجوارحها، وبنوازعها، ولهذا كان التضرع إلى الله والخيفة منه لهما مجال هنا؛ لأنك تستطيع أن ترى سر صنعته فيك، وستجد الكثير من الآيات، وهي آيات أكبر منك، لذلك أنت تتضاءل أمام من وهب لك كل هذا، وتخاف ألا تؤدي حقه لديك.

ونعود إلى قول الله تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ والذكر حَدَثٌ، والحدَثُ يحتاج إلى زمان وإلى مكان. والغدو والآصال زمنان يستوعبان النهار؛ فالغدو هو أول النهار، والآصال هو من العصر للمغرب، مثلما نقول " شمس الأصيل ".

وهذه الآية الكونية تتكرر في القرآن الكريم كثيرا، فالحق تبارك وتعالى يقول:﴿ ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

وكما يقول عز وجل:﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * لِّتُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[الفتح: ٨ - ٩].

و " الأصيل " هنا مشترك، ومقابل الأصيل يطلق الحق عليه مرة بكرة، وأخرى يطلق عليه: الغدو، وسبحانه القائل:﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾[النور: ٣٥ - ٣٦].

إنك ساعة أن تقرأ " في بيوت " تعرف أن هنا حدثاً؛ لأن قوله: " في بيوت " شبه جملة " في معنى الظرف، وإذا استقرأت ما قبلها، لم تجد لها مُتَعَلَّقاً. والحظ إذن أن ما قبلها هو ﴾ نُّورٌ عَلَى نُورٍ ﴿ ﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴿ فأنت حين تذهب إلى المسجد لتلقى الله، فذلك نور، وتصلى له فذلك نور، وتخرج من هذا النور بنور يهبط عليك في بيته، وكل هذا نور على نور، فمن أراد أن يتعرض لنفحات نور الله عز وجل؛ فليكثر من الذهاب إلى بيوت الله، وللمساجد مهابة النور لأنها مكان الصلاة، ونعلم أن الصلاة هي الخلوة التي بين العبد وربه، وكان رسول الله إذا حز به أمر قام إلى الصلاة. وأنت إذا ما اتبعت حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وتصلي ركعتين لله فلن حز بك أمر وعزت عليك مسألة وكانت فوق أسبابك ثم ذهبت بها إلى الله فلن يخرجك الله إلا راضياً. ﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿.

والغدو والآصال أو البكرة والأصيل كما عرفنا هي أزمنة أول النهار وأزمنة أول الليل.

ولماذا أزمنة أول النهار وأزمنة أو الليل؟

لأن هذه الأزمنة هي التي يطلب فيها الذكر. فقبل أن تخرج للعمل في أول النهار أنت تحتاج لشحنة من العزيمة تقابل بها العمل من أجل مطالب الحياة، وفي نهاية النهار أنت تحتاج أن تركن إلى ربك ليزيح عنك متاعب هذا اليوم، لذلك إياك أن تشغلك الحياة عن واهب الحياة، ولك أن تذكر ربنا وأنت تعيش مع كل عمل تؤديه وتقوم به وأن تقابل كل نتيجة للعمل بكلمة: (الحمد لله) وعندما ترى أي جميل من الوهاب سبحانه وتعالى يجب عليك أن تقول: " ما شاء الله " وعندما ترى أي شيء يعجبك تقول: (سبحان الله).

ولذلك حينما دعا الله خلقه المؤمنين به إلى الصلاة قال:﴿ ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاَةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْاْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُواْ الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[الجمعة: ٩].

وهذا التكليف في صلاة الجمعة المفروضة كصلاة للجماعة، والجماعة مطلوبة فيها، ومن الضروري أن نتواجد فيها كجمع؛ لأن الجماعة مشروطة فيها فلا تصح بدون الجماعة.

ونعرف أن الصلاة إنما هي ذكر لربنا، فماذا بعدها؟﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[الجمعة: ١٠].

أي إياك أن يشغلك انتشارك في الأرض وابتغاؤك من فضل الله، والأخذ بأسباب الدنيا عن واجبك نحو الله، بل عليك أن تذكره سبحانه وتعالى: ﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً... ﴿.

." (١)

"

ومعنى الاطمئنان سكونُ القلب واستقراره وأُنْسُه إلى عقيدة لا تطفو إلى العقل ليناقشها من جديد.

ونعلم أن الإنسانَ له حواسٌّ إدراكية يستقبل بها المُحسَّات؛ وله عقل يأخذ هذه الأشياء ويهضمها؛ بعد إدراكها؛ ويفحصها جيداً، ويتلمس مدى صِدْقها أو كَذِبها؛ ويستخرج من كل ذلك قضية واضحة يُبقِيها في قلبه لتصبح عقيدة، لأنها وصلت إلى مرحلة الوجدان المحب لاختيار المحبوب.

وهكذا تمرُّ العقيدة بعدة مراحلَ؛ فهي أولاً إدراك حِسِّي؛ ثم مرحلة التفكّر العقلي؛ ثم مرحلة الاستجلاء للحقيقة؛ ثم الاستقرار في القلب لتصبح عقيدة.

ولذلك يقول سبحانه: ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ... ﴾ [الرعد: ٢٨]

فاطمئنان القلب هو النتيجة للإيمان بالعقيدة؛ وقد يمرُّ على القلب بعضٌ من الأغيار التي تزلزل الإيمان، ونقول لمن تمرُّ به تلك الهواجس من الأغيار: أنت لم تُعْطِ الربوبية حقها؛ لأنك أنت الملوم في أي شيء يَنَالُكَ.

فلو أحسنتَ استقبال القدر فيما يمرُّ بك من أحداث، لَعلِمْتَ تقصيرك فيما لك فيه دَخْل بأيِّ حادث وقع عليك نتيجة لعملك، أما مَا وقع عليك ولا دَخْل لك فيه؛ فهذا من أمر القَدَر الذي أراده الحقُّ لك لحكمة قد لا تعلمها، وهي خير لك.

إذن: استقبال القدر إن كان من خارج النفس فهو لك، وإن كان من داخل النفس فهو عليك. ولو قُمْتَ بإحصاء ما ينفعك من وقوع القدر عليك لَوجدتَّه أكثرَ بكثير مما سَلَبه منك. والمَثَل هو الشاب الذي استذكر دروسه واستعدَّ للامتحان؛ لكن مرضاً داهمه قبل الامتحان ومنعه من أدائه.

هذا الشاب فعلَ ما عليه؛ وشاءَ الله أن ينزل عليه هذا القدر لحكمة ما؛ كأنْ يمنع عنه حسَد جيرانه؛ أو حسدَ مَنْ يكرهون أُمه أو أباه، أو يحميه من الغرور والفتنة في أنه مُعتمِد على الأسباب لا على المُسبِّب. أو تأخير مرادك أمام مطلوب الله يكون خيراً.

وهكذا فَعَلى الإنسان المؤمن أن يكون موصولاً بالمُسبِّب الأعلى، وأنْ يتوكل عليه سبحانه وحده، وأن يعلم أنْ التوكل على الله يعني أن تعمل الجوارح، وأنْ تتوكَّل القلوب؛ لأن التوكل عملٌ قلبي، وليس عملَ القوالب.

ولينتبه كُلٌّ مِنّا إلى أن الله قد يُغيب الأسباب كي لا نغتر بها، وبذلك يعتدل إيمانك به؛ ويعتدل إيمان غيرك.

وقد ترى شاباً ذكياً قادراً على الاستيعاب، ولكنه لا ينال المجموع المناسب للكلية التي كان يرغبها؛ فيسجد لله شكراً؛ مُتقبّلاً قضاء الله وقَدَره؛ فَيُوفِّقه الله إلى كلية أخرى وينبغ فيها؛ ليكون أحدَ البارزين في المجال الجديد.

---

(١) تفسير الشعراوي، ص/١١٤٦

ولهذا يقول الحق سبحانه:﴿ وَعَسَا أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَا أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٢١٦]

وهكذا نجد أن مَنْ يقبل قَدر الله فيه، ويذكر أن له رباً فوق كل الأسباب؛ فالاطمئنان يغمرُ قلبه أمام أيِّ حدَثٍ مهْمَا كان.

وهكذا يطمئن القلب بذكر الله؛ وتهون كُلّ الأسباب؛ لأن الأسباب إنْ عجزتْ؛ فلن يعجز المُسبِّب.

وقد جاء الحق سبحانه بهذه الآية في مَعرِض حديثه عن التشكيك الذي يُثيره الكافرون، وحين يسمع المسلمون هذا التشكيك؛ فقد توجد بعض الخواطر والتساؤلات: لماذا لم يَأْتِ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزة حِسّية مثل الرُّسُل السابقين لتنفضّ هذه المشكلة، وينتهي هذا العناد؟

ولكن تلك الخواطر لا تنزع من المؤمنين إيمانهم؛ ولذلك يُنزِل الحق سبحانه قوله الذي يُطمئِن: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ... ﴾ [الرعد: ٢٨]

والذِّكْر في اللغة جاء لِمَعَانٍ شتّى؛ فمرّة يُطلق الذِّكر، ويُرَاد به الكتاب أي: القرآن:﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[الحجر: ٩]

ويأتي الذكر مرّة، ويُرَاد به الصِّيت والشهرة والنباهة، يقول تعالى:﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾[الزخرف: ٤٤]

أي: أنه شَرَفٌ عظيم لك في التاريخ، وكذلك لقومك أنْ تأتي المعجزة القرآنية من جنس لغتهم التي يتكلمون بها.

وقد يطلق الذكر على الاعتبار؛ والحق سبحانه يقول:﴿ ...وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُواْ الذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْماً بُوراً ﴾[الفرقان: ١٨]

أي: نسوا العِبَر التي وقعتْ للأمم التي عاشتْ من قبلهم؛ فنصَر الله الدينَ رغم عناد هؤلاء.

وقد يطلق الذكر على كُلِّ ما يبعثه الحق سبحانه على لسان أيِّ رسول:﴿ ...فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ ﴾[النحل: ٤٣]

وقد يُطلق الذِّكْر على العطاء الخيِّر من الله.

ويُطْلَق الذِّكْر على تذكر الله دائماً؛ وهو سبحانه القائل:﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ... ﴾[البقرة: ١٥٢]

أي: اذكروني بالطاعة أذكَرْكُم بالخير والتجليّات، فإذا كان الذِّكْر بهذه المعاني؛ فنحن نجد الاطمئنان في أيٍّ منها، فالذكر بمعنى القرآن يُورثِ الاطمئنان.

ويقول الحق سبحانه:﴿ ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ **ذِكْراً كَثِيراً** * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾[الأحزاب: ٤١-٤٣]

فكُلُّ آية تأتي من القرآن كانت تُطمئِنُ الرسول صلى الله عليه وسلم أنه صادقُ البلاغِ عن الله؛ فقد كان المسلمون قلة مُضطهدة، ولا يقدرون على حماية أنفسهم، ولا على حماية ذَوِيهم.

ويقول الحق سبحانه في هذا الظرف:﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[القمر: ٤٥]

ويتساءل عمر رضي الله عنه: أيُّ جمع هذا، ونحن لا نستطيع الدفاع عن أنفسنا؛ وقد هاجر بعضنا إلى الحبشة خوفاً من الاضطهاد؟

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير إلى بدر، ويُحدِّد أماكن مصارع كبار رموز الكفر من صناديد قريش؛ ويقول: " هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان "؛ بل ويأتي بالكيفية التي يقع بها القتل على صناديد قريش؛ ويتلو قول الحق سبحانه:﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾[القلم: ١٦]

وبعد ذلك يأتون برأْس الرجل الذي قال عنه رسول الله ذلك؛ فيجدون الضربة قد جاءت على أنفه.

فمنْ ذَا الذي يتحكم في مواقع الموت؟

إن ذلك لا يتأتى إلاَّ من إله هو الله؛ وهو الذي أخبر محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الخبر:﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[القمر: ٤٥]

وقد طمأنَ هذا القولُ القومَ الذين اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يعلم الغيب، ولا يعلم الكيفية التي يموت عليها أيُّ كافر وأيُّ جبار؛ وهو صلى الله عليه وسلم يخبرهم بها وهُمْ في منتهى الضَّعْف.

وهذا الإخبار دليل على أن رصيده قويّ عند علاَّم الغيوب.

إذن: فقول الحق سبحانه: ﴾...أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿ [الرعد: ٢٨]

يعني: أن القلوب تطمئن بالقرآن وما فيه من أخبار صادقة تمام الصدق، لتؤكد أن محمداً صلى الله عليه وسلم مُبلِّغ عن ربِّه؛ وأن القرآن ليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم بل هو من عند الله.

وهكذا استقبل المؤمنون محمداً صلى الله عليه وسلم وصَدَّقوا ما جاء به؛ فها هي خديجة ـ رضي الله عنها وأرضاها ـ لم تكُنْ قد سمعت القرآن؛ وما أنْ أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخاوفه من أنَّ ما يأتيه قد يكون جناً، فقالت: " إنك لتَصِلُ الرَّحِم، وتحمل الكَلّ، وتَكسِب المعدوم، وتَقْري الضَّيْف، وتُعينَ على نوائب الحق، واللهِ ما يخزَيك الله أبداً ".

وهاهو أبو بكر ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ يصدق أن محمداً رسول من الله، فَوْرَ أن يخبره بذلك.

وهكذا نجده صلى الله عليه وسلم قد امتلك سِمَاتاً؛ وقد صاغ الله لرسوله أخلاقاً، تجعل مَنْ حوله يُصدِّقون كُلَّ ما يقول فَوْر أنْ ينطق.

ونلحظ أن الذين آمنوا برسالته صلى الله عليه وسلم؛ لم يؤمنوا لأن القرآن أخذهم؛ ولكنهم آمنوا لأن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يَكْذِبهم القول، وسيرته قبل البعثة معجزة في حَدِّ ذاتها، وهي التي أدَّتْ إلى تصديق الأوَّلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما الكفار فقد أخذهم القرآن؛ واستمال قلوبهم، وتمنَّوا لو نزل على واحد آخر غير محمد صلى الله عليه وسلم.

وحين يرى المؤمنون أن القرآن يُخبرهم بالمواقف التي يعيشونها، ولا يعرفون لها تفسيراً؛ ويخبرهم أيضاً بالأحداث التي سوف تقع، ثم يجدون المستقبل وقد جاء بها وِفْقاً لما جاء بالقرآن، هنا يتأكد لهم أن القرآنَ ليس من عند محمد، بل هو من عند رَبِّ محمد صلى الله عليه وسلم.

ولذلك فحين يُثير الكفار خزعبلاتهم للتشكيك في محمد صلى الله عليه وسلم يأتي القرآن مُطَمْئِناً للمؤمنين؛ فلا تؤثر فيهم خزعبلات الكفار.

والمؤمن يذكر الله بالخيرات؛ ويعتبر من كل ما يمرُّ به، وبكل ما جاء بكتاب الله؛ وحين يقرأ القرآن فقلبه يطمئِنُّ بذكر الله؛ لأنه قد آمن إيمانَ صِدْقٍ.

وقد لمس المؤمنون أن أخبار النبي التي يقولها لهم قد تعدَّتْ محيطهم البيئيّ المحدود إلى العالم الواسع بجناحَيْه الشرقي في فارس، والغربي في الروم.

وقد أعلن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ على سبيل المثال ـ خبر انتصار الروم على الفرس، حين أنزل الحق سبحانه قوله:﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَىٰ الأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ.. ﴾[الروم: ١-٤]

فأروني أيّ عبقرية في العالم تستطيع أن تتحكم في نتيجة معركة بين قوتين تصطرعان وتقتتلان؛ وبعد ذلك يحدد مِنَ الذي سينتصر، ومنِ الذي سَيُهزم بعد فترة من الزمن تتراوح من خَمْس إلى تِسَع سنوات؟

وأيضاً تأتي الأحداث العالمية التي لا يعلم عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، وتوافق ما جاء بالقرآن.

وكُلُّ ذلك يجعل المؤمنين بالقرآن في حالة اطمئنان إلى أن هذا القرآن صادق، وأنه من عند الله، ويُصدّق هذا قول الحق سبحانه: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]

ونعلم أن الكون قد استقبل الإنسان الأول ـ وهو آدم عليه السلام ـ استقبالاً، وقد هُيِّئ له فيه كُلُّ شيء من مُقوِّمات الحياة؛ وصار الإنسانُ يعيش في أسباب الله، تلك الأسباب المَمْدودة من يَدِ الله؛ فنأخذ بها وتترقَّى حياتنا بِقَدْر ما نبذل من جَهْد.

وما أنْ نموتَ حتى نصِلَ إلى أرْقى حياة؛ إنْ كان عملُنا صالحاً وحَسُنَ إيماننا بالله؛ فبعد أنْ كُنّا نعيش في الدنيا بأسباب الله الممدودة؛ فنحن نعيش في الآخرة بالمُسبِّب في جنته التي أعدَّها للمتقين.

وقول الحق سبحانه: ﴿...أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]

يعني: أن الاطمئنان مُسْتوعِب لكل القلوب؛ فكل إنسان له زاوية يضطرب فيها قلبه؛ وما أنْ يذكر الله حتى يجِدَ الاطمئنان ويتثبتَ قلبه.

وقد حاول المستشرقون أن يقيموا ضَجَّة حول قوله تعالى: ﴿...أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]

وتساءلوا: كيف يقول القرآن هنا أن الذِّكْر يُطمئِن القلب؛ ويقول في آية أخرى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... ﴾[الأنفال: ٢]

فأيُّ المعنيَيْنِ هو المراد؟

ولو أن المستشرقين قد استقبلوا القرآن بالمَلَكة العربية الصحيحة لَعلِموا الفارق بين: ﴿...أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]

وبين قول الحق سبحانه:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ... ﴾[الأنفال: ٢]

فكأنه إذا ذُكِر الله أمام الناس؛ وكان الإنسان في غَفْلة عن الله؛ هنا ينتبه الإنسان بِوجَلٍ.

أو: أن الحق سبحانه يخاطب الخَلْق جميعاً بما فيهم من غرائز وعواطف ومواجيد؛ فلا يوجد إنسان كامل؛ ولكُلِّ إنسان هفوة إلا مَنْ عصم الله.

وحين يتذكر الإنسانُ إسرافه من جهة سيئة؛ فهو يَوْجَل؛ وحين يتذكر عَفْو الله وتوبته ومغفرته يطمئن.

ويقول سبحانه بعد ذلك:

﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ... ﴾

". (١)

"

فلو أنهم أُخْرِجوا بحقٍّ كأنْ فعلوا شيئاً يستدعي إخراجهم من ديارهم، كأنْ خدشوا الحياء، أو هددوا الأمْن، أو أجرموا، أو خرجوا على قوانين قبائلهم لكانَ إخراجهُم بحقٍّ.

إنما الواقع أنهم ما فعلوا شيئاً، وليس لهم ذَنْب ﴿ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا.. ﴾ [الحج: ٤٠] هذه المقولة اعتبرها القوم ذَنْباً وجريمة تستحق أنْ يخرجوهم بها من ديارهم.

كما قال سبحانه في أهل الأخدود:﴿ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾[البروج: ٨].

وفي آية أخرى:﴿ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ.. ﴾[المائدة: ٥٩].

وفي قصة لوط عليه السلام:﴿ قَالُواْ أَخْرِجُواْ آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾[النمل: ٥٦].

إذن: أخرجوهم، لا لأنهم أهل نجاسة ومعصية، إنما لأنهم أناسٌ يتطهَّرون، فالطهارة والعفة جريمتهم التي يُخْرَجُون من أجلها!! كما تقول: لا عيْبَ في فلان إلا أنه كريم، أو تقول: لا كرامةَ في فلان إلا أنه لِصٌّ. فهذه – إذن – صفة لا تمدح، وتلك صفة لا تذم.

لقد قلب هؤلاء الموازين، وخالفوا الطبيعة السويّة بهذه الأحكام الفاسدة التي تدل على فساد الطباع، وأيّ فساد بعد أنْ قَلَبوا المعايير، فكرهوا ما يجب أنْ يُحب، وأحبوا ما يجب أن يكره؟ ولا أدلَّ على فساد طبائعهم من عبادتهم لحجر، وترْكهِم عبادة خالق السماوات والأرض.

ثم يقول تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللَّهِ كَثِيراً.. ﴾ [الحج: ٤٠]

---

(١) تفسير الشعراوي، ص/١٧٢٢

وفي آية أخرى يُبيِّن الحق سبحانه نتيجة انعدام هذا التدافع:﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ.. ﴾[البقرة: ٢٥١].

والفساد إنْ حدث بين الناس في حركة الحياة فيمكن أنْ يُعوَّض ويُتدارك، أما إنْ تعدّى الفساد إلى مُقوِّمات اليقين الإيماني في الأرض فَكرِه الناس ما يربطهم بالسماء، وهدموا أماكن العبادة، فهذه الطامة والفساد الذي لا صلاحَ بعده، فكأن الآيتين تصوران نوعاً من الإيغال في الفساد، والاتّضاع في الجرائم.

وتفسد الأرض حين ينعدم هذا التدافع، كيف؟ هَبْ أن ظالماً مستبداً في بلد ما يستعبد الناس ويمتصّ خيراتهم بل ودماءهم دون أنْ يردَّه أحد، لا شكَّ أن هذا سيُحدث في المجتمع تهاوناً وفوضى، ولن يجتهد أحد فوق طاقته، ولمن سيعمل وخيره لغيره؟ وهذا بداية الفساد في الأرض.

فإنْ قُلْنا: هذا فساد بين الناس في حركة حياتهم يمكن أنْ يصلح فيما بعد، فما بالك إن امتدَّ الفساد إلى أماكن الطاعات والعبادات، وقطع بين الناس الرباط الذي يربطهم بالسماء؟

إنْ كان الفساد الأول قابلاً للإصلاح، ففساد الدين لا يصلح، لأنك خرَّبْتَ الموازين التي كانت تُنظِّم حركة الحياة، فأصبح المجتمع بلا ميزان وبلا ضوابط يرجع إليها.

ونلْحظُ في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ.

. ﴾ [الحج: ٤٠] جاءت قضية عامة لكل الناس، فلم يخصْ طائفة دون أخرى، فلم يَقُلْ مثلاً: لولا دَفْع الله الكافرين بالمؤمنين، إنما قال مُطلْق الناس؛ لأنها قضية عامة يستوي فيها الجميع في كل المجتمعات.

كذلك جاءت كلمة (بعض) عامة؛ لتدل على أن كلاَ الطرفين صالح أن يكون مدفوعاً مرة، ومدفوعاً عنه أخرى، فَهُمْ لبعض بالمرصاد: مَنْ أفسد يتصدى له الآخر لِيُوقِفه عند حَدِّه، فليس المراد أن طائفة تدفع طائفة على طول الخط.

ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ.. ﴾[الزخرف: ٣٢] دون أنْ يُحدِّد أيّهما مرفوع، وأيهما مرفوع عليه؛ لأن كلاً منهما مرفوع في شيء، ومرفوع عليه في شيء آخر؛ ذلك لأن العباد كلهم عيال الله، لا يُحابي منهم أحداً على أحد.

انظر الآن إلى قوة روسيا في الشرق وقوة أمريكا في الغرب، إنهما مثال لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ.. ﴾ [الحج: ٤٠] فكلٌّ منهما تقف للأخرى بالمرصاد، ترقبها وترصُد تحركاتها وتقدّمها العسكري، وكأن الله تعالى جعلها لحماية سلامة الآخرين أنْ تقف كُلٌّ منهما موقفَ الحَذَر والخوف من الأخرى.

وهذا الخوف والترقُّب والإعداد هو الذي يمنع اندلاع الحرب بينهما، فما بالك لو قامت بينهما حرب أسفرت عن منتصر ومهزوم؟ لا بُدَّ أن المنتصر سيعيثُ في الأرض فساداً ويستبد بالآخرين، ويستشري ظُلْمه لعدم وجود مَنْ يُردِعه.

ومن رحمة الله بالمؤمنين أنْ يكيد الظالمين بالظالمين بكل ألوانهم وفنونهم، ويؤدِّب الظالم بمَنْ هو أشد منه ظُلْماً؛ ليظلّ أهلُ الخير بعيدين عن هذه المعركة، لا يدخلون طَرَفاً فيها؛ لأن الأخيار لا يصمدون أمام هذه العمليات، لأنهم قوم رِقَاق القلوب، لا تناسبهم هذه القسوة وهذه الغِلْظة في الانتقام.

اقرأ قول الله تعالى:﴿ وَكَذَالِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾[الأنعام: ١٢٩].

وهكذا يُوفِّر الله أهل الخير، ويَحْقِن دماءهم، ويُريح أولياءه من مثل هذه الصراعات الباطلة.

لذلك لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة دخولَ المنتصر، بعد أنْ أخرجه قومه منها، وبعد أنْ فعلوا به وبأصحابه الأفاعيل، كيف دخلها وهو القائد المنتصر الذي تمكَّن من رقاب أعدائه؟

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مُطأطيء الرأس، حتى لتكاد رأسه تلمس قربوس السرج الذي يجلس عليه، تواضعاً منه صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك قال أبو سفيان لما رأى رسول الله في هذا الموقف، قال للعباس: لقد أصبح مُلْك ابن أخيك عظيماً.

وبعد أن تمكَّن رسول الله من كفار مكة، وكان باستطاعته القضاء عليهم جميعهم، قال: " يا معشر قريش، ما تظنُّون أَنِّي فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء ".

فأيُّ رحمة هذه؟ وأيُّ لين هذا الذي جعله الله في قلوب المؤمنين؟ وهل مِثْل هذا الدين يُعارَض ويُنْصَرف عنه؟

إذن: يُسلِّط الحق – تبارك وتعالى – الأشرار بعضهم على بعض، وهذه آية نراها في الظالمين في كل زمان ومكان، ويجلس الأخيار يرقبون مثل هذه الصراعات التي يُهلِك الله فيها الظالمين بالظالمين.

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ.. ﴾ [الحج: ٤٠] صوامع جمع صومعة، وهي مكان خاصٌّ للعبادة عند النصارى، وعندهم مُتعبَّد عام يدخله الجميع هو الكنائس، أما الصَّومعة فهي مكان خاص لينفرد فيه صاحبه وينقطع للعبادة، ولا تكون الصَّوْمعة في حضر، إنما تكون في الجبال والأودية، بعيداً عن العمران لينقطع فيها الراهب عن حركة حياة الناس، وهي التي يسمونها الأديرة وتوجد في الأماكن البعيدة.

وقد حرم الإسلام الرهبانية بهذا المعنى؛ لأنها رهبانية ما شرّعها الله، كما قال سبحانه:﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَآءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا.. ﴾[الحديد: ٢٧].

ومعنى: ﴿ وَبِيَعٌ.. ﴾ [الحج: ٤٠] البِيعَ هي الكنائس.

فالحق – سبحانه وتعالى – مَا نَعَى عليهم الانقطاع للعبادة، لكن نعى عليهم انقطاعهم عن حركة الحياة، وأسباب العيش؛ لذلك قال:﴿ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا.. ﴾[الحديد: ٢٧].

وقد أباح الإسلام أيضاً الترهُّب والانقطاع للعبادة، لكن شريطة أن تكون في جَلْوة يعني: بين الناس، لا تعتزل حركة الحياة، إنما تعبَّد الله في كل حركة من حركات حياتك، وتجعل الله تعالى دائماً في بالك ونُصْب عينيك في كُلِّ ما تأتي، وفي كل ما تدَع، إذن: هناك فَرْق بين مَنْ يعبد الله في خَلْوته، ومَنْ يعبد الله في جَلْوته.

لذلك سيدنا عمر – رضي الله عنه – قال عن الرجل الذي لازم المسجد للعبادة وعرف أن أخاه يتكفّل به ويُنفق عليه، قال: أخوه أعبد منه. كيف؟

قالوا: لأنك تستطيع أنْ تجعل من كل حركة لك في الحياة عبادة، حين تُخلِص النية فيها لله عز وجل. ولك أن تقارن بين مؤمن وكافر، كلاهما يعمل ويجتهد لِيقُوتَ نفسه وأهل بيته، ويحيا الحياة الكريمة، وهذا هدف الجميع من العمل، لكن لو أن المؤمن اقتصر في عمله على هذا الهدف لاستوى مع الكافر تماماً.

إنما للمؤمن فوق هذا مقاصد أخرى تكمن في نيته وضميره، المؤمن يفعل على قَدْر طاقته، لا على قَدْر حاجته، ثم يأخذ ما يحتاج إليه ويُنفِق من الباقي ويتصدَّق على مَنْ لا يقدر على الحركة الحياتية.

لذلك يقول الحق سبحانه وتعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾[المؤمنون: ١ – ٤] هل يعني: مُؤدُّون فقط؟ لا، بل إن المؤمن يتحرك ويعمل ويسعى، وفي نيته مَنْ لا يقدر على السَّعْي والعمل، فكأنه يُقبل على العمل ويجتهد فيه، وفي نيته أنْ يعمل شيئاً لله بما يفيض عن حاجته من ناتج عمله وهذا ما يُميِّز المؤمن في حركة الحياة عن الكافر.

وأذكر مرة أننا جئنا من الريف في الشتاء في الثلاثينيات لزيارة سيدنا الشيخ الحافظ التيجاني، وكان مريضاً – رحمه الله ورضي الله عنه – وكان يسكن في حارة، وفضَّلنا أن نأخذ (تاكسي) يُوصِّلنا بدل أن نمشي في وَحْل الشتاء، وعند مدخل الحارة رفض سائق (التاكسي) الدخول وقال: إن أجرة التوصيل لا تكفي لغسيل السيارة وتنظيفها من هذا الوَحْل، وبعد إلحاح وافق وأوصلنا إلى حيث نريد، فأعطيناه ضِعْف أجرته، لكني قبل أن أنصرف قلتُ له: أنت لماذا تعمل على هذا (التاكسي) ولماذا تتعب؟ قال: من أجل مصالحي ومصالح أولادي، فقلت له: وما يُضيرك إنْ زِدْتَ على ذلك وجعلْتَ في نيتك أنْ تُيسِّر بعملك هذا على الناس؟ فاهتمّ الرجل ولبسته الكلمة فقال: والله لا اردُّ راكباً أبداً.

ومعنى:﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾[المؤمنون: ٤] لم يقل مؤدون؛ لأن﴿ فَاعِلُونَ ﴾[المؤمنون: ٤] تعني: أن نيتهم في الفعل أنْ يفعلوا على قَدْر طاقتهم ويجتهدوا لتوفير شيء بعد نفقاتهم يتصدقون منه.

إذن: حرَّم الإسلام الرهبانية التي تَحرِم المجتمع من مشاركة الإنسان فقال صلى الله عليه وسلم: " لا رهبانية في الإسلام " لأنه اعتبر كل حركة مقصودٍ منها صالحُ المجتمع كله حركةً إيمانية عبادية، ومن هنا كان العمل عبادة.

وقد وضع العلماء شروطاً لَمنْ أراد الانقطاع للعبادة: أولها: ألاَّ يأخذ نفقته من أحد، بمعنى أن يعمل أولاً لِيُوفِّر احتياجاته طوال فترة انقطاعه، وصدق (إقبال) حين قال:لَيْسَ زُهْداً تصوف من تقي فرَّ من غَمْرة الحيَاةِ بدينإنما يُعرَفُ التصَوفُ في الـ سُّوق بمالٍ ومَطْمعٍ وفُتُونثم يقول تعالى: ﴾ وَصَلَوَاتٌ.. ﴿ [الحج: ٤٠] وهذه لليهود يُسمُّون مكان التعبد: صَالوتاً. لكن، لماذا لم يرتبها القرآن ترتيباً زمنياً، فيقول: لهدمت صلوات وصوامع وبيع؟ قالوا: لأن القرآن يُؤرِّخ للقريب منه فالأبعد.

﴾ وَمَسَاجِدُ.. ﴿ [الحج: ٤٠] وهذه للمسلمين ﴾ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللَّهِ كَثِيراً.. ﴿ [الحج: ٤٠].

وما دام الحق سبحانه ذكر المساجد بعد الفعل ﴾ لَّهُدِّمَتْ.. ﴿ [الحج: ٤٠] فهذا دليل على أنه لا بُدَّ أن يكون للمسلمين مكان يُحكر للعبادة، وإنْ جُعِلَتْ الأرض كلها لهم مسجداً وطَهُوراً، ومعنى ذلك أنْ تصلي في أيِّ بقعة من الأرض، وإنْ عُدِم الماء تتطهر بترابها، وبذلك تكون الأرض مَحَلاً للعبادة ومَحَلاً لحركة الحياة وللعمل وللسَّعْي، فيمكنك أن

تباشر عملك في مصنعك مثلاً وتُصلِّي فيه، لكن الحق سبحانه يريد منا أن نُخصِّص بعض أرضه ليكون بيتاً له تنقطع منه حركة الحياة كلها، ويُوقَف فقط لأمور العبادة.

لذلك قال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ بنى لله مسجداً ولو كمِفْحَصِ قَطَاةٍ بنى الله له بيتاً في الجنة ".

فقوله تعالى: ﴿ لَّهُدِّمَتْ.. وَمَسَاجِدُ.. ﴾ [الحج: ٤٠] تدل على مكان خاص للعبادة وإلاَّ لو اعتُبِرَتْ الأرضُ كلها مسجداً، فماذا تهدم؟

وعليه، فكل مكان تُزاوَل فيه أمورٌ غير العبادة لا يُعتبر مسجداً، كأماكن الصلاة التي يتخذونها تحت العمارات السكنية، هذه ليست مساجد، والصلاة فيها كالصلاة في الشارع وفي البيت؛ لأن المسجد (مكان) وما يُبنى عليه (مكين).

والمسجدية تعني: المكان من الأرض إلى السماء، بدليل أننا في بيت الله الحرام نصلي فوق سطح المسجد، ونتجه لجوِّ الكعبة، لا للكعبة ذاتها، لماذا؟ لأن جَوَّ الكعبة إلى السماء كعبة، وكذلك لو كنا في مخابيء أو في مناجم تحت الأرض؛ لأن ما تحت الكعبة من الأرض كعبة. وكذلك في المسْعَى مَسْعَى.

إذن: المسجد ما حُكِر للعبادة، وخُصِّص للمسجدية من أرضه إلى سمائه، وهذا لا يُمارس فيه عمل دنيوي ولا تُعقد فيه صفقة.. إلخ.

أما أنْ نجعل المسجد تحت عمارة سكنية، وفوق المسجد مباشرة يباشر الناس حياتهم ومعيشتهم بما فيها من هَرج ولَهْو، حلال وحرام، وطهارة ونجاسة، ومعاشرة زوجية.. إلخ فهذا كله يتنافى مع المسجدية التي جعلها الله حِكْراً للعبادة من الأرض إلى السماء. فلنُسَمِّ هذه الأماكن: مُصلّى. ولا نقول: مسجد.

ثم يصف الحق سبحانه المساجد بقوله: ﴿ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللَّهِ كَثِيراً.. ﴾ [الحج: ٤٠] لأن ذِكْر الله في المساجد دائم لا ينقطع، ونحن لا نتحدث عن مسجد، ولا عن مساجد قُطْر من الأقطار، إنما المراد مساجد الدنيا كلها من أقصى الشرق لأقصى الغرب، ومن الشمال للجنوب.

ولو نظرتَ إلى أوقات الصلوات لرأيتَ أنها مرتبطة بحركة الفلك وبالشمس في الشروق، وفي الزوال، وفي الغروب، وباعتبار فارق التوقيت في كل بلاد الله تجد أن ذِكْر الله دائم لا ينقطع أبداً في ليل أو نهار، فأنت تُؤذِّن للصلاة، وغيرُك يقيم، وغيركما يصلي، أنت تصلي الظهر، وغيرك يصلي الصبح أو العصر، بل أنت في الركعة الأولى من الصبح، وغيرك في الركعة الثانية، أنت تركع وغيرك يسجد.

إذن: هي منظومة عبادية دائمة في كل وقت، ودائرة في كل مكان من الأرض، فلا ينفكّ الكون ذاكراً لله. أليس هذا **ذِكْراً كثيراً؟** أليستْ كلمة (الله أكبرُ) دائرة على ألسنة الخلق لا تنتهي أبداً؟

ثم لما كان دَفْع الله الناسَ بعضهم ببعض ينتج عنه معركة تُسْفر عن منتصر ومنهزم، قال سبحانه: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ.. ﴾ [الحج: ٤٠] فإنْ كان التدافع بين الكفار فإنه لا ينتهي، وإنْ كان بين حقٍّ لله وباطل حكم الله بأنه باطل لا بُدَّ أن تنتهي بنُصْرة الحق، وغالباً لا تطول هذه المعركة؛ لأن الحق دائماً في حضانة الله، إنما تطول المعارك بين باطل

وباطل، فليس أحدهما أَوْلَى بنُصْرة الله من الآخر، فيظل كل منهما يطحن في الآخر، وإنْ لم تكن حرباً ساخنة كانت حرباً باردة، لماذا؟ لأنه لا يوجد قويٌّ لا هوى له يستطيع أن يفصل فيها، وطالما تدخّل الهوى تستمر المعركة.

يبقى في القسمة العقلية المعركة بين حق وحق، وهذه لا وجودَ لها؛ لأن الحق واحد في الوجود، فلا يمكن أنْ يحدث تصادم أبداً بين أهل الحق.

والحق – تبارك وتعالى – في نُصْرته لأوليائه يستطيع أن ينصرهم دون حرب، ويُهلك أعداءهم، لكن الحق سبحانه يريد أنْ يأخذوا هم بأسباب النصر؛ لذلك يُعلّمهم أصول هذه المسألة، فيقول سبحانه:﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّا إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّا تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ اللَّهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَاكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ.. ﴾[محمد: ٤].

ومعنى﴿ أَثْخَنتُمُوهُمْ.. ﴾[محمد: ٤] يعني: جعلتموهم لا يقدرون على الحركة﴿ فَشُدُّواْ الْوَثَاقَ.. ﴾[محمد: ٤] لا تُجهزوا عليهم، ولا تقتلوهم، إنما شُدُّوا قيودهم واستأسِروهم، وهذه من رحمة الإسلام وآدابه في الحروب، فليس الهدف القتل وإزهاق الأرواح ثم﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً.. ﴾[محمد: ٤] مَنّاً إنْ كان هناك تبادل للأسرى. فأنت تمنُّ وهو يمنُّ. والفداء أنْ يفدي نفسه.

وكانت هذه المسألة حجة لنا حينما نتحدث عن الرقِّ في الإسلام، ونرد على هؤلاء الذين يحلو لهم اتهام الإسلام، ويستخدمون في ذلك السفسطة والمراوغة اللغوية لإقناع الناس بأن الإسلام ساهم في نِشْر الرقِّ والعبودية.

ونقول: لقد جاء الإسلام والرق موجود ومنتشر لم يُشرّعه الإسلام، ولم يُوجِدْه بداية، حيث كانت أسباب الرق كثيرة، وأسباب الاستعباد متعددة: فَمنْ تحمّل دَيْناً وعجز عن سدادة يُسْتعبد لصاحب الدين، ومَنْ عمل ذنباً وخاف من عقوبته أخذوه عبداً، ومَنْ اختطفه الأشرار في الطريق جعلوه عبداً.. إلخ.

فلما جاء الإسلام عمل على سَدِّ منابع الرقِّ هذه، وجعل الرقَّ مقصوراً على الحرب المشروعة. ثم فتح عدة مصارف شرعية للتخلُّص من الرق القائم، حيث لم يكُنْ موجوداً من أبواب العتق إلا إرادة السيد في أنْ يعتق عبده، فأضاف الإسلام إلى هذا الباب أبواباً أخرى، فجعل العتق كفارة لبعض الذنوب، وكفارة لليمين، وكفارة للظِّهار، وحثَّ على الصدقة في سبيل العتق، ومساعدة المكاتب الذي يريد العتق ويسعى إليه.. إلخ.

فإذا لم تعتق عبدك، فلا أقل من أن تطعمه من طعامك، وتُلْبسه من ملبسك، ولا تُحمِّله ما لا يطيق، وإنْ حمَّلْته فأعِنْه، وكما يقول النبي صلى الله عليه وسلم " إنما هم إخوانكم ".

ونلاحظ على الذين يعيبون على الإسلام مسألة الرقِّ في الحروب أنهم يقارنون بين الرّق والحرية، لكن المقارنة هنا ليستْ كذلك، المقارنة هنا بين الرق والقتل؛ لأنه لا يُسترقّ إلا مَنْ قدر المسترقُّ عليه وتمكَّن منه في المعركة، وكان باستطاعته قَتْله، لكن رحمة الله بعباده منعتْ قتله، وأباحت أَخْذه رقيقاً، فالنفعية للمقاتل المنتصر يقابلها حَقْن دم الآخر، ثم بعد انتهاء الحرب نحثُّ على عتقه، ونفتح له أبواب الحرية.

إذن: لا تقارن بين عبد وحر، إنما قارن بين العبودية والقتل: أيهما أقلّ ضرراً؟

لذلك قال تعالى:

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ١٤ - ١٥].

هذه نتائج سِتٌّ للأمر﴿ قَاتِلُوهُمْ.. ﴾[التوبة: ١٤] وجواب الأمر مجزوم بالسكون كما في (يُعذِّبْهم) ومجزوم بحذف حرف العلة كما في (وَيُخْزِهِم)، والخزي لأنهم كانوا مغترين بقوتهم، ولديهم جبروت مفتعل، يظنون أَلاَّ يقدر عليهم أحد، وكذلك في: ينصركم، ويشف، ويذهب.

ثم قطع السياقُ الحكمَ السابق، واستأنف كلاماً جديداً، وإنْ كان معطوفاً على ما قبله في اللفظ، وهذا مظهر من مظاهر الدقة في الأداء القرآني، ومَلْحَظ لرحمة الله تعالى حتى بالكفار، فقال تعالى:﴿ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ.. ﴾[التوبة: ١٥] هكذا بالرفع، لا بالجزم فقطع الفعل (يتوب) عما قبله؛ لأن الله تعالى لم يشأ أن يشرِّك بينهم حتى في جواب الأمر.

وحتى على اعتبار أنهم هُزِمُوا، وكُسِرت شوكتهم، وضاعتْ هيبتهم، لعلهم يفيقون لأنفسهم، ويعودون للحق، وهذه من رحمة بالكافرين في معاركهم مع الإيمان.

لكن، لماذا يتوب الله على الكفار ويرحمهم وهم أعداء دينه وأعداء نبيه؟ قالوا: لأنه سبحانه وتعالى ربهم وخالقهم، وهم عباده وعياله، وهو أرحم بهم، ومرادات الله في الخَلْق أن يكونوا جميعاً طائعين.

لذلك، يقول سبحانه في الحديث القدسي: " قالت السماء: يا رب ائذن لي أن أسقط كسفاً على ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك، وقالت الأرض: يا رب ائذن لي أن أخسف بابن آدم فقد طَعِم خيرك ومنع شكرك، وقالت الجبال: يا رب ائذن لي أن أسقط على ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك، وقالت البحار: يا رب ائذن لي أن أغرق ابن آدم فقد طعم خيرك ومنع شكرك " ".

فالكون كله ناقم على الكافرين، متمرد على العصاة، مغتاظ منهم، فماذا قال الحق - تبارك وتعالى - لهم؟ قال سبحانه: " دعوني وخَلْقي، لو خلقتموهم لرحمتموهم، فإنْ تابوا إليَّ، فأنا حبيبهم، وإنْ لم يتوبوا فأنا طبيبهم ".

نعود إلى قوله تعالى: ﴾ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ.. ﴿ [الحج: ٤٠] وما دام أن النصر من عند الله فإياكم أنْ تبحثوا في القوة أو تقيسوا قوتكم بقوة عدوكم، فلربك عز وجل جنود لا يعلمها إلا هو، ووسائل النصر وأنت في حضانة الله كثيرة تأتيك من حيث لا تحتسب وبأهْون الأسباب، أقلّها أن الله يُريكم أعداءكم قليلاً ويُكثِّر المؤمنين في أعين الكافرين ليفتَّ ذلك في عَضُدهم ويُرهبهم ويُزعزع معنوياتهم، وقد يحدث العكس، فيرى الكفار المؤمنين قليلاً فيجترئون عليهم، ويتقدمون، ثم تفاجئهم الحقيقة.

إذن:﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ.. ﴾[المدثر: ٣١] فلا تُعوِّل فقط على قوتك وتحسب مدى تكافُئِك مع عدوك، دَعْكَ من هذه الحسابات، وما عليك إلا أنْ تستنفد وسائلك وأسبابك، ثم تدع المجال لأسباب السماء.

وأقلُّ جنود ربك أنْ يُلقي الرعب في قلوب أعدائك، وهذه وحدها كافية، ويُرْوى أنهم في إحدى المعارك الإسلامية تغيرت رائحة أفواه المسلمين، وأحسُّوا فيها بالمرارة لطول فترة القتال، فأخرجوا السواك يُنظِّفون أسنانهم، ويُطيِّبون أفواههم، عندها قال الكفار: إنهم يسنُّون أسنانهم ليأكلونا، وقذف الله في قلوبهم الرعب من حيث لا يدرون.

ثم يقول تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] عزيز: يعني لا يُغلب، وما دام أن الله تعالى ينصر مَنْ نصره فلا بُدَّ أن تنتهي المعركة بالنصر مهما خارتْ القوى ومهما ضَعُفتْ، ألم يكُن المسلمون في مكة ضعفاء مضطهدين، لا يستطيع واحد منهم أن يرفع رأسه بين الكفار؟

ولما نزل قول الله تعالى وهم على هذه الحال:﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[القمر: ٤٥] تعجب عمر بفراسته وعبقريته: أيُّ جمع هذا الذي سيُهزم ونحن غير قادرين حتى حماية أنفسنا؟ فلما رأى يوم بدر قال: صدق الله﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾[القمر: ٤٥].

فما دام أن الله قوي عزيز فلا بُدَّ أن ينصركم، وهذه مسألة محكوم بها أزلاً:﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي.. ﴾[المجادلة: ٢١].

فإذا تمَّتْ لكم الغَلَبة، فاعلموا أن لك دَوْراً، ألاَ وهو: ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ.. ﴾

.

". (١)

"

أمرنا ربنا سبحانه بذكره **ذِكْراً كثيراً**؛ لأن الذكْر عمدة العبادات وأيسرها على المؤمن؛ لذلك نجد ربنا يأمرنا به عند الانتهاء من العبادات كالصلاة والصيام والحج، وجعله سبحانه أكبر فقال﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ... ﴾[العنكبوت: ٤٥].

والذكر شغل الذاكرة، وهي منطقة في المخ، قُلْنا: إن المعلومة يستقبلها الإنسان في بؤرة شعوره، فإذا أراد أنْ يحفظ بها لحين الحاجة إليها حفظها في الحافظة، أو في حاشية الشعور، فأنت مثلاً ترى شخصاً فتقول: هذا الرجل لم أَرَهُ منذ عشرين سنة، وآخر مرة رأيته كان في المكان الفلاني.

إذن: الذكر لشيء كان موجوداً في بؤرة الشعور، الذكر يعني قضية موجودة عندك بواقع كان لها ساعة وجودها، لكن حصلتْ عنها غفلة نقلتها إلى حاشية الشعور أو الحافظة، بعد ذلك نريد منك ألا تنساها في الحاشية أو في منطقة بعيدة بحيث تحتاج إلى مجهود لتذكرها، إنما اجعلها دائماً في منطقة قريبة لك، بحيث يسهل عليك تذكُّرها دون عناء.

وكذلك ينبغي أنْ يكون ذكرك لله، فهو القضية الحيوية التي ينبغي أنْ تظلَّ على ذِكْر لها دائماً وأبداً، وكيف تنسى ذكر ربك وقد أخذ عليك العهد، وأنت في عالم الذرِّ، وأخذ منك الإقرار بأنه سبحانه ربُّك، الحق سبحانه خلق العقل

(١) تفسير الشعراوي، ص/٢٦١٧

ليستقبل المعلومات بوسائل الإدراك، كما قال تعالى:﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[النحل: ٧٨].

فكأن السمع والبصر هما عُمْدة الحواسِّ، وبهما نعلم ما لم نكُنْ نعلمه حين نزولنا من بطون أمهاتنا، ونحن حين نستقبل المعلومات يظن بعض الناس أن الناس يختلفون في ذلك ذكاء وبلادةً، فواحد يلتقط المعلومة من مرة واحدة، وآخر يحتاج إلى أنْ تعيدها له عدة مرات.

والواقع أن العقل مثل آلة (الفوتوغرافيا) يلتقط المعلومة من مرة واحدة شريطةَ أن يكون خالياً ومستعداً لاستقبالها غير مشغول بغيرها؛ لأن بؤرة الشعور لا تسع ولا تستوعب إلا فكرة واحدة، وهذه المسألة تناولناها في قوله تعالى:﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ... ﴾[الأحزاب: ٤].

فالإنسان الذكي هو الذي لا يشغل باله بأمرين في وقت واحد، ولا يفكر في شيء وهو بصدد شيء آخر، فإذا كانت بُؤْرة الشعور خالية فالناس جميعاً سواسية في التقاط المعلومة.

لذلك، المدرس الموفّق هو الذي يستطيع أنْ يجتذب إليه انتباه التلاميذ، ولا يعطيهم الفرصة للانشغال بغير الدرس، وهذا لا يتأتى إلا بالتلطُّف إليهم وإشراكهم في الدرس بالأسئلة من حين لآخر، ليظل التلميذ متوقعاً لأنْ يسألَ فلا ينشغل، لذلك رأينا أن الطريقة الحوارية هي أنجح طرق التدريس، أما طريقة سَرْد المعلومات فهي تجعل المدرس في وادٍ والتلاميذ في واد آخر، كل منهم يفكر في شيء يشغله.

وسبق أنْ قُلْنا: إن الطالب حين يعلم بأهمية درس من الدروس فيذاكره وهو ذاهب للامتحان وهو يصعد السلم إذا جاءه هذا الدرس يجيب عنه بنصه، لماذا؟ لأنه ذاكره في الوقت الحرج والفرصة ضيقة لا تحتمل انشغالاً ولا تهاوناً، فيلتقط العقل كل كلمة ويُسجِّلها، فإنْ أراد استرجاعها جاءت كما هي، لماذا؟ لأنها صادفتْ العقل خالياً غير مشغول.

وتأمل عظمة الخالق سبحانه في مسألة التذكُّر، فالذاكرة جزء صغير في المخ، فكيف بالطفل الصغير الذي لا يتجاوز الثامنة يحفظ القرآن كاملاً ويُعيده عليك في أيِّ وقت، ونحن نتعجب من شريط التسجيل الذي يحفظ لنا حلقة أو حلقتين.

والقرآن ليس حفظاً فحسب، إنما معايشة، فحروف القرآن ملائكة، لكل حرف منه ملك، والملَك يحب مَنْ يودُّه، فإذا كنتَ على صلة بالقرآن تكثر من تلاوته، فكأنك تود الملائكة، فساعة تريد استرجاع ما حفظت تراصتْ لك الملائكة، وجرى القرآن على لسانك. فإنْ هجرْته هجرك، وتفلَّت من ذاكرتك؛ لذلك حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هجر القرآن، فقال: " تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشدُّ تفصياً من الإبل في عقلها ".

وسبق أنْ قُلْنا: إن الذكر هو العبادة الوحيدة التي لا تكلفك شيئاً، ولا تُعطل جارحة من جوارحك، ولا يحتاج منك إلى وقت، ولا إلى مجهود، وليس له وقت مخصوص، فمَنْ ذكر الله قائماً وذكر الله قاعداً وذكر الله على جَنْبه عُدَّ من الذاكرين – هذا بالنسبة لوضعك – ومَنْ ذكر الله بُكْرة، وذكر الله أصيلاً، أو غدواً وعشياً، أصبح من الذاكرين – هذا بالنسبة للزمان.

ومن قال: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حْولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثلاثين مرة في اليوم كُتِبَ من الذاكرين، ومَنِ استيقظ ليلاً فأيقظ أهله، وصلَّى ركعتين فهو من الذاكرين.

إذن: فذِكْر الله مسألة سهلة تستطيع أنْ تذكر الله، وأنت تعمل بالفأس، أو تكتب بالقلم، تذكر الله وأنت تأكل أو تشرب.. إلخ فذكر الله وإنْ كان أكبر إلا أنه على المؤمن سهل هَيِّن.

وقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٤٢] التسبيح: هو التقديس، والتقديس هو التنزيه، فعن أيِّ شيء نُنزه الله؟ قالوا: ننزه الله في ذاته، وفي أفعاله، وفي صفاته، فالله تعالى له وجود، ولك أنت وجود، وللنهر وللجبل وجود، لكن وجوده تعالى ليس كوجود ما سواه، وجوده تعالى عن غير عدم، أما وجود ما سواه فوجود عن عدم، هذا في الذات.

أما في الأفعال، فالله تعالى له فِعْل كما أن لك فعلاً، لكن نزِّه ربك أنْ يكون فعله كفعلك، وهذا ما قلناه في حادثة الإسراء والمعراج، وفي الفرق بين سَرَى وأسرى به، فإذا كان الفعل لله تعالى فلا تنظر إلى الزمن لأنه ليس فعلك أنت، بل فعلْ الله، وفعل الله بلا علاج، إنما يقول للشيء: كُنْ فيكون.

وقلنا: إنه حتى في طاقات البشر نجد الفعل يأخذ من الزمن على قدر قوة فاعله، فالولد الصغير ينقل في ساعة ما ينقله الكبير في دقيقة، فلو قِسْتَ فعلَ الله بقدرته تعالى وجدت الفعل بلا زمن.

كذلك نُنزه الله في صفاته، فالله تعالى له سمع نُزِّه أن يكون كسمعك، وله وجه نُزِّه أنْ يكون كوجهك.. إلخ كل هذا في إطار﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ... ﴾[الشورى: ١١].

وحين تستعرض آيات التسبيح في القرآن تجدها كثيرة، لكن للتسبيح طابع خاص إذا جاء في استهلالات السور، ففي أول الإسراء:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ... ﴾[الإسراء: ١].

فبدأت السورة بتنزيه الله لما تحتويه من أحداث عجيبة وغريبة؛ لذلك قال بداية﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ... ﴾[الإسراء: ١] فالله له التسبيح والتقديس ثابت قبل أنْ يفعل، وسبحان الله قبل أنْ يوجد المسبِّح، كما أنه تعالى خالق قبل أنْ يوجد من خلق، فهو بالخالقية فيه أولاً خلق، كما قلنا في الشاعر: تقول فلان شاعر، هل لأنك سمعت له قصيدة أم هو شاعر قبل أن يقولها؟ هو شاعر قبل أنْ يقولها، ولولا أنه شاعر ما قال:

والمتتبع لألفاظ التسبيح في القرآن يجد أنه ثابت لله تعالى قبل أن يخلق المسبِّحين في قوله﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ.. ﴾[الإسراء: ١] ثم بعد أن خلق الله الخَلْق﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ... ﴾[الحشر: ١].

وما يزال الخلق يُسبِّح في الحاضر:﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ... ﴾[الجمعة: ١] فتسبيح الله كان وما يزال إلى قيام الساعة، لذلك يأمر الحق سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ومعه أمته ألاَّ يخرج عن هذه المنظومة المسبِّحة، فيقول له:﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَىٰ ﴾[الأعلى: ١].

وجاء الأمر بذكر الله وبعد الأمر بتسبيحه تعالى، وكأنه يقول لك كلما ذكرته: نزِّهه ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، فمن مصلحتك في رحلة الحياة ألاَّ يكون لله مثيل ولا شبيه ولا نظير ولا نِدٌّ؛ لأن الجميع سيكونون تحت عَدْله سبحانه، فتنزيه الله لمصلحَتك أنت أيها المسبِّح.

وسبق أنْ ذكرنا في ذلك قول أهل الريف (اللي ملوش كبير يشتري له كبير) فوجود كبير فوق الجميع يحميك أنْ يتكبر أحد عليه، إذن: عظمته تعالى وكبرياؤه من أعظم النعم علينا، فساعة تُسبِّحه وتُنزِّهه أحمد الله لأنه مُنزَّه، أحمد الله أنه لا شريك له، وأن الناس جميعاً عنده سواء، أحمد الله لأن كلامه وأمره نافذ على الجميع، أحمد الله أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وليس بينه وبين أحد من خَلْقه نَسَب.

وكيف لا نذكر الله ولا نسبّحه ونحمده، وهو سبحانه الذي خلق الخَلْق، وقبل أنْ يخلقهم رتَّب لهم غاياتهم – والخَلْق: إيجاد على تقدير لغاية – بل وأعدَّ لهم ما يخدمهم، فطرأ الإنسان على كون مُعَدٍّ لاستقباله، فقبل أنْ يخلقه خلق له.

ثم ما كلفك بمنهجه مباشرة، إنما تركك تربع في نعمه، منذ ميلادك إلى سِنِّ البلوغ بدون تكليف، ومعنى البلوغ أنْ تصل سنَّ الرشد فتُقبل على الله بعقل وفكر، فالدين ليس تقليداً إنما عقدة واقتناع.

وسبق أنْ شبَّهنا نضج الإنسان بنضج الثمرة، فالثمرة لا تحلو إلا حين تنضج بذرتها، وتصير صالحة للإنبات إنْ زُرعت، وهذه من عظمة الخالق سبحانه، ولو أن الثمرة تحلو وتستوي قبل نُضْج بذرتها لأكلنا الثمار مرة واحدة، ولما انتفع بها أحد بعدنا، ومثَّلْنا لذلك ببذرة البطيخ إن وجدتها سوداء صلبة فاعلم أن ثمرتها استوت وحَلَتْ وصارتْ صالحة للأكل، وهذه المسألة جعلها الخالق سبحانه لحفظ النوع.

شيء آخر: بعد أن بلغتْ سنَّ التكليف، أجاءك التكليف مستوعباً لكل حركة في حياتك؟ أجاء قَيْداً لك؟ حين تتأمل مسائل التكليف تجدها في نطاق محدود أمرك الله فيه بافعل كذا ولا تفعل كذا، وهذه المنطقة لا تشغل أكثر من خمسة في المائة من حركة حياتك، وترك لك نسبة الخمسة والتسعين أنت حُرٌّ فيها، تفعل أو لا تفعل، فأيُّ عظمة هذه! وأيُّ رحمة التي يعاملنا بها ربنا عز وجل! وهذا إنْ دلَّ فإنما يدلُّ على حبِّ الخالق سبحانه لخَلْقه وصنعته. أفلا يستوجب ذلك منَّا ألاَّ نغفل عن ذكره، وأن نكثر من تسبيحه وشكره، في كل غدوة وعشية.

والأعظم من هذا كله أنه – سبحانه وتعالى – جعل ذِكْرك له وتسبيحك إياه لصالحك أنت، وفي ميزانك؛ لذلك قال في الآية التي بعدها: ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ... ﴾.

". (١)

" ٤١ – ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ ." (٢)

"﴿ اذكروا الله ﴾ تعالى بقلوبكم ذكرا دائما مؤديا إلى طاعته ، أو بألسنتكم **ذكرا كثيرا** بالدعاء والرغبة ، أو بالإقرار لهم بالربوبية والاعتراف بالعبودية .." (٣)

" ٤٢ – آل عمران

---

(١) تفسير الشعراوي، ص/٣٤٩٩

(٢) تفسير الجلالين، ص/٥٥٦

(٣) تفسير ابن عبد السلام، ٥/٤٦

يؤخره إلى أن يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد إذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيي وعيسى عليهما الصلاة والسلام بستة أشهر أو بثلاث سنين لأن ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم الآية اللهم إلا أن تكون المجاوبة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم في الصغر بموجب قولها المحكى والجعل إبداعى واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر أو بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين اولهما آية وثانيهما لى والتقديم لأنه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة إلى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ

قال آيتك إلا تكلم الناس أي أن لاتقدر على تكليمهم

ثلاثة أيام أي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وإنما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كأنه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك إلا عن شكرها وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال

إلا رمزا أي إشارة بيد أو رأس أو نحوهما وأصله التحرك يقال ارتمز أي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لأن الإشارة ليست من قبيل الكلام أو متصل على أن المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولاريب في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزا بفتحتين علىانه جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله ... متى ما تلقنى فردين ترجف ... روانف أليتيك وتستطارا ...

واذكر ربك أي في أيام الحبسة شكرا لحصول التفضل والإنعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية

كثيرا أي ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا

وسبح أي سبحه تعالى أو أفعل التسبيح

بالعشى أي من الزوال إلى الغروب وقيل من العصر إلى ذهاب صدر الليل

والإبكار من طلوع الفجر إلى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر اللساني كما أن المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ الإبكار بفتح الهمزة على انه جمع بكر كسحر وأسحار

وإذ قالت الملائكة شروع في شرح بقية أحكام اصطفاء آل عمران إثر الإشارة إلى نبذ من فضائل بعض أقاربهم أعنى زكريا ويحيى عليهما الصلاة والسلام لاستدعاء المقام إياهما حسبما أشير إليه وقرئ بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل علية الصلاة والسلام وقد مر ما فيه من الكلام وإذ منصوب بمضمر معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق أعنى قوله إذ قالت أمرأة عمران منصوب بناصبة فتدبر أي واذكر أيضا من شواهد اصطفائهم وقت قول الملائكة عليهم الصلاة والسلام

يا مريم وتكرير التذكير للإشعار بمزيد الاعتناء بما يحكى من أحكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فإنها من أحكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر مريم وهذة من باب التربية ." (١)

" سورة الحج ٤٠ ٤١ وقوله تعالى الذين أخرجوا من ديارهم في حيز الجر على أنه صفة للموصول الأول أو بيان له أو بدل منه أو في محل النصب على المدح أو في محل الرفع بإضمار مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة بغير حق متعلق بأخرجوا أي أخرجوا بغير ما يوجب إخراجهم وقوله تعالى إلا أن يقولوا ربنا الله بدل من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجبا للإقرار والتمكين دون الإخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقي الاستثناء منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكفارين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع لهدمت لخربت ابتسيلاء المشكرين على أهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع للرهابنة وبيع للنصارى وصلوات أي وكنائس لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل أصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا أي ذكرا كثيرا أو وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها وقيل صفة للأربع وليس كذلك فإن بيان ذكر الله عز و جل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الأفهام ولينصرن الله من ينصره أي وبالله ينصرن الله من ينصر أولياءه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم إن الله لقوي على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا يدافعه الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف من الله عز و جل للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم في الأرض وإعطائه إياهم زمام الأحكام منيء عن عدة كريمة على أبلغ وجه وألطفه وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أنه تعالى أثنى عليهم قبل أن يحدثوا من الخير ما أحدثوا قالوا وفيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأنه تعالى لم يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للأنصار والطلقاء وعن الحسن رحمه الله هم أمة محمد صلى الله عليه و سلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره ولله خاصة عاقبة الأمور فإن مراجعها إلى حكمه وتقديره فقط وفيه تأكيد للوعد بإظهار أوليائه وإعلاء كلمته ." (٢)

" الأحزاب ٢١ ٢٢ لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وإن يأت الاحزاب كرة ثانية يودوا لو أنهم بادون في الأعراب تمنوا أنهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب وقرئ بدي جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يساءلون أي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك أو يتساءلون الأعراب كما يقال رايت الهلال وتراءيناه فإن صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما أسندت إليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد الفاعل كما في المثال المذكورة ونظائره عن أنبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم

---

(١) تفسير أبي السعود، ٣٤/٢

(٢) تفسير أبي السعود، ١٠٩/٦

يرجعوا الى المدينة وكان قتال ما قاتلوا إلا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة خصلة حسنة حقها يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد او هو في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها لمن كان يرجو الله واليوم الاخر أي ثواب الله او لقاءه أو أيام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الاخر من أيام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل بدل من لكم والاكثرون على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله أي وقرن بالرجاء ذكر الله كثيرا أي **ذكرا كثيرا** أو زمانا كثيرا فإن المثابرة على ذكره تعالى تؤدي الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله ولما راى المؤمنون الاحزاب بيان لما صدر عن خلص المؤمنين عند اشتباه الشئون واختلاف الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم أي لما شاهدوهم حسبما وصفوا لهم قالوا هذا مشيرين الى ما شاهدوه من حيث هو من غير أن يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه فإنهما من أحكام اللفظ كما مر في قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وجعله إشارة الى الخطب او البلاء من نتائج النظر الجليل فتدبر نعم يجوز التذكير باعتبار الخبر بالذي هو ما وعدنا الله ورسوله فإن ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء الى قوله تعالى ألا إن نصر الله قريب وقوله وقوله سيشتد الامر باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله إن الاحزاب سائرون إليكم بعد تسع ليال أو عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله أي ظهر صدق خبر الله تعالى ورسوله أو صدقا في النصرة والثواب كما صدقا في البلاء وإظهار الاسم للتعظيم وما زادهم أي ما رأوه إلا إيمانا بالله تعالى وبمواعيده ." (١)

" الاحزاب ٣٩ ٤٢

الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا أو مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه في كل ما يأتون ويذرون لا سيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تأخذهم في ذلك لومة لائم ولا يخشون احدا الا الله في وصفهم بقصرهم الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر عنه من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم أي على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الولد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا الطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له لا لهم ولكن رسول الله أي كان رسولا لله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى انه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينهم وبينه فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص وخاتم النبيين أي كان آخرهم الذي ختموا به وقرىء بكسر التاء أي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وايا ما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم يكن هو خاتم النبيين كما يروي انه قال في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده عليهما السلام لان معنى كونه

(١) تفسير أبي السعود، ٩٧/٧

خاتم النبيين انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبيء قبله وحين ينزل انما ينزل عملا على شريعة محمد مصليا الى قبلته كأنه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته هذه الاحكام والحكم التي بينها لكم وكنتم منها في شك مريب يأيها الذين آمنوا اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس **ذكرا كثيرا** يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به بكرة واصيلا أي اول النهار واخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر الاوقات بل لابانة فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كأفراد التسبيح من بين الاذكار مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وقيل كلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة وقيل المراد بالتسبيح الصلاة ." (١)

" ١١ - أى أديت وفرغ منها فانتشروا في الأرض لإقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله أى الربح فالأمر للإطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع واذكروا الله كثيرا **ذكرا كثيرا** أو زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة لعلكم تفلحون كى تفوزوا بخير الدارين وإا رأوا تجارة أو لهوا أنفضوا إليها روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي عليه الصلاة و السلام يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشية أن يسبقوا إليه فما بقى معه عليه الصلاة و السلام إلا ثمانية وقيل أحد عشر وقيل إثنا عشر وقيل أربعون فقال عليه الصلاة و السلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لأنه المقصودة أو لأن الإنقضاض للتجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض الى اللهو وهو المذمون في نفسه وقيل تقديره إذا رأوا تجارة إنفضوا إليها أو لهوا أنفضوا إليه فحذف الثاني لدلالة الأول عليه وقرىء إليهما وتركوك قائما أى على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فإن ذلك نفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فإليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق عن النبي صلى الله عليه و سلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها في أمصار المسلمين ." (٢)

"ب- وروى ابن كثير عن أبي يعلى بسنده إلى جابر بن عبد الله أنه قال : « بينما النبي A يخطب يوم الجمعة ، فقدمت عيرٌ إلى المدينة ، فابتدرها أصحاب رسول الله A حتى لم يبق مع رسول الله A إلا اثنا عشر رجلاً ، فقال رسول الله A : » والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً « ونزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تجارة . . . ﴾ .

ج - وروى أبو حيان في تفسيره » البحر المحيط « في سبب هذا الانصراف أنَّ أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر ، فقدم (دحية) بعيرٍ تحمل ميرةً وكان من عُرْفِهم أن يدخل بالطبل والمعازف من درى بها . فدخلت بها فانفضوا إلى رؤية ذلك وسماعه ، وتركوه A قائماً على المنبر في اثني عشر رجلاً ، قال جابر : أنا أحدهم ، فنزلت ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تجارة . . . ﴾

---

(١) تفسير أبي السعود، ١٠٦/٧

(٢) تفسير أبي السعود، ٢٥٠/٨

.

وجوه القراءات

١- قرأ الجمهور ﴿ من يوم الجُمُعة ﴾ بضم الجيم والميم ، وقرأ الزهري والأعمش بضم الجيم وسكون الميم ﴿ الجُمْعة ﴾ وهي لغة تميم ، وقرأ أبو العالية والنخعي ﴿ الجُمَعة ﴾ بضم الجيم مع فتح الميم ، وهي ثلاث لغات .

قال الزجاج : من قرأ بتسكين الميم فهو تخفيف الجمعة لثقل الضمتين ، وأمّا فتح الميم فمعناها : الذي يجمع الناس ، كما تقول : رجلٌ لُعَنَة : يُكثر لعنة الناس ، وضُحَكَة : يكثر الضحك .

٢- قرأ الجمهور ﴿ انفضّوا إليها ﴾ بضمير المؤنث عائداً إلى التجارة ، وقرأ ابن أبي عَبْلة بضمير المذكّر ﴿ انفضّوا إليه ﴾ عائداً إلى اللهو .

قال الأخفش : وكلاهما جائز عند العرب ، وقرئ ﴿ انفضُّوا إليهما ﴾ بضمير التثنية عائداً إلى التجارة واللهو .

٣- قرأ الجمهور ﴿ فاسعوا إلى ذِكْرِ الله ﴾ وروي عن ابن مسعود وعمر أنهما كانا يقرآنها ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾ وقراءتهما محمولة على أنها وجه من وجوه التفسير ، لا أنها قراءة من القراءات وقد مرّ معك كلام القرطبي فتدبره .

وجوه الإعراب

١- قوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ للصلاوة مِن يَوْمِ الجمعة ﴾ (إذا) شرطية و (نودي) مبني للمجهول ، و (مِنْ) بمعنى (في) أي في يوم الجمعة كقوله تعالى : ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأرض ﴾ [فاطر : ٤٠] أي في الأرض .

وجوّز أبو البقاء كون (مِنْ) للتبعيض .

وفي » الكشاف « : هي بيان ل (إذا) وتفسير له ، وقد اعترض عليه في هذا ، والصحيح أنها بمعنى (في) .

٢- قوله تعالى : ﴿ واذكروا الله كَثِيراً . . . ﴾ . (اذكروا) فعل أمر مبني على حذف النون لأنّ مضارعه من الأفعال الخمسة ، والواو فاعل ، ولفظ الجلالة منصوب على التعظيم تأدباً ، و (كثيراً) صفة لمفعول مطلق محذوف تقديره : (ذكراً كثيراً) ، وقد صرح به في سورة الأحزاب في قوله تعالى :." [1]

"﴿ يأيها الذين آمَنُواْ اذكروا الله ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٤١ - ٤٢] .

٣- قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكُوكَ قَآئِماً ﴾ ، قائماً منصوب على الحال ، وصاحب الحال هو النبي A المشار إليه ب (تركوك) أيها النبيّ حال كونك قائماً .

٤- قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا عِندَ الله خَيْرٌ مِّنَ اللهو وَمِنَ التجارة . . . ﴾ (ما) اسم موصول مبتدأ ، و (خير) خبره ، والجملة (ما عند الله خير) مقول القول .

لطائف التفسير

اللطيفة الأولى : يوم الجمعة كان يسمى في الجاهلية يوم (العَروبة) . وأوّل من سمّاه جمعة (كعب بن لؤي) وروي في سبب تسميته أن أهل المدينة اجتمعوا قبل قدوم النبي A ، لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ، ونشكره ، فقالوا : يومُ

---

(١) تفسير آيات الأحكام، ص/٥٨٤

السبت لليهود ، ويوم الأحد للنصارى ، فاجعلوه يوم العَروبة ، فاجتمعوا إلى (أسعد بن زُرارة) فصلَّى بهم يومئذٍ ركعتين ، وذكّرهم ، فسميت الجمعة حين اجتمعوا إليه ، فذبح لهم شاة فتغدّوا وتعشّوا منها ، فهي أول جمعة كانت في الإسلام .

اللطيفة الثانية : في التعبير بقوله تعالى : ﴿ فاسعوا إلى ذِكْرِ الله ﴾ لطيفة وهي أنه ينبغي للمؤمن أن يقوم إلى صلاة الجمعة بجدٍّ ونشاط ، وعزيمة وهمَّة ، لأن لفظ (السعي) يفيد القصد والجدّ والعزة ، وليس المراد منه العَدْو في المشي فإنّ ذلك منهي عنه .

قال الحسن : « والله ما هو سعي على الأقدام ، ولكنّه سعي بالقلوب وسعي بالنيّة ، وسعي بالرغبة ، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاة إلاّ وعليهم السكينة والوقار » .

اللطيفة الثالثة : أُطلق لفظ البيع (وذروا البيع) وقصد به جميع أنواع المعاملة من بيع ، وشراء ، وإجارة ، وغيرها من المعاملات فهو على سبيل المجاز المرسل .

قال أبو حيان : « وإنما ذكر البيع من بين سائر المحرَّمات ، لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق ، إذ يكثر الوافدون من القرى إلى الأمصار ويجتمعون للتجارة إذا تعالى النهار ، فأُمروا بالبدار إلى تجارة الآخرة ، ونُهوا عن تجارة الدنيا حتى الفراغ من الصلاة » .

اللطيف الرابعة : كان السلف الصالح يقتدون برسول الله A في جميع أفعاله وحركاته وسكناته ، حتى ولوْ لم يدركوا السرّ فيه ، وذلك من فرط حبِّهم لرسول الله A ، فقد روي عن بعضهم أنه كان إذا صلَّى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ، ثم رجع إلى المسجد فصلَّى ما شاء الله تعالى أن يصلي ، فقيل له : لأيّ شيء تصنع هذا؟ قال : إني رأيت سيّد المرسلين A هكذا يصنع ، وتلا هذه الآية : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصلاوة ﴾ .

اللطيفة الخامسة : كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : « اللهمّ إني أجبتُ دعوتك ، وصلَّيتُ فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين » .." (١)

"" صفحة رقم ٢٠٣ "

والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا وإذ تقول للذأنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فأزواج أدعيآئهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبآ أحد من رجالكم ولاكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما يأيها

---

(١) تفسير آيات الأحكام، ص/٥٨٥

الذين ءامنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يأأيها النبى إنآ أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يأأيها الذين ءامنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يأأيها النبى إنآ أحللنا لك أزواجك اللاتىءاتيت أجورهن وما ملكت يمينك ممآ أفآء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فأزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجى من تشآء منهن وتؤوىإليك من تشآء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا." (١)

"" صفحة رقم ٢٦٣ "

(سقط : فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله **ذكرا كثيرا** لعلكم تفلحون ، وإذا رأوا تجارة أو لهو انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين)

هذه السورة مدنية . وقيل : مكية ، وهو خطأ ، لأن أمر اليهود وانفضاض الناس في الجمعة لم يكن إلا بالمدينة . ومناسبتها لما قبلها : أنه تعالى لما ذكر تأييد من آمن على أعدائهم ، أتبعه بذكر التنزيه لله تعالى وسعة ملكه وتقديسه ، وذكر ما أنعم به على أمة محمد (صلى الله عليه وسلم)) من بعثته إليهم ، وتلاوته عليهم كتابه ، وتزكيتهم ، فصارت أمته غالبة سائر الأمم ، قاهرة لها ، منتشرة الدعوة ، كما انتشرت دعوة الحواريين في زمانهم . وقرأ الجمهور :) الملك (بجره وجر ما بعده ؛ وأبو وائل ومسلمة بن محارب ورؤبة وأبو الدينار الأعرابي : بالرفع على إضمار هو ، وحسنه الفصل الذي فيه طول بين الموصوف والصفة ، وكذلك جاء عن يعقوب . وقرأ أبو الدينار وزيد بن علي : القدوس بفتح القاف ؛ والجمهور : بالضم .

الجمعة : (٢) هو الذي بعث . . . . .

(هو الذى بعث (الآية : تقدم الكلام في نظيرها في آل عمران وفي نسبة الأمي .

(وءاخرين (: الظاهر أنه معطوف على) الاميين (، أي وفي آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد ، وسيلحقون .

الجمعة : (٣) وآخرين منهم لما . . . . .

وقيل :) وءاخرين (منصوب معطوف على الضمير في) ويعلمهم (، أسند تعليم الآخرين إليه عليه الصلاة والسلام مجازا لما تناسق التعليم إلى آخر الزمان وتلا بعضه بعضا ، فكأنه عليه الصلاة والسلام وجد منه . وقال أبو هريرة وغيره : وآخرين هم فارس ، وجاء نصا عنه في صحيح البخاري ومسلم ، ولو فهم منه الحصر في فارس لم يجز أن يفسر به الآية ، ولكن فهم المفسرون منه أنه تمثيل . فقال مجاهد وابن جبير : الروم والعجم . وقال مجاهد أيضا وعكرمة ومقاتل : التابعين من أبناء

---

(١) تفسير البحر المحيط . (الكتب العلمية)، ٢٠٣/٧

العرب لقوله :) منهم (، أي في النسب . وقال مجاهد أيضا والضحاك وابن حبان : طوائف من الناس . وقال ابن عمر : أهل اليمن . وعن مجاهد أيضا : أبناء الأعاجم ؛ وعن ابن زيد أيضا : هم التابعون ؛ وعن الضحاك أيضا : العجم ؛ وعن أبي روق : الصغار بعد الكبار ، وينبغي أن تحمل هذه الأقوال على التمثيل ، كما حملوا قول الرسول (صلى الله عليه وسلم)) في فارس :) وهو العزيز الحكيم (في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم ، وتأييده واختياره من سائر البشر .

الجمعة : (٤) ذلك فضل الله . . . . . .

(ذالك فضل الله (: أي إيتاء النبوة وجعله خير خلقه واسطة بينه وبين خلقه .

الجمعة : (٥) مثل الذين حملوا . . . . .

(مثل الذين حملوا التوراة (: هم اليهود المعاصرون للرسول (صلى الله عليه وسلم)) ، كلفوا القيام بأوامرها ونواهيها ، ولم يطيقوا القيام بها حين كذبوا الرسول (صلى الله عليه وسلم)) ، وهي ناطقة بنبوته . وقرأ الجمهور : حملوا مشددا مبنيا للمفعول ؛ ويحي بن يعمرو وزيد بن علي : مخففا مبنيا للفاعل . شبه صفتهم بصفة الحمار الذي يحمل كتبا ، فهو لا يدري ما عليه ، أكتب هي أم صخر وغير ذلك ؟ وإنما يدرك من ذلك ما يلحقه من التعب بحملها . وقال الشاعر في نحو ذلك : زوامل للأشعار لا علم عندهم

بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري البعير إذا غدا

بأوساقه أو راح ما في الغرائر

وقرأ عبد الله : حمار منكرا ؛ والمأمون بن هارون : يحمل بشد الميم مبنيا للمفعول . والجمهور : الحمار معرفا ، ويحمل مخففا مبنيا للفاعل ، ويحمل في موضع نصب على الحال . قال الزمخشري : أو الجر على الوصف ، لأن الحمار كاللئيم في قوله :

ولقد أمر على اللئيم يسبني

انتهى .

وهذا الذي قاله قد ذهب إليه بعض النحويين ، وهو أن مثل هذا من المعارف يوصف بالجمل ، وحملوا عليه) وءاية لهم اليل نسلخ منه النهار (، وهذا وأمثاله عند المحققين في موضع الحال ، لا في موضع الصفة . ووصفه." [١]

"الصائمين أكثر أجرا ؟

قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله عز وجل ذكرا ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله ذكرا فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنه ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أجل) وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة " يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا" الآية إن شاء الله تعالى وقوله تعالى " أعد الله لهم مغفرة وأجرا

---

(١) تفسير البحر المحيط . (الكتب العلمية)، ٢٦٣/٨

عظيما " خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنة.
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦)

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة " الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فانكحيه قالت يا رسول الله أؤامر في نفسي ؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله " الآية قالت قد رضيته لي يا رسول الله منكحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت إذا لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسي وقال ابن لهيعة عن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله تعالى " وما كان لمؤمن ولا مؤمنة " الآية كلها وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل ابن حيان إنها نزلت في زينب بنت جحش رضي الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه امتنعت ثم أجابت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت ١٦٨@@@." [1]

"والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويأمرون به وينهون عنه مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسماوات .

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١)

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن لما لهم في ذلك من جزيل الثواب وجميل المآب قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد حدثني مولى بن عباس عن أبي بحرية عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما هو يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم ذكر الله عز وجل وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد مولى ابن عباس عن أبي بحرية واسمه عبد الله بن قيس البراغمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه به قال الترمذي ورواه بعضهم عنه فأرسله قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى " والذاكرين الله كثيرا والذاكرات

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٦٧/١١

" في مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عباس أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه فالله أعلم

١٨١@@@." (١)

"قال : إن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن أحمد حدثنا عقبة بن مكرم العمي حدثنا سعيد بن سفيان الجحدري حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن عقبة بن أبي شبيب الراسبي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذكروا الله **ذكرا كثيرا** حتى يقول المنافقون إنكم تراءون وقال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي سمعت أبا الوزاع جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا رأوه حسرة يوم القيامة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : " واذكروا الله **ذكرا كثيرا** " إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه فقال : " اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم " بالليل والنهار في البر والبحر وفي السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر

١٨٣@@@." (٢)

"وقد رواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية كذلك وروي مثله عن الربيع أيضا وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كما قاله سواء رواهما ابن أبي حاتم وقال أبو عيسى الترمذي وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا : صلاة الرب الرحمة وصلاة الملائكة الاستغفار ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو الأودي حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مرة قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبي رباح " إن الله وملائكته يصلون على النبي " قال صلاته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين وأن الملائكة تصلي عليه ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق عن جعفر يعني ابن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام هل يصلي ربك ؟ فناداه ربه عز وجل : يا موسى سألوك هل يصلي ربك فقل نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته " الآية

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٨٠/١١

(٢) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٨٢/١١

وقال تعالى : " وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم " الآية وفي الحديث إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف وفي الحديث الآخر اللهم صل على آل أبي أوفى ٢١١@@@." (١)

"بالمدينة بقرب المسجد .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول أن النداء كان في الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الإمام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به فأمر عثمان رضي الله عنه أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس .

وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر .

والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر في كتب الفروع وقوله تعالى " وذروا البيع " أي اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم .

وقوله تعالى" ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " أي ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أي في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون .

فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (١٠)

فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون

وقوله تعالى " فإذا قضيت الصلاة " أي فرغ منها" فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله " لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين رواه ابن أبي حاتم .

وروي عن بعض السلف أنه قال : من با ع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله " .

وقوله تعالى " واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون " أي حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة ولهذا جاء في الحديث" من دخل سوقا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له

٥٦٤@@@." (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٢١٠/١١

(٢) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ٥٦٣/١٣

"أعناقكم ؟" قالوا: بلى يارسول الله، قال صلى الله عليه وسلم "ذكر الله عز وجل".

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن رجلا سأله فقال: أي المجاهدين أعظم أجرا يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم: "أكثرهم لله تعالى ذكرا" قال: فأي الصائمين أكثر أجرا ؟ قال صلى الله عليه وسلم: "أكثرهم لله عز وجل ذكرا" ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة. كل ذلك يقول رسول الله: "أكثرهم لله ذكرا" فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أجل". وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ الآية، إن شاء الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرا عظيما وهو الجنة.

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا﴾

قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الآية، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بلى فانكحيه" قالت: يارسول الله أؤامر في نفسي ؟ فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا﴾ الآية، قالت: قد رضيته لي يارسول الله منكحا ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم" قالت: إذا لا أعصي رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنكحته نفسي.

وقال ابن لهيعة عن ابن أبي عمرة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة رضي الله عنه فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حسبا، وكانت امرأة فيها حدة، فأنزل الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الآية كلها، وهكذا قال مجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان أنها نزلت في زينب بنت جحش رضي الله عنها حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه، فامتنعت ثم أجابت. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها وكانت أول من هاجر من النساء، يعني بعد صلح الحديبية، فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: قد قبلت، فزوجها زيد بن حارثة رضي الله عنه – بعد فراقه زينب، فسخطت هي وأخوها وقالا: إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده، قال: فنزل القرآن ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا﴾ إلى آخر الآية، قال: وجاء أمر أجمع من هذا ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ قال: فذاك خاص وهذا أجمع.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه، قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستأمر أمها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "فنعم إذا"

قال: فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها، قالت: لاها الله ذا ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان، قال: والجارية في سترها تسمع، قال: فانطلق الرجل يريد أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقالت الجارية: أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره، إن كان قد رضيه لكم فأنكحوه، قال: فكأنها جلت عن أبويها، وقالا: صدقت فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن كنت رضيته فقد." (١)

"وحرموا حرامه" تفرد به الإمام أحمد.

ورواه الإمام أحمد أيضا عن يحيى بن إسحاق عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة لهيعة عن عبد الله بن سريج الخولاني عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، فذكر مثله سواء، والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب وأفاك دجال ضال مضل، لو تحرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرنجيات فكلها محال وضلال عند أولي الألباب كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها، وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾ الآية، وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسموات.

﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب. قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد، حدثني مولى ابن عياش عن أبي بحرية عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم" قالوا: وما هو يارسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم: "ذكر الله عز وجل" وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد مولى ابن عياش عن أبي بحرية واسمه عبد الله بن قيس البراغمي عن أبي

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٥٩١/٣

الدرداء رضي الله عنه به، قال الترمذي: رواه بعضهم عنه فأرسله. قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ في مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه، فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا فرج بن فضالة عن أبي سعيد الحمصي قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: دعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدعه: "اللهم اجعلني أعظم شكرك، وأتبع نصيحتك، وأكثر ذكرك، وأحفظ وصيتك"، ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى عن وكيع عن أبي فضالة الفرج بن فضالة عن أبي سعيد." [١]

"الحمصي عن أبي هريرة رضي الله عنه، فذكر مثله، وقال: غريب، وهكذا رواه الإمام أحمد أيضا عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن فرج بن فضالة عن أبي سعيد المري عن أبي هريرة رضي الله عنه، فذكره.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال: سمعت عبد الله بن بسر يقول: جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما: يارسول الله أي الناس خير ؟ قال صلى الله عليه وسلم: "من طال عمره وحسن عمله" وقال الآخر: يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فمرني بأمر أتشبث به، قال صلى الله عليه وسلم: "لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى" وروى الترمذي وابن ماجه الفصل الثاني من حديث معاوية بن صالح به، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا سريج، حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث قال: إن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون ". وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا عقبة بن مكرم العمي، حدثنا سعيد بن سفيان الجحدري، حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن عقبة بن أبي ثبيب الراسبي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذكروا الله **ذكرا كثيرا** حتى يقول المنافقون إنكم تراؤون".

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي، سمعت أبا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن)عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا رأوه حسرة يوم القيامة". وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه، فقال: ﴿يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. وقال عز وجل: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته، والأحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا، وفي هذه الآية الكريمة الحث على الإكثار من ذلك. وقد صنف الناس في الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالنسائي والمعمري وغيرهما. ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الأذكار

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٥٩٧/٣

للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله.

وقوله تعالى: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أي عند الصباح والمساء، كقوله عز وجل ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون﴾ وقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ هذا تهييج إلى الذكر، أي أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، كقوله عز وجل ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه" والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة، حكاه البخاري عن أبي العالية، ورواه أبو جعفر الرازي." (١)

"فقل: نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي، فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾. وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ الآية وقال تعالى: ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم﴾ الآية، وفي الحديث "إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف"، وفي الحديث الآخر "اللهم صل على آل أبي أوفى" وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة جابر وقد سألته أن يصلي عليها وعلى زوجها "صلى الله عليك وعلى زوجك"، وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصلاة عليه، وكيفية الصلاة عليه، ونحن نذكر منها إن شاء الله ما تيسر والله المستعان.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا سعيد بن يحي بن سعيد، أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى. عن كعب بن عجرة قال: قيل يارسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة ؟ قال: "قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد".

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن الحكم قال: سمعت ابن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية ؟ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: يا رسول الله قد علمنا أو عرفنا كيف السلام عليك، فكيف الصلاة ؟ فقال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد" وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة في كتبهم من طرق متعددة عن الحكم وهو ابن عتيبة، زاد البخاري وعبد الله بن عيسى كلاهما عن عبد الرحمن بن أبي ليلى فذكره.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفه، حدثنا هشيم بن بشير عن يزيد بن أبي زياد، حدثنا عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت ﴿﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٥٩٨/٣

، قال: قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك، قال: "قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم.إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد" وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول وعلينا معهم. ورواه الترمذي بهذه الزيادة، ومعنى قولهم أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد، الذي كان يعلمهم إياه كما كان يعلمهم السورة من القرآن، وفيه السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

(حديث آخر) قال البخاري: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث عن ابن الهاد عن عبد الله بن خباب، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله هذا السلام، فكيف نصلي عليك ؟ قال: " قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم" قال أبو صالح عن الليث: على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم. حدثنا إبراهيم بن حمزة، حدثنا ابن أبي حازم والدراوردي عن يزيد يعني ابن الهاد قال: كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم. وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث ابن الهاد به.

(حديث آخر) قال الإمام أحمد: قرأت على عبد الرحمن مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن عمرو." [١]

"لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله، كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين، رواه ابن أبي حاتم. وروي عن بعض السلف أن قال: من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة، ولهذا جاء في الحديث "من دخل سوقا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحي عنه ألف ألف سيئة" وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا.

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قآئما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قآئما﴾ أي على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين، منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر إلا القليل منهم، وقد صح بذلك الخبر فقال الإمام أحمد: حدثنا ابن إدريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال: قدمت عير مرة المدينة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلا فنزلت ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾ أخرجاه في الصحيحين

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٦١٢/٣

من حديث سالم به. وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير إلى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي نارا" ونزلت هذه الآية ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قآئما﴾ وقال: كان في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وفي قوله تعالى: ﴿وتركوك قآئما﴾ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما. وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال: كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس، ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو: أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة، كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل، حدثنا محمود بن خالد عن الوليد، أخبرني أبو معاذ بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين، حتى إذا كان يوم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب، وقد صلى الجمعة، فدخل رجل فقال: إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة، يعني فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير وقوله تعالى: ﴿قل ما عند الله﴾ أي الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ أي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته.

آخر تفسير سورة الجمعة ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق والعصمة.." (١)

"وقال (١) الإمام أحمد: حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن زياد بن أبي زياد -مولى عبد الله بن عياش (٢) بن أبي ربيعة -أنه بلغه عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما عمل آدمي عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله". وقال معاذ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم"؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "ذكر الله عز وجل" (٣) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن رجلا سأله فقال: أي المجاهدين أعظم أجرا يا رسول الله؟ فقال: "أكثرهم (٤) لله ذكرا". قال: فأي الصائمين أكثر أجرا؟ قال: "أكثرهم لله ذكرا". ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثرهم لله ذكرا". فقال أبو بكر لعمر، رضي الله عنهما: ذهب الذاكرون بكل خير. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أجل" (٥) .

وسنذكر بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ الآية [الأحزاب:٤١، ٤٢]، إن شاء الله تعالى.

وقوله: ﴿ أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ أي: هيأ لهم (٦) منه لذنوبهم مغفرة وأجرا عظيما وهو الجنة.

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٤٤١/٤

(١) في ت: "وروى".

(٢) في ف، أ: "عباس".

(٣) المسند (٥/٢٣٩).

(٤) في أ: "أكثرهم".

(٥) المسند (٣/٤٣٨) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٧٤) : "وفيه زبان بن فائد وهو ضعيف، وقد وثق، وكذلك ابن لهيعة، وبقية رجاله ثقات".

(٦) في ت، ف: "أعد لهم".." [1]

"فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل، ولو تخرق (١) وشعبذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرجيات (٢) ، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله، سبحانه وتعالى، على يد الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان، لعنهما الله. وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، [فكل واحد من هؤلاء الكذابين] (٣) يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من (٤) جاء بها. وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ الآية [الشعراء:٢٢١، ٢٢٢]. وهذا بخلاف الأنبياء، عليهم السلام، فإنهم في غاية البر والصدق (٥) والرشد والاستقامة [والعدل] (٦) فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسموات.

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) ﴾

(١) في أ: "تمخرق".

(٢) في أ: "النيرنجيات".

(٣) زيادة من أ.

(٤) في أ: "ما".

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٦/٤٢١

(٥) في أ: "الصدقة".

(٦) زيادة من أ.." [(١)]

"قلت: وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى: ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ﴾ في مسند [الإمام] (١) أحمد، من حديث زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش: أنه بلغه عن معاذ بن جبل، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنحوه، فالله أعلم.

وقال (٢) الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا فرج بن فضالة، عن أبي سعد الحمصي قال: سمعت أبا هريرة يقول: دعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدعه: "اللهم، اجعلني أعظم شكرك، وأتبع نصيحتك، وأكثر ذكرك، وأحفظ وصيتك". (٣)

ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى، عن وكيع، عن أبي فضالة الفرج بن فضالة، عن أبي سعيد الحمصي، عن أبي هريرة، فذكر مثله وقال: غريب. (٤)

وهكذا رواه الإمام أحمد أيضا عن أبي النضر هاشم بن القاسم، عن فرج بن فضالة، عن أبي سعيد المدني (٥) عن أبي هريرة فذكره. (٦)

وقال (٧) الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن عمرو بن قيس قال: سمعت عبد الله بن بسر يقول: جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أحدهما: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: "من طال عمره وحسن عمله". وقال الآخر: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا (٨) ، فمرني بأمر أتشبث به. قال: "لا يزال لسانك رطبا بذكر الله" . (٩)

وروى الترمذي وابن ماجه [منه] (١٠) الفصل الثاني، من حديث معاوية بن صالح، به. (١١) وقال الترمذي: حسن غريب.

وقال (١٢) الإمام أحمد: حدثنا سريج (١٣) ، حدثنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث قال: إن دراجا أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون." (١٤)

وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا عقبة بن مكرم العمي، حدثنا سعيد بن سفيان (١٥) الجحدري، حدثنا الحسن بن أبي جعفر، عن عقبة بن أبي ثبيت (١٦) الراسبي، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذكروا الله **ذكرا كثيرا** [حتى] (١٧) يقول

---

(١) زيادة من أ.

(٢) في ت: "وروى".

(٣) المسند (٢/٤٧٧).

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٦/٤٣١

(٤) سنن الترمذي برقم (٣٦٠٤).

(٥) في أ: "المزني".

(٦) المسند (٢/٣١١).

(٧) في ت: "وروى".

(٨) في ت: "علي".

(٩) المسند (٤/١٩٠).

(١٠) زيادة من ف، أ.

(١١) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٥) وسنن ابن ماجه برقم (٣٧٩٣).

(١٢) في ت: "وروى".

(١٣) في أ: "شريح".

(١٤) المسند (٣/٦٨) وفيه دراج، عن أبي الهيثم ضعيف.

(١٥) في أ: "سفر".

(١٦) في أ: "سبب".

(١٧) زيادة من ت، ف، أ، والمعجم.." [1]

"المنافقون: تراءون." (١)

وقال (٢) الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي، سمعت أبا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله فيه، إلا رأوه حسرة يوم القيامة." (٣)

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ : إن الله لم يفرض [على عباده] (٤) فريضة إلا [جعل لها حدا معلوما، ثم] (٥) عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه، إلا مغلوبا على تركه، فقال: ﴿ فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ [النساء:١٠٣] ، بالليل والنهار، [في البر والبحر] (٦) ، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال: ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته.

والأحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله كثيرة جدا، وفي هذه الآية الكريمة الحث على الإكثار (٧) من ذلك. وقد صنف الناس في الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالنسائي والمعمري وغيرهما (٨) ، ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الأذكار للشيخ محيي الدين النووي، رحمه الله تعالى (٩)

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٦/٤٣٢

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٦٩/١٢) وقال الهيثمي في المجمع (٧٦/١٠): "فيه الحسين بن أبي جعفر الجعفري وهو ضعيف".

(٢) في أ: "زاده".

(٣) المسند (٢٢٤/٢) وقال الهيثمي في المجمع (٨٠/١٠): "رجاله رجال الصحيح".

(٤) زيادة من ت، ف، أ.

(٥) زيادة من ت، ف، أ.

(٦) زيادة من ت، ف، أ.

(٧) في أ: "الإكثرار".

(٨) في ت: "والمعمري والكلم الطيب لشيخ الإسلام وغيرهم".

(٩) وقد طبع كتاب الأذكار بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في دار الهدى وعليه تخريج لابن علان اسمه: "الفتوحات الربانية" طبع في الهند.

هذا وقد جاء في نسخة "ت" بعد هذه الفقرة ما يلي:

"فذكر الله أصل موالاة الله، عز وجل، ورأسها. والغفلة أصل معاداته ورأسها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه ويعاديه. قال الله تعالى: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله، فالذكر جلاب النعم دفاع النقم. قال تعالى: (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) وفي القراءة الأخرى: (يدافع عن الذين آمنوا) فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله ومادة الإيمان وقوته بذكر الله، فمن كان أكمل إيمانا وأكثر ذكرا كان دفاع الله عنه، ودفعه أعظم. ومن نقص نقص ذكر بذكر ونسيان بنسيان، وقال تعالى: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) والذكر رأس الشكر، والشكر جلاب النعم، موجب للمزيد. قال بعض السلف: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن برك. ومجالس الذكر رياض الجنة كما روى ابن أبي الدنيا من حديث جابر، عن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "يأيها الناس ارتعوا في رياض الجنة" قلنا يا رسول الله: وما رياض الجنة؟ قال: "مجالس الذكر"، ثم قال: "اغدوا وروحوا فاذكروا فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه". فمجالس الذكر مجالس الملائكة كما في الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلم إلى حاجتكم، فتحف بأجنحتها إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: وهل رأوني؟ قال: يقولون: لا والله يا ربنا ما رأوك، فيقول: كيف لو أنهم رأوني؟ قال: فيقولون: لو أنهم رأوك كانوا أشد عبادة وأشد تحميدا وتمجيدا، وأكثر تسبيحا، فيقول: ما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا ربنا ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد حرصا عليها، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، فيقول: مم يتعوذون؟ قال: فيقولون: من النار، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا ربنا ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟

فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: إن فيهم فلانا ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم"، فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم، فلهم نصيب من قوله: (وجعلني مباركا أينما كنت) [مريم:٣١] وإن الله، عز وجل، ليباهى بالذاكرين الملائكة، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك. قال: أما إني لم أسألكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل

عنه حديثا مني، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه. قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن علينا بك. قال: "آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟" قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك؟ قال: "أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة" فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى، دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له وأن له مزية على غيره من الأعمال.

والذكر نوعان: أحدهما: ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به وهذا أيضا نوعان: أحدهما: إنشاء الثناء بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور في الحديث نحو: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ونحو ذلك، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو: سبحان الله عدد خلقه، فهذا أفضل من مجرد سبحان الله، وقول: الحمد لله عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما خلق بينهما، وعدد ما هو خالق، أفضل من مجرد قولك: الحمد لله، وهذا في حديث جويرية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: "لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم، لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته". رواه مسلم. وفي الترمذي وسنن أبي داود عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح به، فقال: "أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟" فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك".

والنوع الثاني: الخبر عن الرب تبارك وتعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك: إن الله، عز وجل، يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا يخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم من آبائهم وأمهاتهم، وهو على كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد الواجد ونحو ذلك. وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى عليه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل كما قال: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، وهذا النوع أيضا ثلاثة أنواع: حمد، وثناء، ومجد.

فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله مع محبته والرضا عنه، ولا يكون المحب الساكت حامدا، ولا المثني بلا محبة حامدا، حتى يجمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئا بعد شيء، كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدا. قد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة فى أول سورة فاتحة الكتاب، فإذا قال العبد: (الحمد لله رب

العالمين) قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال: أثنى علي عبدي. وإذا قال: (مالك يوم الدين) قال: مجدني عبدي.

والنوع الثاني من الذكر: ذكر أمره ونهيه وأحكامه، وهذا أيضا نوعان: أحدهما: ذكره بذلك إخبارا عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا وأحب كذا وسخط كذا، والثاني: ذكره عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه، فذكر أمره ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر، فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه.

فائدة:

فهذا ذكره هو الفقه الأكبر، وما دونه من أفضل الذكر إذا صحت فيه النية، ومن ذكره تعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده، وهذا من أجل أنواع الذكر، فهذه خمسة أنواع، وهي تكون بالقلب واللسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة، ويصح المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويردع عن التقصير في الطاعة والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا ما من تلك الأثمار، وإن أثمر شيئا ما، فثمرته ضعيفة.

والذكر أفضل من الدعاء؛ لأن الذكر ثناء على الله، عز وجل، بجميل صفاته وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟ ولهذا جاء في الحديث: "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين". ولهذا كان مستحبا في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته كما جاء في حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد عجل هذا"، ثم دعاه فقال له أو لغيره: "إذا صلى أحدكم، فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو بما شاء ". رواه الإمام أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وهكذا دعا ذو النون الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" وفي الترمذي: دعوة أخي ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له". وهكذا عامة الأدعية النبوية، ومنه

قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الكرب: "لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم". ومنه حديث بريدة الأسلمي، رواه أهل السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو وهو يقول: اللهم أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فقال: "والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى". وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلي ثم دعا: اللهم أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي: "لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى" وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم، فكان ذكر الله والثناء عليه أنجح ما سأل به

حوائجه، فهذا من فوائد الذكر، وهو أنه يجعل الدعاء مستجابا فلهذا قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه، كان أبلغ في الإجابة وأفضل. فإنه يكون قد توسل إلى المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرض، بل صرح، بشدة حالته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه وأوصاف المسؤول مقتضى منه، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، فكان أبلغ وألطف موقعا وأتم معرفة وعبودية، وأنت ترى في الشاهد ولله المثل الأعلى أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره، وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب إلى قضاء حاجته من أن يقول له ابتداء أعطني كذا وكذا، فإذا عرف هذا فتأمل قول موسى، عليه السلام: (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) وقول ذي النون في دعائه: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) وقول أبينا آدم: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه؛ قال يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم" فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله، والتوسل إلى ربه بفضله وجوده، وأنه المتفرد بغفران الذنوب ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معا فهكذا آداب الدعاء والعبودية.

وقراءة القرآن أفضل الأذكار وهي أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، وهذا من حيث النظر إلى كل واحد منهما مجردا، وقد تعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل تعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود، فإنه أفضل من قراءة القرآن، وكذلك التشهد، وكذلك رب اغفر لي بين السجدتين، وقول رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني بين السجدتين أفضل من القراءة. وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة، ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة. وكذلك إجابة المؤذن، والقول كما يقول، أفضل من القراءة، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله على خلقه، لكن لكل مقام مقال، متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره، واختلت الحكمة، وفقدت المصلحة المطلوبة منه، وهكذا الأذكار المفيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن، مثاله أن يحدث له من التفكر في ذنوبه فيحصل له توبة واستغفار أو يحصل له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه، وكذلك أيضا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة القرآن، لم يحضر قلبه فيها. وإذا أقبل على الذكر والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله، وأحدث له تضرعا وخشوعا وابتهالا، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع له، وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأكثر أجرا، وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نص وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطي كل ذي حق حقه ويضع كل شيء موضعه، فللعين موضع، وللرجل موضع، وللماء موضع، وللحم موضع، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي، والله الموفق.

وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقت، والتحمير وماء الورد أنفع له في وقت. وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية،

رحمه الله، يوما: سئل بعض أهل العلم: أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد نافع له، وإن كاد دنسا فالصابون والماء الجاري أنفع له فقال: كيف والثياب لا تزال دنسة؟.

ومن هذا الباب أن سورة (قل هو الله أحد الله) تعدل ثلث القرآن، ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها، بل هذه الآيات في وقتها، وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص. ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه، فكانت أفضل من كل القراءة والذكر والدعاء بمفرده بجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء فهذا أصل نافع جدا للعبد يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وينزلها منازلها لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيرنح عليه إبليس الفضل الذي بينهما أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل عن مفضولها، وإن كان ذلك وقته فتفوته مصلحته بالكلية لظنه أن اشتغاله به أكثر ثوابا وأعظم أجرا". اهـ.." (١)

"﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦) ﴾

قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء. وقال ابن عباس: يصلون: يبركون. هكذا علقه البخاري عنهما (١) .

وقد رواه أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية كذلك. وروي مثله عن الربيع أيضا. وروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس كما قاله سواء، رواهما ابن أبي حاتم.

وقال أبو عيسى الترمذي: وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب: الرحمة، وصلاة الملائكة: الاستغفار.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو الأودي، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، قال الأعمش عن عطاء (٢) بن أبي رباح ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ قال: صلاته تبارك وتعالى: سبوح قدوس، سبقت رحمتي غضبي.

والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا.

وقد قال (٣) ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثني أبي، عن أبيه، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر - يعني: ابن المغيرة -عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟ فناداه ربه: يا موسى، سألوك: "هل يصلي ربك؟" فقل: نعم، إنما أصلي أنا وملائكتي على أنبيائي ورسلي. فأنزل الله عز وجل، على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ .

وقد أخبر أنه سبحانه وتعالى (٤) ، يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا . هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما ﴾

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٦/٤٣٣

[الأحزاب :٤١-٤٣]. وقال تعالى: ﴿ وبشر الصابرين (٥) . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧]. وفي الحديث: "إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف". وفي

---

(١) صحيح البخاري (٥٣٢/٨) "فتح".

(٢) في ت: "وروى ابن أبي حاتم بسنده عن عطاء".

(٣) في ت: "وقد روى".

(٤) في ت: "وقد أخبر الله تعالى" وفي ف: "وقد أخبر أنه سبحانه بأنه".

(٥) في ت : "المؤمنين " وهو خطأ.." [1]

"فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين. رواه ابن أبي حاتم.

وروي (١) عن بعض السلف أنه قال: من با ع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة، بارك الله له سبعين مرة، لقول الله تعالى: ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾

وقوله: ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ أي: حال بيعكم وشرائكم، وأخذكم وعطائكم، اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة؛ ولهذا جاء في الحديث: "من دخل سوقا من الأسواق فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير كتبت (٢) له ألف ألف حسنة، ومحي عنه ألف ألف سيئة" (٣)

وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا، حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا.

﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين(١١) ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ، فقال تعالى: ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما ﴾ أي: على المنبر تخطب. هكذا ذكره غير واحد من التابعين، منهم: أبو العالية، والحسن، وزيد بن أسلم، وقتادة.

وزعم مقاتل بن حيان: أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر إلا القليل منهم. وقد صح بذلك الخبر، فقال الإمام أحمد:

حدثنا ابن إدريس، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر قال: قدمت عير المدينة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلا فنزلت: ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ﴾

أخرجاه في الصحيحين، من حديث سالم، به (٤)

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هشيم، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان، عن جابر بن

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٤٥٧/٦

عبد الله قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير إلى المدينة، فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد، لسال بكم الوادي

---

(١) في م: "وروى أيضا".

(٢) في أ: "كتب الله".

(٣) جاء من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رواه الإمام أحمد في المسند (٤٧/١) والترمذي في السنن برقم (٣٢٤٨) وابن ماجة في السنن برقم (٢٢٣٥) وقال الترمذي: "هذا حديث غريب".

(٤) المسند (٣١٣/٣) وصحيح البخاري برقم (٤٨٩٩) وصحيح مسلم برقم (٨٦٣).." [1]

"@ ٥٨١ @ عن تسع وكان القسم لثمان . ! ٢ " سنة الله " ٢ ! السنة الطريقة المعتادة ! ٢ " في الذين خلوا " ٢ ! أي لا حرج على الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم بسلامه فيما أحل لهم كما أحل لداود عليه الصلاة والسلام مثل هذا في نكاح ما شاء وفي المرأة التي نظر إليها وتزوجها ونكح مائة امرأة ، وأحل لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية ! ٢ " قدرا مقدورا " ٢ ! فعلاً مفعولاً ، أو قضاء مقضياً عند الجمهور . ^ (الذين يبلغون رسالت الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً ما كان محمداً أبا أحدٍ من رجّالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين وكان الله بكل شيءٍ عليماً) ^ ٤٠ - ! ٢ " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم " ٢ ! لما قال المشركون قد تزوج محمد امرأة ابنه أكذبهم الله تعالى بهذه الآية ! ٢ " وخاتم النبيين " ٢ ! آخرهم . ^ (يا أيها الذين ءامنوا اذكروا الله **ذكراً كثيراً** وسبّحوه بكرةً وأصيلاً هو الذي يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً تحيتهم يوم يلقونه سلامٌ وأعدّ لهم أجراً كريماً) ^ ٤١ - ! ٢ " اذكروا الله " ٢ ! تعالى بقلوبكم ذكراً دائماً مؤدياً إلى طاعته ، أو بألسنتكم **ذكراً كثيراً** بالدعاء والرغبة ، أو بالإقرار له بالربوبية والاعتراف بالعبودية .

". [2]

"عليك زوجك فأمسكها زيد ما شاء الله ثم طلقها فلما قضت عدتها أنزل الله نكاحها رسول الله من السماء فقال وإذ تقول للذي أنعم الله عليه إلى قوله زوجناكها فدعا رسول الله عند ذلك زيدا فقال ائت زينب فأخبرها أن الله قد زوجنيها فانطلق زيد فاستفتح الباب فقيل من هذا قال زيد قالت وما حاجة زيد إلي وقد طلقني فقال إن رسول الله أرسلني إليك فقالت مرحبا برسول رسول الله ففتح له فدخل عليها وهي تبكي فقال زيد لا يبكي الله عينك قد كنت نعمت المرأة أو قال الزوجة إن كنت لتبرين قسمي وتطيعين أمري فقد أبدلك الله خيرا مني قالت من لا أبا لك فقال رسول الله فخرت ساجدة قوله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له يعني أحل سنة الله في الذين خلوا من قبل أي أنه ليس على الأنبياء حرج

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ١٢٣/٨

(٢) تفسير العز بن عبد السلام ، ص/٩١١

فيما أحل الله لهم وقد أحل لداود مائة امرأة ولسليمان ثلاثمائة إمرأة وسبعمائة سرية قال محمد نصب سنة على المصدر المعنى سن الله سنة سورة الأحزاب من آية آية ما كان محمد أبا أحد من رجالكم يعني أن محمدا لم يكن أبا لزيد وإنما كان زيد دعيا له ولكن رسول الله وخاتم النبيين

قال محمد من قرأ رسول الله بالنصب فعلى معنى ولكن كان رسول الله يا أيها الذين آمنو اذكروا الله ذكرا كثيرا يعني باللسان وهذا ذكر ليس فيه وقت يحي عن خداش عن ميمون بن عجلان عن ميمون بن سياه عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله عليه السلام ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات من حديث يحي بن محمد." (١)

"نسير بن ذعلوق، عن علي بن الحسين في قوله(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) قال: نزلت في زيد بن حارثة، والنصب في رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى تكرير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرفع بمعنى الاستئناف؛ ولكن هو رسول الله، والقراءة النصب عندنا.

واختلفت القراء في قراءة قوله(وخاتم النبيين) فقرأ ذلك قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين، بمعنى: أنه ختم النبيين. ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله(ولكن نبيا ختم النبيين) فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء، بمعنى: أنه الذي ختم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم، وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم(خاتم النبيين) بفتح التاء، بمعنى: أنه آخر النبيين، كما قرأ(مختوم خاتمه مسك) بمعنى: آخره مسك من قرأ ذلك كذلك .

القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) ﴾." (٢)

"القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) ﴾

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك(وسبحوه بكرة وأصيلا) يقول: صلوا له غدوة صلاة الصبح، وعشيا صلاة العصر. وقوله(هو الذي يصلي عليكم وملائكته) يقول تعالى ذكره: ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا إذا أنتم فعلتم ذلك، الذي يرحمكم، ويثني عليكم هو ويدعو لكم ملائكته . وقيل: إن معنى قوله(يصلي عليكم وملائكته): يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله. وقوله(ليخرجكم من الظلمات إلى النور) يقول: تدعو ملائكة الله." (٣)

"لكم؛ فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين، ٤٨/٢

(٢) تفسير الطبري، ٢٧٩/٢٠

(٣) تفسير الطبري، ٢٧٩/٢٠

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس في قوله(اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، قال(فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. وقال:(وسبحوه بكرة وأصيلا) فإذا فعلتم ذلك؛ صلى عليكم هو وملائكته، قال الله عز وجل:(هو الذي يصلي عليكم وملائكته) .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله(وسبحوه بكرة وأصيلا) صلاة الغداة، وصلاة العصر.

وقوله(ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أي: من الضلالات إلى الهدى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله(هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) قال: من الضلالة إلى الهدى، قال: والضلالة الظلمات والنور: الهدى.

وقوله(وكان بالمؤمنين رحيما) يقول تعالى ذكره: وكان بالمؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون، ولأمره متبعون(تحيتهم يوم يلقونه سلام) يقول جل ثناؤه: تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام، يقول بعضهم لبعض: أمنة لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: قوله." (١)

"لهج بالرحيل وذكره ... حتى اناخ ببابه الجمال

فأصابه متيقظا متشمرا ... ذا اهبة لم تلهه الآمال

بانك طبلت نمى كند بيدار ... تومكر مرده نه درخوابى

توجراغى نهاده درردباد ... خانه در مر سيلابى

فاصابة الموت حق وان كان العيش طويلا والعمر مديدا وهو ينزل بكل نفس راضية كانت او كارهة

روى شارح الخطب عن وهب بن منبه انه قال مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع يا دانيال قف تر عجبا فلم ير شيأ ثم نودى الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدر والياقوت فاذا النداء من السرير اصعد يا دانيال تر عجبا فارتقيت السرير فاذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فاذا عليه شاب ميت كأنه نائم واذا عليه من الحلى والحلل ما لا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف اشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير ان احمل هذا السيف واقرأ ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عام بن ارم وانى عشت الف عام وسبعمائة سنة وافتضضت اثنى عشر الف جارية وبنيت اربعين الف مدينة وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتح الخزائن اربعمائة بغل وكان يحمل الى خراج الدنيا فلم ينازعنى احد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فاصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بالف قفيز من در فلم اقدر عليه فمت جوعا يا اهل الدنيا اذكروا امواتكم **ذكرا كثيرا** واعتبروا بى ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى فان اهلى لم يحملوا من وزرى شيأ

---

(١) تفسير الطبري، ٢٠/٢٨٠

انتهى : قال السعدى

جون همه نيك و بد ببايد مرد ... خنك آنكس كه كوى نيكى برد

برك عيشى بكور خويش فرست ... كس نيارد زبس زبيش فرست

عمر برفست آفتاب تموز ... اندكى ماند وخواجه غره هنوز

فعلى اهل القلوب القاسية ان يعالجوا قلوبهم بامور

احدها الاقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم والوعظ والتذكير والتخفيف والترغيب واخبار الصالحين فان ذلك مما يلين القلوب وينجح فيها

والثانى ذكر الموت فيكثر من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات

والثالث مشاهدة المحتضرين فان فى النظر الى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الاجفان من النوم والراحة من الابدان ويبعث على العمل فيزيد فى الاجتهاد والتعب ويستعد للموت قبل النزول فانه اشد الشدائد

قيل لكعب الاحبار يا كعب حدثنا عن الموت قال هو كشجرة الشوك ادخلت فى جوف ابن آدم فاخذت كل شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وابقى ما ابقى وفى الحديث « لو ان شعرة من وجع الميت وضعت على اهل السموات والارضين لماتوا اجمعين وان فى يوم القيامة لسبعين هولا وان ادنى هول ليضعف على الموت سبعين ضعفا »." (١)

"﴿ ليس عليكم جناح ﴾ اى اثم من الجنوح وهو الميل عن القصد ﴿ ان تبتغوا ﴾ اى فى ان تقصدوا وتطلبوا ﴿ فضلا من ربكم ﴾ اى عطاء ورزقا يريد الربح بالتجارة فى ايام الحج فان الآية نزلت ردا على من يقول لا حج للتاجر والجمال لكن الحق ان التجارة وان كانت مباحة فى الحج الا ان الاولى تركها فيه لقوله تعالى ﴿ وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ والاخلاص ان لا يكون له حامل على الفعل سوى كونه طاعة وعبادة ﴿ فاذا افضتم من عرفات ﴾ الهمزة فى افضتم للتعدية والمفعول محذوف اى دفعتم انفسكم منها بكثرة بعد غروب الشمس ورجعتم بعد الوقوف بها

وفى التيسير وحقيقة الافاضة هنا هو اجتماع الكثير فى الذهاب والمسير . وعرفات علم للموقف وليس بجمع حقيقة بل هو من قبيل ما زيدت حروفه لزيادة معناه فانه للمبالغة فى الانباء عن المعرفة روى انه نعته جبريل لابراهيم عليهما السلام فلما ابصره عرفه فسمى ذلك الموضع عرفات او لان جبريل E كان يدور به فى المشاعر اى مواضع المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت فلما رآه قال عرفت او لان آدم E لما اهبط الى الارض وقع بالهند وحوآء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا او لغير ذلك كما ذكر فى التفاسير

وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفات لان الاضافة مأمور بها وهى موقوفة على الحضور فيها والوقوف بها وما لم يتم الواجب الا به فهو واجب فيكون الوقوف واجبا ﴿ فاذكروا الله ﴾ بالتلبية والتهليل والتسبيح والتحميد والثناء والدعوات ﴿ عند المشعر الحرام ﴾ قزح وهو الجبل الذى يقف عليه الامام وعلى الميقدة وفى المغرب الميقدة هو موضع بالمشعر الحرام على

---

(١) تفسير حقي، ٢٤٢/١

قزح كان اهل الجاهلية يوقدون عليها النار وتقييد محل الذكر والوقوف بقوله ﴿ عند المشعر الحرام ﴾ للتنبيه على ان الوقوف فيما يقرب من جبل قزح افضل من الوقوف فى سائر مواضع ارض مزدلفة وذلك لا ينافى صحة الوقوف فى جميع مواضعها كما ان عرفات كلها موضع الوقوف لكن الوقوف بقرب جبل الرحمة افضل واولى والمشعر العلم اى للعبادة . والشعائر العلامات من الشعار وهو العلامة ووصفه بالحرام لحرمته فلا يفعل فيه ما نهى عنه ﴿ واذكروه كما هداكم ﴾ اى كما علمكم كيف تذكرونه مثل كون الذكر **ذكرا كثيرا** وعلى وجه التضرع والخيفة والطمع ناشئا عن الرغبة والرهبة ومشاهدة جلال المذكور وجماله كما قال عليه السلام « الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه » فالمقصود من الكاف مجرد التقييد لا التشبيه اى اذكروه على الوجه الذى هداكم اليه لا تعدلوا عما هديتم اليه كما تقول افعل كما علمتك وليس هذا تكرارا لقوله ﴿ فاذكروا الله عند المشعر الحرام ﴾ لان الاول لبيان محل الذكر والوقوف وتعليم النسك المناسك لذلك المحل واوجب بالثانى ان يكون ذكرنا اياه كهدايته ايانا اى موازيا لها فى الكم والكيف ﴿ وان ﴾ هى المخففة واللام هى الفارقة ﴿كنتم من قبله ﴾ اى من قبل ما ذكر من هدايته اياكم ﴿ لمن الضالين ﴾ غير العالمين بالايمان والطاعة قال القاشانى ان الله تعالى هدى اولا الى الذكر باللسان فى مقام النفس .." (١)

"﴿ الذين قالوا ﴾ مرفوع على انه بدل من واو يكتمون ﴿ لاخوانهم ﴾ لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد أو اخوانهم فى النسب وفى سكنى الدار فيندرج فيهم بعض الشهدآء ﴿ وقعدوا ﴾ حال من ضمير قالوا بتقدير قد اى قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذا ﴿ لو اطاعونا ﴾ اى فيما امرناهم ووافقونا فى ذلك ﴿ ما قتلوا ﴾ كما لم نقتل وفيه ايذان بأنهم امروهم بالانخذال حين انخذلوا واغووهم كما غووا ﴿ قل ﴾ تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم ﴿ فادرأوا ﴾ اى ادفعوا ﴿ عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ﴾ جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله اى ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذى كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت فى امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت

زبيش خطر تاتوانى كريز ... وليكن مكن باقضا بنجه تبز

كرت زندكانى نبشتست دير ... نه مارت كز آيدنه شمشير وتير

واعلم ان الموت ليس له سن معلوم ولا اجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل انه مات فقال

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ... حتى اناخ ببابه الجمال

فأصابه متيقظا متشمرا ... ذا أهبة لم تلهه الآمال

---

(١) تفسير حقي، ١/٤٣٤

انه مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع مناديا يا دانيال قف ساعة تر عجبا فلم ير شيأ ثم نادى الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدر والياقوت فاذا النداء من السرير اصعد يا دانيال تر عجبا فارتقيت لاسرير فاذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فاذا عليه شاب ميت كأنه نائم واذا عليه من الحلى والحلل ما لا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف اشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير أن احمل هذا السيف واقرأ ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم وانى عشت الف عام وسبعمائة وافتضضت اثنى عشر الف جارية وبنيت اربعين الف مدينة وهزمت سبعين الف جيش وفى كل جيش قائد مع كل قائد اثنا عشر الف مقاتل وباعدت الحكيم وقربت السفيه وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتيح الخزائن اربعمائة بغل وكان يحمل الى خراج الدنيا فلم ينازعنى احد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فاصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بالف قفيز من در فلم اقدر عليه فمت جوعا يا اهل الدنيا اذكروا امواتكم **ذكرا كثيرا** واعتبروا بى ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى فان اهلى لم يحملوا من وزرى شيأ." (١)

"﴿ واذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ اى بلسان القلب ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ ولما كان ذكر المنافقين بلسان القالب كان قليلا فما افلحوا به وانما كان ذكر المنافق بلسان الظاهر لانه رأى رشاش النور ظاهرا من البعد ولم يصبه فلو كان اصابه ذلك النور لكان صدره منشرحا به كما قال تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ﴾ اى على نور مما رش به ربه ومعدن النور هو القلب فكان قلبه ذاكرا لله بذلك النور فانه يصير لسان القلب فقليل الذكر منه يكون كثيرا فافهم جدا فلما كانت ارواح المنافقين مترددة متحيرة بين مشاهدة رشاش النور وبين الظلمة الخلقية لا الى هؤلاء الذين اصابهم النور ولا الى هؤلاء الذين لم يشاهدوا الرشاش لذلك كانوا ﴿ مذبذبين بين ذلك ﴾ المؤمنين والكافرين ﴿ لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله ﴾ باخطاء ذلك النور كما قال ومن اخطأه فقد ضل ﴿ فلن تجد له سبيلا ﴾ ههنا الى ذلك النور يدل عليه قوله ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ﴾ اى ومن لم يجعل الله له قسمة من ذلك النور المرشش عليهم فماله اليوم نصيب من نور الهداية كذا فى التأويلات النجمية اللهم ارزقنا الذكر الكثير واعصمنا من الذنب الصغير والكبير

يقال حصون المؤمن ثلاثة المسجد وذكر الله وتلاوة القرآن والمؤمن اذا كان فى واحد من ذلك اى من الاشياء الثلاثة فهو فى حصن من الشيطان قال على رضى الله عنه (يأتى على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه يعمرون مساجدهم وهى خراب من ذكر الله تعالى شر اهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود : قال السعدى قدس سره

كنون بايدت عذر تقصير كفت ... نه جون نفس ناطق زكفتن بخفت

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يا معين." (٢)

---

(١) تفسير حقي، ٢/٣٣٨

(٢) تفسير حقي، ٣/١٢٩

"﴿ الذين اخرجوا من ديارهم ﴾ فى حيز الجر على انه صفة للموصول ، قال ابن الشيخ لما بين انهم انما اذنوا فى القتال لاجل انهم ظلموا فسر ذلك الظلم بقوله الذين الى آخره والمراد بديارهم مكة المعظمة وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها للتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالى مكة نحن من غرب الدار يريدون من عرب البلدة ، قال الراغب الدار المنزل اعبارا بدور انها الذى لها بالحائط وقيل دارة وجمعها ديار ثم تسمى البلدة دارا ﴿ بغير حق ﴾ اى خرجوا بغير موجب استحقوا الخروج به فالحق مصدر قولك حق الشيء يحق بالكسر اى وجب ﴿ الا ان يقولوا ربنا الله ﴾ بدل من حق اى بغير موجب سوى التوحيد الذى ينبغى ان يكون موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسبير لكن لاعلى الظاهر بل على طريقة قول النابغة

ولاعيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ بتسليط المؤمنين على الكافرين فى كل عصر وزمان ﴿ لهدمت ﴾ الهدم اسقاط البناء والهديم للتكثير اى لخربت باستيلاء المشركين ﴿ صوامع ﴾ للرهبانية ﴿ وبيع ﴾ للنصارى وذلك فى زمان عيسى عليه السلام الصوامع جمع صومعة وهى موضع يتعبد فيه الرهبان وينفردون فيه لاجل العبادة ، قال الراغب الصومعة كل بناء منصمع الرأس متلاصقة والاصمع اللاصق اذنه برأسه والبيع جمع بيعة وهى كنائس النصارى التى يبنونها فى المواضع الخيالية كالجبال والصحارى ، قال الراغب البيعة مصلى النصارى فان يكن ذلك عربيا فى الاصل فتسميته بذلك لما قال ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم ﴾ الآية ﴿ وصلوات ﴾ كنائس لليهود فى ايام شريعة موسى عليه اسلام ، قال الكاشفى [صومعهاى راهبان وكليساهى ترسايان وكنشتهاى جهودان] سميت بالصلوات لانها تصلى فيها ، قال الراغب يسمى موضع العبادة بالصلاة ولذلك سميت الكنائس صلوات ، وقال بعضهم هى كلمة معربة وهى بالعبرية « صلونا » بالثا المثلثة وهى فى لغتهم بمعنى المصلى ﴿ ومساجد ﴾ للمسلمين فى ايام شريعة محمد A وقدم ماسوى المساجد عليها فى الذكر لكونه اقدم فى الوجود بالنسبة اليها ، وفى الاسئلة المقحمة تقديم الشيء بالذكر لا يدل على شرفه كقوله تعالى ﴿ فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾ ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ اى ذكرا كثيرا ووقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها ويجوز ان يكون صفة للاربع لان الذكر فى الصوامع والبيع والصلوات كان معتبرا قبل انتساخ شرائع اهلها ، وفى الآية اشارة الى انه تعالى لو لم ينصر القلوب على النفوس ويدافع عن القلوب استيلاء النفوس لهدمت صوامع اركان الشريعة وبيع آداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التى يذكر فيها اسم الله كثيرا فان الذكر الكثير لا يتسع الا فى القلوب الواسعة المنورة بنور الله ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ اى بالله لينصرن الله من ينصر اولياءه او من ينصر دينه ولقد انجز الله وعده حيث سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم وارثهم ارضهم وديارهم ﴿ ان الله لقوى ﴾ على كل مايريده ﴿ عزيز ﴾ لا يمانعه شيء ولا يدافعه ، وفى بحر العلوم يغنى بقدرته وعزته فى اهلاك اعداء دينه عنهم وانما كلفهم النصر باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة الاعداء وبذل الارواح والاموال لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الامر فيها الى منافع دينية ودنيوية ، فان قلت فاذا كان الله قويا عزيزا غالبا غلبة لا يجد معها المغلوب نوع مدافعة وانفلات فما وجه انهزام المسلمين فى بعض وقد وعدهم النصرة ، قلت ان النصرة والغلبة منصب

شريف فلا يليق بحال الكفار لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين لانه لو شدد المحنة على الكفار فى جميع الاوقات وازالها عن المؤمنين فى جميع الاوقات لحصل العلم الاضطرارى بان الايمان حق وماسواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على اهل الايمان واخرى على اهل الكفر لتكمون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر فى الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله ولان المؤمن قد يقدم على بعض المعاصى فيكون تشديد المحنة عليه فى الدنيا كفارة له فى الدينا واما تشديد المحنة على الكافر فانه يكون غضبا من الله كالطاعون مثلا فانه رحمة للمؤمنين ورجز اى عذاب وغضب للكافرين ، مر عامر برجل قد صلبه الحجاج قال يارب ان حلمك على الظالمين اضر بالمظلومين فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وكأنه دخل الجنة فرأى المصلوب فيها فى اعلى عليين فاذا مناد ينادى حلمى على الظالمين احل المظلومين فى اعلى عليين ، وعلم ان الله تعالى يدفع فى كل عصر مدبرا بمقبل ومبطلا بمحق وفرعونا بموسى ودجالا بعيسى فلا تستبطىء ولا تنضجرك قال الحافظ." (١)

"﴿ وان تكذبوا ﴾ اى وان تكذبونى فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون ﴿ فقد كذب امم من قبلكم ﴾ تعليل للجواب اى فلا تضروننى بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلى من الرسل وهم شيت وادريس ونوح فما ضرهم تكذيبهم شيأ وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبهم ﴿ وما على الرسول الا البلاغ المبين ﴾ اى التبليغ الذى لايبقى معه شك وما عليه ان يصدق ولا يكذب البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لامزيد عليه فلا يضرنى تكذيبكم بعد ذلك اصلا وكل احد بعد ذلك مأخوذ بعمله ، قال فى الاسئلة المقحمة معنى البلاغ هو القاء المعنى الى النفس على سبيل الافهام وان لم يفهم السامع فقد حصل منى ذلك الابلاغ والاسماع والافهام من الله تعالى

بيش وحى حق اكر كرسرنهد ... كبريا از فضل خود سمعش دهد

جزمكر جانى كه شدبى نور وفر ... همجو ماهى كنك بد از اصل كر

وفى الآية تسلية للرسول عليه السلام ودعاء له الى الطبر وزجر لمخالفيه فيما فعلوا من التكذيب والجحود فعلى المؤمن الطاعة والتقوى وقبول وصية الملك الاقوى فان التقوى خير المزاد يوم التلاق وسبب النجاة وجالبة الارزاق واعظم اسباب التقوى التوحيد وهو اساس الايمان ومفتاح الجنان ومغلاق النيران روى ان عمر رضى الله عنه مر بعثمان رضى الله عنه وسلم عليه فلم يرد سلامه فشكا الى ابى بكر رضى الله عنه فقال لعله لعذر ثم ارسل الى عثمان وسأل عن ذلك فقال لم اسمع كلامه فانى كنت فى امر وهو انا صاحبنا النبى زمانا فلم نسأل عما تفتح به الجنان وتغلق ابواب النيران فقال ابو بكر رضى الله عنه سألت عن ذلك من النبى A فقال « هى الكلمة التى عرضتها على عمى ابى طالب فابى لا اله الا الله محمد رسول الله » وذكر الله اكثر الاشياء تأثيرا فاذكروا الله **ذكرا كثيرا** ، قال السرى C صحبت زنجيا فى البرية فرأيته كلما ذكر الله تغير لونه وابيض فقلت ياهذا أرى عجبا فقال يأخى اما انك لو ذكرت الله تغيرت صفتك ، قال الحكيم الترمذى C ذكر الله يرطب اللسان فاذا خلا عن الذكر اصابته حرارة النفس ونار الشهوة فتعس وييس وامتنعت الاعضاء عن الطاعة كالشجرة اليابسة لا تصلح الا للقطع وتصير وقود النار وبالتوحيد تحصل الطهارة التامة عن لوث الشرك والسوى فالنفس تدعو مع الشيطان

(١) تفسير حقي، ٤١٣/٨

الى اسفل السافلين والله تعالى يدعو بلسان نبيه الى اعلى عليين وقد دعا الانبياء كلهم فقبحوا الاوثان والشرك والدنيا وحسنوا عبادة الله والتوحيد والاخرى ورغبوا الى الشكر والطاعة فى الدنيا التى هى الساعة بل كلمح البصر لايرى لها اثر ولا يسمع لها خبر فالعاقل يستمع الى الداعى الحق ولايكذب الخبر الصدق فيصل بالتصديق والقبول والرضى الى الدرجات العلى والراحة العظمى

مده براحت فانى حيات باقى را ... بمحنت دوسه روز ازغم ابد بكريز." (١)

"﴿ لقد كان لكم ﴾ ايها المؤمنون كما فى تفسير الجلالين وهو الظاهر من قوله فيما بعد لمن كان يرجو الله الخ ﴿ فى رسول الله اسوة حسنة ﴾

قال الراغب الاسوة والاسوة كالقدرة والقدرة الحالة التى يكون الانسان عليها فى اتباع غيره ان حسنا وان قبيحا ان سارا وان ضارا ويقال تأسيت به اى اقتديت . والمعنى لقد كان لكم فى محمد A خصلة حسنة وسنة صالحة حقها ان يؤتسى بها اى يقتدى كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدائد فانه قد شج فوق حاجبه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة يوم واحد واوذى بضروب الاذى فوقف ولم ينهزم وصبر فلم يجزع فاستسنوا بسنته وانصروه ولا تتخلفوا عنه

وقال بعضهم كلمة فى تجريديه جرد من نفسه الزكية شئ وسمى قدره وهى هو يعنى ان رسول فى نفسه اسوة وقدوة يحسن التأسى والاقتداء به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى نفسها هذا القدر من الحديد ﴿ لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ﴾ اى يأمل ثواب الله ونعيم الآخرة او يخاف الله واليوم الآخر . فالرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة الحسنة او صفة لها لا بدل من لكم فان الاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه ﴿ وذكر الله كثيرا ﴾ اى **ذكرا كثيرا** فى جميع اوقاته واحواله اى وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الأتساء برسول الله

قال الحكيم الترمذى الاسوة فى الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته فى قول وفعل

قال الشيخ سعدى

درين بحر جزمرد ساعى نرفت ... كم آن شد كه دنبال راعى نرفت

كسانى كزين راه بركشته اند ... بر فتند بسيار وسر كشته اند

خلاف بيمبر كسى ره كزيد ... كه هركز بمنزل نخواهد رسيد

محالست سعدى كه راه صفا ... توان رفت جزبرپى مصطفى

فمتابعة الرسول تجب على كل مؤمن حتى يتحقق رجاؤه ويثمر عمله لكونه الواسطة والوسيلة وذكر الرجاء اللازم للايمان بالغيب فى مقام النفس وقرن به الذكر الكثير الذى هو عمل ذلك المقام ليعلم ان من كان فى البداية يلزم متابعته فى الاعمال والاخلاق والمجاهدات بالنفس والمال اذ لو لم يستحكم البداية لم يفلح بالنهاية ثم اذا تجرد وتزكى عن صفات نفسه فليتابعه فى موارد قلبه كالصدق والاخلاص والتسليم ليحتظى ببركة المتابعة بالمواهب والاحوال وتجليات الصفات فى مقام القلب كما احتظى بالمكاسب والمقامات وتجليات الافعال فى مقام النفس وهكذا فى مقام الروح حتى الفناء

---

(١) تفسير حقي، ٢٣٩/١٠

وفى التأويلات النجمية يشير الى ما سبقت به العناية لهذه الامة فى متابعة الرسول A كما اخبر بلفظ ﴿ لقد كان ﴾ اى كان ﴿ لكم ﴾ مقدرا فى الازل ان يكون لكم عند الخروج من العدم الى الوجود ﴿ فى رسول الله اسوة حسنة ﴾ اى اقتداء حسن وذلك فان اول كل شئ تعلقت به القدرة للايجاد كان روح رسول الله A لقوله." (١)

"﴿ يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ﴾ بما هو اهله من التهليل والتحميد والتكبير ونحوها . والذكر احضار الشئ فى القلب او فى القول وهو ذكر عن نسيان وهو حال العامة او ادامة الحضور والحفظ وهو حال الخاصة اذ ليس لهم نسيان اصلا وهم عند مذكورهم مطلقا ﴿ **ذكرا كثيرا** ﴾ فى جميع الاوقات ليلا ونهارا صيفا وشتاء وفى عموم الامكنة برا وبحرا سهلا وجبلا وفى كل الاحوال حضرا وسفرا صحة وسقما سرا وعلانية قياما وقعودا وعلى الجنوب وفى الطاعة بالاخلاص وسؤال القبول والتوفيق وفى المعصية بالامتناع منها وبالتوبة والاستغفار وفى النعمة بالشكر وفى الشدة بالصبر فانه ليس للذكر حد معلوم كسائر الفرائض ولا لتركه عذر مقبول الا ان يكون المرء مغلوبا على عقله

واحوال الذاكرين متفاوتة يتفاوت اذكارهم

فذكر بعضهم بمجرد اللسان بدون فكر مذكوره ومطالعة آثاره بعقله وبدون حضور مذكورة ومكاشفة اطواره بقلبه وبدون انس مذكوره ومشاهدة انواره بروحه وبدون فنائه فى مذكوره ومعاينه اسراره بسره

وهذا مردود مطلقا

وذكر بعضهم باللسان والعقل فقد يذكر بلسانه ويتفكر مذكوره ويطالع آثاره بعقله لكن ليس له الحضور والانس والفناء المذكور وهو ذكر الابرار مقبول بالنسبة الى الاول

وذكر بعضهم باللسان والعقل فقد يذكر بلسانه ويتفكر مذكوره ويطالع آثاره بعقله ولكن ليس له الحضور والانس والفناء فقط بدون الانس والفناء المذكور وهو ذكر اهل البداية من المقربين مقبول بالنسبة الى ذكر الابرار وما تحته

وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب والروح والسر جميعا وهو ذكر ارباب النهاية من المقربين من الانبياء والمرسلين والاولياء الاكملين وهو مقبول مطلقا وللارشاد الى هذه الترقيات قال عليه السلام « ان هذه القلوب من ظلماتها واكدارها »

ثم قيل يا رسول الله فما جلاؤها قال « تلاوة كتاب الله وكثرة ذكره » فبكثرة الذكر يترقى السالك من مرتبة اللسان الى ما فوقها من المراتب العالية ويصقل مرآة القلب من ظلماتها واكدارها

ثم ان ذكر الله وان كان يشتمل الصلاة والتلاوة والدراسة ونحوها الا ان افضل الاذكار لا اله الا الله فالاشتغال به منفردا مع الجماعة محافظا على الآداب الظاهرة والباطنة ليس كالاشتغال بغيره [سلمى كويد مراد ازذكر كثير ذكر دلست جه دوام ذكر بزبان ممكن نيست]

وقال بعضهم الامر بالذكر الكثير اشراة الى محبة الله تعالى يعنى احبوا الله لان النبى عليه السلام قال من احب شيأ اكثر من ذكره [نشان دوستى آنست كه نكذارك كه زبان ازذكر دوست يا دل ازفكر او خالى ماند]

درهيج مكان نيم زفكرت خالى ... در هيج زمان نيم زذكرت غافل

---

(١) تفسير حقي، ٢٢/١١

فاوجب الله محبته بالاشارة فى الذكر الكثير وانما اوجبها بالاشارة دون العبارة الصريحة لان اهل المحبة هم الاحرار عن رق الكونين والحر تكفيه الاشارة وانما لم يصرح بوجوب المحبة لانها مخصوصة بقوم دون سائر الخلق كما قال ﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ فعلى هذا بقوله ﴿ فاذكرونى اذكركم ﴾ يشير الى احبونى احببكم
بدرياى محبت آشنا باش ... صدف سان معدن در صفا باش." (١)

"ولا تخيرونى على ابراهيم . ولا ينبغى لاحد ان يقول انا خير من يونس) وانما صلينا على ابراهيم وعلى آل ابراهيم لانه حيث تم بناء البيت دعو للحجاج بالرحمة فكافأناهم بذلك

وقال الامام النيسابورى لأنه سأل الله ان يبعث نبيا من ذرية اسماعيل فقال ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ﴾ ولذا قال عليه السلام « انا دعوة ابى ابراهيم » فكافأه وشركه واثنى عليه مع نفسه بالصلاة التى صلى الله وملائكته عليه وهذه الصلاة من الحق عليه فى قرة عين لانه اكمل مظاهر الحق ومشاهد تجلياته ومجامع اسراره

وفى الخبر ان ابراهيم عليه السلام رأى فى منام جنة عريضة مكتوب على اشجارها لا اله الا الله محمد رسول الله فسأل جبريل عنها فاخبره بقصتها فقال يا رب اجر على لسان امة محمد ذكرى فاستجاب الله دعاءه وضم فى الصلاة مع محمد عليهما السلام

وايضا امرنا بالصلاة على ابراهيم لان قبلتنا قبلته مناسكنا مناسكه والكعبة بناؤه وملته متبوعة الامم فاوجب الله على امة محمد ثناءه

يقول الفقير كان ابراهيم عليه السلام قطب التوحيد الذاتى وصلوات الله عليه اتم من صلواته على سائر اصفيائه وكان امته اكثر استعدادا من الامم السالفة حتى بعث الله غيره الى جميع المراتب من الافعال والصفات والذات وان لم يظهر حكمها تفصيلا كما فى هذه الامة المرحومة ولذا اختص ببناء الكعبة اشارة الى سر الذات ولذا لم يتكرر الحج تكرر سائر العبادات وامر نبينا باتباع ملته اى باعتبار الجمع دون التفصيل اذ لا متمم لتفاصيل الصفات الا هو ولذلك لم يكن غيره خاتما فلهذه المعانى خص ابراهيم بالذكر فى الصلاة وشبه صلوات نبينا بصلاته دون صلوات غيره فاعرف

ثم ان الآية الكريمة دلت على وجوب الصلاة والسلام على نبينا عليه السلام وذلك لان النفس الانسانية منغمسة غالبا فى العلائق البدنية والعوائق الطبيعية كالاكل والشرب ونحوها وكالاوصاف الذميمة والاخلاق الرديئة والمفيض تعالى وتقدس فى غاية التنزه والتقدس فليس بينهما مناسبة والاستفاضة منه انما تحصل بواسطة ذى جهتين اى جهة التجرد وجهة التعلق كالحطب اليابس بين النار والحطب الرطب وكالغضروف بين اللحم والعظم وتلك الواسطة حضرة صاحب الرسالة عليه السلام حيث يستفيض من جهة تجرده ويفيض من جهة تعلقه فالصلاة عليه واجبة عقلا كما انها واجبة شرعا اى بهذه الآية لكن مطلقا اى فى الجملة اذ ليس فيها تعرض للتكرار كما فى قوله تعالى ﴿ واذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾." (٢)

---

(١) تفسير حقي، ٧٠/١١

(٢) تفسير حقي، ١١٥/١١

"﴿ فاذا قضيت الصلاة ﴾ التى نوديتم لها اى اديت وفرغ منها ﴿ فانتشروا فى الارض ﴾ لاقامة مصالحكم والتصرف فى حوآئجكم اى تفرقوا فيها بأن يذهب كل منكم الى موضع فيه حاجة من الحوآئج المشروعة التى لابد من تحصيلها للمعيشة فانقلت مامعنى هذا الامر فانه لو لبث فى المسجد الى الليل يجوز بل هو مستحب فالجواب ان هذا امر الرخصة لا امر العزيمة اى لاجناح عليكم فى الانتشار بعدما اديتم حق الصلاة ﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾ اى الربح يعنى اطلبوا لأنفسكم واهليكم من الرزق الحلال بأى وجه يتيسر لكم من التجارة وغيرها من المكاسب المشروعة دل هذا المعنى سبب قوله ﴿ واذا رأوا تجارة ﴾ الخ كما سيأتى فالامر للاطلاق بعد الحظر اى للاباحة لا للايجاب كقوله ﴿ واذا حللتم فاصطادوا ﴾ وذكر الامام السرخسى ان الامر للايجاب لما روى انه عليه السلام قال « طلب الكسب بعد الصلاة هو الفريضة بعد الفريضة » وتلا قوله تعالى ﴿ فاذا قضيت الصلاة ﴾ وقل انه للندب فعن سيعد بن جبير اذا انصرفت من الجمعة فساوم بشيء وان لم تشتره وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عبادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم (قال الكاشفى) وكفته اند انتشارهم در زمين مسجداست جهت رفتن بمجلس علما ومذكران ، وقيل صلاة التطوع والظاهر ا ن مثل هذا ارشاد للناس الى ماهو الاولى ولاشك فى اولوية المكاسب الاخروية مع ان طلب الكفاف من الحلال عبادة وربما يكون فرضا ان الاضطرار ﴿ واذكروا الله ﴾ بالجنان واللسان جميعا ﴿ كثيرا ﴾ اى **ذكرا كثيرا** او زمانا كثيرا ولاتخصوا ذكره تعالى بالصلاة .

يقول الفقير انما امر تعالى بالذكر الكثير لان اللسان هو العالم الاصغر المقابل للعالم الاكبر وكل مافى العالم الاكبر فانه يذكر الله تعالى بذكر مخصوص له فوجب على اهل العالم الاصغر أن يذكروا الله تعالى بعدد أذكار اهل العالم الاكبر حتى تتقابل المرءآتان وينطبق الاجمال والتفصيل فان قلت فهل فى وسع الانسان أن يذكر الله تعالى بهذه المرتبة من الكثرة قلت نعم اذا كان من مرتبة السر بالشهود التام والحضور الكامل كما قال ابو يزيد البسطامى قدس سره الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور انتهى وقد يقيم الله القليل مقام الكثير كما رى ان عثمان رضى الله عنه صعد المنبر فقال الحمد لله فارتج عليه فقال ان أبا بكر وعمر رضى الله عنها كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيك الخطب ثم نزل ومنه قال امامنا الاعظم ابو حنيفة c ان اقتصر الخطيب على مقدار مايسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وذلك لان الله تعالى سمى الخطبة ذكرا له على انا نقول قوله عثمان ان ابا بكر وعمر الخ كلام ان كلام من باب الخطبة لاشتماله على معنى جليل فهو يجامع قول صاحبيه والشافعى لابد من كلام يسمى خطبة وهذا مما لا يتنبه له احد والحمد لله على الهامه وقال سعيد بن جبير رضى الله عه الذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكر ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح والذكر بهذا المعنى يتحقق فى جميع الاحوال قال تعالى." (١)

" صفحة رقم ٤٩

) ولا يخشون أحدا إلا الله (في البلاغ عن الله عز وجل) وكفى بالله حسيبا) [آية : ٣٩]

يعني شهيدا في أمر زينب إذ هويها فلا شاهد أفضل من الله عز وجل .

---

(١) تفسير حقي، ٣٢٧/١٥

الأحزاب : (٤٠) ما كان محمد . . . . . .
وأنزل الله عز وجل في قول الناس إن محمدا تزوج امرأة ابنه) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (يعني زيد بن حارثة ، يقول : إن محمدا ليس بأب لزيد) ولكن (محمدا
) رسول الله وخاتم النبين (يعني آخر النبيين لا نبي بعد محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ولو أن لمحمد ولدا لكان نبيا رسولا ، فمن ثم قال : (وكان الله بكل شيء عليما) [آية : ٤٠] يقول : لو كان
زيد بن محمد لكان نبيا ، فلما نزلت) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (قال النبي (صلى الله عليه وسلم)
لزيد : ' لست لك بأب ' ، فقال زيد : يا رسول الله ، أنا زيد بن حارثة معروف نسبي .
تفسير سورة الأحزاب من الآية (٤١) إلى الآية (٤٨) .
الأحزاب : (٤١) يا أيها الذين . . . . . .
) يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله (باللسان) **ذكرا كثيرا**) [آية : ٤١] .
الأحزاب : (٤٢) وسبحوه بكرة وأصيلا
) وسبحوه بكرة وأصيلا) [آية : ٤٢] يعني صلوا بالغداة الفجر والعشي ، يعني الظهر والعصر .
الأحزاب : (٤٣) هو الذي يصلي . . . . . .
) هو الذي يصلي عليكم وملئكته (نزلت في الأنصار يقول : هو الذي يغفر لكم
ويأمر الملائكة بالاستغفار لكم) ليخرجكم من الظالمت إلى النور (يعني لكي يخرجكم
من الظلمات إلى النور ، يعني من الشرك إلى الإيمان) وكان بالمؤمنين رحيما) [آية : ٤٣] .
الأحزاب : (٤٤) تحيتهم يوم يلقونه . . . . . .
) تحيتهم يوم يلقونه سلم (يعني يوم يلقون الرب عز وجل في الآخرة سلام ، يعني
تسليم الملائكة عليهم) وأعد لهم أجرا كريما) [آية : ٤٤] يعني أجرا حسنا في الجنة .
الأحزاب : (٤٥) يا أيها النبي . . . . . .
) يأيها النبي إنا أرسلنك شهدا (على هذه الأمة بتبليغ الرسالة) ومبشرا (بالجنة
والنصر في الدنيا على من خالفهم) ونذيرا) [آية : ٤٥] من النار .." (١)
"٥٩-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾النور٥٨

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، ٤٩/٣

٦٠-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ﴾الأحزاب٩

٦١-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْراً كَثِيراً** ﴾الأحزاب٤١

٦٢-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾الأحزاب٤٩

٦٣-﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً ﴾الأحزاب٥٣." (١)

" ٥٥٦٣ - (عليكم بذكر ربكم) أي بالإكثار منه امتثالا لقوله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ وأفضل الذكر لا إله إلا الله كما مر مرارا (وصلوا صلاتكم في أول وقتكم) الأصل في أول وقتها (فإن الله عز و جل يضاعف لكم الأجور) لكن يستثنى من ندب تعجيل الصلاة أول وقتها صور لعارض

(طب عن عياض) عياض في الصحابة نحو عشرين فكان ينبغي تمييزه ." (٢)

" ٧٠٢٦ - (كان يذكر الله تعالى) بقلبه ولسانه بالذكر الثابت عنه من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك (على) قال الولي العراقي : هي ههنا بمعنى في وهو الظرفية كما في قوله تعالى ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ﴾ أي في حين غفلة (كل أحيانه) أي أوقاته متطهرا ومحدثا وجنبا وقائما وقاعدا ومضطجعا وماشيا وراكبا وظاعنا ومقيما فكأن ذكر الله يجري مع أنفاسه والحديث عام مخصوص بغير قاضي الحاجة لكراهة الذكر حالتئذ باللسان وبغير الجنب لخبر الترمذي وغيره كان لا يحجبه عن القرآن شيء ليس الجنابة وبغير حالة الجماع وقضاء الحاجة فيكره هذا ما عليه الجمهور وتمسك بعموم الحديث المشروح قوم منهم الطبري وابن المنذر وداود فجوزوا القراءة للجنب قالوا : لكون الذكر أعم من كونه بقراءة أو بغيرها وإنما فرق بالعرف وحملوا حديث الترمذي على الأكمل جمعا بين الأدلة وقال العارف ابن العربي : كان يذكر الله على كل أحيانه لكن يكون الذكر في حال الجنابة مختصا بالباطن الذي هو ذكر السر فهو في سائر حالاته محقق بالمقام وإنما وقع اللبس على من لا معرفة له بأحوال أهل الكمال فتفرقوا واختلفوا قال : قالوا : ولنا منه ميراث وافر فينبغي المحافظة على ذلك انتهى . وأخرج أبو نعيم عن كعب الأحبار قال موسى : يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك قال : أنا جليس من ذكرني قال : يا رب فإنا نكون على حال نجلك ونعظمك أن نذكرك بالجنابة والغائط قال : يا موسى اذكرني على كل حال أي بالقلب كما تقرر قال الأشرفي : الذكر نوعان قلبي ولساني والأول أعلاهما وهو المراد في الحديث وفي قوله تعالى ﴿ اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) وهو أن لا ينسى الله على كل حال وكان للمصطفى صلى الله عليه و سلم حظ

---

(١) تفصيل النداء في القرآن الكريم، ص/١٨

(٢) فيض القدير، ٣٤٩/٤

وافر من هذين النوعين إلا في حالة الجنابة ودخول الخلاء فإنه يقتصر فيهما على النوع الأعلى الذي لا أثر فيه للجنابة ولذلك كان إذا خرج من الخلاء يقول غفرانك انتهى . وقال غيره : لا ينافيه حديث كرهت أن أذكر الله إلا على طهر وتوضأ لرد السلام لكونه ذكر الله لأنه أخذ بالأفضل والأكمل

(م د ت هـ) وأبو يعلى كلهم في الطهارة إلا الترمذي ففي الدعوات (عن عائشة) وعلقه البخاري في الصلاة وذكر الترمذي في العلل أنه سأل عنه البخاري فقال : صحيح ." (١)

"سنة وافتضضت اثني عشر ألف جارية وبنيت أربعين ألف مدينة وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الإنصاف وكان يحمل مفاتح الخزائن أربعمائة بغل وكان يحمل إلى خراج الدنيا فلم ينازعني أحد من أهل الدنيا فادعيت الربوبية فأصابني الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بألف قفيز من در فلم أقدر عليه فمت جوعا يا أهل الدنيا اذكروا أمواتكم ذكرا كثيرا واعتبروا بي ولا تغرنكم الدنيا كما غرتني فإن أهلي لم يحملوا من وزري شيئا انتهى ، قال السعدي :

ون همه نيك وبد بايد مرد

خنك آنكس كه كوى نيكى برد

برك عيشي بكور خويش فرست

كس نيارد زس زيش فرست

عمر برفست آفتاب تموز

اندكى ماند وخواجه غره هنوز

فعلى أهل القلوب القاسية أن يعالجوا قلوبهم بأمور :

أحدها : الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم والوعظ والتذكير والتخفيف والترغيب وأخبار الصالحين فإن ذلك مما يلين القلوب وينجح فيها.

والثاني : ذكر الموت فيكثر من ذكرها ذم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات.

والثالث : مشاهدة المحتضرين فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الأجفان من النوم والراحة من الأبدان ويبعث على العمل فيزيد في الاجتهاد والتعب ويستعد للموت قبل النزول فإنه أشد الشدائد.

قيل لكعب الأحبار : يا كعب حدثنا عن الموت قال : هو كشجرة الشوك ادخلت في جوف ابن آدم فأخذت كل شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى.

وفي الحديث "لو أن شعرة من وجع الميت وضعت على أهل السماوات والأرضين لماتوا أجمعين وإن في يوم القيامة لسبعين هولا وإن أدنى هول ليضعف على الموت سبعين ضعفا".

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٨٤

---

(١) فيض القدير، ٢١٤/٥

﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾ لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه عبد الله بن صوريا من اليهود بسكن فدك فقال : يا محمد كيف نومك؟ فإنا أخبرنا عن نوم النبي الذي يجيء في آخر الزمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم "تنام عيناي وقلبي يقظان" قال : صدقت فأخبرني عن الولد أمن الرجل يكون أو من المرأة؟ قال : "أما العظم والعصب والعروق فمن الرجل وأما الدم واللحم والظفر والشعر فمن المرأة" قال : صدقت يا محمد قال : فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء أو يشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ قال : "أيهما علا ماؤه ماء صاحبه كان الشبه له" قال : صدقت يا محمد وسأله عن الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه قال : "إن يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر إن شفاه الله حرم على نفسه أحب الطعام إليه وهو لحم الإبل وأحب الشراب إليه وهو ألبانها" قال : صدقت يا محمد وسأله عن أول نزل الجنة قال : "الحوت" قال : صدقت يا محمد ثم قال : بقيت خصلة إن قلتها آمنت بك واتبعتك أي : ملك يأتيك بما تقول من الله تعالى؟ فقال : "جبريل" قال ذاك عدونا لأنه ملك العذاب ينزل بالقتال والعذاب وكسر السفن والشدائد ورسولنا ميكائيل لأنه ملك الرحمة ينزل بالغيث والبشر والرخاء فقال له عمر : ما بدء عداوتكم له فقال : عادانا مرارا كثيرة وكان من أشد عداوته لنا أن الله تعالى أنزل على نبينا موسى عليه السلام أن البيت المقدس سيخرب

١٨٧

في زمان رجل يقال له بخت نصر وأخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما كان الحين الذي يخرب فيه بعثنا رجلا من أقوياء بني إسرائيل في طلبه فانطلق حتى لقيه غلاما مسكينا ببابل ليست له قوة فأخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال لصاحبنا إن هو أمره بهلاككم لا يسلطكم عليه وإن لم يكن هذا فعلى أي : حق تقتلونه فصدقه صاحبنا فتركه وكبر بخت نصر وقوي فملك ثم غزانا فخرب بيت المقدس وقتلنا وأمر جبريل بوضع النبوة فينا فوضعها في غيرنا فلهذا اتخذناه عدوا وميكائيل عدو جبريل فقال عمر رضي الله عنه لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدواتعالى.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٨٧

". (١)

"﴿عند المشعر الحرام﴾ للتنبيه على أن الوقوف فيما يقرب من جبل قزح أفضل من الوقوف في سائر مواضع أرض مزدلفة وذلك لا ينافي صحة الوقوف في جميع مواضعها كما أن عرفات كلها موضع الوقوف لكن الوقوف بقرب جبل الرحمة أفضل وأولى والمشعر العلم أي : للعبادة.

والشعائر العلامات من الشعار وهو العلامة ووصفه بالحرام لحرمته فلا يفعل فيه ما نهى عنه ﴿واذكروه كما هداكم﴾ أي : كما علمكم كيف تذكرونه مثل كون الذكر **ذكرا كثيرا** وعلى وجه التضرع والخيفة والطمع ناشئا عن الرغبة والرهبة ومشاهدة جلال المذكور وجماله كما قال عليه السلام : "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه" فالمقصود من الكاف مجرد التقييد لا التشبيه أي : اذكروه على الوجه الذي هداكم إليه لا تعدلوا عما هديتم إليه كما تقول افعل كما علمتك وليس هذا تكرارا

---

(١) تفسير روح البيان. ، ١٤٨/١

لقوله : ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ لأن الأول لبيان محل الذكر والوقوف وتعليم النسك المناسك لذلك المحل وأوجب بالثاني أن يكون ذكرنا أباه كهدايته إيانا أي : موازيا لها في الكم والكيف ﴿وإن﴾ هي المخففة واللام هي الفارقة ﴿كنتم من قبله﴾ أي : من قبل ما ذكر من هدايته إياكم ﴿لمن الضآلين﴾ غير العالمين بالإيمان والطاعة.
قال القاشاني : إن الله تعالى هدى أولا إلى الذكر باللسان في مقام النفس.

ثم إلى الذكر بالقلب وهو ذكر الأفعال أي : تصور آلاء الله ونعمائه ثم إلى ذكر السر وهو معاينة الأفعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات.

ثم إلى ذكر الروح وهو مشاهدة أنوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات ، ثم إلى ذكر الخفي وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاثنينية ، ثم إلى ذكر الذات وهو الشهود الذاتي بارتفاع البعد وإن كنتم من قبل الهدي إلى هذه المقامات لمن الضالين عن طريق هذه الأذكار انتهى.
ولما أمر بذكر الله تعالى إذا فعلت الإفاضة أمر بأن تكون الإفاضة من حيث أفاض الناس مرتبا الأمر الثاني على الأول بكلمة ثم ، فقال :
﴿ثم أفيضوا﴾ أي : ارجعوا ﴿من حيث أفاض الناس﴾ أي : من عرفة لا من المزدلفة كانت قريش وحلفاؤها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن أهل الله وسكان حرمه فلا نخرج من الحرم ويستعظمون أن يقفوا مع الناس بعرفات لكونها من الحل وسائر العرب كانوا يقفون بعرفات اتباعا لملة إبراهيم عليه السلام فإذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فأنزل الله هذه الآية فأمرهم أن يقفوا بعرفات وأن يفيضوا منها كما يفعله سائر الناس والمراد بالناس العرب كلهم غير الحمس.
والحمس في الأصل جمع أحمس وهو الرجل الشجاع والأحمس أيضا الشديد الصلب في الدين والقتال وسميت قريش وكنانة وجديلة وقيس حمسا لتشددهم في دينهم وكانوا لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وكذلك كان من حالفهم أو تزوج منهم ﴿واستغفروا الله﴾ من جاهليتكم في تغيير المناسك ومخالفتكم
٣١٧
في الموقف ﴿إن الله غفور رحيم﴾ يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فأمر النبي عليه السلام أبا بكر رضي الله تعالى عنه أن يخرج بالناس جميعا إلى عرفات فيقف بها.
جزء : ١ رقم الصفحة : ٣١٦
" (١).

"﴿فنادته الملائكة﴾ أي : جبرائيل وحكم الواحد من الجنس قد ينسب إلى الجنس نفسه نحو فلان يركب الخيل وإنما يركب واحدا من أفرادها ولما كان جبرائيل رئيسهم عبر عنه باسم الجماعة تعظيما له ﴿وهو﴾ حال من مفعول النداء أي : والحال أن زكريا عليه السلام ﴿قآئم يصلى فى المحراب﴾ أي : في المسجد أو في غرفة مريم ﴿إن الله﴾ مفعول ثان لنادته أي

(١) تفسير روح البيان. ، ١/٢٦٠

: بأن الله تعالى ﴿يبشرك بيحيى﴾ أي : بولد اسمه يحي لأنه حيي به رحم أمه ولأنه تحيي به المجالس من وعظه والتقدير بولادة ولد اسمه يحي فإن التبشير لا يتعلق بالأعيان ﴿مصدقا بكلمة من الله﴾ أي : بعيسى عليه السلام ، وإنما سمي كلمة لأنه وجد بكلمة كن من غير أب فشابه البديعيات التي هي عالم الأمر وهو أول من آمن بعيسى وصدق بأنه كلمة الله وروح منه ويسمى روحا أيضا لأنه تعالى أحيي به من الضلالة كما يحيي الإنسان بالروح.

قال السعدي : لقيت أم يحي أم عيسى فقالت : يا مريم أشعرت بحبلي؟ فقالت مريم : وأنا أيضا حبلى قالت : فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى : ﴿مصدقا﴾ الخ وكان يحي أكبر من عيسى بستة أشهر

٣٠

ثم قتل يحي قبل أن رفع عيسى إلى السماء ﴿وسيدا﴾ عطف على مصدقا أي : رئيسا يسود قومه ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فإنه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيا لها ما أسناها ﴿وحصورا﴾ أي : مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة.

. روي . أنه مر في صباه بصبيان فدعوه إلى اللعب فقال : ما للعب خلقت.

والحصور الممتنع من النساء مع القدرة عليهما وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره ﴿ونبيا﴾ أي : يوحى إليه إذا بلغ هو مبلغه ﴿من الصالحين﴾ أي : ناشئا منهم لأنه كان من أصلاب الأنبياء عليهم السلام.

والصلاح صفة تنتظم الخير كله والمراد به هنا ما فوق الصلاح الذي لا بد منه في منصب النبوة البتة من أقاصي مراتبه.

﴿قال﴾ عند نداء الملائكة إياه وبشارتهم له بالولد بالاستفهام متعجبا من حيث العادة ومسرورا بالولد ﴿رب أنى يكون لي﴾ أي : كيف يحصل لي ﴿غلام﴾ وفيه دلالة على أنه خبر بكونه غلاما عند التبشير ﴿وقد بلغنى الكبر﴾ أي : أدركني كبر السن وأثر في ، وفيه دلالة على أن كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للإنسان لا يكاد يتركه قيل : كان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون ﴿وامرأتى عاقر﴾ أي : ذات عقر وعقيم لا تلد ﴿قال﴾ أي : الله ﴿كذالك﴾ إشارة إلى مصدر يفعل في قوله تعالى : ﴿الله يفعل ما يشآء﴾ أي : ما يشاء أن يفعله من تعاجيب الأفاعيل الخارقة للعادات.

فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف في محل النصب على أنها في الأصل نعت لمصدر محذوف أي : الله يفعل ما يشاء أن يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٢٦

﴿قال رب اجعل لى ءاية﴾ أي : علامة تدل أي : تحقق المسؤول أو وقوع الحبل وإنما سألها لأن العلوق أمر خفي لا يوقف عليه فأراد أن يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة منه حين حصولها بالشكر ولا يؤخره إلى أن يظهره ظهورا معتادا ﴿قال ءايتك﴾ أي : علامة حدوث الولد ﴿ألا تكلم الناس﴾ أي : أن لا تقدر على تكليمهم ﴿ثلاثة أيام﴾ أي : متوالية مع لياليها فإن ذكر الليالي أو الأيام يقتضي دخول الأخرى فيها لغة وعرفا وإنما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة ﴿إلا رمزا﴾ أي : إشارة بيد أو رأس أو نحوهما وسمي الرمز كلاما لأنه يؤدي ما يؤدي الكلام ويفهم منه ما يفهم من الكلام فلهذا جاز الاستثناء المتصل منه ثم أمره تعالى بذكره لعدم منعه عن ذكر الله فقال : ﴿واذكر

ربك﴾ أي : في أيام الحبسة شكرا لحصول التفضل والإنعام ﴿كثيرا﴾ أي : ذكرا كثيرا ﴿وسبح بالعشى﴾ أي : سبحه تعالى أي : من الزوال إلى الغروب ﴿والابكار﴾ من طلوع الفجر إلى الضحى.

قال الإمام في قوله تعالى : ﴿واذكر ربك كثيرا﴾ فيه قولان : أحدهما أنه تعالى أمر بحبس لسانه عن أمور الدنيا إلا رمزا فأما في الذكر والتسبيح فقد كان لسانه جيدا وكان ذلك من المعجزات الباهرة ، والقول الثاني أن المراد منه الذكر بالقلب وذلك لأن المستغرقين في بحار معرفة الله تعالى عادتهم في أول الأمر أن يواظبوا على الذكر اللساني مدة فإذا امتلأ القلب من نور ذكر الله سكتوا باللسان وبقي الذكر بالقلب ولذلك قالوا : من عرف الله كل لسانه فكان زكريا عليه السلام أمر بالسكوت باللسان والاستحضار معا في الذكر والمعرفة

٣١

واستدامتهما انتهى.

واعلم أن الذكر على مراتب والذكر اللساني بالنسبة إلى الذكر القلبي تنزل.." (١)

" . روي . أنه مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع مناديا يا دانيال قف ساعة تر عجبا فلم ير شيئا ثم نادى الثانية قال : فوقفت فإذا بيت يدعوني إلى نفسه فدخلت فإذا سرير مرصع بالدر والياقوت فإذا النداء من السرير اصعد يا دانيال تر عجبا فارتقيت السرير فإذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فإذا عليه شاب ميت كأنه نائم وإذا عليه من الحلي والحلل ما لا يوصف وفي يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف أشد خضرة من البقل فإذا النداء من السرير أن احمل هذا السيف واقرأ ما عليه قال : فإذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم وأني عشت ألف عام وسبعمائة وافتضضت اثني عشر ألف جارية وبنيت أربعين ألف مدينة وهزمت سبعين ألف جيش وفي كل جيش قائد مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل وباعدت الحكيم وقربت السفيه وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الإنصاف وكان يحمل مفاتيح الخزائن أربعمائة بغل وكان يحمل إلي خراج الدنيا فلم ينازعني أحد من أهل الدنيا فادعيت الربوبية فأصابني الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بألف قفيز من در فلم أقدر عليه فمت جوعا يا أهل الدنيا اذكروا أمواتكم ذكرا كثيرا واعتبروا بي ولا تغرنكم الدنيا كما غرتني فإن أهلي لم يحملوا من وزري شيئا.

فعلى العاقل أن لا يركن إلى الدنيا ويتذكر مرجعه ويجنب عن المنافقة والظلم والجور ويتصف بالإخلاص والعدل والإحسان فإنه هو المفيد ، قال ابن الكمال :

رده داری ميكند در طاق كسرى عنكبوت

بوم نوبت ميزند بر قلعة افراسياب

تخم احسانرا ه دارى برفشان اي بي خبر

ونكه داني دانه عمرت خوردااين آسياب

جعلنا الله وإياكم من المتيقظين الواصلين إلى ذروة اليقين قبل حلول الأجل والحين.

---

(١) تفسير روح البيان . ، ٢٥/٢

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا﴾ المراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلا أربعة من

١٢٣

المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن جحش وباقيهم من الأنصار.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١٢٢

قال القاشاني : الأفصح الأبلغ أن يجعل الخطاب في ﴿ولا تحسبن﴾ لكل أحد لأنه أمر خطير يجب أن يبشر به كل واحد لتتوفر دواعيهم إلى الجهاد وليتيقنوا بحسن الجزاء وإن كان للرسول صلى الله عليه وسلم فالمراد به نهي الأمة وتنبيهم على حالهم وإلا فرسول الله أجل مرتبة من ذلك الحسبان ﴿بل أحيآء﴾ أي بل هم أحياء ﴿عند ربهم﴾ خبر ثان للمبتدأ المقدر والعندية المكانية مستحيلة فتعين حملها على أنهم مقربون منه تعالى قرب التكريم والتعظيم ﴿يرزقون﴾ من ثمار الجنة وتحفها وفيه تأكيد لكونهم إحياء وتحقيق لمعنى حياتهم ﴿فرحين بمآ ءاتاهم الله من فضله﴾ وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الأبدية والزلفى من الله تعالى والتمتع بالنعيم المخلد عاجلا ﴿ويستبشرون﴾ معطوف على قوله فرحين عطف الفعل على الاسم لكون الفعل في تأويل الاسم كأنه قيل : فرحين ومستبشرين وبناء استفعل ليس للطلب بل هو بمعنى المجرد نحو استغنى الله أي غنى وقد سمع بشر الرجل بكسر العين فيكون استبشر بمعناه وقيل هو مطاوع ابشر نحو أراحه فاستراح فإن البشرى حصلت لهم بإبشار الله تعالى وإليه أشار الزمخشري في الكشاف بقوله : بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به والبيضاوي بقوله : يسرون بالبشارة ﴿بالذين لم يلحقوا بهم﴾ أي بإخوانهم الذين لم يقتلوا بعده في سبيل الله فليحقوا بهم ﴿من خلفهم﴾ متعلق بيلحقوا والمعنى أنهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم ﴿ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ بدل من الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال إخوانهم لا بذواتهم وإن هي المخففة أي يفرحون بما بشر لهم وبين من حيث حال إخوانهم الذين تركوهم وهو أنهم إذا ماتوا أو قتلوا يفوزون بحياة أبدية لا يدركها خوف وقوع محذور ولا حزن فوت مطلوب والخوف يكون بسبب توقع المكروه النازل في المستقبل والحزن يكون بسبب فوت المنافع التي كانت موجودة في الماضي فبين الله أنه لا خوف عليهم مما سيأتيهم من أهوال القيامة وأحوالها ولا حزن لهم مما فاتهم من نعم الدنيا ولذاتها.

(١) ".

"﴿مذبذبين بين ذالك﴾ حال من فاعل يراءون وذلك إشارة إلى الإيمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام أي مرددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان والهوى بينهما وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعده أخرى ﴿لا إلى هاؤلاء ولا إلاى هاؤلاء﴾ حال من ضمير مذبذبين أي لا منسوبين إلى المؤمنين فيكونون مؤمنين ولا إلى الكافرين فيكونون مشركين ﴿ومن يضلل الله﴾ لعدم استعداده للهداية والتوفيق ﴿فلن تجد له سبيلا﴾ موصلا إلى الحق والصواب فضلا عن أن تهديه إليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان

٣٠٧

وكان صلى الله عليه وسلم يضرب مثلا للمؤمنين والمنافقين والكافرين كمثل رهط ثلاثة رفعوا إلى نهر فقطعه المؤمن ووقف

---

(١) تفسير روح البيان. ، ١٠١/٢

الكافر ونزل فيه المنافق حتى إذا توسط عجز فناداه الكافر هلم إلي لا تغرق وناداه المؤمن هلم إلي لتخلص فما زال المنافق يتردد بينهما إذ أتى عليه ماء فغرقه فكأن المنافق لم يزل في شك حتى يأتيه الموت :

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٠٦

اى كه دارى نفاق اندر دل

خار بادت خليده اندر حلق

هركه سازد نفاق يشه خويش

خوار كردد بنزد خالق وخلق

والإشارة ﴿إن المنافقين﴾ إنما ﴿يخادعون الله﴾ في الدنيا لأن الله تعالى ﴿وهو خادعهم﴾ في الأزل عند رش نوره على الأرواح وذلك أن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فلما رش نوره أصاب أرواح المؤمنين وأخطأ أرواح المنافقين والكافرين ولكن الفرق بين المنافقين والكافرين أن أرواح المنافقين رأوا رشاش النور وظنوا أنه يصيبهم فأخطأهم وأرواح الكافرين ما شاهدوا ذلك الرشاش ولم يصبهم وكأن المنافقين خدعوا عند مشاهدتهم الرشاش إذ ما أصابهم فمن نتائج مشاهدتهم الرشاش ﴿وإذا قاموا إلى الصلواة﴾ من نتائج حرمانهم إصابة النور ﴿قاموا كسالى يرآءون الناس﴾ كيما يرونهم النور ﴿ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ لأنهم يذكرونه بلسان الظاهر القالبي لا بلسان الباطن القلبي والقالب من الدنيا وهي قليلة قليل ما فيها والقلب من الآخرة وهي كثيرة كثير ما فيها فالذكر الكثير من لسان القلب كثير والفلاح في الذكر الكثير لا في القليل لقوله تعالى : ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (الزمر : ٢٢) أي : بلسان القلب ﴿لعلكم تفلحون﴾ (الزمر : ٢٢) ولما كان ذكر المنافقين بلسان القالب كان قليلا فما أفلحوا به وإنما كان ذكر المنافق بلسان الظاهر لأنه رأى رشاش النور ظاهرا من البعد ولم يصبه فلو كان أصابه ذلك النور لكان صدره منشرحا به كما قال تعالى : ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه﴾ (الزمر : ٢٢) أي على نور مما رش به ربه ومعدن النور هو القلب فكان قلبه ذاكرابذلكالنور فإنه يصير لسان القلب فقليل الذكر منه يكون كثيرا فافهم جدا فلما كانت أرواح المنافقين مترددة متحيرة بين مشاهدة رشاش النور وبين الظلمة الخلقية لا إلى هؤلاء الذين أصابهم النور ولا إلى هؤلاء الذين لم يشاهدوا الرشاش لذلك كانوا ﴿مذبذبين بين ذالك﴾ المؤمنين والكافرين ﴿لا إلى هاؤلاء ولا إلاى هاؤلاءا ومن يضلل الله﴾ بأخطاء ذلك النور كما قال ومن أخطأه فقد ضل ﴿فلن تجد له سبيلا﴾ ههنا إلى ذلك النور يدل عليه قوله : ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ أي : ومن لم يجعل الله له قسمة من ذلك النور المرشش عليهم فما له اليوم نصيب من نور الهداية كذا في "التأويلات النجمية" اللهم ارزقنا الذكر الكثير واعصمنا من الذنب الصغير والكبير.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٠٦

يقال : حصون المؤمن ثلاثة : المسجد ، وذكر الله ، وتلاوة القرآن ، والمؤمن إذا كان في واحد من ذلك أي من الأشياء الثلاثة فهو في حصن من الشيطان قال علي رضي الله عنه : "يأتي على الناس زمان لا يبقى في الإسلام إلا اسمه ومن القرآن إلا رسمه يعمرون مساجدهم وهي خراب من ذكر الله تعالى شر أهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة وإليهم

تعود" قال السعدي قدس سره :

٣٠٨

كنون بايدت عذر تقصير كفت

نه ون نفس ناطق زكفتن بخفت

اللهم اجعلنا من الذاكرين الشاكرين آمين يا معين.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٠٦

". (١)

"قال الكاشفي : (صومعهاي راهبان وكليساهاي ترسايان وكنشتهاي جهودان) سميت بالصلوات لأنها تصلى فيها.

قال الراغب : يسمى موضع العبادة بالصلاة ولذلك سميت الكنائس صلوات.

وقال بعضهم : هي كلمة معربة وهي بالعبرية "صلوثا" بالثاء المثلثة وهي في لغتهم بمعنى المصلى ﴿ومساجد﴾ للمسلمين في أيام شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وقدم ما سوى المساجد عليها في الذكر لكونه أقدم في الوجود

٣٩

بالنسبة إليها.

وفي "الأسئلة المقحمة" : تقديم الشيء بالذكر لا يدل على شرفه كقوله تعالى : ﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾ (التغابن : ٢) ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ أي **ذكرا كثيرا** أو وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها ويجوز أن يكون صفة للأربع لأن الذكر في الصوامع والبيع والصلوات كان معتبرا قبل انتساخ شرائع أهلها.

وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى لو لم ينصر القلوب على النفوس ويدافع عن القلوب استيلاء النفوس لهدمت صوامع أركان الشريعة وبيع آداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التي يذكر فيها اسم الله كثيرا فإن الذكر الكثير لا يتسع إلا في القلوب الواسعة المنورة بنور الله.

﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي : بالله لينصرن الله من ينصر أولياءه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم.

﴿إن الله لقوى﴾ على كل ما يريده.

﴿عزيز﴾ لا يمانعه شيء ولا يدافعه ، وفي "بحر العلوم" : يغني بقدرته وعزته في إهلاك أعداء دينه عنهم وإنما كلفهم النصر باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة الأعداء وبذل الأرواح والأموال لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيها إلى منافع دينية ودنيوية.

فإن قلت فإذا كان الله قويا عزيزا غالبا غلبة لا يجد معها المغلوب نوع مدافعة وانفلات فما وجه انهزام المسلمين في بعض وقد وعدهم النصرة.

---

(١) تفسير روح البيان ، ٢٤٦/٢

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٩
قلت : إن النصرة والغلبة منصب شريف فلا يليق بحال الكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار وأخرى على المؤمنين لأنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين في جميع الأوقات لحصل العلم الاضطراري بأن الإيمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على أهل الإيمان وأخرى على أهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الإسلام فيعظم ثوابه عند الله ولأن المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي فيكون تشديد المحنة عليه في الدنيا كفارة له في الدنيا وأما تشديد المحنة على الكافر فإنه يكون غضبا من الله كالطاعون مثلا فإنه رحمة للمؤمنين ورجز أي عذاب وغضب للكافرين.
مر عامر برجل قد صلبه الحجاج قال : يا رب إن حلمك على الظالمين أضر بالمظلومين ، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وكأنه دخل الجنة فرأى المصلوب فيها في أعلى عليين فإذا مناد ينادي حلمي على الظالمين أحل المظلومين في أعلى عليين.
واعلم أن الله تعالى يدفع في كل عصر مدبرا بمقبل ومبطلا بمحق وفرعونا بموسى ودجالا بعيسى فلا تستبطىء ولا تنضجر.
قال الحافظ :
اسم أعظم بكند كارخود أي دل خوش باش
كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود
قال بعض الكبار : الأمراء يقاتلون في الظاهر وأولياء الله في الباطن فإذا كان الأمير في قتاله محقا والطرف المقابل مستحقا للعقوبة أعانه رجال الغيب من الباطن وإلا فلا.
وفي التوارة في حق هذه الأمة : أناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا إلا وجبريل عليه السلام معهم وهو يدل على أن كل قتال حق يحضره جبريل ونحوه إلى قيام الساعة بل القتال إذا كان حقا فالواحد يغلب الألف.
قال الحافظ :
٤٠
تيغي كه آسمانش ازفيض خود دهد آب
تنها هان بكيرد بي منت ساهي
﴿الذين إن مكناهم فى الأرض﴾ وصف من الله للذين أخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى إياهم في الأرض وإعطائه إياهم زمام الأحكام ﴿أقاموا الصلواة﴾ لتعظيمي.
قال الراغب : كل موضع مدح الله بفعل الصلاة أو حث عليه ذكر بلفظ الإقامة ولم يقل المصلين إلا في المنافقين نحو : ﴿فويل للمصلين﴾ (الماعون : ٤) وإنما خص لفظ الإقامة تنبيها على أن المقصود من فعلها توفية حقوقها وشرائطها لا الإتيان بهيئتها فقط ولهذا روي أن المصلين كثير والمقيمين لها قليل ﴿وءاتوا الزكواة﴾ لمساعدة عبادي ﴿وأمروا بالمعروف﴾ وكل ما عرف حسنه شرعا وعرفا.
﴿ونهوا عن المنكر﴾ هو ما يستقبحه أهل العلم والعقل السليم.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٩

قال الراغب : المعروف اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه والمنكر ما ينكر بهما.

". (١)

"عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني تكذيبكم بعد ذلك أصلا وكل أحد بعد ذلك مأخوذ بعمله.

قال في "الأسئلة المقحمة" معنى البلاغ هو إلقاء المعنى إلى النفس على سبيل الإفهام وإن لم يفهم السامع فقد حصل مني ذلك الإبلاغ والإسماع والإفهام من الله تعالى.

يش وحي حق أكر كرسرنهد

كبريا از فضل خود سمعش دهد

جزمكر جاني كه شدبى نور وفر

همون ماهى كنك بد از أصل كر

وفي الآية تسلية للرسول عليه السلام ودعاء له إلى الصبر وزجر لمخالفيه فيما فعلوا من التكذيب والجحود فعلى المؤمن الطاعة والتقوى وقبول وصية الملك الأقوى فإن التقوى خير الزاد يوم التلاق وسبب النجاة وجالبة الأرزاق وأعظم أسباب التقوى التوحيد وهو أساس الإيمان ومفتاح الجنان ومغلاق النيران.

روي : أن عمر رضي الله عنه مر بعثمان رضي الله عنه وسلم عليه فلم يرد سلامه فشكا إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال : لعله لعذر ثم أرسل إلى عثمان وسأل عن ذلك فقال : لم أسمع كلامه فإني كنت في أمر وهو أنا صاحبنا النبي زمانا فلم نسأل عما تتفتح به الجنان وتغلق أبواب النيران فقال أبو بكر رضي الله عنه : سألت عن ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم فقال : هي الكلمة التي عرضتها على عمي أبي طالب فأبى لا إله إلا الله محمد رسول الله" وذكر الله أكثر الأشياء تأثيرا فاذكروا الله **ذكرا كثيرا.**

قال السري رحمه الله : صحبت زنجيا في البرية فرأيته كلما ذكر الله تغير لونه وابيض فقلت : يا هذا أرى عجبا فقال : يا أخي أما إنك لو ذكرت الله تغيرت صفتك.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٥٧

قال الحكيم الترمذي رحمه الله : ذكر الله يرطب اللسان فإذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوة فتعس وييس وامتنعت الأعضاء عن الطاعة كالشجرة اليابسة لا تصلح إلا للقطع وتصير وقود النار وبالتوحيد تحصل الطهارة التامة عن لوث الشرك والسوى فالنفس تدعو مع الشيطان إلى أسفل السافلين والله تعالى يدعو بلسان نبيه إلى أعلى عليين وقد دعا الأنبياء كلهم فقبحوا الأوثان والشرك والدنيا وحسنوا عبادة الله والتوحيد والأخرى ورغبوا إلى الشكر والطاعة في الدنيا التي هي الساعة بل كلمح البصر لا يرى لها أثر ولا يسمع لها خبر فالعاقل يستمع إلى الداعي الحق ولا يكذب الخبر الصدق فيل بالتصديق والقبول والرضى إلى الدرجات العلى والراحة العظمى.

---

(١) تفسير روح البيان. ، ٢٨/٦

مده براحت فاني حيات باقي را

بمحنت دوسه روز از غم ابد بكريز

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٥٧

﴿أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق﴾ اعتراض بين طرفي قصة إبراهيم عليه السلام لتذكير أهل مكة وإنكار تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله والهمزة لإنكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر وإبداء الخلق إظهارهم من العدم إلى الوجود ثم من الوجود الغيبي إلى الوجود العيني.

قال الإمام الغزالي رحمه الله : الإيجاد إذا لم يكن مسبوقا بمثله يسمى إبداء وإن كان مسبوقا بمثله يسمى إعادة والله تعالى بدأ خلق الإنسان ثم هو يعيدهم أي يرجعهم ويردهم بعد العدم إلى الوجود ويحشرهم والأشياء كلها منه بدت وإليه تعود.

ومعنى الآية ألم ينظروا أي أهل مكة وكفار قريش ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق الله ابتداء من مادة ومن غير مادة أي قد علموا.

﴿ثم يعيده﴾

٤٥٨

أي : يرده إلى الوجود عطف على أو لم يروا لا على يبدأ لعدم وقوع الرؤية عليه فهو إخبار بأنه تعالى يعيد الخلق قياسا على الإبداء وقد جوز العطف على يبدأ بتأويل الإعادة بإنشائه تعالى كل سنة ما أنشأه في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما فإن ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب.

قال الشيخ سعدي قدس سره :

بامرش وجود از عدم نقش بست

كه داند جزا وكردن از نيست هست

دكره بكتم عدم در برد

واز آنجا بصحري محشر برد

﴿إن ذالك﴾ أي : ما ذكر من الإعادة ﴿على الله يسير﴾ سهل لا نصب فيه.

وبالفارسية (آسانت) إذ لا يفتقر في فعله إلى شيء من الأسباب.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٥٨

﴿قل﴾ يا محمد لمنكري البعث.

﴿سيروا فى الأرض﴾ سافروا في أقطارها.

﴿فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ خلقهم ابتداء على كثرتهم مع اختلاف الأشكال والأفعال والأحوال ﴿ثم الله ينشئ النشأة

الاخرة﴾ يقال : نشأ نشأة حيي وربا وشب.
." (١)

"فإن المشايخ قد قالوا : إن مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة ولهذا قال تعالى : ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ لأنها لم تكن بإيمان حقيقي بل كانت بالتقليد والرياء والسمعة وكان ذلك الرد والإبطال على الله يسيرا.
وقد قال بعض الكبار : إني لست بقطب الوجود ولكن مؤمن به فقيل له ونحن مؤمنون به أيضا فقال بين إيمان وإيمان فرق فمن إيمان لا يزول كأصل الشجرة الراسخة ومن إيمان يزول كأصل النباتات الواهية وذلك لأن المحسن الموقن مأمون من الارتداد والريب بخلاف أهل الغفلة والمتعبد على حرف.
لا يزيل الماء نقشا في الحجر
بل يزيل النقش في وجه الورق
باش بر عشق خدا ثابت قدم
رونمى كردان زوجه اك حق
﴿أشحة عليكم فإذا جآء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموتا فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخيرا أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذالك على الله يسيرا * يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وإن يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسالون عن أنابآاكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا * لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا﴾ .
﴿يحسبون الاحزاب لم يذهبوا﴾ أي : هؤلاء المنافقون لجبنهم المفرط يظنون أن الأحزاب لم ينهزموا ففروا إلى المدينة والأحزاب هم الذين تحزبوا على النبي عليه السلام يوم الخندق وهم قريش وغطفان وبنو قريظة والنضير من اليهود (والتحزب ، كروه كروه شدن) كما في "التاجي ﴿وإن يأت الاحزاب﴾ كرة ثانية إلى المدينة ، وبالفارسية : (اكربيايند اين لشكرها نوبتى ديكر) ﴿يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب﴾ تمنوا أنهم خارجون من المدينة إلى البدو وحاصلون بين الأعراب لئلا يقاتلوا.
والود محبة الشيء وتمنى كونه وبدا يبدو بداوة إذا خرج إلى البادية وهي مكان يبدو ما يعن فيه أي : يعرض ويقال للمقيم بالبادية باد فالبادون خلاف الحاضرين والبدو خلاف الحضر ﴿يسالون﴾ كل قادم من جانب المدينة ﴿عن أنابآاكم﴾ عن أخباركم وعما جرى عليكم ، يعني : (از آنه كذشته باشد ميان شما ودشمنان) وهو داخل تحت الود اى يودون أنهم غائبون عنكم يسمعون أخباركم بسؤالهم عنها من غير مشاهدة ﴿ولو كانوا فيكم﴾ في الخندق هذه الكرة الثانية ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال ، وبالفارسية : (اكر باشند درميان يعنى در مدينه ومقاتله با اعدادست دهد) ﴿ما قاتلوا إلا قليلا﴾ رياء وخوفا من التعيير من غير حسبة.
جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣١
﴿لقد كان لكم﴾ أيها المؤمنون كما في "تفسير الجلالين" وهو الظاهر من قوله فيما بعد لمن كان يرجو الله الخ ﴿فى رسول

(١) تفسير روح البيان . ، ٣٣٢/٦

الله أسوة حسنة﴾ .

قال الراغب : الإسوة والأسوة كالقدوة والقدوة الحالة التي يكون الإنسان عليها في اتباع غيره إن حسنا أو قبيحا وإن سارا أو ضارا ويقال : تأسيت به أي : اقتديت.

والمعنى : لقد كان لكم في محمد صلى الله عليه وسلم خصلة حسنة وسنة صالحة حقها أن يؤتسى بها أي : يقتدى كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد فإنه قد شج فوق حاجبه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة يوم أحد وأوذي بضروب الأذى فوقف ولم ينهزم وصبر فلم يجزع فاستسنوا بسنته وانصروه ولا تتخلفوا عنه.

وقال بعضهم : كلمة في تجريدية جرد من نفسه الزكية شيء وسمي قدوة وهي هو يعني أن رسول الله في نفسه إسوة وقدوة يحسن التأسي والاقتداء به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي : هي نفسها هذا القدر من الحديد ﴿لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر﴾ أي : يأمل ثواب الله ونعيم الآخرة أو يخاف الله واليوم الآخر.

فالرجاء يحتمل الأمل والخوف ولمن كان صلة الحسنة أو صفة لها لا بدل من لكم فإن الأكثر على أن ضمير المخاطب لا يبدل

١٥٦

منه ﴿وذكر الله كثيرا﴾ أي : **ذكرا كثيرا** في جميع أوقاته وأحواله أي : وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله.

قال الحكيم الترمذي : الأسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول وفعل.

قال الشيخ سعدي :

درين بحر جز مرد ساعى نرفت

كم آن شد كه دنبال راعى نرفت

كساني كزين راه بركشته اند

بر فتند بسيار وسر كشته اند

خلاف پمبر كسى ره كزيد

كه هركز بمنزل نخواهد رسيد

محالست سعدى كه راه صفا

توان رفت جزبرى مصطفى." (١)

"بران نهاد تا هي دشمن بموضع نبوت راه نيافت نه هواى نفس نه وسوسه شيطان ونه خطرات مذمومه وديكر يغمبرانرا اين مهر نبوت نبود لا جرم از خطرات وهواجس امين نبودند س رب العالمين كمال شرف مصطفارا آن مهركه در دل وى نهاد نكذاشت تا درميان دو كتف وى آشكارا كرد تاهركسى كه نكرستى آنرا ديدى همو خانه كبوترى).

---

(١) تفسير روح البيان . ، ١١٩/٧

وفي صفاته عليه السلام : بين كتفيه خاتم النبوة ووجه كونه بين كتفيه يعرف مما نقله الإمام الدميري في "حياة الحيوان" أن بعض الأولياء سأل الله تعالى أن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فأراه الحق تعالى هيكل الإنسان في صورة بللور وبين كتفيه شامة سوداء كالعش والوكر فجاء الخناس يتجسس من جميع جوانبه وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء من بين الكتفين فأدخل خرطومه قبل قلبه فوسوس إليه فذكر الله فخنس وراءه ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب وكان خاتمه مثل زر الحجلة وهو طائر على قدر الحمامة أحمر المنقار والرجلين ويسمى دجاج البر.

قال الترمذي وزرها بيضها.

قال الدميري والصواب حجلة السرير واحدة الحجال وزرها الذي يدخل في عروتها وكان حول ذلك الخاتم شعرات مائلة إلى الخضرة مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله أو محمد نبي أمين أو غير ذلك كما قال في "السبعيات" : كان خاتم النبوة "بتخيخ هيصور توجه حيث شئت فإنك منصور" والتوفيق بين الروايات بتعدد الخطوط وتنوعها بحسب الحالات والتجليات أو بالنسبة إلى أنظار الناظرين ولكون ما بين الكتفين مدخل الشيطان كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبريل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لأنه يجري وسوسته مجرى الدم وعصم عليه السلام من وسوسته لقوله : "أعانني الله عليه فأسلم" أي : بالختم الإلهي وما أسلم قرين آدم فوسوس إليه لذلك.

وفي "سفر السعادة" : أن النبي عليه السلام لما سحره اليهودي ووصل المرض إلى الذات المقدسة النبوية أمر بالحجامة على قبة رأسه المباركة واستعمال الحجامة في كل متضرر في السحر غاية الحكمة ونهاية حسن المعالجة ومن لا حظ له في الدين والإيمان يشكل هذا العلاج وفي الحديث : "الحجامة في الرأس شفاء من سبع" من الجنون ، والصداع ، والجذام ، والبرص ، والنعاس ، ووجع الضرس ، وظلمة يجدها في عينيه" والحجامة في وسط الرأس وكذا بين الكتفين نافعة.

وتكره في نقرة القفاء فإنها تورث النسيان.

قال بعضهم : الحجامة في البلاد الحارة أنفع من الفصد وروي أنه عليه السلام ما شكا إليه رجل وجعا في رأسه إلا قال : "احتجم" ولا وجعا في رجليه إلا قال : "أخضبه" وخير أيام الحجامة يوم الأحد والإثنين.

وجاء في بعض الروايات النهي عن يوم الأحد واختار بعضهم يوم الثلاثاء وكرهه بعضهم وتكره يوم السبت والأربعاء إلا أن يكون قد غلب عليه الدم وخير أزمانها الربيع بعد نصف الشهر في السابع عشر والتاسع عشر والحادي والعشرين فالأولى أن تكون في الربع الثالث من الشهر لأنه وقت هيجان الدم وتكره في المحاق وهو ثلاثة أيام من آخر الشهر ولا يستحب أن يحتجم في أيام الصيف في شدة الحر ولا في شدة البرد في أيام الشتاء وخير أوقاتها من لدن طلوع الشمس إلى وقت الضحى وتستحب الحجامة على الريق فإنها شفاء

١٩٠

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣١

وبركة وزيادة في العقل والحفظ وعلى الشبع داء إلا إذا كان به ضرر فليذق أولا شيئا قليلا ثم ليحتجم وإذا أراد الحجامة يستحب أن لا يقرب النساء قبل ذلك بيوم وليلة وبعده مثل ذلك ولا يدخل في يومه الحمام وإذا احتجم أو افتصد لا

ينبغي أن يأكل على أثره مالحا فإنه يخاف منه القروح أو الجرب ولا يأكل رأسا ولا لبنا ولا شيئا مما يتخذ من اللبن ويستحب على أثره الخل ليسكن ما به ثم يحسو شيئا من المرقة ويتناول شيئا من الحلاوة إن قدر عليه كما في "بستان العارفين" والله الشافي وهو الكافي.

﴿ما كان محمد أبآ أحد من رجالكم ولـاكن رسول الله وخاتم النبيانا وكان الله بكل شيء عليما * يا أيها الذين ءامنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ .

". (١)

"يا أيها الذين ءامنوا اذكروا الله﴾ بما هو أهله من التهليل والتحميد والتكبير ونحوها.

والذكر إحضار الشيء في القلب أو في القول وهو ذكر عن نسيان وهو حال العامة أو إذامة الحضور والحفظ وهو حال الخاصة إذ ليس لهم نسيان أصلا وهم عند مذكورهم مطلقا **﴿ذكرا كثيرا﴾** في جميع الأوقات ليلا ونهارا صيفا وشتاء وفي عموم الأمكنة برا وبحرا سهلا وجبلا وفي كل الأحوال حضرا وسفرا صحة وسقما سرا وعلانية قياما وقعودا وعلى الجنوب وفي الطاعة بالإخلاص وسؤال القبول والتوفيق وفي المعصية بالامتناع منها وبالتوبة والاستغفار وفي النعمة بالشكر وفي الشدة بالصبر فإنه ليس للذكر حد معلوم كسائر الفرائض ولا لتركه عذر مقبول إلا أن يكون المرء مغلوبا على عقله.

وأحوال الذاكرين متفاوتة بتفاوت أذكارهم.

فذكر بعضهم بمجرد اللسان بدون فكر مذكوره ومطالعه آثاره بعقله وبدون حضور مذكوره ومكاشفة أطواره بقلبه وبدون أنس مذكوره ومشاهدة أنواره بروحه وبدون فنائه في مذكوره ومعاينة أسراره بسره.

وهذا مردود مطلقا.

وذكر بعضهم باللسان والعقل فقد يذكر بلسانه ويتفكر مذكوره ويطالع آثاره بعقله لكن ليس له الحضور والإنس والفناء المذكور وهو ذكر الأبرار مقبول بالنسبة إلى الأول.

وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب فقط بدون الإنس والفناء المذكور وهو ذكر أهل البداية من المقربين مقبول بالنسبة إلى ذكر الأبرار وما تحته.

وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب والروح والسر جميعا وهو ذكر أرباب النهاية من المقربين من الأنبياء والمرسلين والأولياء الأكملين وهو مقبول مطلقا وللإرشاد إلى هذه الترقيات قال عليه السلام : "إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد" قيل : يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال : "تلاوة كتاب الله وكثرة ذكره" فبكثرة الذكر يترقى السالك من مرتبة اللسان إلى ما فوقها من المراتب العالية ويصقل مرآة القلب من ظلماتها وأكدارها.

ثم إن ذكر الله وإن كان يشتمل الصلاة والتلاوة والدراسة ونحوها إلا أن أفضل الأذكار لا إله إلا الله فالاشتغال به منفردا مع الجماعة محافظا على الآداب الظاهرة والباطنة ليس كالاشتغال بغيره.

(سلمى كويد مراد از ذكر كثير ذكر دلست ه دوام ذكر بزبان ممكن نيست).

---

(١) تفسير روح البيان . ، ١٤٧/٧

وقال بعضهم : الأمر بالذكر الكثير إشارة إلى محبة الله تعالى يعني أحبوا الله لأن النبي عليه السلام قال : من أحب شيئا أكثر من ذكره (نشان دوستى آنست كه نكذاردكه زبان از ذكر دوست يا دل ازفكر او خالى ماند) :

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣١

درهي مكان نيم زفكرت خالى

درهي زمان نيم زذكرت عافل

فأوجب الله محبته بالإشارة في الذكر الكثير وإنما أوجبها بالإشارة دون العبارة الصريحة

١٩١

لأن أهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر تكفيه الإشارة وإنما لم يصرح بوجوب المحبة لأنها مخصوصة بقوم دون سائر الخلق كما قال : ﴿فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ (المائدة : ٥٤) فعلى هذا بقوله : ﴿فاذكرونى أذكركم﴾ (البقرة : ١٥٢) يشير إلى أحبوني أحببكم :

بدرياى محبت آشنا باش

صدف سان معدن در صفاباش

". (١)

"الرديئة والمفيض تعالى وتقدس في غاية التنزه والتقدس فليس بينهما مناسبة والاستفاضة منه إنما تحصل بواسطة ذي جهتين أي : جهة التجرد وجهة التعلق كالحطب اليابس بين النار والحطب الرطب وكالغضروف بين اللحم والعظم وتلك الواسطة حضرة صاحب الرسالة عليه السلام حيث يستفيض من جهة تجرده ويفيض من جهة تعلقه فالصلاة عليه واجبة عقلا كما أنها واجبة شرعا أي : بهذه الآية لكن مطلقا أي : في الجملة إذ ليس فيها تعرض للتكرار كما في قوله تعالى : ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ (الأحزاب : ٤١).

وقال الطحاوي : تجب الصلاة عليه كلما جرى ذكره على لسانه أو سمعه من غيره.

قال في "بحر العلوم" وهو الأصح لأن الأمر وإن كان لا يقتضي التكرار إلا أن تكرار سبب الشيء يقتضي تكراره كوقت الصلاة لقوله عليه السلام : "من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فأبعده الله" أي : من رحمته وفي الحديث : "لا يرى وجهي ثلاثة أقوام أحدها العاق لوالديه والثاني تارك سنتي والثالث من ذكرت عنده فلم يصل علي" وفي الحديث : "أربع من الجفاء أن يبول الرجل وهو قائم وأن يمسح جبهته قبل أن يفرغ وأن يسمع النداء فلا يشهد مثل ما يشهد المؤذن وأن أذكر عنده فلا يصلي علي".

فإن قلت : الصلاة على النبي لم تخل عن ذكره ولو وجبت كلما ذكر لم نجد فراغا من الصلاة عليه مدة عمرنا.

قلت : المراد من ذكر النبي الموجب للصلاة عليه الذكر المسموع في غير ضمن الصلاة عليه.

وقيل : تجب الصلاة في كل مجلس مرة في الصحيح وإن تكرر ذكره كما قيل في آية السجدة وتشميت العاطس وإن كان

---

(١) تفسير روح البيان ـ ، ١٤٨/٧

السنة أن يشمت لكل مرة إلى أن يبلغ إلى ثلاث ثم هو مخير إن شاء شمته وإن شاء تركه.

وكذلك تجب الصلاة في كل دعاء في أوله وآخره وقيل : تجب في العمر مرة كما في إظهار الشهادتين والزيادة عليها مندوبة والذي يقتضيه الاحتياط وتستدعيه معرفة علو شأنه أن يصلي عليه كلما جرى ذكره الرفيع كما قال في "فتح الرحمن" : المختار في مذهب أبي حنيفة أنها مستحبة كلما ذكر وعليه الفتوى.

وفي تفسير الكاشفي (وفتوى بر آنست كه نام آن حضرت هرند تكرار يابد يك نوبت درود واجبست وباقي سنت) أي : يستحب تكرارها كلما ذكر بخلاف سجود التلاوة فإنه لا يندب تكراره بتكرير التلاوة في مجلس واحد.

والفرق أن الله تعالى غني غير محتاج بخلاف النبي عليه السلام كما في "حواشي الهداية" للإمام الخبازي ولو تكرر اسم الله في مجلس واحد أو في مجالس يجب لكل مجلس ثناء على حدة بأن يقول : سبحان الله أو تبارك الله أو جل جلاله أو نحو ذلك فإن تعظيم الله لازم في كل زمان ومكان ولو تركه لا يقضي بخلاف الصلاة على النبي عليه السلام لأنه لا يخلو عن تجدد نعم الله الموجبة للثناء فلا يخلص للقضاء وقت بخلاف الصلاة على النبي فتبقى دينا في الذمة فتقضي لأن كل وقت محل للأداء.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣١

وفي قاضي خان رجل يقرأ القرآن ويسمع اسم النبي لا تجب عليه الصلاة والتسليم لأن قراءة القرآن على النظم والتأليف أفضل من الصلاة على النبي فإذا فرغ من القرآن إن صلى عليه كان حسنا وإن لم يصل لا شيء عليه.

أما الصلاة عليه في التشهد الأخير كما سبق فسنة عند أبي حنيفة ومالك وشرط لجواز الصلاة عند الشافعي وركن عند أحمد فتبطل الصلاة عندهما بتركها عمدا كان أو سهوا لقوله عليه

٢٢٧

" (١).

"الذهاب بصفاء قلب وهمة لا بكسل نفس وغمة وفي الحديث إذا أذن المؤذن أي في الأوقات الخمسة أدبر الشيطان وله حصاص وهو بالضم شدة العدو وسرعته وقال حماد بن سلمة قلت لعاصم ابن أبي النجود ما الحصاص قال أما رأيت الحمار إذا أصر بأذنه أي ضمهما إلى رأسه ومصع بذنبه أي حركه وضرب به وعدا أي أسرع في المشي فذلك حصاصه وفيه إشارة إلى أن ترك السعي في فعل الشيطان وهذا بالنسبة إلى غير المريض والأعمى والعبد والمرأة والمقعد والمسافر فإنهم ليسوا بمكلفين فهم غير منادين أي لا سعي من المرضى والمزمني والعميان وقد قال تعالى : فاسعوا وأما النسوان فهو أمرن بالقرار في البيوت بالن والعبد والمسافر مشغولان بخدمة المولى والنقل قا النصر آبادى العوام في قضاء الحوائج في الجمعات والخوا في السعي إلى ذكره لعلمهم بأن المقادير قد جرت فلا زيادة ولا نقصان وقال بعضهم : الذكر عند المذكور حجاب والسعي إلى ذكر الله مقام المريدين يطلبون من المذكرو محل قربة إليه والدنو منه وأما المحقق في المعرة وقد غلب عليه ذكر الله إياه بنعت تجلي نفسه لقلبه ﴿وذروا البيع﴾ يقال فلان يذر الشيء أي يقذفه لقلة اعتداده به ولم يستعمل ماضيه وهو وذر

---

(١) تفسير روح البيان. ، ١٧٦/٧

أي اتركوا المعاملة فالبيع مجاز عن المعاملة مطلقا كالشراء والإجارة والمضاربة وغيرها ويجوز إبقاء البيع على حقيقته ويلق به غيره بالدلالة وقال بعضهم : النهي عن البيع يتضمن النهي عن الشراء لأنهما متضايقان لا يعقلان إلا معا فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر وأراد الأمر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وإنما خص البيع والشراء من بينها لأن يوم الجمعة يوم تجمع فيه الناس من كل ناحية فإذا دنا وقت الظهيرة يتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول عن ذكر الله والمضي إلى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا إلى ذكر الله الذي لا شيء أنفع نمه وأربح وذروا البيع الذي نفعه يسر وربحه قليل ﴿ذالكم﴾ أي السعي إلى ذكر الله وترك البيع ﴿خير لكم﴾ من مباشرته فإن نفع الآخرة أجل وأبقى ﴿إن كنتم تعلمون﴾ الخير والشر الحقيقيين روي أنه عليه السلام خطب فقال : إن الله افترض عليكم الجمعة في يومي هذا وفي مقامي هذا فمن تركها في حياتي وبعد مماتي وله إمام عادل أو جائر من غير عذر فلا بارك الله له ولا جمع الله شمله ألا فلا حج له ألا فلا صوم له ومن تاب تاب الله عليه

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥١٢

﴿فإذا قضيت الصلواة﴾ التي نوديتم لها أي أديت وفرغ منها ﴿فانتشروا فى الأرض﴾ لإقامة مصالحكم والتصرف في حوائجكم أي تفرقوا فيها بأن يذهب كل منكم إلى موضع فيه حاجة من الحوائج المشروعة التي لا بد من تحصيلها للمعيشة فإن قلت ما معنى هذا الأمر فإنه لو لبث في المسجد إلى الليل يجوز بل هو مستحب فالجواب أن هذا أمر الرخصة لا أمر العزيمة أي لا جنا عليكم في الانتشار بعدما أديتم حق الصلاة ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أي الربح يعني اطلبوا لأنفسكم وأهليكم من الرزق الحلال بأي وجه يتيسر لكم من التجارة وغيرها من المكاسب المشروعة دل على هذا المعنى سبب نزول قوله وإذا رأوا تجارة الخ كما سيأتي

٥٢٤

فالأمر للإطلاق بعد الحظر أي للإباحة لا للإيجاب كقوله وإذا حللتم فاصطادوا وذكر الإمام السرخسي أن الأمر للإيجاب لما روي أنه عليه السلام قال : طلب الكسب بعد الصلاة هو الفريضة بعد الفريضة وتلا قوله تعالى فإذا قضيت الصلاة وقيل إنه للندب فعن سعيد بن جبير إذا نصرفت من الجمعة فساوم بشيء وإن لم تشتره وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عبادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم.

كما قال الكاشفي : وكفته اند انتشارهم در زمين مسجداست جهت رفتن بمجلس علما ومذكران.

وقيل : صلاة التطوع والظاهر أن مثل هذا إرشاد للناس إلى ما هو الأولى ولا شك في أولوية المكاسب الأخروية مع أن طلب الكفاف من الحلال عبادة وربما يكون فرضا أن الاضطرار ﴿واذكروا الله﴾ بالجنان واللسان جميعا ﴿كثيرا﴾ أي ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة.

" (١).

"كل شئ، وحفظ الله عليه كل شئ، وكان له عوضا من كل شئ.

وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله.

والاحاديث في فضل الذكر وثوابه كثيرة خرجها الائمة.

روى ابن ماجة عن عبد الله بن بسر أن أعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شرائع الاسلام قد كثرت علي فأنبئني منها بشئ أتشبث به، قال: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل).

وخرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله عز وجل يقول أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه).

وسيأتي لهذا الباب مزيد بيان عند قوله تعالى: " يأيها الذين آمنوا إذكروا الله **ذكرا كثيرا** (١) " وأن المراد ذكر القلب الذي يجب استدامته في عموم الحالات.

قوله تعالى: " واشكروا لى ولا تكفرون " قال الفراء يقال: شكرتك وشكرت لك، ونصحتك ونصحت لك، والفصيح الاول (٢).

والشكر معرفة الاحسان والتحدث به، وأصله في اللغة الظهور، وقد تقدم (٣).

فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته له، إلا أن شكر العبد نطق باللسان وإقرار بالقلب بإنعام الرب مع الطاعات.

قوله تعالى: " ولا تكفرون " نهي، ولذلك حذفت مثه نون الجماعة، وهذه نون المتكلم.

وحذفت الياء لانها رأس آية، وإثباتها أحسن في غير القرآن، أي لا تكفروا نعمتي وأيادي.

فالكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب.

وقد مضى القول في الكفر (٤) لغة، مضى القول في معنى الاستعانة (٥) بالصبر والصلاة، فلا معنى للاعادة.

قوله تعالى: ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموت بل أحياء ولكن لا تشعرون (١٥٤)

---

(١) راجع ج ١٤ ص ١٩٧.

(٢) الذى في معاجم اللغة أن الفصيح الثاني.

(٣) تراجع المسألة الثالثة وما بعدها ج ١ ص ٣٩٧ طبعة ثانية.

(٤) يراجع ج ١ ص ١٨٣.

---

(١) تفسير روح البيان . ، ٤٢٣/٩

(٥) يراجع ج ١ ص ٣٧١ طبعة ثانية.

(*)."[١]

"أحيانه.

أخرجه مسلم.

فدخل في ذلك كونه على الخلاء وغير ذلك.

وقد اختلف العلماء في هذا، فأجاز ذلك عبد الله بن عمرو وابن سيرين والنخعي، وكره ذلك ابن عباس وعطاء والشعبي.

والاول أصح لعموم الآية والحديث.

قال النخعي: لا بأس بذكر.

الله في الخلاء فإنه يصعد.

المعنى: تصعد به الملائكة مكتوبا في صحفهم، فحذف المضاف.

دليله قول تعالى: " ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد " [ق: ١٨] (١).

وقال: " وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين " [الانفطار: ١٠ - ١١] (٢).

ولان الله عزوجل أمر عباده بالذكر على كل حال ولم يستثن فقال: " اذكروا الله **ذكرا كثيرا** " [الاحزاب: ٤١] (٣) وقال: " فاذكروني أذكركم " [البقرة: ١٥٢] (٤) وقال: " إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا " [الكهف: ٣] (٥)

فعم.

فذاكر الله تعالى على كل حالاته مثاب مأجور إن شاء الله تعالى.

وذكر أبو نعيم قال: حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع قال حدثنا سفيان عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الاحبار قال قال موسى عليه السلام: (يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني قال: يا رب فإنا نكون من الحال على حال نجلك ونعظمك أن نذكرك قال: وما هي ؟ قال: الجنابة والغائط قال: يا موسى اذكرني على كل حال).

وكراهية من كره ذلك إما لتنزيه ذكر الله تعالى في المواضع المرغوب عن ذكره فيها ككراهية قراءة القرآن في الحمام، وإما إبقاء على الكرام الكاتبين على أن يحلهم موضع الاقذار والانجاس لكتابة ما يلفظ به.

والله أعلم.

و (قياما وقعودا) نصب على الحال.

(وعلى جنوبهم) في موضع الحال، أي ومضطجعين ومثله قول تعالى: " دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما " [يونس: ١٢] (٦) على العكس، أي دعانا مضطجعا على جنبه.

وذهب، جماعة من المفسرين منهم الحسن وغير إلى أن قوله " يذكرون الله " إلى آخره، إنما هو عبارة عن الصلاة، أي لا

---

(١) تفسير القرطبي، ٢/١٧٢

يضيعونها، ففي حال العذر يصلونها قعودا أو على جنوبهم.
وهي مثل قول تعالى: " فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم " [النساء: ١٠٣] (٧) في قول ابن مسعود على، ما يأتي بيانه.
وإذا كانت الآية في الصلاة ففقهها أن الانسان يصلى قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنبه، كما ثبت عن عمران

---

(١) راجع ج ١٧ ص ٨.
(٢) راجع ج ١٩ ص ٢٤٥.
(٣) راجع ج ١٤ ص ١٩٧.
(٤) راجع ج ٢ ص ١٧١.
(٥) راجع ج ١٠ ص ٣٩٥.
(٦) راجع ج ٨ ص ٣١٧.
(٧) راجع ج ٥ ص ٣٧٣.
(*)."[١]

"في هذه الآية، وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد، إلحاد عندي، وتطرق خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوة، فالحذر الحذر منه ! والله الهادي برحمته.
قلت: وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا نبوة بعدي إلا ما شاء الله).
قال أبو عمر: يعني الرؤيا – والله أعلم – التي هي جزء منها، كما قال عليه السلام: (ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة).
وقرأ ابن مسعود " من رجالكم ولكن نبيا ختم
النبيين ".
قال الرماني: ختم به عليه الصلاة والسلام الاستصلاح، فمن لم يصلح به فميئوس من صلاحه.
قلت: ومن هذا المعنى قوله عليه السلام: (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق).
وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثلي ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون.
منها ويقولون لولا موضع اللبنة ! – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم – فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الانبياء).
ونحوه عن أبي هريرة، غير أنه قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين).

---

(١) تفسير القرطبي، ٣١١/٤

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا أذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) أمر الله تعالى عباده بأن يذكروه ويشكروه، ويكثروا من ذلك على ما أنعم به عليهم.

وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد.

ولعظم الاجر فيه قال ابن عباس: لم يعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غلب على عقله.

وروى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون).

وقيل: الذكر الكثير ما جرى على الاخلاص من القلب، والقليل ما يقع على حكم النفاق كالذكر باللسان.

قوله تعالى: وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) أي اشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير.

قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب.

وقيل: أدعوه.

قال جرير:." (١)

"لانه لا يبان عضو المسلم إلا في مال عظيم.

وبه قال أكثر الحنفية.

ومن يعجب فيتعجب لقول الليث بن سعد: إنه لا يقبل في أقل من اثنين وسبعين درهما.

فقيل له: ومن أين تقول ذلك ؟ قال: لان الله تعالى قال: " لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين " (١) [التوبة: ٢٥] وغزواته وسراياه كانت اثنتين وسبعين.

وهذا لا يصح، لانه أخرج حنينا منها، وكان حقه أن يقول يقبل في أحد وسبعين، وقد قال الله تعالى: " اذكروا الله ذكرا كثيرا " [الاحزاب: ٤١]، وقال: " لا خير في كثير من نجواهم " [النساء: ١١٤]، وقال: " وألعنهم لعنا كبيرا " [الاحزاب: ٦٨].

الصورة السادسة - إذا قال له: عندي عشرة أو مائة أو ألف، فإنه يفسرها بما شاء ويقبل منه، فإن قال ألف درهم أو مائة وعبد أو مائة وخمسون درهما فإنه يفسر المبهم ويقبل منه.

وبه قال الشافعي: وقال أبو حنيفة: إن عطف على العدد المبهم مكيلا أو موزونا كان تفسيرا، كقوله: مائة وخمسون درهما، لان الدرهم تفسير للخمسين، والخمسين تفسير للمائة.

وقال ابن خيران الاصطخري من أصحاب الشافعي: الدرهم لا يكون تفسيرا في المائة والخمسين إلا للخمسين خاصة ويفسر هو المائة بما شاء.

المسألة الرابعة - قوله تعالى: " ولو ألقى معاذيره " ومعناه لو اعتذر بعد الاقرار لم يقبل منه.

وقد اختلف العلماء فيمن رجع بعد ما أقر في الحدود التي هي خالص حق الله، فقال أكثرهم منهم الشافعي وأبو حنيفة: يقبل رجوعه بعد الاقرار.

---

(١) تفسير القرطبي، ١٤/١٩٧

وقال به مالك في أحد قوليه، وقال في القول الآخر: لا يقبل إلا أن يذكر لرجوعه وجها صحيحا.

والصحيح جواز الرجوع مطلقا، لما روى الائمة منهم البخاري ومسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم رد المقر بالزنى مرارا أربعا كل مرة يعرض عنه، ولما شهد على نفسه أربع مرات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (أبك جنون) قال: لا.

قال: (أحصنت) قال: نعم.

وفي حديث البخاري: (لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت).

وفي النسائي وأبي داود: حتى قال له في الخامسة

(أجامعتها) (٢) قال: نعم.

قال: (حتى غاب ذلك منك في ذلك منها) قال: نعم.

قال: (كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر).

قال: نعم.

ثم قال: (هل تدري ما الزنى) قال: نعم، أتيت منها حراما مثل ما يأتي الرجل من أهله حلالا.

قال: (فما تريد مني) ؟

---

(١) جملة (ويوم حنين) ساقطة من ز، ط والمطبوع.

(٢) اللفظ في رواية لابي داود.

(*)."[(١)]

"" صفحة رقم ٥٥٤ "

أحد بعده ، وعيسى ممن نبيء قبله ، وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد ، مصليا إلى قبلته ، كأنه بعض أمته .

) يأيها الذين ءامنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا (

الأحزاب : (٤١ - ٤٢) يا أيها الذين . . . . .

) اذكروا الله (أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله ، وأكثروا ذلك) بكرة وأصيلا (أي في كافة الأوقات قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) :

(٨٩٦) (اذكروا الله على فم كل مسلم) . وروي : (في قلب كل مسلم) . وعن قتادة : قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إلاه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وعن مجاهد : هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب . والفعلان ، أعني اذكروا وسبحوا موجهان إلى البكرة والأصيل ، كقولك : صم وصل يوم الجمعة ، والتسبيح من جملة الذكر ، وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ، ليبين فضله عى سائر الأذكار ، لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال ، وتبرئته من القبائح . ومثال فضله على غيره من الأذكار فضل وصف

---

(١) تفسير القرطبي، ١٠٤/١٩

العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي ، والطهر من أرجاس المآثم ، على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام ، والتوقر على الطاعات كلها ، والاشتمال على العلوم ، والاشتهار بالفضائل ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره : تكثير الطاعات ، والإقبال على العبادات ؛ فإن كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ، ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي الصلاة في جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها . أو صلاة الفجر والعشاءين ؛ لأن أداءها أشق ومراعاتها أشد .

) هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٧)

الأحزاب : (٤٣) هو الذي يصلي . . . . . ." (١)

"وقوله تعالى : ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُم﴾ أمر بأن نذكره بالأسماء والصِّفات التي بيَّنها لنا وهدانا إليها ، لا بأسماء تذكر بحسب الرَّأي والقياس.

وقيل : أمر بالذِّكر أولاً ، ثم قال : ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ ، أي : وافعلوا ما أمركم به من الذِّكر كما هداكم لدين الإسلام ، كأنّه قال : إنَّما أمرتكم بهذا الذِّكر ؛ لتكونوا شاكرين لتلك النِّعمة ، ونظيره ما أمرهم به من التكبير عند فراغ رمضان ، فقال : ﴿وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة : ١٨٥] ، وقال في الأضاحي : ﴿كَذلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [الحج : ٣٧].

وقيل : أمر أولاً بالذِّكر باللِّسان ، وثانياً بالذِّكر بالقلب ، فإن الذكر في كلام العرب ضربان : أحدهما : الذِّكر ضد النِّسيان.

والثاني : الذِّكر بالقول.

فالأول : كقوله : ﴿وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [الكهف : ٦٣].

والثاني : كقوله : ﴿فَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَآءَكُمْ﴾ [البقرة : ٢٠٠] ، و ﴿وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة : ٢٠٣] فالأول محمول على الذِّكر باللِّسان ، والثاني على الذكر بالقلب.

وقال ابن الأنباري : معنى قوله : ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ أي : اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته.

وقيل : المراد مواصلة الذكر بالذِّكر ؛ كأنه قيل لهم : اذكروا الله واذكروه ، أي : اذكروه ذكراً بعد ذكر ؛ كما هداكم هداية بعد هداية ، نظيره قوله : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ [الأحزاب : ٤١].

وقيل : المراد بالذكر الأول : ذكر الله بأسمائه وصفاته الحسنى ، والمراد بالثاني : الاشتغال بشكر نعمائه والشُّكر مشتمل أيضاً على الذِّكر.

فصل قال بعضهم : إن هذه الهداية خاصَّة ، والمراد : كما هداكم في مناسك حجِّكم إلى سنَّة إبراهيم – عليه السلام – .

وقال بعضهم : بل هي عامَّة متناولة لكل أنواع الهدايات.

قوله : ﴿وَإِن كُنْتُمْ مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ﴾ : " إنْ " هذه هي المخفَّفة من الثقيلة ، واللام

٤٢٦

(١) تفسير الكشاف ، ٣/٥٥٤

بعدها للفرق بينهما وبين النافية ، وجاز دخول " إنْ " على الفعل ؛ لأنه ناسخٌ ، وهل هذه اللام لام الابتداء التي كانت تصحب " إنَّ " ، أو لامٌ أخرى غيرها ؛ اجتلبت للفرق ؟ قولان هذا رأيُ البصريّين.

وأمَّا الكوفيون فعندهم فيها خلاف : فزعم الفرّاء أنها بمعنى " إنْ " النافية ، واللام بمعنى " لاَّ " ، أي : ما كنتم من قبله إلاَّ من الضالّين ، ومذهب الكسائيّ التفصيل : بين أن تدخل على جملةٍ فعليَّة ، فتكون " إنْ " بمعنى " قَدْ " ، واللاَّم زائدةً للتوكيد ؛ كقوله : ﴿وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الشعراء : ١٨٦] ، وبين أن تدخل على جملةٍ ، كقوله : ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق : ٤] ؛ فتكون كقول الفرَّاء.

و " مِنْ قَبْلِهِ " متعلّقٌ بمحذوفٍ يدلُّ عليه " لَمِنَ الضَّالِّينَ " ، تقديره : كنتم من قبله ضالّين لمن الضَّالّين ، ولا يتعلَّق بالضالِّينَ بعده ؛ لأنَّ ما بعد " أَلِ " الموصولةِ ، لا يعمل فيما قبلها ، إلا على رأي من يتوسَّع في الظرف ، والهاء في " قَبْلِهِ " عائدةٌ على " الهُدَى " المفهوم من قوله " كَمَا هَدَاكُمْ ".

وقيل : تعود إلى القرآن ، والتقدير : واذكروه كما هداكم ، بكتابه الذي بيَّن لكم معالم دينه ، وإن كنتم من قبل إنزاله عليكم من الضَّالِّين.

وقيل : إلى الرَّسول.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٤٠٩

استشكل الناس مجي " ثُمَّ " هنا ؛ من حيث إنَّ الإفاضة الثانية هي الإفاضة الأولى ؛ لأنَّ قريشاً كانت تقف بمزدلفة ، وسائر الناس بعرفة ، فأمروا أن يفيضوا من عرفة كسائر الناس ، فكيف يجاء بـ " ثُمَّ " التي تقتضي الترتيب والتراخي ؟ والجواب من وجوهٍ : أحدها : أنَّ الترتيب في الذِّكر ، لا في الزمان الواقع فيه الأفعال ، وحسَّن ذلك ؛ أن الإفاضة الأولى غير مأمور بها ، إنما المأمور به ذكر الله ، إذا فعلت الإفاضة.

ثانيها : أن تكون هذه الجملة معطوفةً على قوله : ﴿وَاتَّقُونِ يا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ ففي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ ، وهو بعيدٌ.

ثالثها : أن تكون " ثُمَّ " بمعنى الواو ، قال بعض النُّحَاةِ : فهي لعطف كلامٍ منقطع من الأول.

قال بعضهم : وهي نظير قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد : ١٢ ، ١٣] إلى قوله : ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ [البلد : ١٧] ، أي : كان مع هذا من المؤمنين ، وفائدة " ثُمَّ " ههنا : تأخُّر أحد الخبرين عن الآخر ، لا تأخّر المخبر عنه [عن ذلك المخبر عنه].

رابعها : أن الإفاضة الثانية هي من جمع إلى منى ، والمخاطبون بها جميع الناس ،

٤٢٧." (١)

"وقال عطاء : أراد صوم ثلاثة أيامٍ ؛ لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزاً.

وقرأ العامة : " رمزاً " - بفتح الراء وسكون الميم - وقرأ يحيى بن وثَّابٍ وعلقمة بن قيس " رُمُزاً " بضمها - وفيه وجهان : أحدهما : أنه مصدر على " فُعْل " - بتسكين العين - في الصل ، ثم ضُمَّتِ العين ؛ إتباعاً ، كقولهم اليُسُر والعُسُر -

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٦٣١

في اليُسْر والعُسْر – وقد تقدم كلام أهل التصريف فيه.

والثاني : أنه جمع رموز – كرُسُل في جمع رسول – ولم يذكر الزمخشريُّ غيره.

وقال أبو البقاء : " وقرئ بضمها – أي : الراء – وهو جمع رُمُزَة – بضمتين – وأقر ذلك في الجمع.

ويجوز أن يكون مسَكَّنَ الميم – في الأصل – وإنما أتبع الضمُّ الضَّمَّ.

ويجوز أن يكون مصدراً غير جمع ، وضُمَّ ، إتباعاً ، كاليُسُر واليُسْر ".

قال شهاب الدين : قوله : " جمع رُمُزة " إلى قوله : في الصل ؛ كلام لا يفهم منه معنى صحيح.

وقرأ الأعمش : " رَمَزاً " بفتحهما.

وخرجها الزمخشري على أنه جمع رامز – كخادم وخَدَم – وانتصابه على هذا – على الحال من الفاعل – وهو ضمير زكريا – والمفعول معاً – وهو الناس – كأنه قال : إلا مترامزين ، كقوله : [الوافر] ١٤٥٠ – مَتَى مَا تَلْقَنِي فَرْدَيْنِ تَرْجُفْ

رَوَانِفُ أَلْيَتَيْكَ وَتُسْتَطَارَا

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٨٧

وكقوله : [الكامل] ١٤٥١ – فَلَئِنْ لَقِيتُكَ خَالِيَيْنِ لَتَعْلَمَنْ

أَيِّي وَأَيُّكَ فَارِسُ الأَحْزَابِ ؟

قوله : "كَثِيراً " نعت لمصدر محذوف ، أو حال من ضمير ذلك المصدر ، أو نعت لزمان محذوف تقديره : **ذِكْراً كثيراً** ، أو زماناً كثيراً ، والباء في قوله : " بِالْعَشِيّ " بمعنى " فِي " أي : في العشي والإبكار.

والعشي : يقال من وقت زوال الشمس إلى مَغيبها ، كذا قال الزمخشريُّ.

٢١١

وقال الراغب : " العشيُّ من زوال الشمسِ إلى الصباحِ ".

والأول هو المعروف.

قال الشاعر : [الطويل] ١٤٥٢ – فَلاَ الظِّلُّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى تَسْتَطِيعُهُ

وَلاَ الْفَيْءُ مِنْ بَرْدِ العَشِيّ تَذُوقُ

وقال الواحديُّ : " العَشِيّ : جمع عشية ، وهي آخر النهارِ ".

والعامة قرءوا : " والإِبْكَارِ " بكسر الهمزة ، وهو مصدر أبكر يُبْكِر إبكاراً – أي : خرج بُكْرَةً ، ومثله : بَكَرَ – بالتخفيف – وابتكر.

قال عمر بن أبي ربيعة : [الطويل] ١٤٥٣ – أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنْتَ غَادٍ فَمُبْكِر

....

وقال : [الخفيف] ١٤٥٤ – أيُّهَا الرَّائِحُ الْمُجِدُّ ابْتِكَاراً

....

وقال أيضاً : [الطويل] ١٤٥٥ - بَكَرْنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرْنَ بسُحْرَةٍ
فَهُنَّ لِوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ لِلْفَمِ
وقرئ شاذاً " والأبْكَار " - بفتح الهمزة - وهو جمع بَكَرَ - بفتح الفاء والعين - ومتى أريد به هذا الوقت من يوم بعينه امتنع من الصرف والتصرُّف ، فلا يُستعمَل غيرَ ظرف ، تقول : أتيتك يوم الجمعة بَكَر.
وسبب مَنْع صَرْفه التعريفُ والعدل عن " أل ".
فلو أرِيدَ به وقت مُبْهَم انصرف نحو أتيتك بكراً من الأبكار ونظيره سحر وأسْحار - في جميع ما تقدم.
وهذه القراءة تناسب قوله : ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ عند من يجعلها جمع عَشِيَّة ؛ ليتقابل الجَمْعَان.
ووقت الإبكار من طلوع الفجر إلى وقت الضحى.
٢١٢
وقال الراغب : أصل الكلمة هي البكرة - أول النهار - فاشتقَّ من لفظه لفظُ الفعل ، فقيل : بكر فلان بُكُوراً - إذا خرج بُكْرَةً.
والبَكور : المبالغ في البكور ، وبَكَّر في حاجته ، وابتكر وبَاكَر.
[وتصور فيها] معنى التعجيل ؛ لتقدُّمِها على سائر أوقاتِ النهار فقيل لكل مُتَعَجِّل : بَكَّر.
وظاهر هذه العبارة أن البَكَر مختص بطلوع الشمس إلى الضُّحَى ، فإن أريد به من أول طلوع الفجر إلى الضحى فإنه على خلاف الأصلِ.
وقد صرح الواحديُّ بذلك ، فقال : " هذا معنى الإبكارِ ، ثم يُسَمَّى ما بين طلوعِ الفجر إلى الضُّحَى إبكاراً كما يسمى إصْبَاحاً ".
فصل قيل : المراد بالذكر الكثير : الذكر بالقلب ، وقوله : ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ محمول على الذكر باللسان.
وقيل : المراد بالتسبيح : الصلاة ؛ لأنها تسمى تسبيحاً ، قال تعالى : ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [الروم : ١٧].
ومنه سمي صلاة الظهر والعصر : صلاتي العشيّ.
جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٨٧
إن شئت جعلتَ " إذ " نسقاً على الظرف قبله - وهو قوله : ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ﴾
٢١٣
" (١).

"أحدهما : هو " لكم " فيجوز في الجار الآخر وجوه : التعلق بما يتعلق به الخبر ، أي بمحذوف على أنه حال من " أُسْوَةٍ " ؛ إذ لو تأخر لكان صفةً أو " بكان " على مذهب من يَرَاهُ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٦٤

الثاني : أن الخبر هو : " فِي رَسُولِ اللَّهِ " و " لَكُمْ " على ما تقدم في " رسول الله " أو يتعلق بمحذوف على التبيين أَعْنِي لَكُمْ.

قوله : ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو﴾ فيه أوجه : أحدها : أنه بدل من الكاف في " لَكُمْ " قاله الزمخشري ، ومنعه أبو البقاء ، وتابعه أبو حيان ، قال أبو البقاء : وقيل : هو بدل من ضمير المُخَاطَبِ بإعادة الجارِّ ، ومنع منه الأكثرون ؛ لأن ضمير المخاطب لا يبدل منه.

وقال أبو حيان : قال الزمخشري بدل من " لكم " كقوله : ﴿اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ﴾ [الأعراف : ٧٥].

قال : ولا يجوز على مذهب جمهور البصريين أن يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب بدل شيء من شيء وهما لعين واحدة وأجاز ذلك الكوفيون والأخفش وأنشد : ٤٠٧٧ - بِكُمْ قُرَيْشٍ كُفِينَا كُلَّ مُعْضِلَةٍ

وأَمَّ نَهْجَ الهُدَى مَنْ كَانَ ضِلّيلاً

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٥٢١

قال شهاب الدين : لا نسلم أن هذا بدل شيء من شيء وهما لعين واحدة ، بل بدل بعض من كل باعتبار الواقع لأن الخطاب في قوله : " لكُم " أعمّ مِن : " مَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وغَيْره " ثم خصص ذلك العموم لأن المتأَسِّيَ به عليه (الصلاة و) السلام في الواقع إنما هو المؤمنون ويدل عليه ما قلته ظاهر تشبيه الزمخشري هذه الآية بآية الأعراف ، وآية الأعراف البدل فيها بدل كل من كل ومجابٌ بأنه إنما قصد التشبيه في مجرد إعادة العامل.

٥٢٥

والثاني : أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة " لحَسَنَةٍ ".

والثالث أن يتعلق بنفس " حسنة " قالهما أبو البقاء ، ومنع أن يتعلق بأسوة قال : لأنها قد وصفت و "كَثِيراً " أي **ذِكْراً كَثِيراً**.

فصل لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي قدوة صالحة أن تنصروا دين الله وتؤازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذا كسرت رُبَاعِيَّتُهُ ، وجرح وَجْهُهُ وقتل عمه ، وأوذي بَضُروبٍ من الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضاً ، واستنوا بسنته ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾ قال ابن عباس لمن كان يرجو ثواب الله.

وقال مقاتل : يخشى الله واليوم الآخر أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال وذكر الله كثيراً في جميع المواطن على السراء والضراء ، ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال : ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ﴾ لما بين حال المنافقين ذكر حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب وهو أنهم لما رأوا الأحزاب قالوا تسليماً لأمر الله وتصديقاً بوعده وهو قولهم : ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ، وقولهم ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ ليس بإشارة إلى ما وقع فإنهم كانوا يعرفون صدق الله قبل الوقوع وإنما هو إشارة إلى بشارة وهو أنهم قالوا : ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ﴾ وقد وقع صدق الله في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً﴾ (عند وجوده ووعد الله إياهم ما ذكر في سورة البقرة : ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ

أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ﴾ [الآية : ٢١٤] إلى قوله : ﴿إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة : ٢١٤] فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء فلما) (رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً) أي تصديقاً لله وتسليماً له.

قوله : ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من تكرير الظاهر تعظيماً لقوله :

٥٢٦

٤٠٧٨ – لاَ أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيءٌ

....

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٥٢١

" (١).

"أي ولكن أنا مدره.

قوله : " وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ " قرأ عاصم بفتح التاء والباقون بسكرهان فالفتح اسم للآلة التي يختم بها كالطَّابَع والقَالَب ، لما يطبع به ، ويقلب فيه هذا هو المشهور ، وذكر أبو البقاء فيه أَوْجُهاً أُخَرَ منها أنه في معنى المصدر قال : كذا ذكر في بعض الأعاريب ، قال شهاب الدين : وهو لغط محض كيف وهو مُحْوجٌ إلى تَجَوُّزٍ أو إضْمار ، ولو حكى هذا في خَاتِم – بالكسر – لكان أقرب ، لن قد يجيء المصدر على فاعل وفاعلة وسيأتي ذلك قريباً ، ومنها أنه اسم بمعنى " آخَرَ " ومنها أنه فعل ماض مثل " قَاتَل " فيكون " النَّبِيِّينَ " مفعولاً به ، قال شهاب الدين : ويؤيد هذا قراءة عبد الله المتقدمة.

وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعني بمعنى آخرهم لأنه قد ختم النبيين فهو خَاتم.

فصل قال ابن عباس : يريد لو لم أَختم به النبيين لجعلت له ابناً يكون من بعده نبيّاً ، وروى عطاء عن ابن عباس : أن الله تعالى لما حكم أنه لا نبي بعده لم يُعْطِهِ ولداً ذكراً

٥٥٨

يصير رَجُلاً ، وقيل : من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم إذ هو كالوالد لولد ليس له غيره.

﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيما﴾ أي علمه بكل شيء دخل فيه أن لا نبي بعده ، فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد عليه (الصلاة و) السلام أن زوجه بزوجة دعيّه تكميلاً للشرع ، وذلك من حيث إنَّ قول النبي – صلى الله عليه وسلم – يفيد شرعاً لكن إذا امتنع هو عنه يفيد في بعض النفوس نُفْرة ، ألا ترى أنه ذكر بقوله ما فهم منه حِلّ أكل الضَّبِّ ، ثم لما لم يأكله بَقِيَ في النفوس شيء ، ولما أكل لحم الجمل طاب أكله ، مع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب ، روى أبو هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " مَثَلِي ومَثَلُ الأنبياء كَمَثَلِ قَصْرٍ أُحْكِمَ بُنْيَانُهُ تُرِكَ مِنْهُ مَوْضِعُ لَبِنَةٍ فَطَافَ بِهِ النُّظَّارُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ حُسْنِ بِنَائِهِ إِلاَّ مَوْضِعَ تِلْكَ اللَّبِنَةِ لاَ يُجِيبُونَ سِوَاهَا فَكُنْت أنَا مَوْضِع تِلْكَ اللَّبِنَةِ خُتِمَ بِهِ البُنْيَانُ ، وَخُتِمَ بِي الرُّشْدُ " ، وقال – عليه (الصلاة و) السلام : " إنَّ لِي أَسْمَاءَ أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَنَا أَحْمَدُ ، وَأَنَا الماحِي يَمْحُو

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٢٠

اللَّهُ بِيَ الكُفْرَ ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يَحْشُرُ اللَّهُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِيَ وأَنَا العَاقِبُ " والعاقِبُ الذَّي لَيْس بَعْدَهُ شَيْءٌ.

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٥٥٢

قوله : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ **ذِكْراً كَثِيراً**﴾ قال ابن عباس : لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل حدّاً معلوماً ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم

٥٥٩

يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أهله في تركه إلا مغلوباً على عقله وأمرهم به في الأحوال كلها ، فقال : ﴿فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء : ١٠٣] وقال : ﴿اذْكُرُواْ اللَّهَ **ذِكْراً كَثِيراً**﴾ أي بالليل والنهار ، والبرِّ والبحر والصحة والسِّقَم في السر والعلانية وقال مجاهد : الذكر الكثير أن لا ينساه أبداً ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أي صلوا له بكرة يعني صلاة الصبح و " أصيلاً " يعني صلاة العصر ، وقال الكلبي : " وأصيلاً " صلاة الظهر والعصر والعشاء ، وقال مجاهد معناه : قولوا : سبحانَ اللَّهِ والحمدُ لله ولا إله إلا الله واللَّه أكبر ولا حَوْلَ ولا قوة إلى بالله فعبر بالتسبيح عن أخواته ، وقيل : المراد من قوله : " **ذِكْراً كَثِيراً** " هذه الكلمات يقولها الطاهرُ والخبيثُ والمحدث.

قوله : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ﴾ الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين فذكر صلاته تحريضاً للمؤمنين على الذكر والتسبيح ، قال السدي : قالت بنو إسرائيل لموسى : أيصلي ربنا ؟ فكَبُرَ هذا الكلام على موسى فأوحى الله إليه قل لهم : إنِّي أصلي وإن صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كُلَّ شيء.

وقيل : الصلاة من الله هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده ، وقيل : الثناء عليه.

قال أنس : لما نزلت إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر : ما خَصَّك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

قوله : " وَمَلاَئِكَتُهُ " إما عطف على فاعل " يصلي " ، وأغنى الفصل بالجار عن التأكيد بالضمير ، وهذا عند من يرى الاشتراك أو القدر المشترك أو المجاز ؛ لأن صلاة الله غير صلاتهم.

وإما مبتدأ وخبره محذوف ، أي " وملائكته يصلون " وهذا عند من يرى شيئاً مما تقدم جائزاً إلا أن فيه بحثاً ، وهو أنهم نصوا على أنه إذا اختلف مدلولاً الخبرين فلا يجوز حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه وإن كانا بلفظ واحد ، فلا تقول : " زَيْدٌ ضَارِبٌ وَعَمرٌو " يعني وعمرو ضاربٌ في الأرضِ أي مُسافِرٌ.

٥٦٠

". (١)

"نص النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يُعْمَل بقول الصَّحابِيّ بل يؤخذ النور من النبي ولا يؤخذ من الصحابي ، فلم يجعله سراجاً.

قوله : " وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ " عطف على مفهوم تقديره : " إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً ومُبَشراً فاشْهَدْ وبَشِّرْ﴾ ولم يذكر " فاشهد "

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٣٥

للاستغناء عنه ، وأما البشارة فذكرت إشارة للكرم ، ولأنها غير واجبة لولا الأمر.

وقوله ﴿بِأَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ كقوله تعالى : ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً عَظِيماً﴾ والعظيم والكبير متقاربان.

قوله : ﴿وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ تقدم تفسيره أو السورة ، وهو إشارة إلى الإنذار يعني خالفهم ورُدَّ عليهم.

قوله : " وَدَعْ أَذَاهُمْ " يجوز أن يكون " أَذَاهُمْ " مضافً لمفعوله أي اترك أذاك لهم ، أي عقابك إياهم.

قال الزجاج : لا تجازهم عليه ، وهذا منسوخ بأيةِ السيف ، ويجوزم أن يكون مضافاً لفاعله أي اترك ما أَذَوْكَ به فلا تؤاخذهم حتى تُؤْمَر أي دعه إلى الله فإنه يعذبهم بأيديكم وبالنار وبين هذا قوله تعالى : ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ أي حافظاً.

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٥٥٩

قوله : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ...

﴾ الآية وجه تعلق الآية بما

٥٦٣

قبلها هو أن الله تعالى في هذه السورة مكارم الأخلاق وأدب نبيه على ما تقدم والله تعالى أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه فكلما ذكر لنبيّه مكرمةٌ ، وعلَّمَه أدباً ذكر للمؤمنين ما يناسبه ، ولما بدأ الله تعالى في تأديب النبي - عليه الصلاة والسلام - ذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله : ﴿ يا أيها النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ [الأحزاب : ١] وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من أزواجه بقوله : بعده ﴿ يا أيها النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ﴾ [الأحزاب : ٢٨ ، ٥٢] وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله : ﴿ يا أيها النَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً﴾ [الأحزاب : ٤٥] كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾ [الأحزاب : ٤١] ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ ثم كما ثلث في تأديب بجانب الأمة ثَلَّث في حق المؤمنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب : ٥٣] وبقوله : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب : ٥٦] فإن قيل : إذا كان هذا إرشاداً إلى ما يتعلق بجانب من هو خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس ؟.

فالجواب : هذا إرشاد إلى أعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها ، وبيانه أن المرأة إذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تأكد العهد ، ولهذا قال تعالى في حق المَمْسُوسَة : ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [النساء : ٢١] فإذا أمر الله (تعالى) بالتمتع والإحسان مع من لا مودة بينه وبينهما فلما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة إليها بالإفضاء أو حصل تأكدها بحصول الولد بينهما ، وهذا كقوله تعالى : ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ [الإسراء : ٣٢] لو قال : لا تضربهما ولا تشتمهما ظن أنه حرام لمعنى مختص بالضرب أو الشتم ، فأما إذا قال : ﴿لا تقل لهما أف﴾ علم من معانٍ كثيرةٍ فكذلك ههنا لما أمرنا بالإحِسان مع من لا مودة معها علم منه الإحسان مع الممسوسة ومن لم تطلق بعدُ ومن ولدت عنده منه.

قوله : " ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ " إن قيل : ما الفائدة بالإتيان " بثُمَّ " وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك ؟ فالجواب : أنه جرى على الغالب.

وقال الزمخشري : نفى التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها قريبة العهد بالنكاح وبين أن يبعُدَ عهدها بالنكاح وتتراخى بها المرأة في حُبَالَة الزوج ثم طلّقها.

قال أبو حيان :

٥٦٤

واستعمل " عسى " صلة لمن وهو لا يجوز.

" قال شهاب الدين " يخرج قوله على ما خرج عليه قول الآخَر : ٤٠٩٧ - وَإِني لَرَامٍ نَظْرَةً قِبَلَ الَّتِي لَعَلِّي - وَإِنْ شَطَّتْ نَوَاهَا - أَزُورُهَا

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٥٦٣." [١]

"وَ اجْعَلْ لِي وَزِيراً معينا وظهيرا مشتقا من الوزر بمعنى الثقل لأنه يحمل الثقل عن الأمير - أو من الوزر بمعنى الملجا من الجبل لان الأمير يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره ومنه الموازرة - وقيل أصله ازير من الأزر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير بمعنى المعاشر

التفسير المظهري ج ٦ ، ص : ١٣٧

و الجليس بمعنى المجالس قلبت همزتها واو لقلبها في موازر مِنْ أَهْلِي (٢٩) اما صفة لوزيرا أو صلة لاجعل.

هارُونَ مفعول أول لاجعل ووزيرا ثانيهما قدم للعناية به - ولى صلة أو حال وجاز ان يكون لى مفعولا ثانيا ووزيرا أو لهما وهرون عطف بيان - وان يكون مفعولاه وزيرا ومن أهلي ولى تبيين كقوله وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ... أَخِي (٣٠) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والباقون بإسكانها على الوجوه بدل من هرون أو مبتدا خبره.

اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) قال في القاموس الأزر الإحاطة والقوة والضعف عند التقوية والظهر فالمعنى قوّ به ظهرى أو اشدد به قوتى أو قو به ضعفى.

وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) أى في امر النبوة وتبليغ الرسالة - قرأ ابن عامر اشدد بفتح الالف القطعي واشركه بضم همزة القطع على صيغة المضارع المجزوم على انه جواب الأمر - والجمهور بهمزة الوصل المضمومة في الابتداء - وفتح همزة القطع في الثاني على صيغة الأمر على انه بدل اشتمال من قوله اجعل.

كَيْ نُسَبِّحَكَ تسبيحا كَثِيراً (٣٣) قال الكلبي أى نصلى لك وكثيرا.

وَنَذْكُرَكَ **ذكرا كَثِيراً** (٣٤) فان التعاون تهج الرغبات وتؤدى إلى تكاثر الخيرات.

إِنَّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيراً (٣٥) عالما بأحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هارون نعم المعين لى فيما أمرتني به - .." [٢]

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٣٧

(٢) تفسير المظهرى، ص/٤٠٩٣

"و قيل هذا استثناء منقطع بمعنى لكنهم اخرجوا بسبب قولهم ربّنا الله وهذا القول حق فالاخراج به إخراج بغير حق – وجاز ان يكون استثناء من كلام محذوف تقديره ما اخرجوا الشيء الا بان قالوا ربّنا الله وهذا القول حق فالاخراج به إخراج بغير حق فهو في مقام التعليل لما سبق وَلَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ « ١ » النَّاسَ بَعْضَهُمْ بدل من الناس بِبَعْضٍ أى ببعضهم بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين – قرأ نافع لو لا دفاع الله بكسر الدال والف بعد الفاء بمعنى المدافعة للمبالغة والباقون بفتح الدال واسكان الفاء من غير الف لَهُدِّمَتْ قرأ نافع وابن كثير بتخفيف الدال والباقون بتشديدها صَوامِعُ ادغم حمزة والكسائي وأبو عمرو وابن ذكوان تاء هدمت في الصاد ولم يدغم غيرهم « ٢ » قال مجاهد والضحاك يعنى صوامع الرهبان وقال قتادة صوامع الصابئين وَبِيَعٌ جمع بيعة وهى كنيسة النصارى وَصَلَواتٌ وهى كيائس اليهود يسمونها بالعبرانية صلوة وَمَساجِدُ المسلمين من أمة محمّد صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية لو لا دفع الله الناس لهدمت في كل شريعة نبي مكان عبادتهم فهدمت في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد يُذْكَرُ فِيهَا أى في المساجد أو في جميع الاربعة اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً صفة لمصدر محذوف أى **ذكرا كثيرا** وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ أى ينصر دينه جواب قسم محذوف والجملة معترضة للوعد – إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ على نصرهم عَزِيزٌ (٤٠) لا يمكن ممانعته تأكيد للوعد

---

(١) عن ثابت بن عرفجة الحضري قال حدثنى سبعة وعشرون من اصحاب على وعبد الله ان عليّا قال انما نزلت هذه الآية لَوْ لا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ الآية قال لو لا دفع الله باصحاب محمد من التابعين لهدّمت صوامع ١٢ منه رح.

(٢) وفي الأصل غيره.

.." (١)

"يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْراً كَثِيراً** (٤١) قال ابن عباس لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدّا معلوما ثم عذّر أهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدّا ينتهى إليه ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على عقله فامر به فى الأحوال كلها فقال فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِكُمْ وقال اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْراً كَثِيراً** بالليل والنهار فى البر والبحر والصحة والسقم فى السر والعلانية – وقال مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا قلت وهذا لا يتصور الا بعد فناء القاب ودوام الحضور.

وَسَبِّحُوهُ أى صلوا له بُكْرَةً يعنى صلوة الصبح وَأَصِيلًا (٤٢) قال الكلبي يعنى صلوة الظهر والعصر والعشاءين وقال مجاهد يعنى قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم فعبر بالتسبيح عن أخواته وقيل المراد بالذكر الكثير هذه

التفسير المظهري ج ٧ ، ص : ٣٥٢." (٢)

" الأحزاب ٤٣ – ٣٩

---

(١) تفسير المظهرى، ص/٤٤٠٤

(٢) تفسير المظهرى، ص/٥٣٠٣

أو اعنى الذين يبلغون ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وصف الانبياء بأنهم لا يخشون إلا الله تعريض بعد التصريح فى قوله وتخشى الناس والله احق أن تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف ومحاسبا على الصغيرة والكبيرة فكان جديرا بأن تخشى منه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أى لم يكن أبا رجل منكم حقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح والمراد من رجالكم البالغين والحسن والحسين لم يكونا بالغين حينئذ والطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم توفوا صبيانا ولكن كان رسول الله وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لافى سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا بأولاده حقيقة فكان حكمه كحكمكم والتبنى من باب الاختصاص والتقريب لاغير وخاتم النبيين بفتح التاء عاصم بمعنى الطابع أى آخرهم يعنى لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين بنزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه و سلم كأنه بعض امته وغيره بكسر التاء بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين وكان الله بكل شئ عليما يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** أثنوا عليه بضروب الثناء وأكثروا ذلك وسبحوه بكرة أول النهار وأصيلا آخر النهار وخصا بالذكر لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما وعن قتادة قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله ألا الله والله أكبرولا حولا ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والفعلان أى اذكروا الله وسبحوه موجهان إلى البكرة والأصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وإنما اختص من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ابانة لفضله على سائر الأذكار لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز علية من الصفات وجاز ان يراد بالذكر وإكثاره تكثير الطاعات والعبادات فانها من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وهى صلاة الفجر وأصيلا وهى صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء أوصلاة الفجر والعشاءين هو الذى يصلى عليكم وملائكته لما كان من شأن المصلى أن ينعطف فى ركوعه وسجوده استعير لمن يتعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض فى انعطافه عليه والمرأة فى حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل فى الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليه و سلم أى ترحم عليك وترأف والمراد بصلاة الملائكة قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابى الدعوة كأنهم فاعلون الرحمة والرأفة والمعنى هو الذى يترحم عليكم ويترأف حين يدعوكم إلى الخير ويأمركم باكثار الذكروالتوفر على الصلاة ." (١)

"وأما الآثار المتفرعة على الأعمال فهي حصول الهداية والتحلي بالأخلاق الفاضلة المتوسطة بين الطرفين المستقيمة بين المنحرفين ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ إلى آخره وفي قوله ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ دليل على أن الاستضاءة بأنوار أرباب الكمال خلة محمودة وسنة مرضية « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] وفي قوله ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ إشارة إلى أن التجنب عن مرافقة أصحاب البدع والأهواء واجب .

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

والجمر يوضع في الرماد فيخمد ... المنهج الرابع : قال A حكاية عن الله D قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا

---

(١) تفسير النسفي، ٣٠٨/٣

قال العبد ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ يقول الله : ذكرني عبدي . وإذا قال : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ يقول الله : حمدني عبدي وإذا قال : « الرحمن الرحيم » يقول الله : عظمني عبدي . وإذا قال : ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يقول الله : مجدني عبدي – وفي رواية فوض إلي عبدي – وإذا قال : « إياك نعبد » يقول الله : عبدني عبدي وإذا قال : « وإياك نستعين » يقول الله : توكل علي عبدي – وفي رواية وإذا قال : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ يقول الله : هذا لعبدي ما سأل فقوله « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي » إشارة إلى أن أهم مهمات العبد أن يستنير قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية ، لأنه إنما خلق لرعاية هذا العهد ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [الذاريات : ٥٦] ﴿ وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم ﴾ [البقرة : ٤٠] فلا جرم أنزل الله تعالى هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج إليه العبد في الوفاء بذلك العهد وقوله « إذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي » مناسب لقوله تعالى ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ « أنا جليس من ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » والذكر مقام عال شريف ذكره الله تعالى في القرآن كثيرا ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ [الأحزاب : ٤١] ﴿ واذكر ربك في نفسك ﴾ [الأعراف : ٢٠٥] ﴿ تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ [الأعراف : ٢٠١] ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ﴾ [آل عمران : ١٩١] ولهذا وقع الإبتداء به . وقوله « ذكرني عبدي » دل على أن ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وهذا يدل على أن الله اسم علم . وقوله « إذا قال : الله رب العالمين يقول الله : حمدني عبدي » يدل على أن مقام الحمد أعلى من مقام الذكر لأنه أو كلام في أول خلق العالم حيث قالت الملائكة :." (١)

"﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ [الأحزاب : ٤١] وعلى هذا فيكون قوله ﴿ كما هداكم ﴾ متعلقا بالأمرين جميعا ، أو الذكر الأول مقيد بأنه عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال . فالأول إقامة للوظيفة الشرعية والثاني ارتقاء إلى معارج الحقيقة وهو أن ينقطع القلب عن المشعر الحرام بل عن كل ما سواه من حلال وحرام . أو المراد بالأول الجمع بين الصلاتين هناك وبالثاني التسبيح والتحميد ﴿ وإن كنتم من قبله ﴾ من قبل الهدى ، أو من قبل الرسول ، أو من قبل إنزال الكتاب الذي بين فيه معالم دينكم ﴿ لمن الضالين ﴾ الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه . « وإن » هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ﴿ ثم أفيضوا ﴾ في هذه الإفاضة قولان : أحدهما أنه الإفاضة من عرفات وعلى هذا فالأكثرون قالوا : إنه أمر لقريش وحلفائها وهم الحمس لأنهم كانوا لا يتجاوزون المزدلفة ويتعللون بأن الحرم أشرف من غيره ، فالوقوف به أولى . وبأنهم أهل الله وقطان حرمه فلا يليق بحالهم أن يساووا الناس بالوقوف في الموقف ترفعا وكرا . روي أن النبي A لما جعل أبا بكر أميرا في الحج أمره بإخراج الناس إلى عرفات . فلما ذهب مر على الحمس وتركهم فقالوا له : إلى أين وهذا مقام آبائك وقومك؟ فلا تذهب . فلم يلتفت إليهم ومضى بأمر الله إلى عرفات ووقف بها وأمر سائر الناس بالوقوف بها . والحاصل ثم لتكن إفاضتكم من حيث أفاض الناس الواقفون بعرفات لا من المزدلفة . ومعنى « ثم » التفاوت بين الإفاضتين وأن الإفاضة المأمور بها صواب والأخرى

---

(١) تفسير النيسابوري، ٥٥/١

خطأ كما تقول « أحسن إلى الناس ثم لا تحسن إلى غير كريم » تأتي بثم لتفاوت ما بين الإحسان إلى كريم والإحسان إلى غيره ، وبهذا التحقيق لا يلزم عطف الشيء على نفسه . وصيرورة المعنى : فإذا أفضتم من عرفات فأفيضوا من عرفات ، ولا أن يقدر تقديم هذه الآية على ما قبلها في الوضع . ومن القائلين بأن المراد الإفاضة من عرفات من قال إنه أمر الناس جميعا . وقوله ﴿ من حيث أفاض الناس ﴾ المراد به إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام فإن من سنتهما ذلك . وروي أن النبي A كان يقف في الجاهلية بعرفة كسائر الناس ويخالف الحمس . وإيقاع اسم الجمع على الواحد جائز إذا كان رئيسا مقتدى به . ﴿ إن إبراهيم كان أمة ﴾ [النحل : ١٢٠] ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾ [آل عمران : ١٧٣] يعني نعيم بن مسعود ﴿ إن الناس ﴾ يعني أبا سفيان . ووجه ثالث وهو أن يكون قوله ﴿ من حيث أفاض الناس ﴾ عبارة عن تقادم الإفاضة من عرفات وأن ما عداه مبتدع كما يقال « هذا مما فعله الناس قديما » .." (١)

"وإنما وصف الذكر بالكثرة في أكثر المواضع فقال في أوائل السورة ﴿ لمن يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ وقال في الآية ﴿ والذاكرين الله كثيرا ﴾ ويجيء بعد ذلك ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ لأن الإكثار من الأفعال البدنية متعسر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الأغلب ، ولكن لا مانع من أن يذكر الله وهو آكل أو شارب أو ماش أو نائم أو مشغول ببعض الصنائع والحرف ، على أن جميع الأعمال صحتها أو كمالها بذكر الله تعالى وهي النية . قال علماء العربية : في الآية عطفان : أحدهما عطف الإناث على الذكور ، والآخر عطف مجموع الذكور والإناث على مجموع ما قبله . والأول يدل على اشتراك الصنفين في الوصف المذكور وهو الإسلام في الأول والإيمان في الثاني إلى آخر الأوصاف ، والثاني من باب عطف الصفة على الصفة فيؤل معناه إلى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم .

وحين انجر الكلام من قصة زيد إلى ههنا عاد إلى حديثه ، قال الراوي : خطب رسول الله A زينب بنت جحش وكانت أمهات أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة ﴾ الآية . فقالا : رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه المهر ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر . وقيل : نزلت في أن كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي A فقال : قد قبلت ، وزوجها زيدا فسخطت هي وأخوها وقالا : إنما أردنا رسول الله A فزوجها عبده ، وقال أهل النظم : إنه تعالى لما أمر نبيه أن يقول لزوجاته إنهن مخيرات فهم منه أن النبي A لا يريد ضرر الغير فعليه أن يترك حق نفسه لحظ غيره ، فذكر في هذه الآية أنه لا ينبغي أن يظن ظان أن هوى نفسه متبع ، وأن زمام الاختيار بيد الإنسان كما في حق زوجات النبي ، بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله ، فأمر الله هو المتبع وقضاء الرسول هو الحق ، ومن خالف الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ، لأن المقصود هو الله والهادي هو النبي ، فمن ترك المقصد وخالف الدليل ضلا ضلالا لا يرعوي بعده . ثم إن رسول الله A أبصر زينب ذات يوم بعد ما أنكحها زيدا فوقعت في

---

(١) تفسير النيسابوري، ٤٩٤/١

نفسه فقال : سبحان الله مقلب القلوب ، وذلك أنه A لم يردها أولا ، لعله أي لم يلده الخ تأمل ولو ارادها لاختطبها .." (١)

"وفيه لطيفة أخرى مذكورة في تأويل آخر سورة البقرة . وذكروا في سبب الإشفاق أن الأمانة لا تقبل إما لعزتها ونفاستها كالجواهر الثمينة ، أو لصعوبة حفظها كالزجاج مثلا ، وكلا المحذورين موجود في التكليف . وأيضا كان الزمان نهب وغارة إذ العرض كان بعد خروج آدم من الجنة والشيطان وجنوده كانوا في قصد المكلفين والعاقل لا يقبل الوديعة في مثل ذلك الوقت . وأيضا قد لا يقبل الأمانة لعسر مراعاتها ولاحتياجها إلى تعهد ومؤنة كالحيوان المحتاج إلى العلف والسقي والتكليف كذلك فإنه يحتاج إلى تربية وتنمية بخلاف متاع يوضع في صندوق أو بيت ، فهذه الأشياء علمن ما في التكليف من التبعات وجهلها الإنسان فقبله فكان جهولا ، وقد ظلم آدم نفسه بالمخالفة فكان ظلوما وكذا أولاده الذين ظلموا أنفسهم بالعصيان وجهلوا ما عليهم من العقاب . واعتذر بعضهم عن الإنسان أنه نظر إلى جانب من كلفه وقال المودع عالم قادر لا يعرض الأمانة إلا على أهلها ، وإذا أودع لا يتركها بل يحفظها بعينه وعونه فقبلها وقال ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [الفاتحة : ٥] وقيل : إنه كان ظلوما جهولا في ظن الملائكة حيث قالوا ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ [البقرة : ٣٠] وقال الحكيم : المخلوقات على قسمين : مدرك وغير مدرك . والمدرك منه من يدرك الجزئي فقط كالبهائم تدرك الشعير وتأكله ولا تتفكر في عواقب الأمور ولا تنظر في الدلائل ، ومنه من يدرك الكلي دون الجزئي كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع والأكل ولهذا ﴿ وقالوا سبحانك لا علم لنا ﴾ [البقرة : ٣٢] فاعترفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات . ومنه من يدرك الأمرين وهو الإنسان له لذات بأمور جزئية فمنع منها لتحصيل لذات حقيقية كلذة الملائكة بعبادة الله ومعرفته . فغير الإنسان إن كان مكلفا كان بمعنى كونه مخاطبا لا بمعنى الأمر بما فيه كلفة ومشقة . وفي قوله ﴿ وحملها الإنسان ﴾ دون أن يقول « وقبلها » إشارة إلى ما في التكليف من الثقل وإلى ما يستحقه عليه من الأجر لو حمله كما أمر وإلى حيث أمر وإلا غرم وجرم . (لطيفة) . الأمانة عرضت على آدم فقبلها وكان أمينا عليها ، والقول قول الأمين فهو فائز . وأما أولاده فأخذوا الأمانة منه والآخذ من الأمين ليس بمؤتمن بل ضامن ولهذا لا يكون وارث المودع مقبول القول فلم يكن له بد من تجديد عهد وإيمان حتى يصير أمينا عند الله ويصير القول قوله فيكون له ما كان لآدم من الفوز ، ولهذا ذكر ما فيه عاقبة حمل الأمانة قائلا ﴿ ليعذب ﴾ إلى قوله ﴿ ويتوب ﴾ إشارة إلى الفريقين . ثم وصف نفسه بكونه غفورا رحيما بإزاء كون الإنسان ظلوما جهولا ولا يخفى ما في هذه الإشارة من البشارة .

التأويل : ﴿ اذكروا اله **ذكرا كثيرا** ﴾ فمن أحب شيئا أكثر ذكره . وأهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر يكفيه الإشارة ﴿ هو الذي يصلي ﴾ أي لولا صلاتي عليكم لما وفقتم لذكري كما أنه لولا سابقة محبتي لما هديتم إلى محبتي ، فكان في الأزل بالمؤمنين رحيما فلهذا أخرجهم في الأبد من ظلمة الوجود المجازي إلى نور الوجود الحقيقي ﴿ إنا أرسلناك شاهدا ﴾ لنا بنعت المحبوبية ﴿ ومبشرا ﴾ للطالبين برؤية جمالنا ﴿ ونذيرا ﴾ للبطالين عن كمال حسننا وحسن كمالنا ﴿ وداعيا

---

(١) تفسير النيسابوري، ٢٥٥/٦

إلى الله بإذنه ﴾ لا بطبعك وهواك ﴿ وسراجا منيرا ﴾ في أوقات عدم الدعوة ، وذلك أن النظر إلى وجه النبي A كاف لمن كان له قلب مستنير ، فإذا انضمت الدعوة إلى ذلك كان في الهداية غاية .." (١)

"ج ١ ، ص : ٣٢٤

وتريد) وقد أذنت لك ، فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر صب الماء ، ثم قام يصلى فقرأ من القرآن ، وجعل يبكى حتى بلت الدموع حقويه ، ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه ، وجعل يبكى ، ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض ، فأتاه بلال ليؤذن بصلاة الغداة فرآه يبكى فقال له : يا رسول الله : أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ؟ ! ثم قال : وما لي لا أبكى ؟ وقد أنزل الله على في هذه الليلة : إن في خلق السموات والأرض. ثم قال : ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها.

وأولوا العقول والأرواح الطيبة هم الذين ينظرون إلى السماء والأرض وما فيهما فيذكرون الله ويذكرون نعمه وفضله على العالم في كل حال من قيام وقعود واجتماع ذكر بالقلب حتى يطمئن ألا بذكر الله تطمئن القلوب [سورة الرعد آية ٢٨] ثم يتبعون ذكر الله بالتفكير في بديع صنعه وأسرار خلقه وما في هذه العوالم من منافع وحكم وأسرار تدل على كمال العلم وتمام القدرة والوحدانية التامة في الذات والصفات والأفعال.

والمراد التفكر في خلق الله لا في ذات ، الله ، فقد ورد « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق » ومع التفكر اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا ، وما حال هؤلاء الذين يجمعون بين التذكر والتفكير ؟ يقولون باللسان وقلبهم بين الخوف والرجاء : ربنا ما خلقت هذا الكون باطلا وما خلقت هذا الخلق عبثا أو كما مهملا! بل لا بد لهذا الخلق من نهاية يأخذ المطيع والعاصي جزاءه إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وإذا كان كذلك فقنا يا ربنا واصرف عنا عذاب النار بعنايتك وتوفيقك لنا. واجعلنا مع الأبرار بهدايتك ورحمتك يا أرحم الراحمين ، ثم إنهم بعد أن يصلوا بالفكر والذكر إلى حقيقة هذا العالم ومآله وقد دعوا ربهم أن يقيهم عذاب جهنم في الحياة الثانية يقولون متضرعين : ربنا إنك من تدخله النار فقد أهنته وأخزيته لأن من يعصيك فأنت قاهره ومذله ، وكيف لا وقد سخرت هذا العالم وأخضعته لكمال قدرتك وعظيم إرادتك ، فمن عاداك فلا ملجأ منك إلا إليك ، وليس له شفيع أو نصير ، وما للظالمين من أنصار!! وقد وصف من يدخل النار بأنه يستحق هذا لظلمه وتجاوزه الحد المعقول ، هذا ما نتجه الفكر والنظر الصحيح في الكون وما فيه.

وأما السمع فحينما سمعوا نداء الرسل الكرام قالوا : ربنا إننا سمعنا رسولا ينادى." (٢)

"ج ٢ ، ص : ٥٩٠

أنهم ظلموا في كل ما لحقهم من الكفار ، وإن الله على نصر المؤمنين لقدير ، ينصرهم بغير حرب ولا تعب ، ولكن يريد الله من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته ، وليمحص الله الذين آمنوا ، ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض.

---

(١) تفسير النيسابوري، ٢٧١/٦

(٢) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٣٢٤/١

ثم وصف هؤلاء المؤمنون بقوله : الذين أخرجوا من ديارهم أى مكة بغير حق يقتضى الإخراج. لكن لقولهم : ربنا الله ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد [سورة البروج آية ٨].

أيها الناس : لا تعجبوا من إذن الله لأوليائه بالقتال ، ووعدهم بالنصر على أعدائهم وحثهم على القتال ، فلو لا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال أعداء الله وأعدائهم قديما وحديثا لاستولى أهل الشرك عليهم ، ولضاعت مواضع العبادة في الأرض ، وهدمت صوامع الرهبان ، وبيع النصارى وكنائسهم ، وصلوات اليهود وكنائسهم ، وكذلك مساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله **ذكرا كثيرا**.

ووالله لينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى قادر. عزيز لا يغالب ومن ينصره الله هو من ينصر دينه ويتبع أمره ونهيه ، ويطيع رسوله وكتابه ، والله – سبحانه وتعالى – أقسم لينصرنه ، ومن أصدق من الله حديثا : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، أفبعد صريح القرآن نطلب من الله النصر والدفاع. وما نصرنا دينه إلا بالانتساب إليه بالاسم فقط. أما القرآن ، وحكمه ، أما روح الدين والخوف من الله ، فشيء في الكتب فقط ، ويردد على اللسان فحسب ، ولقد صدق الله : وقليل من عبادي الشكور [سورة سبأ آية ١٣].

من ينصره الله هم الذين إن مكناهم في الأرض وأعطيناهم السلطان على الناس ، أتوا بأربعة أمور عليها ينبنى الملك ، وبها تؤسس الدولة الصالحة وهي :

(أ) إقامة الصلاة كاملة تامة في أوقاتها وبشروطها ، إذ هي الواجب العملي الأول على كل مسلم ، وهي الصلة بين العبد وربه ، وهي مطهرة للنفس ، وتقوية للروح ، وتجديد لمعنى الإسلام ، ودواء لكل داء إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر [سورة العنكبوت آية ٤٥] وإقامة الصلاة لامتثال العبد أمر الله كله.

(ب) إيتاء الزكاة. والحوادث التي مرت بالعالم في العصر الحديث ، وما نتج من." [١]

"ج ٣ ، ص : ١٠١

من أقوال بعيدة عن الصواب جدا ، وقد علمت الحق فيها الذي تؤيده الشواهد الكثيرة. والله أعلم بكتابه.

من تأديب الله للمؤمنين وعنايته بهم [سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

المعنى :

يا أيها المؤمنون : اذكروا الله ولا تكونوا كالذين نسوه فأنساهم أنفسهم حتى ضلوا السبيل ، يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله كثيرا في القيام والقعود وعلى جنوبكم ، أى : في كل حال يجب على المسلم أن يذكر ربه ولا ينساه ، يذكره بقلبه ، ويستشعر عظمته ، ويخشى حسابه وعذابه ، ويراقبه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه ، اذكروه على سبيل التعظيم والإجلال ، وسبحوه بكرة وأصيلا ، والذكر والتسبيح أعم من الصلاة وأشمل ، والمراد بالبكرة والأصيل : أول النهار وآخره ، وإن كان

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٢/٥٩٠

المقصود جميع الأوقات فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون [سورة الروم الآيتان ١٧ ، ١٨].

هو الذي يصلى عليكم أيها المؤمنون ، وتصلى عليكم ملائكته ، والصلاة من الله رحمة بنا ، ومن الملائكة استغفار لنا ، كل ذلك ليخرجكم من ظلمات النفس الأمارة بالسوء. ومن ظلمات الدنيا الغرور. ومن ظلمات وسوسة الشيطان. بما يهديكم ويرشدكم ويثنى عليكم ويوفقكم إلى طرق النور والعلم والإسلام والخير ، وكان بالمؤمنين رحيما الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور [البقرة ٢٥٧]..." (١)

"ج ٣ ، ص : ١٠٢

وإذا كان الله يصلى علينا ويرحمنا ويخرجنا من الظلمات إلى النور ، وهو ربنا الرءوف الرحيم أفلا نذكره **ذكرا كثيرا** ؟ وهو القائل : فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون [سورة البقرة آية ١٥٢].

واذكروا أيها المؤمنون أن الله - سبحانه - لا ينساكم يوم القيامة بل هو صاحب الفضل عليكم يحيي عباده بالتحية المباركة الطيبة : تحيتهم يوم يلقونه سلام ، سلام من الله وفضل عظيم ، وأعد لهم وهيأ أجرا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه ، وإنما هو أجر كريم يأتى العباد بلا طلب ولا تعب ولا مشقة. نسأله - سبحانه - أن يوفقنا للعمل حتى نكون مع هؤلاء في ذلك الأجر الكريم!!

بعض الآداب الإسلامية [سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤٥ الى ٤٩]

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨) يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩)." (٢)

" وأخرج أحمد والبخاري ومسلم والنسائي وابن مردويه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال " مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى دارا بناء فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياها فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين "

وأخرج أحمد والترمذي وصححه عن أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال " مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا فاحسنها وأكملها وأجملها وترك فيها موضع هذه اللبنة لم يضعها فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون : لو تم موشع هذه اللبنة فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة "

وأخرج ابن مردويه عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " انه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي "

---

(١) التفسير الواضح . موافقا للمطبوع، ١٠١/٣

(٢) التفسير الواضح . موافقا للمطبوع، ١٠٢/٣

وأخرج أحمد عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال " في أمتي كذابون ودجالون سبعة وعشرون منهم أربع نسوة واني خاتم النبيين لا نبي بعدي "

وأخرج ابن أبي شيبه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قولوا خاتم النبيين ولا تقولوا لا نبي بعده

وأخرج ابن أبي شيبه عن الشعبي رضي الله عنه قال : قال رجل عند المغيرة بن أبي شعبة صلى الله على محمد خاتم الأنبياء لا نبي بعده فقال المغيرة : حسبك اذا قلت خاتم الأنبياء فأنا كنا نحدث ان عيسى عليه السلام خارج فان هو خرج فقد كان قبله وبعده

وأخرج ابن الانباري في المصاحف عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : كنت اقريء الحسن والحسين فمر بي علي بن أبي طالب رضي الله عنه وانا اقرئهما فقال لي : اقرئهما وخاتم النبيين بفتح التاء

و الله الموفق

– قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في ." (١)

" قوله اذكروا الله **ذكرا كثيرا** يقول : لا يفرض على عبادة فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر فان الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله فقال : اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر في السفر والحضر في الغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقد سبحوه بكرة وأصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم وهو وملائكته

قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله اذكروا الله **ذكرا كثيرا** قال : باللسان بالتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد واذكروه على كل حال وسبحوه بكرة وأصيلا يقول : صلوا لله بكرة بالغداة وأصيلا بالعشى

وأخرج أحمد والترمذي والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه و سلم سئل " أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا قلت يا رسول الله : ومن الغازي في سبيل الله ؟ قال : لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة "

وأخرج أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " سبق المفردون قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا "

وأخرج أحمد والطبراني عن معاذ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم " ان رجلا سأله فقال : أي المجاهدين أعظم أجرا ؟ قال : أكثرهم لله ذكرا قال : فأي الصائمين أعظم أجرا ؟ قال : أكثرهم لله ذكرا

الصلاة والزكاة والحج والصدقة

---

(١) الدر المنثور، ٦١٨/٦

كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : أكثرهم لله ذكرا فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما : يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أجل "

وأخرج ابن أبي شيبه وابن مردويه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بالدف بين حمدان قال " يا معاذ أين السابقون ؟ قلت ." (١)

" أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه قال : لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيرا إلا أشركنا فيه فنزلت هو الذي يصلي عليكم وملائكته

وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن سليم بن عامر رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى أبي امامة فقال : اني رأيت في منامي ان الملائكة تصلي عليك كلما دخلت وكلما خرجت وكلما قمت وكلما جلست قال : وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة ثم قرأ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية رضي الله عنه في قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته قال : صلاة الله : ثناؤه وصلاة الملائكة عليهم : الصلام الدعاء

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة رضي الله عنه قال : صلاة الرب : الرحمة

وصلاة الملائكة : الاستغفار

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته قال : الله يغفر لكم وتستغفر لكم ملائكته

وخ ابن أبي حاتم عن سفيان رضي الله عنه انه سئل عن قوله " اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم " قال : أكرم الله أمة محمد صلى الله عليه و سلم فصلى عليهم كما صلى على الأنبياء فقال هو الذي يصلي عليكم وملائكته

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن رضي الله عنه في قوله هو الذي يصلي عليكم قال : ان بني اسرائيل سألوا موسى عليه السلام هل يصلي ربك ؟ فكان ذلك كبر في صدر موسى عليه السلام فأوحى الله اليه أخبرهم اني أصلي وأن صلاتي ان رحمتي سبقت غضبي

وأخرج ابن أبي شيبه عن مصعب بن سعد رضي الله عنه قال : اذا قال العبد : سبحان الله

قالت الملائكة : وبحمده

واذ قال : سبحان الله وبحمده

صلوا عليه ." (٢)

---

(١) الدر المنثور، ٦/٦١٩

(٢) الدر المنثور، ٦/٦٢٢

"في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم والذكر ثلاثة أنواع ذكر بالقلب وذكر باللسان وبهما معا واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة ... ٦٤

٦٤ وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه الأول النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل قال ذكر الله قيل الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله فقال لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دما لكان الذاكر أفضل منه الوجه الثاني أن الله تعالى حيث ما أمر بالذكر أو أثنى على الذكر اشترط فيه الكثرة فقال اذكروا الله **ذكرا كثيرا** والذاكرين الله كثيرا ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال الوجه الثالث أن للذكر مزية هي له خاصة وليست لغيره وهي الحضور في الحضرة العلية والوصول إلى القرب بالذي عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية فإن الله تعالى يقول أنا جليس من ذكرني ويقول أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني وللناس في المقصد بالذكر مقامان فمقصد العامة اكتساب الأجور ومقصد الخاصة القرب والحصور وما بين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة فمنها التهليل والتسبيح والتكبير والحمد والحوقلة والحسبلة وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار وغير ذلك ولكل ذكر خاصيته وثمرته وأما التهليل فثمرته التوحيد أعني التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن وأما التكبير فثمرته." (١)

" ما كان محمد أبا أحد من رجالكم هذا رد على من قال في زيد بن حارثة زيد ابن محمد فاعترض على النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد وعموم النفي في الآية لا يعارضه وجود الحسن والحسين لأنه صلى الله عليه وسلم ليس أبا لهما في الحقيقة لأنهما ليسا من صلبه وإنما كانا ابني بنته وأما ذكور أولاده فماتوا صغارا فليسوا من الرجال وخاتم النبيين أي آخرهم فلا نبي بعده صلى الله عليه وسلم وقرئ بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم فهو خاتم وبالفتح بأنهم ختموا به فهو كالخاتم والطابع لهم فغن قيل إن عيسى ينزل في آخر الزمان فيكون بعده عليه الصلاة والسلام فالجواب أن النبوة أوتيت عيسى قبله عليه الصلاة والسلام وأيضا فإن عيسى يكون إذا نزل على شريعته عليه الصلاة والسلام فكأنه واحد من أمته اذكروا الله **ذكرا كثيرا** اشترط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال والذكر يكون بالقلب وباللسان وهو ... ٥٣٣." (٢)

"٣- فَإِذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِكُمْ [النساء: ١٠٣].

٤- إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١/١١٧

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢/٣٧٠

أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ [المائدة: ٩١].

٥- الَّذِينَ إِذا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ [الأنفال: ٢].

٦- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الأنفال: ٤٥].

٧- الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) [الرعد: ٢٨].

٨- وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمى [طه: ١٢٤].

٩- رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَ لا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقامِ الصَّلاةِ وَ إِيتاءِ الزَّكاةِ يَخافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصارُ [النور: ٣٧]. التفسير الحديث، ج ٢، ص: ٥٦٦

١٠- اتْلُ ما أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَ أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ [العنكبوت: ٤٥].

١١- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْراً كَثِيراً** (٤١) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا [الأحزاب: ٤١- ٤٢].." (١)

"يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْراً كَثِيراً** (٤١) وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَ مَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَ كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ وَ أَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً (٤٤) يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَ مُبَشِّراً وَ نَذِيراً (٤٥)

وَ داعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِراجاً مُنِيراً (٤٦) وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً (٤٧) وَ لا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ الْمُنافِقِينَ وَ دَعْ أَذاهُمْ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَ كَفى بِاللَّهِ وَكِيلاً (٤٨)

---

(١) نقلنا نص هذا الحديث و الأحاديث السابقة عن ابن كثير.

(٢) هذا المعنى جاء أيضا في آية سورة التوبة [٣٣] و في آية سورة الصف [٩].

التفسير الحديث، ج ٧، ص: ٣٩٤

(١) هو الذي يصلي عليكم و ملائكته: الجمهور على أن معنى صلاة الله و رحمته و هدايته و معنى صلاة الملائكة تأييدهم و استغفارهم.." (٢)

"و قل مثل ذلك ، فى الصدق .. فقد يكون الصدق طبيعة ، لا تستند إلى إيمان أو إسلام .. وكذلك الصبر ، والخشوع ، والتصدق ، والصوم ، وحفظ الفرج .. فقد يصدق الإنسان ، مروءة وترفعا .. وقد يصبر شجاعة وجلدا .. وقد يخشع تواضعا وتألفا .. وقد يتصدق ، سخاء وكرما .. وقد يصوم ، رياضة للروح أو صحة للبدن .. وقد يحفظ فرجه تعففا واستعلاء .. قد يفعل كل هذا غير ناظر إلى الله ، وغير مرتبط بشريعة ، أو دين .. إنه يعمل لحساب نفسه .. فلا يقام لشى ء من ذلك وزن عند الله ، الذي لا يقبل عملا من عامل إلا إذا كان مقصودا به وجهه ، وامتثال أمره .. ثم قد يذكر

---

(١) التفسير الحديث، ص/١٤٣٨

(٢) التفسير الحديث، ص/٤٦١٩

الله

التفسير القرآني للقرآن ، ج ١١ ، ص : ٧١١

ذكرا كثيرا بلسانه ، دون أن يتصل شى ء من هذا الذكر بعقله أو قلبه ، ودون أن يظهر لذلك أثر في قوله أو فعله ..

وأوضح من هذا أن هذه الأوصاف يغذى بعضها بعضا ، ويمسك بعضها ببعض ، فتبدو كأنها صفة واحدة ، إذا نظر إليها باعتبار ، وتبدو كأنها أوصاف إذا نظر إليها باعتبار آخر .. إنها أشبه بالجسد الحى .. إذا نظرت إليه مجملا وجدت ذلك الإنسان ، المشخص بذاته ، وصفاته ، وإذا نظرت إليه مفصلا ، وجدته ذلك الإنسان المشخص بذاته وصفاته .. وملاك الحياة في هذا الجسد هو القلب ، كما أن ملاك تلك الأوصاف ، هو الإيمان المستقر فى هذا القلب! والسؤال الثاني ، الذي يلقانا من هذه الآية الكريمة ، هو : هل هذا الجمع لتلك الصفات منظور فيه إلى شى ء أكثر من مجرد الجمع والحصر ، دون مراعاة للترتيب ، والتقديم والتأخير؟ وإذا كان هناك نظر إلى أكثر من مجرد الجمع والحصر ، فهل هذا الترتيب تصاعدى أم تنازلى؟

و الجواب ـ والله أعلم ـ أن جمع هذه الأوصاف إنما هو من تدبير الحكيم العليم ، وتعالت حكمة الله ، وجل علمه عن أن يجى ء تدبير من تدبير الله عن غير حكمة وعلم ..!." (١)

"يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) و سبحوه بكرة و أصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام و أعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا و مبشرا و نذيرا (٤٥)

و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا (٤٦) و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) و لا تطع الكافرين و المنافقين و دع أذاهم و توكل على الله و كفى بالله وكيلا (٤٨)

التفسير القرآني للقرآن ، ج ١١ ، ص : ٧٢٨

التفسير :

قوله تعالى :

«يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا و سبحوه بكرة و أصيلا » مناسبة هذه الآية لما قبلها من آيات ، هى أن الآيات السابقة عليها تضمنت حكما من الأحكام ، كان مبعث ظنون ، ومثار شغب عند المنافقين والذين في قلوبهم مرض ... وليس يحمى المؤمنين من غبار هذه الظنون ، ودخان هذا الشغب ، إلا أن يعتصموا بالله ، وأن يذكروا جلاله وعظمته ، وأن يستحضروا علمه وقدرته ، فذلك هو الذي يحفظ عليهم إيمانهم ، ويدفع عنهم غواشى الشكوك والريب ، التي يسوقها إليهم الكافرون والمنافقون ..

قوله تعالى :

«هو الذي يصلي عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيما » .

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، ١/٢٥٠

هو إعراء للمؤمنين بذكر الله ، وتسبيحه بكرة ، أي صباحا ، وأصيلا ،

التفسير القرآني للقرآن ، ج ١١ ، ص : ٧٢٩

أي مساء ، كما يقول سبحانه : « فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون » (١٧ : الروم).." [١]

"﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) ﴾

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا، واشغلوا أوقاتكم بذكر الله تعالى عند الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضات، وعند العوارض والأسباب، فإن ذلك عبادة مشروعة، تدعو إلى محبة الله، وكف اللسان عن الآثام، وتعين على كل خير.." [٢]

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٩ ، ص : ١٠٠

رسالتك ، وهذا الوزير والمعين هو أخى هارون ، الذي أسألك أن تقوى به ظهري ، وأن تجعله شريكا لي في تبليغ رسالتك ، حتى نؤديها على الوجه الأكمل وكأن موسى - عليه السلام - قد علم من نفسه حدة الطبع ، وسرعة الانفعال ، فالتجأ إلى ربه لكي يعينه بأخيه هارون ، ليقويه ويتشاور معه في الأمر الجليل الذي هو مقدم عليه ، وهو تبليغ رسالة الله إلى فرعون الذي طغى وبغى وقال لقومه أنا ربكم الأعلى.

قال ابن عباس : نبئ هارون ساعتئذ حين نبئ موسى.

وقوله : كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا تعليل للدعوات الصالحات التي تضرع بها موسى إلى ربه - تعالى - .

أى : أجب - يا إلهى - دعائي بأن تشرح صدري .. وتشد بأخى هارون أزرى ، كي نسبحك تسبيحا كثيرا ، ونذكرك ذكرا كثيرا ، إنك - سبحانك - كنت وما زلت بنا بصيرا ، لا يخفى عليك شيء من أمرنا أو من أمر خلقك ، فأنت المطلع على حالنا وعلى ضعفنا ، وأنت العليم بحاجتنا إليك وإلى عونك ورعايتك.

بهذه الدعوات الخاشعات ابتهل موسى إلى ربه ، وأطال الابتهال في بسط حاجته ، وكشف ضعفه .. فماذا كانت النتيجة؟.

لقد كانت النتيجة أن أجاب الله له دعاءه ، وحقق له مطالبه ، وذكره ببعض مننه عليه فقال - تعالى - : .

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٣٦ الى ٤١]

قال قد أوتيت سؤلك يا موسى (٣٦) ولقد مننا عليك مرة أخرى (٣٧) إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى (٣٨) أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني (٣٩) إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، ١/٢٦٧

(٢) التفسير الميسر، ٧/٣٥١

وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى (٤٠)
واصطنعتك لنفسي (٤١)." [١]
"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١١ ، ص : ١٦٥
رسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة لهذه الحادثة. كان بأمر الله – تعالى – وإذنه.
قال – تعالى – : ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله في الذين خلوا من قبل. وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا. ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما ثم وجهت السورة الكريمة نداء إلى المؤمنين أمرتهم فيه بالإكثار من ذكر الله – تعالى – ومن تسبيحه وتنزيهه. كما وجهت نداء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بينت له فيه وظيفته ، قال – تعالى – : –
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**. وسبحوه بكرة وأصيلا. هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما. تحيتهم يوم يلقونه سلام ، وأعد لهم أجرا كريما ، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا.
٩ – ثم تحدثت السورة بعد ذلك بشيء من التفصيل عن بعض الأحكام التي تتعلق بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبعلاقته صلى الله عليه وسلم بهن من حيث القسم وغيره ، ومن حيث الزواج بغيرهن.
كما تحدثت عن الآداب التي يجب على المؤمنين أن يلتزموها عند دخولهم بيوت النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة منه. لأجل تناول طعام ، أو لأجل أمر من الأمور الأخرى التي تتعلق بدينهم أو دنياهم.
ثم ختمت هذه الآيات بقوله – تعالى – يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما.
١٠ – وبعد هذا البيان المفصل لكثير من الأحكام والآداب ، أخذت السورة الكريمة في أواخرها ، في تهديد المنافقين الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، وفي بيان أن سنن الله في خلقه لا تتخلف ، وأن علم وقت قيام الساعة إلى الله – تعالى – وحده ، وأن الإصرار على الكفر يؤدى إلى سوء العاقبة ، وأن السير على طريق الحق. يؤدى إلى مغفرة الذنوب. وأن الإنسان قد ارتضى حمل الأمانة. التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال.
قال – تعالى – : إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا. ليعذب الله المنافقين والمنافقات ، والمشركين والمشركات ، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفورا رحيما.." [٢]

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٠٠/٩
(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٦٥/١١

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١١ ، ص : ١٦٦

١١ – ومن هذا العرض المجمل لآيات سورة الأحزاب ، نرى أنها قد اهتمت بموضوعات من أبرزها ما يلي :

(أ) كثرة التوجيهات والإرشادات ، من الله – تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إلى أفضل الأحكام ، وأقوم الآداب ، وأهدى السبل.

وهذه التوجيهات والإرشادات. نراها في كثير من آيات سورة الأحزاب لا سيما التي نادت الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة.

ومن ذلك قوله – تعالى – : يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين.

وقوله – سبحانه – يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها.

وقوله – عز وجل – : يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا.

وقوله – تعالى – : يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن.

وقوله – سبحانه – : يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن.

(ب) أمر المؤمنين بطاعة الله – تعالى – ، وبطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ونهيهم عن كل مأمن شأنه أن يتعارض مع تشريعات الإسلام ومع آدابه.

وهذه الأوامر والنواهي ، نراها في كثير من آيات هذه السورة الكريمة.

ومن ذلك قوله – تعالى – : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم ، إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها.

وقوله – سبحانه – : يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ، وسبحوه بكرة وأصيلا.

وقوله – عز وجل – : يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ، فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ....

وقوله – تعالى – : يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ، فبرأه الله مما قالوا.

وقوله – سبحانه – : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا.

(ج) هذه السورة الكريمة تعتبر على رأس السور القرآنية التي اهتمت ببيان فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم وحقوقهن ، وواجباتهن وخصائصهن.." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١١ ، ص : ١٩٤

حضرها : فو الذي بعثه بالحق نبيا لانهالت – أى : لتفتت – حتى عادت كالكثيب – أى كالرمل المتجمع – لا ترد فأسا ولا مسحاة « ١ ».

وهذه الآية الكريمة وإن كان نزولها في غزوة الأحزاب ، إلا أن المقصود بها وجوب الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٦٦/١١

جميع أقواله وأفعاله ، كما قال – تعالى – : وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا.

والجار والمجرور في قوله – سبحانه – : لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر متعلق بمحذوف صفة لقوله حسنة ، أو بهذا اللفظ نفسه وهو حسنة.

والمراد بمن كان يرجو الله واليوم الآخر : المؤمنون الصادقون الذين وفوا بعهودهم.

أى : لقد كان لكم – أيها الناس – قدوة حسنة في نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وهذه القدوة الحسنة كائنة وثابتة للمؤمنين حق الإيمان. الذين يرجون ثواب الله – تعالى – ، ويؤملون رحمته يوم القيامة ، إذ هم المنتفعون بالتأسى برسولهم صلى الله عليه وسلم وقوله : وذكر الله كثيرا معطوف على كان ، أى : هذه الأسوة الحسنة بالرسول صلى الله عليه وسلم ثابتة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر ، ولمن ذكر الله – تعالى – ذكرا كثيرا ، لأن الملازمة لذكر الله – تعالى – توصل إلى طاعته والخوف منه – سبحانه – .

وجمع – سبحانه – بين الرجاء والإكثار من ذكره ، لأن التأسى التام بالرسول صلى الله عليه وسلم لا يتحقق إلا بهما.

ثم بين – سبحانه – بعد ذلك – على سبيل التشريف والتكريم – ما قاله المؤمنون الصادقون عند ما شاهدوا جيوش الأحزاب ، فقال – تعالى – : ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما.

واسم الإشارة هذا يعود إلى ما رأوه من الجيوش التي جاء بها المشركون ، أو إلى ما حدث لهم من ضيق وكرب بسبب ذلك.

أى : وحين رأى المؤمنون الصادقون جيوش الأحزاب وقد أقبلت نحو المدينة ، لم يهنوا ولم يجزعوا ، بل ثبتوا على إيمانهم وقالوا هذا الذي نراه من خطر داهم ، هو ما وعدنا به الله ورسوله ، وأن هذا الخطر سيعقبه النصر ، وهذا الضيق سيعقبه الفرج ، وهذا العسر سيأتى بعده اليسر.

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٢٩ وما بعدها.." [١]

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١١ ، ص : ٢١٩

ثم جاءت الآيات الكريمة بعد ذلك لتؤكد هذا المعنى وتقرره ، فأمرت المؤمنين بالإكثار من ذكر الله – تعالى – ومن تسبيحه وتحميده وتكبيره ، فقال – سبحانه – :

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

و المقصود بذكر الله – تعالى – في قوله : يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ما يشمل التهليل والتحميد والتكبير وغير ذلك من الأقوال والأفعال التي ترضيه – عز وجل – .

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٩٤/١١

أى : يا من آمنتم بالله حق الإيمان ، أكثروا من التقرب إلى الله – تعالى – بما يرضيه ، في كل أوقاتكم وأحوالكم ، فإن ذكر الله – تعالى – هو طب النفوس ودواؤها ، وهو عافية الأبدان وشفاؤها ، به تطمئن القلوب ، وتنشرح الصدور ..

والتعبير بقوله : اذكروا الله **ذكرا كثيرا** يشعر بأن من شأن المؤمن الصادق في إيمانه ، أن يواظب على هذه الطاعة مواظبة تامة.

ومن الأحاديث التي وردت في الحض على الإكثار من ذكر الله ، ما رواه الإمام أحمد عن أبي الدرداء .. رضى الله عنه .. قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق – أى :

الفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ، قالوا :

و ما هو يا رسول الله؟ قال : ذكر الله – عز وجل – ».

وعن عمرو بن قيس قال : سمعت عبد الله بن بسر يقول : جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما : يا رسول الله ، أى الناس خير؟ قال : « من طال عمره وحسن عمله ».

وقال الآخر : يا رسول الله ، إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا ، فمرني بأمر أتشبث به.

قال : « لا يزال لسانك رطبا بذكر الله ».." (١)

"و اجعل لي وزيرا معينا ، والأزر : القوة أو الظهر ، يقال : آزره : أي قواه وأعانه وأشركه في أمري أي اجعله شريكا معي في النبوة والرسالة كي نسبحك كثيرا أي تسبيحا كثيرا ونذكرك كثيرا أي ونذكرك **ذكرا كثيرا** إنك كنت بنا بصيرا عالما بأحوالنا ، فأنعمت بالرسالة ، ولا نريد بالطاعة إلا رضاك.

ج ١٦ ، ص : ٢٠٢

المناسبة :

بعد أن ذكر تعالى معجزة العصا الدالة على صدق رسالة موسى عليه السلام ، وهي المعجزة الأولى ، ذكر المعجزة الثانية وهي معجزة اليد البيضاء التي تنقلب مشعة كشعاع الشمس ، تعشي البصر.

وبعد هاتين الآيتين أمره الله بالذهاب إلى فرعون ، لتبليغ رسالة ربه ودعوته إلى عبادة الله ، فدعا موسى عليه السلام ربه بأربعة أمور : شرح صدره ، وتيسير أمره ، وحل عقدة لسانه ، وجعل أخيه هارون نبيا وزيرا له ، لتقويته ، وتعاونه معه في أداء مهمة التبليغ ، وذكر الله وعبادته ، فصار مطلوب موسى ثمانية أمور ، أربع منها وسائل ، وأربع أخرى هي غايات.

التفسير والبيان :

هذا برهان ثان لموسى عليه السلام على نبوته ، وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه أو في جناحه (جنبه) معبرا عن الجنب بالجناح ، فقال :

واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى أي واضمم يا موسى يدك اليمنى أو كفك إلى جناحك (و

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٢١٩/١١

هو جنبك تحت العضد) واجعلها تحت الإبط الأيسر ، تخرج بيضاء لامعة ذات نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر ، من غير عيب كبرص أو أذى أو شين- علما بأن جلد موسى كان أسمر- معجزة أخرى غير العصا ، ثم ردها فعادت كما كانت بلونها. وإذا حاول السحرة إبطال معجزة العصا ، فإنه لم يحاول أحد إبطال معجزة اليد.." (١)

"الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا : ربنا الله أي إن هؤلاء المؤمنين المعتدى عليهم هم الذين أخرجهم المشركون من مكة إلى المدينة بغير حق ، وهم محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وما كان لهم من إساءة إلى قومهم ، ولا كان لهم ذنب إلا أنهم عبدوا الله وحده لا شريك له ، كما قال تعالى : يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم [الممتحنة ٦٠/ ١] وقال سبحانه في قصة أصحاب الأخدود : وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد [البروج ٨٥/ ٨].

هذا أول أسباب المشروعية وهو الطرد من الأوطان بغير حق ، ثم ذكر تعالى

(١) تفسير ابن كثير : ٣/ ٢٢٥

ج ١٧ ، ص : ٢٣٠

سببا آخر وهو الدفاع عن حرية العبادة في الأرض ، وحماية الأماكن المقدسة ، فقال :

ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت .. هذه هي سنة التدافع من أجل الحفاظ على التوازن بين البشر ، والقتال مشروع لحماية أماكن العبادة ، وإقرار مبدأ حرية العبادة. والمعنى : لو لا أنه تعالى يدفع بقوم عن قوم ، ويكف شرور أناس من غيرهم ، ولو لا تشريع القتال دفاعا عن الوجود والحرمات ، لهدمت مواطن العبادة ، سواء كانت معابد للرهبان أو للنصارى أو لليهود أو للمسلمين ، التي يذكر فيها اسم الله **ذكرا كثيرا.**

ويلاحظ وجود التنقل في بيان مواضع العبادة من الأقل إلى الأكثر ، ومن الأضيق إلى الأوسع ، فإن المساجد أكثر ارتيادا ، وأصح عبادة وأسلم قصدا.

وكذلك قدمت الصوامع والبيع في الكلام على المساجد لأنها أقدم وجودا. قال بعض العلماء : هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد ، وهي أكثر عمارا ، وأكثر عبادا ، وهم ذوو القصد الصحيح « ١ » .." (٢)

"و يتناشدون فيها الأشعار ، فلما أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام ، أمرهم بأن يذكروه كذكرهم لآبائهم.

و

روى القفال عن ابن عمر قال : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته القصواء ، يوم الفتح ، يستلم الركن بمحجنه ، ثم حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

« أما بعد ، أيها الناس : إن الله قد أذهب عنكم حمية الجاهلية وتفككها ، يا أيها الناس ، إنما الناس رجلان : بر تقي

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٠٧/١٦

(٢) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٣٣/١٧

كريم على الله ، أو فاجر شقي هين على الله ، ثم تلا : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم .. الآية [الحجرات ٤٩/ ١٣].

وخطب النبي صلى الله عليه وسلم أيضا في حجة الوداع في ثاني أيام التشريق ، فأرشد العرب إلى ترك تلك المفاخرات ، وقال : « أيها الناس ، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوى ، أبلغت ؟ » قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإبطال تلك العادة كان بالأمر بذكر الله **ذكرا كثيرا** مبالغا فيه ، كما كانوا يذكرون آباءهم ومفاخرهم ، بل أشد من ذكرهم آباءهم.

ثم ذكر ما يكون من الناس الذاكرين في الدعاء ، ليأخذوا بأحسن الأحوال ويتركوا غيره ، فقال : الناس في الحج قسمان : قسم يقصر دعاءه على أمور الدنيا ، والاستزادة من خيراتها ، ويسكت عن الآخرة ، وكأنها لا تخطر له ببال ، ولا يهتم بشيء من أمورها ، فيطلب الجاه والغنى والنصر على الأعداء ونحو ذلك من حظوظ الدنيا ، هذا القسم لا خلاق (لا حظ) لهم في الآخرة ، مما أعده الله للمتقين من رضوانه وجناته.

ج ٢ ، ص : ٢١٦." (١)

"ثم لفت نظرهم ونظر غيرهم إلى ضرورة التأسي بالقائد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا هذا أمر من الله تعالى بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب وغيره في أقواله وأفعاله وأحواله ، وصبره ومصابرته ومجاهدته وانتظار الفرج من ربه عز وجل ، والمعنى : لقد كان لكم أيها المؤمنون قدوة صالحة ومثل أعلى يحتذي به ، فهلا اقتديتم وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم ، فهو مثل أعلى في الشجاعة والإقدام والصبر والمجالدة ، إذا كنتم تريدون ثواب الله وفضله ، وتخشون الله وحسابه ،

ج ٢١ ، ص : ٢٧٤

و تذكرونه **ذكرا كثيرا** في الليل والنهار ، حبا به وتعظيما له ، وخوفا من عقابه ، وطمعا في ثوابه وجزائه ، فإن ذكره دافع إلى طاعته ، والتأسي برسوله.

وهذا عتاب للمتخلفين ، وإرشاد للناس جميعا أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في السراء والضراء وحين البأس ولقاء الشجعان ونزال الأبطال.

ثالثا– موقف المؤمنين :

ثم بعد بيان حال المنافقين أبان الله تعالى حال المؤمنين عند لقاء الأعداء ، فقال : ." (٢)

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢/٢٢٥

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢١/٢٨٤

"١٢- للمنافقين خصال اجتماعية وشخصية قبيحة ومذمومة ، فهم بخلاء على المسلمين فيما يحقق المصلحة العامة ، بخلاء بأنفسهم وأحوالهم وأموالهم ، جبناء يخافون من لقاء الشجعان ، سليطو اللسان يؤذون غيرهم بالكلام يتفاخرون بما هو كذب وزور ، والحقيقة أنهم كفرة ، لم يؤمنوا بقلوبهم ، وإن كان ظاهرهم الإسلام ، لوصف الله عز وجل لهم بالكفر في قوله : أولئك لم يؤمنوا وهم كغيرهم من الكفار حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، فلا ثواب لهم إذا لم يقصدوا وجه الله تعالى بها ، وإحباط أعمالهم على الله هين يسير.

ولجبنهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا ، وكانوا قد انصرفوا ، وإن يرجع الأحزاب إليهم للقتال ، يتمنوا أن يكونوا مع أعراب البادية ، حذرا من القتل.

وانتظارا لإحاطة السوء والهلاك بالمسلمين ، يتساءلون ويتحدثون : أما هلك محمد وأصحابه! أما غلب أبو سفيان وأحزابه! ولو كانوا في ميدان المعركة ما قاتلوا إلا رياء وسمعة.

١٣- قوله تعالى : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية عتاب للمتخلفين عن القتال ، معناه : كان لكم قدوة في النبي صلى الله عليه وسلم حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق ، والتأسي لمن كان يرجو ثواب الله في اليوم الآخر ، ويرجو لقاء الله بإيمانه ، ويصدق بالبعث الذي فيه جزاء الأفعال ، ويذكر الله **ذكرا كثيرا** ، خوفا من عقابه ، ورجاء لثوابه.

وهل التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الإيجاب أو الاستحباب! قولان :

أحدهما- على الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب.

ج ٢١ ، ص : ٢٨٦

الثاني- على الاستحباب حتى يقوم دليل على الإيجاب.

قال القرطبي : ويحتمل أن يحمل على الإيجاب في أمور الدين ، وعلى الاستحباب في أمور الدنيا.." (١)

"و يلاحظ أن بين المرتبتين الأخيرتين تجانسا ، فالصوام إشارة إلى الذين لا تمنعهم الشهوة الباطنية من عبادة الله ، والأعفاء حفظة الفروج إشارة إلى الذين لا تمنعهم شهوة الفرج عن العبادة.

ج ٢٢ ، ص : ٢١

١٠- الذكر الكثير لله تعالى : وهو استحضار عظمة الله تعالى في القلب ، وتنزيهه باللسان عن كل نقص ، ووصفه بكل كمال في جميع الأحوال ، بنية صادقة لله. ويلاحظ أن الله تعالى في أكثر المواضع حيث ذكر « الذكر » قرنه بالكثرة ، ليرشدنا إلى أنه لا يصير الإنسان ذاكرا حتى يداوم على الذكر قائما وقاعدا ومضطجعا ، وهذا مروي عن مجاهد. وقد يصبح ذاكرا بصلاة التهجد ليلا ، كما

أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل ، فصليا ركعتين ، كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات » .

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٩٧/٢١

ويكون الذكر أيضا بالصلاة وفي الأكل والشرب والمشي والبيع والشراء والركوب والهبوط ، وغير ذلك من الأحوال في غير أماكن القاذورات ، كما قال تعالى : الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم [آل عمران ٣/ ١٩١].

وقال سبحانه : يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا [الأحزاب ٣٣/ ٤١- ٤٢].

وقد ختمت هذه الآداب بالذكر لأن صحة جميع الأعمال الدينية من إسلام وإيمان وقنوت وصدق وصبر وخشوع وصدقة وصوم بذكر الله تعالى وهي النية.

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سبق المفردون ، قالوا : وما المفردون ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » .

و." (١)

"قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الحاكم عن أبي هريرة : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وهذا كله رد قاطع على المتنبئين كالأسود العنسي باليمن ، ومسيلمة الكذاب باليمامة ، وسجاح ، وغيرهم من أدعياء النبوة الأفاكين ، كما قال تعالى : هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل أفاك أثيم [الشعراء ٢٦/ ٢٢١- ٢٢٢].

تعظيم الله تعالى وإجلاله بالأذكار والتسابيح الكثيرة [سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

ج ٢٢ ، ص : ٤٠

البلاغة :

بكرة وأصيلا بينهما طباق.

المفردات اللغوية : ." (٢)

"اذكروا الله **ذكرا كثيرا** أي في أغلب الأوقات ، ويشمل مختلف أنواع التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة وأصيلا أول النهار وآخره ، وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات ، لكونهما مشهودين بملائكة الليل والنهار هو الذي يصلي عليكم أي بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم ، والاهتمام بما يصلحكم ، والمراد بالصلاة المشتركة بين الله وملائكته : هو العناية بصلاح أمركم ، وظهور شرفكم ورفعة شأنكم ليخرجكم ليديم إخراجه إياكم من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما أي كان الله وما يزال رحيما بعباده المؤمنين ، حتى اعتنى بصلاح أمرهم ورفع قدرهم وهو دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة تحيتهم أي تحية الله للمؤمنين بلسان الملائكة هي السلام ، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول ، أي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبر ، أو دخول الجنة سلام إخبار بالسلامة من كل مكروه وآفة وأعد لهم أجرا كريما هي الجنة.

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٨/٢٢

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٤١/٢٢

سبب النزول : نزول الآية (٤(٣) :

هو الذي يصلي .. : أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال : لما نزلت :

إن الله وملائكته يصلون على النبي [الأحزاب ٣٣/ ٥٦] قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ، ما أنزل الله تعالى عليك خيرا إلا أشركنا فيه ، فنزلت :

هو الذي يصلي عليكم وملائكته.

المناسبة :

بعد بيان ما ينبغي أن يكون عليه النبي صلى الله عليه وسلم مع الله وهو التقوى والإخلاص ، وما ينبغي أن يكون عليه مع أهله وأقاربه بقوله تعالى : يا أيها

ج ٢٢ ، ص : ٤١

النبي قل لأزواجك." (١)

"و هو تحقيق الحرية والاستقرار الزوجي ، أمر الله تعالى عباده المؤمنين بما أمر به أنبياءه المرسلين من تعظيم الله وإجلاله بذكره وتسبيحه في أغلب الأوقات ومختلف أنواع الطاعات ، بقوله : يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ليحقق لهم أجزل الثواب ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

التفسير والبيان :

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكر ربهم تبارك وتعالى ، المنعم عليهم بأنواع النعم ، لينالوا جزيل الثواب وجميل المآب ، فيقول :

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا أي يا أيها الذين أيقنوا وصدقوا بالله ورسوله اذكروا الله بألسنتكم وقلوبكم **ذكرا كثيرا** ، يملأ عليكم مشاعركم ، في جميع الأحوال ، ويحقق في نفوسكم خشية ربكم ، ونزهوه عن كل ما لا يليق به أول النهار وآخره ، أي في غالب الأوقات لأن بداية الشيء ونهايته تشمل وسطه أيضا بحكم الاستمرار ، قال الزمخشري في تفسير بكرة وأصيلا أي في كافة الأوقات. وإنما ذكر هذان الوقتان لكونهما مشهودين بملائكة الليل والنهار.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذكر الله على فم كل مسلم »

و

روي « في قلب كل مسلم »

و

عن قتادة : « قولوا : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

و

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٤٢/٢٢

أخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم ، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ، قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم :

ذكر الله عز وجل » .

ج ٢٢ ، ص : ٤٢." (١)

"نودي للصلاة أذن لها الأذان الثاني الذي كان يفعل أمام النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس على المنبر قبل الخطبة. من يوم الجمعة بيان ل إذا وإنما سمي جمعة لاجتماع الناس فيه

ج ٢٨ ، ص : ١٩٥

للصلاة ، وكانت العرب تسميه (العروبة) أي الرحمة ، وأول من سماه جمعة كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه ، وأول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قباء ، حينما قدم المدينة ، وصلى الجمعة في دار بني سالم بن عوف. وأول من أقام الجمعة بالمدينة قبل الهجرة أسعد بن زرارة بقرية على ميل من المدينة. قال ابن حجر : فرضت الجمعة بمكة ، ولم نقم بها لفقد العدد ، أو لأن شعارها الإظهار ، وكان صلى الله عليه وسلم بها مستخفيا « ١ » .

فاسعوا فامشوا ، وعبر بالسعي إشارة إلى أنه يطلب من المسلم القيام للجمعة بهمة ونشاط ، وجد وعزيمة ، لأن لفظ السعي يفيد الجد والعزم. إلى ذكر الله للصلاة. وذروا البيع اتركوا عقد البيع وسائر وجوه المعاملات. ذلكم خير لكم أي السعي إلى ذكر الله خير لكم من المعاملة ، فإن نفع الآخرة خير وأبقى. إن كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين ، فإن علمتم أنه خير فافعلوه.

قضيت الصلاة أديت وفرغ منها. فانتشروا في الأرض أي فتفرقوا ، وهو أمر بعد حظر ، فيفيد الإباحة لا الوجوب ، واحتج به من جعل الأمر بعد الحظر للإباحة. وابتغوا من فضل الله اطلبوا الرزق. واذكروا الله كثيرا اذكروه في مجامعكم ومجالسكم **ذكرا كثيرا.**

لعلكم تفلحون تفوزون بخير الدارين.." (٢)

"أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أقيمت الصلاة ، فلا تأتوها تسعون ، ولكن ائتوها تمشون ، وعليكم السكينة والوقار ، فما أدركتم فصلوا ، وما فاتكم فأتموا » .

ثم أباح الله تعالى العمل والسعي للدنيا بعد الصلاة ، فقال :

فإذا قضيت الصلاة ، فانتشروا في الأرض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا ، لعلكم تفلحون أي إذا أديتم الصلاة وفرغتم منها ، فيؤذن ويباح لكم الانتشار والتفرق في الأرض للتجارة والتصرف فيما تحتاجون إليه من أمر معاشكم ،

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٤٣/٢٢

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٠٥/٢٨

والابتغاء ، أي الطلب من فضل الله أي من رزقه الذي يتفضل به على عباده من الأرباح في المعاملات والمكاسب ، ولا تنسوا في أثناء عملكم وبيعكم وشرائكم أن تذكروا الله **ذكرا كثيرا** بالشكر له على ما هداكم إليه من الخير الأخروي والدنيوي ، وبالاذكار التي تقربكم إليه ، كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ، كي تفوزوا بخير الدارين وتظفروا به.

وفي هذا دلالة على أن عمل المؤمن للدنيا ينبغي أن يكون مصحوبا بذكر الله تعالى ومراقبته ، حتى لا يطغى عليه حبها ، وآن في مراقبة الله تعالى تحقيق الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) الجلب والجلبة : الأصوات.

ج ٢٨ ، ص : ١٩٩

كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة ، انصرف ، فوقف على باب المسجد ، فقال : اللهم إني أجبت دعوتك ، وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك ، وأنت خير الرازقين « ١ » .

و

جاء في الحديث : « من دخل سوقا من الأسواق ، فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة » « ٢ » .." [١]

"١- على الإنسان النظر والتفكر والاستدلال بعجائب صنع السموات والأرض ، فهي ترشده إلى الإيمان الصحيح ، إذ لا تصدر إلا عن حي قيوم قدير غني عن العالمين لأن الإيمان يجب أن يستند إلى دليل يقيني يدل على تحققه ووجوده ، لا إلى التقليد أو محض الوراثة.

٢- قال العلماء : يستحب لمن انتبه من نومه أن يمسح على وجهه ، ويقرأ هذه الآيات العشر ، اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ، ثم يصلي فرض الصبح وسنته أو ما كتب له ، فيجمع بين التفكر والعمل ، وهو أفضل العمل.

أخرج أبو نصر الوائلي السجستاني الحافظ عن أبي هريرة أن

ج ٤ ، ص : ٢١٠

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة.

٣- المؤمن يلازم ذكر الله تعالى في كل أحواله ، من قيام وقعود واضطجاع وغيرها ، ليظل على صلة بربه ، فقال سبحانه : اذكروا الله **ذكرا كثيرا** [الأحزاب ٣٣/ ٤١] وقال : فاذكروني أذكركم [البقرة ٢/ ١٥٢].

ويدل هذا على أن المصلي يصلي قائما ، فإن لم يستطع فقاعدا ، فإن لم يستطع فعلى جنب ،

كما ثبت لدى الأئمة الستة من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، قال : « كانت بي بواسير ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال : صل قائما ، فإن لم تستطع فقاعدا ، فإن لم تستطع فعلى جنب »

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٠٩/٢٨

والقيام فرض على القادر في صلاة الفريضة ، وتصح صلاة النافلة حال القعود وأجره نصف أجر القائم ، والمضطجع نصف أجر القاعد ،

ورد في حديث عمران بن حصين في رواية : « صلاة الراقد مثل نصف صلاة القاعد » .

والذكر إما باللسان ، وإما بالصلاة فرضها ونفلها.

٤- ويضم إلى الذكر عبادة أخرى هي التفكر في قدرة الله تعالى ومخلوقاته لزيادة التبصر ، وتقوية الإيمان.." (١)

"وقرأ الجمهور ﴿وخاتم النبيءين﴾ بكسر تاء ﴿خاتم﴾ على أنه اسم فاعل من ختم. وقرأ عاصم بفتح التاء على تشبيهه بالخاتم الذي يختتم به المكتوب في أن ظهوره كان غلقا للنبوة.

[٤١، ٤٢] ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا [٤١] وسبحوه بكرة وأصيلا﴾

إقبال على مخاطبة المؤمنين بأن يشغلوا ألسنتهم بذكر الله وتسبيحه، أي أن يمسكوا عن مماراة المنافقين أو عن سبهم فيما يرجفون به في قضية تزوج زينب فأمر المؤمنين أن يعتاضوا عن ذلك بذكر الله وتسبيحه خيرا لهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، أي خيرا من التفاخر بذكر آبائكم وأحسابكم، فذلك أنفع لهم وأبعد عن أن تثور بين المسلمين والمنافقين ثائرة فتنة في المدينة، فهذا من نحو قوله لنبيه ﴿ودع أذاهم﴾ [الأحزاب: ٤٨] ومن نحو قوله: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فأمروا بتشغيل ألسنتهم وأوقاتهم بما يعود بنفعهم وتجنب ما عسى أن يوقع في مضرة.

وفيه تسجيل على لمنافقين بأن خوضهم في ذلك بعد هذه الآية علامة على النفاق لأن المؤمنين لا يخالفون أمر ربهم.

والجملة استئناف ابتدائي متصل بما قبله للمناسبة التي أشرنا إليها.

والذكر: ذكر اللسان وهو المناسب لموقع الآية بما قبلها وبعدها.

والتسبيح: يجوز أن يراد به الصلوات النوافل فليس عطف ﴿وسبحوه﴾ على ﴿اذكروا الله﴾ من عطف الخاص على العام. ويجوز أن يكون المأمور به من التسبيح قول: سبحان الله، فيكون عطف ﴿وسبحوه﴾ على ﴿اذكروا الله﴾ من عطف الخاص على العام اهتماما بالخاص لأن معنى التسبيح التنزيه عما لا يجوز على الله من النقائص فهو من أكمل الذكر لاشتماله على جوامع الثناء والتحميد، ولأن في التسبيح إيماء إلى التبرؤ مما يقوله المنافقون في حق النبيء صلى الله عليه وسلم فيكون في معنى قوله تعالى: ﴿ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ [النور: ١٦] فإن كلمة: سبحان الله، يكثر أن تقال في مقام." (٢)

"اقرئهما فقال لي : اقرئهما وخاتم النبيين بفتح التاء ، والله الموفق.

- قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا.

أخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٤/٢٢٢

(٢) التحرير والتنوير، ٢١/٢٧٥

قوله ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ يقول : لا يفرض على عبادة فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر فان الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله فقال : اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر في السفر والحضر في الغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقد سبحوه بكرة وأصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم وهو وملائكته ، قال الله تعالى ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ قال : باللسان بالتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد واذكروه على كل حال ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ يقول : صلوا لله بكرة بالغداة وأصيلا بالعشى.

وأخرج أحمد والترمذي والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان." [1]

"عليك خيرا إلا أشركنا فيه فنزلت ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾.

وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن سليم بن عامر رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى أبي امامة فقال : اني رأيت في منامي ان الملائكة تصلي عليك كلما دخلت وكلما خرجت وكلما قمت وكلما جلست قال : وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة ثم قرأ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية رضي الله عنه في قوله ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ قال : صلاة الله : ثناؤه ، وصلاة الملائكة عليهم : الصلام الدعاء.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر عن عكرمة رضي الله عنه قال : صلاة الرب : الرحمة ، وصلاة الملائكة : الاستغفار.

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ قال : الله يغفر لكم وتستغفر لكم ملائكته ، وخ ابن أبي حاتم عن سفيان رضي الله عنه انه سئل عن قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم قال : أكرم الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليهم كما صلى على الأنبياء فقال ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾.

". [2]

"﴿ وَقِيَاماً ﴾

(٦٤) – وهُمْ يَبيتُونَ قِيَاماً في طَاعَةِ اللهِ تَعالى وعبادَتِهِ ويذكُرونَه **ذِكْراً كثيراً** في رُكُوعِهِمْ وسُجُودِهِمْ .

(وقالَ تَعالى في صِفَةِ عِبَادِ الرَّحمنِ في سُورةٍ أُخْرى : ﴿ كَانُواْ قَلِيلاً مِّن الليل مَا يَهْجَعُونَ وبالأسحار هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . ﴾ يَبيتُونَ – أَيْ يُدْرِكُهُمْ الليلُ .." [3]

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٦/١٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٧٣/١٢

(٣) أيسر التفاسير لأسعد حومد، ص/٢٨٠١

"﴿ يَرْجُو ﴾

(٢١) – يَحُثُّ اللهُ تَعَالى المُؤْمِنينَ عَلَى الاقْتِدَاءِ بِرَسُولِ اللهِ A والتَّأَسِّي بِهِ فِي صَبْرِهِ وَمَصَابَرَتِهِ وَمُرَابِطَتِهِ وَمُجَاهَدَتِهِ فَقَالَ لِلَّذِينَ أَظْهَرُوا الضَّجَرَ وَتَزَلْوَلُوا واضْطَرَبُوا فِي أَمْرِهِمْ يَوْمَ الأَحْزابِ : هَلاَّ اقْتَدَيْتُمْ بِرَسُولِ اللهِ ، وتَأَسَّيْتُمْ بِشَمَائِلِهِ فَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ إِنْ كُنْتُمْ تَبْتَغُونَ ثَوابَ اللهِ ، وَتَخَافُونَ عِقَابَهُ ، وَتَذْكُرونَ اللهَ **ذِكْراً كَثِيراً** ، فَذِكْرُ اللهِ يُؤَدّي إلى أُسْوَةٌ حَسَنٌ – قُدْوَةٌ صَالِحَةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ .." (١)

"لأتم نعمتي عليم بهدايتكم إلى أحسن الشرائع وأقومها، ولأهيئكم لكل خير وكمال مثل ما أنعمت عليكم بإرسال رسولي، يزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمونه من أمور الدين والدنيا معا، وفي الآية الأخيرة(١٥٢) أمر تعالى المؤمنين بذكره وشكره، ونهاهم عن نسيانه وكفره، فقال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾١ لما في ذكره بأسمائه وصفاته ووعده ووعيده من موجبات محبته ورضاه ولما في شكره بإقامة الصلاة وأداء سائر العبادات من مقتضيات رحمته وفضله، ولما في نسيانه وكفرانه من التعرض لغضبه وشديد عقابه وأليم عذابه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- الإعراض عن جدل المعاندين، والإقبال على الطاعات تنافسا فيها وتسابقا إليها إذ هو أنفع وأجدى من الجدل والخصومات مع من لا يرجى رجوعه إلى الحق.

٢- وجوب استقبال القبلة في الصلاة وسواء كان في السفر أو في الحضر إلا أن المسافر يجوز أن يصلي النافلة حيث توجهت دابته أو طيارته أو سيارته إلى القبلة وإلى غيرها.

٣- حرمة خشية الناس٢ ووجوب خشية الله تعالى.

٤- وجوب شكر الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة.

٥- وجوب٣ تعلم العلم الضروري ليتمكن العبد من عبادة الله عبادة تزكي نفسه.

٦- وجوب٤ ذكر الله بالتهليل والتكبير والتسبيح ووجوب شكره بطاعته.

٧- حرمة نسيان ذكر الله، وكفران نعمه بترك شكرها.

﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين(١٥٣)﴾

---

١ ورد في الصحيح أن الله تعالى يقول: " من ذكرني في نفسي ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه" والمراد من الملأ: الخير، الملائكة، وورد : "أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه". وقال معاذ بن جبل: "ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر عز وجل".

٢ في هذا إبطال للتقية التي جعلها الروافض من أصول دينهم.

---

(١) أيسر التفاسير لأسعد حومد، ص/٣٤٣٥

٣ شاهده من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" وهو حديث صحيح الإسناد.
٤ شاهده من القرآنك ﴿يا أيها الذين أمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ الأحزاب." (١)

"وذلك لعدم إيمانهم بالله تعالى وعدم حبهم له كما أخبر عنهم بأنهم مذبذبون بين الكفر والإيمان والمؤمنين والكافرين فلا إلى الإيمان والمؤمنين يسكنون، ولا إلى الكفر والمنافقين يسكنون فهم في تردد وحسرة دائمون، وهذه حال من يضله الله فإن من يضلل الله لا يوجد لهدايته سبيل.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- بيان صفات المنافقين١.

٢- قبح الرياء وذم المرائين.

٣- ذم ترك الذكر والتقليل منه لأمر الله تعالى بالإكثار منه في قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ .

٤- ذم الحيرة والتردد في الأمور كلها.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا(١٤٤) إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا(١٤٥) إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما(١٤٦) ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما(١٤٧)﴾

شرح الكلمات:

﴿سلطانا مبينا﴾ : حجة واضحة لتعذيبكم.

---

١ وفي صحيح مسلم وصف بحال المنافقين في تذبذبهم وحيرتهم، إذ قال صلى الله عليه وسلم: "مثل المنافق؛ كمثل الشاة العائرة -المترددة بين قطيعين من الغنم- بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه أخرى" .." (٢)

"هؤلاء الأنبياء السابقون طريقتهم التي سنها الله لهم هي أنهم ينفذون أمر الله ولا يلتفتون إلى الناس ويقولون ما يقولون، ويخشون ربهم فيما فرض عليهم ولا يخشون غيره، وكفى بالله حسيبا أي حافظا لأعمال عباده ومحاسبا عليها ومجاز بها، وقوله تعالى في ختام السياق ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ لا زيد ولا غيره إذ لم يكن له ولد ذكر قد بلغ الحلم إذ مات الجميع صغارا وهم أربعة ثلاثة من خديجة وهم القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وهو من مارية القبطية، فلذا، لا يحرم عليه أن يتزوج مطلقة زيد لأنه ليس ابنه وإن كان يدعى زيد بن محمد قبل إنهاء التبني وأحكامه ولكن رسول الله وخاتم النبيين فلا نبي بعده فلو كان له ولد ذكر رجلا لكان يكون نبيا وسولا كما كان أولاد إبراهيم وإسحق ويعقوب وداود، ولما

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ١٣٢/١

(٢) أيسر التفاسير للجزائري، ٥٦١/١

أراد الله أن يختم الرسالات برسالته لم يأذن ببقاء أحد من أولاد نبيه بل توفاهم صغارا، أما البنات فكبرن فتزوجن وأنجبن ومتن حال حياته إلا فاطمة فقد ماتت بعده بستة أشهر وقوله تعالى: ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ فما أخبر به هو الحق وما حكم به هو العدل وما شرعه هو الخير فسلموا لله في قضائه وحكمه فإن ذلك خير وأنفع.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان أن المؤمن الحق لا خيرة عنده في أمر يقضي فيه الله ورسوله بالجواز أو المنع.

٢- بيان أن من يعص الله ورسوله يخرج عن طريق الهداية إلى طريق الضلالة.

٣- جواز عتاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم.

٤- بيان شدة حياء الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥- بيان إكرام الله لزيد بأن جعل اسمه يقرأ على ألسنة المؤمنين إلى يوم الدين.

٦- بيان إفضال الله على زينب لما سلمت أمرها لله وتركت ما اختارته لما اختاره الله ورسوله فجعلها زوجة لرسول الله وتولى عقد نكاحها في السماء فكانت تفاخر نساءها بذلك.

٧- تقرير حديث ما ترك عبد شيئا لله إلا عوضه الله خيرا منه.

٨- إبطال أحكام التبني التي كانت في الجاهلية.

٩- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده.

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا(٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا(٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم." (١)

"من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما(٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما(٤٤) شرح الكلمات:

يا أيها الذين آمنوا : أي يا من آمنتم بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا.

اذكروا الله ذكرا كثيرا : أي بقلوبكم وألسنتكم.

وسبحوه بكرة وأصيلا : أي نزهوه بقول سبحان الله وبحمده صباحا ومساء.

هو الذي يصلي عليكم : أي يرحمكم.

و ملائكته : أي يستغفرون لكم.

ليخرجكم من الظلمات : أي يرحمكم ليديم إخراجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

تحيتهم يوم يلقونه سلام : أي سلام فالملائكة تسلم عليهم.

وأعد لهم أجرا كريما : أي وهيأ لهم أجرا كريما وهو الجنة.

معنى الآيات:

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤/٢٧٤

هذا النداء الكريم من رب رحيم يوجه إلى المؤمنين الصادقين ليعلمهم ما يزيد به إيمانهم ونورهم، ويحفظون به من عدوهم وهو ذكر الله فقال تعالى لهم ﴿يا أيها الذين(١) آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ لا أحد له ولا حصر إذ هو الطاقة التي تساعد على الحياة الروحية، وسبحوه(٢) بكرة وأصيلا بصلاة الصبح صلاة العصر. وبقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر دبر كل صلاة من الصلوات الخمس. وقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي(٣) عليكم وملائكته﴾ وصلاته تعالى عليهم

---

١ – قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعذر واحد في ترك ذكر الله إلا من غلب عليه عقله وورد في فضل الذكر قوله صلى الله عليه وسلم "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل– وقوله وقد جاءه أعرابيان فقال أحدهما يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله وقال الآخر إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فمرني بأمر أتشبث به. فقال صلى الله عليه وسلم لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى.

٢ – يجوز أن يراد بالتسبيح صلوات النوافل، وجائز أن يكون التسبيح نحو سبحان الله وبحمده إذ ورد عنه صلى الله عليه وسلم وصح من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفر له ما تقدم من ذنبه.

٣ – الصلاة الدعاء والذكر بخير وهي من الله تعالى ثناؤه على العبد بين الملائكة قاله البخاري وقيل صلاة الله تعالى على العبد الرحمة ويكون على النبي الثناء عليه وعلى غير النبي الرحمة وهذا أولى، ولا منافاة بين القولين لقوله تعالى: (فاذكروني أذكركم). وهي من الملائكة دعاء واستغفار لقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا الآية من سورة المؤمن.." (١)

"وابتغوا من فضل الله :أي اطلبوا الرزق من الله تعالى بالسعي والعمل.

تفلحون :أي تنجون من النار وتدخلون الجنة.

انفضوا إليها :أي إلى التجارة.

وتركوك قائما :أي على المنبر تخطب يوم الجمعة.

ما عند الله خير من اللهو ومن :أي ما عند الله من الثواب في الدار الآخرة خير من اللهو ومن التجارة.

التجارة

والله خير الرازقين :أي فاطلبوا الرزق منه بطاعة وإتباع هداه.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله ﴿إذا نودي للصلاة من يوم ١الجمعة٢﴾ أي إذا أذن المؤذن بعد زوال يوم الجمعة وجلس الإمام على المنبر ﴿فاسعوا٣ إلى ذكر٤ الله﴾ أي امضوا إلى ذكر الله الذي هو الصلاة والخطبة إذ بهما يذكر الله تعالى. وقوله ﴿وذروا البيع٥﴾ إذ هو الغالب من أعمال الناس، وإلا فسائر الأعمال يجب إيقافها والمضي

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤/٢٧٥

إلى الصلاة.

وقوله ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي ترك الأعمال من بيع وشراء وغيرها والمضي إلى أداء صلاة الجمعة وسماع الخطبة خير ثوابا وعاقبة.

وقوله تعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أي أديت وفرغ منها فانتشروا في الأرض أي لكم بعد انقضاء الصلاة أن تتفرقوا حيث شئتم في أعمال الدين والدنيا. تبتغون فضل الله، ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ أي أثناء تفرقكم وانتشاركم في أعمالكم اذكروا الله ولا تنسوه واذكروه ذكرا كثيرا لعلكم تفلحون أي رجاء فلاحكم وفوزكم في دنياكم وآخرتكم.

---

١ المراد من النداء: الأذان الذي يكون الإمام على المنبر إذ كان الأذان واحدا حتى زاد عثمان رضي الله عنه ثانيا حين كثر الناس بالمدينة.

٢ لفظ الجمعة: بضم كل من الجيم والميم، وبتسكين الميم، والجمع: جمع كغرفة وغرف وجمعات كغرفات وكان يومها يسمى العروبة بفتح العين وقيل أول من سماها الجمعة كعب بن لؤي وقيل: الأنصار، وأول جمعة صليت في الإسلام هي الجمعة التي جمع فيها أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير أهل المدينة وصلوها زكانوا اثني عشر رجلا: وأول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة هي جمعته في بني سالم بن عوف وهو في طريقه من قباء إلى المدينة، وأول جمعة بعدها كانت بجواثي: قرية من قرى البحرين.

٣ ليس المراد بالسعي الجري واشتداد العدو وإنما هو المشي والمضي لحديث صحيح: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن أئتوها وعليكم السكينة" ومن إطلاق السعي والمراد المضي والعمل لا غير قول الشاعر:

أسعي على جل بني مالك

كل امرئ في شأنه ساعي

وفي القرآن: ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾.

٤ ذكر الله: الصلاة والخطبة قبلها.

٥ لا خلاف في حرمة البيع والشراء عند الأذان الثاني.." (١)

"١٤- أن من هدي القرآن للتي هي أقوم: أمر العباد بالصلاة التي هي الصلة بينهم وبين ربهم، لما فيها من المنافع العظيمة في الدنيا والآخرة التي يحصيها العد، قال تعالى: ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ أقم الصلاة لدلوك الشمس ﴾ الآية.

١٥- أن من هدي القرآن للتي هي أقوم: الحث على الخشوع فيها، قال تعالى: ﴿ قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾ .

١٦- أن من هدي القرآن للتي هي أقوم: الأمر بها جماعة لنا فيها من التواصل والتوادد والمصالح العظيمة، قال تعالى: ﴿

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٣٥٠/٥

واركعوا مع الراكعين ﴾ ، وقال تعالى: ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ .

١٧- أن من هدي القرآن للتي هي أقوم: التحذير من السهو في الصلاة حتى يخرج وقتها، قال تعالى: ﴿ فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ .

١٨- أن من هدي القرآن للتي هي أقوم: الأمر بصلاة الجمعة؛ لما فيها من المنافع العظيمة التي منها إقامة شعائر الإسلام، ولما فيها من التواصل و التوادد، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ الآية.

١٩- أن من هدي القرآن للتي هي أقوم: حث العباد على الابتغاء من فضل الله، قال الله تعالى: ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ .

٢٠- أن من هدي القرآن للتي هي أقوم: الحث على ذكر الله، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ ، وقال: ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ ، وقال: ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ ، وقال: ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ .." (١)

"٧٢١- من هدي القرآن للتي هي أقوم: بيان عظم شأن الأمانة والطاعة والفرائض، قال الله جل وعلا: ﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ ، وقال: ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ ، و قال: ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾ .

٧٢٢- من هدي القرآن للتي هي أقوم: إرشاد العباد إلى تعظيم الله وإجلاله بذكره والتسبيح له بكرة وأصيلا، قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ .

٧٢٣- من هدي القرآن للتي هي أقوم: الأمر بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ لما فيها من الثواب العظيم والأجر الجزيل، قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ .

٧٢٤، ٧٢٥- من هدي القرآن للتي هي أقوم: التحذير من إيذاء الله ورسوله لئلا يبوء المرء بالطرد والإبعاد من رحمة الله.

ثانيا: التحذير من إيذاء المؤمنين.

قال الله جل وعلا وتقدس: ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا * والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ .." (٢)

"تاسعا: الرد على من قال إن القرآن مخلوق، كما ترد عليه الآيات الأخر.

عاشرا: الرد على من قال إنه كلام محمد - صلى الله عليه وسلم - أو غيره من الخلق.

---

(١) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، ١٥/٣

(٢) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، ١٦٠/٣

الأدلة لما تقدم:

قال الله تعالى: ﴿ وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا * عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا * إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا * إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ﴾ ، وقال: ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ، وقال: ﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ ، وقال: ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض ﴾ .

٢٠٦٧- ٢٠٨١- من هدي القرآن للتي هي أقوم، ما يلي:

أولا: النهي عن طاعة الكفار والمنافقين، وكل داع إلى معاصي الله.

ثانيا: الإرشاد إلى أن الناس محتاجون إلى مواصلة الإرشاد لما ركب في طباعهم من الشهوة الداعية إلى اجتراح السيئات والخطايا.

ثالثا: الإرشاد إلى أنه ينبغي لكل مؤمن أن يرغب إلى الله ويتضرع إليه في أن يصونه عن إتباع الشهوات، ويعصمه عن ارتكاب المحرمات لينجو من الآفات ويسلم من الزلات.

رابعا: الحث على ذكر الله في جميع الأوقات، قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ ، وقال: ﴿ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ ، وقال: ﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ .

خامسا: تثبت النبي – صلى الله عليه وسلم – ومن معه من المؤمنين في مواجهة الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة من المشركين والمنافقين، ومن سلك طريقهم.." (١)

"وعدمه ، كأذرعات. وسمى عرفات لقول إبراهيم الخليل عليه السلام لجبريل حين علمه المناسك : قد عرفت : أو لمعرفة آدم حواء فيها. والكاف في ﴿كما هداكم﴾ تعليلية ، و ﴿ما﴾ مصدرية ، أي : واذكروه لأجل هدايته لكم. و ﴿إن كنتم﴾ مخففة ، واللام فارقة ، وقوله : ﴿أو أشد﴾ نعت لمصدر محذوف ، أي : أو ذكرا أشد... الخ.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٠٠

يقول الحق جل جلاله : فإذا وقفتم بعرفة ، وأفضتم منها ، فانزلوا المزدلفة وبيتوا بها ، فإذا صليتم الصبح بغلس فقفوا عند ﴿المشعر الحرام﴾ ، وهو جبل في آخر المزدلفة ، واذكروا الله عنده بالتهليل والتكبير والتلبية إلى الإسفار ، هكذا فعل الرسول – عليه الصلاة والسلام – ، ﴿واذكروه﴾ لأجل ما هداكم إليه من معالم دينه ومناسك حجه ، وغير ذلك من شعائر الدين ، أو فاذكروه ذكرا حسنا هداكم هداية حسنة ، وقد كنتم من قبل هذه الهداية ﴿لمن الضالين﴾.

وكانت قريش لا تقف مع الناس ترفعا عليهم ، بل تقف بالمزدلفة ، فأمرهم الحق جل جلاله بالوقوف مع الناس ، فقال لهم : ﴿ثم أفيضوا﴾ يا معشر قريش ﴿من حيث أفاض الناس﴾ بأن تقضوا معهم ، وتفيضوا من حيث أفاضوا ، ﴿واستغفروا الله﴾ في تغييركم مناسك إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – ﴿إن الله غفور﴾ لكم ، ﴿رحيم﴾ بكم إن تبتم ورجعتم واتبعتم رسولكم. ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ وفرغتم من حجتكم ﴿فاذكروا الله﴾ ذكرا كثيرا ﴿كذكركم آباءكم﴾ أو ذكرا

---

(١) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، ٣/٣٨٩

﴿أشد ذكرا﴾ منهم ، حيث كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة ، وكانوا إذا فرغوا من حجهم وقفوا بمنى ، بين المسجد والجبل ، فيذكرون مفاخرة آبائهم ، ومحاسن أيامهم ، فأمروا أن يبدلوا ذلك بذكر الله ، وذكر إحسانه إليهم ، وشكر ما أسداه إليهم من مفاخر الدنيا والآخرة ، إن آمنوا واتبعوا رسوله صلى الله عليه وسلم.

". (١)

"الإشارة : كل من أحب أن يرى الناس محاسن أعماله وأحواله ، ففيه شعبة من النفاق وشعبة من الرياء ، وعلامة المرائي : تزيين ظاهرة وتخريب باطنه ، يتزين للناس بحسن أعماله وأحواله ، يراقب الناس ولا يراقب الله ، وكان بعض الحكماء يقول : يقول الله ـ تعالى ـ : " يا مرائي : أمر من ترائى بيد من تعصيه " فمثل هذا أعماله كلها قليلة ، ولو كثرت في الحس كالجبال الرواسي ، وأعمال المخلصين كلها كثيرة ولو قلت في الحس ، وأعمال المرائين كلها قليلة ولو كثرت في الحس. قال في القوت : وصف الله تعالى ذكر المنافقين بالقلة ، لكونه غير خاص ، كما قيل في تفسير قوله تعالى : **﴿ذكرا كثيرا﴾** [الأحزاب : ٤١] أي : خالصا ، فسمي الخالص كثيرا. هـ.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١١٧

قولى تعالى : ﴿مذبذبين بين ذلك﴾ : هذه صفة أهل الدعوى ، المستشرفين على الحقيقة بالعلم ، ليسوا من الخصوص ولا من العموم ، مترددين بين الفريقين ، ومن يضلل الله عن طريق التحقيق ، فلن تجد له سبيلا.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١١٧

١١٨

قلت : اتخذ ، يتعدى إلى مفعولين ، و ﴿من دون﴾ : حال.

يقول الحق جل جلاله : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ لا تتشبهوا بالمنافقين فتتخذوا ﴿الكافرين أولياء﴾ وأصدقاء ﴿من المؤمنين﴾ ؛ لأن الله أعزكم بالإيمان والنصر ، فلا تطلبوا العز من أحد سواه ، ﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا﴾ أي : حجة واضحة على تعذيبكم وسببا في عقابكم.

الإشارة : قد تقدم في كثير من الإشارات النهي عن موالاة أهل الإنكار على الأولياء ، وعن مخالطة أهل الدنيا وصحبتهم ، فإن ذلك حجة واضحة على الرجوع إليهم ومصانعتهم ، وهو عين النفاق عند المخلصين. والله تعالى أعلم.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ١١٨

". (٢)

"﴿ولولا دفع الله الناس﴾ : لولا أن يدفع الله الناس ﴿بعضهم ببعض﴾ ؛ بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان ، وإقامة الحدود وكف المظالم ، ﴿لهدمت﴾ أي لخربت ؛ باستيلاء الكفرة على الملل ، ﴿صوامع﴾ : جمع صومعة – بفتح الميم – ، وهي : متعبد النصارى والصابئين منهم ، ويسمى أيضا الدير. وسمي بها موضع الأذان من الإسلام

---

(١) البحر المديد. ، ٢٥٣/١

(٢) البحر المديد. ، ١٦٩/٢

: ﴿وبيع﴾ : جمع بيعة - بكسر الباء - : كنائس النصارى ، ﴿وصلوات﴾ : كنائس اليهود ، سميت بما يقع فيها ، وأصلها : صلوتا بالعبرانية ، ثم عربت ، ﴿ومساجد﴾ للمسلمين ، ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ أي : **ذكرا كثيرا** ، أو وقتا كثيرا ، صفة مادحة للمساجد ، خصت بها ؛ دلالة على فضلها وفضل أهلها. وقيل يرجع للأربع ، وفيه نظر ؛ فإن ذكر الله تعالى في الصوامع والبيع والكنائس قد انقطع بظهور الإسلام ، فقصد بيانه ،

٤١٨

بعد نسخ شرائعها مما لا يقتضيه المقام ، ولا ترتضيه الأفهام. وقدمت الثلاثة على المساجد ؛ لتقدمها وجودا ، أو لقربها من التهديم.



جزء : ٤ رقم الصفحة : ٤١٧

ولينصرن الله من ينصره﴾ أي : وتالله ، لينصرن الله من ينصر دينه ونبيه - عليه الصلاة والسلام - وأولياءه. ومن نصره : إشهاره وإظهاره ، وتعليمه لمن لا يعلمه ، وإعزاز حامل لوائه من العلماء والأولياء. وقد أنجز الله وعده ، حيث سلط المهاجرين والأنصارعلى صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم ، وأورثهم أرضهم وديارهم ، ﴿إن الله لقوي عزيز﴾ : غالب على ما يريد ، ومن جملته : نصرهم وإعلاؤهم.

". (١)

"يقول الحق جل جلاله : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ قياما ، وقعودا ، وعلى جنوبكم ، قال ابن عباس : (لم يعذر أحد في ترك ذكر الله - عز وجل - إلا من غلب على عقله). وقال : الذكر الكثير : ألا تنساه أبدا. وروى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون " والذكر أنواع : تهليل ، وتحميد ، وتقديس ، واستغفار ، وتلاوة ، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل : المراد : ذكر القلوب ، فإن الذكر الذي يمكن استدامته ، هو ذكر القلب ، وهو استدامة الإيمان والتوحيد. وأما ذكر اللسان فإن إدامته كالمتعذر. قاله القشيري. ﴿وسبحوه﴾ أي : نزهوه ، أو : قولوا : سبحان الله وبحمده ، ﴿بكرة﴾ أول النهار ﴿وأصيلا﴾ آخر النهار. وخصا بالذكر لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما. وعن قتادة : (قولوا : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله). أو : الفعلان - أي : ﴿اذكروا﴾ و ﴿سبحوه﴾ - موجهان إلى البكرة والأصيل ، كقولك : صم وصل يوم الجمعة. والتسبيح من جملة الذكر ، وإنما اختص من بين أنواعه إبانة لفضله ؛ لأن معناه : تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات. ويجوز أن يراد بالذكر وإكثاره : تكثير الطاعات والعبادات ، فإنها من جملة الذكر ، ثم خص من الذكر التسبيح بكرة ، وهي صلاة الفجر ، وأصيلا ، وهي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، أو : صلاة الفجر والعشاءين.

﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه

---

(١) البحر المديد. ، ٤/٦٢٥

٣٤

" .(١)

"﴿وكان﴾ الله ﴿بالمؤمنين رحيما﴾ قد اعتنى بصلاح أمرهم ، وإثابة أجرهم ، واستعمل في خدمتهم ملائكته المقربين ، وهو دليل على أن المراد بالصلاة : الرحمة ، حيث صرح بكونه رحيما بهم. قال أنس : لما نزل قوله تعالى : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ قال أبو بكر : يا رسول الله ما خصك الله بشريف إلا وقد اشتركنا فيه ، فأنزل قوله : ﴿هو الذي يصلي عليكم...﴾ الخ.

﴿تحيتهم﴾ أي : تحية الله لهم ، فهو من إضافة المصدر إلى مفعوله ، ﴿يوم يلقونه﴾ عند الموت. قال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن ، قال : ربك يقرئك السلام. أو : يوم الخروج من القبور ، تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم. أو : يوم يرونه في الجنة ، ﴿سلام﴾ يقول الله تبارك وتعالى : " السلام عليكم يا عبادي ، هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيت ما لم تعط أحدا من العالمين. فيقول لهم :

٣٥

أعطيكم أفضل من ذلك ، أحل عليكم رضواني ، فلا أسخط عليكم أبدا "كما في البخاري. وفي رواية غيره : يقول تعالى : " السلام عليكم ، مرحبا بعبادي الذين أرضوني باتباع أمري " هو إشارة إلى قوله : ﴿سلام عليكم طبتم﴾ [الزمر : ٧٣].

﴿وأعد لهم أجرا كريما﴾ يعني الجنة وما فيها.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٤

الإشارة : قال القشيري : قوله تعالى : ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ الإشارة فيه : أحبوا الله لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ " من أحب شيئا أكثر من ذكره " فيحب أن يقول : الله ، ولا ينس الله بعد ذكر الله. هـ. قلت : لأن ذكر الله عنوان محبته ، ومنار وصلته ، وهو الباب الأعظم في الدخول إلى حضرته ، ولله در القائل :

الذكر عمدة لكل سالك

تنورت بنوره المسالك>> هو المطية التي لا تنتكب

ما بعدها في سرعة الخطا نجب>> به القلوب تطمئن في اليقين

ما بعده على الوصال من معين>> به بلوغ السالكين للمنى

" .(٢)

"جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٤

فإذا قضيت الصلاة﴾ أي : أديت وفرغ منها ﴿فانتشروا في الأرض﴾ ، أمر إباحة ، أي : اخرجوا لإقامة مصالحكم ، ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ ؛ الرزق ، قال ابن عباس : " إنما هي عيادة المريض ، وحضور الجنائز ، وزيارة أخ في الله " ومثله

---

(١) البحر المديد ، ٦/٥٥ .

(٢) البحر المديد ، ٦/٥٧ .

في الحديث ، وعن الحسن : طلب العلم ، وقيل : صلاة التطوع. ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ ، أي : ذكرا كثيرا ، أو زمنا كثيرا ، ولا تخصوا ذكره بالصلاة ، ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي : كي تفوزوا بخير الدارين.

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾ ، روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد ، فقدم دحية بن خليفة ، بتجارة من زيت الشام ، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة ، فقاموا إليها ؛ خشية أن يسبقوا إليه ، فما بقي معه عليه السلام إلا ثمانية ، أو اثنا عشر ؛ العشرة المبشرون بالجنة ، وبلال وابن مسعود ، وقيل : أربعون ، وهذا مبنى الخلاف في عدد الجماعة التي تنعقد بهم وتجب عليهم ، فقال مالك : تنعقد باثني عشر غير الإمام ، وتجب على قرية يمكنهم الإقامة والدفع عن أنفسهم في الغالب ، وقال الشافعي : أربعون رجلا وقال أبو حنيفة : لا بد من المصر الجامع ، والسلطان القاهر ، وتصح الصلاة عنده بأربعة. ولما انفضوا قال صلى الله عليه وسلم : " والذي نفس محمد بيده لو قاموا جميعا لأضرم الله عليهم الوادي نارا " وفي مراسيل أبي داود : إن الخطبة كانت بعد الصلاة ، فتأولوا . رضي الله عنهم . أنهم قد قضوا ما عليهم ، فحولت الخطبة بعد ذلك قبل الصلاة. هـ.

". (١)

"تفتح لأحد بعده.

روى جابر أن النبي A : " أنا خاتم ألف نبي أو أكثر " . والخاتم الذي يلبس ، فيه أربع لغات : خاتم وخاتم وخاتام وخيتام.

ثم قال تعالى ذكره : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ أي : اذكروه بقلوبكم وجوارحكم ولا تخلوا أنفسكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم.

ثم قال : ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ أي : صلوا له غدوة وعشيا ، يعني صلاة الصبح وصلاة العصر ، والأصيل العشي وجمعه أصائل . والأصيل بمعنى الأصل وجمعه آصال ، هذا لفظ المبرد . وقال غيره : أصل عنده جمع أصيل كرغيف ورغف

..". (٢)

" ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ وهو أن لا ينسى على حال ." (٣)

"قال ابن عباس : نبيء هارون ساعتئذ حين نبيء موسى .

وقوله : ﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً ﴾ تعليل للدعوات الصالحات التي تضرع بها موسى إلى ربه - تعالى - .

أى : أجب - يا إلهى - دعائى بأن تشرح صدرى . . . وتشد بأخى هارون أزرى ، كى نسبحك تسبيحا كثيرا ، ونذكرك ذكرا كثيرا ، إنك - سبحانك - كنت وما زلت بنا بصيرا ، لا يخفى عليك شىء من أمرنا أو من أمر خلقك ، فأنت المطلع على حالنا وعلى ضعفنا ، وأنت العليم بحاجتنا إليك وإلى عونك ورعايتك .

---

(١) البحر المديد ، ٨/٦٤

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية، ٩/٥٨٤٥

(٣) الوجيز للواحدي، ص/٨٦٨

بهذه الدعوات الخاشعات ابتهل موسى إلى ربه ، وأطال الابتهال فى بسط حاجته ، وكشف ضعفه . . . فماذا كانت النتيجة؟

لقد كانت النتيجة أن أجاب الله له دعاءه ، وحقق له مطالبه ، وذكره ببعض مننه عليه فقال - تعالى - : ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ . . . ﴾ .." (١)

"أى : لقد كان لكم - أيها الناس - قدوة حسنة فى نبيكم A ، وهذه القدوة الحسنة كائنة وثابتة للمؤمنين حق الإيمان . الذين يرجون ثواب الله - تعالى - ، ويؤملون رحمته يوم القيامة ، إذ هم المنتفعون بالتأسى برسولهم A وقوله : ﴿ وَذَكَرَ الله كَثِيراً ﴾ معطوف على ﴿ كَانَ ﴾ ، أى : هذه الأسوة الحسنة بالرسول A ثابتة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، ولمن ذكر الله - تعالى - **ذكرا كثيرا** ، لأن الملازمة لذكر الله - تعالى - توصل إلى طاعته والخوف منه - سبحانه - .

وجمع - سبحانه - بين الرجاء والإكثار من ذكره ، لأن التأسى التام بالرسول A لا يتحقق إلا بهما .

ثم بين - سبحانه - على سبيل التشريف والتكريم - ما قاله المؤمنون الصادقون عندما شاهدوا جيوش الأحزاب ، فقال - تعالى - : ﴿ وَلَمَّا رَأَى المؤمنون الأحزاب قَالُواْ هذا مَا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ الله وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً ﴾ .

واسم الإشارة ﴿ هذا ﴾ يعود إلى ما رأوه من الجيوش التى جاء بها المشركون ، أو إلى ما حدث لهم من ضيق وكرب بسبب ذلك .

أى : وحين رأى المؤمنون الصادقون جيوش الأحزاب وقد أقبلت نحو المدينة ، لم يهنوا ولم يجزعوا ، بل ثبتوا على إيمانهم وقالوا ﴿ هذا ﴾ الذى نراه من خطر داهم ، هو ما وعدنا به الله ورسوله ، وأن هذا الخطر سيعقبه النصر ، وهذا الضيق سيعقبه الفرج ، وهذا العسر سيأتى بعد اليسر .

قال الآلوسى ما ملخصه : وأرادوا بقولهم ذلك ، ما تضمنه قوله - تعالى - فى سورة البقرة : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الذين خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ البأسآء والضرآء وَزُلْزِلُواْ حتى يَقُولَ الرسول والذين آمَنُواْ مَعَهُ متى نَصْرُ الله أَلاَ إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ ﴾ وكان نزول هذه الآية قبل غزوة الخندق بحول - كما جاء عن ابن عباس .

وفى رواية عن ابن عباس - أيضا - " أن الرسول A قال لأصحابه : إن الأحزاب سائرون إليكم تسعا أو عشرا " ، أى : فى آخر تسع ليال أو عشر ، أى : من وقت الاخبار ، أو من غرة الشهر فلما رأوهم قد أقبلوا فى الموعد الذى حدده A قالوا ذلك .

وقوله - تعالى - : ﴿ وَصَدَقَ الله وَرَسُولُهُ ﴾ داخل فى حيز ما قالوه .

أى : قالوا عندما شاهدوا جيوش الأحزاب : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وقالوا - أيضا - على سبيل التأكيد وقوة اليقين

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٢٨٢٢

والتعظيم لذات الله ، ولشخصية رسوله : وصدق الله ورسوله ، أى : وثبت صدق الله – تعالى – فى أخباره ، وصدق رسوله A فى أقواله .." (١)

"والمقصود بذكر الله – تعالى – فى قوله : ﴿ ياأيها الذين آمَنُواْ اذكروا الله ذِكْراً كَثِيراً ﴾ ما يشمل التهليل والتحميد والتكبير وغير ذلك من القوال والأفعال التى ترضيه – D – .

أى : يا من آمنتم بالله حق الإيمان اكثروا من التقرب إلى الله – تعالى – بما يرضيه ، فى كل أوقاتكم وأحوالكم ، فإن ذكر الله – تعالى – هو رطب النفوس ودواؤها ، وهو عافية الأبدان وشفاؤها ، به تطمئن القلوب ، وتنشرح الصدور . .

والتعبير بقوله : ﴿ اذكروا الله ذِكْراً كَثِيراً ﴾ يشعر بأن من شأن المؤمن الصادق فى إيمانه ، أن يواظب على هذه الطاعة مواظبة تامة .

ومن الأحاديث التى وردت فى الض على الإكثار من ذكر الله ، ما رواه الإمام أحمد عن أبى الدرداء . . رضى الله عنه . . قال : قال رسول الله A : " ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والوَرِقِ – أى : الفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ، قالوا : وما هو يا رسول الله؟ قال : ذكر الله – D – " .

وعن عمرو بن قيس قال : " سمعت عبد الله بن بسر يقول : جاء اعرابيان إلى رسول الله A فقال أحدهما : يا رسول الله ، أى الناس خير؟ قال : " من طال عمره وحسن عمله " .

وقال الآخر : يا رسول الله ، إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا ، فمرنى بأمر أتشبت به . قال : " لا يزال لسانك رطبا بذكر الله " " .

وقال ابن عباس : لم يفرض الله – تعالى – فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ، ثم عذر أهلها فى حال العذر ، غير الذكر ، فإن الله – تعالى – لم يجعل له حدا ينتهى إليه ، ولم يعذر أحداً فى تركه إلا مغلوبا على عقله ، وأمرهم به فى الأحوال كلها . فقال – تعالى – : ﴿ الذين يَذْكُرُونَ الله قِيَاماً وَقُعُوداً وعلى جُنُوبِهِمْ . . . ﴾ وقال – سبحانه – : ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصلاة فاذكروا الله قِيَاماً وَقُعُوداً وعلى جُنُوبِكُمْ . . ﴾ أى : بالليل وبالنهار ، فى البر والبحر ، وفى السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال . .

وقوله : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ معطوف على ﴿ اذكروا ﴾ والتسبيح : التنزيه . مأخوذ من السبح ، وهو المر السريع فى الماء أو فى الهواء . فالسبح مسرع فى تنزيه الله وتبرئته من السوء . والبكرة : أول النهار . والأصيل : أخره .

أى : اكثروا – أيها المؤمنون – من ذكر الله – تعالى – فى كل أحوالكم ، ونزهوه – سبحانه – عن كل ما لا يليق به ، فى أول النهار وفى آخره .

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٣٤١٠

وتخصيص الأمر بالتسبيح فى هذين الوقتين ، لبيان فضلهما ، ولمزيد الثواب فيهما ، وهذا لا يمنع أن التسبيح فى غير هذين الوقتين له ثوابه العظيم عند الله – تعالى – .." (١)

٢٩٨"

الأرض النبات ويقال جميع من في السموات والأرض عبيده وفي ملكه " والله على كل شيء قدير " من النبات وغيره ويقال هذا معطوف على أول الكلام أنهم لا ينجون من عذابه يأخذهم متى شاء لأنه على كل شيء قدير

سورة آل عمران ١٩٠ – ١٩١

قوله تعالى " إن في خلق السموات والأرض " وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية لصحة دعواه لأنه كان يدعوهم إلى عبادة الله وحده فنزل " إن في خلق السموات والأرض " أي خلقين عظيمين ويقال فيما خلق في السموات من الشمس والقمر والنجوم وما خلق في الأرض من الجبال والبحار والأشجار " واختلاف الليل والنهار " يعني ذهاب الليل ومجيء النهار ويقال اختلاف لونيهما " لآيات " لعبرات " لأولي الألباب " لذوي العقول

قوله تعالى " الذين يذكرون الله قياما وقعودا " يعني يصلون لله قياما إن استطاعوا على القيام وقعودا إن لم يستطيعوا القيام " وعلى جنوبهم " إن لم يستطيعوا القعود لزمانه بهم ويقال معناه الذين يذكرون الله في الأحوال كلها في حال القيام والقعود والاضطجاع كما قال في آية أخرى " اذكروا الله ذكرا كثيرا " الأحزاب ٤١

ثم قال تعالى " ويتفكرون في خلق السموات والأرض " يعني يعتبرون في خلقهما قال حدثنا الخليل بن أحمد قال حدثنا السراج قال حدثنا قتيبة قال حدثنا ابن زرارة الحلبي عن أبي حباب عن عطاء بن أبي رباح قال دخلت مع ابن عمر وعبيد بن عمير على عائشة فسلمنا عليها فقالت من هؤلاء فقلت عبد الله بن عمر وعبيد الله بن عمير فقالت مرحبا بك يا عبيد بن عمير ما لك لا تزورنا فقال عبيد زر غبا تزدد حبا فقال ابن عمر دعونا من هذا حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت بكاء شديدا ثم قالت كل أمره عجب أتاني في ليلتي فدخل في فراشي حتى ألصق جلده بجلدي فقال يا عائشة أتأذنين لي أن أعبد لربي فقلت والله إني أحب قربك وإني لأحب هواك فقام إلى قربة ماء فتوضأ منها ثم قام فبكى وهو قائم حتى روت الدموع حجره ثم اتكأ على شقه الأيمن ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن فبكى حتى روت الدموع الأرض ثم أتاه بلال بعدما أذن للفجر فلما رآه يبكي قال أتبكي يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا وما لي لا أبكي وقد أنزلت علي الليلة " وأن." (٢)

٥٩٠"

قوله تعالى " وإذا لم تأتهم بآية " وذلك حين أبطأ عليه جبريل حين سألوه شيئا " قالوا لولا اجتبيتها " أي هلا أتاهم من تلقاء نفسه وهذا كقوله " ائت بقرءان غير هذا " يونس ١٥ قال إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي) يعني قال إذا أمرت بأمر فعلت ولا أبتدع ما لم أومر " هذا بصائر من ربكم " يعني القرآن بيان من ربكم وقال بعض أهل اللغة البصائر في اللغة

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٣٤٢٨

(٢) بحر العلوم . ، ٢٩٨/١

طريق الأمر واحدتها بصيرة ويقال طريقة الدين معناه ظهور الشيء وبيانه " وهدى ورحمة " يعني القرآن هدى من الضلالة ويقال كرامة ورحمة من العذاب ونعمة لمن آمن به " لقوم يؤمنون " يعني يصدقون

سورة الأعراف ٢٠٤ - ٢٠٦

قوله تعالى " وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا " وذلك أن المسلمين كانا يتكلمون في الصلاة قبل نزول هذه الآية فنهوا عن ذلك وأمروا بالسكوت وروى عبد الوهاب عن مجاهد عن أبي العالية الرياحي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى فقرأ وقرأ الصحابة خلفه حتى نزل " وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا " فسكت القوم وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم وروى قتادة عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى " وإذا قريء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا " قال في الصلاة وروى مغيرة عن إبراهيم مثله وسئل ابن عباس عن قوله " وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا " هذا كل قارئ قال لا ولكن هذا في الصلاة المفروضة وقال أبو هريرة مثله وقال مجاهد وجب الإنصات في موضعين في الصلاة والإمام يقرأ وفي الجمعة والإمام يخطب وعن مجاهد قال لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم وقال عطاء والحسن إن هذا في الصلاة والخطبة ويقال " فاستمعوا له وأنصتوا " يعني اعملوا بما في كتاب الله ولا تجاوزوا عنه إلى غيره ثم قال " لعلكم ترحمون " يعني لكي ترحموا ولا تعذبوا

قوله تعالى " واذكر ربك في نفسك تضرعا " يقول اقرأ يا محمد إذا كنت إماما بنفسك " تضرعا " يعني مستكينا " وخيفة " يعني خوفا من عذابه وهذا قول مقاتل وقال الكلبي " واذكر ربك في نفسك " يعني سرا " ودون الجهر من القول " يعني العلانية حتى يسمع من خلفك وقال الضحاك معناه اجهر بالقراءة في الغداة والمغرب والعشاء " ولا تكن من الغافلين " يعني لا تغفل عن القراءة في الظهر والعصر فإنك تخفي القراءة فيهما وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذكروا الله ذكرا كثيرا خاملا قيل وما الذكر الخامل قال الذكر الخفي

وقوله " بالغدو والآصال " يعني غدوة وعشية وروى يحي عن أيوب عن خالد بن." (١)

"٦٠

بنيه ماتوا صغارا ولو كان الرجال بنيه لكانوا أنبياء ولا نبي بعده فذلك قوله " وخاتم النبيين " قرأ بعضهم " ولكن رسول الله " بضم اللام ومعناه ولكن هو رسول الله ومن قرأ بالنصب معناه ولكن كان رسول الله وكان " خاتم النبيين " وقرأ عاصم في إحدى الروايتين " وخاتم النبيين " بنصب التاء وقرأ الباقون بالكسر

فمن قرأ بالكسر يعني آخر النبيين

ومن قرأ بالنصب فهو على معنى إضافة الفعل إليه يعني أنه ختمهم وهو خاتم

قال أبو عبيد وبالكسر نقرأ لأنه رويت الآثار عنه أنه قال (أنا خاتم النبيين) فلم يسمع أحد من فقهائنا يروون إلا بكسر التاء

" وكان الله بكل شيء عليما " بمن يصلح للنبوة وبمن لا يصلح

---

(١) بحر العلوم. ، ٥٩٢/١

فإن قيل كيف يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يظهر من نفسه خلاف ما في قلبه قيل له يجوز مثل هذا لأن في قوله " أمسك عليك زوجك واتق الله " أمر بالمعروف وفيه رد النفس عما تهوى وهذا عمل الأنبياء والصالحين عليهم السلام وقال بعضهم للآية وجه آخر وهو أن الله تعالى قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تكون زوجته فلما زوجها من زيد بن حارثة لم يكن بينهما ألفة وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينهاه عن الطلاق ويخفي في نفسه ما أخبره الله تعالى وقال بأنها تكون زوجته

فلما طلقها زيد بن حارثة كان يمتنع من تزوجها خشية مقالة الناس يتزوج امرأة ابنه المتبنى به

فأمره الله عز وجل بأن يتزوجها ليكون ذلك سبب الإباحة لنكاح امرأة الابن المتبنى لأمته فنزل " وإذ تقول للذي أنعم الله عليه " [الأحزاب ٣٧] الآية

سورة الأحزاب ٤١ - ٤٤

قوله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** " يعني اذكروا الله باللسان

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد)

قيل يا رسول الله فما جلاؤها قال (تلاوة كتاب الله عز وجل وكثرة ذكره)

وذكر أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن شرائع الإسلام قد كثرت فأنبئني منها بأمر أتشبث به

فقال (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل)

ويقال ليس شيء من العبادات أفضل من ذكر الله تعالى لأنه قدر لكل عبادة مقدارا ولم يقدر للذكر وأمر بالكثرة فقال " اذكروا الله **ذكرا كثيرا** " يعني اذكروه في الأحوال كلها لأن الإنسان لا يخلو من أربعة." (١)

"روى مسلم عن أبي موسى قال : كان النبي

صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه بأسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفى أي المولى الذاهب المتبع لمن قبله والآخر وأنا الماحي ونبي التوبة ونبي الرحمة.

قال حسان بن ثابت :

ألم تر أن الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلى وأمجد

أغر عليه للنبوة خاتم من الله مشهود يلوح ويشهد

(٥/٤٨٠)

بيان المعاني ، ج ٥ ، ص : ٤٨١

و شق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

هذا وما جاء عن الأحمديين بأن خاتم النبيين ليس المراد منه أن لا نبي بعده وإنما هو معنى الكمال قول لا حقيقة له كسائر

---

(١) بحر العلوم ، ٣/٦٠

أقوالهم بحق عيسى عليه السلام وان له خليفة عندهم وأنه سيظهر بدلا منه ويقوم بما يقوم به ، وينكرون رفعه إلى السماء ويؤولون الرفع على خلاف ما جاء في القرآن العظيم ، وهذا كله بهت وزور وافتراء لا يلتفت إليه إلا من هو على شاكلتهم «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**» (٤١) لا نهاية له حتى الموت لأن كل عبادة لها حد ويعذر أهلها بتركها عند الضرورة إلا الذكر ، إذ يجب على العبد ألا يفارقه ما دام في قلبه حركة ولا يمنع منه وجود حدث أو حيض أو نفاس ولا الخوف والمرض بل يتأكد فيها رجاء الفرج والصحة «وسبحوه» نزهوه ووقروه وعظموه مع إدامة ذكره «بكرة وأصيلا» (٤٢) صباح مساء بصورة مستمرة بحيث لا يغفل قلبكم عنه وهذا هو المطلوب شرعا من العبد لربه لأنه «هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما» (٤٣) أي لعامتهم الأولين والآخرين.." (١)

"بيان المعاني ، ج ٥ ، ص : ٤٨١

و شق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

هذا وما جاء عن الأحمديين بأن خاتم النبيين ليس المراد منه أن لا نبي بعده وإنما هو معنى الكمال قول لا حقيقة له كسائر أقوالهم بحق عيسى عليه السلام وان له خليفة عندهم وأنه سيظهر بدلا منه ويقوم بما يقوم به ، وينكرون رفعه إلى السماء ويؤولون الرفع على خلاف ما جاء في القرآن العظيم ، وهذا كله بهت وزور وافتراء لا يلتفت إليه إلا من هو على شاكلتهم «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**» (٤١) لا نهاية له حتى الموت لأن كل عبادة لها حد ويعذر أهلها بتركها عند الضرورة إلا الذكر ، إذ يجب على العبد ألا يفارقه ما دام في قلبه حركة ولا يمنع منه وجود حدث أو حيض أو نفاس ولا الخوف والمرض بل يتأكد فيها رجاء الفرج والصحة «وسبحوه» نزهوه ووقروه وعظموه مع إدامة ذكره «بكرة وأصيلا» (٤٢) صباح مساء بصورة مستمرة بحيث لا يغفل قلبكم عنه وهذا هو المطلوب شرعا من العبد لربه لأنه «هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما» (٤٣) أي لعامتهم الأولين والآخرين.

ولا معنى لقول من قال إن هذه الرحمة الذين كانوا زمن حضرة الرسول بل هي عامة لهم ولمن تقدمهم وتأخر عنهم «تحيتهم يوم يلقونه سلام» منه إليهم ومنهم إليه في جنته الكريمة «وأعد لهم أجرا كريما» (٤٤) فيها لا نظير له ، والظلمات هنا بمعنى الكفر والنور بمعنى الإيمان.

قال تعالى «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا» على الخلق «ومبشرا» لمن آمن بك بالجنة «ونذيرا» (٤٥) لمن كذبك بالنار «وداعيا إلى الله» بالتوحيد والطاعة والإيمان «بإذنه» بأمره ووحيه «وسراجا منيرا» (٤٦) يغطي كلمة الشرك ولم يقل شمسا لأنها لا يؤخذ منها شيء عفوا ، أما السراج فيؤخذ منه أنوار كثيرة لأنه سهل التناول «وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا» (٤٧) على غيرهم من الأمم لأنهم آمنوا بنبيهم والأنبياء قبله «ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم» لا تلق له بالا فإن الأنبياء قبلك أوذوا أكثر منك ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم قسمة بين ت (٣١)." (٢)

---

(١) بيان المعاني، ١/٥٥

(٢) بيان المعاني، ٥/٤٨١

"؟ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨) يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩) يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر." (١)

"قوله عز وجل : ؟ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) ؟ .

عن ابن عباس في قوله : ؟ اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ؟ ، يقول : لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها جزاء معلوما ، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر ، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله . قال : ؟ فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ؟ بالليل والنهار ، في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال . فقال : ؟ وسبحوه بكرة وأصيلا ؟ ، فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته . قال الله عز وجل : ؟ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ؟ .." (٢)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ١٠٧

نبيا من زمرة الأنبياء الصالحين لتبليغ احكام الله إلى عباده وهدايتهم إلى جنابه

ثم لما سمع زكريا من الملائكة ما سمع من البشارة قال متحسرا مستبعدا حصول الولد منه لكونه على خلاف جرى العادة مناجيا مع ربه على سبيل التأسف رب يا من رباني بنعمك إلى كبر سنى أنى يكون لي غلام أى من اين يحصل لي ولد منى في كبر سنى وقد بلغني الكبر غايته والحال ان امرأتي عاقر عقيم ذات عقر من الأولاد في اصل الخلقة ومع ذلك كبيرة اليوم لا ترجى منها الولادة وبعد ما قد بث الشكوى نحو الحق متحسرا متأسفا قال له جبريل بوحي الله إياه لا تستبعد من كمال قدرة الله أمثال هذا فانه سبحانه كذلك يخلق عموم ما يشاء سبحانه بلا سبب يوافق العادة إذ الله المقتدر المختار يفعل ويوجد ما يشاء من الموجودات ابداعا واختراعا بلا سبق مادة ومدة واسباب عادية فلك ان ترفع غشاوة الأسباب الحاجبة

---

(١) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ٥٢/٤

(٢) توفيق الرحمن / فيصل آل مبارك، ٥٤/٤

عن البين وتنسب ما جرى في ملكه اليه سبحانه بلا رؤية الوسائط والأسباب إذ لا حجاب عند اولى الألباب بل كل ما صدر عنه لا يتوقف على شي ء من سوابقه ولا يتوقف عليه شي ء من لواحقه عند اولى البصائر الناظرين بنور الله في تجددات تجليات الوجود الإلهي

ثم لما تفطن زكريا عليه السلام من هذا الكلام ما تفطن قال مستسرعا مستنشطا رب يا من رباني بأنواع اللطف والكرم اجعل لي بفضلك آية امارة وعلامة اعرف بها الحمل والحبل ليفرح بها قلبي وأخلص عن التردد والانتظار قال آيتك ألا تكلم الناس أى أنت لا تطيق التكلم معهم لعدم مساعدة آلاتك عليه مدة ثلاثة أيام ولا تعلمهم حوائجك إلا رمزا اشارة بيد ورأس وغير ذلك وبعد ما حبست نفسك عن التكلم والتنطق اذكر ربك في نفسك **ذكرا كثيرا** وسبح أى نزه ربك عن مطلق النقائص تسبيحا مقرونا بالعشي أى جميع أجزاء الليل والإبكار أى جميع أجزاء النهار لتستوعب أنت جميع أوقاتك وآنائك بتسبيحه. من هذا تفطن العارف ان الداعي المناجى إلى الله المستجيب من لدنه سبحانه لا بد له ان يفرغ قلبه عن غير الله ويستوعب أوقاته بذكره بل يكل لسانه عن ذكر الغير مطلقا حتى يفوز بمطلوبه ويجيب له بفضله وطوله

و اذكر يا أكمل الرسل لمن تبعك من مدائح آل عمران واصطفاء الله إياهم سيما وقت إذ قالت الملائكة بأمر الله ووحيه لمريم رضى الله عنها ملهمين لها منادين على سرها أبشري يا مريم إن الله الذي أظهرك من كتم العدم ورباك بأنواع اللطف والكرم قد اصطفاك واختارك لخدمة بيته مع انه لم يعهد اختيار النساء للخدمة وطهرك بفضله عن مطلق الخبائث والأدناس العارضة للنسوان واصطفاك أى قد خصصك وفضلك بهاتين الخصلتين الحميدتين على نساء العالمين وانما خصها سبحانه بما خصها لتكون آية ومقدمة لعموم ما يترتب على وجودها ويظهر منها من البدائع التي قد اودعها الله في نفسها من حملها بلا مباشرة احد بل بمجرد كلمة ملقاة من عنده وإرهاصات ومعجزات صدرت منها ومن ابنها بحيث لم يظهر مثلها من الرسل والأنبياء ثم لما أخبرت الملائكة إياها باصطفائه سبحانه نادتها الملائكة ثانيا بأمر الله أيضا تعليما لها التوجه والرجوع إلى الله على وجه الخضوع والتذلل والإخبات والخشوع

يا مريم المختارة المقبولة عند الله اقنتي أى توجهي وتضرعي لربك الذي رباك بلطفه وقبلك نذيرة من أمك واصطفاك على نساء العالمين بأنواع الفضائل شكرا لما تفضل عليك واسجدي تذللي واخضعى ملقية جباهك على تراب المذلة والهوان." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٢٩٠

غيره من الوسائل والأسباب العادية ترجع الأمور أى تدابير الأمور الكائنة في عالم الكون والفساد إذ منه بدأ واليه يعود عموم ما هو مثبت وموجود

يا أيها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم الاعتصام بحول الله وقوته عليكم إذا لقيتم فئة من الكفار فاثبتوا وتمكنوا تجاه العدو ولا تضطربوا ولا تستدبروا وبعد استقراركم وثباتكم اذكروا الله **ذكرا كثيرا** واستعينوا منه وتوكلوا عليه لعلكم تفلحون وتفوزون بالنصر والظفر والغلبة والغنيمة ان اخلصتم النية

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ١/١٠٧

و بالجملة أطيعوا الله ورسوله في جميع حالاتكم سيما عند المقابلة والمقاتلة مع العدو ولا تنازعوا بينكم باختلاف الآراء والأهواء بل فوضوا أموركم كلها إلى الله ورسوله وان وقع النزاع والمخالفة بينكم فتفشلوا وتضعفوا فيفتر عزمكم وتذهب ريحكم أى دولتكم وهيبتكم التي قد ظهرت عليكم من نور الإسلام وبعد ما سمعتم ما سمعتم اصبروا على مشاق الجهاد ورابطوا قلوبكم إلى الله ورسوله إن الله مع الصابرين المرابطين المتمكنين يعين عليهم وينصرهم

و لا تكونوا أيها المؤمنون القاصدون نحو الجهاد كالذين أى كالكفار الذين خرجوا من ديارهم يعنى مكة للقتال بطرا مفاخرين مباهين مستظهرين بعددهم وعددهم ويقصدون بذلك الخروج رئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وهم بمجرد هذا القصد الفاسد والنية الكاسدة يصدون ويصرفون عباد الله عن سبيل الله الموضوع على العدل القويم المسمى بالصراط المستقيم والله المطلع بجميع أحوالهم بما يعملون ويأملون من المخايل الفاسدة محيط بعلمه الحضوري يجازيهم عليها بمقتضى علمه وخبرته

و من جملة ما يعين عليكم ويمد لنصركم تغرير الشيطان واغراؤه على أعداءكم امدادا لهم ونصرا فيصير وبالا عليهم وخزيا لا عونا ونصرا اذكروا وقت إذ زين أى حسن وحبب لهم الشيطان أعمالهم أى عداوتهم وقتالهم معكم وقال الشيطان تحريضا لهم على القتال ملقيا في روعهم على سبيل الوسوسة حتى تخيلوا انهم لا يغلبون أصلا اعتمادا على كثرة عددهم وعددهم لا غالب لكم اليوم من الناس فلكم اليد والغلبة والاستيلاء والصولة والاستعلاء وإني جار مجير لكم مغيث فلما تراءت الفئتان أى تلاقيا وتلاحقا فرأى اللعين من صفوف الملائكة ما رأى نكص على عقبيه ورجع قهقرى وقال إني بري ء منكم ومن جواركم إني أرى من جنود السماء ما لا ترون أنتم ينزلون منها لامداد هؤلاء باذن الله وبالجملة إني أخاف الله من قهره وغضبه والله القادر المقتدر على وجوه الانتقام شديد العقاب اليم العذاب لا نجاة للعصاة الغواة من عذابه وعقابه

اذكروا وقت إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض أى الذين لم يصف عن شوب الشبهة صدورهم ولم يصلوا إلى مرتبة الاطمئنان في الايمان حين خرجتم نحو العدو مجترئين مع قلتكم وكثرة عدوكم قد غر هؤلاء الحمقى دينهم فالقوا أنفسهم إلى التهلكة بأيديهم بخروج ثلاثمائة عزل بلا عدة إلى زهاء ألف مستعدين فلا تبالوا أيها المطمئنون بالإيمان بهم وبقولهم ولا تفتروا ولا تضعفوا من هذياناتهم بل توكلوا على ربكم وفوضوا أموركم كلها اليه واعلموا ان من يتوكل على الله مخلصا فهو حسبه فإن الله عزيز غالب في ذاته قادر على اعانة من استعان منه حكيم متقن في فعله وامره يفعل ويأمر ما تستبعده العقول وتدهش فيه الأحلام

و لو ترى أيها الرائي وقت إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٥١٢

على صدقي في دعواي اشرح لي صدري ووسع لي قلبي بحيث لا اخطر ببالي خوفا من العدو أصلا

و مع ذلك يسر وسهل لي أمري هذا بحيث لا اضطرب في التبليغ ولا استوحش من جاه فرعون وشوكته

و متى شرعت لأداء الرسالة احلل وارفع عقدة من لساني لكنة عارضة من مهابة العدو سيما هذا الطاغي المتجبر مع ان

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ٢٩٠/١

اللكنة خلقية لي

يفقهوا قولي وغرضي منه

و بعد ما وفقتني لأداء رسالتك يا ربي اجعل لي وزيرا ظهيرا يصدقني في امرى ويعينني عليه ولا تجعل ظهيري من الأجانب لقلة شفقتهم وعطفهم على بل اجعل ظهيري يا ربي من أهلي وأقربهم بي واولى بمعاونتى

هو هارون إذ هو أخي الأكبر بمنزلة ابى في الشفقة ومتى جعلت أخي هارون ظهيري ووزيري

اشدد به وقو بسببه واحكم بإقامته يا معينى أزري ظهري

و لا يتحقق تقويته على حقيقة الا بعد اشتراكه معى في امر الرسالة أشركه بلطفك يا ربي في أمري ورسالتي بان تكشف أنت بلطفك عليه حقيقة الأمر والتوحيد كما كشفت لي ليكون هو أيصا من المكاشفين الموقنين بوحدانيتك ومن الممتثلين بأوامرك المجتنبين عن نواهيك

و انما سألتك يا ربي الإعانة بأخي كي نسبحك ونقدس ذاتك عما لا يليق بشأنك تقديسا

كثيرا ونذكرك ونناجى معك بذكر أسمائك الحسنى وصفاتك العظمى **ذكرا كثيرا** وكيف لا نسبحك ونذكرك

إنك بذاتك وأسمائك واوصافك قد كنت محيطا بنا بصيرا لعموم أحوالنا وبعد ما ناجى موسى مع ربه ما ناجى

قال تعالى رفقا له وامتنانا عليه لرجوعه نحوه بالكلية قد أوتيت سؤلك ونعطيك عموم مسئولك وقد حصل لك جميع مطالبك لتوجهك علينا ورجوعك إلينا يا موسى

كيف ولقد أنعمنا عليك من قبل حين لا ترقب لك ولا شعور بان مننا عليك من وفور رحمتنا وشفقتنا لك مرة أخرى

وقت إذ أوحينا وألقينا إلى قلب أمك ما يوحى وما يلهم عند نزول البلاء على قلوب الأحباء ليتخلصوا عن ورطة الهلاك وذلك حين احاطة شرطة فرعون المأمورين من عنده لعنه الله بقتل أبناء بنى إسرائيل على بيت أمك ليقتلوك ظلما فاضطربت أمك وأيست من حياتك فالهمناها حينئذ

أن اقذفيه واطرحيه في التابوت المصنوع من الخشب فاتخذت تابوتا ووضعتك فيه ثم ألهمناها ثانيا إذا وضعت فيه توكلي على خالقه وحافظه وفوضى امره اليه فاقذفيه في اليم يعنى النيل ولا تخافي من غرقه فليلقه اليم بالساحل البتة إذ من عادة الماء إلقاء ما فيه إلى جانبه فإذا قرب من الساحل ورآه الناس يأخذه يأمر بأخذه عدو لي يعنى فرعون المفرط بدعوى الألوهية لنفسه وعدو له يعنى الوليد إذ هو من أبناء بنى إسرائيل وهو عدو لهم بل هو سبب عداوة جميعهم في الحقيقة وبعد ما امر عدوك بأخذك والتقاطك من البحر يا موسى قد ألقيت من كمال قدرتي ووفور حولي وقوتي في نفس فرعون لعنه الله وزوجته آسية رضى الله عنها وجميع اهل بيته عليك على حفظك وحضانتك يا موسى محبة عظيمة في قلوبهم مع شدة عداوتهم معك وقد كانت تلك المحبة صادرة مني بارزة من هوياتهم منشعبة من محبتي إياك حفظا لك وإظهارا لكمال قدرتي بان أربيك في يد عدوك فتكون أنت سببا لهلاكه وانما ألقيت في قلوبهم المحبة الصادرة الناشئة منى لتصنع ولتربى أنت وان كنت بيد

العدو ظاهرا على عيني أى اعيان أوصافي وأسمائي إذ الكل بعد ما انخلعوا عن اكسية هوياتهم الباطلة وتجردوا عن جلباب ناسوتهم العاطلة." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٥٥٥

عما يؤذيهم يدافع كيد الكفرة العداة البغاة الطغاة عن الذين آمنوا بالله وصدقوا بشعائر دينه وقصدوا إقامتها على مقتضى امره ووحيه وكيف لا يدفع سبحانه مع كمال قدرته وقوته خيانة من خان باحبائه واصدقائه إن الله المنتقم لاعدائه لا يحب كل خوان مبالغ في الخيانة سيما مع أوليائه كفور مبالغ في كفران نعمه غايته إذ قد صرفها في غير محله مثل هدى الكفرة وذبحهم لأصنامهم وأوثانهم ولما اشتد إضرار الكفرة على المسلمين وامتد إذا هم عليهم ظلما وعدوانا أراد المؤمنون ان يقاتلوا ويشاجروا معهم فمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال والحرب باذن الله ووحيه اليه صلى الله عليه وسلم سبعين مرة حتى نزلت سبعون آية في المنع وقال صلى الله عليه وسلم في كل مرة اصبروا حتى يأتى الله ثم لما شق على المسلمين ظلمهم وضرهم وصاروا مهانين أذلاء صاغرين مع قدرتهم على مقاتلتهم ومدافعتهم

أذن ورخص من جانب الحق على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم للذين يقاتلون ويريدون القتال معهم بعد ما تحملوا كثيرا من أذاهم وظلمهم فنزلت هذه الآية للرخصة بعد ما نزلت سبعون للمنع ولذلك قيل قد نسخت هذه الآية نيفا وسبعين آية وانما رخصهم سبحانه بها بأنهم ظلموا أى بسبب انهم قد صاروا مظلومين صاغرين من أذى الكفار والمشركين

وإن الله القادر المقتدر على نصرهم أى نصر الأولياء على الأعداء لقدير ينصرهم ويغلبهم عليهم وان كانوا اكثر منهم

و كيف لا ينتقم سبحانه على أعدائه لأجل أوليائه إذ هم الذين قد أخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا بغير حق وبلا رخصة شرعية موجبة للإخراج والاجلاء إلا أن يقولوا يعنى لا موجب لإخراجهم سوى قولهم هذا ربنا الله الواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الشريك والولد وكيف لا يدفع سبحانه شر الكفرة عن أوليائه الموحدين ولا ينصرهم على أعدائهم إذ لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط اهل الايمان على المشركين المعاندين لهدمت صوامع لقد خربت وانهدمت البتة باستيلاء الأعداء على الأولياء صوامع اسم لمعابد الرهابنة وبيع للنصارى وصلوات هي كنائس اليهود ومساجد للمسلمين وبالجملة انما أعد وهيئ كل واحد منها في الأديان المذكورة يذكر فيها أى ليذكر في كل واحدة منها اسم الله كثيرا أى **ذكرا كثيرا** وحينا كثيرا والله لينصرن الله المتكفل لعباده من ينصره ومن يعين دينه ونبيه ويصدق كتابه إن الله المطلع لما في صدور عباده من الإخلاص لقوي عزيز غالب قادر على وجوه الانعام والانتقام لأوليائه وأعدائه كما سلط ضعفاء اهل الايمان على صناديد العرب والعجم من الاكاسرة والقياصرة وأشاع دينهم بين الأنام إلى يوم القيمة وكيف لا ينصرهم سبحانه إذ هم الموحدون

الذين إن مكناهم وقدرناهم وجعلنا لهم التصرف والاستيلاء في الأرض وأقطارها المعدة للطاعات والعبادات أقاموا واداموا الصلاة والميل إلينا البتة بجميع جوارحهم واركانهم ميلا مقرونا بأنواع الخضوع والخشوع واصناف الاستكانة والانكسار تطهيرا لنفوسهم عن العتو والاستكبار وتقريبا لأنفسهم إلينا على وجه المذلة والافتقار ومع ذلك قد آتوا الزكاة مصفية لبواطنهم عن

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ٥١٢/١

زخرفة الدنيا الغدار وقد أمروا أيصا على من دونهم بالمعروف المستحسن شرعا وعقلا وكذلك نهوا عن المنكر المستقبح شرعا وطبعا على الوجه المبين لهم من السنة رسلهم وكتبهم المنزلة عليهم من الله وبالجملة لله المدبر المصلح لأحوال عباده عاقبة الأمور أى عواقب عموم الأمور ومآلها اليه سبحانه حقيقة وان صدرت." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ١٥٩

الصمد المتصف بجميع أوصاف الكمال المستجمع لعموم الأسماء الحسنى التي لا تعد ولا تحصى **ذكرا كثيرا** مستوعبا بجميع أوقاتكم وحالاتكم وازمانكم وآناتكم وبالغوا في ذكره كي تصلوا من اليقين العلمي إلى العيني

و سبحوه ونزهوه عن جميع ما لا يليق بشأنه من لوازم الحدوث وأوصاف الإمكان بكرة وأصيلا أى في جميع آنات أيامكم ولياليكم طالبين الترقي من اليقين العيني إلى الحقي وكيف لا تذكرون الله ولا تسبحون له أيها المؤمنون مع ان شكر المنعم المفضل واجب عقلا وشرعا

هو الذي سبحانه يصلي ويرحم عليكم أيها المؤمنون بذاته وبمقتضيات أسمائه وصفاته وملائكته يستغفرون لكم باذنه وانما يفعل بكم سبحانه هذه الكرامة العظيمة ليخرجكم من الظلمات ظلمة العدم الأصلي وظلمة الطبيعة والهيولى وظلمة الحجب التعينية إلى النور أى نور الوجود البحت الخالص عن ظلمات التعينات والكثرات مطلقا وكان سبحانه بالمؤمنين الموفقين على التوحيد الذاتي رحيما يوفقهم على الايمان حسب رحمته الواسعة ثم يوصلهم إلى رتبة التوحيد والعرفان مرقيا من مضيق الإمكان إلى سعة فضاء الوجوب عناية لهم وتفضلا عليهم ثم يشرفهم بشرف لقائه بلا كيف ولا اين ولا وضع ولا اضافة محاذات ومقابلة بعد ما انخلعوا عن جلباب الناسوت وتشرفوا بخلعة اللاهوت

تحيتهم وترحيبهم من قبل الحق يوم يلقونه سبحانه سلام تسليم وتطهير عن رذائل التعينات ونقائص الأنانيات والهويات المستتبعة لانواع الضلالات والجهالات وأعد لهم سبحانه نزلا عليهم أجرا كريما وجزاء عظيما مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ثم قال سبحانه

يا أيها النبي المؤيد المختص بأنواع الفضائل والكمالات واصناف الكرامات والمعجزات إنا من مقام عظيم جودنا قد أرسلناك إلى كافة البرايا وعامة العباد شاهدا تشهد لهم الحقائق وتحضرهم المعارف وتوصلهم بالتنبيهات الواضحة إلى مرتبة الكشف والشهود لكون اصل جبلتهم وفطرتهم مجبولا من لدنا عليها ومبشرا تبشرهم بالتوحيد المسقط لعموم الإضافات المستتبعة لانواع الكثرات المشوشة لنفوسهم وقلوبهم ونذيرا تنذرهم عن مقتضيات القوى البهيمية من الشهوية والغضبية الموروثة لهم من عالم الناسوت الجالبة لانواع الخذلان والحرمان

و داعيا تدعوهم إلى توحيد الله المنزه عن مطلق التحديد والتعديد دعوة مسبوقة بإذنه سبحانه وبمقتضى توفيقه ووحيه والهامه وبالجملة قد أرسلناك يا أكمل الرسل إلى عموم العباد سراجا منيرا تضي ء لهم أنت بدعوتك وارشادك وهم يستضيئون منك بتوفيقنا إياهم في ظلمات الضلالات ومهاوي الجهالات المتراكمة من الحجب الظلمانية والكثافات الهيولانية المتولدة من ظلمات الأوهام والخيالات الباطلة الطبيعية الباقية فيهم من ظلمة العدم

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ١/٥٥٥

و بعد ما سمعت يا أكمل الرسل سبب بعثتك وسره بشر المؤمنين الموقنين بتوحيد الله المترقين من اليقين العلمي إلى العيني الطالبين الوصول إلى اليقين الحقي بأن لهم أى قد حق وثبت لهم من عناية الله إياهم فضلا كبيرا لا فضل اكبر منه واشرف ألا وهو الفوز بشرف اللقاء والرضاء بعموم ما جرى عليهم من القضاء

و بعد ما سمعت وظيفتك مع المؤمنين المسترشدين منك يا أكمل الرسل الطالبين هدايتك وارشادك إياهم وشرف صحبتك معهم لا تطع الكافرين المصرين على الكفر والعناد المجاهرين به والمنافقين الذين يخفون كفرهم وضلالهم عنك لمصلحة دنيوية ويظهرون عندك خلاف ما في نفوسهم ولا تجلس معهم ولا تصاحبهم أصلا وان آذوك في مرورك عنهم وملاقاتك معهم بغتة دع." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٤١٤

فتمنوا الموت

المقرب لكم إلى الله إذ الانتقال من دار الغرور إلى دار السرور يقرب العباد إلى الرحيم الغفور إن كنتم صادقين في دعوى المحبة والولاية فتمنوه

و الله يا أكمل الرسل لا يتمنونه أبدا أى لا يتمنى احد منهم الموت أصلا وما سبب اعراضهم وانصرافهم عن الموت المقرب منه تعالى الا بما قدمت أيديهم أى بشؤم ما قدموا واقترفوا بأنفسهم من الكفر والعصيان وانواع الفسوق والطغيان وبالجملة الله المطلع بما في استعدادات عباده عليم بالظالمين منهم وبما في ضمائرهم من محبة الحياة والقساوة المفرطة يجازيهم على مقتضى علمه

قل لهم يا أكمل الرسل بعد ما قد اعرضوا عن تمنى الموت وابتغائه طلبا لمرضاة الله وشوقا اليه سبحانه أيصا على وجه التبكيت والإلزام إن الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تمنوه بألسنتكم مخافة ان لا يلحقكم بل تفرون عن مجرد التلفظ به فكيف عن لحوقه فإنه ملاقيكم وملاصقكم ولاحق بكم حتما إذ كل نفس ذائقة كأس الموت وكل حي بالحياة لا بد وان يموت سوى الحي الحقيقي الذي لا يموت ولا يفوت ثم بعد ما تموتون تردون تحشرون وتساقون نحو المحشر وتعرضون إلى عالم الغيب والشهادة بعلمه الحضوري يعنى بما صدر منكم وما خفى في ضمائركم ونياتكم فينبئكم ويخبركم يومئذ بما كنتم تعملون من خير وشر فيجازيكم عليه. ثم لما تهاون المسلمون في امر الجمعة وتكاسلوا في الاجتماع قبل الصلاة بل انفضوا وانصرفوا عن الجامع حين خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا صدا الملاهي المعهودة لمجي ء العير على ما هو عادتهم دائما عاتبهم الله سبحانه وانزل عليهم الآية وناداهم نداء عتاب وخطاب حيث قال

يا أيها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم المبادرة إلى مطلق الطاعات والعبادات سيما إذا نودي واذن للصلاة من يوم الجمعة أى في يوم الجمعة الا وهو الأذان المعهود قبيل الخطبة فاسعوا مجيبين مسرعين إلى سماع ذكر الله في الخطبة والتذكيرات الواردة فيها وذروا البيع واتركوا المبايعة بعد سماع الأذان ذلكم أى ترك البيع والسعى نحو المسجد والانصراف اليه خير لكم وانفع في عقباكم إن كنتم تعلمون صلاحكم وفسادكم في اولاكم واخراكم

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ١٥٩/٢

فإذا قضيت الصلاة المكتوبة لكم يوم الجمعة مع الامام وأديت على وجهها فانتشروا في اقطار الأرض وابتغوا واطلبوا حوائجكم من فضل الله المنعم المتفضل يعطكموها حسب إحسانه وسعة جوده وانعامه واذكروا الله **ذكرا كثيرا** في عموم أحوالكم وأعمالكم ولا تحصروا ولا تقصروا ذكره سبحانه في الصلاة المفروضة فقط بل اشتغلوا بذكره وشكره في عموم الأوقات والحالات بالقلب واللسان وسائر الجوارح والأركان إذ ما من شي ء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الا قليلا وواظبوا عليه لعلكم تفلحون وتفوزون بخير الدارين وصلاح النشأتين

و هم من غاية حرصهم على مقتضيات القوى البهيمية بعد ما كانوا في الجامع والخطيب على المنبر إذا رأوا وسمعوا تجارة حاضرة يدور الناس حولها أو سمعوا لهوا طبلا مخبرا لهم عن مجي ء العير انفضوا إليها أى مالوا وانصرفوا نحوها مسرعين فخرجوا من الجامع سوى اثنى عشر رجلا وامرأة وتركوك يا أكمل الرسل قائما على المنبر وبالجملة ما هي الا ثلمة قد حدثت في الدين المبين موجبة مقتضية للتهاون باحكام الشرع المتين قل لهم يا أكمل الرسل ازالة لها ولما يتفرع عليها ما عند الله من المثوبات الاخروية الموجبة للدرجات العلية والمقامات السنية خير لكم." (١)

"" صفحة رقم ٥٠ "

اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يأيها النبي إنآ أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يأيها الذين ءامنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يأيها النبي إنآ أحللنا لك أزواجك اللاتىءاتيت أجورهن وما ملكت يمينك ممآ أفآء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم فىأزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجى من تشآء منهن وتؤوىإليك من تشآء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بمآ ءاتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النسآء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شىء رقيبا يأيها الذين ءامنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيي منكم والله لا يستحى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من ورآء حجاب ذالكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذالكم كان عند الله عظيما إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شىء عليما لا جناح عليهن فىءابآئهن ولا أبنآئهن ولا إخوانهن ولا أبنآء إخوانهن ولا أبنآء أخواتهن ولا نسآئهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شىء شهيدا (٢

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ٢/٤١٤

الأحزاب : (٣٩) الذين يبلغون رسالات . . . . .

قوله تعالى :) الذين يبلغون رسالات الله (محل الذين خفض على النعت على الذين خلوا) ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله (لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم) وكفى بالله حسيبا (حافظا لأعمال خلقه ومحاسبتهم عليها ، ثم نزلت في قول الناس إن محمدا تزوج امرأة ابنه

الأحزاب : (٤٠) ما كان محمد . . . . .

) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم (الذين لم يلده فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ، يعني زيدا ، وإنما كان أبا القاسم والطيب والمطهر وإبراهيم .

) ولكن رسول الله وخاتم النبيين (أي آخرهم ختم الله به النبوة فلا نبي بعده ، ولو كان لمحمد ابن لكان نبيا .

أخبرنا عبدالله بن حامد الوزان عن مكي بن عبدان ، عن عبدالرحمن عن سفيان ، عن." [١]

"" صفحة رقم ٥١ "

الزهري ، عن محمد بن جبير ، عن أبيه ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي .

واختلف القراء في قوله) خاتم النبيين (فقرأ الحسن وعاصم بفتح التاء على الاسم ، أي آخر النبين . كقوله : خاتمه مسك ، أي آخره . وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل ، أي أنه خاتم النبيين بالنبوة .

) وكان الله بكل شيء عليما ﴾

الأحزاب : (٤١) يا أيها الذين . . . . .

) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (

قال ابن عباس : لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ، ثم عذر أهلها في حال العذر ، غير الذكر ، فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله ، وأمرهم بذكره في الأحوال كلها فقال :) فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم (وقال :) اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والسقم والسر والجهر وعلى كل حال . وقال مجاهد : الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا .

أخبرني ابن فنجويه عن ابن شبه عن الفراتي ، عن عمرو بن عثمان ، عن أبي ، عن أبي لهيعة ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون

الأحزاب : (٤٢) وسبحوه بكرة وأصيلا

) وسبحوه (وصلوا له) بكرة (يعني صلاة الصبح) وأصيلا (يعني صلاة العصر عن قتادة .

وقال ابن عباس : يعني صلاة العصر والعشاءين . وقال مجاهد : يعني قولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فعبر بالتسبيح عن أخواته ، فهذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث .

---

(١) الكشف والبيان ، ٨/٥٠

الأحزاب : (٤٣) هو الذي يصلي . . . . .

قوله :) هو الذي يصلي عليكم (بالرحمة . قال السدي : قالت بنو إسرائيل لموسى : أيصلي ربنا ؟ فكبر هذا الكلام على موسى فأوحى الله إليه أن قل لهم : إني أصلي ، وإن صلاتي رحمتي ، وقد وسعت رحمتي كل شيء .

وقيل : (يصلي) يشيع لكم الذكر الجميل في عباده . وقال الأخفش : يبارك عليكم) وملائكته (بالاستغفار والدعاء) ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (.." [1]

" صفحة رقم ٤٠٩

) ولكن رسول الله وخاتم النبين (يعني آخرهم وينزل عيسى فيكون حكما عدلا وإماما مقسطا فيقتل الدجال ويكسر الصليب وقد روى نعيم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (لا تقوم الساعة حتى يخرج دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي) قال مقاتل بن سليمان ولم يجعل محمدا أبا أحد من الرجال لأنه لو جعل له ابنا لجعله نبيا وليس بعده نبي قال الله) وخاتم النبين (.

(الأحزاب : (٤١ - ٤٤) يا أيها الذين . . . . .

" يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما " (قوله تعالى :) اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (فيه قولان :

أحدهما : ذاكروه بالقلب ذكرا مستديما يؤدي إلى طاعته واجتناب معصيته .

الثاني : اذكروا الله باللسان **ذكرا كثيرا** ، قاله السدي . وروى مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من عجز عن الليل أن يكابده ، وجبن عن العدو أن يجاهده ، وبخل بالمال أن ينفقه فليكثر ذكر الله عز وجل)

وفي ذكره هنا وجهان :

أحدها : الدعاء له والرغبة إليه ، قاله ابن جبير .

الثاني : الإقرار له بالربوبية والاعتراف له بالعبودية .

قوله :) وسبحوه بكرة وأصيلا (قال قتادة صلاة : الصبح والعصر ، قال الأخفش : والأصيل ما بين العصر والليل . وقال الكلبي : الأصيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء .

وفي التسبيح هنا ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه التسبيح الخاص الذي هو التنزيه .." [2]

"" صفحة رقم ٤٢٦ " "

وقوله تعالى : (واذكروه كما هداكم (أمر بأن نذكره بالأسماء والصفات التي بينها لنا وهدانا إليها ، لا بأسماء تذكر بحسب

---

(١) الكشف والبيان . ، ٥١/٨

(٢) النكت والعيون . ، ٤٠٩/٤

الرأي والقياس .

وقيل : أمر بالذكر أولا ، ثم قال : (واذكروه كما هداكم (، أي : وافعلوا ما أمركم به من الذكر كما هداكم لدين الإسلام ، كأنه قال : إنما أمرتكم بهذا الذكر ؛ لتكونوا شاكرين لتلك النعمة ، ونظيره ما أمرهم به من التكبير عند فراغ رمضان ، فقال : (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ([البقرة : ١٨٥] ، وقال في الأضاحي : (كذ الك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم ([الحج : ٣٧] .

وقيل : أمر أولا بالذكر باللسان ، وثانيا بالذكر بالقلب ، فإن الذكر في كلام العرب ضربان :

أحدهما : الذكر ضد النسيان .

والثاني : الذكر بالقول .

فالأول : كقوله : (ومآ أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ([الكهف : ٦٣] .

والثاني : كقوله : (ف اذكروا الله كذكركم آباءكم ([البقرة : ٢٠٠] ، و) واذكروا الله فى أيام معدودات ([البقرة : ٢٠٣] فالأول محمول على الذكر باللسان ، والثاني على الذكر بالقلب .

وقال ابن الأنباري : معنى قوله : (واذكروه كما هداكم (أي : اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته .

وقيل : المراد مواصلة الذكر بالذكر ؛ كأنه قيل لهم : اذكروا الله واذكروه ، أي : اذكروه ذكرا بعد ذكر ؛ كما هداكم هداية بعد هداية ، نظيره قوله : (ى أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ([الأحزاب : ٤١] .

وقيل : المراد بالذكر الأول : ذكر الله بأسمائه وصفاته الحسنى ، والمراد بالثاني : الاشتغال بشكر نعمائه والشكر مشتمل أيضا على الذكر .

فصل

قال بعضهم : إن هذه الهداية خاصة ، والمراد : كما هداكم في مناسك حجكم إلى سنة إبراهيم – عليه السلام – .

وقال بعضهم : بل هي عامة متناولة لكل أنواع الهدايات .

قوله : (وإن كنتم من قبله لمن الضآلين (: " إن " هذه هي المخففة من الثقيلة ، واللام." (١)

"" " صفحة رقم ٢١١ " "

وقال عطاء : أراد صوم ثلاثة أيام ؛ لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا .

وقرأ العامة : " رمزا " – بفتح الراء وسكون الميم – وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة بن قيس " رمزا " بضمها – وفيه وجهان :

أحدهما : أنه مصدر على " فعل " – بتسكين العين – في الصل ، ثم ضمت العين ؛ إتباعا ، كقولهم اليسر والعسر – في اليسر والعسر – وقد تقدم كلام أهل التصريف فيه .

والثاني : أنه جمع رموز – كرسل في جمع رسول – ولم يذكر الزمخشري غيره .

وقال أبو البقاء : " وقرئ بضمها – أي : الراء – وهو جمع رمزة – بضمتين – وأقر ذلك في الجمع . ويجوز أن يكون

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٤٢٦/٣

مسكن الميم – في الأصل – وإنما أتبع الضم الضم .

ويجوز أن يكون مصدرا غير جمع ، وضم ، إتباعا ، كاليسر واليسر " .

قال شهاب الدين : قوله : " جمع رمزة " إلى قوله : في الصل ؛ كلام لا يفهم منه معنى صحيح .

وقرأ الأعمش : " رمزا " بفتحهما .

وخرجها الزمخشري على أنه جمع رامز – كخادم وخدم – وانتصابه على هذا – على الحال من الفاعل – وهو ضمير زكريا – والمفعول معا – وهو الناس – كأنه قال : إلا مترامزين ، كقوله : [الوافر]

١٤٥٠ – متى ما تلقني فردين ترجف

روانف أليتيك وتستطارا

وكقوله : [الكامل]

١٤٥١ – فلئن لقيتك خاليين لتعلمن

أيي وأيك فارس الأحزاب ؟

قوله : "كثيرا " نعت لمصدر محذوف ، أو حال من ضمير ذلك المصدر ، أو نعت لزمان محذوف تقديره : **ذكرا كثيرا** ، أو زمانا كثيرا ، والباء في قوله : " بالعشي " بمعنى " في " أي : في العشي والإبكار .

والعشي : يقال من وقت زوال الشمس إلى مغيبها ، كذا قال الزمخشري .." (١)

"" " صفحة رقم ٥٢٦ " "

والثاني : أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة " لحسنة " .

والثالث أن يتعلق بنفس " حسنة " قالهما أبو البقاء ، ومنع أن يتعلق بأسوة قال : لأنها قد وصفت و "كثيرا " أي **ذكرا كثيرا** .

فصل

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي قدوة صالحة أن تنصروا دين الله وتؤازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذا كسرت رباعيته ، وجرح وجهه وقتل عمه ، وأوذي بضروب من الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا ، واستنوا بسنته) لمن كان يرجو الله واليوم الآخر (قال ابن عباس لمن كان يرجو ثواب الله . وقال مقاتل : يخشى الله واليوم الآخر أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال وذكر الله كثيرا في جميع المواطن على السراء والضراء ، ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال : (ولما رأى لمؤمنون الأحزاب (لما بين حال المنافقين ذكر حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب وهو أنهم لما رأوا الأحزاب قالوا تسليما لأمر الله وتصديقا بوعده وهو قولهم : (ه اذا ما وعدنا الله ورسوله (، وقولهم) وصدق الله ورسوله (ليس بإشارة إلى ما وقع فإنهم كانوا يعرفون صدق الله قبل الوقوع وإنما هو إشارة إلى بشارة وهو أنهم قالوا : (ه اذا ما وعدنا الله (وقد وقع صدق الله في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٢١١/٥

وفتح الروم وفارس) وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ((عند وجوده ووعد الله إياهم ما ذكر في سورة البقرة : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ([الآية : ٢١٤] إلى قوله : (إن نصر الله قريب ([البقرة : ٢١٤] فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء فلما) (رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما) أي تصديقا لله وتسليما له .

قوله : (وصدق الله ورسوله (من تكرير الظاهر تعظيما كقوله :." [1]

"" " صفحة رقم ٥٥٩ " "

يصير رجلا ، وقيل : من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم إذ هو كالوالد لولد ليس له غيره . " وكان الله بكل شيء عليما " أي علمه بكل شيء دخل فيه أن لا نبي بعده ، فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد عليه (الصلاة و) السلام أن زوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع ، وذلك من حيث إن قول النبي عليه الصلاة والسلام يفيد شرعا لكن إذا امتنع هو عنه يفيد في بعض النفوس نفرة ، ألا ترى أنه ذكر بقوله ما فهم منه حل أكل الضب ، ثم لما لم يأكله بقي في النفوس شيء ، ولما أكل لحم الجمل طاب أكله ، مع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب ، روى أبو هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : " مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحكم بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة لا يجيبون سواها فكنت أنا موضع تلك اللبنة ختم به البنيان ، وختم بي الرشد " وقال - عليه (الصلاة و) السلام : " إن لي أسماء أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي وأنا العاقب " والعاقب الذي ليس بعده شيء .

(س / ٨ يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يأيها النبي إنآ أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (

قوله : (ى أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (قال ابن عباس : لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم." [2]

"" " صفحة رقم ٥٦٠ " "

يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أهله في تركه إلا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الأحوال كلها ، فقال : (ف اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ([النساء : ١٠٣] وقال : (اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (أي بالليل والنهار ، والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد : الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا) وسبحوه بكرة وأصيلا (أي صلوا له بكرة يعني صلاة الصبح و " أصيلا " يعني صلاة العصر ، وقال الكلبي : " وأصيلا " صلاة الظهر والعصر والعشاء ، وقال مجاهد

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٢٦/١٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٥٥٩/١٥

معناه : قولوا : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلى بالله فعبر بالتسبيح عن أخواته ، وقيل : المراد من قوله : " ذكرا كثيرا " هذه الكلمات يقولها الطاهر والخبيث والمحدث .

قوله : (هو الذي يصلي عليكم وملائكته (الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين فذكر صلاته تحريضا للمؤمنين على الذكر والتسبيح ، قال السدي : قالت بنو إسرائيل لموسى : أيصلي ربنا ؟ فكبر هذا الكلام على موسى فأوحى الله إليه قل لهم : إني أصلي وإن صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء . وقيل : الصلاة من الله هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده ، وقيل : الثناء عليه .

قال أنس : لما نزلت إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر : ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

قوله : " وملائكته " إما عطف على فاعل " يصلي " ، وأغنى الفصل بالجار عن التأكيد بالضمير ، وهذا عند من يرى الاشتراك أو القدر المشترك أو المجاز ؛ لأن صلاة الله غير صلاتهم . وإما مبتدأ وخبره محذوف ، أي " وملائكته يصلون " وهذا عند من يرى شيئا مما تقدم جائزا إلا أن فيه بحثا ، وهو أنهم نصوا على أنه إذا اختلف مدلولا الخبرين فلا يجوز حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه وإن كانا بلفظ واحد ، فلا تقول : " زيد ضارب وعمرو " يعني وعمرو ضارب في الأرض أي مسافر .." (١)

"" " صفحة رقم ٥٦٤ " "

قبلها هو أن الله تعالى في هذه السورة مكارم الأخلاق وأدب نبيه على ما تقدم والله تعالى أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه فكلما ذكر لنبيه مكرمة ، وعلمه أدبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه ، ولما بدأ الله تعالى في تأديب النبي – عليه الصلاة والسلام – ذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله : (ى ا أيها النبي اتق الله ([الأحزاب : ١] وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من أزواجه بقوله : بعده) ى أيها النبي قل لأزواجك ([الأحزاب : ٢٨ ، ٥٢] وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله : (ى أيها النبي إنآ أرسلناك شاهدا ([الأحزاب : ٤٥] كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال : (ى أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ([الأحزاب : ٤١] ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله : (ى أيها الذين آمنو ا إذا نكحتم المؤمنات (ثم كما ثلث في تأديب بجانب الأمة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا : (ى أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ([الأحزاب : ٥٣] وبقوله : (ى أيها الذين آمنوا صلوا عليه ([الأحزاب : ٥٦] فإن قيل : إذا كان هذا إرشادا إلى ما يتعلق بجانب من هو خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس ؟ .

فالجواب : هذا إرشاد إلى أعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها ، وبيانه أن المرأة إذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تأكد العهد ، ولهذا قال تعالى في حق الممسوسة : (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ([النساء : ٢١] فإذا أمر الله (تعالى) بالتمتع والإحسان مع من لا مودة بينه وبينهما فلما ظنك بمن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٦٠/١٥

حصلت المودة بالنسبة إليها بالإفضاء أو حصل تأكدها بحصول الولد بينهما ، وهذا كقوله تعالى : (فلا تقل لهمآ أف ولا تنهرهما ([الإسراء : ٣٢] لو قال : لا تضربهما ولا تشتمهما ظن أنه حرام لمعنى مختص بالضرب أو الشتم ، فأما إذا قال : (لا تقل لهما أف (علم من معان كثيرة فكذلك ههنا لما أمرنا بالإحسان مع من لا مودة معها علم منه الإحسان مع الممسوسة ومن لم تطلق بعد ومن ولدت عنده منه .

قوله : " ثم طلقتموهن " إن قيل : ما الفائدة بالإتيان " بثم " وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك ؟ فالجواب : أنه جرى على الغالب . وقال الزمخشري : نفى التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها قريبة العهد بالنكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المرأة في حبالة الزوج ثم طلقها .

قال أبو حيان :." (١)

"علماء الأمة خلقا وسلفا متلقاة على العموم التام مقتضية نصا أنه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم وما ذكره القاضي ابن الطيب في كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال في ألفاظ هذه الآية ضعيف وما ذكره الغزالي في هذه الآية وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد إلحاد عندي وتطرق خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوءة فالحذر الحذر منه والله الهادي برحمته وقرأ ابن مسعود من رجالكم ولكن نبينا ختم النبيين قال الرماني ختم به عليه السلام الاستصلاح فمن لم يصلح به فميئوس من صلاحه وقوله تعالى " وكان الله بكل شيء عليما " والمقصد به هنا علمه تعالى بما رآه الأصلح بمحمد وبما قدره في الأمر كله ثم أمر تعالى عباده بأن يذكروه " ذكرا كثيرا " وجعل تعالى ذلك دون حد ولا تقدير لسهولته على العبد ولعظم الأجر فيه قال ابن عباس لم يعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غلب على عقله وقال الكثير أن لا تنساه أبدا وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وقوله تعالى " وسبحوه بكرة وأصيلا " أراد في كل الأوقات مجدد الزمان بطرفي نهاره وليله وقال قتادة والطبري وغيره الإشارة إلى صلاة الغداة وصلاة العصر

قال الفقيه الإمام القاضي وهذه الآية مدنية فلا تعلق بها لمن زعم أن الصلاة إنما فرضت أولا صلاتين في طرفي النهار والرواية بذلك ضعيفة والأصيل من العصر إلى الليل ثم عدد تعالى على عباده

٣٨٩

نعمته في الصلاة عليهم وصلاة الله تعالى على العبد هي رحمته له وبركته لديه ونشره عليه الثناء الجميل وصلاة الملائكة هي دعاؤهم للمؤمنين وروت فرقة أن النبي صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله كيف صلاة الله على عباده قال سبوح قدوس رحمتي سبقت غضبي

قال الفقيه الإمام القاضي واختلف في تأويل هذا القول فقيل إن هذا كله من كلام الله وهي صلاته على عباده وقيل سبوح قدوس هو من كلام محمد تقدمت بين يدي نقطة باللفظ الذي هو صلاة الله وهو رحمتي سبقت غضبي وقدم عليه السلام هذا من حيث فهم من السائل أنه توهم في صلاة الله تعالى على عباده وجها لا يليق بالله عز وجل فقدم التنزيه لله والتعظيم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٥/٥٦٤

بين يدي أخباره وقوله " ليخرجكم " أي صلاته وصلاة ملائكته لكي يهديكم وينقذكم من الكفر إلى الإيمان ثم أخبر تعالى برحمته بالمؤمنين تأنيسا لهم وقوله " يوم يلقونه " قيل يوم القيامة المؤمن تحييه الملائكة ب السلام ومعناه السلامة من كل مكروه وقال قتادة يوم دخولهم الجنة يحيي بعضهم بعضا بالسلام أي سلمنا وسلمت من كل مخوف وقيل تحييهم الملائكة يومئذ والأجر الكريم جنة الخلد في جواره تبارك وتعالى
" (١).

"٥ – ثم وجه – سبحانه – نداء إلى المؤمنين ، ذكرهم فيه بجانب من نعمه عليهم ، حيث دفع عنهم جيوش الأحزاب ، وأرسل على تلك الجيوش جنودا من عنده لم يروها ، وكشف عن رذائل المنافقين التي ارتكبوها في تلك الغزوة ، ومدح المؤمنين الصادقين على وفائهم بعهودهم ، وكافأهم على ذلك بأن أورثهم أرض أعدائهم وديارهم.قال – تعالى – : وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً ، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ. وَكانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً. وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ. وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً. وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً.

وبعد هذا الحديث المفصل عن غزوة الأحزاب ، والذي استغرق ما يقرب من عشرين آية ، انتقلت السورة الكريمة إلى الحديث عن أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – فأمرت النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يخيرهن بين التسريح بإحسان ، وبين الصبر على شظف العيش ، ليظفرن برضا الله – تعالى – كما وجهت نداء إليهن أمرتهن فيه ، بالتزام الآداب الدينية التي تليق بهن. لأنهن في مكان القدوة لسائر النساء.

كما أمرتهن بالبقاء في بيوتهن ، فلا يخرجن لغير حاجة مشروعة. ومثلهن في ذلك مثل سائر نساء المسلمين. حتى يتفرغن لرعاية شئون بيوتهن التي هي من خصائصهن وليست من خصائص الرجال.ثم ختم – سبحانه – تلك التوجيهات الحكيمة ببيان الثواب الجزيل الذي أعده للمؤمنين والمؤمنات ، فقال – تعالى – : إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِماتِ. وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ. وَالْقانِتِينَ وَالْقانِتاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقاتِ ، وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِراتِ وَالْخاشِعِينَ وَالْخاشِعاتِ. وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِماتِ وَالْحافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحافِظاتِ. وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِراتِ. أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً.

٧ – ثم أشارت السورة بعد ذلك إلى قصة زواج النبي – صلى الله عليه وسلم – بالسيدة زينب بنت جحش. وإلى الحكمة من ذلك. وإلى تطليق زيد بن حارثة لها. وإلى أن ما فعله رسول – صلى الله عليه وسلم – بالنسبة لهذه الحادثة. كان بأمر الله – تعالى – وإذنه.قال – تعالى – : ما كانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ، سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ. وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفى بِاللَّهِ حَسِيباً. ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ ، وَلكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَكانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ثم وجهت السورة الكريمة نداء إلى المؤمنين أمرتهم فيه بالإكثار من ذكر الله – تعالى – ومن تسبيحه وتنزيهه. كما وجهت نداء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – بينت له فيه وظيفته ، قال – تعالى – : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْراً كَثِيراً**. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا. هُوَ الَّذِي يُصَلِّي

(١) المحرر الوجيز ، ٤/٤٤٩

عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ وَكانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً. تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ، وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً ، يا أَيُّهَا." (١)

"(ب) أمر المؤمنين بطاعة الله – تعالى – ، وبطاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم – ، ونهيهم عن كل مأمن شأنه أن يتعارض مع تشريعات الإسلام ومع آدابه.

وهذه الأوامر والنواهي ، نراها في كثير من آيات هذه السورة الكريمة.

ومن ذلك قوله – تعالى – : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها.

وقوله – سبحانه – : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا.

وقوله – عز وجل – : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ ، فَما لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها ....

وقوله – تعالى – : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسى ، فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا.

وقوله – سبحانه – : يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً.

(ج) هذه السورة الكريمة تعتبر على رأس السور القرآنية التي اهتمت ببيان فضل نساء النبي – صلى الله عليه وسلم – وحقوقهن ، وواجباتهن وخصائصهن.

ومن الآيات التي وردت في هذا المعنى قوله – تعالى – : يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ ....

وقوله – سبحانه – : يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّساءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ ، فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ....

وقوله – عز وجل – : وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى ، وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ ، وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ....

وقوله – سبحانه – : لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْواجٍ ، وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ ...

وقوله – تعالى – : ... وَما كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْواجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً ...

وقوله – عز وجل – : النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ ...

(د) هذه السورة تعتبر من أجمع السور القرآنية التي تعرضت لكثير من الأحكام الشرعية ، والآداب الاجتماعية ، التي لا تتغير بتغير الزمان أو المكان.

ومن ذلك حديثها عن الظهار ، وعن التبني. وعن التوارث بين الأقارب دون غيرهم ، وعن وجوب تقديم طاعة الرسول –

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، ص/٨٨٤

صلى الله عليه وسلم – على طاعة الإنسان لنفسه ، وعن وجوب التأسي به ، وعن وجوب الابتعاد عن كل ما يؤذيه أو يجرح شعوره ، وعن وجوب الخضوع لحكم الله – تعالى – ولحكم رسوله – صلى الله عليه وسلم – .قال – تعالى –." [(١)]

"٤٠– الذين ظلمهم الكفار وأرغموهم على ترك وطنهم مكة والهجرة منها وما كان لهم من ذنب عندهم إلا أنهم عرفوا الله فعبدوه – وحده – ولولا أن الله سخر للحق أعوانا ينصرونه ويدفعون عنه طغيان الظالمين لساد الباطل ، وتمادى الطغاة فى طغيانهم ، وأخمدوا صوت الحق ، ولم يتركوا للنصارى كنائس ، ولا لرهبانهم صوامع ، ولا لليهود معابد ، ولا للمسلمين مساجد يذكر فيها اسم الله **ذكرا كثيرا** ، وقد أخذ الله العهد الأكيد على نفسه أن ينصر كل من نصر دينه ، وأن يعز كل من أعز كلمة الحق فى الأرض . ووعد الله لا يتخلف ، لأنه قوى على تنفيذ ما يريد عزيز لا يغلبه غالب .

٤١– هؤلاء المؤمنون الذين وعدنا بنصرهم ، هم الذين إن مكنا سلطانهم فى الأرض حافظوا على حسن صلتهم بالله وبالناس ، فيؤدون الصلاة على أتم وجوهها ، ويعطون زكاة أموالهم لمستحقيها ، ويأمرون بكل ما فيه خير ، وينهون عن كل ما فيه شر . ولله – وحده – مصير الأمور كلها ، فيعز من يشاء ، ويذل من يشاء حسب حكمته .

٤٢– وإذا كنت تلاقى – أيها النبى – تكذيبا وإيذاء من قومك فلا تحزن ، وتأمل فى تاريخ المرسلين قبلك تجد أنك لست أول رسول كذبه قومه وآذوه ، فمن قبل هؤلاء الذين كذبوك كذبت قوم نوح رسولهم نوحا وكذبت قوم عاد رسولهم هودا ، وكذبت ثمود رسولهم صالحا .

٤٣– وكذب قوم إبراهيم رسولهم إبراهيم ، وقوم لوط رسولهم لوطا .." [(٢)]

"١٢٧ – أخبرنا أبو بكر الفريابي ، قال : حدثني عبد الله بن محمد بن خلاد ، ثنا يزيد بن هارون ، قال : أبنا زياد بن أبي زياد الجصاص ، ثنا أبو كنانة القرشي ، قال : « لما كان يوم الفطر خرجنا مع أبي موسى الأشعري فصففنا خلفه ، ثم استقبل القبلة فكبر أربع تكبيرات ، ولا يتبع بعضها بعضا ، ثم قرأ سبح اسم ربك الأعلى ثم كبر الخامسة ، ثم ركع ، ثم قام في الركعة الثانية فقرأ : » فاتحة الكتاب ، وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم كبر ثلاثا ، ثم كبر الرابعة وركع ، فلما قضى الصلاة صعد المنبر فأقبل علينا بوجهه فسلم ، ثم قال : الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وجعله دينا ومن علينا بمحمد A وجعلنا في خير الأمم وألزمنا كلمة التقوى ، والعروة الوثقى ، وجنبنا عبادة الطواغيت (١) والأصنام والسجود للشمس والقمر ، ثم كبر ستا ولاء ، الله أكبر الله أكبر ، وكبر السابعة الله أكبر على ما هدانا ، ثم قرأ هذه الآيات التي في سورة الأحزاب يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته إلى قوله وسرحوهن سراحا جميلا ثم كبر ستا ولاء ، والسابعة الله أكبر على ما هدانا ، ثم قرأ هذه الآيات التي في سورة النحل إن الله يأمر بالعدل والإحسان حتى بلغ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ثم كبر ستا ولاء ، والسابعة الله أكبر على ما هدانا ، ثم قرأ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه حتى بلغ ملوما مدحورا ثم كبر ستا ولاء ، والسابعة الله أكبر على ما هدانا ثم قرأ والليل إذا يغشى حتى ختمها ، ثم قرأ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم حتى بلغ على ما

---

(١) المفصل في موضوعات سور القرآن، ص/٨٨٦

(٢) المنتخب، ٢/٦٧

هداكم ولعلكم تشكرون ثم قال : إن هذا يوم لا يرد فيه الدعاء فارفعوا أرغبتكم إلى الله D وسلوه حوائجكم ، ورفع يديه لا يجاوز بهما أذنيه ، ثم دعا ، ثم كبر ستا ولاء ، والسابعة الله أكبر على ما هدانا ، ثم قال : أحمد الله كما حمد نفسه في كتابه ، فإنه حمد نفسه في ثمانية أمكنة في سبع سور ، فقرأ أول آية من الأنعام وآخر آية من بني إسرائيل ، فلما قرأ وكبره تكبيرا رفع صوته الله أكبر على ما هدانا ، ثم قرأ أول الكهف حتى بلغ ماكثين فيه أبدا ثم قال : اللهم اجعلنا منهم ، ثم قرأ الآية التي في سورة النمل قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون ثم رفع صوته ، فقال : بل الله خير وأعلى وأجل ، ثم قرأ الآية التي في آخر سورة النمل وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ، وما ربك بغافل عما تعملون ثم قرأ أول آية من سبأ وأول آية من الملائكة ، ثم قرأ فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين حتى ختمها ، ثم قال : هذا ما حمد به نفسه فاحمدوه بما حمد به الحامدون وأحسنوا على الله الثناء (٢) ، وأكثروا الذكر ، وأكثروا الذكر ، ثم رفع يديه لا يجاوز (٣) بهما أذنيه ، ثم دعا ، ثم حمد الله D وصلى على النبي A ودعا لخلفاء المؤمنين ، ورفع يديه أيضا ودعا ، ثم حمد الله على ما جمعهم عليه ولما اجتمعوا له ، وأمرهم أن يسألوا لدنياهم وأخراهم ، وأخبرهم أنه اليوم الذي لا يرد فيه الدعاء ، قال : اذكروا الله يذكركم ، ثم نزل . فلما كان يوم النحر (٤) صنع بنا مثل ما صنع يوم الفطر من القراءة في الصلاة والتكبير والحمد الذي حمد به في أول خطبته يوم الفطر ، ثم كبر ستا ولاء ، الله أكبر الله أكبر ، والسابعة الله أكبر على ما هدانا ، ثم قرأها ولاء الآيات التي في الأنعام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم حتى بلغ سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ثم كبر ستا ولاء والسابعة الله أكبر على ما هدانا ، ثم قرأ آخر النحل إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا حتى أتم السورة ، ثم كبر ستا ولاء والسابعة الله أكبر على ما هدانا ثم قرأ تبارك الذي جعل في السماء بروجا حتى ختم السورة ، ثم كبر ستا ولاء ، والسابعة الله أكبر على ما هدانا ، ثم قرأ من سورة الحج وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا حتى بلغ فاذكروا اسم الله عليها صواف قال : صافية لله من الشرك والخيانة ، حتى بلغ وبشر المحسنين ثم قرأ والليل إذا يغشى حتى فرغ منها ، ثم قال : هذا يوم الحج الأكبر وهذه الأيام المعلومات التسع التي ذكر الله D في القرآن ، لا يرد فيهن الدعاء وهذا يوم الحج الأكبر وما بعده من الثلاث اللاتي ذكر الله D الأيام المعدودات لا يرد فيهن الدعاء ، فارفعوا أرغبتكم إلى الله D ، ورفع يديه لا يجاوز بهما أذنيه ، فدعا ، ثم كبر ستا ولاء ، والسابعة الله أكبر على ما هدانا ثم ذكر هذه المحامد التي في آخر الفطر ، أحمد الله كما حمد به نفسه في سبع سور في ثماني آيات ، حتى فرغ من الخطبة التي في الفطر كلها «

---

(١) الطاغوت : كل شيء يعبد من دون الله كالأصنام وغيرها

(٢) الثناء : المدح والوصف بالخير

(٣) يجاوز : يتعدى

(٤) يوم النحر : يوم عيد الأضحى وذبح الأضحية وهدي الحجيج." [1]

---

(١) أحكام العيدين للفريابي، ص/١٣٧

"يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت أنا سددت موضع اللبنة ، ختم بي البنيان وختم بي الرسل » (١) .

[٤١] قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ قال ابن عباس : لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الأحوال ، فقال : ﴿ فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ . وقال : ﴿ اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ أي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم ، وفي السر والعلانية . وقال مجاهد : الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا .

---

(١) أخرجه المصنف في شرح السنة ١٣ / ٢٠١ وأخرج البخاري نحوه ٦ / ٥٥٨ وكذا مسلم ٤ / ١٧٩١ .." [1]

"[٤٢] ﴿ وسبحوه ﴾ ، أي صلوا له ، ﴿ بكرة ﴾ ، يعني صلاة الصبح ، ﴿ وأصيلا ﴾ ، يعني صلاة العصر . وقال الكلبي : وأصيلا صلاة الظهر والعصر والعشاءين . وقال مجاهد : يعني قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فعبر بالتسبيح عن أخواته . وقيل : المراد من قوله **ذكرا كثيرا** هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث .

[٤٣] ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ ، فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين . قال السدي : قالت بنو إسرائيل لموسى : أيصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى ، فأوحى الله إليه أن قل لهم إني أصلي وأن صلاتي رحمتي ، وقد وسعت رحمتي كل شيء ، وقيل : الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده . وقيل : الثناء عليه ﴿ ليخرجكم من الظلمات إلى النور ﴾ ، أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ، يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور ؟ ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ .." [2]

"[فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب] أى ناداه جبريل حال كون زكريا قائما في الصلاة

[ان الله يبشرك بيحيى] أى يبشرك بغلام اسمه يحي

[مصدقا بكلمة من الله] أى مصدقا (بعيسى) مؤمنا برسالته ، وسمي عيسى "كلمة الله " لانه خلق بكلمة "كن " من غير أب

[وسيدا] أى يسود قومه ويفوقهم

[وحصورا] أى يحبس نفسه عن الشهوات ، عفة وزهدا ، ولا يقرب النساء مع قدرته على ذلك ، وما قاله بعض المفسرين أنه كان عنينا فباطل ، لا يجوز على الانبياء لانه نقص وذم ، والاية وردت مورد المدح والثناء ((قال ابن كثير نقلا عن القاضي عياض " اعلم ان ثناء الله تعالى على (يحي) أنه كان حصورا ليس كما قاله بعضهم إنه كان عنينا أو لا ذكر له ،

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، ٢٤٦/٦

(٢) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل، ٢٤٧/٦

بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين وقالوا : هذه نقيصة وعيب ، ولا يليق بالأنبياء عليهم السلام ، وانما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حصور او يمنع نفسه من الشهوات ، وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص ، وانما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها ، إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله كيحي عليه السلام " انتهى)).

[ونبيا من الصالحين] أى ويكون نبيا من الانبياء الصالحين ، قال ابن كثير : وهذه بشارة ثانية بنبوته بعد البشارة بولادته وهي اعلى من الاولى ، كقوله لأم موسى (انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين)

[قال رب انى يكون لي غلام] أى كيف يأتينا الولد

[وقد بلغني الكبر] أى أدركتني الشيخوخة وكان عمره حينذاك مائة وعشرين سنة

[وامرأتي عاقر] أى عقيم لا تلد وكانت زوجته بنت تسع وتسعين سنة ، فقد اجتمع فيهما (الشيخوخة) و(العقم) في الزوجة وكل من السببين مانع من الولد

[قال كذلك الله يفعل ما يشاء] أى لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر

[قال رب اجعل لي اية] أى علامة على حمل امرأتي

[قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا] أى علامتك عليه ان لا تقدر على كلام الناس ، الا بالاشارة ثلاثة ايام بلياليها ، مع انك سوي صحيح ، والغرض انه ياتيه مانع سماوي يمنعه من الكلام بغير ذكر الله

[واذكر ربك كثيرا] أى اذكر الله ذكرا كثيرا بلسانك شكرا على النعمة ، فقد منع عن الكلام ولم يمنع عن الذكر لله ، والتسبيح له وذلك ابلغ في الاعجاز

[وسبح بالعشي والابكار] اي نزه الله عن صفات النقص بقولك سبحان الله في اخر النهار وأوله . وقيل : المراد صل لله ، قال الطبري : يعني عظم ربك بعبادته بالعشي والابكار.

البلاغه :

١ - [والله اعلم بما وضعت] [وليس الذكر كالأنثى] جملتان معترضتان لتعظيم الموضوع ورفع منزلة المولود .

٢ - [واني اعيذها] صيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد .

٣ - [وانبتها نباتا حسنا] شبهها في نموها وترعرعها بالزرع ، الذي ينمو شيئا فشيئا ، والكلام استعارة عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها بطريق الاستعارة التبعية ، وهو من بديع علم البيان .

٤ - [فنادته الملائكة] المنادي جبريل وعبر عنه باسم الجماعة ، تعظيما له لأنه رئيسهم

٥ - [بالعشي والابكار] بين كلمتي " العشي " والابكار " طباق وهو من المحسنات البديعية .

الفوائد :

الاولى : روي أن " حنة " امراة عمران كانت عجوزا عاقرا لا تلد ، فبينما هى ذات يوم تحت ظل شجرة ، اذ رأت طائرا يطعم فرخه ، فحنت الى الولد وتمنته وقالت : اللهم ان لك على نذرا ان رزقتني ولدا ان أتصدق به على بيت المقدس فيكون

من سدنته ، ثم هلك عمران وهي حامل ، وهذا سر النذر .
". (١)

"[لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا] أي لئلا يكون في تشريع الله على المؤمنين ، ضيق ومشقة وتأثم في حق تزوج مطلقات الأبناء من التبنى ، إذا لم يبق لأزواجهن حاجة فيهن ، قال ابن الجوزي : المعنى زوجناك زينب – وهي امرأة زيد الذي تبنيته – لكيلا يظن أن امرأة المتبنى لا يحل نكاحها

[وكان أمر الله مفعولا] أي وكان أمر الله لك ، ووحيه إليك بتزوج زينب ، مقدرا محتما ، كائنا لا محالة ، ولما نفى الحرج عن المؤمنين ، نفى الحرج عن سيد المرسلين بخصومه ، على سبيل التكريم والتشريف فقال :

[ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له] أي لا حرج ولا إثم ولا عتاب على النبى فيما أباح الله له ، وقسم من الزوجات ، قال الضحاك : عاب اليهود الرسول (ص) بكثرة النكاح ، فرد الله عليهم بقوله :

[سنة الله في الذين خلوا من قبل] أي هذه سنة الله فى جميع الأنبياء السابقين ، حيث وسع عليهم فيما أباح لهم ! ! قال القرطبي : أي سن الله لمحمد (ص) في التوسعة عليه في النكاح ، سنة الأنبياء الماضية كداود وسليمان ، فكان لداود مائة امرأة ، ولسليمان ثلاثمائة امرأة ، عدا السريات

[وكان أمر الله قدرا مقدورا] أي قضاء مقضيا ، وحكما مقطوعا به من الأزل ، لا يتغير ولا يتبدل ، ثم أثنى تعالى على جميع الأنبياء والمرسلين بقوله :

[الذين يبلغون رسالات الله] أى هؤلاء الذين أخبرتك عنهم يا محمد ، وجعلت لك قدوة بهم ، هم الذين يبلغون رسالات الله ، إلى من أرسلوا إليه

[ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله] أي يخافون الله وحده ، ولا يخافون أحدا سواه فاقتد يا محمد بهم

[وكفى بالله حسيبا] أي يكفي أن يكون الله محاسبا على جميع الأعمال والأفعال ، فينبغي أن لا يخشى غيره ، ثم أبطل تعالى حكم التبني الذي كان شائعا فى الجاهلية فقال :

[ما كان محمد أبا أحد من رجالكم] قال المفسرون : لما تزوج رسول الله (ص) زينب قال الناس : إن محمدا قد تزوج امرأة ابنه فنزلت هذه الآية قال الزمخشري : أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة ، حتى يثبت بينه وبينه ، ما يثبت بين الأب وولده ، من حرمة الصهر والنكاح

[ولكن رسول الله وخاتم النبيين] أي ولكنه عليه السلام آخر الأنبياء والمرسلين ، ختم الله به الرسالات السماوية ، فلا نبي بعده ، قال ابن عباس : يريد : لو لم أختم به النبيين ، لجعلت له ولدا يكون بعده نبيا

[وكان الله بكل شيء عليما] أي هو العالم بأقوالكم وأفعالكم ، لا تخفى عليه خافية من أحوالكم

[يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا] أي اذكروا الله بالتهليل والتحميد ، والتمجيد والتقدير ، ذكرا كثيرا ، بالليل والنهار ، والسفر والحضر

---

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، ١٢٧/١

[وسبحوه بكرة وأصيلا] أي وسبحوا ربكم في الصباح والمساء ، قال العلماء : خصهما بالذكر لأنهما أفضل الأوقات بسبب تنزل الملائكة فيهما

[هو الذي يصلي عليكم] أي هو جل وعلا يرحمكم على الدوام ، ويعتني بأمركم ، وبكل ما فيه ملاحكم وفلاحكم

[وملائكته] أي وملائكته يصلون عليكم أيضا بالدعاء ، والإستغفار ، وطلب الرحمة ، قال ابن كثير : والصلاة من الله سبحانه لقاؤه على العبد عند الملائكة ، وقيل : الصلاة من الله الرحمة ، ومن الملائكة : الدعاء والإستغفار

[ليخرجكم من الظلمات إلى النور] أي لينقذكم من الضلالة إلى الهدى ، ومن ظلمات العصيان إلى نور الطاعة والإيمان

[وكان بالمؤمنين رحيما] أي واسع الرحمة بالمؤمنين ، حيث يقبل القليل من أعمالهم ، ويعفو عن الكثير من ذنوبهم ، لإخلاصهم في إيمانهم

[تحيتهم يوم يلقونه سلام] أي تحية هؤلاء المؤمنين يوم يلقون ربهم السلام والإكرام في الجنة ، من الملك العلام كقوله تعالى تعالى : [سلام قولا من رب رحيم]

". (١)

"[إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس] أي إن كنتم أولياء الله وأحباءه حقا كما تدعون

[فتمنوا الموت إن كنتم صادقين] أي فتمنوا من الله أن يميتكم ، لتنقلوا سريعا إلى دار كرامته ، المعدة لأوليائه ، إن كنتم صادقين في هذه الدعوى ، قال أبو السعود : كان اليهود يقولون : [نحن أبناء الله وأحباؤه] ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ، ويقولون : [لن يدخل الجنة إلا من كان هودا] فأمر الله رسوله أن يقول لهم اظهارا لكذبهم : إن زعمتم ذلك فتمنوا الموت ، لتنقلوا من دار البلاء ، إلى دار الكرامة ، فإن من أيقن بأنه من أهل الجنة ، أحب أن يتخلص إليها من هذه الدار ، التي هي مقر الأكدار ، قال تعالى فاضحا لهم ، ومبينا كذبهم

[ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم] أي ولا يتمنون الموت بحال من الأحوال ، بسبب ما أسلفوه من الكفر والمعاصي وتكذيب محمد (ص) ، وفي الحديث : (والذي نفسي بيده ، لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات) قال الألوسي : لم يتمن أحد الموت منهم ، لأنهم كانوا موقنين بصدقه (ص) ، فعلموا أنهم لو تمنوه لماتوا من ساعتهم ، وهذه إحدى المعجزات ، وجاء فى سورة البقرة نفي هذا التمني بلفظ [ولن] وهو من باب التفنن على القول المشهور

[والله عليم بالظالمين] أي عالم بهم ، وما صدر عنهم ، من فنون الظلم والمعاصي ، وإنما وضع الظاهر موضع الضمير " عليم بهم " ذما لهم ، وتسجيلا عليهم بأنهم ظالمون

[قل إن الموت الذي تفرون منه] أي قل لهم يا محمد : إن هذا الموت الذي تهربون منه ، وتخافون أن تتمنوه حتى بلسانكم

[فإنه ملاقيكم] أي فإنه آتيكم لا محالة ، لا ينفعكم الفرار منه ، كقوله تعالى : [أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة] لأنه قدر محتوم ، ولا يغني حذر عن قدر

[ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة] أي ثم ترجعون إلى الله الذي لا تخفى عليه خافية

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، ٤٤/٣

[فينبئكم بما كنتم تعملون] أي فيجازيكم على أعمالكم ، وفيه وعيد وتهديد . . ثم شرع تعالى في بيان أحكام الجمعة ، فقال سبحانه :

[يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة] أي يا معشر المؤمنين المصدقين بالله ورسوله ، إذا سمعتم المؤذن ينادي لصلاة الجمعة ، ويؤذن لها

[فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع] أي فامضوا إلى سماع خطبة الجمعة وأداء الصلاة ، واتركوا البيع والشراء ، اتركوا التجارة الخاسرة ، واسعوا إلى التجارة الرابحة ، قال في التسهيل : والسعي في الآية بمعنى المشي ، لا بمعنى الجري لحديث : " إذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها وأنتم تمشون ، وعليكم السكينة " ((أخرجه البخاري ومسلم وتتمة الحديث " فما أدركتم فصلوا ، وما فاتاكم فأتموا ")) وقال الحسن : والله ما هو بالسعي على الأقدام ، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ، ولكنه سعي بالقلوب ، والنية ، والخشوع

[ذلكم خير لكم] أي ذلك السعي إلى مرضاة الله ، وترك البيع والشراء ، خير لكم وأنفع من تجارة الدنيا ، فإن نفع الآخرة أجل وأبقى

[إن كنتم تعلمون] أي إن كنتم من أهل العلم القويم ، والفهم السليم

[فإذا قضيت الصلاة] أي فإذا أديتم الصلاة وفرغتم منها

[فانتشروا في الأرض] أي فتفرقوا في الأرض وانبثوا فيها للتجارة ، وقضاء مصالحكم

[وابتغوا من فضل الله] أي واطلبوا من فضل الله وإنعامه ، فإن الرزق بيده جل وعلا ، وهو المنعم المتفضل ، الذي لا يضيع عمل العامل ، ولا يخيب أمل السائل

[واذكروا الله كثيرا] أي واذكروا ربكم ذكرا كثيرا ، باللسان والجنان ، لا وقت الصلاة فحسب

". (١)

"" صفحة رقم ١١٧ "

قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية ، لأنه إنما خلق لرعاية هذا العهد) وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات : ٥٦] (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) [البقرة : ٤٠] فلا جرم أنزل الله تعالى هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج إليه العبد في الوفاء بذلك العهد وقوله (إذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي) مناسب لقوله تعالى فاذكروني أذكركم ((أنا جليس من ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) والذكر مقام عال شريف ذكره الله تعالى في القرآن كثيرا) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) [الأحزاب : ٤١] (واذكر ربك في نفسك) [الأعراف : ٢٠٥] (تذكروا فإذا هم مبصرون) [الأعراف : ٢٠١] (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) [آل عمران : ١٩١] ولهذا وقع الإبتداء به .

وقوله (ذكرني عبدي) دل على أن ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله (بسم الله الرحمن الرحيم) وهذا يدل على أن

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابوني، ٣/٣٥١

الله اسم علم .

وقوله (إذا قال : الله رب العالمين يقول الله : حمدني عبدي) يدل على أن مقام الحمد أعلى من مقام الذكر لأنه أو كلام في أول خلق العالم حيث قالت الملائكة : (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) [البقرة : ٣٠] وآخر كلام في الجنة) وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) [يونس : ١٠] ولأن الفكر في ذات الله تعالى غير ممكن (تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله) وكل من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله وإحسانه أكثر فيحمد الله تعالى أكثر ، فقوله (حمدني عبدي) شهادة من الله تعالى على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وإنعامه في ترتيب العالم وتربية العالمين ، وأنه أقر بقلبه ولسانه بكرمه وإحسانه .

قوله (وإذا قال : الرحمن الرحيم) (يقول الله : عظمني عبدي) يدل ذلك على أن الإله الكامل المكمل المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد ، هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده .

ولا شك أن غاية ما يصل العقل والفهم والوهم إليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس إلا هذا المقام وهو التعظيم لله .

وقوله (وإذا قال : مالك يوم الدين يقول الله : مجدني عبدي) أي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر إليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي والضعيف .

أيحسب الظالم في ظلمه

أهمله القادر أم أمهلا

ما أهملوه بل لهم موعد

لن يجدوا من دونه موئلا." (١)

"" صفحة رقم ٥٦٣ "

نتركه في وقت الطاعة ، وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون قبل أن تغرب الشمس ، والذين يقفون بمزدلفة إذا طلعت الشمس ويقولون : أشرق ثبير كيما نغير أي نسرع للنحر .

وقيل : أي ندفع من مزدلفة فندخل في غور الأرض .

وثبير جبل هناك فأمر الله تعالى نبينا (صلى الله عليه وسلم) بمخالفة القوم في الدفعتين فأمره بأن يفيض من عرفات بعد غروب الشمس .

وبأن يفيض من المزدلفة قبل طلوع الشمس ، فإن السنة أيضا من قبيل الوحي .

قال الواحدي : المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعالى بذلك لأن الصلاة والمقام والمبيت به والدعاء عنده .

وقال في الكشاف : المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة ، أي : يوقد هناك النار في الجاهلية ، قال : وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة إلى وادي محسر ، وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام .

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ١١٧/١

قال : والصحيح أنه الجبل لما روى جابر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لما صلى الفجر – يعني بالمزدلفة – بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر .

وقال : عند المشعر الحرام معناه ما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر ، أو جعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر .

والمشعر المعلم لأنه معلم لعبادته ووصف بالحرام لحرمته .

وأما الذكر المأمور به هناك فقيل : هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء .

والصلاة تسمى ذكرا قال تعالى) وأقم الصلاة لذكري) [طه : ١٤] والدليل عليه أن) فاذكروا (أمر فهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك إلا هذا ، والجمهور على أن المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل .

عن ابن عباس أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال : لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون) كما هداكم ((ما) مصدرية أو كافة .

أطلق الأمر بالذكر أولا ثم قيده ثانيا .

والمعنى : اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة كي تكونوا شاكرين والهداية إما كل أنواع الهدايات أو الهداية إلى سنة إبراهيم في مناسك الحج ، أو اذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه بحسب الرأي والقياس ، فإن أسماء الله تعالى توقيفية أو الذكر الأول محمول على الذكر باللسان ، والثاني على الذكر بالقلب .

أو المعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته ، أو المراد بتثنية الأمر تكريره وتكثيره كقوله) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) [الأحزاب : ٤١] وعلى هذا فيكون قوله) كما هداكم (متعلقا بالأمرين جميعا ، أو الذكر الأول مقيد بأنه عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال .

فالأول إقامة للوظيفة الشرعية والثاني ارتقاء إلى معارج." (١)

"" صفحة رقم ٤٦١ "

ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله) والخاشعين والخاشعات (وفيه إشارة غلى الصلاة لأن الخشوع من لوازمها) قد أفلح المؤمنون الذي هم في صلاتهم خاشعون) [المؤمنون : ١ ، ٢] فلذلك أردفها بالصدقة. ثم بالصيام المانع مطلقا من شهوة البطن فضم إلى ذلك الحفظ من شهوة الفرج التي هي ممنوع منها في الصوم مطلقا وفي غير الصوم مما وراء الأزواج والسراري. ثم ختم الأوصاف بقوله) والذاكرين الله كثيرا (يعني أنهم في جميع الأحوال يذكرون الله يكون إسلامهم وإيمانهم وقنوتهم وصدقهم وصومهم وحفظهم فروجهم لله. وإنما وصف الذكر بالكثرة في أكثر المواضع فقال في أوائل السورة) لمن يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (وقال في الآية) والذاكرين الله كثيرا (ويجيء بعد ذلك) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (لأن الإكثار من الأفعال البدنية متعسر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الأغلب ، ولكن لا مانع من أن يذكر الله وهو آكل أو شارب أو ماش أو نائم أو مشغول ببعض الصنائع والحرف ، على أن جميع الأعمال صحتها

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥٦٣/١

أو كمالها بذكر الله تعالى وهي النية. قال علماء العربية : في الاية عطفان : أحدهما عطف الإناث على ال ١ ذكور ، والآخر عطف مجموع الذكور والإناث على مجموع ما قبله. والأول يدل على اشتراك الصنفين في الوصف المذكور وهو الإسلام في الأول والإيمان في الثاني إلى آهر الأوصاف ، والثاني من باب عطف الصفة على الصفة فيؤل معناه إلى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم. وحين انجر الكلام من قصة زيد إلى ههنا عاد إلى حديثه ، قال الراوي : خطب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زينب بنت جحش وكانت أمهات أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيج بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة (الآية. فقالا : رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه المهر ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر. وقيل : نزلت في أن كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : قد قبلت ، وزوجها زيدا فسخطت هي وأخوها وقالا : إنما أردنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فزوجها عبده ، وقال أهل النظم : إنه تعالى لما أمر نبيه أن يقول لزوجاته إنهن مخيرات فهم منه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) لا يريد ضرر الغير فعليه أن يترك حق نفسه لحظ غيره ، فذكر في هذه الآية أنه لا ينبغي أن يظن ظان أن هوى نفسه متبع ، وأن زمام الاختيار بيد الإنسان كما في حق زوجات النبي ، بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله ، فأمر الله هو المتبع وقضاء الرسول هو الحق ، ومن خالف الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ، لأن المقصود هو الله والهادي هو النبي ، فمن ترك المقصد." (١)

"" صفحة رقم ٤٦٥ "

يكون يه الميل الكلي إلى أهل الدنيا أصوب وإلى الحق أقرب.) وقرن في بيوتكن (من عالم الملكوت) ولا تبرجن (في عالم الحواس راغبين فيزينة كعادة الجهلة) وأقمن الصلاة (التي هي معراج المؤمن يرفع من الدنيا ويكبر عليها ويقبل على الله بالإعراض عما سواه ، ويرجع من مقام تكبر الإنسان إلى خضوع ركوع الحيوان ، ومنه إلى خشوع سجود النبات ، ثم إلى قعود الجماد فإنه بهذا الطريق أهبط إلى أسفل القالب فيكون رجوعه بهذا الطريق إلى أن يصل إلى مقام الشهود الذي كان فيه في ةالبداية الروحاينة ، ثم يتشهد بالتحية والثناء على الحضرة ، ثم يسلم عن يمينه على الآخرة وما فيها وعن شماله على الدنيا وما فيها. وإيتاء الزكاة بذل الوجود المجازي لنيل الوجود الحقيقي. الرجس لوث الحدوث ، والبيت لأهل الوحدة بيت القلب يتلى فيه آيات الواردات والكشوف. إن الذين استسلموا للأحكام الأزلية وآمنوا بوجود المعارف الحقيقية ، وقتنوا أي أغرقوا الوجود في الطاعة والعبودية ، وصدقوا في عهدهم وصبروا على الخصال الحميدة وعن الأوصاف الذميمة ، وخشعوا أي أطرقت سريرتهم عند بواده الحقيقة ، وتصدقوا بأموالهم وأعراضهم حتى لم يبق لهم مع أحد خصومة ، وصاموا بالإمساك عن الشهوات وعن رؤية الدرجات ، وحفظوا فروجهم في الظاهر عن الحرام وف يالباطن عن زوائد الحلال ، وذكروا الله بجميع أجزاء وجودهم الجسمانية والروحانية.) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة (إذا صدر أمر المكلف أو عليه ، فإن كان مخالفا للشرع وجب عليه الإنابة والاستغفار ، وإن كان موافقا للشرع فإن كان موافقا لطبعه وجب عليه الشكر ، وإن كان مخالفا

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٤٦١/٥

لطبعه وجب أن يستقبله بالصبر والرضا. وفي قوله) والله أحق أن تخشاه (دلالة على أن المخلصين على خطر عظيم حتى إنهم يؤاخذون بميل القلب وحديث النفس وذلك لقوة صفاء باطنهم ، فاللطيف أسرع تغيرا.) فلما قضى زيد منها وطرا (قضاء شهوته بين الخلق إلى قيام الساعة) ما كان على النبي من حرج (فيما فيه أمان هو نقصان في نظر الخلق فإنه كمال عند الحق إلا إذا كان النظر للحق) ولكن رسول الله ((صلى الله عليه وسلم) فيه أن نسبة المتابعين إلى حضرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كنسبة الابن إلى الأب الشفيق ولهذا قال) كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي (. (الأحزاب : (٤١ - ٧٣) يا أيها الذين . . . .

" يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين." (١)

"" صفحة رقم ٤٧٩ "

بمؤتمن بل ضامن ولهذا لا يكون وارث المودع مقبول القول فلم يكن له بد من تجديد عهد وإيمان حتى يصير أمينا عند الله ويصير القول قوله فيكون له ما كان لآدم من الفوز ، ولهذا ذكر ما فيه عاقبة حمل الأمانة قائلا) ليعذب (إلى قوله) ويتوب (إشارة إلى الفريقين. ثم وصف نفسه بكونه غفورا رحيما بإزاء كون الإنسان ظلوما جهولا ولا يخفى ما في هذه الإشارة من البشارة. التأويل : (اذكروا اله **ذكرا كثيرا** (فمن أحب شيئا أكثر ذكره. وأهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر يكفيه الإشارة) هو الذي يصلي (أي لولا صلاتي عليكم لما وفقتم لذكري كما أنه لولا سابقة محبتي لما هديتم إلى محبتي ، فكان في الأزل بالمؤمنين رحيما فلهذا أخرجهم في الأبد من ظلمة الوجود المجازي إلى نور الوجود الحقيقي) إنا أرسلناك شاهدا (لنا بنعت المحبوبية) ومبشرا (للطالبين برؤية جمالنا) ونذيرا (للبطالين عن كمال حسننا وحسن كمالنا) وداعيا إلى الله بإذنه (لا بطبعك وهواك) وسراجا منيرا (في أوقات عدم الدعوة ، وذلك أن النظر إلى وجه النبي (صلى الله عليه وسلم) كاف لمن كان له قلب مستنير ، فإذا انضمت الدعوة غلى ذلك كان في الهداية غاية.) وفضلا كبيرا (هو القلب المستنير.) إنا أحللنا لك أزواجك (لما اتصفت نفسه بصفات القلب وزال عنها الهوى اتصفت دنياه بصفات الآخرة فحل له في الدنيا ما يحل لغيره في الآخرة) إن الله وملائكته يصلون (صلاة تليق بتلك الحضرة المقدسة مناسبة لحضرة النبوة بحيث لا يفهم معناها غيرهما منها الرحمة ، ومنها المغفرة الواردة ، ومنها الشواهد ، ومنها الكشوف ، ومنها المشاهدة ، ومنها الجذبة ، ومنها القربة ، ومنها الشرب ، ومنها الري ، ومنها السكون ، ومنها التجلي ، ومنها الفناء في الله ، ومنها البقاء به ، وهكذا لأمته بحسب مراتبهم كقوله) أولئك عليهم صلوات من ربهم ([البقرة : ١٥٧]) إنا عرضنا الأمانة (هي قبول اليض الإلهي بلا واسطة ولهذا سمي أمانة لأن الفيض من صفات الحق فلا يتملكه أحد. وقد اختص الإنسان بإصابة رشاش النور الإلهي فكان عرض الفيض عاما على قلب المخلوقات ولكن كان حمله خاصا بالإنسان لأن نسبة الإنسان إلى سائر المخلوقات نسبة القلب إلى الشخص ، فالروح يتعلق بالقلب ثم يصل فيضه بواسطة العروق

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/٤٦٥

والشرايين إلى سائر البدن فيتحرك به وهذا سر اله خلافة) إنه كان ظلوما (لأنه خلق ضعيفا وحمل قويا) جهولا (لأنه ظن أنه خلق للمطعم والمشرب والمنكح ولم يعلم أن هذه الصورة قشر وله لب وللبه لب وهو محبوب الله. فبقوة الظلومية والجهولية حمل الأمانة ثم بروحه المنور برشاش الله أدى الأمانة فصارت الصفتان في حق حامل الأمانة ومؤدي حقها مدحا ، وفي حق الخائنين فيها ذما. ولما لم يكن لروح الملائكة." [1]

"لطائف الإشارات ، ج ٣ ، ص : ١٦٤

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٨]

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل و كان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨)

لا يعارض ولا يناقض ، ولا يرد ولا يجحد. وما كان على النبي من حرج بوجه لكونه معصوما.

قوله جل ذكره :

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٩]

الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه و لا يخشون أحدا إلا الله و كفى بالله حسيبا (٣٩)

«ويخشونه» : علما منهم بأنه لا يصيب أحدا ضرر ولا محذور ولا مكروه إلا بتقديره فيفردونه بالخشية إذ علموا أنه لا شيء لأحد من دونه.

قوله جل ذكره :

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤٠]

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليما (٤٠)

لم يكن مضافا إلى ولد فله عليكم شفقة الآباء .. ولكن ليس بأبيكم.

ويقال نسبه ظاهر .. ولكن إنما يعرف بي لا بنسبه فقلما يقال : محمد بن عبد الله ، ولكن إلى أبد الأبد يقال : محمد رسول الله. وشعار الإيمان وكلمة التوحيد - بعد لا إله إلا الله - محمد رسول الله.

قوله جل ذكره :

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) و سبحوه بكرة و أصيلا (٤٢)

الإشارة فيه أحبوا الله لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : «من أحب شيئا.

أكثر من ذكره» فيجب أن تقول : الله ، ثم لا تنس الله بعد ذكرك الله.

ويقال : اذكروا الله بقلوبكم فإن الذكر الذي تمكن استدامته ذكر القلب فأما ذكر اللسان فإدامته مسرمدا كالمتعذر.." [2]

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٥/٤٧٩

(٢) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٣/١٦٤

" ثم وصف هؤلاء المؤمنين بقوله : ٤٠ - ﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ﴾ ويجوز أن يكون بدلا من الذين يقاتلون أو في محل نصب على المدح أو محل رفع بإضمار مبتدأ والمراد بالديار مكة ﴿ إلا أن يقولوا ربنا الله ﴾ قال سيبويه : هو استثناء منقطع : أي لكن لقولهم ربنا الله أيأخرجوا بغير حق يوجب إخراجهم لكن لقولهم ربنا الله وقال الفراء والزجاج : هو استثناء متصل والتقدير الذين أخرجوا من ديارهم بلا حق إلا بأن يقولوا ربنا الله فيكون مثل قوله سبحانه : ﴿ وما تنقم منا إلا أن آمنا ﴾ وقول النابغة :

(ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب)

﴿ ولولا دفع الله الناس ﴾ قرأ نافع ﴿ ولولا دفع ﴾ وقرأ الباقون ﴿ ولولا دفع ﴾ والمعنى : لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك وذهبت مواضع العبادة من الأرض ومعنى ﴿ لهدمت ﴾ لخربت باستيلاء أهل الشرك على أهل الملل فالصوامع : هي صوامع الرهبان وقيل صوامع الصابئين والبيع : جمع بيعة وهي كنيسة النصارى والصلوات هي كنائس اليهود واسمها بالعبرانية صلوثا بالمثلثة فعربت والمساجد هي مساجد المسلمين وقيل المعنى : لولا هذا الدفع لهدمت في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد المساجد قال ابن عطية : هذا أصوب ما قيل في تأويل الآية وقيل المعنى : ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة وقيل لولا دفع الله العذاب بدعاء الأخيار وقيل غير ذلك والصوامع : جمع صومعة وهي بناء مرتفع يقال صمع الثريدة : إذا رفع رأسها ورجع أصمع القلب : أي حاد الفطنة والأصمع من الرجال : الحديد القول وقيل الصغير الأذن ثم استعمل في المواضع التي يؤذن عليها في الإسلام وقد ذكر ابن عطية في صلوات تسع قراءات ووجه تقديم مواضع عبادات أهل الملل على موضع عبادة المسلمين كونها أقدم بناء وأسبق وجودا والظاهر من الهدم المذكور معناه الحقيقي كما ذكره الزجاج وغيره وقيل المراد به المعنى المجازي وهو تعطلها من العبادة وقرئ ﴿ لهدمت ﴾ بالتشديد وانتصاب كثيرا في قوله : ﴿ يذكر فيها اسم الله كثيرا ﴾ على أنه صفة لمصدر محذوف : أي **ذكرا كثيرا** أو وقتا كثيرا والجملة صفة للمساجد وقيل لجميع المذكورات ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ اللام هي جواب لقسم محذوف : أي والله لينصر الله من ينصره والمراد بمن ينصر الله من ينصر دينه وأولياءه والقوي القادر على الشيء والعزيز الجليل الشريف قاله الزجاج وقيل الممتنع الذي لا يرام ولا يدافع ولا يمانع ." (١)

" ٢١ - ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ أي قدوة صالحة يقال لي في فلان أسوة : أي لي به والأسوة من الائتساء كالقدوة من الاقتداء : اسم يوضع موضع المصدر قال الجوهري : والأسوة والإسوة بالضم والكسر والجمع أسى وإسى قرأ الجمهور أسوة بالضم للهمزة وقرأ عاصم بكسرها وهما لغتان كما قال الفراء وغيره

وفي هذه الآية عتاب للمتخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه و سلم : أي لقد كان لكم في رسول الله حيث بذل نفسه للقتال وخرج إلى الخندق لنصرة دين الله أسوة وهذه الآية وإن كان سببها خاصة فهي عامة في كل شيء ومثلها ﴿ ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقوله : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ واللام في ﴿ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾ متعلق بحسنة أو بمحذوف هو صفة لحسنة : أي كائنة لمن يرجوالله وقيل إن الجملة

---

(١) فتح القدير، ٦٥٣/٣

بدل من الكاف في لكم ورده أبو حيان وقال : إنه لا يبدل من ضمير المخاطب بإعادة الجار ويجاب عنه بأنه قد أجاز ذلك الكوفيون والأخفش وإنه منعه البصريون والمراد بمن كان يرجو الله : المؤمنون فإنهم الذين يرجون الله ويخافون عذابه ومعنى يرجون الله : يرجون ثوابه أو لقاءه ومعنى يرجون اليوم الآخر : أنهم يرجون رحمة الله فيه أو يصدقون بحصوله وأنه كائن لا محالة وهذه الجملة تخصيص بعد التعميم بالجملة الأولى ﴿ وذكر الله كثيرا ﴾ معطوف على كان : أي ولمن ذرك الله في جميع أحواله ذكرا كثيرا وجمع بين الرجاء لله والذكر له فإن بذلك تتحقق الأسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه و سلم ." (١)

" قوله : ٤١ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ أمر سبحانه عباده بأن يستكثروا من ذكره بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير وكل ما هو ذكر لله تعالى قال مجاهد : هو أن لا ينساه أبدا وقال الكلبي : ويقال ذكرا كثيرا بالصلوات الخمس وقال مقاتل : هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال ." (٢)

" ثم نهاه سبحانه عن طاعة أعداء الدين فقال : ٤٨ - ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ أي لا تطعهم فيما يشيرون عليك به من المداهنة في الدين وفي الآية تعريض لغيره من أمته لأنه صلى الله عليه و سلم معصوم عن طاعتهم في شيء مما يريدونه ويشيرون به عليه وقد تقدم تفسير هذه الآية في أول السورة ﴿ ودع أذاهم ﴾ أي لا تبال بما يصدر منهم إليك من الأذى بسبب يصيبك في دين الله وشدتك على أعدائه أو دع أن تؤذيهم مجازاة لهم على ما يفعلونه من الأذى لك فالمصدر على الأول مضاف إلى الفاعل وعلى الثاني مضاف إلى المفعول وهي منسوخة بآية السيف ﴿ وتوكل على الله ﴾ في كل شؤونك ﴿ وكفى بالله وكيلا ﴾ توكل إليه الأمور وتفوض إليه الشؤون فمن فوض إليه أموره كفاه ومن وكل إليه أحواله لم يحتج فيها إلى سواه

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : ﴿ اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ يوقل : لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها أجلا معلوما ثم عذر أهلها في حال العضر غير الذكر فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحد في تركه إلا مغلوبا على عقله فقال : اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر في السفر والحضر في الغنى والفقر وفي الصحة والسقم في السر والعلانية وعلى كل حال وقال : ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ إذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله : ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾

وقد ورد في فضل الذكر والاستكثار منه أحاديث كثيرة وقد صنف في الأذكار المتعلقة بالليل والنهار جماعة من الأئمة كالنسائي والنووي والجزري وغيرهم وقد نطقت الآيات القرآنية بفضل الذاكرين وفضيلة الذكر ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ وقد ورد أنه أفضل من الجهاد كما في حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد والترمذي والبيهقي [أن رسول الله صلى الله عليه و سلم سئل : أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا قلت : يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله ؟ قال : لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون أفضل منه درجة]

---

(١) فتح القدير، ٣٨٤/٤

(٢) فتح القدير، ٤٠٨/٤

وأخرج أحمد عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعا في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : ذكر الله عز و جل] وأخرجه أيضا الترمذي وابن ماجه وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [سبق المفردون قالوا : وما المفردون يا رسول الله ؟ قال : الذاكرون الله كثيرا] وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : [أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون] وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون]

وورد في فضل التسبيح بخصوصه أحاديث ثابته في الصحيحين وغيرهما فمن ذلك حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [من قال في يوم مائة مرة سبحان الله وبحمده حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر] وأخرج أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم عن سعد بن أبي وقاص قال [كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : أيعجز أحدكم أن يكتسب في اليوم ألف حسنة ؟ فقال رجل : كيف يكتسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة] وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا في ذكر الموت وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن البراء بن عازب في قوله : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾ قال : يوم يلقون ملك الموت ليس من مؤمن يقبض روحه إلا سلم عليه وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس قال : [لما نزلت ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ وقد كان أمر عليا ومعاذا أن يسيرا إلى اليمن فقال : انطلقا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فإنها قد أنزلت علي ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ قال : شاهدا على أمتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ بإذنه وسراجا منيرا ﴾ بالقرآن] وأخرج أحمد والبخاري وغيرهما عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم في التوراة فقال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفاته في القرآن يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا تجزي بالسيئة السيئة ولكن تعفو وتصفح زاد أحمد ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وقد ذكر البخاري في صحيحه في البيوع هذا الحديث فقال : وقال سعيد عن هلال عن عطاء عن عبد الله بن سلام ولم يقل عبد الله بن عمرو وهذا أولى فعبد الله بن سلام هو الذي كان يسأل عن التوراة فيخبر بما فيها ." (١)

" ١٠ - ﴿ فإذا قضيت الصلاة ﴾ أي إذا فعلتم الصلاة وأديتموها وفرغتم منها ﴿ فانتشروا في الأرض ﴾ للتجارة والتصرف فيما تحتاجون إليه من أمر معاشكم ﴿ وابتغوا من فضل الله ﴾ أي من رزقه الذي ينفضل به على عباده بما يحصل لهم من الأرباح في المعاملات والمكاسب وقيل المراد به ابتغاء ما عند الله من الأجر بعمل الطاعات واجتناب ما لا يحل ﴿

---

(١) فتح القدير، ٤/٤١٠

واذكروا الله كثيرا ﴾ أي **ذكرا كثيرا** بالشكر له على ما هداكم إليه من الخير الأخروي والدنيوي وكذا اذكروه بما يقربكم إليه من الأذكار كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أي كي تفوزا بخير الدارين وتظفروا به ". (١)

"يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين بكثرة الذكر لربهم تبارك وتعالى ، المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن ، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب ، وجميل المآب ، روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء Bه قال ، قال رسول الله A : « » ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم «؟ قالوا : وما هو يا رسول الله؟ قال A : » ذكر الله عزَّ وجلَّ « » .

وعن عبد الله بن بشر قال : « جاء أعرابيان إلى رسول الله A ، فقال أحدهما : يا رسول الله أي الناس خير؟ قال A : » من طال عمره وحسن عمله « ، وقال الآخر : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فمرني بأمر أتشبث به ، قال A : » لا يزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى « » وفي الحديث : « أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون » ، وقال رسول الله A : « ما من قوم جلسوا مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه إلا رأوه حسرة يوم القيامة » ، وقال ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ اذكروا الله **ذِكْراً كَثِيراً** ﴾ إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة ، إلا جعل لها حداً معلوماً ، ثم عذر أهلها في حال العذب غير الذكر ، فإن الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهي إليه ، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على تركه فقال : ﴿ فاذكروا الله قِيَاماً وَقُعُوداً وعلى جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء : ١٠٣] بالليل والنهار ، في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال . وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته ، والأحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثرة جداً .

وقوله تعالى : ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ أي عند الصباح والمساء ، كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَسُبْحَانَ الله حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [الروم : ١٧] ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الذي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ ﴾ هذا تهييج إلى الذكر ، أي أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم ، كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فاذكروني أَذْكُرْكُمْ واشكروا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة : ١٥٢] ، وقال النبي صلى الله عليه سلم : « يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » والصلاة من الله تعالى : ثناؤه على العبد عند الملائكة ، حكاه البخاري عن أبي العالية ، وقال غيره : الصلاة من الله عزَّ وجلَّ : الرحمة ، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار ، كقوله تبارك وتعالى : ﴿ الذين يَحْمِلُونَ العرش وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فاغفر لِلَّذِينَ تَابُواْ واتبعوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الجحيم ﴾." (٢)

"يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء ، وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد . وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به ، فأمر عثمان Bه أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس ، وإنما يؤمر بحضور الجمعة

---

(١) فتح القدير، ٣١٩/٥

(٢) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/٢٠٣٩

الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ، ويعذر المسافر والمريض وما أضبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر في كتب الفروع .

وقوله تعالى : ﴿ وَذَرُواْ البيع ﴾ أي اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة ، ولهذا اتفق العلماء Bهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني ، وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أي ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أي في الدنيا والآخرة ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصلاة ﴾ أي فرغ منها ﴿ فانتشروا فِي الأرض وابتغوا مِن فَضْلِ الله ﴾ لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء ، وأمرهم بالاجتماع ، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله ، كما كان (عراك بن مالك) Bه إذا صلى الجمعة انصر فوقف على باب المسجد فقال : « اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين ، وروي عن بعض السلف أنه قال : من با غ واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصلاة فانتشروا فِي الأرض وابتغوا مِن فَضْلِ الله ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ واذكروا الله كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم ، اذكروا الله **ذكراً كثيراً** ، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة ، ولهذا جاء في الحديث : » من دخل سوقاً من الأسواق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة « وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً .." (١)

"بحث لطيف عن الذكر للعلامة ابن جزى ـ رحمه الله ـ

وبالجملة فهذه الآية بيان لشرف الذكر وبينها قول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما يرويه عن ربه أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم والذكر ثلاثة أنواع ذكر بالقلب وذكر باللسان وبهما معا واعلم أن الذكر أفضل الأعمال على الجملة

وإن ورد في بعض الأحاديث تفضيل غيره من الأعمال كالصلاة وغيرها فإن ذلك لما فيها من معنى الذكر والحضور مع الله تعالى والدليل على فضيلة الذكر من ثلاثة أوجه الأول النصوص الواردة بتفضيله على سائر الأعمال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله وسئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي الأعمال أفضل قال ذكر الله قيل الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله فقال لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سي فهو يختضب دما لكان الذاكر أفضل منه الوجه الثاني أن الله تعالى حيث ما أمر بالذكر أو أثنى على الذكر اشترط فيه الكثرة فقال اذكروا الله **ذكرا كثيرا** والذاكرين الله كثيرا ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال الوجه الثالث أن للذكر مزية هي له خاصة وليست لغيره وهي الحضور في الحضرة العلية والوصول إلى القرب بالذي عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية فإن الله تعالى يقول أنا جليس من ذكرني ويقول أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني وللناس في المقصد بالذكر مقامان فمقصد

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/٢٥٥٥

العامة اكتساب الأجور ومقصد الخاصة القرب والحضور وما بين المقامين بون بعيد فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة فمنها التهليل والتسبيح والتكبير والحمد والحوقلة والحسبلة وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى والصلاة على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ والاستغفار وغير ذلك ولكل ذكر خاصيته وثمرته وأما التهليل فثمرته التوحيد أعني التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن وأما التكبير فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك فثمرتها ثلاث مقامات وهي الشكر وقوة." (١)

"اعلم أن ذكر الله تعالى أفضل العبادات لأن الله تعالى جعل لسائر العبادات مقدار وجعل لها أوقاتا ولم يجعل لذكر الله تعالى مقدار ولا وقتا وأمر بالكثرة بغير مقدار وهو قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ يعني اذكروه في جميع الأحوال ، وتفسير الذكر في الأحوال كلها أن العبد لا يخلو من أربعة أحوال : إما أن يكون في الطاعة ، أو في المعصية ، أو في النعمة ، أو في الشدة ، فإن في الطاعة فينبغي أن يذكر الله تعالى بالتوفيق ويسأل منه القبول ، وإن كان في المعصية فينبغي أن يدعو الله بالامتناع ويسأله التوبة ، وإن كان في النعمة يذكره بالشكر ، وإن كان في الشدة يذكره بالصبر.واعلم أن في ذكر الله تعالى خمس خصال محمودة ، أولها أن فيه رضا الله تعالى ، والثاني أنه يزيد في الحرص على الطاعات ، والثالث أن فيه حرزا من الشيطان إذا كان ذاكرا الله تعالى ، والرابع أن فيه رقة القلب ، والخامس أن يمنعه من المعاصي ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. أ هـ

﴿تنبيه الغافلين صـ ٣٩٢﴾.

فائدة

قال بعضهم : ذكر الله الذكر فى القرآن على عشرين وجها :

الأول : ذكر اللسان ﴿فاذكروا الله كذكركم آبآءكم﴾.

الثانى : ذكر بالقلب ﴿ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾.

الثالث : بمعنى الوعظ ﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾ ﴿فذكر إن نفعت الذكرى﴾.

الرابع : بمعنى التوراة ﴿فاسئلوا أهل الذكر﴾.

الخامس : بمعنى القرآن ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾.

السادس : بمعنى اللوح المحفوظ ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر﴾.

السابع : بمعنى رسالة الرسول ﴿أو عجبتم أن جآءكم ذكر من ربكم﴾ أى رسالة.

". (٢)

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٢/٢٨٦

(٢) جامع لطائف التفسير، ٢/٢٨٨

"٢٦ - ﴿يأأيها الذين ءامنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾.
٢٧ - ﴿يأأيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جآءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها﴾.
٢٨ - ﴿يأأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾.
٢٩ - ﴿يأأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾.
٣٠ - ﴿يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾.
٣١ - ﴿يأأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾.
٣٢ - ﴿يأأيها الذين آمنوا إن جآءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾.
٣٣ - ﴿يأأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾.
٣٤ - ﴿يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله﴾.
٣٥ - ﴿يأأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا﴾.
٣٦ - ﴿يأأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾.
٣٧ - ﴿يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾.
٣٨ - ﴿يأأيها الذين آمنوا إذا جآءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾.
٣٩ - ﴿يأأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾.
٤٠ - ﴿يأأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾.
٤١ - ﴿يأأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾.
". (١)

"لميقات الشمس ، والجهاد لمطلق الميقات حيث ما وقع من مكان وزمان ناظرا بوجه ما لما يقابله من عمود الإسلام الذي هو ذكر كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله على الدوام ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب : ٤١] ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [التوبة : ٥] انتهى. وقال ﴿الذين يقاتلونكم﴾ أي من شأنهم قتالكم لا من ليس شأنه ذلك كالصبيان ؛ وفيه إشعار بأن القتال عن سبب المقاتلة فهو مما يفعل عن سبب لا مما يفعل لوقت ، وصيغة المضارع لم يقصد بها إلا صدور الفعل من غير نظر إلى زمان مخصوص كما قالوه في أمثاله.

ولما كان الله سبحانه وتعالى قد أوجب العدل في كل شيء حتى في حق أعدائه قال : ﴿ولا تعتدوا﴾ فنظم ذلك ابتداء القتال لمن لم يبح له ابتداءه به إما بعهد أو بغير دعوة لمن لم يبلغه أمر الدين أو بغير ذلك من أنواع الخيانة والغدر وقتل النساء والصبيان والشيوخ الفانين الذين لا منعة فيهم ولا رأي لهم ، ودوام القتال لمن ألقى السلم بعد الابتداء به ، فحذف المتعلق اختصارا فأفاد زيادة المعنى وهو من غريب أفانين البلاغة وكأنه أفهم بصيغة الافتعال التقييد بالتعمد ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿إن الله﴾ أي لما له من صفات الكمال ﴿لا يحب المعتدين﴾ مطلقا في هذا وغيره ، أي لا يفعل بهم من الخير

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٣/٣٨٢

فعل المحب. أ هـ ﴿نظم الدرر حـ ١ صـ ٣٦٢﴾

وقال الفخر : ." (١)

"[الحج : ٣٧] وثالثها : أن قوله أولا : ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ أمر بالذكر باللسان وقوله ثانيا : ﴿واذكروه كما هداكم﴾ أمر بالذكر بالقلب ، وتقريره أن الذكر في كلام العرب ضربان أحدهما : ذكر هو ضد النسيان والثاني : الذكر بالقول ، فما هو خلاف النسيان قوله : ﴿وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ [الكهف : ٦٣] وأما الذكر الذي هو القول فهو كقوله : ﴿فاذكروا الله كذكركم ءاباءكم أو أشد ذكرا﴾ [البقرة : ٢٠٠] ﴿واذكروا الله فى أيام معدودات﴾ [البقرة : ٢٠٣] فثبت أن الذكر وارد بالمعنيين فالأول : محمول على الذكر باللسان والثاني : على الذكر بالقلب ، فإن بهما يحصل تمام العبودية ورابعها : قال ابن الأنباري : معنى قوله : ﴿واذكروه كما هداكم﴾ يعني اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته وخامسها : يحتمل أن يكون المراد من الذكر مواصلة الذكر ، كأنه قيل لهم : اذكروا الله واذكروه أي اذكروه ذكرا بعد ذكر ، كما هداكم هداية بعد هداية ، ويرجع حاصله إلى قوله : ﴿ياأيها الذين ءامنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب : ٤١] وسادسها : أنه تعالى أمر بالذكر عند المشعر الحرام ، وذلك إشارة إلى القيام بوظائف الشريعة ، ثم قال بعده : ﴿واذكروه كما هداكم﴾ والمعنى أن توقيف الذكر على المشعر الحرام فيه إقامة لوظائف الشريعة ، فإذا عرفت هذا قربت إلى مراتب الحقيقة ، وهو أن ينقطع قلبك عن المشعر الحرام ، بل عن من سواه فيصير مستغرقا في نور جلاله وصمديته ، ويذكره لأنه هو الذي يستحق لهذا الذكر ولأن هذا الذكر يعطيك نسبة شريفة إليه بكونك في هذه الحالة تكون في مقام العروج ذاكرا له ومشتغلا بالثناء عليه ، وإنما بدأ بالأول وثنى بالثاني لأن العبد في هذه الحالة يكون في مقام العروج فيصعد من الأدنى إلى الأعلى وهذا مقام شريف لا يشرحه المقال ولا يعبر." (٢)

"قال الشافعي رضي الله عنه : المستحب في التكبيرات أن تكون ثلاثا نسقا أي متتابعا ، وهو قول مالك ، وقال أبو حنيفة وأحمد : يكبر مرتين ، حجة الشافعي ما روى عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، قال : رأيت الأئمة يكبرون في أيام التشريق بعد الصلاة ثلاثا ، ولأنه زيادة في التكبير ، فكان أولى لقوله تعالى : ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ ثم قال الشافعي رضي الله عنه : ويقول بعد الثلاث : "لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد" ثم قال : وما زاد من ذكر الله فهو حسن ، وقال في التلبية : وأحب أن لا يزيد على تلبية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، والفرق أن من سنة التلبية التكرار فتكرارها أولى من ضم الزيادة إليها ، وههنا يكبر مرة واحدة فتكون الزيادة أولى من السكوت ، وأما التكبير على الجمار فقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يكبر مع كل حصاة ، فينبغي أن يفعل ذلك. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٥ صـ ١٦٥﴾

وقال الخازن : ." (٣)

---

(١) جامع لطائف التفسير، ١٨٨/٤

(٢) جامع لطائف التفسير، ٣٩٤/٤

(٣) جامع لطائف التفسير، ٤٩/٥

"أحدهما : المراد منه : وصل لأن الصلاة تسمى تسبيحا قال الله تعالى : ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ وأيضا الصلاة مشتملة على التسبيح ، فجاز تسمية الصلاة بالتسبيح ، وههنا الدليل دل على وقوع هذا المحتمل وهو من وجهين

الأول : أنا لو حملناه على التسبيح والتهليل لم يبق بين هذه الآية وبين ما قبلها وهو قوله ﴿واذكر ربك﴾ فرق ، وحينئذ يبطل لأن عطف الشيء على نفسه غير جائز والثاني : وهو أنه شديد الموافقة لقوله تعالى : ﴿أقم الصلاة طرفي النهار﴾

وثانيهما : أن قوله ﴿واذكر ربك﴾ محمول على الذكر باللسان. أ هـ ﴿مفاتيح الغيب حـ ٨ صـ ٣٧﴾

فوائد لغوية

قال ابن عادل :

قوله : "كثيرا " نعت لمصدر محذوف ، أو حال من ضمير ذلك المصدر ، أو نعت لزمان محذوف تقديره : ذكرا كثيرا ، أو زمانا كثيرا ، والباء في قوله : " بالعشي " بمعنى " في " أي : في العشي والإبكار.

والعشي : يقال من وقت زوال الشمس إلى مغيبها ، كذا قال الزمخشري.

وقال الراغب : " العشي من زوال الشمس إلى الصباح ". والأول هو المعروف.

قال الشاعر : [الطويل]

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه... ولا الفيء من برد العشي تذوق

وقال الواحدي : " العشي : جمع عشية ، وهي آخر النهار ".

والعامة قرءوا : " والإبكار " بكسر الهمزة ، وهو مصدر أبكر يبكر إبكارا - أي : خرج بكرة ، ومثله : بكر - بالتخفيف - وابتكر.

قال عمر بن أبي ربيعة : [الطويل]

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر..........................

وقال : [الخفيف]

أيها الرائح المجد ابتكارا........................

وقال أيضا : [الطويل]

بكرن بكورا واستحرن بسحرة... فهن لوادي الرس كاليد للفم." (١)

"وقال : ﴿ وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين ﴾ [الإنفطار : ١٠-١١] ولأن الله عز وجل أمر عباده بالذكر على كل حال ولم يستثن فقال : ﴿ اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ [الأحزاب : ٤١] وقال : ﴿ فاذكروني أذكركم ﴾ [البقرة : ١٥٢] وقال : ﴿ إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ﴾ [الكهف : ٣٠] فعم.

فذاكر الله تعالى على كل حالاته مثاب مأجور إن شاء الله تعالى.

وذكر أبو نعيم قال : حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثني أبي قال حدثنا وكيع قال

---

(١) جامع لطائف التفسير، ١٣٧/١٣

حدثنا سفيان عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الأحبار قال : قال موسى عليه السلام : "يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك قال : يا موسى أنا جليس من ذكرني قال : يا رب فإنا نكون من الحال على حال نجلك ونعظمك أن نذكرك قال : وما هي ؟ قال : الجنابة والغائط قال : يا موسى اذكرني على كل حال".

وكراهية من كره ذلك إما لتنزيه ذكر الله تعالى في المواضع المرغوب عن ذكره فيه ككراهية قراءة القرآن في الحمام ، وإما إبقاء على الكرام الكاتبين على أن يحلهم موضع الأقذار والأنجاس لكتابة ما يلفظ به ، والله أعلم. أ هـ ﴿تفسير القرطبى حـ ٤ صـ ٣١٠ . ٣١١﴾." [1]

"ب- وروى ابن كثير عن أبي يعلى بسنده إلى جابر بن عبد الله أنه قال : « بينما النبي A يخطب يوم الجمعة ، فقدمت عيرٌ إلى المدينة ، فابتدرها أصحاب رسول الله A حتى لم يبق مع رسول الله A إلا اثنا عشر رجلاً ، فقال رسول الله A : » والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً « ونزلت هذه الآية : ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تجارة . . . ﴾ .

ج – وروى أبو حيان في تفسيره » البحر المحيط « في سبب هذا الانصراف أنَّ أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء سعر ، فقدم (دحية) بعيرٍ تحمل ميرةً وكان من عُرْفهم أن يدخل بالطبل والمعازف من درى بها . فدخلت بها فانفضوا إلى رؤية ذلك وسماعه ، وتركوه A قائماً على المنبر في اثني عشر رجلاً ، قال جابر : أنا أحدهم ، فنزلت ﴿ وَإِذَا رَأَوْاْ تجارة . . . ﴾ .

وجوه القراءات

١– قرأ الجمهور ﴿ من يوم الجُمُعة ﴾ بضم الجيم والميم ، وقرأ الزهري والأعمش بضم الجيم وسكون الميم ﴿ الجُمْعة ﴾ وهي لغة تميم ، وقرأ أبو العالية والنخعي ﴿ الجُمَعة ﴾ بضم الجيم مع فتح الميم ، وهي ثلاث لغات .

قال الزجاج : من قرأ بتسكين الميم فهو تخفيف الجمعة لثقل الضمتين ، وأمّا فتح الميم فمعناها : الذي يجمع الناس ، كما تقول : رجلٌ لُعَنَة : يُكثر لعنة الناس ، وضُحَكَة : يكثر الضحك .

٢– قرأ الجمهور ﴿ انفضّوا إليها ﴾ بضمير المؤنث عائداً إلى التجارة ، وقرأ ابن أبي عَبْلة بضمير المذكّر ﴿ انفضّوا إليه ﴾ عائداً إلى اللهو .

قال الأخفش : وكلاهما جائز عند العرب ، وقرئ ﴿ انفضُّوا إليهما ﴾ بضمير التثنية عائداً إلى التجارة واللهو .

٣– قرأ الجمهور ﴿ فاسعوا إلى ذِكْرِ الله ﴾ وروي عن ابن مسعود وعمر أنهما كانا يقرآنها ﴿ فامضوا إلى ذكر الله ﴾ وقراءتهما محمولة على أنها وجه من وجوه التفسير ، لا أنها قراءة من القراءات وقد مرّ معك كلام القرطبي فتدبره .

وجوه الإعراب

١– قوله تعالى : ﴿ إِذَا نُودِيَ للصلاوة مِن يَوْمِ الجمعة ﴾ (إذا) شرطية و (نودي) مبني للمجهول ، و (مِنْ) بمعنى (في) أي في يوم الجمعة كقوله تعالى : ﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأرض ﴾ [فاطر : ٤٠] أي في الأرض .

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٧٩/١٩

وجوّز أبو البقاء كون (مِنْ) للتبعيض .

وفي » الكشاف « : هي بيان ل (إذا) وتفسير له ، وقد اعترض عليه في هذا ، والصحيح أنها بمعنى (في) .

٢- قوله تعالى : ﴿ واذكروا الله كَثِيراً . . . ﴾ . (اذكروا) فعل أمر مبني على حذف النون لأنّ مضارعه من الأفعال الخمسة ، والواو فاعل ، ولفظ الجلالة منصوب على التعظيم تأدباً ، و (كثيراً) صفة لمفعول مطلق محذوف تقديره : (ذكراً كثيراً) ، وقد صرح به في سورة الأحزاب في قوله تعالى :." (١)

"﴿ يأيها الذين آمَنُواْ اذكروا الله ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٤١ - ٤٢] .

٣- قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكُوكَ قَآئِماً ﴾ ، قائماً منصوب على الحال ، وصاحب الحال هو النبي A المشار إليه ب (تركوك) أيها النبيّ حال كونك قائماً .

٤- قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا عِندَ الله خَيْرٌ مِّنَ اللهو وَمِنَ التجارة . . . ﴾ (ما) اسم موصول مبتدأ ، و (خير) خبره ، والجملة (ما عند الله خير) مقول القول .

لطائف التفسير

اللطيفة الأولى : يوم الجمعة كان يسمى في الجاهلية يوم (العَروبة) . وأوّل من سمّاه جمعة (كعب بن لؤي) وروي في سبب تسميته أن أهل المدينة اجتمعوا قبل قدوم النبي A ، لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ، ونشكره ، فقالوا : يومُ السبت لليهود ، ويوم الأحد للنصارى ، فاجعلوه يوم العَروبة ، فاجتمعوا إلى (أسعد بن زُرارة) فصلَّى بهم يومئذٍ ركعتين ، وذكّرهم ، فسميت الجمعة حين اجتمعوا إليه ، فذبح لهم شاة فتغدّوا وتعشّوا منها ، فهي أول جمعة كانت في الإسلام .

اللطيفة الثانية : في التعبير بقوله تعالى : ﴿ فاسعوا إلى ذِكْرِ الله ﴾ لطيفة وهي أنه ينبغي للمؤمن أن يقوم إلى صلاة الجمعة بجدٍّ ونشاط ، وعزيمة وهمَّة ، لأن لفظ (السعي) يفيد القصد والجدّ والعزة ، وليس المراد منه العَدْو في المشي فإنّ ذلك منهي عنه .

قال الحسن : « والله ما هو سعي على الأقدام ، ولكنّه سعي بالقلوب وسعي بالنيّة ، وسعي بالرغبة ، ولقد نُهوا أن يأتوا الصلاة إلاّ وعليهم السكينة والوقار » .

اللطيفة الثالثة : أُطلق لفظ البيع (وذروا البيع) وقصد به جميع أنواع المعاملة من بيع ، وشراء ، وإجارة ، وغيرها من المعاملات فهو على سبيل المجاز المرسل .

قال أبو حيان : « وإنما ذكر البيع من بين سائر المحرَّمات ، لأنه أكثر ما يشتغل به أصحاب الأسواق ، إذ يكثر الوافدون من القرى إلى الأمصار ويجتمعون للتجارة إذا تعالى النهار ، فأُمروا بالبدار إلى تجارة الآخرة ، ونُهوا عن تجارة الدنيا حتى الفراغ من الصلاة » .

اللطيف الرابعة : كان السلف الصالح يقتدون برسول الله A في جميع أفعاله وحركاته وسكناته ، حتى ولوْ لم يدركوا السرّ فيه ، وذلك من فرط حبِّهم لرسول الله A ، فقد روي عن بعضهم أنه كان إذا صلَّى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ، ثم

---

(١) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، ص/٥٨٤

رجع إلى المسجد فصلّى ما شاء الله تعالى أن يصلي ، فقيل له : لأيّ شيء تصنع هذا؟ قال : إني رأيت سيّد المرسلين A هكذا يصنع ، وتلا هذه الآية : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصلاوة ﴾ .

اللطيفة الخامسة : كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : « اللهمّ إني أجبتُ دعوتك ، وصلَّيتُ فريضتك ، وانتشرت كما أمرتني ، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين » .." (١)

"كما يشعر به التعرض لعنوان الربوبية وقيل : يحتمل أن يكون الامر بالذكر شكرا للنعمة مطلقا لا في خصوص تلك الايام وأن يكون في جمع أيام الحمل لتعود بركاته اليه والمنساق إلى الذهن هو الاول والجملة مؤكدة لما قبلها مبينة للغرض منها واستشكل العطف من وجهين : الاول عطف الإنشاء على الإخبار والثاني عطف المؤكد على المؤكد وأجيب بأنه معطوف على محذوف أي اشكر واذكر وقيل : لا يبعد أن يجعل الامر بمعنى الخبر عطفا على لا تكلم فيكون في تقدير أن الكلام وتذكر ربك ولا يخفى ما فيه كثيرا صفة لمصدر محذوف أو زمان كذلك أي **ذكرا كثيرا** وزمانا كثيرا وسبح بالعشي وهو من الزوال إلى لبغروب قاله مجاهد وقيل : من العصر إلى ذهاب صدر الليل والإبكر

١٤

– أي وقته وهو من الفجر إلى الضحى وإنما قدر المضاف لأن الإبكار بكسر الهمزة لا وقت فلا تحسن المقابلة كذا قيل : وهو مبني على أن العشي جمع عشية الوقت المخصوص واليه ذهب أبو البقاء والذي ذهب اليه المعظم أنه مصدر أيضا على فعيل لا جمع واليه يشير كلام الجوهري فافهم وقرئ والأبكار بفتح الهمزة فهو حينئذ جمع بكر كسحر لفظا ومعنى وهو نادر الاستعمال قيل : والمراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى : فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقبل : الذكر اللساني كما أن المراد بالذكر الذكر القلبي وعلى كلا التقديرين لا تكرار في ذكر التسبيح مع الذكر و أل في الوقتين للعموم وأبعد من جعلها للعهد أي عشي تلك الايام الثلاثة وأبكارها والجار والمجرور متعلق بما عنده وليس من باب التنازع في المشهور وجوزه بعضهم فيكون الامر بالذكر مقيدا بهذين الوقتين أيضا وزعم بعضهم أن تقييده بالكثرة يدل على أنه لا يفيد التكرار وفيه بعد تسليم أنه مقيد به فقط أن الكثرة أخص من التكرار

وهذا ومن باب البطون في الآيات أن زكريا عليه السلام كان شيخا هما وكان مرشدا للناس فلما رأى ما رأى تحركت غيرة النبوة فطلب من ربه ولدا حقيقيا يقوم مقامه في تربية الناس وهدايتهم فقال : رب هب لي من لدنك ذرية طيبة أي مطهرة من لوث الاشتغال بالسوى منفردة عن إراداتها مقدسة من شهواتها فنادته الملائكة وهو قائم على ساق الخدمة يصلي في المحراب وهو محل المراقبة ومحاربة النفس إن الله يبشرك بيحي وسمي به لأن من شاهد الحق في جمال نبوته يحيا قلبه من موت الفترة أو لأنه هو يحيا بالنبوة والشهادة مصدقا بكلمة من الله وهو ما ينزل به الملك على القلوب المقدسة وسيدا وهو الذي غلب عليه نور هيبة عزة الحق وقال الصادق : هو المباين للخلق وصفا وحالا وخلقا وقال الجنيد : هو الذي جاد بالكونين طلبا لربه وقال ابن عطاء : هو المتحقق بحقيقة الحق وقال ابن منصور : هو من خلا عن أوصاف البشرية وحلى بنعوت الربوبية وقال محمد بن علي : هو من استوت أحواله عند المنع والاعطاء وارد والقبول وحصورا وهو الذي حصر

---

(١) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، ص/٥٨٥

ومنع عن جميع الشهوات وعصم بالعصمة الازلية وقال الاسكندراني : هو المنزه عن الأكوان وما فيها ونبيا أي مرتفع القدر بهبوط الوحي عليه ومعددا من الصالحين وهم أهل الصف الأول من صفوف الأرواح المجندة المشاهدة للحق في مرايا الخلق قال استعظاما للنعمة : أنى يكون لي غلام والحال قد بلغني الكبر وهو أحد الموانع العادية وامرأتي عاقر وهو مابع آخر قال كذلك الله يفعل ما يشاء حسبما تقتضيه الحكمة قال رب اجعل لي آية على العلوق لأشكرك على هذه النعمة إذ شكر المنعم واجب وبه تدوم المواهب الالهية قال آيتك ." (١)

" وأخرج الشيخان وغيرهما عن إبن عباس قال إذا حرم الرجل عليه أمرأته فهو يمين يكفرها وقال : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة إلى غير ذلك من الأخبار وتمام الكلام في كتب الأصول

لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر أي يؤمل الله تعالى وثوابه كما يرمز إليه أثر عن إبن عباس رضي الله تعالى عنهما وعليه يكون قد وضع اليوم الآخر بمعنى يوم القيامة موضع الثواب لأن ثوابه تعالى يقع فيه فهو على ما قال الطيبي من إطلاق أسم المحل على الحال والكلام نحو قولك : أرجو زيدا وكرمه مما يكون ذكر المعطوف عليه فيه توطئة للمعطوف وهو المقصود وفيه من الحسن والبلاغة ما ليس في قولك : أرجو زيدا كرمه على البدلية وقال صاحب الفرائد يمكن أن يكون التقدير يرجو رحمة الله أو رضا الله وثواب اليوم الآخر ففي الكلام مضافان مقدران وعن مقاتل أي يخشى الله تعالى ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال على أنه وضع اليوم الآخر موضع البعث لأنه يكون فيه والرجاء عليه بمعنى الخوف ومتعلق الرجاء بأي معنى كان أمر من جنس المعاني لأنه لا يتعلق بالذوات وقدر بعضهم المضاف إلى الأسم الجليل لفظ أيام مرادا بها الوقائع فإن اليوم يطلق على ما يقع فيه من الحروب والحوادث وأشتهر في هذا حتى صار بمنزلة الحقيقة وجعل قرينة هذا التقدير المعطوف وجعل العطف من عطف الخاص على العام والظاهر أن الرجاء على هذا بمعنى الخوف وجوز أن يكون الكلام عليه كقولك : أرجو زيدا وكرمه وأن يكون الرجاء فيه بمعنى الأمل إن أريد ما في اليوم من النصر والثواب وأن يكون بمعنى الخوف والأمل معا بناء على جواز إستعمال اللفظ في معنييه أو في حقيقته ومجازه وإرادة ما يقع فيه من الملائم والمنافر وعندى أن تقدير أيام غير متبادر إلى الفهم وفسر بعضهم اليوم الآخر بيوم السياق والمتبادر منه يوم القيامة و من على ما قيل بدل من ضمير الخطاب في لكم وأعيد العامل للتأكيد وهو بدل كل من كل والفائدة فيه الحث على التأسي وإبدال الأسم الظاهر من ضمير المخاطب هذا الإبدال جائز عند الكوفيين والأخفش ويدل عليه قوله : بكم قريش كفينا كل معضلة وأم نهج الهدى من كان ضليلا ومنع ذلك جمهور البصريين : ومن هنا قال صاحب التقريب وهو بدل إشتمال أو بدل بعض من كل ولا يتسنى إلا على القول بأن الخطاب عام وهو مخالف للظاهر كما سمعت ومع هذا يحتاج إلى تقدير منكم وقال أبو البقاء : يجوز أن يكون لمن متعلقا بحسنة أو بمحذوف وقع صفة لها لأنه وقع بعد نكرة وقيل : يجوز أن يكون صفة لأسوة وتعقب بأن المصدر الموصوف لا يعمل فيما بعد وصفه وكذا تعدد الوصف بدون العطف لا يصح وقد صرح بمنع ذلك الإمام الواحدي ولا يخفى أن المسئلة خلافية فلا تغفل

---

(١) روح المعاني، ١٥٢/٣

وذكر الله كثيرا ١٢ أي **ذكرا كثيرا** وقرن سبحانه بالرجاء كثرة الذكر لأن المثابرة على كثرة ذكره عزوجل تؤدي إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الإئتساء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومما ينبغي أن يعلم أنه قد صرح بعض الأجلة كالنووي أن ذكر الله تعالى المعتبر شرعا ما يكون في ضمن جملة مفيدة كسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ونحو ذلك ومالا يكون بمفرد لا يعد شرعا ذكرا نحو الله أو قادر أو سميع أو بصير إذا لم يقدر هناك ما يصير به اللفظ كلاما والناس عن هذا غافلون وأنهم أجمعوا على أن الذكر المتعبد بمعناه لا يثاب صاحبه ما لم يستحضر معناه فالمتلفظ بنحو سبحان الله ولا إله إلا الله إذا كان غافلا عن المعنى غير ملاحظ له ومستحضرا إياه لا يثاب إجماعا والناس أيضا عن هذا غافلون ." (١)

" قدس سره كلام في حديث اللبنة قد إنتقده عليه جماعة من الأجلة فعليك بالتمسك بالكتاب والسنة والله تعالى الحافظ من الوقوع في المحنة ونصب رسول على إضمار كان لدلالة كان المتقدمة عليه والواو عاطفة للجملة الإستدراكية على ما قبلها وكون لكن المخففة عند الجمهور للعطف إنما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا وجوز أن يكون النصب بالعطف على أبا أحد وقرأ عبدالوارث عن أبي عمرو لكن بالتشديد فنصب رسول على أنه أسم لكن والخبر محذوف تقديره ولكن رسول الله وخاتم النبيين هو أي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الزمخشري : تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه أي لم يعش له ولد ذكر وحذف خبر لكن وأخواتها جائز إذا دل عليه الدليل ومما جاء في لكن قول الشاعر : فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولكن زنجيا عظيم المشافر أي ولكن زنجيا عظيم المشافر أنت وفيه بحث لا يخفى على ذي معرفة وقرأ زيد بن علي رضي الله تعالى عنهما وإبن أبي عبلة بتخفيف لكن ورفع رسولوخاتم أي ولكن هو رسول ا لله إلخ كما قال الشاعر : ولست الشاعر السفاف فيهم ولكن مدرة الحرب العوالي أي ولكن أنا مدرة وكان الله بكل شيء أعم من أن يكون موجودا أو معدوما عليما ٤٠ فيعلم سبحانه الأحكام والحكم التي بينت فيما سبق والحكمة في كونه عليه الصلاة و السلام خاتم النبيين

يأيها الذين آمنوا أذكروا الله بما هو جل وعلا أهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس **ذكرا كثيرا** ١٤ يعم أغلب الأوقات والأحوال كما قال غير واحد وعن إبن عباس الذكر الكثير أن لا ينسى جل شأنه وروى ذلك عن مجاهد أيضا وقيل : أن يذكر سبحانه بصفاته العلى وأسمائه الحسنى وينزه عما لا يليق به وعن مقاتل هو أن يقال : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر على كل حال وعن العترة الطاهرة رضي الله تعالى عنهم من قال ذلك ثلاثين مرة فقد ذكر الله تعالى **ذكرا كثيرا** وفي مجمع البيان عن الواحدي بسنده إلى الضحاك بن مزاحم عن إبن عباس قال : جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : يامحمد قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم فإنه من قالها كتب له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله تعالى كثيرا وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار وكن له غرسا في الجنة وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق

---

(١) روح المعاني، ٢١/١٦٨

الشجرة اليابسة وينظر الله تعالى إليه ومن نظر الله تعالى إليه لم يعذبه كذا رأيته في مدونه فلا تغفل وقال بعضهم : مرجع الكثرة العرف

وسبحوه ونزهوه سبحانه عما لا يليق به بكرة وأصيلا ٢٤ أي أول النهار وآخره وتخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون سائر ألأوقات بل لإنافة فضلهما على سائر الأوقات لكونهما تحضرهما ملائكة الليل والنهار وتلتقي فيهما كأفراد التسبيح من بين الأذكار مع إئدراجه فيها لكونه العمدة بينها وقيل : كلا الأمرين متوجه إليهما كقولك : صم وصل يوم الجمعة وبتفسير الذكر الكثير بما يعم أغلب الأوقات لا تبقى حاجة إلى تعلقهما بالأول وعن إبن عباس أن المراد بالتسبيح الصلاة أي بإطلاق الجزء على الكل والتسبيح بكرة صلاة الفجر والتسبيح أصيلا صلاة العشاء وعن قتادة نحو ما روى عن إبن عباس إلا أنه قال : أشار ." (١)

" ميرك وهذا الخلاف في حق نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وأما غيره من الأنبياء عليهم السلام فلا خلاف في عدم كراهة الأفراد لأحد من العلماء ومن أدعى ذلك فعليه أن يورد نقلا صريحا ولا يجد إليه سبيلا إنتهى

وصرح بعضهم أن الكراهة عند من يقول بها إنما هي في الأفراد لفظا وأما الأفراد خطاكما وقع في الأم فلا كراهة فيه وعندي أن الإستدلال بالآية على كراهة الأفراد حسبما سمعت في غاية الضعف إذ قصارى ما تدل عليه أن كلا من الصلاة والتسليم مأمور به مطلقا ولا تدل على الأمر بالإتيان بهما في زمان واحد كأن يؤتى بهما مجموعين معطوفا أحدهما على الآخر فمن صلى بكرة وسلم عشيا مثلا فقد إمتثل الأمر فإنها نظير قوله تعالى : أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه إلى غير ذلك من الأوامر المتعاطفة نعم درج أكثر السلف على الجمع بينهما فلا أستحسن العدول عنه مع ما في ذكر السلام بعد الصلاة من السلامة من توهم لا يكاد يعرض إلا للأذقان السقيمة كما لا يخفى وفي دخوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الخطاب بيا أيها الذين آمنوا هنا خلاف فقال بعضهم بالدخول وقد صرح بعض أجلة الشافعية بوجوب الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم في صلاته وذكر أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلي على نفسه خارجها كما هو ظاهر أحاديث كقوله حين ضلت ناقته وتكلم منافق فيها إن رجلا من المنافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله وقوله حين عرض على المسلمين رد ما أخذه من أبي العاص زوج إبنته زينب قبل إسلامه وإن زينب بنت رسول الله سألتني الحديث فذكر التصلية والتسليم على نفسه بعد ذكره وإحتمال أن ذلك في الحديثين من الراوي بعيد جدا

وتوقف بعضهم في دخوله من حيث أن قرينة سياق يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلى هنا ظاهرة في إختصاص هذا الحكم بالمؤمنين دونه صلى الله تعالى عليه وسلم ونظر فيه بأن ما قبل هذه الآية صريح في إختصاصه بالمؤمنين وأما هي فلا قرينة فيها على الإختصاص وأنت تعلم أن للأصوليين في دخوله في نحو هذه الصيغة أقوالا عدمه مطقا وهو شاذ ودخوله مطلقا وهو الأصح على ما قال جمع والدخول إلا فيما صدر بأمره بالتبليغ نحو قل يأيها الذين آمنوا وأنا أعول على الدخول إلا إذا وجدت قرينة على عدم الدخول سواء كانت الأمر بالتبليغ أولا وههنا السباق والسياق قرينتان على عدم الدخول فيما يظهر وعبر بالذين آمنوا دون الناس الشامل للكفار قيل : إشارة إلى أن الصلاة عليه صلى الله

(١) روح المعاني، ٤٢/٢٢

تعالى عليه وسلم من أجل الوسائل وأنفعها والكافر لا وسيلة له فلم يؤت بلفظ يشمله ومخاطبة الكفار بالفروع على القول بها بالنسبة لعقابهم عليها في الآخرة فحسب على أن محل تكليفهم بها حيث أجمع عليها ومن ثم أستثنى من مخاطبتهم بها معاملتهم الفاسدة ونحوها

ولعل الأولى أن التعبير بذلك لما ذكر مع إقتضاء السياق له وفي نداء المؤمنين بهذا الأسلوب من حثهم على إمتثال الأمر ما لا يخفى والأمر بالصلاة والتسليم من خواص هذه الأمة فلم تؤمر أمة غيرها بالصلاة والتسليم على نبيها

وكان ذلك على ما نقل عن أبي ذر الهروي في السنة الثانية من الهجرة وقيل : كان في ليلة الإسراء وأنت تعلم أن الآية مدنية وأخرج عبد بن حميد وإبن المنذر عن مجاهد أنها لما نزلت قال أبو بكر : ما أنزل الله عليك خيرا إلا أشركنا فيه فنزلت هو الذي يصلي عليكم وملائكته وحكمة تغاير أسلوبي الآيتين ظاهرة على المتأمل والصلاة منا على الأنبياء ما عدا نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام جائزة بلا كراهة فقد جاء بسند صحيح على ما قاله المجد اللغوي إذا صليتم على المرسلين فصلوا على معهم فإني رسول من المرسلين وفي لفظ إذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين وللأول طريق أخرى إسنادها حسن جيد لكنه مرسل ." (١)

" وقيل : هوللندب وأخرج أبو عبيد وابن المنذر والطبراني وابن مردويه عن عبد الله بن يسر الحراني قال : رأيت عبد الله بن بسر المازني صاحب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة ثم رجع إلى المسجد فصلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فقيل له : لأي شيء هذا قال : إني رأيت سيد المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم هكذا يصنع وتلا هذه الآية فإذا قضيت الصلاة الخ

وأخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال : إذا انصرفت يوم الجمعة فاخرج إلى باب المسجد فساوم بالشيء وإن لم تشتره ونقل عنه القول بالندبية وهو الأقرب والأوفق بقوله تعالى : واذكروا الله كثيرا أي **ذكرا كثيرا** ولا تخصوا ذكره عز و جل بالصلاة لعلكم فلحون

١٠

- كي تفوزوا بخير الدارين ومما ذكرنا يعلم ضعف الأستدلال بما هنا على أن الأمر الوارد بعد الحظرللأباحة واستدل بالآية على تقديم الخطبة على الصلاة وكذا على عدم ندب صلاة سنتها البعدية في المسجد ولا دلالة فيها على نفي سنة بعدية لها وظاهر كلام بعض الأجلة أن من الناس من نفى أن للجمعة سنة مطلقا فيحتمل على بعد أن يكون استشعر نفي السنة البعدية من ألأمر بالأنتشار وابتغاء الفضل وأمانفي القبلية فقد استند فيه إلى ما روي في الصحيح وقد تقدم من أن النداء كان على عهده عليه الصلاة الصلاة والسلام إذا جلس على المنبر إذ من المعلوم أنه عليه الصلاة و السلام غذ كمل الأذان أخذ في الخطبة وإذا أتمها أخذ في الصلاة فمت كانوا يصلون السنة وأجيب عن هذا بأن خروجه عليه الصلاة و السلام كان بعد الزوال بالضرورة فيجوز كونه بعد ما كان يصلي الأربع ويجب الحكم بوقوع الحكم بهذا المجوز لعموم ما صح من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان يصلي إذا زالت الشمس أربعا وكذا يجب في حقهم لأنهم أيضا يعلمون الزوال

(١) روح المعاني، ٨٤/٢٢

كالمؤذن بل ربما يعلمونه بدخول الوقت ليؤذن واستدل بقوله تعالى : إذا نودي الخ من قال : إنما يجي إتيان الجمعة من مكان يسمع فيه النداء والمسألة خلافية فقال ابن عمر وأبو هريرة ويونس والزهري : يجب إتيانها من ستةأميال وقيل : من خمسة وقال ربيعة : من أربعة وروي ذلك عن الزهري وابن المنكدر

وقال مالك والليث : من ثلاثة وفي بحر أبي حيان وقال أبو حنيفة وأصحابه : يجب الإتيان على من في المصر سمع النداء أو لم يسمع لا على من هو خارج المصر وإن سمع النداء وعن ابن عمر وابن المسيب والزهري وأحمد وإسحاق على من سمع النداء وعن ربيعة على من إذا سمع وخرج من بيته ما شيا أدرك الصلاة وكذا استدل بذلك من قالبوجوب الإتيان إليها سواء كان إذن عام أم لا وسواء أقامها سلطان أو نائبه أو غيرهما أم لا لأنه تعالى إنما رتب وجوب السعي على النداء مطلقا كذا قيل وتحقيق الكلام على ذلك كله في كتب الفروع المطولة

وإذا رأواتجارة أو لهوا انفضوا إليها أخرج الإمام أحمد والبخاري ومسلم والرمذي وجماعة عن جابر بن عبد الله قال : بينما النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قائماإذ قدمت عير المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حتى لم يبق منهم إلا اثنا عشر رجلا أنا فيهم وأبو بكر وعمر فأنزل الله تعالى وإذا رأوا تجارة إلى آخر السورة وفي رواية ابن مردويه عن ابن عباس أنه بقي في المسجد اثنا عشر رجلا وسبع نسوة فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : لو خرجوا كلهم لاضطرم المسجد عليهم نارا وفي رواية عن قتادة والذي نفس محمد بيده لو اتبع آخركم ." (١)

" أحدهما يرجو ما عنده من الثواب والنعيم قاله ابن عباس والثاني يخشى الله ويخشى البعث قاله مقاتل

قوله تعالى وذكر الله كثيرا أي **ذكرا كثيرا** لأن ذاكر الله متبع لأوامره بخلاف الغافل عنه

ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وفي ذلك الوعد قولان

أحدهما أنه قوله ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية البقرة فلما عاينوا البلاء يومئذ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله قاله ابن عباس وقتادة في آخرين

والثاني ان رسول الله ص وعدهم النصر والظهور على مدائن كسرى وقصور الحيرة ذكره الماوردي وغيره

قوله تعالى وما زادهم يعني ما رأوه إلا إيمانا بوعد الله وتسليما لأمره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم ." (٢)

" يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما

---

(١) روح المعاني، ١٠٤/٢٨

(٢) زاد المسير، ٣٦٨/٦

قوله تعالى اذكروا الله **ذكرا كثيرا** قال مجاهد هو أن لا ينساه أبدا وقال ابن السائب يقال **ذكرا كثيرا** بالصلوات الخمس وقال مقاتل بن حيان هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال وقد روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال يقول ربكم أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه ." (١)

"وقد قرأ بالصاد أبي بن كعب ، وأبو الجوزاء ، وأبو عمران الجوني ، وابن أبي عبلة في آخرين وقال الزجاج : معنى : ﴿ سلقوكم ﴾ : خاطبوكم أشد مخاطبة وأبلغها في الغنيمة ، يقال : خطيب مسلاق : إذا كان بليغا في خطبته ﴿ أشحة على الخير ﴾ أي : خاطبوكم وهم أشحة على المال والغنيمة . قال قتادة : إذا كان وقت قسمة الغنيمة ، بسطوا ألسنتهم فيكم ، يقولون : أعطونا فلستم أحق بها منا؛ فأما عند الباس ، فأجبن قوم وأخذله للحق ، وأما عند الغنيمة ، فأشح قوم .

وفي المراد بالخير هاهنا ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه الغنيمة .

والثاني : على المال أن ينفقوه في سبيل الله تعالى .

والثالث : على رسول الله A بظفره . قوله تعالى : ﴿ أولئك لم يؤمنوا ﴾ أي : هم وإن أظهروا الإيمان فليسوا بمؤمنين ، لنفاقهم ﴿ فأحبط الله أعمالهم ﴾ قال مقاتل : أبطل جهادهم ، لأنه لم يكن في إيمان ﴿ وكان ذلك ﴾ الإحباط ﴿ على الله يسيرا ﴾ .

ثم أخبر عنهم بما يدل على جبنهم ، فقال : ﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ﴾ أي : يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجبنهم أن الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا ، ﴿ وإن يأت الأحزاب ﴾ [أي] : يرجعوا إليهم كرة ثانية للقتال ﴿ يودوا لو أنهم بادون في الأعراب ﴾ أي : يتمنوا لو كانوا في بادية الأعراب من خوفهم ، ﴿ يسألون عن أنبائكم ﴾ أي : ودوا لو أنهم بالبعد منكم يسألون عن أخباركم ، فيقولون : ما فعل محمد وأصحابه ، ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة ، فرقا وجبنا؛ وقيل : بل يسألون شماتة بالمسلمين وفرحا بنكباتهم ﴿ ولو كانوا فيكم ﴾ أي : لو كانوا يشهدون القتال معكم ﴿ ما قاتلوا إلا قليلا ﴾ فيه قولان .

أحدهما : إلا رميا بالحجارة ، قاله ابن السائب .

والثاني : إلا رياء من غير احتساب ، قاله مقاتل .

ثم عاب من تخلف بالمدينة بقوله : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ أي : قدوة صالحة . والمعنى : لقد كان لكم به اقتداء لو اقتديتم به في الصبر [معه] كما صبر يوم أحد حتى كسرت رباعيته وشج جبينه وقتل عمه ، وآساكم مع ذلك بنفسه .

وقرأ عاصم : ﴿ أسوة ﴾ بضم الألف؛ والباقون بكسر الألف؛ وهما لغتان . قال الفراء : أهل الحجاز وأسد يقولون : ﴿ إسوة ﴾ بالكسر ، وتميم وبعض قيس يقولون : ﴿ أسوة ﴾ بالضم . وخص الله تعالى بهذه الأسوة المؤمنين ، فقال : ﴿ لمن

---

(١) زاد المسير، ٦/٣٩٦

كان يرجو الهل واليوم الآخر ﴾ والمعنى أن الأسوة برسول الله إنما كانت لمن كان يرجو الله ﴿ واليوم الآخر ﴾ ؛ وفيه قولان .

أحدهما : يرجو ما عنده من الثواب والنعيم ، قاله ابن عباس .

والثاني : يخشى الله ويخشى البعث ، قاله مقاتل .

قوله تعالى : ﴿ وذكر الله كثيرا ﴾ أي : ذكرا كثيرا ، لأن ذاكر الله متبع لأوامره ، بخلاف الغافل عنه .

ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب ، فقال : ﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ﴾ وفي ذلك الوعد قولان .

أحدهما : أنه قوله : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم . . . ﴾ الآية : [البقرة : ٢١٤] فلما عاينوا البلاء يومئذ قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله ، قاله ابن عباس ، وقتادة في آخرين .

والثاني : أن رسول الله A وعدهم النصر والظهور على مدائن كسرى وقصور الحيرة ، ذكره الماوردي وغيره .

قوله تعالى : ﴿ وما زادهم ﴾ يعني ما رأوه ﴿ إلا إيمانا ﴾ بوعد الله ﴿ وتسليما ﴾ لأمره .." (١)

"قوله تعالى : ﴿ اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ قال مجاهد : هو أن لا ينساه أبدا . وقال ابن السائب : يقال : ﴿ ذكرا كثيرا ﴾ بالصلوات الخمس . وقال مقاتل بن حيان : هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال : وقد روى أبو هريرة عن رسول الله A أنه قال : " يقول ربكم : أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه "

قوله تعالى : ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ قال أبو عبيدة : الأصيل : ما بين العصر إلى الليل . وللمفسرين في هذا التسبيح قولان .

أحدهما : أنه الصلاة ، واتفق أرباب هذا القول على أن المراد بالتسبيح بكرة : صلاة الفجر .

واختلفوا في صلاة الأصيل على ثلاثة أقوال .

أحدها : أنها صلاة العصر ، قاله أبو العالية ، وقتادة .

والثاني : أنها الظهر والعصر والمغرب والعشاء . قاله ابن السائب .

والثالث : أنها الظهر والعصر ، قاله مقاتل .

والقول الثاني : أنه التسبيح باللسان ، وهو قول : «سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله» ، قاله مجاهد .

قوله تعالى : ﴿ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ﴾ في صلاة الله علينا خمسة أقوال .

أحدها : أنها رحمته ، قاله الحسن .

والثاني : مغفرته ، قاله سعيد بن جبير .

والثالث : ثناؤه ، قاله أبو العالية .

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ١٢٨/٥

والرابع : كرامته ، قاله سفيان .

والخامس : بركته ، قاله أبو عبيدة .

وفي صلاة الملائكة قولان .

أحدهما : أنها دعاؤهم ، قاله أبو العالية .

والثاني : استغفارهم ، قاله مقاتل .

وفي الظلمات والنور هاهنا ثلاثة أقوال .

أحدها : الضلالة والهدى ، قاله ابن زيد .

والثاني : الإيمان والكفر ، قاله مقاتل .

والثالث : الجنة والنار ، حكاه الماوردي .

قوله تعالى : ﴿ تحيتهم ﴾ الهاء والميم كناية عن المؤمنين .

فأما الهاء في قوله ﴿ يلقونه ﴾ ففيها قولان .

أحدهما : أنها ترجع إلى الله D . ثم فيه ثلاثة أقوال .

أحدها : أن معناه : تحيتهم من الله يوم يلقونه سلام . وروى صهيب عن النبي A أن الله يسلم على أهل الجنة . والثاني : تحيتهم من الملائكة يوم يلقون الله : سلام ، قاله مقاتل . وقال أبو حمزة الثمالي : تسلم عليهم الملائكة يوم القيامة ، وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم . والثالث : تحيتهم بينهم يوم يلقون ربهم : سلام ، وهو أن يحيي بعضهم بعضا بالسلام ، ذكره أبو سليمان الدمشقي .

والقول الثاني : أن الهاء ترجع إلى ملك الموت ، وقد سبق ذكره في ذكر الملائكة . قال ابن مسعود : إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال له : ربك يقرئك السلام . وقال البراء بن عازب : في قوله : ﴿ تحيتهم يوم يلقونه ﴾ قال : ملك الموت ، ليس مؤمن يقبض روحه إلا سلم عليه . فأما الأجر الكريم ، فهو الحسن في الجنة .." (١)

"ا "تفللميرسو رقا الاءنفا لطا"":"اأأ أا@

وإن ذكر الله إذا جهر به فى الميدان ازداد المؤمنون حماسة ، وألقى بالرعب فى قلوب المشركين ، وإن ذكر الله يجعلهم لا يشغلهم عن الله شاغل ، وتكون أجسامهم وقلوبهم لنصره ، و(كثيرا@ مفعول مطلق أى اذكروا الله **ذكرا كثيرا** بحيث لا تتوقفوا عن ذكره مهما تشتد الحرب ، وتلتحم السيوف وتتلاقى بالحتوف وقال تعالى : (لعلكم تفلحون @ أى راجين بثباتكم وذكر ربكم أن تفوزوا بالنصر ، فالرجاء من الناس لا من الله ؟ لأن الله تعالى يعلم الغيب فى السماء والأرض ، ويعلم ما كان وما يكون.

وإن طاعة القائد والاتحاد أولى دعائم النصر ، ولذا قال عز من قائل :

(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٥/١٤٠

ا لصا بر ين .

إن الله سبحانه وتعالى يأمر بطاعته ورسوله فى هذه الحرب التى أمر الله

تعالى فيها بالثبات وذكر الله كثيرا ، والأمر بطاعة الرسول فى الحرب أمر بطاعة القائد ؟ لأن الرسول ع(صلى الله عليه وسلم) فى الحروب التى قامت فى عهده كان هو القائد ، وطاعة القائد واجبة لأنه المنظم ، وإذا كان ذلك وواقعة أحد التى خولف فيها القائد فكانت القتلة فى المسلمين ، وإن لم يكن الانهزام كما تصور بعض الأقلام ، فيكون ذلك من الله تنبيها لما يقع ، وهو علام الغيوب ، وإن طاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى الحروب هو بكونه قائدا فيكون أمرا بطاعة القائد ، فإن طاعته إذا كان دربة مخلصا من أسبابلانتصار.

وطاعة الله هى لب الاستقامة ، وطهارة القلوب ، وهى التى تكون بها قوة الإيمان ، وقوة الإيمان دعامة الانتصار ، وهى قوة الجهاد ، ودعامة الصبر ، وتلك عناصر الجهاد الحق فى سبيل الله تعالى.

وذكر تعالى بعد الأمر بطاعته ورسوله – النهى عن التنازع ، والنهى عن التنازع يكون أولا بالنهى عن الخلاف ، فإن الخلاف يؤدى إلى النزاع ، والنزاع يؤدى إلى التنابذ والتدابر ، وأن يكون كل فريق جمعا منفصلا عن الآخر ، ويكون بأسهم." (١)

"معه أخوه هارون ، لأنه ليس لفرعون يد عليه ، أما موسى فقد رباه فرعون وعيره بذلك ، فقال : (... ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين @ " @ أ الشعراء ، وأنه وإن كان ذلك لا يمس مقام الرسالة فإن هرون ليس لفرعون عليه حق التربية الذى ادعاه فرعون. وإن هذا التآزر الذى دعا موسى ربه أن يجيبه ذكر نتيجته وأولى ثمراته ، وهو كثرة التسبيح لله تعالى وذكره ، أى نسبحك ونقدسك تقديسا كثيرا ونذكرك فى أنفسنا كثيرا ، إذ نكون قوة تجهر بتقديسك وذكرك ، ويكون معنا من بنى إسرائيل من يسبحك كثيرا ، ويذكرك **ذكرا كثيرا** ويشيع ذكرك فى أرض الفراعنة الذين استبد بهم فرعون فمنع كل الناس من أن يذكروا غير اسمه ، وإنك أنت علام الغيوب وأعلم بنا من أنفسنا ، ولذا قال عليه السلام : (إنك ممنت بنا بصيرا ، أى عالما علم من يبصر لا يخفى عليك شيء فى الأرض ولا فى السماء ، أجاب الله مطالب موسى الأربحة وقال تعالى : قال قد أوتيت سؤلك يا موسئ .

قال الله تعالى مخاطبا نبيه وكليمه : (قال قد أوتيت سؤلك يا موسى السؤل بمعنى المسئول ، كالخبز بمعنى المخبوز ، والاكل بمعنى الماكول ، و(أوتيت " @ معناه اعطيته ، وصار بين يدك ما طلبت ، وذلك فى نظرنا أبلغ من اجبت ؟ لأن الإجابة قد تكون بالقول ، ويتحقق مدلولها بعد ، إذ الإجابة لا تقتضى التحقق ، بل إنها ربما تكون بينها وبين التحقيق زمن ، والمجيب ليس بمخلفه ، وإنه بندائه سبحانه بالاسم تقريب وإدناء ، وإلقاء بالمودة التى لم يحرم منها كليم الله طول حياته ، ولئلا يقصى عليه أمر بنى إسرائيل أمده الله تعالى بكل أسباب الصلاخ ، ولكنهم كانوا قد مردوا على الذل ، ومرضت قلوبهم بالنفادتى كما رباهم فرعون على الخنوع الذليل ، ولم يجد فيهم من يجيئهم بالرشاد والموعظة الحسنة والولاية الهاديةلر شيدة.." (٢)

---

(١) زهرة التفاسير، ص/٣١٤٩

(٢) زهرة التفاسير، ص/٤٧٢١

"وهناك التكبير المطلق، وجملة ذكر الله، وتمجيده، وتعظيمه، وتسبيحه، وتهليله: (من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حين يصبح وحين يمسي لم يأت أحد بأفضل مما قال إلا رجل قال مثله أو زاد)، رواه مسلم في الصحيح.

الذي يعنينا أن ذكر الله جل وعلا في جملته منقبة عظيمة: (لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله)، فإذا كان جاء في الحديث : (وهل يكب الناس في وجوههم، أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم!) ، فكذلك من أعظم ما يدخلك الله به الجنة ذكر الله، وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الأنفال :٤٥]، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا - وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا [الأحزاب:٤١-٤٢] ، بل إن الشعائر كلها ما أقيمت إلا لذكر الله. وهذه الأيام المعدودة أيام التشريق قال عنها - صلى الله عليه وسلم - : (أيام أكل وشرب وذكر لله)، فينتفي فيها الصيام لغير الحاج، وحتى للحاج إلا من لم يسق الهدي - أو تعبير أوضح: من لم يجد الهدي - فانتقل إلى الصيام فهذا يجوز له أن يصوم أيام التشريق.

والمسلم عبد أينما حل وارتحل، فأكله وطعامه وشرابه والإكثار منها في هذه الأيام دين، وعبادة، وملة، وقربة. فالله جل وعلا يحب أن يرى أثر النعم، يجب أن نتعبده بما شرعه لنا، وشرع الله جل وعلا أكمل الشرائع، فلا يتقدم إنسان بين يدي الله ورسوله. فمن كان عليه صيام شهرين متتابعين، فنفرض أنه صام من أول ذي القعدة ثم استمر في الصيام إلى ذي الحجة فلا يصوم يوم النحر ولا أيام التشريق، بل يقطعها، ثم يكمل ولا يعتبر قطعه هذا قطعاً للشهرين المتتابعين؛ لأن القطع هنا قطع شرعي بنص شرعي، ولا يجوز صوم يوم العيد اتفاقاً ولا صوم أيام التشريق عند جمهور العلماء.

تشريع الهدي والأضاحي لذكر الله." (١)

"التحريض على أعمال البر

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: فيقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ [النساء:٧٤].

قوله تعالى: ﴿ فليقاتل في سبيل الله ﴾ [النساء:٧٤] تحريض على القتال في سبيل الله، والتحريض على أعمال البر ورد في جملة من الآيات والأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: فجاء التحريض على الصدقة في قوله تعالى: ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم ﴾ [الحديد:١١] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فمن استطاع أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل).

وجاء التحريض على الصلاة في قوله تعالى: ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ [الإسراء:٧٩]، وفي قوله تعالى: ﴿ يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا ﴾ [المزمل:١-٢]، وفي السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا إله إلا الله! من يوقظ صواحب الحجرات كي يصلين)، وقال عليه الصلاة والسلام: (رحم الله امرأ قام

---

(١) سلسلة آيات الحج في القرآن الكريم، ص/٨١

من الليل يصلي فأيقظ أهله، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل تصلي فأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء) .

وجاء التحريض على الذكر في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢]، وفي السنة يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (سبق المفردون، قيل: وما المفردون يا رسول الله؟! قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) .

فالتحريض على أعمال البر ورد في مواطن كثيرة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن أعمال البر: قتال أعداء الله من الكفار، قال تعالى محرضا نبيه على ذلك: ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ﴾ [النساء:٨٤] ، وهذه الآية تحريض عام للمؤمنين .." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ولا تطع كل حلاف مهين)

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: فيقول الله سبحانه: ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾ [القلم:١٠-١٥].

قوله تعالى: ﴿ ولا تطع كل حلاف ﴾ [القلم:١٠] الحلاف: هو كثير الحلف، فهل يستفاد من الآية أن كثرة الحلف مذموم، أو لا يستفاد ذلك منها؟ من العلماء من قال: إن كثرة الحلف مذموم لهذه الآية الكريمة: ﴿ ولا تطع كل حلاف ﴾ [القلم:١٠] ولقوله تعالى: ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ [المائدة:٨٩] ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يكثر من الأيمان، ولأن من حام حول الحمى يوشك أن يواقعه، فإذا أكثر الشخص من الحلف أوشك أن يقع في الحلف على الحرام، أو الحلف المحرم، أو الحلف كاذبا، أو الوقوع فيما حلف عليه وينسى -لكثرة أيمانه- فلا يكفر وأيضا: لأن الله سبحانه وتعالى وصف أهل النفاق أنهم يكثرون من الأيمان كي يصرفوا الناس عنهم، قال تعالى: ﴿ اتخذوا أيمانهم جنة ﴾ [المجادلة:١٦] أي: وقاية يتقون بها أقوال الناس فيهم وأحكام الناس فيهم، فهذه حجج من قالوا بكراهة ذلك بأن كثرة الحلف مذموم.

ومن أهل العلم من قال: إن كثرة الحلف لا بأس به إذا كان الشخص يحلف بحق، ويحلف على حق؛ وذلك لأن الحلف بالله فيه ذكر لله سبحانه، فالذي يقسم بالله يذكر الله أثناء القسم، قالوا: وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ [الأحزاب:٤١] .

قالوا: وأيضا قد أقسم النبي صلى الله عليه وسلم جملة أيمان دون أن يطلب منه القسم، ففي قصة العسيف -أي: الأجير- الذي كان مستأجرا عند رجل فزنى بامرأته: أتى أبوه وأتى زوج المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كي يقضي بينهم، قال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده! لأقضين بينكما بكتاب الله عز وجل) ، دون أن يطلب منه هذا القسم.

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ١٤/٢

وأيضا لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه أسامة بن زيد يستشفع في المرأة المخزومية التي سرقت، قال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفس محمد بيده! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) ، دون أن يطلب منه أيضا القسم.

فهذه حجج من قالوا بعدم الكراهية إذا كان الشخص محقا في قسمه، وحجج الذين قالوا بكراهية الإكثار من القسم لغير حاجة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

لكن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ ولا تطع كل حلاف مهين ﴾ [القلم:١٠] على ذم الإكثار من الحلف لا يتم؛ لأنها لم تنفرد بالحكم، وإنما أردفت بصفات أخرى.

(مهين) المهين: هو الحقير، والكذاب أيضا، فالحلاف المذموم في هذه الآية هو الحلاف المهين.." [١]

"حكم قراءة ومس القرآن من الحائض

Q هل يحل للمرأة الحائض قراءة القرآن ومسه؟

A الحديث الوارد في منع الحائض من قراءة القرآن حديث ضعيف، فحديث: (إني لا أحل المسجد لجنب ولا لحائض) حديث ضعيف من رواية جسرة بنت دجاجة وهي مجهولة، أيضا في الباب حديث علي رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأنا القرآن لا يحجبه شيء إلا الجنابة) وهو حديث أيضا ضعيف، إذا ما هو المانع من أن تقرأ الحائض القرآن، لم يسلم مانع -إلى الآن- من الكلام فيه، فكيف إذا عارض ما صح من قول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه).

وتقدم أن غير المتوضأ يقرأ القرآن أيضا من حديث ابن عباس في الصحيحين : (أن النبي صلى الله عليه وسلم قام من الليل يصلي فمسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات الأواخر من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ) ففي الحديث أنه قرأ عشر آيات قبل أن يتوضأ صلى الله عليه وسلم، فلا يسلم دليل لمنع الحائض من قراءة القرآن.

لكن قد ورد حديث: (إني كرهت أن أذكر الله على غير طهارة) ويجمع بينه وبين حديث عائشة : (كان رسول الله يذكر الله على كل أحيانه) وبين حديث ابن عباس : (أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ عشر آيات قبل أن يتوضأ)، وقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ [الأحزاب:٤١] (وعند الجماع يقول: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ويجامع أهله) فهل يكره للحائض أن تقرأ القرآن قياسا للحائض على الجنب، فالجنب كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (إني كرهت أن أذكر الله على غير طهارة) يكره له قراءة القرآن، أقول: إن قياس الحائض على الجنب قياس لا يصح؛ لأن كراهية ذكر الله لغير الطاهر -المحدث حدثا أصغر أو أكبر- تحمله على المبادرة إلى الاغتسال، وهذا مطلب ومقصد شرعي، لكن ماذا عسانا أن نجني من منع الحائض من القراءة؟ بل لم يقدم

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٢/٧١

منعنا لها موعد الطهر، ولم يؤخر موعد الطهر إذا نبقى على الأصل ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ [الأحزاب:٤١] والقرآن ذكر.

بقيت مسألة المس: والمعول عليه في المسألة كتاب ربنا وما صح من سنة نبينا صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن المسألة لم ينعقد عليها إجماع، فمادام لم ينعقد على المسألة إجماع، إذا أتخير القول الذي وافق الدليل الصحيح، فنقول: ما هو المانع من مس المصحف للمرأة الحائض؟ يستدل المستدل بقوله تعالى: ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ [الواقعة:٧٩] فالإجابة على هذا أن عليك أيها القارئ أن تقرأ الآيات السابقة واللاحقة حتى تفهم المراد وتعرف إلى من يعود الضمير في قوله: (لا يمسه): ﴿ إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٨] الكتاب المكنون المحفوظ ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ [الواقعة:٧٩] وجمهور المفسرين على أن المقصود بالمطهرين في الآية الملائكة، وأن المقصود بالكتاب المكنون أي: المحفوظ عند الله سبحانه وتعالى.

وأما حديث (لا يمس القرآن إلا طاهر) فكل طرقة تالفه ضعيفة لا يستدل به، من تتبعي أستطيع الآن أن أقول إن جمهور أهل الحديث على تضعيفه.

ثم إن من العلماء من حسنه وحمله في حالة تحسينه على أن المراد بالطاهر المؤمن لحديث: (إن المؤمن لا ينجس) ولأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار.

إذا ما هو المانع للحائض من مس وقراءة المصحف.

ومن المعلوم أن الفقهاء لا يدققون في مسألة ثبوت الحديث وصحته، بل يبنون الحكم بدون التدقيق على هذه الجزئية، وقد يأتي الحكم بسبب ذلك مخالفا للحق.

مثلا قد يبنى على جزئية ما الحكم بشيء، وهي جزئية صغيرة تكون في الحديث، لكن ينبني عليها حكم بإثبات أو نفي، بل حتى أهل الحديث قليل منهم الذي يركز على هذه الجزئيات الصغيرة، وكمثال في حديث جلسة الاستراحة الذي هو من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، في وصفه لصلاة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد جاء من طريق عبد الله بن نمير في البخاري يقول: (إذا قمت إلى الصلاة فقم حتى تطمئن قائما ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم اعتدل حتى تطمئن قائما ثم اسجد حتى).

الشاهد: أن الحديث فيه بعد القيام من الركوع: (ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم قم حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا) بعد السجدة الأخيرة جاء الخلاف بين الرواة فراو قال: (ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ثم قم) هذه الزيادة مروية من طريق عبد الله بن نمير عن عبيد الله ، وفي رواية أبي أسامة حماد بن أسامة لم يذكر زيادة الجلوس الأخيرة (ثم اجلس حتى تطمئن جالسا) بل قال: (ثم قم) .

البخاري أخرج الحديث من طريق عبد الله بن نمير في موطن وفي موطن آخر أخرجه وبعد أن أخرجه نبه على كلام أبي أسامة وقال: لم يذكر حماد بن أسامة (ثم اجلس حتى تطمئن جالسا)، فالحافظ ابن حجر يقول: إن البخاري يومئ إلى تضعيف هذه الزيادة الأخيرة (ثم اجلس حتى تطمئن جالسا) التي هي من رواية عبد الله بن نمير ، ومن المعلوم أن شيخ ابن

نمير و أبي أسامة واحد وهو عبيد الله فالحديث من طريق واحد وجاء يحيى بن سعيد القطان ورواه أيضا عن عبيد الله ليس فيه هذه الجلسة، وجاء أيضا -على ما يحضرني- أنس بن عياض أبو ضمرة وغيره ورووا الحديث ولم يذكروا هذه الجلسة.

فالفقيه لا يدقق في هذه الزيادات، بل قليل من أهل الحديث من يدقق فيها.

فالدقائق الصغيرة مثل هذه التي ينبني عليها حكم تحتاج إلى بحث دقيق جدا، لأنها سيرتب على صحتها أو عدم صحتها الحكم الشرعي بالنسبة لجلسة الاستراحة، وإن كان هناك أدلة أخر في الباب، لكن أصل الاستدلال على جلسة الاستراحة هو حديث أبي حميد الساعدي .

مداخلة: بالنسبة لمس وقراءة القرآن للحائض هل ورد عن نساء النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك شيء؟ الشيخ: بالنسبة للفعل قد يكون ورد عن بعض أزواج النبي عليه الصلاة والسلام أو عن بعض أمهات المؤمنين أنهن قرأن بلا حرج.

الخلاصة أنه لم يحدث في المسألة كما أسلفنا إجماع، ولم يرد شيء يمنع المرأة الحائض من مس وقراءة القرآن من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالمسألة اجتهادية، واجتهادنا الذي نراه حقا أنه لا بأس للمرأة الحائض أن تقرأ القرآن أو تمس المصحف، والجنب فقط هو الذي يكره له قراءة القرآن، لحديث: (إني كرهت أن أذكر الله على غير طهارة).." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ﴾ [٢٠٥] .

﴿ واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ﴾ خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد عام ، أو المعنى : واذكر ربك أيها الإنسان ، والأول أظهر ، لأن ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من خصائصه ، فإنه مشروع لأمته .

وقد أوضح هذا آية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ والأمر بالذكر .

قال الزمخشري : هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك .

وقال بعض الزيدية : هذا الأمر يحتمل الوجوب ، إن فسر الذكر بالصلاة ، وإن أريد الدعاء أو الذكر باللسان ، فهو محمول على الإستحباب . قال : وبكل فسرت الآية .

ثم إنه تعالى ذكر آدابا لذكره :

الأول : أن يكون في نفسه ، لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص ، وأقرب إلى الإجابة ، وأبعد من الرياء .

الثاني : أن يكون على سبيل التضرع ، وهو التذلل والخضوع والإعتراف بالتقصير ، ليتحقق بذلة العبودية لعزة الربوبية .

الثالث : أن يكون على وجه الخيفة ، أي : الخوف والخشية من سلطان الربوبية ، وعظمة الألوهية ، من المؤاخذة على التقصير في العمل ، لتخشع النفس ، ويخضع القلب .

الرابع : أن يكون دون الجهر ، لأنه أقرب إلى حسن التفكر . قال ابن كثير : فلهذا يستحب أن لا يكون الذكر نداء ولا

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٢١/٨٢

جهرا بليغا .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : رفع الناس أصواتهم بالدعاء في بعض الأسفار ، فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : [١].

قال الإمام : المراد أن يقع الذكر متوسطا بني الجهر والمخافة كما قال تعالى : ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ﴾ .

الخامس : أن يكون باللسان لا بالقلب وحده ، وهو مستفاد من قوله : ﴿ ودون الجهر ﴾ لأن معناه : ومتكلما كلاما دون الجهر ، فيكون صفة لمعمول حال محذوفة معطوفا على

﴿ تضرعا ﴾ ، أو هو معطوف على : ﴿ في نفسك ﴾ أي : اذكره ذكرا في نفسك ، وذكرا بلسانك دون الجهر .

السادس : أن يكون بالغدو والآصال ، أي : في البكرة والعشي . فتدل الآية على مزية هذين الوقتين ، لأنهما وقت سكون ودعة وتعبد واجتهاد ، وما بينهما الغالب فيه الإنقطاع إلى أمر المعاش .

وقد روي أن عمل العبد يصعد أول النهار وآخره ، فطلب الذكر فيهما ، ليكون ابتداء عمله واختتامه بالذكر .

ثم نهى تعالى عن الغفلة عن ذكره بقوله : ﴿ ولا تكن من الغافلين ﴾ أي : من الذين يغفلون عن ذكر الله ، ويلهون عنه ، وفيه إشعار بطلب دوام ذكره تعالى ، واستحضار عظمته وجلاله وكبريائه ، بقدر الطاقة البشرية .

ثم ذكر تعالى ما يقوي دواعي الذكر ، وينهض الهمم إليه ، بمدح الملائكة الذي يسبحون الليل والنهار ، لا يفترون ، فقال :." [٢]

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار ﴾ [٤١]

.

﴿ قال ﴾ زكريا : ﴿ رب اجعل لي آية ﴾ أي : علامة أعرف بها حصول الحمل . وإنما سألها لكون العلوق أمرا خفيا لا يوقف عليه ، فأراد أن يعلمه الله به من أوله ليتلقى تلك النعمة بالشكر من أولها ، ولا يؤخره إلى أن يظهر ظهورا معتادا : ﴿ قال ﴾ الله تعالى : ﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ﴾ أي : أن لا تقدر على تكليمهم : ﴿ ثلاثة أيام إلا رمزا ﴾ أي : إشارة بيد أو رأس . وإنما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكره تعالى شكرا على ما أنعم به عليه . وقيل : كان ذلك عقوبة منه تعالى بسبب سؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه – حكاه القرطبي عن أكثر المفسرين – : ﴿ واذكر ربك كثيرا ﴾ أي : **ذكرا كثيرا** : ﴿ وسبح ﴾ أي : وسبحه : ﴿ بالعشي ﴾ وهو آخر النهار . ويقع العشي أيضا على ما بين الزوال والغروب : ﴿ والإبكار ﴾ وهو الغدوة ، أو من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس . قال السيوطي في " الإكليل " : في الآية

---

(١) يا أيها الناس ! اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إن الذي تدعونه سميع قريب ، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

الحث على ذكر الله تعالى وهو من شعب الإيمان . قال محمد بن كعب : لو رخص الله لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا ؛ لأنه منعه من الكلام وأمره بالذكر – أخرجه ابن أبي حاتم – .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ [٤١ – ٤٢] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ﴾ أي : بما هو أهله من صنوف التحميد والتمجيد : ﴿ **ذكرا كثيرا** ﴾ أي : يعم الأوقات والأحوال . قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة ، إلا جعل لها حدا معلوما ، ثم عذر أهلها في حال العذر ، غير الذكر ، فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه ، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله ، وأمرهم به في الأحوال كلها . فقال تعالى : ﴿ فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ [النساء : ١٠٣] ، وقال : ﴿ اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴾ ، أي : بالليل والنهار ، في البر والبحر ، وفي السفر والحضر ، والغنى والفقر ، والسقم والصحة ، والسر والعلانية ، وعلى كل حال : ﴿ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾ أي : في أول النهار وآخره ، ليسري أثر التسبيح فيهما بقية النهار والليل ؛ لأن ذكره وتسبيحه ، يفيدان تنوير القلوب وقت خلوها عن الأشغال .

قال الزمخشري : والتسبيح من جملة الذكر ، وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ، ليبين فضله على سائر الأذكار ، لأن معناه تنزيه ذاته ، عما لا يجوز من الصفات والأفعال ، ومثال فضله على غيره من الأذكار ، فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس المعاصي ، والطهر من أرجاس المآثم ، على سائر أوصافه ، من كثرة الصلاة والصيام ، والتوفر على الطاعات كلها . ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره ، تكثير الطاعات والإقبال على العبادات ؛ فإن كل طاعة وكل خير ، من جملة الذكر . ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا ؛ وهي الصلاة في جميع أوقاتها ؛ لفضل الصلاة على غيرها ، أو صلاة الفجر والعشاءين ؛ لأن أداءها أشق ومراعاتها أشد . وقوله تعالى :." (٢)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا * ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا * يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا ﴾ [٤٧ – ٤٩] .

﴿ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ﴾ أي : ثوابا عظيما وأجرا جزيلا : ﴿ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴾ أي : فيما يرجفون به ، ويعيبون من جاهليتهم وعوائدهم ، بإلانة الجانب في التبليغ ، والمسامحة في الإنذار والتمهل في الصدع بالحق : ﴿ ودع أذاهم ﴾ أي : إيصال الضرر إليهم ، مجازاة لفعلهم . بل اعف واصفح . أو معناه : دع ما يؤذونك به بسبب صدعك إياهم . فالمصدر مضاف إلى الفاعل على الأول ، وإلى المفعول على الثاني : ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ أي : موكولا إليه ، وكفيلا فيما وعدك من النصر ، ودحر ذوي الكفر .

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ﴾ أي : تزوجتموهن : ﴿ ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ أي : تجامعوهن : ﴿ فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ﴾ أي : تستوفون عددها من إحصاء أقراء ، ولا أشهر تحصونها عليهن : ﴿ فمتعوهن ﴾ أي : أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال : ﴿ وسرحوهن ﴾ أي : خلوا سبيلهن بإخراجهن من منازلكم ؛ إذ ليس لكم عليهن عدة : ﴿ سراحا جميلا ﴾ أي : من غير ضرار ولا منع حق .

تنبيه :

قال ابن كثير : هذه الآية الكريمة فيها أحكام كثيرة :

منها إطلاق النكاح على العقد وحده . وليس في القرآن آية أصرح في ذلك منه ، وقد اختلفوا في النكاح ؛ هل هو حقيقة في العقد وحده ، أو في الوطء ، أو فيهما ؟ على ثلاثة أقوال ، واستعمال القرآن ، إنما هو في العقد والوطء بعده ، إلا في هذه الآية ؛ فإنه استعمل في العقد وحده لقوله تعالى : ﴿ إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ﴾ .

وفيها دلالة لإباحة طلاق المرأة قبل الدخول بها ، وقوله تعالى : ﴿ المؤمنات ﴾ خرج مخرج الغالب ؛ إذ لا فرق في الحكم بين المؤمنة والكتابية في ذلك ، بالاتفاق .

وقد استدل ابن عباس رضي الله عنهما ، وابن المسيب والحسن البصري وزين العابدين ، وجماعة من السلف بهذه الآية ، على أن الطلاق لا يقع إلا إذا تقدمه نكاح ، لقوله تعالى : ﴿ إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ﴾ بعقب النكاح بالطلاق ، فدل على أنه لا يصح ولا يقع قبله . وهذا مذهب الشافعي وأحمد ، وطائفة كثيرة من السلف والخلف ، وأيده ما روي مرفوعا [1] رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه . وقال الترمذي : هذا حديث حسن ، وهو أحسن شيء روي في هذا الباب . وهكذا روى ابن ماجه عن علي والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : [2].

وقوله تعالى : ﴿ فما لكم عليهن من عدة تعتدونها ﴾ هذا أمر مجمع عليه بين العلماء ، أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها ، لا عدة عليها . فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت ، ولا يتسثنى من هذا إلا المتوفى زوجها ؛ فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا ، وإن لم يكن دخل بها ، بالإجماع أيضا .

وقوله تعالى : ﴿ فمتعوهن ﴾ المتعة ههنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى ، أو المتعة الخاصة إن لم يكن قد سمى لها . قال تعالى : ﴿ وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم ﴾ [البقرة : ٢٣٧] ، وقال عز وجل : ﴿ لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ﴾ [البقرة : ٢٣٦] .

وعن ابن عباس : إن كان سمى لها صداقا ، فليس لها إلا النصف ، وإن لم يكن سمى لها صداقا ، فأمتعها على قدر عسره ويسره ، وهو السراح الجميل . انتهى .

وعليه ، فالآية في المفوضية التي لم يسم لها . وقيل : الآية عامة . وعليه ، فقيل الأمر للوجوب ، وأنه يجب مع نصف المهر

---

(١) لا طلاق لابن آدم فيما لا يملك

(٢) لا طلاق قبل النكاح

المتعة أيضا . ومنهم من قال للاستحباب ، فيستحب أن يمتعها مع الصداق بشيء .

لطيفة :

قال الرازي : وجه تعلق الآية بما قبلها ، هو أن الله تعالى في هذه السورة ، ذكر مكارم الأخلاق ، وأدب نبيه على ما ذكرناه . لكن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه المرسل ، فكلما ذكر للنبي مكرمة ، وعلمه أدبا ، ذكر للمؤمنين ما يناسبه . فكما بدأ الله في تأديب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما يتعلق بجانب الله ، بقوله : ﴿ يا أيها النبي اتق الله ﴾ [الأحزاب : ١] ، وثنى بما يتعلق بجانب العامة بقوله : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ﴾ [الأحزاب : ٤٥] ، كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله ، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ [الأحزاب : ٤١] ، ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ﴾ ثم ، كما ثلث في تأديب النبي بجانب الأمة ، ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بجانب نبيهم ، فقال بعد هذا : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ، وبقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه ﴾ . انتهى .." (١)

"وأيأستهم من المقام، فقرروا الرحيل " ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا " . وكان تعقيب النبى صلى الله عليه وسلم على ما حدث " الحمد لله وحده صدق وعده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده " . وشعر المشركون بعد معركة الأحزاب أن المدينة لا تنال!! فلم يفكروا فى غزوها، واكتفوا من الغنيمة بالإياب. والنداء الثانى للمؤمنين فى هذه السورة "يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة وأصيلا" . وأرى أن هذا النداء للجماعة قبل أن يكون للأفراد. فالأمة الإسلامية صاحبة رسالة ص ـ٣٢٧." (٢)

" صفحة رقم ٣٦٢

(سياحة أمتي الصوم ، ورهبانية أمتي الجهاد) وكانت أمهات العبادات موقتة وهي الصلاة والزكاة والصوم والحج وغير موقتة وهي الذكر والجهاد وهو قتال أهل الحرب خلافا لما كان عند أهل الجاهلية من توقيته مكانا بغير الحرم وزمانا بغير الأشهر الحرم وكان القتال في الأشهر الحرم وفي الحرم في غاية المنع فكيف عند المسجد وكان سبحانه قد ذكر العبادات الموقتة أتبعها بغير الموقتة وهي الجهاد الذي هو حظيرة الموقتة الذي لا سلامة لها بدونه التفاتا إلى الظالمين بالمنع عن المسجد الحرام والإخراج منه فأمر بأن يفعل معهم مثل ما فعلوا من القتال والإخراج فعل الحكيم الذي يوصي بالشيء العظيم فهو يلقيه بالتدريج في أساليب البلاغة وأفانين البيان تشويقا إليه وتحريضا عليه بعد أن أشار لأهل هذا الدين أولا بأنه يخزي ظالميهم وثانيا بأن المقتول منهم حي يرزق وثالثا بمدحهم على الصبر في بواطن البأس بأنهم الذين صدقوا وأنهم المتقون فلما شوقهم إلى جهاد أهل البغي والعناد ألزمهم القتال بصيغة الأمر لتيسير باب الحج الذي افترضه وسبيله ممنوع بأهل الحرب فقال تعالى وقيل : إنها أول آية نزلت في القتال ، قاله الأصبهاني : (وقاتلوا في سبيل الله) أي الذي لا كفوء له إشعارا بذكره على سبيل الإطلاق بعد الموقت بالهلال إلى أنه غير موقت به .

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

(٢) نحو تفسير موضوعي، ٣٢١/١

قال الحرالي : من حيث إنه حظيرة على دين الإسلام المقيد بالمواقيت من حيث إن الإسلام عمل يقيده الوقت ، والدفع عنه أمر لا يقيده وقت بل أيان طرق الضر لبناء الإسلام دفع عنه كما هو حكم الدفع في الأمور الدينية ، فكانت الصلاة لمواقيت اليوم والليلة ، والصوم والحج لمواقيت الأهلة ، والزكاة لميقات الشمس ، والجهاد لمطلق الميقات حيث ما وقع من مكان وزمان ناظرا بوجه ما لما يقابله من عمود الإسلام الذي هو ذكر كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله على الدوام

٧٧ ( ) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ( ) ٧

[الأحزاب : ٤١]

٧٧ ( ) فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ( ) ٧

[التوبة : ٥] انتهى .

وقال) الذين يقاتلونكم) أي من." (١)

" صفحة رقم ١١١

ولما كان الخوف من الملك العدل إنما هو من حسابه كان التقدير : فيخافون حسابه ، أتبعه فوله : (وكفى بالله) أي المحيط بجميع صفات الكمال) حسيبا) أي مجازيا لكل أحد بما عمل وبالغا في حسابه الغاية القصوى ، وكافيا من أراد كفايته كل من أراده بسوء .

الأحزاب : (٤٠ - ٤٦) ما كان محمد. .. . . .

) ما كان محمد أبآ أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما يأيها النبي إنآ أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ( ))

ولما أفاد هذا كله أن الدعي ليس ابنا ، وكانوا قد قالوا لما تزوج زينب كما رواه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها : تزوج حليلة ابنه ، أخبر به سبحانه على وجه هو من أعلام النبوة وأعظم دلائل الرسالة فقال : (ما كان) أي بوجه من الوجوه مطلق كون) محمد) أي على كثرة نسائه وأولاده) أبا أحد من رجالكم (لا مجازا بالتبني ولا حقيقة بالولادة ، ليثبت بذلك أن تحرم عليه زوجة الابن ، ولم يقل : من بينكم ، وإن لم يكن له في ذلك الوقت وهو سنة خمس وما داناها - ابن ، ذكر لعلمه سبحانه أنه سيولد له ابنه إبراهيم عليه السلام ، ومع ما كان قبله من البنين الذين لم يبلغ أحد منهم الحلم - على جميعهم الصلاة والسلام .

ولما كان بين كونه (صلى الله عليه وسلم) أبا لأحد من الرجال حقيقة وبين كونه خاتما وبين كونه منافاة قال : (ولكن (كان في علم الله غيبا وشهادة أنه) رسول الله (الملك الأعظم الذي كل من سواه عبده ، فبينكم وبين رسوله من جهة مطلق الرسالة أبوة وبنوة مجازية ، أما من جهته فبالرأفة والرحمة والتربية والنصيحة من غير أن تحرم عليه تلك النبوة شيئا من

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٦٢/١

نسائكم وإلا لم يكن لمنصب النبوة مزية ، وأما من جهتكم فبوجوب التعظيم والتوفير والطاعة وحرمة الأزواج ، وأما كون الرسالة عن الله الذي لا أعظم منه فهو مقتض لأن يبلغ الناس عنه جميع ما أمره به ، وقد بلغكم قوله تعالى : (ادعوهم لآبائهم (ووظيفة الشريفة مقتضية لأن يكون أول مؤتمر بهذا الأمر ، فهو لا يدعو أحدا من رجالكم بعد هذا ابنه .." [١]

" صفحة رقم ١١٤

ذكر فصير رجلا) وكان الله) أي الذي له كل صفة كمال أزلا وأبدا) بكل شيء (من ذلك وغيره) عليما (فيعلم من يليق بالختم ومن يليق بالبدء ، قال الأستاذ ولي الدين الملوي في كتابه حصن النفوس في سؤال القبر : واختصاصه (صلى الله عليه وسلم) بالأحمدية والمحمدية علما أن الحمد لله رب العالمين ، وقد بين السهيلي هذا في سورة الحواريين من كتاب الإعلام – انتهى .

وقد بينت في سورة النحل أن مدار مادة على بلوغ الغاية وامتطاء النهاية .

ولما كان ما أثبته لنفسه سبحانه من إحاطة العلم مستلزما للإحاطة بأوصاف الكمال ، وكان قد وعد من توكل عليه بأن يكفيه كل مهم ، ودل على ذلك بقصة الأحزاب وغيرها وأمر بطاعة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وتقدم بالوصية التامة في تعظيمه إلى أن أنهى الأمر في إجلاله ، وكانت طاعة العبد لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) من كل وجه حتى يكون مسلوب الاختبار معه ، فيكون بذلك مسلما لا يحمل عليها إلا طاعة الله ، وكانت طاعة الله كذلك لا يحمل عليها إلا دوام ذكره ، قال بعد تأكيد زواجه (صلى الله عليه وسلم) لزينب رضي الله عنها بأنه هو سبحانه زوجه إياها لأنه قضى أن لا نبوة بينه وبين أحد من رجال أمته توجب حرمة زوج الولد : (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا ذلك بألسنتهم) اذكروا) أي تصديقا لدعواكم ذلك) الله (الذي هو أعظم من كل شيء) **ذكرا كثيرا**) أي بأن تعقدوا له سبحانه صفات الكمال وتثنوا عليه بها ألسنتكم ، فلا تنسوه في حال من الأحوال ليحملكم ذلك على تعظيم رسوله (صلى الله عليه وسلم) حق تعظيمه ، واعتقاد كماله في كل حال ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، لتحوزوا مغفرة وأجرا عظيما ، كما تقدم الوعد به .

ولما كان ثبوت النبوة بين وبين أحد من الرجال خارما لإحاطة العلم ، وجب تنزيهه سبحانه عن ذلك فقال : (وسبحوه) أي عن أن يكون شيء على خلاف ما أخبر به ، وعن كل صفة نقص بعد ما أثبتم به كل صفة للكمال) بكرة وأصيلا) أي في أول النهار وآخره أي دائما لأن هذين الوقتين إما للشغل الشاغل ابتداء أو انتهاء أو للراحة ، فوجوب الذكر فيهما وجوب له من غيرهما من باب الأولى ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه تعالى لم يجعل له أحدا لها حدا ينتهي إليه ، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/١١١

وهما أيضا مشهودان بالملائكة ودالان على الساعة : الثاني قربها بزوال الدنيا كلها ، والأول على البعث بعد الموت ، ويجوز أن يكون ذلك إشارة إلى صلاتي الصبح والعصر ، لأن المواظبة عليهما – لما أشير إليه من صعوبتهما بما يعتري." (١)

"قال الحرالي : من حيث إنه حظيرة على دين الإسلام المقيد بالمواقيت من حيث إن الإسلام عمل يقيده الوقت ، والدفع عنه أمر لا يقيده وقت بل أيان طرق الضر لبناء الإسلام دفع عنه كما هو حكم الدفع في الأمور الدينية ، فكانت الصلاة لمواقيت اليوم والليلة ، والصوم والحج لمواقيت الأهلة ، والزكاة لميقات الشمس ، والجهاد لمطلق الميقات حيث ما وقع من مكان وزمان ناظرا بوجه ما لما يقابله من عمود الإسلام الذي هو ذكر كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله على الدوام ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب : ٤١] ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [التوبة : ٥] انتهى.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٥٩

وقال ﴿الذين يقاتلونكم﴾ أي من شأنهم

٣٦٢

قتالكم لا من ليس شأنه ذلك كالصبيان ؛ وفيه إشعار بأن القتال عن سبب المقاتلة فهو مما يفعل عن سبب لا مما يفعل لوقت ، وصيغة المضارع لم يقصد بها إلا صدور الفعل من غير نظر إلى زمان مخصوص كما قالوه في أمثاله.

ولما كان الله سبحانه وتعالى قد أوجب العدل في كل شيء حتى في حق أعدائه قال : ﴿ولا تعتدوا﴾ فنظم ذلك ابتداء القتال لمن لم يبح له ابتداءه به إما بعهد أو بغير دعوة لمن لم يبلغه أمر الدين أو بغير ذلك من أنواع الخيانة والغدر وقتل النساء والصبيان والشيوخ الفانين الذين لا منعة فيهم ولا رأي لهم ، ودوام القتال لمن ألقى السلم بعد الابتداء به ، فحذف المتعلق اختصارا فأفاد زيادة المعنى وهو من غريب أفانين البلاغة وكأنه أفهم بصيغة الافتعال التقييد بالتعمد ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿إن الله﴾ أي لما له من صفات الكمال ﴿لا يحب المعتدين *﴾ مطلقا في هذا وغيره ، أي لا يفعل بهم من الخير فعل المحب.

". (٢)

"ذكر فصير رجلا ﴿وكان الله﴾ أي الذي له كل صفة كمال أزلا وأبدا ﴿بكل شيء﴾ من ذلك وغيره ﴿عليما﴾ فيعلم من يليق بالختم ومن يليق بالبدء ، قال الأستاذ ولي الدين الملوي في كتابه حصن النفوس في سؤال القبر : واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالأحمدية والمحمدية علما أن الحمد لله رب العالمين ، وقد بين السهيلي هذا في سورة الحواريين من كتاب الإعلام – انتهى.

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١١٤/٦

(٢) نظم الدرر . ، ٥١٠/١

وقد بينت في سورة النحل أن مدار مادة على بلوغ الغاية وامتطاء النهاية.

ولما كان ما أثبته لنفسه سبحانه من إحاطة العلم مستلزما للإحاطة بأوصاف الكمال ، وكان قد وعد من توكل عليه بأن يكفيه كل مهم ، ودل على ذلك بقصة الأحزاب وغيرها وأمر بطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم وتقدم بالوصية التامة في تعظيمه إلى أن أنهى الأمر في إجلاله ، وكانت طاعة العبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل وجه حتى يكون مسلوب الاختبار معه ، فيكون بذلك مسلما لا يحمل عليها إلا طاعة الله ، وكانت طاعة الله كذلك لا يحمل عليها إلا دوام ذكره ، قال بعد تأكيد زواجه صلى الله عليه وسلم لزينب رضي الله عنها بأنه هو سبحانه زوجه إياها لأنه قضى أن لا نبوة بينه وبين أحد من رجال أمته توجب حرمة زوج الولد : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي ادعوا ذلك بألسنتهم ﴿اذكروا﴾ أي تصديقا لدعواكم ذلك ﴿الله﴾ الذي هو أعظم من كل شيء ﴿**ذكرا كثيرا**﴾ أي بأن تعقدوا له سبحانه صفات الكمال وتثنوا عليه بها ألسنتكم ، فلا تنسوه في حال من الأحوال ليحملكم ذلك على تعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم حق تعظيمه ، واعتقاد كماله في كل حال ، وأنه لا ينطق عن الهوى ، لتحوزوا مغفرة وأجرا عظيما ، كما تقدم الوعد به.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١١١
". (١)

"تجويز بعثة رسول بعده – صلى الله عليه وسلم –؛ وسمى هذه الطائفة الخويزمندادية.

٤١ – ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾:
لما ورد الشيخ الفقيه أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني شارح "الجمل" الخونجي حضرة تونس، حضر يوما مجلس الشيخ ابن عبد السلام، فجرى بينهما بحث في المراد بالذكر في الآية هل اللساني أو القلبي؛ فرجح ابن عبد السلام كونه القلبي، بأن الضدين يجب اتحاد محلهما، والذكر ضده النسيان ومحله القلب؛ فعارضه الشريف بأن الذكر ضده الصمت ومحله اللسان. وقيل: أصل الكلام للشريف، وجوابه لابن عبد السلام.
وقد ذكر هذا البحث ناصر الدين بن المنير وابن العربي في "المسالك"، ثم إن ابن عبد السلام قرأ على الشريف "إشارات ابن." (٢)

"ج ١ ، ص : ١٢٤
فيه خوارق العادات عندها دعا زكريا ربه قال في مناجاته في جوف الليل رب هب لي من لدنك ذرية طيبة أي رب أعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ولدا مباركا تقيا صالحا كهبتك لحنة – العجوز العاقر – مريم إنك سميع الدعاء (٣٨) أي مجيب الدعاء فنادته الملائكة أي جبريل كما أخرجه ابن جرير عن السدي وهو قائم يصلي في المحراب أي في الموضع

---

(١) نظم الدرر . ، ٦/١٦٨

(٢) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، ٢/٤١٩

العالي الشريف في المسجد أن الله يبشرك بولد يسمى بيحيي .

قرأ ابن عامر وحمزة «إن» بكسر الهمزة. والباقون بالفتح مصدقا بكلمة من الله أي بعيسى ابن مريم. ومعنى كونه كلمة من الله كونه مخلوقا بلا أب.

قال ابن عباس : إن يحيي كان أكبر سنا من عيسى بستة أشهر ، وكان يحيي أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله ، ثم قتل يحيي قبل رفع عيسى بمدة يسيرة وسيدا أي رئيسا للمؤمنين في العلم والحلم والعبادة والورع. قال ابن عباس : أي حليما عن الجهل. وقال مجاهد : أي كريما على الله وحصورا أي مانعا من النساء للعفة والزهد لا للعجز ونبيا من الصالحين (٣٩) أي من المرسلين قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر أي قال زكريا لجبريل : يا سيدي من أين يكون لي ولد وقد أدركني كبر السن وامرأتي عاقر أي عقيم لا تلد؟. قال ابن عباس : كان زكريا يوم بشر بالولد ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته إيشاع بنت فاقوذ بنت تسعين وثمان قال أي جبريل : كذلك أي الأمر كما قلت لك من خلق ولد منكما وأنتما على حالكما من الكبر الله يفعل ما يشاء (٤٠) من الأفاعيل الخارقة للعادة

قال أي زكريا : رب اجعل لي آية أي علامة في حبل امرأتي.

قال أي الله تعالى : آيتك أي علامتك في حبل امرأتك ألا تكلم الناس أي أن لا تقدر على تكليمهم من غير خرس ثلاثة أيام متوالية بلياليها إلا رمزا أي إلا تحريكا بالشفتين والحاجبين والعينين واليدين واذكر ربك باللسان والقلب في مدة الحبسة عن كلام الدنيا مع الخلق شكر الله تعالى على هذه النعمة كثيرا أي **ذكرا كثيرا** على كل حال وسبح بالعشي والإبكار (٤١) أي صل عشيا وغدو كما كنت تصلي واذكر إذ قالت الملائكة أي جبريل لمريم مشافهة : يا مريم إن الله اصطفاك بتفرغك لعبادته وتخصيصك بأنواع اللطف والهداية ، والعصمة والكفاية في أمر المعيشة وسماع كلام جبريل شفاها وطهرك من المعصية ومسيس الرجال ومن الأفعال الذميمة ومن مقالة اليهود وتهمتهم. ويقال : أنجاك من القتل واصطفاك على نساء العالمين (٤٢) بولادة عيسى من غير أب ونطقه حال انفصاله من مريم حتى شهد ببراءتها عن التهمة.

روي أنه صلى الله عليه وسلم قال : «حسبك من نساء العالمين أربع : مريم ، وآسية امرأة فرعون ، وخديجة ، ." [1]

"ج ٢ ، ص : ٢٥٦

يكون تابعا له مثاله من كان يقصد مدينة ، فنزل بطريق تلك المدينة في قرية يصح منه في العرف أن يقول في جواب من يقول : لم جئت إلى هذه القرية؟ إني جئت إلى هذه القرية ، وإنما قصدت المدينة الفلانية ، وهذه وقعت في طريقي ، وإن كان قد جاءها ودخلها إذا عرفت هذا فإن الخير كله بقضاء ، وما في العالم من الضرر بقدر. ثم وصف الله تعالى الذين خلوا بقوله تعالى :

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه في تبليغ الرسالة ولا يخشون أحدا إلا الله أي الذين هم كانوا رسلا مثل محمد وكفى بالله حسيبا (٣٩) ، أي كافيا للمخاوف ، فينبغي أن لا يخشى غيره ، أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى. ما كان محمد أبا أحد من رجالكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجييد، ١/١٢٤

المصاهرة وغيرها ، فليس محمد أبا زيد ولكن رسول الله ، أي ولكن كان محمد رسولا لله والعامة على تخفيف «لكن» ، ونصب «رسول» على إضمار «كان».

وقرأ أبو عمرو وفي رواية بتشديدها على أن «رسول» اسمها ، والخبر محذوف ، أي ولكن رسول الله. هو وقرأ زيد بن علي ، وابن أبي عبلة بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء وخبره مقدر ، أي هو ، أو بالعكس ، أو ولكن هو رسول الله. وخاتم النبيين أي وكان آخرهم الذين ختموا به. وقرأ عاصم بفتح التاء. والباقون بكسرها ، أي فإن رسول الله كالأب للأمة في الشفقة من جانبه وفي التعظيم من طرفهم ، بل أقوى ، فإن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، والأب ليس كذلك ، ثم إن النبي الذي يكون بعده ، نبي إن ترك شيئا من النصيحة يستدركه من يأتي بعده وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته ، وأهدى لهم إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد وكان الله بكل شيء عليما (٤٠). ومن جملته الحكم الذي بينه لكم وكنتم منه في شك ، والحكمة في تزوجه صلى الله عليه وسلم بزوجة من تبناه إكمال شرعه ، وذلك أن قول النبي يفيد شرعا لكن إذا امتنع هو عنه يبقى في بعض النفوس نفرة ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم أحل أكل الضب ، ثم لما لم يأكله بقي في النفوس شيء ، ولما أكل لحم الجمل طاب أكله عندها مع أنه في بعض الملل لا يؤكل ، وكذلك الأرنب. يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله بما هو أهله من التهليل ، والتحميد باللسان والقلب ، **ذكرا كثيرا** (٤١) يعم الأوقات والأحوال أي بالليل والنهار ، والبر والبحر ، والصحة والسقم ، في السر والعلانية عند المعصية والطاعة. وسبحوه أي نزهوه عما لا يليق به. بكرة وأصيلا (٤٢).

وهذا إشارة إلى المداومة وذلك ، لأن مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط ، هو الذي يصلي عليكم وملائكته أي فالله تعالى وملائكته يعتنون بما فيه خيركم وصلاح أمركم ، فالله يهديكم برحمته والملائكة يستغفرون لكم ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، أي يخرجكم بذلك من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ، وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) أي وكان." [١]

"قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ يقول: ولذكر الله لعباده أكبر إذا ذكروه من ذكرهم إياه

(سورة الروم

** وَهُوَ الّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأعْلَىَ فِي السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

قوله ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني أيسر عليه

قوله ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس كقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾

(سورة لقمان

** وَلاَ تُصَعّرْ خَدّكَ لِلنّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً إِنّ اللهَ لاَ يُحِبّ كُلّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن مجيد، ٢/٢٥٦

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾ يقول لا تتكبر فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك

(سورة الأحزاب

** يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُواْ اذْكُرُواْ اللّهَ **ذِكْراً كَثِيراً** *

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿اذكروا الله **ذكراً كثيراً**﴾ إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على تركه، فقال: ﴿يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. وقال عز وجل: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته

** يَأَيّهَا الّذِينَ آمَنُوَاْ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمّ طَلّقْتُمُوهُنّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسّوهُنّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنّ مِنْ عِدّةٍ تَعْتَدّونَهَا فَمَتّعُوهُنّ وَسَرّحُوهُنّ سَرَاحاً جَمِيلاً." (١)

"وعن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذكروا الله **ذكرا كثيرا** حتى يقولوا مجنون أبي يعلى في مسنده ج٢/ص٥٢١ ح١٣٧٦." (٢)

"جاء في الأصل بعد هذه الجملة قال أبي ثنا روح قال ثنا ابن أبي ذئب عن المقبري عن إسحاق مولى عبد الله بن الحارث ولم يقل إذا أوى إلى فراشه (تخريجه) (د نس حب) (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا علي عياش ثنا حسان بن نوح عن عمرو بن قيس عن عبد الله بن بسر (بضم الموحدة وسكون المهملة) الخ (غريبة) يريد أن شعب الإسلام وخصاله الفاضلة الدالة على صدق إسلام فاعلها تعددت وبلغت حد الكثرة التي عجزنا عن العمل بجميعها وتحيرنا في اختيار الأفضل منها لجهلنا بذلك: فدلنا على باب جامع من الشرائع يكون عمله قليلا وأجره كثيرا نتمسك بع ونواظب عليه معناه داوم على الذكر باللسان والجنان في سائر الأحوال حتى أنه لا يزال لسانك رطبا الخ، وهذا يختلف بإختلاف الناس وأحوالهم وقوة إيمانهم وطاقتهم، وهو يفيد الحث على كثرة الذكر وعدم الغفلة عنه قال تعالى(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) الآية (تخريجه) (مذ جه ك حب ش) وحسنه الترمذي وصححه الحاكم وأقره الذهبي (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا زبان عن سهل بن معاذ الخ (غريبة) معناه أي المجاهدين أفضل كما يدل على ذلك سياق الحديث أي نعم، وقد استدل بهذا على أن أفضل عباد الله أكثرهم له ذكرا وأن كل عمل يصحبه الذكر يكون أفضل من غيره العاري عن الذكر (تخريجه) (د طب) وفيه ابن لهيعة وزبان (بفتح الزاي وتشديد الموحدة) ابن فايد كلام (سنده) حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا سريج ثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي

---

(١) صحيفة علي بن أبي طلحة (الوالبي) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ص/٩٠

(٢) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١٤٢٢٣/١

سعيد الخ (غريبة) أي حتى يقول الغافلون عن الذكر: أو حتى يقول الذين لا رغبة لهم في الذكر، أو المنافقون، ويدخل المنافقون في هذا دخولا أوليا، وقد استدل بهذا الحديث على جواز الجهر

-٢٠٤-@@@

بيان أن حلق الذكر رياض الجنة." [١]

"..

= وتنويهه بذكره، قال الربيع بن أنس: إن الله ذاكر من ذكره وزائد من شكره ومعذب من كفره. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْرًا كَثِيرًا**، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ وصلاة الله على عبده ثناؤه عليه بين ملائكته وتنويهه بذكره، كذا قال أبو العالية، ذكره البخاري في صحيحه، وقال رجل لأبي أمامة: رأيت في المنام كأن الملائكة تصلي عليك كلما دخلت وكلما خرجت وكلما قمت وكلما جلست، فقال أبو أمامة: وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة، ثم قرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْرًا كَثِيرًا**، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ خرجه الحاكم.

٧- "ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه":

معناه أن العمل هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة، كما قال: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾، فمن أبطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند الله لم يسرع به نسبه فيبلغه تلك الدرجات؛ فإن الله تعالى رتب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، وقد أمر الله تعالى بالمسارعة إلى مغفرته ورحمته بالأعمال، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾.

قال ابن مسعود: يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم زمرًا زمرًا، أوائلهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر المطر ثم كمر البهائم حتى يمر الرجل سعيًا حتى يمر الرجل مشيًا وحتى يمر آخرهم يتلبط على بطنه، فيقول: يا رب، لم أبطأت بي؟ فيقول: إني لم أبطئ بك إنما أبطأ بك عملك.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "حين أنزل عليه ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾: "يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئًا. يا بني عبد المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئًا. يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا. يا صفية -عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم- لا أغني عنك من الله شيئًا. يا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئًا". وفي رواية خارج الصحيحين: "إن أوليائي منكم

---

(١) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ٣٩٩/١

المتقون تأتي الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون: يامحمد يا محمد، فأقول: قد بلغت".

وخرج ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– قال: "إن أوليائي المتقون يوم القيامة، وإن كان نسب أقرب من نسب يأتي الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون: يا محمد يا محمد، فأقول: هكذا وهكذا فأعرض في كلا عطفيه".

وخرج البزار من حديث رفاعة بن رافع أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– قال لعمر: "اجمع لي قومك" يعني قريشًا، فجمعهم، فقال: "إن أوليائي منكم المتقون، فإن كنتم أولئك فذاك وإلا فانظروا، يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتوني بالأثقال فيعرض عنكم". وخرجه الحاكم مختصرًا وصححه.

وفي المسند عن معاذ بن جبل أن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– لما بعثه إلى اليمن خرج معه يوصيه، ثم التفت وأقبل بوجهه إلى المدينة فقال: "إن أولى الناس بي المتقون من كانوا حيث كانوا". وخرجه =." [١]

"النية في ذكر الله تعالى

لقد فضلنا الله تعالى على سائر المخلوقات بالكلام وجعل آلته اللسان وهي نغمة تستعمل في الخير أو الشر فمن استعملها بخير بلغته السعادة في الدنيا والمنازل العلى في الجنة ومن استعملها بغير ذلك أوردته المهالك في الدنيا والآخرة، وأفضل ما يستغل به الوقت بعد قراءة القرآن ذكر الله عز وجل.

– لماذا نذكر الله تعالى؟

* النية الأولى:

١ – طاعة لأمر الله تعالى قال عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ الأحزاب: ٤١.

٢ – اقتداء بالنبي – صلى الله عليه وسلم – فقد ((كان يذكر الله تعالى على كل أحيانه)) صحيح الجامع٢/ ٤٩٤٣.

* النية الثانية: للفوز بأجر الذكر:

١ – الذكر حياة للجسد قال – صلى الله عليه وسلم – ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت)) البخاري١١/ ١٧٥.

٢ – طمأنينة للقلب قال تعالى ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ الرعد: ٢٨.

٣ – منجي من عذاب الله تعالى قال – صلى الله عليه وسلم – ((ما عمل آدمي عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله)) صحيح الجامع٢/ ٥٦٤٤.

٤ – سبب للفلاح قال تعالى ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ الجمعة: ١٠.

٥ – يوجب مغفرة الذنوب قال تعالى ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ الأحزاب: ٣٥.

٦ – من أحب الأعمال إلى الله عز وجل، قال – صلى الله عليه وسلم – ((أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطبا من ذكر الله)) صحيح الجامع١/ ١٦٥.

---

(١) العمدة في مشيخة شهدة مكتبة الخانجي – الرقمية، ص/١٠٥

٧ – ينزل رضى الله تعالى على العبد قال تعالى ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾ طه: ١٣٠.

٨ – سبب لكسب أجر الصدقة قال – صلى الله عليه وسلم – ((كل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة)) صحيح مسلم: ٧٢٠.

٩ – من خير الأعمال قال – صلى الله عليه وسلم – ((ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ ذكر الله)) صحيح الجامع١/ ٢٦٢٩.

١٠ – يمحوا السيئات. قال – صلى الله عليه وسلم – ((ما جلس قوم يذكرون الله تعالى فيقومون حتى يقال لهم: قوموا قد غفر الله لكم ذنوبكم، وبدلت سيئاتكم حسنات)) صحيح الجامع٢/ ٥٦١٠.

١١ – يوجب ذكر الله تعالى ومعيته للذاكر؛ قال – صلى الله عليه وسلم – ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه)) البخاري١٣/ ٣٢٥، مسلم: ٢٦٧٥.

١٢ – من أفضل الأعمال، وأسبقها إلى الملك المتعال، قال – صلى الله عليه وسلم – ((ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم؟ تسبحون وتكبرون وتحمدون في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة)) صحيح الجامع١/ ٢٦٢٦. وقال – صلى الله عليه وسلم – ((."[1]

"السادسة والأربعون: أن الذكر أصل موالاة الله – عز وجل – والغفلة أصل معاداته، وأن العبد لا يزال يذكر ربه حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه.

السابعة والأربعون: أنه ما استجلبت نعم الله – تعالى – واستدفعت نقمةُ بمثل ذكره، فالذكر جلاَّب للنعم، دفَّاع للنقم؛ قال بعض السلف: ((ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن بِرّك)).

الثامنة والأربعون: الذكر يوجب صلاة الله – عز وجل – وملائكته على الذاكر، ومن صلى عليه الله وملائكته فقد أفلح، وفاز كل الفوز؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْرًا كَثِيرًا** * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ (١).

التاسعة والأربعون: أن من شاء أن يسكن رياض الجنة؛ فليستوطن مجالس الذكر؛ فإنها رياض الجنة.

الخمسون: أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس، إلا مجلس يذكر الله فيه، كما ورد في قوله: ((إن لله ملائكة يطوفون في الطُّرق، يلتمسون أهل الذكر)). الحديث (٢).

الحادية والخمسون: أن الله – عز وجل – يباهي ملائكته بالذاكرين؛

كما جاء عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: ((خرج معاوية على حلقة في

---

(١) أوقات مليئة بالحسنات مع النية الصالحة، سمية السيد عثمان ص/٦٦

(١) سورة الأحزاب، الآيتات: ٤١ – ٤٣.

(٢) رواه البخاري برقم (٦٤٠٨)، ومسلم برقم (٢٧٨٩). (م).." [١]

"فضل الذكر

((قال الله تَعَالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١))

يعني: اذكروني بالطاعة أذكركم بالمغفرة؛ فحق على الله أن يذكر من ذكره؛ فمن ذكره في طاعة ذكره الله بخير، ومن ذكره في معصية ذكره الله باللعنة وسوء الدار.

وقيل: اذكروني في الرخاء أذكركم في البلاء.

((﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ (٢)).

يعني: اذكروا الله باللسان، واذكروه في الأحوال كلها؛ لأن الإنسان لا يخلو إما أن يكون في الطاعة، أو في المعصية، أو في النعمة أو في الشدة؛ فإذا كان في الطاعة ينبغي أن يذكر الله – تعالى – ويقر بالإخلاص، ويسأله القبول والتوفيق؛ وإذا كان في المعصية، ينبغي أن يذكر الله – تعالى – ويسأله التوبة والمغفرة؛ وإذا كان في النعمة، يذكره بالشكر؛ وإذا كان في الشدة يذكره بالصبر.

وقيل: ((اذكروا الله))، أثنوا عليه بضروب الثناء، من التقديس والتمجيد والتهليل والتكبير، وما هو أهله، وأكثروا ذلك.

ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره: تكثير الإقبال على العبادة؛ فإن كل

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.." [٢]

"السادس: أنه سبحانه جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له.

السابع: الإخبار أنه أكبر من كل شيء.

الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة، كما كان مفتاحها.

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته، وأنهم أولو الألباب دون غيرهم.

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها، فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح.

فصل في تفصيل ذلك

١ – أما الأول: فكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْرًا كَثِيرًا** – وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً – هُوَ الَّذِي يُصَلِّي

(١) شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، مجدي بن عبد الوهاب الأحمد ص/١٧

(٢) شرح حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة، مجدي بن عبد الوهاب الأحمد ص/٤٣

عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

وفيه قولان: أحدهما: في سرك وقلبك. والثاني: بلسانك بحيث تسمع نفسك.

٢ – وأما النهي عن ضده: فكقوله: ﴿وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، وقوله: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩].

٣ – وأما تعليق الفلاح بالإكثار منه: كقوله: ﴿وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥، والجمعة: ١٠].

٤ – وأما الثناء على أهله، وحسن جزائهم: فكقوله: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ– إلى قوله – وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٥ – وأما خسران من لهى عنه، فكقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

٦ – وأما جعل ذكره لهم جزاء لذكرهم له، فكقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

٧ – وأما الإخبار عنه بأنه أكبر من كل شيء، فكقوله تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وفيها أربعة أقوال.." [١]

"وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون (٢٧)﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٣٨)﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون (٢٣)﴾ [التوبة: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون (٧٧)﴾ [الحج: ٧٧].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٧)﴾ [محمد: ٧].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦)﴾ [الحجرات: ٦].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون

---

(١) ففروا إلى الله – القلموني، أبو ذر القلموني ص/١٠٥

(١١)﴾ [الحجرات: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله." [١]

"مقابلة نعم الله بمثلها، وأنه لا يملك إلا الشكر مقابل النعم.

والأدب الواجب في حق المنعم أن المؤمن كلما استمتع بنعمة من نعم الله التي تغمره والتي يتقلب في أعطافها كل حين أن يذكر ربه حامدا له مثنيا عليه، ليبقى القلب موصولا بربه، ذاكرا عابدا خاشعا شاكرا في جميع أحواله.

وهذا الشعور كفيل باستبقاء القلب البشري في حالة يقظة تامة حساسة لا تغفل عن مراقبة الله، ولا تخمد ولا تتبلد بالركود والغفلة والنسيان، فمع كل نعمة ذكر للمنعم وثناء عليه: ﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون (١٢) لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (١٣) وإنا إلى ربنا لمنقلبون (١٤)﴾ [الزخرف: ١٢ - ١٤].

وهذا الكون مملوء بالنعم التي لا يحصيه أحد إلا الله، وكلها مسخرة للعباد، فينبغي لهم أن يملأوا جميع أوقاتهم بذكر المنعم، وحمده وشكره على نعمه: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣)﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣].

والله غفور رحيم، فمن لم تستقر حقيقة الإيمان في قلبه، ولم تشربها روحه، فإن كرم الله اقتضى أن يجزيهم على كل عمل صالح صدر منهم لا ينقص منه شيئا.

فهذا الإسلام الظاهر الذي لم يخالط القلب فيستحيل إيمانا حقيقيا.

هذا الإيمان يكفي لتحسب لهم أعمالهم الصالحة، فلا تضيع كما تضيع أعمال الكفار التي لم تبن على أساس، ولا ينقص من أجرها شيء ما بقوا على الطاعة والاستسلام كما قال سبحانه: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤)﴾ [الحجرات: ١٤].

ذلك أن الله جواد كريم .. غفور رحيم .. يقبل من العبد أول خطوة .. ويرضى منه." [٢]

"١٥ - فقه الذكر

قال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب (٢٨)﴾ [الرعد: ٢٨].

ذكر الله عز وجل هو قوت القلوب التي متى ما فارقها صارت الأجساد لها قبورا.

وفي كل جارحة من جوارح الإنسان عبودية مؤقتة كالصلاة والصيام والحج، والذكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة.

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٦٦٩/١

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٧٥١/١

والذكر جلاء القلوب وصقالها ودواؤها، وبه يزول الوقر عن الآذان، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار.

زين الله به ألسنة الذاكرين، كما زين بالنور أبصار الناظرين، فاللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصماء، واليد الشلاء.

والذكر هو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عباده ما لم يغلقه العبد بغفلته.

وبالذكر يصرع العبد الشيطان، وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه.

وقد أمر الله عز وجل بذكره، ونهى عن ضده من الغفلة والنسيان كما قال سبحانه: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين (٢٠٥)﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال سبحانه: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون (١٩)﴾ [الحشر: ١٩].

فالذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان، والفرق بين الغفلة والنسيان: أن الغفلة ترك باختيار الغافل، والنسيان ترك بغير اختياره، ولهذا قال سبحانه: ﴿ولا تكن." (١)

"شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم (٧)﴾ [غافر: ٧].

والله تبارك وتعالى خلق الخلق لعبادته وذكره، ومعرفته بأسمائه وصفاته، وأمرهم بذلك، فمن أطاع فهو من المفلحين، ومن عصى فهو من الخاسرين.

قال الله تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما (١٢)﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وذكر الله ليس باللسان فقط، إنما هو شعور بجلال الله ورقابته، والتأثر بهذا الشعور تأثرا ينتهي إلى الطاعة في حده الأدنى، وإلى رؤية الله وحده يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويعز ويذل، ويكرم ويهين، فمن وهبه الله هذا ذاق حلاوة الإيمان، وتلذذ بذكر ربه.

والشكر لله درجات تبدأ بالاعتراف بفضله، والحياء من معصيته، وتنتهي بالتجرد لشكره في كل حركة بدن، وفي كل لفظة لسان، وفي كل خفقة قلب، وفي كل خطرة جنان.

ومن قصر في الذكر والشكر انتهى به ذلك إلى الكفر والعياذ بالله.

ولقد ذكر المسلمون الأوائل ربهم وشكروه فذكرهم ورفع ذكرهم، ومكنهم من القيادة الراشدة، ثم نسوه فإذا هم همل ضائع، وذيل تافه، لا ذكر لهم في الأرض، ولا في الملأ الأعلى، ولا عند المولى، ومن ذكر الله ذكره، والوسيلة قائمة: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون (١٥٢)﴾ [البقرة: ١٥٢].

ولكي يؤثر ذكر الله في القلب لا بد عند الذكر من ثلاثة أشياء:

أحدها: فراغ القلب من كل شيء سوى الله، كما قال سبحانه: ﴿فإذا فرغت فانصب (٧) وإلى ربك فارغب (٨)﴾ [الشرح: ٧، ٨].

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٨٦٨/٢

الثاني: التبتل وهو الانقطاع إلى الله، والانفصال بالقلب عن الخلائق كما قال سبحانه: ﴿واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا (٨)﴾ [المزمل: ٨].." [(١)]

"الثالث: التدبر لما يقول، فإذا قال: سبحان الله، قال: يا الله أنت بريء من كل عيب، وأنا مليء بكل عيب، وإذا قال: الحمد لله، قال أنت العظيم الكريم فلك كل حمد، وأنا لا أستحق الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله، قال: أنت معبودي وإلهي وأنا لا أمشي على هواي، وإذا قال: الله أكبر قال: أنت الكبير الذي له الكبرياء في السموات والأرض، وكل ما سواك مخلوق صغير.

فبالتدبر يدخل كل هذا في القلب، ويؤثر فيه أعظم من تأثير الطعام في البدن، وبذلك يحصل على كمال الإيمان واليقين والتقوى.

فالعبادات والصلوات والأذكار كلها تذكر العبد بربه .. فيزيد إيمانه .. ويحرص على طاعته .. ويجتنب معصيته .. ويرجو رحمته .. ويخاف عذابه .. ويشكره على نعمه .. ويستحي أن يراه على معصيته.

ولذلك أمرنا الله بكثرة ذكره وتسبيحه في كل حين كما قال سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].." [(٢)]

"٨ - فقه الذكر والدعاء

قال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (٦٠)﴾ [غافر: ٦٠].

الذكر: هو أفضل العبادات، بل هو الغرض المقصود من العبادات كلها، فإنها ما شرعت إلا لتعين على ذكر الله عز وجل كما قال سبحانه: ﴿وأقم الصلاة لذكري (١٤)﴾ [طه: ١٤].

وقوله سبحانه: ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون (٤٥)﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وأنواع الذكر ثلاثة:

ذكر أسماء الله وصفاته، والثناء على الله بها، وتوحيده بها .. وذكر الأمر والنهي .. وذكر الآلاء والنعماء.

وقد وعد الله عز وجل بذكر من ذكره، ونسيان من ينساه كما قال سبحانه: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون (١٥٢)﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال سبحانه: ﴿نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون (٦٧)﴾ [التوبة: ٦٧].

وبين الله صفة الذكر بقوله سبحانه: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٨٧٨/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٨٧٩/٢

تكن من الغافلين (٢٠٥)﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وذكر الله عز وجل هو ثمرة المعرفة بالله والإيمان به، وقد أمرنا الله بذكره دائما حتى نطيعه ولا نعصيه، ونشكره ولا نكفره، ونحبه ونعظمه.

وطمأنينة القلب تحصل بذكر الله، فالذكر المستمر يملأ القلب إيمانا: ﴿الذين." [١]

"وحسنة الآخرة هي السلامة من العقوبات في القبر والموقف والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالجنة، والقرب من الرحمن ورؤيته.

وهذا الدعاء أجمع الدعاء وأكمله، ولهذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يكثر من الدعاء به والحث عليه بقوله: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار» متفق عليه (١).

وكل مطلوب للعبد يسأل بالمناسب له من أسماء الله وصفاته، فالعلم يسأل من العليم، والرزق من الرزاق، والعفو من العفو وهكذا.

ومن علم عبوديات الأسماء الحسنى والدعاء بها، وسر ارتباطها بالخلق والأمر، وبمطالب العبد وحاجاته عرف ذلك: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (١٨٠)﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وذكر الله عز وجل جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها إذا اعتلت، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عباده، ما لم يغلقه العبد بغفلته.

ودوام ذكر العبد لربه لما كان سببا لدوام المحبة، وكان الله أحق بكمال الحب والعبودية والتعظيم والإجلال كان كثرة ذكر الله من أنفع ما للعبد، وكان عدوه حقا هو الصاد له عن ذكر ربه وعبادته، ولهذا أمر الله سبحانه بكثرة ذكره في القرآن كما قال سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)﴾ [الأحزاب: ٤٢،٤١].

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – أكمل الخلق ذكرا لله عز وجل، فكان يذكر الله على كل أحيانه، بل كان كلامه كله في ذكر الله وما والاه، وكان أمره ونهيه ذكرا منه لله، وإخباره عن أسماء ربه وصفاته وأحكامه، وأفعاله، ووعده ووعيده ذكرا منه لربه، وثناؤه عليه بآلائه وتمجيده وحمده وتسبيحه ذكرا منه له، وسؤاله ودعاؤه إياه، ورغبته ورهبته ذكرا منه له، وسكوته وصمته ذكرا منه له بقلبه.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٦٣٨٩)، ومسلم برقم (٢٦٨٨).." [٢]

"إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: ((سحقاً سحقاً لمن غيّر بعدي)) (١)، وعن شقيق عن عبد الله – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((يا ربّ أصحابي أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)) (٢).

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٨٣٦/٣

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٨٦٢/٣

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم، وسيؤخذ ناسٌ من دوني فأقول: يا ربِّ مني ومن أمتي فيقال: هل شَعَرْت ما عملوا بعدك، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم))، فكان ابن أبي مليكة يقول: ((اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو أن نُفتن في ديننا)) (٣).

١٤ – المبتدع مُعْرِضٌ عن ذكر الله؛ لأن الله – عز وجل – شرع لنا أذكاراً ودعوات في كتابه، وعلى لسان رسوله محمد – صلى الله عليه وسلم –، فمنها ما هو مقيّد: كأذكار أدبار الصلوات، وأذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم والاستيقاظ منه، ومنها ما هو مُطلق لم يحدَّد بزمان ولا مكان، قال الله – عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله **ذِكْرًا كَثِيرًا** * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (٤)، فالمبتدعة معرضون عن هذه الأذكار: إما بانشغالهم ببدعهم وافتتانهم

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب في حوض النبي – صلى الله عليه وسلم –، ٧/ ٢٦٤، برقم ٦٥٨٣.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقائق، باب في حوض – صلى الله عليه وسلم –، ٧/ ٢٦٢، برقم ٦٥٧٥، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا – صلى الله عليه وسلم –، ٤/ ١٧٩٦، برقم ٢٢٩٧.

(٣) متفق عليه: البخاري، كتاب الرقائق، باب في حوض النبي – صلى الله عليه وسلم –، ٧/ ٢٦٦، برقم ٦٥٩٣، ومسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا – صلى الله عليه وسلم – وصفاته، ٤/ ١٧٩٤، برقم ٢٢٩٣.

(٤) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١ – ٤٢.." [1]

"ذكر الله، وما ولاه، وعالم أو متعلم)) (١).

ثانياً: ذكر الله تعالى على كل حال، ويدل على ذلك ما يلي:

١ – قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (٢).

٢ – وقال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾ (٣).

٣ – وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٤).

٤ – وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (٥).

---

(١) الترمذي، كتاب الزهد، بابٌ حدثنا محمد بن حاتم، برقم ٢٣٢٢، وحسنه، وابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، برقم ٤١١٢، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٢٤٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

---

(١) نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٣١٨

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.." [(١)]

"الأيام المعدودات والأيام المعلومات والأشهر المعلومات

المقدم: بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين من آيات الحج التي نتحدث عنها في هذه الحلقة هي قوله تعالى: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون﴾ [البقرة:٢٠٣].

نبدأ بمطلع هذه الآية: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ [البقرة:٢٠٣].

الشيخ: باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: ذكر الله جل وعلا أياما معدودات وذكر الله جل وعلا أشهرا معلومات، وذكر الله جل وعلا في سورة الحج أياما معلومات.

فالأشهر المعلومات هي شوال وذو القعدة وذو الحجة على خلاف فيه هل هو ١٠ أو ٩ أو كله، وقد حررنا هذا في موطنه. والأيام المعدودات التي هنا في سورة البقرة: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ [البقرة:٢٠٣]، لا خلاف على أنها أيام التشريق اليوم ١١ و ١٢ و١٣.

وأما قول الله جل وعلا في سورة الحج: ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ [الحج:٢٨]، فالأيام المعلومات هي أيام التشريق ويضاف إليها يوم النحر وتصبح ٤ أيام.

وأول أيام التشريق هو اليوم ١١ من شهر ذي الحجة ويسمى يوم القر؛ لأن الحجاج لم يؤذن لهم بالتعجل فيه، وفي هذا اليوم يستقرون في منى وليس لهم نسك يرتحلون إليه في اليوم التاسع بل يكونون في منى ثم يأتون عرفة، وفي عشية عرفة يكونون في عرفة ثم يرتحلون إلى مزدلفة وهي ليلة النحر، وفي اليوم العاشر يكونون في منى ويذهبون إلى مكة لطواف الإفاضة. أما في اليوم ١١ فالأصل أن الحاج قد انتهى من طواف الإفاضة، ويجوز طواف الإفاضة في اليوم ١١ لكن الأصل أنه قد انتهى ولم يبق له إلا أن يستقر في منى ولم يؤذن له بالتعجل؛ لأن هذا اليوم ١١ فيسمى: يوم القر، وقد خطب النبي صلى الله عليه وسلم فيه ضحى.

المقدم: هل الذكر يكون خاصا بالحجاج أم يشمل غير الحجاج؟ الشيخ: ذكر الله جل وعلا من أجل مناقب الصالحين، قال الله تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: (سبق المفردون، قالوا: من المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)، وهذا الذكر جاء في القرآن مقيدا ومطلقا، جاء مقيدا في الآيات التي سبقت. قوله: ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ [البقرة:٢٠٣]، فهذه الأيام تعني: الزمن، وهو حتى في هذا القيد ينقسم إلى مقيد ومطلق، بمعنى: أن الحجاج في منى يكبرون تكبيرا مقيدا في أدبار الصلوات المكتوبة في الثلاثة الأيام، فيبدأ التكبير لأهل

---

(١) الغفلة، سعيد بن وهف القحطاني ص/٤٠

الأمصار فجر يوم عرفة، وينتهي بغروب شمس آخر أيام التشريق.
وهناك التكبير المطلق، وجملة ذكر الله، وتمجيده، وتعظيمه، وتسبيحه، وتهليله: (من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حين يصبح وحين يمسي لم يأت أحد بأفضل مما قال إلا رجل قال مثله أو زاد)، رواه مسلم في الصحيح.
الذي يعنينا أن ذكر الله جل وعلا في جملته منقبة عظيمة: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله)، فإذا كان جاء في الحديث: (وهل يكب الناس في وجوههم، أو قال: على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم!)، فكذلك من أعظم ما يدخلك الله به الجنة ذكر الله، ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال:٤٥]، ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب:٤١ – ٤٢]، بل إن الشعائر كلها ما أقيمت إلا لذكر الله.
وهذه الأيام المعدودة أيام التشريق قال عنها صلى الله عليه وسلم: (أيام أكل وشرب وذكر لله)، فينتفي فيها الصيام لغير الحاج، وحتى للحاج إلا من لم يسق الهدي –أو تعبير أوضح: من لم يجد الهدي– فانتقل إلى الصيام فهذا يجوز له أن يصوم أيام التشريق.
والمسلم عبد أينما حل وارتحل، فأكله وطعامه وشرابه والإكثار منها في هذه الأيام دين، وعبادة، وملة، وقربة.
فالله جل وعلا يحب أن يرى أثر النعم، يحب أن نتعبده بما شرعه لنا، وشرع الله جل وعلا أكمل الشرائع، فلا يتقدم إنسان بين يدي الله ورسوله.
فمن كان عليه صيام شهرين متتابعين، فنفرض أنه صام من أول ذي القعدة ثم استمر في الصيام إلى ذي الحجة فلا يصوم يوم النحر ولا أيام التشريق، بل يقطعها، ثم يكمل ولا يعتبر قطعه هذا قطعا للشهرين المتتابعين؛ لأن القطع هنا قطع شرعي بنص شرعي، ولا يجوز صوم يوم العيد اتفاقا ولا صوم أيام التشريق عند جمهور العلماء.." [1]
"ذكر الله سبب للقرب من الله
الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته أجمعين.
قال الله عز وجل في سورة الأحزاب: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما * تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾ [الأحزاب:٤١ – ٤٤].
يأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين في هذه الآيات بأن يكثروا من ذكر الله سبحانه وتعالى، وقد ذكر الله فيما سبق من الآيات عشر صفات للمؤمنين والمؤمنات بدأها بقوله: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ [الأحزاب:٣٥] وانتهى بأعلى الدرجات فقال: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب:٣٥].
فكلما ازداد الإنسان ذكرا لله، ازداد قربا من الله سبحانه، فإذا كان ذكر الإنسان ربه قليلا ابتعد شيئا فشيئا حتى ينسى الذكر وحتى يأتيه الشيطان فيتسلط عليه.

---

(١) آيات الحج في القران الكريم، صالح المغامسي ١٠/٢

إن ذكر الله يطرد الشيطان، وذكر الله عز وجل يجعل الإنسان يخاف من الله، فيخاف من المعاصي، فإذا وقع في معصية سارع وبادر إلى التوبة إلى الله سبحانه.

وإذا أراد أن يقع في فاحشة ذكر الله فاستغفر، وتاب، ورجع، وأناب، وامتنع من الوقوع في المعصية، وفيما يغضب الله سبحانه وتعالى.

وقد أمرنا الله سبحانه بذكره كثيرا، فذكر الله سبحانه هو الأنيس للإنسان المؤمن، فلا يجعله يستوحش أبدا ما دام مع الله سبحانه وتعالى.

فالإنسان الذي يركن إلى الناس، ويستأنس بهم، سرعان ما يفارقونه، لسبب أو لغير سبب، فيستوحش، أما الذي يأنس إلى الله سبحانه وتعالى فلا يهتم لذلك، سواء كان الناس كثيرين معه أو كانوا قليلين، فهو لا يهتم لأمر الناس، إنما يهتم لأمر دينه ولأمر ربه سبحانه.." (١)

"قراءة القرآن ذكر لله

والقرآن كتاب الله أعظم ذكر، وخير جليس لا يمل حديثه، والإنسان الذي يجالس القرآن لا يمل أبدا من ذكر الله سبحانه، ومن تلاوة كتابه الذي فيه نبأ من قبلنا وخبر ما بعدنا، وفيه قصص يقصها الله سبحانه وتعالى علينا؛ لتكون لنا عبرة وذكرى، وفيه أحكام الله سبحانه، وفيه ذكر الجنة، وذكر النار، وذكر الأنبياء، وصبرهم عليهم الصلاة والسلام، وفيه شريعة الله تبارك وتعالى، والحرف منه بعشر حسنات، ويضاعف الله لمن يشاء من فضله سبحانه.

فهذا القرآن العظيم لا يمل الإنسان من ترداده، ومن ذكره، ومن قراءته ومن سماعه، فهنا يأمرنا الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب:٤١] أي: تذكره بكل وجه من وجوه ذكر الله تبارك وتعالى، فإذا كنت في الصلاة فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر.

ونحن نعلم أن الله فرض خمس صلوات في اليوم والليلة، تنهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر، ولكن ذكر الله يكون في الصلاة وفي غير الصلاة، فهو يستوعب اليوم كله، فالذاكر ربه سبحانه مستحيل أن يترك الصلاة، فهو عندما يصلي يذكر الله، وعندما يخرج من الصلاة فيختم صلاته يذكر الله، وعندما يخرج من بيته إلى الطريق يذكر الله، وعندما يدخل بيته يذكر الله، وعندما يقوم أو ينام، يذكر الله سبحانه، فهو لا يمل من ذكر الله، بل يستمتع ويستعذب ذكر الله سبحانه وتعالى، يستعذب ذكر الله حين يأكل ويشرب، وحين ينام أو يستيقظ من نومه، وحين يذهب إلى السوق، وحين يقضي حاجته، وحين يلقى أخاه المسلم فيسأله عن حاله مع ربه سبحانه، فالإنسان المؤمن ذاكر لله أبدا، وهو مستمتع بذلك.." (٢)

"الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ذكر لله عز وجل

إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم هي ذكر لله عز وجل، فإذا قلت: اللهم يا رب صل على نبيك صلى الله عليه وسلم! سألت الله فذكرته، ودعوت لنبيك صلى الله عليه وسلم بأن يصلي عليه ربه سبحانه، فكان ذكرا لله، وعندما تصلي

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٣/٢٧٧

(٢) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٤/٢٧٧

على النبي صلى الله عليه وسلم تحصل على الأجر العظيم، وكذلك عندما تسبح الله وتحمده وتهلله وتكبره يكون لك الأجر العظيم، وكلما عرفت الثواب في ذكر الله سبحانه ازددت حرصا على ألا تفرط وألا تضيع ذلك، وألا تتلهى عنه بشيء كائنا ما كان.

وإن من ذكر الله عقب الصلاة أنك إذا قرأت آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعك من دخول الجنة إلا أن تموت، فإذا مت على ذلك، فهو فضل عظيم من الله سبحانه وتعالى لك.

وإن كنت تقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت وهو على كل شيء قدير مائة مرة، يكتب الله لك مائة حسنة، ويمح عنك مائة سيئة، ويكن لك عدل عشر رقاب، أي: كأنك أعتقت عشرة من العبيد، ويكن لك حرزا من الشيطان يومك حتى تمسي.

وإذا كنت ذاهبا إلى السوق، فقلت: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وكل ذلك في نصف دقيقة، فإن لك أجر مليون حسنة، أي: ألف ألف حسنة عند الله سبحانه وتعالى في هذا الذكر.

فلو كان على لسانك ذكر الله حين تذهب إلى السوق وحين ترجع منه، حين تمر على الناس، وحين تسلم على المسلمين، وحين توقظهم من غفلتهم لكان لك الأجر العظيم من الله سبحانه، فلا تتكبر على الخلق، إذا مررت على الناس فسلم عليهم، وقل: السلام عليكم ورحمة الله، سواء ردوا عليك أو لم يردوا عليك، فقد تمر على أناس لا يردون السلام، فلا تمتنع من إلقاء السلام، بل ذكرهم، وأيقظهم من غفلتهم، فإذا ردوا عليك كان الأجر لك ولهم، وإذا لم يردوا عليك السلام فالملائكة ترد عليك، وفضل الله عظيم، وكرمه واسع سبحانه وتعالى، ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب:٤١].

﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب:٤٢] البكور: أول النهار، والعشي: آخر النهار، والآصال: قبل دخول الليل وعند دخول الليل، والمعنى: أنك دائما تذكر الله في أول النهار، وفي آخر النهار، وبين الاثنين، أي: اذكروا الله دائما، ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب:٤١]، وسبحوه سبحانه، أي: قولوا: سبحان الله، نزهوه عن كل عيب وعن كل نقص، سبحانه وتعالى.

﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ [الأحزاب:٤٣]؛ لأنه هو سبحانه المستحق لذلك، فاذكروه يذكركم سبحانه وتعالى، واشكروه يزدكم من فضله، ولا تنسوا أنه هو الذي يثيبكم وهو الذي يرحمكم سبحانه، وهو الذي يثني عليكم عند ملائكته، وهو الذي يصلي عليكم، وكذلك ملائكته سبحانه.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٩/٢٧٧

قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب:٤١].

أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين في هذه الآية أن يذكروا الله سبحانه وتعالى **ذكرا كثيرا**، فقال: ((يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا))**.

والمؤمن يذكر الله حتى يذكره الله.

لا تنس ربك، لا تنس ذكر الله، تذكر أن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقك، وهو الذي يرزقك، وهو الذي يتوفاك ويحاسبك، فأكثر من ذكره سبحانه وتعالى.

فقوله: ((يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا))**.

ذكر الله يكون في الصلاة وفي غير الصلاة، تذكر الله سبحانه في كل أحوالك، وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه يقوم ويصلي من الليل ويقول: (يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة، جاء الموت بما فيه، وأزفت الآزفة، جاءت الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه) فيأمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس في الثلث الأخير من الليل بذكر الله سبحانه وتعالى، ويخبرهم أن الموت آتيكم، كما قال الله سبحانه: ﴿أتى أمر الله﴾ [النحل:١] فأخبر بالماضي على الشيء الذي سيكون؛ لتأكيد مجيئه وإتيانه، فالموت آت آت.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (أكثروا ذكر هادم اللذات، فإنه ما ذكر في سعة إلا ضيقها، ولا ذكر في ضيق إلا وسعه).

الموت عجيب أمره، الموت قدره الله سبحانه وتعالى على العباد، ولابد أن يكون في بال كل إنسان وفي قلبه، فيذكر الله سبحانه ويذكر أنه راجع إليه فذكره ربه سبحانه ينفعه، وصلاته وصومه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ينفعه.

قال تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [إبراهيم:٢٧].

فالإنسان الذي يعتاد ذكر الله سبحانه يثبته في وقت وفاته، ويجعله يقول: لا إله إلا الله ويثبت عليها، ويبشره الله سبحانه حتى يتوفاه على هذه الكلمة الطيبة.

لذلك ينظر المؤمن أمامه وينظر في غده، وينظر أنه سيلقى الله يوما من الأيام، فليعمل لهذا اليوم من الآن ولا يسوف، ويقول: غدا أفعل غدا أفعل، لعل الغد لا يأتي عليه، ولعله يأتي عليه وهو غير قادر على العمل، فلذلك هنا نكثر من ذكر الله، فإن ذكر الله يعين على فعل الطاعات، وذكر الله يعين على اجتناب المحرمات.." [1]

"معنى التسبيح في قوله: (وتسبحوه)

قوله تعالى: (وتسبحوه بكرة وأصيلا) السبح: هو المرور السريع في الماء، يقال: سبح سبحا وسباحة، وأطلق على مر النجوم في الفلك، نحو قوله تعالى: ﴿وكل في فلك يسبحون﴾ [يس:٤٠]، وأطلق أيضا على جري الفرس، فجري الفرس يطلق عليه سباحة، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿والسابحات سبحا﴾ [النازعات:٣]، ويطلق على سرعة الذهاب في العمل، كما في قوله تعالى: ﴿إن لك في النهار سبحا طويلا﴾ [المزمل:٧].

والتسبيح: تنزيه الله تعالى عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، وأصله: المر السريع في عبادة الله تعالى، وجعل ذلك في فعل

---

(١) تفسير أحمد حطيبة، أحمد حطيبة ٢/٢٧٨

الخير، كما جعل الإبعاد في الشر، فقيل: أبعده الله، وجعل التسبيح عاما في العبادات قولا كان أو فعلا أو نية، قال تعالى: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ [الصافات:١٤٣]، والمقصود بالتسبيح هنا: الصلاة، يعني: أنه كان من المصلين، ويستعمل التسبيح بمعنى التنفل، فقد روى الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لعلكم ستدركون أقواما يصلون الصلاة لغير وقتها، فإن أدركتموهم فصلوا الصلاة لوقتها الذي تعرفون، ثم صلوا معهم واجعلوها سبحة)، وهذا حديث صحيح.

(فصلوا معهم) يعني: صلوا الفرائض أولا لوقتها، ثم إذا خرج هؤلاء الأمراء الذين يؤخرون الصلاة فصلوها معهم سبحة يعني: انووا بها النافلة، فصلاة النافلة يطلق عليها تسبيح، وكما في حديث رواه مسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه في الحج: (أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئا)، وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال: (لو كنت مسبحا لأتممت صلاتي) والحديث رواه مسلم عن حفص بن عاصم قال: (صحبت ابن عمر رضي الله عنهما في طريق مكة فصلى بنا الظهر ركعتين ثم أقبل وأقبلنا معه حتى جاء رحله، وجلس وجلسنا معه، فحانت منه التفاتة نحو حيث صلى – أي: نحو جهة المكان الذي صلى فيه– فرأى ناسا قياما صلوا معه، فقال: ما يصنع هؤلاء؟! قلت: يسبحون، قال: (لو كنت مسبحا لأتممت صلاتي) أي: لو أني كنت أزيد فسأزيد في الفريضة، فهو أفضل، ثم قال: (يا ابن أخي! إني صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر، فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت أبا بكر رضي الله تعالى عنه، فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وصحبت عمر، فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، ثم صحبت عثمان، فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله، وقد قال الله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب:٢١]).

إذا: الأقرب –والله تعالى أعلم– أن المسافر يصلي الفريضة فقط، وله أنه يصلي ركعتي الفجر والوتر، ويمكن أن يصلي صلاة الضحى إلى ثمان ركعات.

ومن الأجوبة الحسنة للعلامة ابن عثيمين حفظه الله تعالى أنه أتاه في من –وكنت في هذا المجلس– رجل كأنه بدوي ثائرا هائجا مائجا يصيح ويهاجم الإخوة، فأخذ الشيخ يتلطف معه وقال له: ما لك؟ أو ما الذي أغضبك؟ فقال: تنفلت في السفر وإذا بهم ينهونني عن الصلاة وعن التنفل؟! فقال له: من قال لك: لا تتنفل؟ لك أن تصلي الوتر من ركعة إلى إحدى عشرة ركعة، فالوتر أقله ركعة وأكثره إحدى عشرة ركعة، كلها تكون وترا، وقال له: لك أن تصلي الضحى من ركعتين إلى ثمان، وتصلي ركعتي الفجر.

والحقيقة أن الشيخ ما خالف المذهب الراجح، وهو أنه لا يتنفل في السفر إلا ما ذكرنا؛ لكنه أقنعه بالعدد الكبير الذي هو أقصى ما يمكن أن يتنفل به، وهذا الجواب من محاسن الأجوبة.

وروى مسلم أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح على الراحلة –يسبح يعني: يتنفل– قبل أي وجه توجه، ويوتر عليها غير أنه لا يصلي عليها المكتوبة)، فيمكن للإنسان في السفر أن يتنفل وهو راكب الراحلة، سواء كانت جملا أو سيارة أو طائرة أو قطارا، فيمكن أن يتنفل، إذ الأمر في النافلة أسهل من الفريضة.

إذا: قلنا: السبح في اللغة: المر السريع في الماء، مثل السباحة، ويطلق على مر النجوم في السماء، كما قال تعالى: ﴿وكل

في فلك يسبحون﴾ [يس:٤٠]، ويطلق على جري الفرس: ﴿والسابحات سبحا﴾ [النازعات:٣]، ويطلق على سرعة الذهاب في العمل: ﴿إن لك في النهار سبحا طويلا﴾ [المزمل:٧]، ويطلق على تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله، ويكون في هذه الحالة كأنه المر السريع أيضا في عبادة الله تعالى، المر السريع يفهم منه: المسارعة إلى الطاعات والمنافسة فيها، والاجتهاد فيها، وليس المقصود بالمر السريع أن يدرك الصلاة بسرعة ويصلي صلاة ليس فيها خشوع، لا، المقصود: الإسراع إلى عبادة الله سبحانه وتعالى كما قال: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ [آل عمران:١٣٣].

وقلنا: إنه يطلق على العبادات قولا أو فعلا أو نية: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ [الصافات:١٤٣] يعني: المصلين، وأشرنا على أنها تطلق على النوافل كذلك.

ويقول تبارك وتعالى: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ [الإسراء:٤٤]، ولا شك أن هذا -والله تعالى أعلم- تسبيح على الحقيقة، من غير أن نفقهه، خلافا لمن زعم أن التسبيح يراد به أن من رآه قال: سبحان الله، لا، بل هو تسبيح على الحقيقة؛ لكننا لا نفهم هذا التسبيح، ودليله قوله تبارك وتعالى: ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ [الإسراء:٤٤]، وقال سبحانه وتعالى أيضا: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ [ص:١٨]، فلو كان معنى (التسبيح) أنه من رآها قال: سبحان من خلقك مثلا؛ لما كان بالعشي والإشراق، لكن المعنى أن الجبال كانت تحافظ مع داود على أذكار الصباح والمساء ((بالعشي والإشراق)) وكانت تنطق وترفع صوتها بذكر الله سبحانه وتعالى، فهذه آية من آيات الله عز وجل لداود عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن﴾ [الإسراء:٤٤]، و (سبحان) مصدر، مثل غفران، قال الله: ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ [الروم:١٧]، وقالت الملائكة: ﴿سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا﴾ [البقرة:٣٢].

قال القرطبي: في قوله تعالى: (وتسبحوه) وجهان: أحدهما: تسبيحه بالتنزيه له سبحانه من كل قبيح، فمعنى قوله: (سبحان الله) يعني: أنزه الله عن كل قبيح، وأنفي عنه كل نقص، وكثيرا ما يقترن التسبيح بالتحميد؛ لأنه إذا كان التسبيح تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص، فإن الحمد هو إثبات كل كمال له، فهو المستحق للمدح والثناء جل جلاله؛ فلذلك كثيرا ما يقترن التسبيح بالحمد كقولك: سبحان الله وبحمده.

الوجه الثاني في قوله: (وتسبحوه) هو فعل الصلاة التي فيها تسبيح، (بكرة وأصيلا) أي: غدوة وعشيا، قال الشاعر: لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأجلس في أفيائه للأصائل جمع أصيل.

وقال تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب:٤١ - ٤٢] أي: أشغلوا ألسنتكم في معظم أحوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير.

قال مجاهد: وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب، كل هؤلاء يجوز لهم أن يسبحوا الله سبحانه وتعالى، ويذكروه بهذه الأذكار: لا إله إلا الله، الحمد لله، والله أكبر، سبحان الله وهكذا.

وقيل: (وسبحوه) يعني: ادعوه، قال جرير: فلا تنس تسبيح الضحى إن يوسفا دعا ربه فاختاره حين سبحا يعني: حين دعاه.

وقيل المراد: صلوا لله بكرة وأصيلا، والصلاة: تسمى تسبيحا، (والآصال) العشايا كما ذكرنا، قال تبارك وتعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ [الأعراف:٢٠٥]، والآصال: هي العشيات.

قوله: (وتسبحوه بكرة وأصيلا) أي: غدوة وعشيا، والمراد: ظاهرهما، يعني: الأمر بالتسبيح في هذين الوقتين بالذات لما لهما من الفضيلة؛ لأنهما أشرف أوقات الذكر في النهار كله، وقت الغدو والعشي.

قول آخر: المراد بقوله تعالى: (وتسبحوه بكرة وأصيلا) جميع النهار؛ لأنه يكنى عن جميع الشيء بطرفيه، كما تقول: جزت المدينة شرقا وغربا، لا تقصد أنك فقط أتيت إلى الطرف الشرقي والطرف الغربي؛ لكن أردت أن تقول كلها.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((وتسبحوه بكرة وأصيلا)) صلاة الفجر، وصلاة الظهر، وصلاة العصر.

وقال الله سبحانه وتعالى أيضا: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب:٤١]، فالأمر بذكر الله سبحانه وتعالى بين كيفيته في آيات أخر، كما في قوله: ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ [النساء:١٠٣]، وقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ [آل عمر." (١)

"العبادة التي أمر الله بها في كل الأوقات

كل عبادة ربطت بوقت، فالصلاة كقوله تعالى: ﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ [النساء:١٠٣]، حتى النافلة نمنع عنها في أوقات الكراهة، والحج له وقت، والصيام له وقت، حتى الصيام توجد أيام يحرم علينا أن نصومها، وهكذا كل عبادة لها وقت محدود، أما الذكر فهو العبادة الوحيدة التي أمر الله سبحانه وتعالى بها في كل الأوقات والأحوال والأحيان قال تعالى: ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ [النساء:١٠٣]، فمعناها: فاذكروا الله في كل أحوالكم؛ لأن الإنسان إما قائم، وإما قاعد، وإما مضطجع، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعاء: (اللهم احفظني بالإسلام قائما، واحفظني بالإسلام قاعدا، واحفظني بالإسلام راقدا، ولا تشمت بي عدوا حاسدا).

فاذكر هذا يعم جميع أحوال الإنسان، وقد أمر الله بالإكثار من الذكر بقدر المستطاع كما قال الله: ((اذكروا الله **ذكرا كثيرا**))، قال تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ [الأحزاب:٣٥] وهكذا.

فالذكر والفكر ينبغي أن يكونا في جميع الأوقات أو أكثرها؛ لأن النفس إذا تركت إلى طبعها فإنها بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا، فإن صرف العبد شطر أوقاته في تدبير الدنيا وشهواتها المباحة مثلا، والشطر الآخر إلى العبادات، فإن الطبع يرجح جانب الميل إلى الدنيا؛ لأن هذا يوافق الطبع والهوى، فإذا كان الوقت متساويا، للدنيا نصف الوقت، وللدين أو ذكر الله النصف الآخر، فيأتي الهوى ويرجح خدمة الدنيا، فإذا كان الوقت متساويا فأنى يتقاومان والطبع يرجح أحدهما؟! إذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا، ويصفو في طلبها القلب ويتجرد، فهذه كلها ترجح جانب الميل، ونحن قلنا: إن الوقت نصف للدنيا ونصف للذكر، فالنصف الذي للدنيا هو الذي سيغلب؛ لأن الطبع يميل للدنيا، وظاهر الإنسان وباطنه يتعاونان معا في تحصيل أمور الدنيا، والقلب إذا طلب أمور الدنيا يصفو بطلبها ويتجرد لها، أما رد النفس إلى العبادات

---

(١) تفسير القرآن الكريم – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٦/١٢٧

والذكر فلا يكون إلا بتكلف ومجاهدة، ولا يسلم إخلاص القلب فيه وحضوره إلا في بعض الأوقات، حتى الصلاة نفسها التي هي من النصف الآخر الديني، فكم من الناس من يدخل في الصلاة الدنيا، ويسبح في أودية الدنيا داخل الصلاة! حتى إن بعض الناس -وهذا من تلبيس إبليس- تتراكم عليه كل مشاكل الدنيا إذا دخل في الصلاة، من بداية تكبيرة الإحرام ولا تنتهي إلا مع التسليم، فهذا مما يدل على أن هذه وظيفة متخصصة للشيطان، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يوجد شيطان متخصص للوسوسة في الصلاة، فإذا دخلت في الصلاة يظل يذكرك بكل شيء نسيته، حتى تنصرف عن التفكر والتدبر في ذكر الله سبحانه وتعالى، والخشوع في الصلاة، فهذا واضح جدا أن هذا من الشيطان؛ أولا: لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام.

ثانيا: لأنه مجرد ما تسلم تنتهي المشاكل كلها، فلماذا الوسوسة في الصلاة بالذات؟! إذا: هذا من كيد الشيطان للإنسان، فحتى العبادات لا تخلو من الوسوسة.

بالمناسبة أذكر أحد الإخوة من الأطباء الكبار في الأمراض النفسية يعمل في المدينة، فكان يتكلم على أن من ضمن أساليب العلاج الخاص بالناس الذين يعانون الوسوسة: أن يربط كل ركعة بشيء معين، فمثلا نقول له: الركعة الأولى تربطها بحاجة، الركعة الثانية تربطها بشيء، بحيث تذكر الجلسة فلا تسهو في الصلاة، فالمهم يقول: كنت في أحد المساجد في المدينة النبوية الطيبة، فالناس صلوا العشاء أو غيرها من الصلوات الرباعية فاختلفوا مع الإمام، هل صلى أربعا أو صلى خمسا، بعدما انصرفوا من الصلاة اختلفوا، فأحد المصلين حلف أنهم صلوا أربعا، قالوا له: كيف عرفت؟ قال: لأن عندي أربعة دكاكين، وأراجع حساب كل دكان في ركعة، فأنا راجعت حساب الدكاكين الأربعة في الصلاة! فهو مخصص كل ركعة في محل من أجل أن يراجع الحسابات، والله المستعان! فالشاهد: أن الإنسان عندما يطلب الدنيا قلبه يصفو لها تماما، وعندما يطلب الآخرة تعتدي الدنيا عليه حتى في الوقت المخصص للآخرة، هذا إذا سلمت من الآفات كالرياء والبدعة وغير ذلك من الشوارد، فإذا قسمنا الوقت نصف للدنيا ونصف للذكر فإنه سيتغلب جانب الدنيا؛ لأن الهوى والطبع وشح الأنفس يجلب الإنسان دائما إلى الدنيا، فالكفة ستأتي من ناحية الدنيا.

أما العبادات فالإنسان لا يستقيم عليها إلا بتكلف ومجاهدة، وحتى إخلاص القلب لا يسلم إلا في بعض الأوقات دون البعض، فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في طاعة الله سبحانه وتعالى، ومن أراد أن تترجح كفة حسناته، وتثقل موازين خيراته، فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته.

نحن لا نقول: يضيع واجباته الدنيوية؛ لكن نقول: الذكر عبادة يمكن أن تستصحب في كل الأحوال، وفي الحديث: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه) أي: في كل الأحوال، فالمؤمن يذكر الله حتى وهو يشتغل شغلا ميكانيكيا بآلة أو بيده، فما أسهل أن يشتغل لسانه بذكر الله، حتى إن عجز عن لسانه كما يكون مثلا في حالة الخلاء فإنه يشتغل بالذكر بقلبه، كان جد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى إذا دخل الخلاء جعل الكتاب في يد أحد أبنائه، ويقول له: قف عند الباب واقرأ بصوت عال، حتى يغتنم الوقت الذي يقضيه في الخلاء في الاستفادة، فهو يمتنع من القراءة؛ لكن حفيده يقف عند الباب ويقرأ عليه بصوت عال! إذا: لا بد أن يترجح وقت الذكر على أوقات الدنيا، حتى الإنسان إن كان مشتغلا في الدنيا فهو يستطيع أن يشغل لسانه دائما بذكر الله سبحانه وتعالى، وهو يمشي في الطريق، وهو يركب

المواصلات؛ حتى يترجح جانب الدين على الدنيا.
والدنيا هي سعي في طلب الرزق، والرزق مضمون؛ لكن الآخرة غير مضمونة، الجنة غير مضمونة، أما الرزق فالله سبحانه وتعالى قال فيه: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود:٦]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أن ابن آدم يهرب من رزقه، لأدركه رزقه كما يدركه أجله) أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم، فالرزق مضمون تماما، وقال عليه الصلاة والسلام: (اتقوا الله وأجملوا في الطلب)، وقال: (إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها).
فالرزق مكتوب ومضمون، ولا يمكن أبدا أن ينقص رزقك شيئا، فنحن نشتغل بالمضمون عن غير المضمون، فالله قال في الآخرة: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى﴾ [النجم:٣٩ - ٤١]، فنحن نجتهد بما هو مضمون عما ليس بمضمون، فمن أراد أن تترجح كفة حسناته، وتثقل موازين خيراته؛ فليستوعب في طاعة الله أكثر أوقاته، فإن لم تكن من أهل البصيرة فانظر إلى خطاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، واقتبسه بنور الإيمان، فقد قال تعالى لأقرب عباده إليه، وأرفعهم درجة لديه: ﴿إن لك في النهار سبحا طويلا * واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا﴾ [المزمل:٧ - ٨]، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم! وقال تعالى: ﴿واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا * ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا﴾ [الإنسان:٢٦].
وقال تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب * ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾ [ق:٣٩ - ٤٠].
وقال عز وجل: ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم * ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾ [الطور:٤٨ - ٤٩].
وقال تعالى: ﴿ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾ [طه:١٣٠].
وقال تعالى: ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود:١١٤].
ثم انظر كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفائزين من عباده، وبماذا وصفهم؟! قال عز وجل: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [الزمر:٩].
وقال تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا﴾ [السجدة:١٦].
وقال تعالى: ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾ [الفرقان:٦٤]، وقال عز وجل: ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات:١٧ - ١٨].
وقال سبحانه: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ [الروم:١٧] يعني: فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون.
وقال تعالى: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ [الأنعام:٥٢].
إذا: الطريق إلى الله سبحانه وتعالى هو مراقبة الأوقات، وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام، فالذكر المقصود منه تغيير الصفات وترقيق القلب، قال صلى الله عليه وسلم: (لا يزال لسانك رطبا بذكر الله عز وجل)، وهذا التأثير لا يتأتى بأن

يأتي الإنسان بذكر ثم ينقطع، ولا يحدث تأثيرا في القلب إلا بالمداومة ولو بالقليل؛ ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: (أحب الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى أدومه وإن قل)، فالذكر القليل مع الدوام يؤثر، وعند الان." [١]

"تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة)

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة:١٥٣] مر معنا كثيرا أن الصبر والصلاة قرينان في كلام الله.

والصبر من أنواعه الصبر على الطاعات، ومن أعظم الطاعات التي تحتاج إلى مشقة؟ الجهاد، فلما ذكر الله جل وعلا: ﴿إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة:١٥٣] ذكر مشقة تحتاج إلى صبر وهي القتال في سبيل الله فقال: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ [البقرة:١٥٤].

العاقل لا يفرط في محبوب إلا إذا وجد شيئا أعظم منه، والحياة محبوبة لكل أحد، فأنت لماذا تأكل العيش؟ لماذا تشرب الدواء؟ لماذا تبني شيئا يكنك البرد والحر؟ كل ذلك حتى تبقى حيا، وأنت لا تحيا لتأكل وإنما تأكل لتحيا، ومع ذلك يطلب منك شرعا أن تهب نفسك لله، فتفرط في ذلك المحبوب الذي هو حب الحياة، والذي أنت تكد من أجل بقائك، وتمنع عن نفسك ما يؤذيك، لكن تفريطك في هذا المحبوب الذي هو الحياة لم تصنعه إن كنت مؤمنا إلا لمحبوب أعظم وثواب أجزل وهو ما عند الله الذي أثبته الله بقوله: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ [البقرة:١٥٤]، فهم يفيئون إلى قناديل معلقة في العرش ويشربون من أنهار الجنة، وسيأتي ذكر الشهداء تفصيلا في سورة آل عمران التي حوت **ذكرا كثيرا** للقتال.." [٢]

"* الإكثار من ذكر «لا اله إلا الله» يورث الطاعة ويوجب المغفرة *

الإكثار من ذكر «لا اله إلا الله» مندوب إليه لعموم قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ **ذِكْراً كَثِيراً** * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (١).

وقوله تعالى: (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ الله لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) [الأحزاب: ٣٥]

وقول النَّبِي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ؟ يَا رَسُولَ الله قَالَ «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيراً، وَالذَّاكِرَاتُ» (٢).

وقَالَ رَجَلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولُ اللهِ إنَّ شَرَائِعَ الإسْلاَمِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فأخبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ (٣)، قَالَ صلى الله عليه وسلم: «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْباً مِنْ ذِكْرِ الله» (٤).

فالذكر أيسر العبادات مع كونه أجلها وأفضلها وأكرمها على الله تعالى، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح ، فيه يحصل الفضل للذاكر وهو قاعد على فراشه وفي سوقه ، وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه

---

(١) تفسير القرآن الكريم – المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٧/١٢٧

(٢) سلسلة محاسن التأويل – المغامسي، صالح المغامسي ١١/٩

(١) سورة الأحزاب: ٤١ - ٤٢)
(٢) رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار -باب الحث على ذكر الله تعالى - (٨/ ٦٣).
(٣) أَتَشَبَّثُ بِهِ: أي أتعلق وبه أستمسك.
(٤) رواه الترمذي- كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم -باب ما جاء في فضل الذكر- (٥/ ٤٥٨). رقم (٣٣٧٥) حديث عبد الله بن بُسْرٍ رضي الله عنه.." (١)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ١ الى ٧٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما (١) واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا (٢) وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٣) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (٤)

ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما (٥) النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا (٦) وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا (٧) ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما (٨) يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا (٩)

إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (١١) وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا (١٢) وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا (١٣) ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا (١٤)

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا (١٥) قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا (١٦) قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧) قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا (١٨) أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا (١٩)

يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا

---

(١) تنبيه المؤمن الأواه بفضائل لا إله إلا الله، أحمد بن يوسف الأهدل ص/٤٨

إلا قليلا (٢٠) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (٢١) ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (٢٢) من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (٢٣) ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما (٢٤)

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا (٢٥) وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا (٢٧) يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا (٢٨) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما (٢٩) يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا (٣٠) ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما (٣١) يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا (٣٢) وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٣٣) واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا (٣٤)

إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما (٣٥) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦) وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا (٣٧) ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨) الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩)

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨) يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩)

يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢) يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣) إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما (٥٤)

لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥) إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦) إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا (٥٧) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا (٥٨) يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (٥٩)

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٦٢) يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (٦٤)

خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا (٦٥) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (٦٨) يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (٦٩)

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (٧١) إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢) ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما (٧٣)." (١)

"– صلى الله عليه وسلم– لزيد: لست لك بأب. فقال زيد: يا رسول الله، أنا زيد بن حارثة معروف نسبي «١» .
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله باللسان ذكرا كثيرا «٢» – ٤١– وسبحوه بكرة وأصيلا– ٤٢– يعني صلوا لله بالغداة الفجر

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٣/٤٥٨

والعشي يعني الظهر والعصر هو الذي يصلي عليكم وملائكته نزلت في الأنصار يقول هو الذي يغفر لكم ويأمر الملائكة بالاستغفار لكم ليخرجكم من الظلمات إلى النور يعني لكي يخرجكم من الظلمات إلى النور يعني من الشرك إلى الإيمان وكان بالمؤمنين رحيما- ٤٣- تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يوم يلقون الرب- عز وجل- في الآخرة سلام، يعني تسليم الملائكة عليهم وأعد لهم أجرا كريما- ٤٤- يعنى أجرا حسنا فى الجنة يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا على هذه الأمة بتبليغ الرسالة ومبشرا بالجنة والنصر في الدنيا على من خالفهم ونذيرا- ٤٥- من النار.

---

(١) نسخة ف، ا، ز. وبالتالى م لأنها ناقلة من ا: عكست ترتيب الآيتين السابقتين وهما رقم ٣٩، ٤٠. ففسرت آية ٤٠ قبل ٣٩ حتى يهيأ للقارئ أن ترتيب الآيتين هكذا: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ... » إلى آخر الاية ٤٠ سورة الأحزاب.

«الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ... » إلى آخر الآية ٣٩ سورة الأحزاب.

وقد أصلحت الخطأ ورتبت الآيتين كما هما فى المصحف.

وإن دل هذا على شيء فهو أن الناسخ كان ينسخ بدون تصرف.

وأن أصل هذا التفسير واحد وأن هذا التفسير وثيق النسب ليس منتحلا على مقاتل كما نحل تفسير المقياس على ابن عباس. مع أن كل ما صح نسبته إلى ابن عباس فى التفسير قرابة مائة آية. كما أثر عن الشافعي.

(٢) فى ز زيادة: «لم يرض الله من الذكر إلا بالكثير» .." (١)

"أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فاستأذنته أن أدخل يدي فأمس الخاتم فأذن لي.

فأدخلت يدي في جربان قميصه، وإنه ليدعو لي فما منعه وأنا ألمسه أن دعا لي، قال: فوجدت على نغض كتفه مثل السلعة.

قال: ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ [الأحزاب: ٤٠] قوله عز وجل: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١] يعني باللسان، وهو تفسير السدي.

قال يحيى: وهذا ذكر ليس فيه وقت وهو تطوع.

- إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر، عن أبي الدرداء، قال: ألا أخبركم بخير أعمالكم، أزكاها عند مليككم، وخير لكم من إعطاء الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى، قال: ذكر الله.

فقال أبو بحرية: قد قال ذاك أخوكم معاذ بن جبل: ما عمل آدمي قط عملا أنجى له من عذاب الله من كثرة ذكر الله.

- خداش، عن ميمون بن عجلان، عن ميمون بن سياه، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء: قوموا مغفورا لكم، بدلت سيئاتكم حسنات ".

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٣/٤٩٩

قوله عز وجل: ﴿وسبحوه بكرة﴾ [الأحزاب: ٤٢] لصلاة الغداة.

﴿وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤٢] صلاة الظهر وصلاة العصر.

ابن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة أن ابن عباس قال: هذا في الصلاة المكتوبة.." (١)

"أخبرنا أبو بكر الفريابي، قال: حدثني عبد الله بن محمد بن خلاد، ثنا يزيد بن هارون، قال: أبنا زياد بن أبي زياد الجصاص، ثنا أبو كنانة القرشي، قال: " لما كان يوم الفطر خرجنا مع أبي موسى الأشعري فصففنا خلفه، ثم استقبل القبلة ﷺفكبر أربع تكبيرات، ولا يتبع بعضها بعضا، ثم قرأ سبح اسم ربك الأعلى ثم كبر الخامسة، ثم ركع، ثم قام في الركعة الثانية فقرأ: " فاتحة الكتاب ، وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ثم كبر ثلاثا، ثم كبر الرابعة وركع، فلما قضى الصلاة صعد المنبر فأقبل علينا بوجهه فسلم، ثم قال: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعله دينا ومن علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وجعلنا في خير الأمم وألزمنا كلمة التقوى، والعروة الوثقى، وجنبنا عبادة الطواغيت والأصنام والسجود للشمس والقمر، ثم كبر ستا ولاء، الله أكبر الله أكبر، وكبر السابعة الله أكبر على ما هدانا، ثم قرأ هذه الآيات التي في سورة الأحزاب ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ [الأحزاب: ٤٢] إلى قوله ﴿وسرحوهن سراحا جميلا﴾ [الأحزاب: ٤٩] ثم كبر ستا ولاء، والسابعة الله أكبر على ما هدانا، ثم قرأ هذه الآيات التي في سورة النحل ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ [النحل: ٩٠] حتى بلغ ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم -[١٩٨]- بأحسن ما كانوا يعملون﴾ [النحل: ٩٦] ثم كبر ستا ولاء، والسابعة الله أكبر على ما هدانا، ثم قرأ ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ [الإسراء: ٢٣] حتى بلغ ﴿ملوما مدحورا﴾ [الإسراء: ٣٩] ثم كبر ستا ولاء، والسابعة الله أكبر على ما هدانا ثم قرأ والليل إذا يغشى حتى ختمها، ثم قرأ ﴿كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم﴾ [البقرة: ١٨٣] حتى بلغ ﴿على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ [البقرة: ١٨٥] ثم قال: إن هذا يوم لا يرد فيه الدعاء فارفعوا أرغبتكم إلى الله عز وجل وسلوه حوائجكم، ورفع يديه لا يجاوز بهما أذنيه، ثم دعا، ثم كبر ستا ولاء، والسابعة الله أكبر على ما هدانا، ثم قال: أحمد الله كما حمد نفسه في كتابه، فإنه حمد نفسه في ثمانية أمكنة في سبع سور، فقرأ أول آية من الأنعام وآخر آية من بني إسرائيل، فلما قرأ ﴿وكبره تكبيرا﴾ [الإسراء: ١١١] رفع صوته الله أكبر على ما هدانا، ثم قرأ أول الكهف حتى بلغ ﴿ماكثين فيه أبدا﴾ [الكهف: ٣] ثم قال: اللهم اجعلنا منهم، ثم قرأ الآية التي في سورة النمل ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون﴾ [النمل: ٥٩] ثم رفع صوته، فقال: بل الله خير وأعلى وأجل، ثم قرأ الآية التي في آخر سورة النمل ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها، وما ربك بغافل عما تعملون﴾ [النمل: ٩٣] ثم قرأ أول آية من سبأ وأول آية من الملائكة، ثم قرأ ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين﴾ حتى ختمها، ثم قال: هذا ما حمد به نفسه فاحمدوه بما حمد به الحامدون وأحسنوا -[١٩٩]- على الله الثناء، وأكثروا الذكر، وأكثروا الذكر، ثم رفع يديه لا يجاوز بهما أذنيه، ثم دعا، ثم حمد الله عز وجل وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا لخلفاء المؤمنين، ورفع يديه أيضا ودعا، ثم حمد الله على ما جمعهم عليه ولما اجتمعوا له، وأمرهم أن يسألوا لدنياهم وأخراهم، وأخبرهم أنه

---

(١) تفسير يحيى بن سلام   يحيى بن سلام ٧٢٤/٢

اليوم الذي لا يرد فيه الدعاء، قال: اذكروا الله يذكركم، ثم نزل. فلما كان يوم النحر صنع بنا مثل ما صنع يوم الفطر من القراءة في الصلاة والتكبير والحمد الذي حمد به في أول خطبته يوم الفطر، ثم كبر ستا ولاء، الله أكبر الله أكبر، والسابعة الله أكبر على ما هدانا، ثم قرأها ولاء الآيات التي في الأنعام ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ [الأنعام: ١٥١] حتى بلغ ﴿سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾ [الأنعام: ١٥٧] ثم كبر ستا ولاء والسابعة الله أكبر على ما هدانا، ثم قرأ آخر النحل ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا﴾ [النحل: ١٢٠] حتى أتم السورة، ثم كبر ستا ولاء والسابعة الله أكبر على ما هدانا ثم قرأ ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجا﴾ [الفرقان: ٦١] حتى ختم السورة، ثم كبر ستا ولاء، والسابعة الله أكبر على ما هدانا، ثم قرأ من سورة الحج ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا﴾ [الحج: ٢٦] حتى بلغ ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ [الحج: ٣٦] قال: صافية لله من الشرك والخيانة، حتى بلغ ﴿وبشر المحسنين﴾ [الحج: ٣٧] ثم قرأ والليل إذا يغشى حتى فرغ منها، ثم قال: هذا يوم الحج الأكبر وهذه الأيام المعلومات التسع التي ذكر الله عز وجل في القرآن، لا يرد فيهن -[٢٠٠]- الدعاء وهذا يوم الحج الأكبر وما بعده من الثلاث اللاتي ذكر الله عز وجل الأيام المعدودات لا يرد فيهن الدعاء، فارفعوا أرغبتكم إلى الله عز وجل، ورفع يديه لا يجاوز بهما أذنيه، فدعا، ثم كبر ستا ولاء، والسابعة الله أكبر على ما هدانا ثم ذكر هذه المحامد التي في آخر الفطر، أحمد الله كما حمد به نفسه في سبع سور في ثماني آيات، حتى فرغ من الخطبة التي في الفطر كلها "." (١)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾ [الأحزاب: ٤٢] يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم **ذكرا كثيرا**، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك، ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤٢] يقول: صلوا له غدوة صلاة الصبح، وعشيا صلاة العصر." (٢)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ﷺاذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١] يقول: " لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله قال: ﴿اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال: ﴿سبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤٢] فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله عز وجل ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ [الأحزاب: ٤٣]." (٣)

---

(١) أحكام العيدين للفريابي   الفريابي ص/١٩٧

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر   الطبري، أبو جعفر ١٢٣/١٩

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر   الطبري، أبو جعفر ١٢٤/١٩

"نسير بن ذعلوق، عن علي بن الحسين في قوله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) قال: نزلت في زيد بن حارثة، والنصب في رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى تكرير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرفع بمعنى الاستئناف؛ ولكن هو رسول الله، والقراءة النصب عندنا.

واختلفت القراء في قراءة قوله (وخاتم النبيين) فقرأ ذلك قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين، بمعنى: أنه ختم النبيين. ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله (ولكن نبيا ختم النبيين) فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء، بمعنى: أنه الذي ختم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم، وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم (خاتم النبيين) بفتح التاء، بمعنى: أنه آخر النبيين، كما قرأ (مختوم خاتمه مسك) بمعنى: آخره مسك من قرأ ذلك كذلك.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) ﴾." [١]

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) ﴾

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم **ذكرا كثيرا**، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك (وسبحوه بكرة وأصيلا) يقول: صلوا له غدوة صلاة الصبح، وعشيا صلاة العصر. وقوله (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) يقول تعالى ذكره: ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا إذا أنتم فعلتم ذلك، الذي يرحمكم، ويثني عليكم هو ويدعو لكم ملائكته. وقيل: إن معنى قوله (يصلي عليكم وملائكته) : يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله. وقوله (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) يقول: تدعو ملائكة الله." [٢]

"لكم؛ فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس في قوله (اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، قال (فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. وقال: (وسبحوه بكرة وأصيلا) فإذا فعلتم ذلك؛ صلى عليكم هو وملائكته، قال الله عز وجل: (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) .

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله (وسبحوه بكرة وأصيلا) صلاة الغداة، وصلاة العصر.

وقوله (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أي: من الضلالات إلى الهدى.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢٠/٢٧٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢٠/٢٧٩

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) قال: من الضلالة إلى الهدى، قال: والضلالة الظلمات والنور: الهدى.

وقوله (وكان بالمؤمنين رحيما) يقول تعالى ذكره: وكان بالمؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون، ولأمره متبعون (تحيتهم يوم يلقونه سلام) يقول جل ثناؤه: تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام، يقول بعضهم لبعض: أمنة لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: قوله." (١)

"١٧٦٩٨ - عن قتادة رضي الله، عنه في أنه لم يكن بابنه، ولعمري لقد ولد له ذكور وإنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر «١» .

١٧٦٩٩ - عن قتادة رضي الله، عنه في قوله: ولكن رسول الله وخاتم النبيين قال: آخر نبي.

١٧٧٠٠ - عن جابر رضي الله، عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل ابتنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها! إلا موضع اللبنة فأنا موضع اللبنة فختم بي الأنبياء» «٢» .

قوله تعالى: اذكروا الله ذكرا كثيرا

١٧٧٠١ - عن ابن عباس رضي الله، عنهما في قوله: اذكروا الله ذكرا كثيرا يقول: لا يفرض على عبادة فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، فقال: فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى كل حال وقد سبحوه بكرة وأصيلا، فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو ملائكته قال الله تعالى: هو الذي يصلي عليكم وملائكته «٣» .

١٧٧٠٢ - عن مقاتل في قوله: اذكروا الله ذكرا كثيرا قال: باللسان، بالتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، وذكروه على كل حال وسبحوه بكرة وأصيلا يقول:

صلوا لله بكرة بالغداة وأصيلا بالعشي.

قوله تعالى: وسبحوه بكرة وأصيلا

١٧٧٠٣ - عن قتادة رضي الله، عنه في قوله: وسبحوه بكرة وأصيلا قال:

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٢٠/٢٨٠

صلاة الصبح وصلاة العصر «٤» .

---

(١) . الدر ٦/ ٦١٥.

(٢) . الدر ٦/ ٦١٥.

(٣) . الدر ٦/ ٦١٥.

(٤) . الدر ٦/ ٦٢٢.." (١)

"فمعناه أخذ عليهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه، ومن قرأ بالتاء فمعناه أخذ عليهم الميثاق، وقال لهم: لتبيننه للناس ولا تكتمونه. ثم أخبر عن سوء معاملتهم ونقضهم الميثاق فقال تعالى: فنبذوه وراء ظهورهم أي طرحوه خلف ظهورهم، يعني أنهم تركوا الميثاق ولم يعملوا به واشتروا به أي بكتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ثمنا قليلا أي عرضا يسيرا من متاع الدنيا فبئس ما يشترون يعني: بئس ما يختارون لأنفسهم الدنيا على الآخرة لا تحسبن يقول: لا تظنن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا يقول: يعجبون بما أوتوا، يعني بما غيروا من نعته وصفته، وهذا قول الكلبي. وقال الضحاك: إن اليهود كانوا يقولون للملوك:

إنا نجد في كتابنا أن الله يبعث نبيا في آخر الزمان يختم به النبوة، فلما بعثه الله سألهم الملوك:

أهو هذا الذي تجدونه في كتابكم؟ فقالت اليهود طمعا في أموال الملوك: هو غير هذا.

فأعطاهم الملوك مالا فقال الله تعالى: لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا أي بما أعطاهم الملوك ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا لأنهم كانوا يقولون: نحن على دين إبراهيم ولم يكونوا على دينه. ويقال: كانوا يقولون نحن أهل الصلاة والصوم والكتاب، ويريدون أن يحمدوا بذلك. قال الله تعالى: فلا تحسبنهم يقول فلا تظنهم بمفازة من العذاب

معناه لا تظنن أنهم ينجون من العذاب بذلك ولهم عذاب أليم أي دائم لا يخرجون منه أبدا.

ولله ملك السماوات والأرض أي خزائن السموات المطر، وخزائن الأرض النبات.

ويقال: جميع من فى السموات والارض عبيده وفي ملكه والله على كل شيء قدير من النبات وغيره. ويقال: هذا معطوف على أول الكلام أنهم لا ينجون من عذابه، يأخذهم متى شاء لأنه على كل شيء قدير إن في خلق السماوات والأرض وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية لصحة دعواه، لأنه كان يدعوهم إلى عبادة الله وحده، فنزل إن في خلق السماوات والأرض أي خلقين عظيمين. ويقال: فيما خلق في السموات من الشمس والقمر والنجوم، وما خلق في الأرض من الجبال والبحار والأشجار واختلاف الليل والنهار يقول: وذهاب الليل ومجيء النهار، ويقال اختلاف لونيهما لآيات أي لعبرات لأولي الألباب أي لذوي العقول الذين يذكرون الله قياما وقعودا أي يصلون لله قياما إن استطاعوا على القيام، وقعودا إن لم يستطيعوا القيام وعلى جنوبهم إن لم يستطيعوا القعود لزمانة.

ويقال: معناه الذين يذكرون الله في الأحوال كلها في حال القيام والقعود والاضطجاع، كما قال في آية أخرى: اذكروا الله

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - محققا الرازي، ابن أبي حاتم ٣١٣٨/٩

ذكرا كثيرا [الأحزاب: ٤١] ثم قال: ويتفكرون في خلق السماوات والأرض أي يعتبرون في خلقهما. قال: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا السراج، قال:

حدثنا قتيبة، قال: حدثنا ابن زرارة الحلبي، عن أبي حباب، عن عطاء بن أبي رباح قال:

دخلت مع ابن عمر وعبيد بن عمير على عائشة، فسلمنا عليها فقالت: من هؤلاء؟ فقلت:

عبد الله بن عمر، وعبيد بن عمير. فقالت: مرحبا بك يا عبيد بن عمير، ما لك لا تزورنا؟." (١)

"أبتدع ما لم أومر هذا بصائر من ربكم يعني: القرآن بيان من ربكم. وقال بعض أهل اللغة:

البصائر في اللغة: طرائق الأمر واحدتها بصيرة: ويقال: طريقة الدين معناه: ظهور الشيء وبيانه وهدى ورحمة أي: القرآن هدى من الضلالة ويقال: كرامة ورحمة من العذاب ونعمة لمن آمن به لقوم يؤمنون يعني: يصدقون.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٦]

وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون (٢٠٤) واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين (٢٠٥) إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون (٢٠٦)

قوله تعالى: وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وذلك أن المسلمين كانوا يتكلمون في الصلاة قبل نزول هذه الآية، فنهوا عن ذلك، وأمروا بالسكوت. وروى عبد الوهاب عن مجاهد عن أبي العالية الرياحي قال: كان النبي- عليه السلام- إذا صلى فقرأ وقرأ أصحابه خلفه حتى نزل وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا فسكت القوم. وقرأ النبي- عليه السلام- وروى قتادة عن سعيد بن المسيب في قوله تعالى: وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة. وروى مغيرة عن إبراهيم مثله، وسئل ابن عباس- رضي الله عنهما- عن قوله: وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له هذا لكل قارئ؟ قال: لا، ولكن هذا في الصلاة المفروضة. وقال أبو هريرة- رضي الله عنه- مثله. وقال مجاهد: وجب الإنصات في موضعين في الصلاة والإمام يقرأ، وفي الجمعة والإمام يخطب. وعن مجاهد أنه قال: لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم. وقال عطاء والحسن إن هذا في الصلاة والخطبة. ويقال: فاستمعوا له وأنصتوا أي: اعملوا بما في كتاب الله تعالى ولا تجاوزوا عنه إلى غيره ثم قال لعلكم ترحمون لكي ترحموا فلا تعذبوا.

قوله تعالى: واذكر ربك في نفسك تضرعا يقول: اقرأ يا محمد إذا كنت إماما بنفسك تضرعا يعني: مستكينا وخيفة يعني: وخوفا من عذابه وهذا قول مقاتل. وقال الكلبي:

واذكر ربك في نفسك يعني: سرا ودون الجهر من القول بالغدو والآصال يعني: العلانية حتى يسمع من خلفك. وقال الضحاك: معناه اجهر بالقراءة في الغداة والمغرب والعشاء ولا تكن من الغافلين يعني: لا تغفل عن القراءة في الظهر والعصر، فإنك تخفي القراءة فيهما وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «اذكروا الله ذكرا كثيرا خاملا» قيل: وما الذكر

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٢٧٣/١

الخامل؟ قال:

«الذكر الخفي» .." (١)

"وتخشى مقالة الناس والله أحق أن تخشاه في أمرها. قال الحسن: ما أنزل الله عز وجل على النبي صلى الله عليه وسلم آية أشد منها، ولو كان كاتما شيئا من الوحي لكتمها.

ثم قال: فلما قضى زيد منها وطرا يعني: حاجة زوجناكها فلما انقضت عدتها تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم. قال الحسن: فكانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول: أما أنتن فزوجكن آباؤكن. وأما أنا فزوجني رب العرش تعني: قوله: زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج يعني: لكيلا يكون على الرجل حرج بأن يتزوج امرأة ابنه الذي يتبناه في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا يعني: حاجة وكان أمر الله مفعولا تزوج النبي صلى الله عليه وسلم إياها كائن لا بد واللام للزيادة، وكي مثله فلو كان أحدهما، لكان يكفي ولكن يجوز أن يجمع بين حرفين زائدين إذا كانا جنسين. وإنما لا يجوز إذا كانا من جنس واحد كما قال ليس كمثله شيء [الشورى: ١١] ولا يصلح أن يقال: مثل مثل أو كي كي فإذا كانا جنسين جاز.

فقالت اليهود والمنافقون: يا محمد تنهى عن تزوج امرأة الابن ثم تتزوجها. فنزل قوله عز وجل: ما كان على النبي من حرج يقول: ليس على النبي إثم فيما فرض الله له يعني:

في الذي رخص الله عز وجل من تزوج زينب سنة الله في الذين خلوا من قبل يعني: هكذا سنة الله فى الذين مضوا يعني: في كثرة تزوج النساء كما فعل الأنبياء- عليهم السلام- وكان أمر الله قدرا مقدورا يعني: قضاء كائنا.

قوله عز وجل: الذين يبلغون رسالات الله قال مقاتل: يعني: النبي صلى الله عليه وسلم وحده.

ويقال: ينصرف إلى قوله: سنة الله في الذين خلوا من قبل الذين يبلغون رسالات الله.

ويخشونه في كتمان ما أظهر الله عليهم ولا يخشون أحدا في البلاغ إلا الله وكفى بالله حسيبا يعني: شهيدا بأن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ الرسالة عن الله عز وجل ويقال: شهيدا يعني:

حفيظا.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤٠ الى ٤٨]

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٥٧٨/١

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨)." (١)

"قوله عز وجل: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم يعني: بالتبني. وليس بأب لزيد بن حارثة ولكن رسول الله يعني: ولكنه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقال: لم يكن أب الرجال لأن بنيه ماتوا صغارا، ولو كان الرجال بنيه لكانوا أنبياء، ولا نبي بعده.

فذلك قوله: وخاتم النبيين قرأ بعضهم ولكن رسول الله بضم اللام، ومعناه:

ولكن هو رسول الله وكان خاتم النبيين وقرأ عاصم في إحدى الروايتين وخاتم النبيين بنصب التاء. وقرأ الباقون: بالكسر. فمن قرأ بالكسر يعني: آخر النبيين. ومن قرأ بالنصب فهو على معنى إضافة الفعل إليه. يعني: أنه ختمهم وهو خاتم. قال أبو عبيد: وبالكسر نقرأ لأنه رويت الآثار عنه أنه قال «أنا خاتم النبيين» فلم يسمع أحد من فقهائنا يروون إلا بكسر التاء. وكان الله بكل شيء عليما بمن يصلح للنبوة، وبمن لا يصلح. فإن قيل: كيف يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يظهر من نفسه، خلاف ما في قلبه. قيل له: يجوز مثل هذا لأن في قوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وفيه رد النفس عما تهوى. وهذا عمل الأنبياء والصالحين- عليهم السلام-. وقال بعضهم: للآية وجه آخر وهو إن الله تعالى قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنها تكون زوجته. فلما زوجها من زيد بن حارثة لم يكن بينهما ألفة. وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينهاه عن الطلاق، ويخفي في نفسه ما أخبره الله تعالى. وقال: بأنها تكون زوجته.

فلما طلقها زيد بن حارثة، كان يمتنع من تزوجها، خشية مقالة الناس، يتزوج امرأة ابنه المتبنى به. فأمره الله عز وجل بأن يتزوجها، ليكون ذلك سبب الإباحة لنكاح امرأة الابن المتبنى لأمته ونزل وإذ تقول للذي أنعم الله عليه [الأحزاب: ٣٧] الآية.

ثم قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** يعني: اذكروا الله باللسان.

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد» . قيل: يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال: تلاوة كتاب الله عز وجل، وكثرة ذكره» .

وذكر أن أعرابيا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن شرائع الإسلام قد كثرت، فأنبئني منها بأمر أتشبث به. فقال: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل» . ويقال: ليس شيء من العبادات أفضل من ذكر الله تعالى، لأنه قدر لكل عبادة مقدارا، ولم يقدر للذكر، وأمر بالكثرة فقال:

اذكروا الله **ذكرا كثيرا** يعني: اذكروه في الأحوال كلها. لأن الإنسان لا يخلوا من أربعة أحوال. إما أن يكون في الطاعة، أو في المعصية، أو في النعمة، أو في الشدة. فإذا كان في." (٢)

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٦٣/٣

(٢) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٦٤/٣

"٦٠٤ – وروى أبو المليح ، عن أبيه ، أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان رديفه على دابة فعثرت بهما الدابة فقال الرجل: تعس الشيطان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقل تعس الشيطان فإنه عند ذلك يتعاظم حتى يكون ملء البيت، ولكن قل بسم الله فإنه يصغر عند ذلك حتى يكون مثل الذباب»

٦٠٥ – وروى داود بن قيس رضي الله تعالى عنه، عن نافع، عن جبير ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال: «كفارة المجلس إذا أراد أحدكم أن يقوم من مجلسه أن يقول سبحانك اللهم، وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فإن كان مجلس ذكر كان كالطابع عليه إلى يوم القيامة، وإن كان مجلس لغو كان كفارة لما قبله»

٦٠٦ – قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ، بإسناده، عن محمد بن واسع، قال: قدمت مكة فلقيت أخا سالم بن عبد الله يحدث، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال: " من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت، وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة ".
قال: فقدمت خراسان فأتيت قتيبة بن مسلم فقلت: قد أتيتك بهدية فحدثته بالحديث، فكان قتيبة يركب في موكبه حتى يأتي السوق فيقول بهذه الكلمات ثم ينصرف
قال الفقيه رحمه الله: اعلم أن ذكر الله تعالى أفضل العبادات لأن الله تعالى جعل سائر العبادات مقدارا، وجعل لها أوقاتا، ولم يجعل لذكر الله تعالى مقدارا، ولا وقتا وأمر بالكثرة بغير المقدار وهو قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١] ، يعني اذكروه في جميع الأحوال، وتفسير الذكر في الأحوال كلها.
أن العبد لا يخلو من أربعة أحوال، إما أن يكون." (١)

"وذكر عن محمد بن سيرين ، أنه قال لرجل: كيف حالك؟ فقال: كيف حال من عليه خمس مائة درهم دينا، وهو معيل، فدخل ابن سيرين منزله، وأخرج ألف درهم، فدفعها إليه، وقال: خمس مائة اقض بها دينك وخمس مائة درهم أنفقها على عيالك.
وكان ابن سيرين لم يكن يسأل أحدا بعد ذلك كيف حالك؟ مخافة أن يخبر عن حاله، فيصير قيامه بأمره واجبا عليه وذكر عن إبراهيم بن أدهم ، قال: من أصبح لزمه شكر أربعة أشياء.
أولها أن يشكر، فيقول الحمد لله الذي نور قلبي بنور الهدى، وجعلني من المؤمنين، ولم يجعلني ضالا.
والثاني أن يقول الحمد لله الذي جعلني من أمة محمد صلى الله عليه وسلم.
والثالث أن يقول الحمد لله الذي لم يجعل رزقي بيد غيره.
والرابع أن يقول الحمد لله الذي ستر علي عيوبي وعن شقيق بن إبراهيم ، قال: لو أن رجلا عاش مائتي سنة، ولا يعرف

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي أبو الليث السمرقندي ص/٣٩٩

هذه الأربعة أشياء فليس شيء أحق به من النار.

أحدها: معرفة الله تعالى.

والثاني: معرفة عمل الله تعالى، فأن يعرفه في السر والعلانية، لأنه لا معطي ولا مانع غيره، وأما معرفة عمل الله تعالى، فأن يعرف أن الله تعالى لا يقبل من العمل، إلا ما كان خالصا لوجه الله تعالى، وأما معرفة نفسه، فأن يعرف ضعفه، وأنه لا يستطيع أن يرد شيئا مما يقضي الله تعالى عليه، يعني يرضى بما قسم الله له وأما معرفة عدو الله، وعدو نفسه، فأن يعرفه بالشر فيجزيه بالمعرفة حتى يكسره ويقال: ما من يوم أصبح فيه ابن آدم، إلا فرض الله عليه عشرة أشياء: أولها أن يذكر الله تعالى عند قيامه لقوله تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ [الطور: ٤٨] ، وقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴿٤١﴾ وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] ،." [1]

"ينوي إلا عقالا فله ما نوى، وقال: إني استعنت رجلا يغزو معي، فقال: لا حتى تجعل لي جعلا: فجعلت له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له: ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعلت له.

وروينا في الإسرائيليات أن رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه: لو كان لي هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس، قال: فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له: إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به، وفي أخبار كثيرة: من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، وفي حديث عبد الله بن عمر: من تكن الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب مايكون فيها، ومن تكن الآخرة نيته جعل لله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهد ما يكون فيها، وحديث أم سلمة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم جيشا يخسف بهم في البيداء فقلت: يا رسول الله يكون فيهم المكره والأجير، فقال: يحشرون على نياتهم، وفي حديث عمر مثله: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنما يقتتل المقتتلون على النيات، وفي حديث فضالة: من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها، وكذلك قال في الخبر: إذا التقى الصفات نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا، فلان يقاتل عصبية إلا فلانا يقولون قتل فلان في سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تعالى.

وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: يبعث كل عبد على ما مات عليه، وفي حديث الأحنف بن قيس عن أبي بكرة: إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: لأنه أراد قتل صاحبه، والنية عند قوم الإخلاص بعينه، وعند آخرين الصدق، وعند الجملة أنها صحة العقد وحسن القصد، وهي عند الجماعة من أعمال القلوب مقدمة في الأعمال وأول كل عمل، وقد قال الله تعالى: (واذكروا الله ذكرا كثيرا) الأحزاب: ٤١ قيل: في التفسير خالصا فسمي الخالص كثيرا، وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله تعالى، ووصف ذكر المنافقين بالقلة فقال: (يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) النساء: ١٤٢ يعني غير خالص، وسميت سورة: (قل هو الله أحد) سورة الإخلاص لأنها خالصة في ذكر صفات الله تعالى وحده، لا يختلط بذكره جنة ولا نار ولا وعد ولا وعيد ولا أمر ولانهي وكذلك قيل سورة التوحيد إذ لا شريك فيها من سواه فأول سلطان العدو على القلب عند فساد النية فإذا تغيرت من العبد

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي أبو الليث السمرقندي ص/٥٦٧

طمع فيه فيتسلط عليه وأول ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية، فإذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن الهوى، فإذا قويت النية صح العزم وضعفت صفات النفس، ولأنه ينتقل العبد من معصية إلى معصية دونها فيكون تاركا للأولى بنية الترك لله تعالى كان أنفع له وأحمد عاقبة." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنو اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ يعني: باللسان، وهذا ذكر ليس فيه وقت.

يحيى: عن خداش، عن ميمون بن عجلان، عن ميمون بن سياه، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله عليه السلام: " ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء: قوموا مغفورا لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات ". من حديث يحيى بن محمد.." (٢)

"﴿وكان أمر الله مفعولا﴾ أي: تزويج النبي - صلى الله عليه - زينب بنت جحش إياك لا محالة كائن.

القدر المقدور: السبب الجاري متعلقه على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان.

قوله: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ [٤٠] نزلت في زيد بن حارثة، والنبي - صلى الله عليه وسلم - كان أبا القاسم، وإبراهيم، والطيب، والمطهر. عن قتادة.

السنة: الطريقة الجارية على منهاج واحد.

قرأ عاصم وحده ﴿وخاتم النبيين﴾ بفتح التاء، وقرأ الباقون بكسر التاء.

مسألة:

إن سأل عن قوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨) يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩) يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن (٥١) ﴾ فقال:." (٣)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٣٩ الى ٥٥]

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٧١/٢

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ابن أبي زَمَنِين ٤٠٤/٣

(٣) تفسير ابن فورك ابن فُورَك ١١٠/٢

ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣)
تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨)

يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩) يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢) يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣)

إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما (٥٤) لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥)

قوله تعالى: الذين يبلغون رسالات الله محل الذين خفض على النعت على الذين خلوا ...

ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم وكفى بالله حسيبا حافظا لأعمال خلقه ومحاسبتهم عليها، ثم نزلت في قول الناس إن محمدا تزوج امرأة ابنه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، يعني زيدا، وإنما كان أبا القاسم والطيب والمطهر وإبراهيم.

ولكن رسول الله وخاتم النبيين أي آخرهم ختم الله به النبوة فلا نبي بعده، ولو كان لمحمد ابن لكان نبيا.

أخبرنا عبد الله بن حامد الوزان عن مكي بن عبدان، عن عبد الرحمن عن سفيان، عن." (١)

"الزهري، عن محمد بن جبير، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعدي نبي «١» .

واختلف القراء في قوله خاتم النبيين فقرأ الحسن وعاصم بفتح التاء على الاسم، أي آخر النبيين. كقوله: ختامه مسك، أي

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٥٠/٨

آخره. وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل، أي أنه خاتم النبيين بالنبوة.

وكان الله بكل شيء عليما. يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإنه لم يجعل له حدا ينتهى إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، وأمرهم بذكره في الأحوال كلها فقال: فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم «٢» وقال: اذكروا الله **ذكرا كثيرا** بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والصحة والقسم والسر والجهر وعلى كل حال. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا.

أخبرني ابن فنجويه عن ابن شبه عن الفراتي «٣» ، عن عمرو بن عثمان، عن أبي، عن أبي لهيعة، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون

وسبحوه وصلوا له بكرة يعني صلاة الصبح وأصيلا يعني صلاة العصر عن قتادة.

وقال ابن عباس: يعني صلاة العصر والعشاءين. وقال مجاهد: يعني قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، فعبر بالتسبيح عن أخواته، فهذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

قوله: هو الذي يصلي عليكم بالرحمة. قال السدي: قالت بنو إسرائيل لموسى:

أيصلي ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى فأوحى الله إليه أن قل لهم: إني أصلي، وإن صلاتي رحمتي، وقد وسعت رحمتي كل شيء.

وقيل: (يصلي) يشيع لكم الذكر الجميل في عباده. وقال الأخفش: يبارك عليكم وملائكته بالاستغفار والدعاء ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما.

---

(١) مسند الحميدي: ١/ ٢٥٤، السنن الكبرى للنسائي: ٦/ ٤٨٩ بتفاوت.

(٢) سورة النساء: ١٠٣. [.....]

(٣) صاحب التفسير أبو عمرو.." [١]

"تفتح لأحد بعده.

روى جابر أن النبي A: " أنا خاتم ألف نبي أو أكثر ". والخاتم الذي يلبس، فيه أربع لغات: خاتم وخاتم وخاتام وخيتام.

ثم قال تعالى ذكره: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ أي: اذكروه بقلوبكم وجوارحكم ولا تخلوا أنفسكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم.

ثم قال: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أي: صلوا له غدوة وعشيا، يعني صلاة الصبح وصلاة العصر، والأصيل العشي وجمعه أصائل. والأصيل بمعنى الأصل وجمعه آصال، هذا لفظ المبرد. وقال غيره: أصل عنده جمع أصيل كرغيف ورغف.." [٢]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٥١/٨

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٥٨٤٥/٩

"﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾ قوله تعالى: ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ فيه قولان: أحدهما: ذاكروه بالقلب ذكرا مستديما يؤدي إلى طاعته واجتناب معصيته. الثاني: اذكروا الله باللسان **ذكرا كثيرا** ، قاله السدي. وروى مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من عجز عن الليل أن يكابده ، وجبن عن العدو أن يجاهده ، وبخل بالمال أن ينفقه فليكثر ذكر الله عز وجل) وفي ذكره هنا وجهان: أحدها: الدعاء له والرغبة إليه ، قاله ابن جبير. الثاني: الإقرار له بالربوبية والاعتراف له بالعبودية. قوله: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ قال قتادة صلاة: الصبح والعصر ، قال الأخفش: والأصيل ما بين العصر والليل. وقال الكلبي: الأصيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء. وفي التسبيح هنا ثلاثة أوجه: أحدها: أنه التسبيح الخاص الذي هو التنزيه.." (١)

"باب الذكر قال الله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١]

أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان البردعي قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قال: حدثنا هارون بن معروف قال: حدثنا أنس بن عياض قال: حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند ، عن زياد بن أبي زياد ، عن أبي بحرية ، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق وأن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: ما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله تعالى

أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن قال: حدثنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا الديري ، عن عبد الرزاق ، عن عمر ، عن الزهري ، عن ثابت ، عن أنس ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله

أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا معاذ قال: حدثنا أبي قال: حدثنا حميد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله

قال الأستاذ: الذكر ركن قوى في طريق الحق سبحانه وتعالى بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر." (٢)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٨]

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨)

لا يعارض ولا يناقض، ولا يرد ولا يجحد. وما كان على النبي من حرج بوجه لكونه معصوما.

قوله جل ذكره:

---

(١) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٤/٤٠٩

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٢/٣٧٤

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٩]

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩)

«ويخشونه» : علما منهم بأنه لا يصيب أحدا ضرر ولا محذور ولا مكروه إلا بتقديره فيفردونه بالخشية إذ علموا أنه لا شيء لأحد من دونه.

قوله جل ذكره:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤٠]

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠)

لم يكن مضافا إلى ولد فله عليكم شفقة الآباء.. ولكن ليس بأبيكم.

ويقال نسبه ظاهر.. ولكن إنما يعرف بي لا بنسبه فقلما يقال: محمد بن عبد الله، ولكن إلى أبد الأبد يقال: محمد رسول الله. وشعار الإيمان وكلمة التوحيد- بعد لا إله إلا الله- محمد رسول الله.

قوله جل ذكره:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)

الإشارة فيه أحبوا الله لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: «من أحب شيئا.

أكثر من ذكره» فيجب أن تقول: الله، ثم لا تنس الله بعد ذكرك الله.

ويقال: اذكروا الله بقلوبكم فإن الذكر الذي تمكن استدامته ذكر القلب فأما ذكر اللسان فإدامته مسرمدا كالمتعذر.." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ وهو أن لا ينسى على حال." (٢)

"ولهذا لم يثن، كما يقال: رجلان عدل. ويحتمل أن يكون الأمر من باب حذف المضاف، على تقدير: ذوي خلفة (١).

قوله: ﴿لمن أراد أن يذكر﴾ أي: يتذكر، فيتبين شكر الله، وموضع النعمة، وإتقان الصنعة، فيستدل به على التوحيد. والتشديد، على أنه: يتذكر، ويتفكر ليدرك العلم بقدرته، ويستدل على توحيده. وقرأ حمزة، مخففا (٢)، على معنى (٣) أنه: يذكر ما نسيه في أحد هذين الوقتين، في الوقت الآخر. ويجوز أن يكون: على تذكر تنزيه الله تعالى، وتسبيحه فيهما؛ كما قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١] هذا كلام أبي علي (٤).

وقال الفراء: (ويذكر، ويتذكر) يأتيان بمعنى واحد؛ قال الله تعالى: ﴿واذكروا ما فيه﴾ [البقرة: ٦٣] في حرف عبد الله: (وتذكروا) ما فيه انتهى كلامه (٥). وفي جعل الله تعالى الليل والنهار متعاقبين، يخلف أحدهما

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ١٦٤/٣

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٨٦٨

= والزيادة والنقصان .. وهذا القول يرجع إلى المعنى الأول؛ لأن معنى الاختلاف في اللغة: التفرق في الجهات جهة اليمين والشمال والخلف والقدام، ثم شبه الاختلاف في المذاهب وفي كل شيء بالاختلاف في الطريق مواجهة أن كل واحد من المختلفين على نقيض ما ذهب إليه الآخر كالمختلفين في الطريق.

(١) ذكره القرطبي ١٣/ ٦٦، ولم ينسبه.

(٢) كتاب "السبعة في القراءات" ص ٤٦٦، و"الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٣٤٨، وقرأ بها من القراء العشرة خلف، "النشر في القراءات العشر" ٢/ ٣٣٤.

(٣) (معنى) (خ).

(٤) "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٣٨٤، قال: المعنى في قراءة حمزة: ﴿أن يذكر﴾ يتذكر.

(٥) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٢٧١، بلفظ: وفي قراءتنا ﴿واذكروا ما فيه﴾ [البقرة: ٦٣] وفي حرف عبد الله (وتذكروا ما فيه) وذهب إلى أنهما بمعنى واحد: ابن جرير ١٩/ ٣٢. لم أجده عند ابن خالويه، ولا ابن جني.." [١]

"الله اقتداء لو اقتديتم به في نصرته ومؤازرته، والشد على يده بالصبر معه في مواطن القتال، كما فعل هو بيوم أحد، إذ كسرت رباعيته وشج فوق حاجبه، وقتل عمه، وأوذي بضروب الأذى، فواساكم مع ذلك بنفسه، فهلا فعلتم مثل ما فعل واستنيتم بسنته (١).

قوله: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾. قال الفراء: خص الله بها المؤمنين (٢). يعني قوله بمن (٣) بدل من قوله لكم، وهو تخصيص بعد التعميم للمؤمنين بالأسوة.

قال ابن عباس: يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم (٤). ﴿وذكر الله كثيرا﴾ أي: **ذكرا كثيرا** باللسان (٥)، وذلك أن ذاكر الله هو الذي يأتمر لأوامره بخلاف الغافل عن ذكر الله.

٢٢ - ثم ذكر المؤمنين ووصف حالهم بقوله: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه. ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ قال قتادة ومقاتل: كان الله وعدهم في ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ إلى قوله ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾ [البقرة: ٢١٤]. فأخبرهم بما سيكون من الشدة التي تلحقهم من عدوهم، فلما رأوا يوم الأحزاب ما

(١) "تفسير الثعلبي" ٣/ ١٩١ أ، وذكر السمرقندي في "بحر العلوم" ٣/ ٤٤ قريبا من هذا المعنى.

(٢) "معاني القرآن" ٢/ ٣٣٩.

(٣) في (ب): (ممن)، وكلاهما لا يتضح به الكلام، وإنما هي كما جاءت في القرآن: لمن.

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٧٠/١٦

(٤) انظر: "تفسير البغوي" ٣/ ٥١٩، "زاد المسير" ٦/ ٣٦٨، "مجمع البيان" ٨/ ٥٤٨.

(٥) في (أ): (ذكر)، أسقط الألف، وهو خطأ.." [1]

"على الطينة، وهو اسم مثل العالم، يدل على هذا قولهم عند زيادة الحرف خاتام، فدلت زيادة الألف على أن التاء مفتوح في الخاتم (١).

قوله: ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ قال ابن عباس: يريد علم ما يكون قبل أن يكون (٢).

٤١ - وقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ قال الكلبي ومقاتل: **ذكرا كثيرا** باللسان (٣). وقال مجاهد: هو ألا ينساه أبدا (٤). وقال الكلبي: ويعني **ذكرا كثيرا** بالصلوات الخمس (٥).

وقال ابن حيان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال وهو أن يقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (٦). وبلغنا أن هؤلاء الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والغائط والحدث (٧).

٤٢ - وقوله: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أي: صلوا لله صلاة الفجر والعصر. قاله مقاتل وقتادة (٨). وقال ابن حيان: صلوا لله بالغداة

---

(١) انظر: "تهذيب اللغة" (ختم)، "اللسان" ١٢/ ١٦٣ (ختم).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: "تفسير مقاتل" ٩٣ ب، ولم أقف على من نسبه للكلبي.

(٤) انظر: "تفسير البغوي" ٣/ ٥٣٤، "مجمع البيان" ٨/ ٥٦٨.

(٥) انظر: "الوسيط" ٣/ ٤٧٥، "زاد المسير" ٦/ ٣٩٦.

(٦) انظر: "مجمع البيان" ٨/ ٥٦٨، "زاد المسير" ٦/ ٣٩٦.

(٧) ذكر ابن قدامة في "المغني" ١/ ١٣٤ بأنه لا خلاف في أن للحائض والجنب ومن في حكمهما ذكر الله -سبحانه وتعالى-، وهذه الألفاظ من الذكر.

(٨) انظر: "تفسير مقاتل" ٩٣ ب، "تفسير الماوردي" ٤/ ٤٠٩، "الطبري" ٢٢/ ١٧.." [2]

"مؤمنين، فقال: ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ [الأحزاب: ١٩] أي: هم أظهروا الإيمان فقد نافقوا ليسوا بمؤمنين، ﴿فأحبط الله أعمالهم﴾ [الأحزاب: ١٩] قال مقاتل: أبطل الله جهادهم لأنه لم يكن في إيمان، وكان ذلك الإحباط، ﴿على الله يسيرا﴾ [الأحزاب: ١٩] .

ثم أخبر بما دل على جبنهم، فقال: ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢١٤/١٨

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٢٦٢/١٨

يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ [الأحزاب: ٢٠] ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ [الأحزاب: ٢٠] يحسب المنافقون أن الأحزاب معسكرون مقيمون من الخوف الذي نزل بهم، يحسبون أنهم لم يذهبوا إلى مكة، ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ [الأحزاب: ٢٠] يرجعون إليهم للقتال، ﴿يودوا لو أنهم بادون في الأعراب﴾ [الأحزاب: ٢٠] يتمنوا لو كان في بادية الأعراب خارجون إليهم من الرهبة، والبادون خلاف الحاضرين، يقال: بدا يبدو بداوة وبداوة إذا خرج إلى البادية. ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ [الأحزاب: ٢٠] أي: ودوا لو أنهم بالبعد منكم يسألون عن أخباركم، يقولون: ما فعل محمد وأصحابه؟ فيعرفون حالكم بالاستخبار، لا بالمشاهدة.

﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ [الأحزاب: ٢٠] قال الكلبي: إلا رميا بالحجارة.

وقال مقاتل: إلا رياء من غير احتساب.

ثم عاب من كان بالمدينة بقوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴿٢١﴾ ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢١-٢٢] ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ [الأحزاب: ٢١] قال المفسرون: قدوة صالحة.

ويقال: لي في فلان أسوة حسنة.

يقول: لكم برسول الله اقتداء لو اقتديتم به في تصرفه والصبر معه في مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد، إذ كسرت رباعيته، وشج حاجبه، وقتل عمه فواساكم مع ذلك بنفسه، فهلا فعلتم مثل ما فعل هو.

وقوله: ﴿لمن كان يرجو الله﴾ [الأحزاب: ٢١] بدل من قوله: لكم وهو تخصيص بعد التعميم للمؤمنين، يعني أن الأسوة برسول الله إنما كانت لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، قال ابن عباس: يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم.

وقال مقاتل: يخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال.

وهو قوله: ﴿واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ [الأحزاب: ٢١] أي: **ذكرا كثيرا**، وذلك إن ذاكر الله متبع لأمره بخلاف الغافل عن ذكره.

ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب بقوله: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ [الأحزاب: ٢٢] وذلك أن الله تعالى كان قد وعدهم في ﴿ [البقرة بقوله:] أم." (١)

"موضع اللبنة، ختم بي الأنبياء، رواه البخاري، عن محمد بن سنان، رواه مسلم، عن محمد بن حاتم، عن عبد الرحمن بن مهدي، كلاهما عن سليم بن حيان

﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ﴿٤١﴾ وسبحوه بكرة وأصيلا ﴿٤٢﴾ هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما ﴿٤٣﴾ تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٤] قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١] قال مجاهد: هو أن لا تنساه أبدا.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤٦٤/٣

وقال الكلبي: ويقال: ذكر كثيرا بالصلوات الخمس.

وقال مقاتل بن حيان: هو التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير على كل حال، وهو أن يقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

قال: وبلغنا أن هؤلاء الكلمات يتكلم بهن صاحب الجنابة والغائط والمحدث.

٧٥٦ - أخبرنا منصور بن عبد الوهاب البزاز، أنا أبو عمر محمد بن أحمد الحيري، أنا علي بن المثنى، نا عمرو بن الحصين، نا عبد الله بن عبد الملك القرشي، نا عبد الله بن زيد بن جابر، سمعت إسماعيل بن عبيد الله مؤذن مسلمة بن عبد الملك يحدث، عن كريمة بنت الحسحاس، قالت: حدثنا أبو هريرة، قال: سمعت رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول: يقول ربكم «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»

وقوله: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤٢] صلوا لله بالغداة والعشي، قال الكلبي: أما بكرة فصلاة الفجر، وأما أصيلا فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء.

قوله: ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ [الأحزاب: ٤٣] أي: يرحمكم ويغفر لكم، وملائكته قال ابن عباس: يدعون لكم.

وقال المقاتلان: ويأمر الملائكة بالاستغفار لكم.

﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ [الأحزاب: ٤٣] من الشرك والكفر إلى الإيمان، يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان.

﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ [الأحزاب: ٤٤] قال الكلبي: تحييهم الملائكة على أبواب الجنة بالسلام، فإذا دخلوها حيا بعضهم بعضا بالسلام، وتحية الرب إياهم حين يرسل إليهم بالسلام.

وقال مقاتل: تسلم الملائكة عليهم يوم يلقون الرب عز وجل.

وروي عن البراء بن عازب أنه قال: يوم يلقون ملك الموت لا." (١)

"﴿من رجالكم﴾ أي من رجال الدنيا، فإن الله استأثر بنبيه أطفالا لم يبلغوا مبلغ الرجال.

وقال الشعبي: ما كان ليعيش فيكم له ولد ذكر (١)، وتسمية الفاطمية حي رسول الله على المجاز كقوله -عليه السلام- (٢) لأغيلمة [بني عبد المطلب] (٣) ليلة الجمع بالمزدلفة حين قدم ضعفة أهله: "أبني لا ترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس" (٤).

﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ عن عبد الله بن بسر أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال: "لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله" (٥).

وعن أنس قال: قال رسول الله -عليه السلام- (٦): "ذكر الله علم الإيمان وبراءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار" يحتمل الوحي فرقا للنبي -عليه السلام- (٧)، ويحتمل التوفيق.

﴿ودع أذاهم﴾ واترك مراعاة جانبهم والتودد إليهم باحتمال مشقتهم، وإنما أمره بذلك لأن النبي -عليه السلام- (٦) ما

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤٧٥/٣

كان يحتمل أذاهم إلا لوجه الله تعالى.

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك﴾ فيه دليل على أن جواز الجمع بين الحقيقة في لفظ إذا تجانسا ولم يتنافيا؛ لأن قوله: ﴿أحللنا﴾ حقيقة في حق

---

(١) الترمذي (٣٢١٠).

(٢) (السلام) ليست في "ي".

(٣) ما بين [...] من الأصول.

(٤) النسائي (٥/ ٢٧٠)، والحميدي في مسنده (٤٦٥)، والحديث صحيح.

(٥) الترمذي (٣٣٧٥)، وأحمد (٤/ ١٨٨)، وابن حبان (٨١٤)، والحديث صحيح.

(٦) (السلام) ليست "ي" وبدلها (- صلى الله عليه وسلم -).

(٧) (السلام) ليست في "ي".." [1]

"وعن الشعبي: أن زينب بنت جحش قالت للنبي عليه السلام: إني لأدل عليك بثلاث، ما من نسائك امرأة تدل بهن: إحداهن: أن جدي وجدك واحد، والثاني: أن الله تعالى زوجنيك من السماء، والثالث: أن السفير جبريل (١) عليه السلام. (٢)

﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج:﴾ يبين أن فعل النبي عليه السلام كان فعلا طاهرا يدل على جوازه لأمته ما لم تقم دلالة لتخصيص فيها فرض الله له، وفي استباحة ما خصه الله بالإباحة (٣) له مما يراه الناس محظورا عليه بعقولهم أو بأوهامهم.

٣٨ - ﴿سنة الله:﴾ نصب على المصدر، أي: سن الله فيك سنته. (٤)

﴿وكان أمر الله قدرا (٥)﴾ مقدورا: أي: كان قضاؤه مقدرا. (٦)

٣٩ - ﴿الذين يبلغون:﴾ في محل الخفض بدلا من ﴿الذين خلوا﴾ (٧) [الأحزاب:٣٨].

٤٠ - ﴿من رجالكم:﴾ أي: من رجال الدنيا، فإن الله استأثر نبيه أطفالا لم يبلغوا مبلغ الرجال. (٨) وقال الشعبي: ما كان ليعيش فيكم له ولد ذكر (٩). (١٠) وتسمية الفاطمية بني رسول الله على المجاز، كقوله عليه السلام لأغيلمة (١١) ليلة الجمع حين قدم ضعفة أهله: «أبنيني لا ترموا جمرة العقبة حتى تطلع الشمس» (١٢).

٤١ - ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا:**﴾ عن عبد الله بن بسر (٢٦٦ ظ) أن رجلا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد

---

[1] درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ١٤١٥/٣

كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، فقال: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله» (١٣)، وعن أنس قال: قال رسول الله عليه السلام: «ذكر الله علم

---

(١) أ: يل.

(٢) تفسير الثعلبي ٨/ ٤٩، وتفسير القرطبي ١٤/ ١٩٥، والخصائص الكبرى ٢/ ٤٢٩.

(٣) ك: بالأخذ له.

(٤) ينظر: كشف المشكلات ٢/ ٢٣٠، مجمع البيان ٨/ ١٢٢، والبحر الميحيط ٨/ ٤٨٤.

(٥) أ: قديا.

(٦) ينظر: تفسير السمرقندي ٣/ ٥٩، وتفسير السمعاني ٤/ ٢٩٠، وتفسير البيضاوي ٤/ ٢٣٢.

(٧) ينظر: تفسير الطبري ١٠/ ٣٠٥.

(٨) ينظر: تفسير الطبري ١٠/ ٣٠٥، والكشاف ٣/ ٥٥٣، والدر المنثور ٦/ ٥٤٤.

(٩) الأصول المخطوطة: ذلك. والصواب ما أثبت.

(١٠) ينظر: الترمذي (٣٢١٠)، والدر المنثور.

(١١) الأصول المخطوطة: لأغيامه، والتصويب من كتب التخريج.

(١٢) أخرجه الطيالسي في مسنده ٣٥٢، وأحمد في المسند ١/ ٣٢٦، والنسائي في السنن الصغرى ٥/ ٢٧١.

(١٣) أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه في السنن (٣٧٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٨١٤).." [1]

"قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ فيه قولان: أحدهما:." [2]

"قوله تعالى: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ أكثر المفسرين أن المراد منه زيد بن حارثة، ومعناه: أنه ليس بأبي زيد بن حارثة، فإن قيل: أليس انه قد كان له أولاد ذكور وإناث، وكذلك الحسن والحسين كانا ولديه.

وقد ثبت عن النبي أنه قال للحسن بن علي: " إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ".

وفيه إشارة إلى الصلح الذي وقع بين أهل العراق وأهل الشام حين بايع الحسن معاوية وسلم إليه الأمر، والقصة معروفة.

والجواب عنه من وجهين: أحدهما: أن

﴿رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي﴾ معنى قوله: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ أي: أبا رجل لم يلده، ولم يكن ولد زيد بن حارثة؛ فلم يكن أباه، وقد كان له أولاد ذكور ولدهم وهم: القاسم، والطيب، والطاهر، وإبراهيم رضي الله عنهم وجعل بعضهم بدل الطاهر المطهر.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤٦٦/٢

(٢) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٢٩٠/٤

والجواب الثاني: أنه قال: ﴿من رجالكم﴾ وهؤلاء كانوا صغارا، والرجال اسم يتناول البالغين. وروى عطاء عن ابن عباس أن الله تعالى لما حكم أنه لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا، ولو أعطاه ولدا ذكرا يصير رجلا لجعله نبيا.

وقد قال بعض العلماء: ليس هذا بمستنكر، ويجوز أن يكون له ولد رجل ولا يكون نبيا، وما ذكرناه محكى عن ابن عباس، والله أعلم.

وقوله: ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ وقرئ: " خاتم " بنصب التاء، فأما قوله: ﴿وخاتم النبيين﴾ بالفتح أي: آخر النبيين، وأما بالكسر أي: ختم به النبيين.

وقوله: ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ أي: عالما، وقد ثبت برواية جابر بن عبد الله أن النبي قال: " مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة منها، فجعل كل من يدخل الدار يقول: ما أحسنها وأكملها لولا موضع اللبنة، فأنا اللبنة، ولا نبي بعدي ".

وفي بعض الغرائب من الأخبار: أن النبي قال: " لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين، كلهم يزعم أنه نبي، ولا نبي بعدي ".." (١)

"ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال ادعوني أستجب لكم فأطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليما كثيرا

أما بعد

فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالأدعية الخالصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الأذكار

وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها

ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة

الباب الأول في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا

الباب الثاني في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث في أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها

الباب الرابع في أدعية منتخبة محذوفة الإسناد من الأدعية الماثورة

الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث

الباب الأول في فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار

---

(١) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٢٩٠/٤

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى فاذكروني أذكركم قال ثابت البناني رحمه الله إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وقال تعالى فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية

وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله إلا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى ولذكر الله أكبر قال ابن عباس رضي الله عنهما له وجهان أحدهما أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه إلى غير ذلك من الآيات

وأما الأخبار فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالشجرة في وسط الهشيم (١) وقال صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي (٢) وقال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم

---

(١) حديث ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم أخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال في وسط الشجر الحديث

(٢) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه أخرجه البيهقي وابن حبان من حديث أبي هريرة والحاكم من حديث أبي الدرداء وقال صحيح الإسناد." (١)

"الكثيفة.

ثم اغسل يدك اليمنى، ثم اليسرى مع المرفقين إلى أنصاف العضدين، فإن الحلية في الجنة تبلغ مواضع الوضوء. وقل عند غسل اليد اليمنى: أعطني كتابي بيميني، وحاسبني حسابا يسيرا، وعند غسل الشمال: اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري.

ثم استوعب رأسك بالمسح، بأن تبل أيداك وتلصق رؤوس أصابع يدك اليمنى باليسرى، وتضعهما على مقدمة الرأس، وتمررهما إلى القفا، ثم ترددهما إلى المقدمة، فهذه مرة، تفعل ذلك ثلاث مرات، وكذلك في سائر الأعضاء، وقل: اللهم غشني برحمتك، وأنزل على من بركاتك، وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، اللهم حرم شعري وبشرى على النار.

ثم امسح أذنيك ظاهرهما وباطنهما بماء جديد، وأدخل مسبحتك في صماخ أذنيك، وأمسح أذنيك ببطن إبهاميك، وقل: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أسمعني منادى الجنة في الجنة مع الأبرار.

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢٩٤/١

ثم امسح رقبتك، وقل: اللهم فك رقبتي من النار، وأعوذ بك من السلاسل والأغلال.
ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين، وخلل بخنصر اليسرى أصابع رجلك اليمنى مبتدئا بخنصرها، حتى تختم بخنصر اليسرى، وتدخل الأصابع من أسفل، وقل: اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم مع أقدام عبادك الصالحين..
وكذلك تقول عند غسل اليسرى: اللهم إني أعوذ بك آن تزول قدمي على الصراط في النار يوم تزل أقدام المنافقين والمشركين.
وارفع الماء إلى أنصاف الساقين، وراع التكرار ثلاثا في جميع أفعالك.
فإذا فرغت فارفع بصرك إلى السماء، وقل: اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، تسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أنت التواب الرحيم، اللهم اجعلني من التوابين؛ واجعلني من المتطهرين، واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا، شكورا، واجعلني أذكرك ذكرا كثيرا، وأسبحك بكرة وأصيلا.
فمن قرأ هذه الدعوات في وضوئه خرجت خطاياه من جميع أعضائه، وختم على وضوئه بخاتم، ورفع له تحت العرش، فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه، ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة.
واجتنب في وضوئك سبعا: لاتنفض يديك فترش الماء، ولا تلطم وجهكن ورأسك بالماء لطما، ولا تتكلم في أثناء الوضوء، ولا تزد في الغسل." (١)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)
قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) ، قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما أعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهى إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الأحوال، فقال:
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم [النساء: ١٠٣] . وقال: اذكروا الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار، في البر والبحر وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا.
وسبحوه، أي صلوا له، بكرة، يعني صلاة الصبح، وأصيلا، يعني صلاة العصر. وقال الكلبي: وأصيلا صلاة [١] الظهر والعصر والعشاءين. وقال مجاهد: يعني قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فعبر بالتسبيح عن أخواته. وقيل: المراد من قوله ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.
هو الذي يصلي عليكم وملائكته، فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين قال السدي قالت بنو إسرائيل لموسى: أيصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى، فأوحى الله إليه أن قل لهم إني أصلي وإن صلاتي رحمتي، وقد وسعت رحمتي كل شيء، وقيل: الصلاة من الله [الرحمة وقيل الصلاة من الله] [٢] على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده. وقيل: الثناء عليه.

---

(١) بداية الهداية أبو حامد الغزالي ص/٣٢

«١٧٢٥» قال أنس: لما نزلت: إن الله وملائكته يصلون على النبي [الأحزاب: ٥٦] ، قال أبو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه، فأنزل الله هذه الآية. قوله: ليخرجكم من الظلمات إلى النور، أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور، وكان بالمؤمنين رحيما. تحيتهم، أي تحية المؤمنين، يوم يلقونه، أي يرون الله، سلام، أي يسلم الله عليهم، ويسلمهم من جميع الآفات.

- وأخرجه البخاري ٣٥٣٢ و٤٨٩٦ ومسلم ٢٣٥٤ والترمذي في «الشمائل» ٣٥٩ وأحمد ٤/ ٨٤ والدارمي ٢/ ٣١٧- ٣١٨ وابن سعد ١/ ٨٤ والآجري ١٠٢٥ وابن أبي شيبة ١١/ ٤٥٧ وعبد الرزاق ١٩٦٥٧ والحميدي ٥٥٥ وابن حبان ٦٣١٣ والطبراني ١٥٢٠- ١٥٣٠ وأبو نعيم في «الدلائل» ١٩ والبيهقي في «الدلائل» ١/ ١٥٢ و١٥٣ و١٥٤ من طرق عن الزهري به.

- وأخرجه الطيالسي ٩٢٤ وأحمد ١٤/ ٨١ و٨٣ وابن سعد ١/ ٨٣ وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» ٣٤٤٥ والطحاوي ٢/ ٥٠ والآجري ١٠٢٧ والطبراني ١٥٦٣ والبيهقي ١/ ١٥٥ و١٥٦ من طريقين عن نافع بن جبير عن أبيه بنحوه، وفيه زيادة «وأنا الخاتم» .

١٧٢٥- لم أره مسندا، وهو غريب جدا، وهو شبه موضوع حيث لم يذكره من أصل التفسير سوى المؤلف، وبدون إسناد، والله أعلم.

(١) في المخطوط «صلوا» .

(٢) زيادة من المخطوط. [.....]."[1]

"قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا (١) .

وروي عن عطاء عن ابن عباس: أن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد الخذاشاهي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم، حدثنا أبكر الجوربذي، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس عن يزيد، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل" (٢) .

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا علي بن أحمد الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب الشاشي، أخبرنا أبو عيسى الترمذي، أخبرنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، وغير واحد قالوا، أخبرنا سفيان عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، يمحو الله بي الكفر، وأنا

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٦٤٧/٣

الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي" (٣) .

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) ﴾

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة (٤) إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله (٥) وأمرهم به في

---

(١) انظر: زاد المسير: ٦ / ٣٩٣.

(٢) أخرجه المصنف في شرح السنة: ١٣ / ٢٠١، وأخرج البخاري: ٦ / ٥٥٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين" ومسلم ٤ / ١٧١٩ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية من زوايا، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ! قال: فأنا اللبنة. وأنا خاتم النبيين".

(٣) أخرجه الترمذي في الأدب، باب: ما جاء في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم: ٨ / ١٢٨-١٣٠، وقال: "هذا حديث حسن صحيح" وأخرجه البخاري في المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم: ٦ / ٥٥٤، والمصنف في شرح السنة: ١٣ / ٢١١.

(٤) ساقط من "أ".

(٥) أخرجه الطبري: ٢٢ / ١٧، وابن كثير: ٣ / ٤٩٦.." [1]

"كل الأحوال، فقال: "فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم" (النساء-١٠٣) . وقال: ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ أي: بالليل والنهار، في البر والبحر وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا.

﴿وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) ﴾." [2]

"﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) ﴾

﴿وسبحوه﴾ أي: صلوا له، ﴿بكرة﴾ يعني: صلاة الصبح، ﴿وأصيلا﴾ يعني: صلاة العصر. وقال الكلبي: "وأصيلا" صلاة الظهر والعصر والعشاءين.

وقال مجاهد: يعني: قولوا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فعبر بالتسبيح عن

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٥٩/٦

(٢) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٦٠/٦

أخواته.

وقيل: المراد من قوله: "ذكرا كثيرا" هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث (١) . ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ فالصلاة من الله: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار للمؤمنين.

قال السدي قالت بنو إسرائيل لموسى: أيصلي ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى، فأوحى الله إليه: أن قل لهم: إني أصلي، وإن صلاتي رحمتي، وقد وسعت رحمتي كل شيء (٢) .

وقيل: الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده. وقيل: الثناء عليه.

قال أنس: لما نزلت: ﴿إن الله وملائكته، يصلون على النبي﴾ قال أبو بكر: ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه، فأنزل الله هذه الآية (٣) .

قوله: ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ أي: من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان يعني: أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور، ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ ﴿تحيتهم﴾ أي: تحية المؤمنين، ﴿يوم يلقونه﴾ أي: يرون الله، ﴿سلام﴾ أي: يسلم الله عليهم، ويسلمهم من جميع الآفات.

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٧ / ٢٣٧، زاد المسير: ٦ / ٣٩٧-٣٩٨.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٦ / ٦٢٢.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦ / ٦٢٢ لعبد بن حميد وابن المنذر.." [1]

"لا ينبأ أحد بعده، وعيسى ممن نبئ قبله، وحين ينزل ينزل عاملا على شريعة محمد، مصليا إلى قبلته، كأنه بعض أمته.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)

اذكروا الله أثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو أهله، وأكثروا ذلك بكرة وأصيلا أى في كافة الأوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ذكر الله على فم كل مسلم «١» . وروى في قلب كل مسلم. وعن قتادة: قولوا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وعن مجاهد: هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب. والفعلان، أعنى اذكروا وسبحوا موجهان إلى البكرة والأصيل، كقولك: صم وصل يوم الجمعة، والتسبيح من جملة الذكر، وإنما اختصه من بين أنواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة، ليبين فضله على سائر الأذكار، لأن معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والأفعال، وتبرئته من القبائح. ومثال فضله على غيره من الأذكار فضل وصف العبد بالنزاهة من أدناس

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/٣٦٠

المعاصي، والطهر من أرجاس المآثم، على سائر أوصافه من كثرة الصلاة والصيام، والتوفر على الطاعات كلها، والاشتمال على العلوم، والاشتهار بالفضائل. ويجوز أن يريد بالذكر وإكثاره: تكثير الطاعات، والإقبال على العبادات، فان كل طاعة وكل خير من جملة الذكر، ثم خص من ذلك التسبيح بكرة وأصيلا وهي الصلاة في جميع أوقاتها لفضل الصلاة على غيرها. أو صلاة الفجر والعشاءين، لأن أداءها أشق ومراعاتها أشد.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤٣ الى ٤٤]

هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

لما كان من شأن المصلى أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا. كعائد المريض في انعطافه عليه، والمرأة في حنوها على ولدها، ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم: صلى الله عليك، أى ترحم عليك وترأف. فإن قلت: قوله هو الذي يصلي عليكم

---

(١) . لم أجده بهذا اللفظ. وروى الدارقطني والبيهقي وابن عدى من حديث أبى هريرة قال «سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرجل منا يذبح وينسى أن يسمى؟ قال: اسم الله على فم كل مسلم» وفيه مروان بن سالم. وهو ضعيف جدا.." (١)

"وهي بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أعلم تعالى أنه زوجها منه لما قضى زيد وطره منها لتكون سنة للمسلمين في أزواج أدعيائهم وليتبين أنها ليست كحرمة النبوة، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لزيد: ما أجد في نفسي أوثق منك فاخطب زينب علي، قال فذهبت ووليتها ظهري توقيرا للنبي صلى الله عليه وسلم وخطبتها ففرحت، وقالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها، و «الوطر» : الحاجة والبغية، والإشارة هنا إلى الجماع، وروى جعفر بن محمد عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وسلم «وطرا زوجتكها» .

قال الفقيه الإمام القاضي: وذهب بعض الناس من هذه الآية ومن قول شعيب إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين [القصص: ٧] إلى أن ترتيب هذا المعنى في المهور ينبغي أن يكون أنكحه إياها فيقدم ضمير الزوج لما في الآيتين، وهذا عندي غير لازم لأن الزوج في الآية مخاطب فحسن تقديمه، وفي المهور الزوجان غائبان فقدم من شئت فلم يبق ترجيح إلا بدرجة الرجال وأنهم القوامون، وقوله تعالى: وكان أمر الله مفعولا فيه حذف مضاف تقديره وكان حكم أمر الله أو مضمن أمر الله، وإلا فالأمر قديم لا يوصف بأنه مفعول، ويحتمل على بعد أن يكون الأمر واحد الأمور أي التي شأنها أن تفعل، وروي أن عائشة وزينب تفاخرتا، فقالت عائشة: أنا التي سبقت صفتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنة في سرقة

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٥٤٥/٣

حرير، وقالت زينب: أنا التي زوجني الله من فوق سبع سماوات.
وقال الشعبي: كانت زينب تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن أن جدي وجدك واحد وأن الله أنكحك إياي من السماء وأن السفير في ذلك جبريل.
قوله عز وجل:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٣٨ الى ٤٤]
ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨) الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)
هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الأمة، أعلمهم أنه لا حرج على رسول الله صلى الله عليه وسلم في نيل ما فرض الله له وأباحه من تزويج زينب بعد زيد، ثم أعلم أن هذا ونحوه هو السنن الأقدم في الأنبياء من أن ينالوا ما أحل الله لهم، وحكى الثعلبي عن مقاتل وابن الكلبي أن الإشارة إلى داود عليه السلام حيث جمع الله بينه وبين من فتن بها، وسنة نصب على المصدر أو على إضمار فعل تقديره الزم أو." (١)

"نحوه. أو على الإغراء كأنه قال فعليه سنة الله، والذين خلوا هم الأنبياء بدليل وصفهم بعد بقوله الذين يبلغون رسالات الله، وأمر الله في الآية أي مأمورات الله والكائنات عن أمره فهي مقدورة، وقوله قدرا فيه حذف مضاف، أي ذا قدر، وقرأ ابن مسعود «الذين بلغوا رسالات الله»، وقوله ولا يخشون أحدا إلا الله تعريض بالعتاب الأول في خشية النبي عليه السلام الناس، ثم رد الأمر كله إلى الله وأنه المحاسب على جميع الأعمال والمعتقدات وكفى به لا إله إلا هو، ويحتمل أن يكون حسيبا بمعنى محسب أي كافيا، وقوله تعالى: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم إلى قوله تعالى: كريما أذهب الله تعالى في هذه الآية ما وقع في نفوس منافقين وغيرهم من نقد تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب زوجة دعيه زيد بن حارثة لأنهم كانوا استعظموا أن تزوج زوجة ابنه، فنفى القرآن تلك البنوة وأعلم أن محمدا لم يكن في حقيقة أمره أبا أحد من رجال المعاصرين له، ولم يقصد بهذه الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ولد فيحتاج إلى الاحتجاج بأمر بنيه بأنهم كانوا ماتوا، ولا في أمر الحسن والحسين بأنهما كانا طفلين ومن احتج بذلك فإنه تأول نفي البنوة عنه بهذه الآية على غير ما قصد بها، وقرأ ابن أبي عبلة وبعض الناس «ولكن رسول الله» بالرفع على معنى هو رسول الله، وقرأ نافع وأبو عمرو وعاصم والأعرج وعيسى «رسول الله» بالنصب على العطف على أبا، وهؤلاء قرؤوا «ولكن» بالتخفيف، وقرأت فرقة «ولكن» بشد النون ونصب «رسول» على أنه اسم «لكن» والخبر محذوف، وقرأ عاصم وحده والحسن والشعبي والأعرج

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٨٧/٤

بخلاف «وخاتم» بفتح التاء بمعنى أنهم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم، وقرأ الباقون والجمهور «خاتم» بكسر التاء بمعنى أنه ختمهم أي جاء آخرهم، وروت عائشة أنه عليه السلام قال: «أنا خاتم الأنبياء» بفتح التاء، وروي عنه عليه السلام أنه قال: «أنا خاتم ألف نبي» ، وهذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاة على العموم التام مقتضية نصا أنه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم، وما ذكره القاضي ابن الطيب في كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال في ألفاظ هذه الآية ضعيف، وما ذكره الغزالي في هذه الآية وهذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد إلحاد عندي وتطرق خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوءة، فالحذر الحذر منه والله الهادي برحمته، وقرأ ابن مسعود «من رجالكم ولكن نبينا ختم النبيين» ، قال الرماني ختم به عليه السلام الاستصلاح فمن لم يصلح به فميئوس من صلاحه، وقوله تعالى: وكان الله بكل شيء عليما والمقصد به هنا علمه تعالى بما رآه الأصلح بمحمد وبما قدره في الأمر كله، ثم أمر تعالى عباده بأن يذكروه **ذكرا كثيرا**، وجعل تعالى ذلك دون حد ولا تقدير لسهولته على العبد ولعظم الأجر فيه، قال ابن عباس لم يعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غلب على عقله، وقال الكثير أن لا تنساه أبدا، وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون» ، وقوله تعالى: وسبحوه بكرة وأصيلا أراد في كل الأوقات مجدد الزمان بطرفي نهاره وليله، وقال قتادة والطبري وغيره الإشارة إلى صلاة الغداة وصلاة العصر.

قال الفقيه الإمام القاضي: وهذه الآية مدنية فلا تعلق بها لمن زعم أن الصلاة إنما فرضت أولا صلاتين في طرفي النهار، والرواية بذلك ضعيفة، والأصيل من العصر إلى الليل، ثم عدد تعالى على عباده." (١)

"...

= وتنويهه بذكره، قال الربيع بن أنس: إن الله ذاكر من ذكره وزائد من شكره ومعذب من كفره. قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، وسبحوه بكرة وأصيلا، هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ وصلاة الله على عبده ثناؤه عليه بين ملائكته وتنويهه بذكره، كذا قال أبو العالية، ذكره البخاري في صحيحه، وقال رجل لأبي أمامة: رأيت في المنام كأن الملائكة تصلي عليك كلما دخلت وكلما خرجت وكلما قمت وكلما جلست، فقال أبو أمامة: وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة، ثم قرأ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، وسبحوه بكرة وأصيلا، هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ خرجه الحاكم.

٧- "ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه":

معناه أن العمل هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة، كما قال: ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ ، فمن أبطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند الله لم يسرع به نسبه فيبلغه تلك الدرجات؛ فإن الله تعالى رتب الجزاء على الأعمال لا على الأنساب، كما قال تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ ، وقد أمر الله تعالى بالمسارعة إلى مغفرته ورحمته بالأعمال، كما قال تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، الذين

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤/٣٨٨

ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ ، وقال: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون، والذين هم بربهم لا يشركون، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ .

قال ابن مسعود: يأمر الله بالصراط فيضرب على جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم زمرا زمرا، أوائلهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر المطر ثم كمر البهائم حتى يمر الرجل سعيا حتى يمر الرجل مشيا وحتى يمر آخرهم يتلبط على بطنه، فيقول: يا رب، لم أبطأت بي؟ فيقول: إني لم أبطئ بك إنما أبطأ بك عملك.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "حين أنزل عليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ : "يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئا. يا بني عبد المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئا. يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئا. يا صفية -عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم- لا أغني عنك من الله شيئا. يا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا". وفي رواية خارج الصحيحين: "إن أوليائي منكم المتقون تأتي الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون: يامحمد يا محمد، فأقول: قد بلغت".

وخرج ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: "إن أوليائي المتقون يوم القيامة، وإن كان نسب أقرب من نسب يأتي الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون: يا محمد يا محمد، فأقول: هكذا وهكذا فأعرض في كلا عطفيه".

وخرج البزار من حديث رفاعة بن رافع أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال لعمر: "اجمع لي قومك" يعني قريشا، فجمعهم، فقال: "إن أوليائي منكم المتقون، فإن كنتم أولئك فذاك وإلا فانظروا، يأتي الناس بالأعمال يوم القيامة وتأتوني بالأثقال فيعرض عنكم". وخرجه الحاكم مختصرا وصححه.

وفي المسند عن معاذ بن جبل أن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- لما بعثه إلى اليمن خرج معه يوصيه، ثم التفت وأقبل بوجهه إلى المدينة فقال: "إن أولى الناس بي المتقون من كانوا حيث كانوا". وخرجه =." (١)

"وغشيته أسبابه، فانه يخاف ويذهل عقله ويشخص بصره فلا يطرف، فكذلك هؤلاء، لأنهم يخافون القتل. فإذا ذهب الخوف سلقوكم قال الفراء: يقول آذوكم بالكلام في الأمن بألسنة حداد سليطة ذربة، والعرب تقول: صلقوكم، بالصاد، ولا يجوز في القراءة هذا قول الفراء. وقد قرأ بالصاد أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وأبو عمران الجوني، وابن أبي عبلة في آخرين. وقال الزجاج: معنى «سلقوكم» : خاطبوكم أشد مخاطبة وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيب مسلاق: إذا كان بليغا في خطبته أشحة على الخير أي: خاطبوكم وهم أشحة على المال والغنيمة. قال قتادة: إذا كان وقت قسمة الغنيمة، بسطوا ألسنتهم فيكم، يقولون: أعطونا فلستم أحق بها منا فأما عند الباس، فأجبن قوم وأخذله للحق، وأما عند الغنيمة، فأشح قوم. وفي المراد بالخير ها هنا ثلاثة أقوال: أحدها: أنه الغنيمة. والثاني: على المال أن ينفقوه في سبيل الله تعالى. والثالث: على رسول الله صلى الله عليه وسلم بظفره.

---

(١) العمدة من الفوائد والآثار الصحاح في مشيخة شهدة شُهْدة ص/١٠٥

قوله تعالى: أولئك لم يؤمنوا أي: هم وإن أظهروا الإيمان فليسوا بمؤمنين، لنفاقهم فأحبط الله أعمالهم قال مقاتل أي: أبطل جهادهم، لأنه لم يكن في إيمان وكان ذلك الإحباط على الله يسيرا. ثم أخبر عنهم بما يدل على جبنهم، فقال: يحسبون الأحزاب لم يذهبوا أي: يحسب المنافقون من شدة خوفهم وجبنهم أن الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا، وإن يأت الأحزاب أي: يرجعوا إليهم كرة ثانية للقتال يودوا لو أنهم بادون في الأعراب أي: يتمنوا لو كانوا في بادية الأعراب من خوفهم، يسئلون عن أنبائكم أي: ودوا لو أنهم بالبعد منكم يسألون عن أخباركم، فيقولون: ما فعل محمد وأصحابه، ليعرفوا حالكم بالاستخبار لا بالمشاهدة، فرقا وجبنا وقيل: بل يسألون شماتة بالمسلمين وفرحا بنكباتهم ولو كانوا فيكم أي: لو كانوا يشهدون القتال معكم ما قاتلوا إلا قليلا فيه قولان: أحدهما: إلا رميا بالحجارة، قاله ابن السائب. والثاني: إلا رياء من غير احتساب، قاله مقاتل.

ثم عاب من تخلف بالمدينة بقوله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي: قدوة صالحة. والمعنى: لقد كان لكم به اقتداء لو اقتديتم به في الصبر معه كما صبر يوم أحد حتى كسرت رباعيته وشج جبينه وقتل عمه، وواساكم مع ذلك بنفسه. وقرأ عاصم: «أسوة» بضم الألف والباقون بكسر الألف وهما لغتان. قال الفراء: أهل الحجاز وأسد يقولون: «إسوة» بالكسر، وتميم وبعض قيس يقولون: «أسوة» بالضم. وخص الله تعالى بهذه الأسوة المؤمنين، فقال: لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر والمعنى أن الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كانت لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وفيه قولان: أحدهما: يرجو ما عنده من الثواب والنعيم، قاله ابن عباس. والثاني: يخشى الله عز وجل ويخشى البعث، قاله مقاتل.

قوله تعالى: وذكر الله كثيرا أي: ذكرا كثيرا، لأن ذاكر الله تعالى متبع لأوامره، بخلاف الغافل عنه. ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب، فقال: لما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وفي ذلك الوعد قولان: أحدهما: أنه قوله تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم «١» الآية: فلما عاينوا البلاء يومئذ قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، قاله ابن

---

(١) البقرة: ٢١٤.." (١)

"فالمعنى: ولكن كان رسول الله عليه السلام، وكان خاتم النبيين ومن رفعه، فالمعنى: ولكن هو رسول الله عليه السلام ومن قرأ: «خاتم» بكسر التاء، فمعناه: وختم النبيين ومن فتحها، فالمعنى:

آخر النبيين. قال ابن عباس: يريد: لو لم أختم به النبيين، لجعلت له ولدا يكون بعده نبيا.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٥٥/٣

قوله تعالى: اذكروا الله **ذكرا كثيرا** قال مجاهد: هو أن لا تنساه أبدا. وقال ابن السائب: يقال: «**ذكرا كثيرا**» بالصلوات الخمس. وقال مقاتل بن حيان: هو التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير على كل حال. وقد روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(١١٤٩) «يقول ربكم: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» .

قوله تعالى: وسبحوه بكرة وأصيلا قال أبو عبيدة: الأصيل: ما بين العصر إلى الليل.

وللمفسرين في هذا التسبيح قولان: أحدهما: أنه الصلاة، واتفق أرباب هذا القول على أن المراد بالتسبيح بكرة: صلاة الفجر. واختلفوا في صلاة الأصيل على ثلاثة أقوال: أحدها: أنها صلاة العصر، قاله أبو العالية، وقتادة. والثاني: أنها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، قاله ابن السائب. الثالث: أنها الظهر والعصر، قاله مقاتل. والقول الثاني: أنه التسبيح باللسان، وهو قول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، قاله مجاهد.

قوله تعالى: هو الذي يصلي عليكم وملائكته في صلاة الله تعالى علينا خمسة أقوال: أحدها:

أنها رحمته، قاله الحسن. والثاني: مغفرته، قاله سعيد بن جبير. والثالث: ثناؤه، قاله أبو العالية.

والرابع: كرامته، قاله سفيان. والخامس: بركته، قاله أبو عبيدة. وفي صلاة الملائكة قولان: أحدهما:

أنها دعاؤهم، قاله أبو العالية. والثاني: استغفارهم، قاله مقاتل. وفي الظلمات والنور هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: الضلالة والهدى، قاله ابن زيد. والثاني: الإيمان والكفر، قاله مقاتل. والثالث: الجنة والنار، حكاه الماوردي.

قوله تعالى: تحيتهم الهاء والميم كناية عن المؤمنين. فأما الهاء في قوله تعالى: يلقونه ففيها قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى. ثم فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أن معناه تحيتهم من الله يوم يلقونه سلام «١» .

جيد، أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» ص ٨٧ وابن ماجة ٣٧٩٢ وأحمد ٢/ ٥٤٠ والحاكم ١/ ٤٩٦ والبغوي في «التفسير» ١٠٤ كلهم من حديث أبي هريرة، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو حديث حسن صحيح.

---

(١) هذا ما اختاره ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٣/ ٦١٠، ثم قال: وزعم قتادة أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضا بالسلام، يوم يلقون الله في الدار الآخرة، واختاره ابن جرير. قلت: وقد يستدل بقوله تعالى: دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.." (١)

"مطهرة من دنس الآثام وصيامه أفضل الصيام وقيامه أجل القيام

شهر فضل الله به أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام شهر جعله الله مصباح العام وواسطة النظام وأشرف قواعد الإسلام المشرف بنور الصلاة والصيام والقيام شهر أنزل الله فيه كتابه وفتح للتائبين فيه أبوابه فلا دعاء فيه إلا مسموع ولا عمل إلا مرفوع ولا خير إلا مجموع ولا ضرر إلا مدفوع شهر السيئات فيه مغفورة والأعمال الحسنة فيه موفورة والتوبة فيه مقبولة

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٤٧٠

والرحمة من الله لملتمسها مبذولة والمساجد بذكر الله فيه معمورة وقلوب المؤمنين بالتوبة فيه مسرورة

وأنشدوا

(أين أهل القيام لله دأبا ... بذلوا الجهد في رضا الجبار)

(أنتم الآن في ليال عظام ... قدرها زائد على الأقدار)

(فاستزيدوا من العبادة فيها ... تأمنوا اليوم من عذاب النار)

أين من يركب الذنوب اغترارا ... لا يخافون سطوة القهار)

(قد أهل الهلال من رمضان ... شهر زلفى وتوبة وادكار)

(فاذكروا الله فيه **ذكرا كثيرا** ... واستجيروه من عذاب النار)

(وارجعوا عن ذنوبكم بمتاب ... صادق واقلعوا عن الإصرار)

(رب من كان مسرفا مستمرا ... في خطاياه مكثر الأوزار)

(ثم إن الإله تاب عليه ... فاقتضى حمده سبيل الخيار)

(فاعملوا أيها المسيئون وادعوا ... ربكم جهرة وفي الإسرار)

(واحذروا غفلة القنوط وداووا ... داءها بالرجوع للغفار)

(تجدوا الله في المعاد كريما ... ماحيا للذنوب والإصرار)

إخواني هذا شهر ليس مثله في سائر الشهور ولا فضلت به أمة غير هذه الأمة في سائر الدهور الذنب فيه مغفور والسعي فيه مشكور والمؤمن فيه محبور والشيطان مبعد مثبور والوزر والإثم فيه مهجور وقلب المؤمن بذكر الله معمور وقد أناخ بفنائكم وهو عن قليل راحل عنكم شاهد لكم وعليكم مؤذن بشقاوة أو سعادة أو نقصان أو زيادة وهو ضعيف مسئول من عند رب لا يحول ولا يزول يخبر عن المحروم منكم والمقبول

فالله الله أكرموا نهاره بتحقيق الصيام واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام فلعلكم أن تفوزوا بدار الخلد والسلام." (١)

"مختلفة بالكمال والنقصان ولا بد وأن يكون منها واحد هو أشرفها وأعلاها وأكملها وأبهاها، ويكون ما سواه في طاعته وتحت أمره ونهيه، كما قال: ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين [التكوير: ٢٠، ٢١] وأيضا فلا بد في الدنيا من شخص واحد هو أشرف أشخاص هذا العالم وأكملها وأعلاها وأبهاها، ويكون كل ما سواه في هذا العالم تحت طاعته وأمره، فالمطاع الأول هو المطاع في عالم الروحانيات والمطاع الثاني هو المطاع في عالم الجسمانيات، فذاك مطاع العالم الأعلى، وهذا مطاع العالم الأسفل ولما ذكرنا أن عالم الجسمانيات كالظل لعالم الروحانيات وكالأثر وجب أن يكون بين هذين المطاعين ملاقاة ومقارنة ومجانسة، فالمطاع في عالم الأرواح هو المصدر، والمطاع في عالم الأجسام هو المظهر والمصدر هو الرسول الملكي، والمظهر هو الرسول البشري، وبهما يتم أمر السعادات في الآخرة وفي الدنيا.

وإذا عرفت هذا فنقول: كمال حال الرسول البشري إنما يظهر في الدعوة إلى الله، وهذه الدعوة إنما تتم بأمور سبعة ذكرها

---

(١) بستان الواعظين ورياض السامعين ابن الجوزي ص/٢١٥

الله تعالى في خاتمة سورة البقرة وهي قوله: والمؤمنون كل آمن بالله– الآية ويندرج في أحكام الرسل قوله: لا نفرق بين أحد من رسله [البقرة: ٢٨٥] فهذه الأربعة متعلقة بمعرفة المبدأ، وهي معرفة الربوبية، ثم ذكر بعدها ما يتعلق بمعرفة العبودية/ وهو مبني على أمرين: أحدهما: المبدأ، والثاني:

الكمال. فالمبدأ هو قوله تعالى: وقالوا سمعنا وأطعنا [البقرة: ٢٨٥] لأن هذا المعنى لا بد منه لمن يريد الذهاب إلى الله، وأما الكمال فهو التوكل على الله والالتجاء بالكلية إليه وهو قوله: غفرانك ربنا وهو قطع النظر عن الأعمال البشرية والطاعات الإنسانية والالتجاء بالكلية إلى الله تعالى وطلب الرحمة منه وطلب المغفرة، ثم إذا تمت معرفة الربوبية بسبب معرفة الأصول الأربعة المذكورة وتمت معرفة العبودية بسبب معرفة هذين الأصلين المذكورين لم يبق بعد ذلك إلا الذهاب إلى حضرة الملك الوهاب والاستعداد للذهاب إلى المعاد، وهو المراد من قوله: وإليك المصير ويظهر من هذا أن المراتب ثلاثة: المبدأ والوسط، والمعاد، أما المبدأ فإنما يكمل معرفته بمعرفة أمور أربعة: وهي معرفة الله، والملائكة، والكتب، والرسل، وأما الوسط فإنما يكمل معرفته بمعرفة أمرين: «سمعنا وأطعنا» نصيب عالم الأجساد، و «غفرانك ربنا» نصيب عالم الأرواح، وأما النهاية فهي إنما تتم بأمر واحد، وهو قوله: وإليك المصير [البقرة: ٢٨٥] فابتداء الأمر أربعة، وفي الوسط صار اثنين، وفي النهاية صار واحدا.

ولما ثبتت هذه المراتب السبع في المعرفة تفرع عنها سبع مراتب في الدعاء والتضرع: – فأولها: قوله: ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا [البقرة: ٢٨٦] وضد النسيان هو الذكر كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** [الأحزاب: ٤١] وقوله: واذكر ربك إذا نسيت [الكهف: ٢٤] وقوله: تذكروا فإذا هم مبصرون [الأعراف: ٢٠١] وقوله: واذكر اسم ربك [الإنسان:

٢٥] وهذا الذكر إنما يحصل بقوله بسم الله الرحمن الرحيم.

وثانيها: قوله: ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا [البقرة: ٢٨٦] ودفع الإصر– والإصر هو الثقل– يوجب الحمد، وذلك إنما يحصل بقوله الحمد لله رب العالمين.

وثالثها: قوله: ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وذلك إشارة إلى كمال رحمته، وذلك هو قوله الرحمن الرحيم.." (١)

"أوف بعهدكم

[البقرة: ٤٠] ولما كان الأمر كذلك لا جرم أنزل الله هذه السورة على محمد عليه السلام وجعل النصف الأول منها في معرفة الربوبية، والنصف الثاني منها في معرفة العبودية، حتى تكون هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج إليه في الوفاء بذلك العهد.

الفائدة الثانية: الله تعالى سمى الفاتحة باسم الصلاة، وهذا يدل على أحكام: الحكم الأول: أن عند عدم قراءة الفاتحة وجب أن لا تحصل الصلاة، وذلك يدل على أن قراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة، كما يقوله أصحابنا ويتأكد هذا الدليل بدلائل أخرى: أحدها: أنه عليه الصلاة والسلام واظب على قراءتها فوجب أن يجب علينا ذلك لقوله تعالى: فاتبعوه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٢٥/١

ولقوله عليه الصلاة والسلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي» .

وثانيها: أن الخلفاء الراشدين واظبوا على قراءتها فوجب أن يجب علينا ذلك،

لقوله عليه الصلاة والسلام: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي»

وثالثها: أن جميع المسلمين شرقا وغربا لا يصلون إلا بقراءة الفاتحة فوجب أن تكون متابعتهم واجبة في ذلك لقوله تعالى: ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى/ ونصله جهنم [النساء: ١١٥] ورابعها:

قوله عليه الصلاة والسلام: «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب»

خامسها: قوله تعالى:

فاقرؤا ما تيسر من القرآن [المزمل: ٢٠] وقوله: فاقرؤا أمر، وظاهره الوجوب، فكانت قراءة ما تيسر من القرآن واجبة، وقراءة غير الفاتحة ليست واجبة فوجب أن تكون قراءة الفاتحة واجبة عملا بظاهر الأمر، وسادسها: أن قراءة الفاتحة أحوط فوجب المصير إليها،

لقوله عليه السلام: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»

وسابعها: أن الرسول عليه السلام واظب على قراءتها فوجب أن يكون العدول عنه محرما لقوله تعالى:

فليحذر الذين يخالفون عن أمره [النور: ٦٣] وثامنها: أنه لا نزاع بين المسلمين أن قراءة الفاتحة في الصلاة أفضل وأكمل من قراءة غيرها، إذا ثبت هذا فنقول: التكليف كان متوجها على العبد بإقامة الصلاة، والأصل في الثابت البقاء حكمنا بالخروج عن هذه العهدة عند الإيتاء بالصلاة مؤداة بقراءة الفاتحة، وقد دللنا على أن هذه الصلاة أفضل من الصلاة المؤداة بقراءة غير الفاتحة ولا يلزم من الخروج عن العهدة بالعمل الكامل الخروج عن العهدة بالعمل الناقص، فعند إقامة الصلاة المشتملة على قراءة غير الفاتحة وجب البقاء في العهدة، وتاسعها:

أن المقصود من الصلاة حصول ذكر القلب، لقوله تعالى: وأقم الصلاة لذكري [طه: ١٤] وهذه السورة مع كونها مختصرة، جامعة لمقامات الربوبية والعبودية والمقصود من جميع التكاليف حصول هذه المعارف ولهذا السبب جعل الله هذه السورة معادلة لكل القرآن في قوله: ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم [الحجر: ٨٧] فوجب أن لا يقوم غيرها مقامها البتة. وعاشرها: أن هذا الخبر الذي رويناه يدل على أن عند فقدان الفاتحة لا تحصل الصلاة.

الفائدة الثالثة:

أنه قال: «إذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله تعالى: «ذكرني عبدي»

وفيه أحكام: أحدها: أنه تعالى قال: فاذكروني أذكركم [البقرة: ١٥٢] فههنا لما أقدم العبد على ذكر الله لا جرم ذكره تعالى في ملأ خير من ملائه. وثانيها: أن هذا يدل على أن مقام الذكر مقام عال شريف في العبودية، لأنه وقع الابتداء به، ومما يدل على كماله أنه تعالى أمر بالذكر فقال: فاذكروني أذكركم ثم قال: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**

[الأحزاب: ٤١] ثم قال: الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم [آل عمران: ١٩١] ثم قال: إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون." (١)

"فمنه منه بقوله: والخاشعين والخاشعات أو نقول لما ذكر هذه الحسنات أشار إلى ما يمنع منها وهو إما حب الجاه أو حب المال من الأمور الخارجية أو الشهوة من الأمور الداخلة، والغضب منهما يكون لأنه يكون بسبب نقص جاه أو فوت مال أو منع من أمر مشتهى فقوله: والخاشعين والخاشعات أي المتواضعين الذين لا يميلهم الجاه عن العبادة، ثم قال تعالى: والمتصدقين والمتصدقات أي الباذلين الأموال الذين لا يكنزونها لشدة محبتهم إياها. ثم قال تعالى: والصائمين والصائمات إشارة إلى الذين لا تمنعهم الشهوة البطنية من عبادة الله. ثم قال تعالى: والحافظين فروجهم والحافظات أي الذين لا تمنعهم الشهوة الفرجية.

ثم قال تعالى: والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يعني هم في جميع هذه الأحوال يذكرون الله ويكون إسلامهم وإيمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم بنية صادقة لله، واعلم أن الله تعالى في أكثر المواضع حيث ذكر الذكر قرنه بالكثرة هاهنا، وفي قوله بعد هذا يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** [الأحزاب: ٤١] وقال من قبل: لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا [الأحزاب:

٢١] لأن الإكثار من الأفعال البدنية غير ممكن أو عسر فإن الإنسان أكله وشربه وتحصيل مأكوله ومشروبه يمنعه من أن يشتغل دائما بالصلاة ولكن لا مانع له من أن يذكر الله تعالى وهو آكل ويذكره وهو شارب أو ماش أو بائع أو شار، وإلى هذا أشار بقوله تعالى: الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم [آل عمران: ١٩١] ولأن جميع الأعمال صحتها بذكر الله تعالى وهي النية:

ثم قال تعالى: أعد الله لهم مغفرة تمحو ذنوبهم وقوله: وأجرا عظيما ذكرناه فيما تقدم. ثم قال تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٦]

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦)

قيل بأن الآية نزلت في زينب حيث أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزويجها من زيد بن حارثة فكرهت إلا النبي عليه السلام وكذلك أخوها امتنع فنزلت الآية فرضيا به، والوجه أن يقال إن الله تعالى لما أمر نبيه بأن يقول لزوجاته إنهن مخيرات فهم منه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يريد ضرر الغير فمن كان ميله إلى شيء يمكنه النبي عليه السلام من ذلك، ويترك النبي عليه السلام حق نفسه لحظ غيره، فقال في هذه الآية لا ينبغي أن يظن ظان أن هوى نفسه متبعه وأن زمان الاختيار بيد الإنسان كما في الزوجات، بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله فما أمر الله وهو المتبع وما أراد النبي هو الحق ومن خالفهما في شيء فقد ضل ضلالا مبينا، لأن الله هو المقصد والنبي هو الهادي

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٣٠/١

الموصل، فمن ترك المقصد ولم يسمع قول الهادي فهو ضال قطعا. ثم قال تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٧]
وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا (٣٧)
وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام وأنعمت عليه بالتحرير والإعتاق أمسك عليك زوجك هم زيد بطلاق زينب فقال له النبي أمسك أي لا تطلقها واتق الله قيل في الطلاق، وقيل في الشكوى من زينب، فإن." (١)

"أسباب أوجبت احتراق دار زيد أو دار عمرو، فنقول معاذ الله أن نقول بأن الله غير مختار في أفعاله أو يقع شيء لا باختياره، ولكن أهل السنة يقولون أجرى الله عادته بكذا أي وله أن يخلق النار بحيث عند حاجة إنضاج اللحم تنضج وعند مساس ثوب العجوز لا تحرق، ألا ترى أنها لم تحرق إبراهيم عليه السلام مع قوتها وكثرتها لكن خلقها على غير ذلك الوجه بمحض إرادته أو لحكمة خفية ولا يسأل عما يفعل، فنقول ما كان في مجرى عادته تعالى على وجه تدركه العقول البشرية نقول بقضاء، وما يكون على وجه يقع لعقل قاصر أن يقول لم كان ولماذا لم يكن على خلافه نقول بقدر، ثم بين الذين خلوا بقوله:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٣٩]
الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩)
يعني كانوا هم أيضا مثلك رسلا، ثم ذكره بحالهم أنهم جردوا الخشية ووحدوها بقوله: ولا يخشون أحدا إلا الله فصار كقوله: فبهداهم اقتده [الأنعام: ٩٠] وقوله: وكفى بالله حسيبا أي محاسبا/ فلا تخش غيره أو محسوبا فلا تلتفت إلى غيره ولا تجعله في حسابك. ثم قال تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤٠]
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠)
لما بين الله ما في تزوج النبي عليه السلام بزينب من الفوائد بين أنه كان خاليا من وجوه المفاسد، وذلك لأن ما كان يتوهم من المفسدة كان منحصرا في التزوج بزوجة الابن فإنه غير جائز فقال الله تعالى إن زيدا لم يكن ابنا له لا بل أحد الرجال لم يكن ابن محمد، فإن قائل النبي كان أبا أحد من الرجال لأن الرجل اسم الذكر من أولاد آدم قال تعالى: وإن كانوا إخوة رجالا ونساء [النساء: ١٧٦] والصبي داخل فيه، فنقول الجواب عنه من وجهين أحدهما: أن الرجل في الاستعمال يدخل في مفهومه الكبر والبلوغ ولم يكن للنبي عليه السلام ابن كبير يقال إنه رجل والثاني: هو أنه تعالى قال: من رجالكم ووقت

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٦٩/٢٥

الخطاب لم يكن له ولد ذكر، ثم إنه تعالى لما نفى كونه أبا عقبه بما يدل على ثبوت ما هو في حكم الأبوة من بعض الوجوه فقال: ولكن رسول الله فإن رسول الله كالأب للأمة في الشفقة من جانبه، وفي التعظيم من طرفهم بل أقوى فإن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والأب ليس كذلك، ثم بين ما يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم من جهتهم بقوله:

وخاتم النبيين وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده، وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى، إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد وقوله: وكان الله بكل شيء عليما يعني علمه بكل شيء دخل فيه أن لا نبي بعده فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتزوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع وذلك من حيث إن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفيد شرعا لكن إذا امتنع هو عنه يبقى في بعض النفوس نفرة، ألا ترى أنه ذكر بقوله ما فهم منه حل أكل الضب ثم لما لم يأكله بقي في النفوس شيء ولما أكل لحم الجمل طاب أكله مع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب. ثم قال تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤١]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١)

وجه تعلق الآية بما قبلها هو أن السورة أصلها ومبناها على تأديب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد ذكرنا أن الله تعالى بدأ بذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي عليه السلام مع الله وهو التقوى وذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي." (١)

"عليه السلام مع أهله وأقاربه بقوله: يا أيها النبي قل لأزواجك [الأحزاب: ٢٨] والله تعالى يأمر/ عباده المؤمنين بما يأمر به أنبياءه المرسلين فأرشد عباده كما أدب نبيه وبدأ بما يتعلق بجانبه من التعظيم فقال: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** كما قال لنبيه: يا أيها النبي اتق الله [الأحزاب: ١] .

ثم هاهنا لطيفة وهي أن المؤمن قد ينسى ذكر الله فأمر بدوام الذكر، أما النبي لكونه من المقربين لا ينسى ولكن قد يغتر المقرب من الملك بقربه منه فيقل خوفه فقال: اتق الله فإن المخلص على خطر عظيم وحسنة الأولياء سيئة الأنبياء وقوله: **ذكرا كثيرا** قد ذكرنا أن الله في كثير من المواضع لما ذكر الذكر وصفه بالكثرة إذ لا مانع من الذكر على ما بينا. وقوله تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤٢]

وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)

أي إذا ذكرتموه فينبغي أن يكون ذكركم إياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء وهو المراد بالتسبيح وقيل المراد منه الصلاة وقيل للصلاة تسبيحه بكرة وأصيلا إشارة إلى المداومة وذلك لأن مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط كقوله عليه السلام «لو أن أولكم وآخركم»

ولم يذكر وسطكم ففهم منه المبالغة في العموم. ثم قال تعالى:

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧١/٢٥

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤٣]
هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣)
يعني هو يصلي عليكم ويرحمكم وأنتم لا تذكرونه فذكر صلاته تحريضا للمؤمنين على الذكر والتسبيح ليخرجكم من الظلمات إلى النور يعني يهديكم برحمته والصلاة من الله رحمة ومن الملائكة استغفار فقيل بأن اللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معا وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز وينسب هذا القول إلى الشافعي رضي الله عنه وهو غير بعيد فإن أريد تقريبه بحيث يصير في غاية القرب نقول الرحمة والاستغفار يشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر له والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية لكون العناية جزأ منهما وكان بالمؤمنين رحيما بشارة لجميع المؤمنين وإشارة إلى أن قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت الوحي.

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤٤]
تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)
ثم قال تعالى: تحيتهم يوم يلقونه سلام لما بين الله عنايته في الأولى بين عنايته في الآخرة وذكر السلام لأنه هو الدليل على الخيرات فإن من لقي غيره وسلم عليه دل على المصافاة بينهما وإن لم يسلم دل على المنافاة وقوله: يوم يلقونه أي يوم القيامة وذلك لأن الإنسان في دنياه غير مقبل بكليته على الله وكيف وهو حالة نومه غافل عنه وفي أكثر أوقاته مشغول بتحصيل رزقه، وأما في الآخرة فلا شغل لأحد يلهيه عن ذكر الله فهو حقيقة اللقاء.
ثم قال تعالى: وأعد لهم أجرا كريما لو قائل قال الإعداد إنما يكون ممن لا يقدر عند الحاجة إلى الشيء عليه، وأما الله تعالى فلا حاجة ولا عجز فحيث يلقاه الله يؤتيه ما يرضى به وزيادة فما معنى الإعداد من قبل فنقول الإعداد للإكرام لا للحاجة وهذا كما أن الملك إذا قيل له فلان واصل، فإذا أراد إكرامه يهيئ له بيتا." (١)
"[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤٩]
يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩)
وجه تعلق الآية بما قبلها هو أن الله تعالى في هذه السورة ذكر مكارم الأخلاق وأدب نبيه على ما ذكرناه، لكن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه المرسل فكلما ذكر للنبي مكرمة وعلمه أدبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه، فكما بدأ الله في تأديب النبي عليه الصلاة والسلام بذكر ما يتعلق بجانب الله بقوله: يا أيها النبي اتق الله [الأحزاب: ١] وثنى بما يتعلق بجانب من تحت يده من أزواجه بقوله بعد: يا أيها النبي قل لأزواجك [الأحزاب: ٢٨] وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا [الأحزاب: ٤٥] / كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا [الأحزاب: ٤١] ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله: يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم

---
(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٢/٢٥

المؤمنات ثم كما ثلث في تأديب النبي بجانب الأمة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بجانب نبيهم، فقال بعد هذا: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي [الأحزاب: ٥٣] وبقوله: يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه [الأحزاب: ٥٦] وفي الآية مسائل:

إحداها: إذا كان الأمر على ما ذكرت من أن هذا إرشاد إلى ما يتعلق بجانب من هو من خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس بالذكر؟ فنقول هذا إرشاد إلى أعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها وبيانه هو أن المرأة إذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تأكد العهد، ولهذا قال الله تعالى في حق الممسوسة وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا [النساء: ٢١] وإذا أمر الله بالتمتع والإحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة إليها بالإفضاء أو حصل تأكدها بحصول الولد بينهما والقرآن في الحجم صغير ولكن لو استنبطت معانيه لا تفي بها الأقلام ولا تكفي لها الأوراق، وهذا مثل قوله تعالى: فلا تقل لهما أف [الإسراء: ٢٣] لو قال لا تضربهما أو لا تشتمهما ظن أنه حرام لمعنى مختص بالضرب أو الشتم، أما إذا قال لا تقل لهما أف علم منه معان كثيرة وكذلك هاهنا لما أمر بالإحسان مع من لا مودة معها علم منه الإحسان مع الممسوسة ومن لم تطلق بعد ومن ولدت عنده منه.

وقوله: إذا نكحتم المؤمنات التخصيص بالذكر إرشاد إلى أن المؤمن ينبغي أن ينكح المؤمنة فإنها أشد تحصينا لدينه، وقوله: ثم طلقتموهن يمكن التمسك به في أن تعليق الطلاق بالنكاح، لا يصح لأن التطليق حينئذ لا يكون إلا بعد النكاح والله تعالى ذكره بكلمة ثم، وهي للتراخي وقوله: فما لكم عليهن من عدة بين.

أن العدة حق الزوج فيها غالب وإن كان لا يسقط بإسقاطه لما فيه من حق الله تعالى، وقوله: تعتدونها أي تستوفون أنتم عددها فمتعوهن قيل بأنه مختص بالمفوضة التي لم يسم لها إذا طلقت قبل المسيس وجب لها المتعة، وقيل بأنه عام وعلى هذا فهو أمر وجوب أو أمر ندب اختلف العلماء فيه، فمنهم من قال للوجوب فيجب مع نصف المهر المتعة أيضا، ومنهم من قال للاستحباب فيستحب أن يمتعها مع الصداق بشيء، وقوله تعالى: وسرحوهن سراحا جميلا الجمال في التسريح أن لا يطالبها بما آتاها. ثم قال تعالى:." [1]

"سورة المزمل واحتجوا عليه بأن قوله: فاسجد له وسبحه أمر وهو للوجوب لا سيما إذا تكرر على سبيل المبالغة، وقال آخرون: بل المراد التطوع وحكمه ثابت.

القول الثاني: أن المراد من قوله: واذكر اسم ربك إلى آخر الآية ليس هو الصلاة بل المراد التسبيح الذي هو القول والاعتقاد، والمقصود أن يكون ذاكرا لله في جميع الأوقات ليلا ونهارا بقلبه ولسانه، وهو المراد من قوله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا [الأحزاب: ٤١] .

واعلم أن في الآية لطيفة أخرى وهي أنه تعالى قال: إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا [الإنسان: ٢٣] أي/ هديناك إلى هذه الأسرار، وشرحنا صدرك بهذه الأنوار، وإذ قد فعلنا بك ذلك فكن منقادا مطيعا لأمرنا، وإياك وأن تكون منقادا مطيعا

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٧٥/٢٥

لغيرنا، ثم لما أمره بطاعته، ونهاه عن طاعة غيره قال: واذكر اسم ربك وهذا إشارة إلى أن العقول البشرية ليس عندها إلا معرفة الأسماء والصفات، أما معرفة الحقيقة فلا، فتارة يقال له:

واذكر اسم ربك وهو إشارة إلى معرفة الأسماء، وتارة يقال له: واذكر ربك في نفسك [الأعراف: ٢٠٥] وهو إشارة إلى مقام الصفات، وأما معرفة الحقيقة المخصوصة التي هي المستلزمة لسائر اللوازم السلبية والإضافية، فلا سبيل لشيء من الممكنات والمحدثات، إلى الوصول إليها والاطلاع عليها، فسبحان من اختفى عن العقول لشدة ظهوره واحتجب عنها بكمال نوره.

واعلم أنه تعالى لما خاطب رسوله بالتعظيم والنهي والأمر عدل إلى شرح أحوال الكفار والمتمردين، فقال تعالى:

[سورة الإنسان (٧٦) : آية ٢٧]

إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا (٢٧)

والمراد أن الذي حمل هؤلاء الكفار على الكفر، وترك الالتفات والإعراض عما ينفعهم في الآخرة ليس هو الشبهة حتى ينتفعوا بالدلائل المذكورة في أول هذه السورة، بل الشهوة والمحبة لهذه اللذات العاجلة والراحات الدينية، وفي الآية سؤالان:

السؤال الأول: لم قال: وراءهم ولم يقل: قدامهم؟ الجواب: من وجوه أحدها: لما لم يلتفتوا إليه، وأعرضوا عنه فكأنهم جعلوه وراء ظهورهم وثانيها: المراد ويذرون وراءهم مصالح يوم ثقيل فأسقط المضاف وثالثها: أن تستعمل بمعنى قدام كقوله: من ورائه جهنم [إبراهيم: ١٦] وكان وراءهم ملك [الكهف:

٧٩] .

السؤال الثاني: ما السبب في وصف يوم القيامة بأنه يوم ثقيل؟ الجواب: استعير الثقل لشدته وهوله، من الشيء الثقيل الذي يتعب حامله ونحوه ثقلت في السماوات والأرض [الأعراف: ١٨٧] .

ثم إنه تعالى لما ذكر أن الداعي لهم إلى هذا الكفر حب العاجل، قال:

[سورة الإنسان (٧٦) : آية ٢٨]

نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا (٢٨)

والمراد أن حبهم للعاجلة يوجب عليهم طاعة الله من حيث الرغبة ومن حيث الرهبة، أما من حيث الرغبة فلأنه هو الذي خلقهم وأعطاهم الأعضاء السليمة التي بها يمكن الانتفاع باللذات العاجلة، وخلق جميع ما يمكن." (١)

"المسألة التاسعة: اختلفوا في الذكر المأمور به عند المشعر الحرام فقال بعضهم: المراد منه الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء هناك والصلاة تسمى ذكرا قال الله تعالى: وأقم الصلاة لذكري [طه: ١٤] والدليل عليه أن قوله: فاذكروا الله عند المشعر الحرام أمر وهو للوجوب، ولا ذكر هناك يجب إلا هذا، وأما الجمهور فقالوا: المراد منه ذكر الله بالتسبيح والتحميد

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧٦٠/٣٠

والتهليل، وعن ابن عباس أنه نظر إلى الناس في هذه الليلة وقال: كان الناس إذا أدركوا هذه الليلة لا ينامون.
أما قوله تعالى: واذكروه كما هداكم ففيه سؤالات:
السؤال الأول: لما قال: فاذكروا الله عند المشعر الحرام فلم قال مرة أخرى واذكروه وما الفائدة في هذا التكرير؟.
والجواب من وجوه أحدها: أن مذهبنا أن أسماء الله تعالى توقيفية لا قياسية فقوله أولا: فاذكروا الله أمر بالذكر، وقوله ثانيا: واذكروه كما هداكم أمر لنا بأن نذكره سبحانه بالأسماء والصفات التي بينها لنا وأمرنا أن نذكره بها، لا بالأسماء التي نذكرها بحسب الرأي والقياس وثانيها: أنه تعالى أمر بالذكر أولا، ثم قال ثانيا:
واذكروه كما هداكم أي وافعلوا ما أمرناكم به من الذكر كما هداكم الله لدين الإسلام، فكأنه تعالى قال: إنما أمرتكم بهذا الذكر/ لتكونوا شاكرين لتلك النعمة، ونظيره ما أمرهم به من التكبير إذا أكملوا شهر رمضان، فقال: ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم [البقرة: ١٨٥] وقال في «الأضاحي» : كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم [الحج: ٣٧] وثالثها: أن قوله أولا: فاذكروا الله عند المشعر الحرام أمر بالذكر باللسان وقوله ثانيا: واذكروه كما هداكم أمر بالذكر بالقلب، وتقريره أن الذكر في كلام العرب ضربان أحدهما: ذكر هو ضد النسيان والثاني: الذكر بالقول، فما هو خلاف النسيان قوله: وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره [الكهف: ٦٣] وأما الذكر الذي هو القول فهو كقوله: فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا [البقرة: ٢٠٠] واذكروا الله في أيام معدودات [البقرة: ٢٠٣] فثبت أن الذكر وارد بالمعنيين فالأول: محمول على الذكر باللسان والثاني: على الذكر بالقلب، فإن بهما يحصل تمام العبودية ورابعها: قال ابن الأنباري: معنى قوله:
واذكروه كما هداكم يعني اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته وخامسها: يحتمل أن يكون المراد من الذكر مواصلة الذكر، كأنه قيل لهم: اذكروا الله واذكروه أي اذكروه ذكرا بعد ذكر، كما هداكم هداية بعد هداية، ويرجع حاصله إلى قوله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** [الأحزاب: ٤١] وسادسها: أنه تعالى أمر بالذكر عند المشعر الحرام، وذلك إشارة إلى القيام بوظائف الشريعة، ثم قال بعده: واذكروه كما هداكم والمعنى أن توقيف الذكر على المشعر الحرام فيه إقامة لوظائف الشريعة، فإذا عرفت هذا قربت إلى مراتب الحقيقة، وهو أن ينقطع قلبك عن المشعر الحرام، بل عن من سواه فيصير مستغرقا في نور جلاله وصمديته، ويذكره لأنه هو الذي يستحق لهذا الذكر ولأن هذا الذكر يعطيك نسبة شريفة إليه بكونك في هذه الحالة تكون في مقام العروج ذاكرا له ومشتغلا بالثناء عليه، وإنما بدأ بالأول وثنى بالثاني لأن العبد في هذه الحالة يكون في مقام العروج فيصعد من الأدنى إلى الأعلى وهذا مقام شريف لا يشرحه المقال ولا يعبر عنه الخيال، ومن أراد أن يصل إليه، فليكن من الواصلين إلى العين، دون السامعين للأثر ورابعها: أن يكون المراد بالأول هو ذكر أسماء الله تعالى وصفاته الحسنى، والمراد بالذكر الثاني: الاشتغال بشكر نعمائه، والشكر مشتمل أيضا على." (١)

"الحاج، فدل على أن الأمر بهذه التكبيرات إنما ورد في حق الحاج، وسائر الناس تبع لهم في ذلك، ثم إن صلاة الظهر هي أول صلاة يكبر الحاج فيها بمنى، فإنهم يلبون قبل ذلك، وآخر صلاة يصلونها بمنى هي صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، فوجب أن تكون هذه التكبيرات في حق غير الحاج مقيد بهذا الزمان.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٢٩/٥

القول الثاني: للشافعي رضي الله عنه أنه يبتدأ به من صلاة المغرب ليلة النحر، إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق، وعلى هذا القول تكون التكبيرات بعد ثماني عشرة صلاة.

والقول الثالث: للشافعي رضي الله عنه أن يبتدأ بها من صلاة الفجر يوم عرفة، وينقطع بعد صلاة العصر من يوم النحر فتكون التكبيرات بعد ثمان صلوات وهو قول علقمة والأسود والنخعي وأبي حنيفة.

والقول الرابع: أنه يبتدأ بها من صلاة الفجر يوم عرفة، وينقطع بعد صلاة العصر من يوم النحر من آخر أيام التشريق، فتكون التكبيرات بعد ثلاث وعشرين صلاة، وهو قول أكابر الصحابة، كعلي وعمر وابن مسعود وابن عباس، ومن الفقهاء قول الثوري وأبي يوسف ومحمد وأحمد وإسحاق والمزني وابن شريح، وعليه عمل الناس بالبلدان، ويدل عليه وجوه الأول: ما روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الصبح يوم عرفة، ثم أقبل علينا فقال: الله أكبر، ومد التكبير إلى العصر من آخر أيام التشريق

والثاني: أن الذي قاله أبو حنيفة أخذ بالأقل، وهذا القول أخذ بالأكثر، والتكثير في التكبير أولى لقوله تعالى: اذكروا الله **ذكرا كثيرا** [الأحزاب:

٤١] الثالث: أن هذا هو الأحوط، لأنه لو زاد في التكبيرات فهو خير من أن ينقص منها والرابع: أن هذه التكبيرات تنسب إلى أيام التشريق، فوجب أن يؤتى بها إلى آخر أيام التشريق.

فإن قيل: هذه التكبيرات مضافة إلى الأيام المعدودات وهي أيام التشريق، فوجب أن لا تكون مشروعة يوم عرفة.

قلنا: فهذا يقتضي أن لا يكبر يوم النحر وهو باطل بالإجماع، وأيضا لما كان الأغلب في هذه المدة أيام التشريق، صح أن يضاف التكبير إليها الموضع الثاني: قال الشافعي رضي الله عنه: المستحب في التكبيرات أن تكون ثلاثا نسقا أي متتابعا، وهو قول مالك، وقال أبو حنيفة وأحمد: يكبر مرتين، حجة الشافعي ما روى عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم، قال: رأيت الأئمة يكبرون في أيام التشريق بعد الصلاة ثلاثا، ولأنه زيادة في التكبير، فكان أولى لقوله تعالى: اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ثم قال الشافعي رضي الله عنه: ويقول بعد الثلاث: «لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد» ثم قال: وما زاد من ذكر/ الله فهو حسن، وقال في التلبية: وأحب أن لا يزيد على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم، والفرق أن من سنة التلبية التكرار فتكرارها أولى من ضم الزيادة إليها، وهاهنا يكبر مرة واحدة فتكون الزيادة أولى من السكوت، وأما التكبير على الجمار

فقد روي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يكبر مع كل حصاة،

فينبغي أن يفعل ذلك.

أما قوله تعالى: فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى ففيه سؤالات:

السؤال الأول: لم قال فمن تعجل ولم يقل فمن عجل؟.

الجواب: قال صاحب «الكشاف» : تعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل، يقال: تعجل في." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٤١/٥

"٤٠ – ﴿ما كان محمد أبآ أحد من رجالكم﴾ لما قال المشركون قد تزوج محمد امرأة ابنه أكذبهم الله تعالى بهذه الآية ﴿وخاتم النبيين﴾ آخرهم. ﴿يا أيها الذين ءامنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾." (١)

"٤١ – ﴿اذكروا الله﴾ تعالى بقلوبكم ذكرا دائما مؤديا إلى طاعته، أو بألسنتكم **ذكرا كثيرا** بالدعاء والرغبة، أو بالإقرار له بالربوبية والاعتراف بالعبودية.." (٢)

"كتاب الأذكار

٢٤٤- باب فضل الذكر والحث عليه

قال الله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وقال تعالى: ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة: ١٠] وقال تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى قوله تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥﴾ وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤٢,٤١] والآيات في الباب كثيرة معلومة.

١/١٤٠٨-وعن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم "متفق عليه.

٢/١٤٠٩-وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس" رواه مسلم.

٣/١٤١٠- وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه"، وقال:"من قال سبحان الله وبحمده، في يوم مئة مرة، حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر" متفق عليه.." (٣)

"كان فيه ما يخشى، والواو للحال، وليست المعاتبة على الإخفاء وحده فإنه حسن بل على الإخفاء مخافة قالة الناس وإظهار ما ينافي إضماره، فإن الأولى في أمثال ذلك أن يصمت أو يفوض الأمر إلى ربه. فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها. زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لي فيك. وقرئ «زوجتكها» ، والمعنى أنه أمر بتزويجها منه أو جعلها زوجته بلا واسطة عقد. ويؤيده أنها كانت تقول لسائر نساء النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى تولى إنكاحي وأنتن زوجكن أولياؤكن. وقيل كان زيد السفير في خطبتها

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام ابن عبد السلام ٥٨١/٢

(٢) تفسير العز بن عبد السلام ابن عبد السلام ٥٨١/٢

(٣) رياض الصالحين ط الرسالة النووي ص/٣٩٩

وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة إيمانه. لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج، وهو دليل على أن حكمه وحكم الأمة واحد إلا ما خصه الدليل وكان أمر الله أمره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٣٨ الى ٣٩]

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨) الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩)

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان، ومنه فروض العسكر لأرزاقهم. سنة الله سن ذلك سنة. في الذين خلوا من قبل من الأنبياء، وهو نفي الحرج عنهم فيما أباح لهم. وكان أمر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا.

الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا أو مدح لهم منصوب أو مرفوع، وقرئ «رسالة الله» .

ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله تعريض بعد تصريح. وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف أو محاسبا فينبغي أن لا يخشى إلا منه.

[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٤٠]

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠)

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها، ولا ينتقض عمومه بكونه أبا للطاهر والقاسم وإبراهيم لأنهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم. ولكن رسول الله وكل رسول أبو أمته لا مطلقا بل من حيث إنه شفيق ناصح لهم، واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم ليس بينه وبينه ولادة. وقرئ «رسول الله» بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر أي ولكن رسول الله من عرفتم أنه لم يعش له ولد ذكر.

وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم أو ختموا به على قراءة عاصم بالفتح، ولو كان له ابن بالغ لاق بمنصبه أن يكون نبيا كما

قال عليه الصلاة والسلام في إبراهيم حين توفي: لو عاش لكان نبيا

، ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لأنه إذا نزل كان على دينه، مع أن المراد منه أنه آخر من نبيء. وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** يغلب الأوقات ويعم الأنواع بما هو أهله من التقديس والتحميد والتهليل والتمجيد. وسبحوه بكرة وأصيلا أول النهار وآخره خصوصا، وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات لكونهما مشهودين كأفراد التسبيح من جملة الأذكار لأنه العمدة فيها. وقيل الفعلان موجهان." (١)

"يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١)

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ أثنوا عليه بضروب الثناء وأكثروا ذلك." (٢)

"الحض على ذكر الله

اللهم صل على أشرف خلقك محمد، ولله الحمد وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم﴾ (الأحزاب ٧٠-٧١) وقال تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح﴾ (فاطر ١٠) وقال تعالى ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي﴾ (البقرة ١٥٢) وقال تعالى ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ (الأحزاب ٤١) وقال تعالى ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ (الأحزاب ٣٥) وقال تعالى ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ (آل عمران ١٩٠) وقال تعالى ﴿إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾ (الأنفال ٤٤)." (٣)

"خرجه مسلم

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «قال النبي صلى الله عليه وسلم: لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» قال الترمذي: حديث حسن.

«وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله.

قال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله.

» متفق عليه.

في ذكر الله تعالى طرفي النهار

قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ (الأحزاب: ٤١) - الأصيل: ما بين العصر والمغرب - وقال تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤/٢٣٣

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣/٣٥

(٣) الكلم الطيب ابن تيمية ص/١٤

الغافلين﴾ (الأعراف: ٢٠٥) .

﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ (غافر: ٥٥)." [(١)]

"عليه واله وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: ذكر الله، قيل الذكر أفضل أم الجهاد في سبيل الله؟

فقال: لو ضرب المجاهد بسيفه في الكفار حتى ينقطع سيفه ويختضب دما: لكان الذاكر أفضل منه «١» . الوجه الثاني: أن الله تعالى حيث ما أمر بالذكر، أو أثنى على الذكر: اشترط فيه الكثرة، فقال: اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، والذاكرين الله كثيرا، ولم يشترط ذلك في سائر الأعمال الوجه الثالث: أن للذكر مزية هي له خاصة وليست لغيره: وهي الحضور في الحضرة العلية، والوصول إلى القرب بالذي عبر عنه ما ورد في الحديث من المجالسة والمعية، فإن الله تعالى يقول: أنا جليس من ذكرني «٢» ، ويقول: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني» متفق عليه من حديث أبي هريرة. وفي رواية البيهقي: وأنا معه حين يذكرني.

وللناس في المقصد بالذكر مقامان: فمقصد العامة اكتساب الأجور، ومقصد الخاصة القرب والحضور، وما بين المقامين بون بعيد. فكم بين من يأخذ أجره وهو من وراء حجاب، وبين من يقرب حتى يكون من خواص الأحباب.

واعلم أن الذكر على أنواع كثيرة: فمنها التهليل، والتسبيح، والتكبير، والحمد، والحوقلة، والحسبلة، وذكر كل اسم من أسماء الله تعالى، والصلاة على النبي صلى الله عليه واله وسلم، والاستغفار، وغير ذلك. ولكل ذكر خاصيته وثمرته. وأما التهليل: فثمرته التوحيد: أعني التوحيد الخاص فإن التوحيد العام حاصل لكل مؤمن، وأما التكبير: فثمرته التعظيم والإجلال لذي الجلال، وأما الحمد والأسماء التي معناها الإحسان والرحمة كالرحمن الرحيم والكريم والغفار وشبه ذلك: فثمرتها ثلاث مقامات، وهي الشكر، وقوة الرجاء، والمحبة. فإن المحسن محبوب لا محالة. وأما الحوقلة والحسبلة: فثمرتها التوكل على الله والتفويض إلى الله، والثقة بالله: وأما الأسماء التي معناها الاطلاع والإدراك كالعليم والسميع والبصير والقريب وشبه ذلك: فثمرتها المراقبة. وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه واله وسلم: فثمرتها شدة المحبة فيه، والمحافظة على اتباع سنته، وأما الاستغفار: فثمرته الاستقامة على التقوى، والمحافظة على شروط التوبة مع إنكار القلب بسبب الذنوب المتقدمة.

ثم إن ثمرة الذكر التي تجمع الأسماء والصفات مجموعة في الذكر الفرد وهو قولنا:

الله، الله. فهذا هو الغاية وإليه المنتهى

استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين أي بمعونته

ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات قيل إنها نزلت في الشهداء المقتولين

---

(١) . رواه الترمذي في كتاب الدعاء ص ٤٥٨ ج ٥ عن أبي سعيد الخدري وأوله: أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات، قلت ومن الغازين في سبيل الله؟ قال لو ضرب» .

---

(١) الكلم الطيب ابن تيمية ص/٢٠

(٢) . قال عنه العجلوني في كشف الخفاء: رواه البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب أوله: قال موسى عليه السلام يا رب: أقريب أنت فأناجيك أو بعيد فأناديك؟ فقيل له يا موسى: أنا ... » .." (١)

"اذكروا الله **ذكرا كثيرا** اشترط الله الكثرة في الذكر حيثما أمر به بخلاف سائر الأعمال، والذكر يكون بالقلب وباللسان وهو على أنواع كثيرة من التهليل والتسبيح والحمد والتكبير وذكر أسماء الله تعالى وسبحوه بكرة وأصيلا قيل: إن ذلك إشارة إلى صلاة الصبح والعصر، والأظهر أنه أمر بالتسبيح في أول النهار وآخره، وقال ابن عطية: أراد في كل الأوقات فحد النهار بطرفيه هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم هذا خطاب للمؤمنين، وصلاة الله عليهم رحمة لهم، وصلاة الملائكة عليهم دعاؤهم لهم، فاستعمل لفظ يصلي في المعنيين على اختلافهما وقيل: إنه على حذف مضاف تقديره وملائكته يصلون تحيتهم يوم يلقونه سلام قيل: يعني يوم القيامة، وقيل: في الجنة وهو الأرجح لقوله:

وتحيتهم فيها سلام [يونس: ١٠] ، ويحتمل أن يريد تسليم بعضهم على بعض أو قول الملائكة لهم سلام عليكم طبتم [الزمر: ٧٣] إنا أرسلناك شاهدا أي يشهد على أمته وداعيا إلى الله بإذنه أي بأمر الله وإرساله وسراجا منيرا استعارة للنور الذي يتضمنه الدين.

ودع أذاهم يحتمل وجهين أحدهما لا تؤذهم فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين بآية السيف، والآخر احتمل إذايتهم لك، وأعرض عن أقوالهم، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن الآية: معناه سقوط العدة عن المطلقة قبل الدخول، فالنكاح في الآية هو العقد، والمس هو الجماع، وتعتدونها من العدد فمتعوهن هذا يقتضي متعة المطلقة قبل الدخول، سواء فرض لها أو لم يفرض لها صداق، وقوله تعالى في البقرة: ٢٣٧ «وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم» يقتضي أن المطلقة قبل الدخول وقد فرض لها، يجب لها نصف الصداق ولا متعة لها، وقد اختلف هل هذه الآية ناسخة لآية البقرة أو منسوخة بها؟ ويمكن الجمع بينهما بأن تكون آية البقرة مبينة لهذه، مخصصة لعمومها

يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن في معناها قولان أحدهما أن المراد أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ، كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهن مهورهن، والآخر أن المراد جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطى مهرها، وهذا أوسع من الأول وما ملكت يمينك أباح الله له مع الأزواج السراري بملك اليمين." (٢)

"ولكن الله سلم يعني: ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم. وقيل: معناه ولكن الله سلمكم من الهزيمة والفشل إنه عليم بذات الصدور يعني أنه تعالى يعلم ما يحصل في الصدور من الجراءة والجبن والصبر والجزع. وقال ابن عباس: معناه أنه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل: وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا يعني أن الله سبحانه وتعالى قلل عدد المشركين في أعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا في القتال ليتأكد في اليقظة ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه وأخبر به أصحابه قال ابن مسعود: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين قال: أراهم مائة فأسرنا رجلا

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٠٢/١

(٢) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٥٤/٢

منهم فقلنا كم كنتم قال: كنا ألفا. ويقللكم في أعينهم يعني ويقللكم يا معشر المؤمنين في أعين المشركين. قال السدي: قال ناس من المشركين إن العير قد انصرف فارجعوا فقال أبو جهل الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى نستأصلهم إنما محمد وأصحابه أكلة جزور يعني لقتلهم في عينيه ثم قال: فلا تقتلوهم واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة التي في نفسه والحكمة في تقليل المشركين في أعين المؤمنين تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ولتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جراءتهم عليه ولا يجبنوا عند قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في أعين المشركين لئلا يهربوا وإذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالغوا في الاستعداد والتأهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم.

فإن قلت: كيف يمكن تقليل الكثير وتكثير القليل؟

قلت: ذلك ممكن في القدرة الإلهية فإن الله سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة من خوارق العادات فلا ينكر ذلك ليقضي الله أمرا كان مفعولا يعني أمرا كان كائنا من إعلاء كلمة الإسلام ونصر أهله وإذلال كلمة الشرك وخذلان أهله فإن قلت: قد قال في الآية المتقدمة ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا وقال في هذه الآية ليقضي الله أمرا كان مفعولا فما معنى هذا التكرار؟

قلت: المقصود من ذكره في الآية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره في هذه الآية لأنه تعالى قلل عدد الفريقين في أعين بعضهم بعضا للحكمة التي قضاها فلذلك قال ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور يعني في الآخرة فيجازى كل عامل على قدر عمله فالمحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أو يغفر.

[سورة الأنفال (٨): الآيات ٤٥ الى ٤٦]

يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (٤٥) وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين (٤٦)

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة يعني جماعة كافرة فاثبتوا يعني لقتالهم وهو أن يوطنوا أنفسهم على لقاء العدو وقتاله ولا يحدثوها بالتولي واذكروا الله كثيرا يعني كونوا ذاكرين الله عند لقاء عدوكم **ذكرا كثيرا** بقلوبكم وألسنتكم أمر الله عباده المؤمنين وأولياءه الصالحين بأن يذكروه في أشد الأحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله، وفيه تنبيه على أن الإنسان لا يجوز أن يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله. وقيل: المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو وذلك لا يحصل إلا بمعونة الله تعالى فأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يسألوه النصر على العدو عند اللقاء ثم قال تعالى: لعلكم تفلحون يعني: وكونوا على رجاء الفلاح والنصر والظفرة.

فإن قلت: ظاهر الآية يوجب الثبات على كل حال وذلك يوهم أنها ناسخة لآية التحرف والتحيز.

قلت المراد من الثبات هو الثبات عند المحاربة والمقاتلة في الجملة وآية التحرف والتحيز لا تقدح في حصول هذا الثبات في

المحاربة بل ربما كان الثبات لا يحصل إلا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى مؤكدا لذلك وأطيعوا الله ورسوله يعني في أمر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ولا تنازعوا فتفشلوا يعني: ولا." (١)

"عليه وهو في نفسه مباح متسع، وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين وهو إنما جعل الله طلاق زيد لها، وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم فإن قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بإمساكها. قلت: هو أن الله تعالى أعلم نبيه أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم، عن طلاقها وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته، وقيل: كان في أمره بإمساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا إذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها زيد، ومثل ذلك لا يقدح في حال الأنبياء، مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الأشياء، وأنه رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذه لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن، ونظرة الفجأة معفو عنها ما لم يقصد مأثما لأن الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم.

وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف، وهو حسن لا إثم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه الصلاة والسلام، قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس، ذكر أن الله أحق بالخشية في عموم الأحوال في جميع الأشياء. قوله عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا أي حاجته منها، ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها، وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبني تحل بعد الدخول بها زوجناكها قال أنس:

كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات، وقال الشعبي: «كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدل عليك بثلاث ما من امرأة من نسائك تدل بهن جدي وجدك واحد وإني أنكحنيك الله في السماء وإن السفير جبريل عليه السلام» (م) عن أنس قال لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لزيد: اذهب فاذكرها على قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسل رسول الله يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل عليها بغير إذن قال: فلقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس، وبقي أناس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أم غيري قال فانطلق حتى دخل البيت، وذهبت لأدخل معه فألقى الستر بيني وبينهم ونزل الحجاب (ق) عن أنس قال ما

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣١٦/٢

أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه، ما أولم على زينب أولم بشاة وفي رواية أكثر وأفضل، ما أولم على زينب قال ثابت: بم أولم قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه. قوله عز وجل لكي لا يكون على المؤمنين حرج أي إثم في أزواج أدعيائهم جمع الدعي وهو المتبني إذا قضوا منهن وطرا يقول: يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي كنت تبنيته، ليعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبني وإن كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب وكان أمر الله مفعولا أي قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٨ الى ٤٤]

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨) الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)." [١]

"ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي فيما أحل الله له من النكاح، وغيره سنة الله في الذين خلوا من قبل معناه سن الله سنة في الأنبياء، وهو أن لا حرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح، وغيره فإنه كان لهم الحرائر والسراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة، ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم وكان أمر الله قدرا مقدورا يعني قضاء مقضيا أن لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أثنى الله على الأنبياء بقوله الذين يبلغون رسالات الله يعني فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم ويخشونه يعني يخافونه ولا يخشون أحدا إلا الله يعني لا يخافون قالت: الناس ولائمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم وكفى بالله حسيبا أي حافظا لأعمال خلقه ومحاسبهم. قوله عز وجل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال: الناس إن محمدا تزوج امرأة ابنه فأنزل الله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى أنه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة، حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح. فإن قلت: قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وقال للحسن: إن ابني هذا سيد. قلت: قد أخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل: أراد بالرجال الذي لم يلدهم ولكن رسول الله أي إن كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه وخاتم النبيين ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن عباس:
يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا ويكون بعده نبيا وعنه قال: إن الله لما حكم أن لا نبي بعده، لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا وكان الله بكل شيء عليما أي دخل في علمه أنه لا نبي بعده. فإن قلت: قد صح أن عيسى عليه السلام ينزل

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣/٤٢٨

في آخر الزمان بعده وهو نبي قلت إن عيسى عليه السلام ممن نبيء قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين» وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الأنبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لي خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله الكفر بي وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي» وقد سماه الله رؤوفا رحيما (م) عن أبي موسى قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي، لنا نفسه أسماء فقال «أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي وأنا الماحي ونبي التوبة ونبي الرحمة» المقفي هو المولى الذاهب، يعني آخر الأنبياء المتبع لهم فإذا قفي فلا نبي بعده.

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** قال ابن عباس: لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، وأمرهم به في الأحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى اذكروا الله **ذكرا كثيرا** يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية، وقيل الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا وسبحوه معناه إذا ذكرتموه ينبغي لكم أن يكون ذكركم إياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء بكرة وأصيلا فيه إشارة إلى المداومة لأن ذكر الطرفين يفهم منه." (١)

"٤٥٦ - (٦) وعن عائشة، قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل علي كل أحيانه. رواه مسلم.

وحديث ابن عباس سنذكره في كتاب الأطعمة، إن شاء الله تعالي.

الفصل الثاني

٤٥٧ - عن ابن عباس، قال: اغتسل بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في جفنة، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوضأ منه، فقالت: يا رسول الله! إني كنت جنبا، فقال: ((إن الماء لا يجنب)) رواه الترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، وروى الدارمي نحوه [٤٥٧].

٤٥٨ - وفي ((شرح السنة)) عنه، عن ميمونة، بلفظ ((المصابيح)). [٤٥٨]

الحديث السادس عن عائشة: قوله: ((علي كل أحيانه)) ((مح)): الذكر نوعان: قلبي، ولساني، والأول أعلاهما، وهو المراد في الحديث، وفي قوله تعالي: ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾، وهو أن لا ينسى الله علي كل حال، وكان النبي صلى الله عليه وسلم حظ وافر من هذين النوعين، إلا في حالة الجنابة ودخول الخلاء، فإنه يقتصر فيهما علي النوع الأعلي، الذي لا أثر فيه للجنابة، ولذلك إذا خرج من الخلاء يقول: ((غفرانك)).

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٢٩/٣

الفصل الثاني

الحديث الأول عن ابن عباس: قوله: ((اغتسل في جفنة)) حال، أي مدخلة يدها في جفنة، ليطابق قوله: ((إن الماء لا يجنب)). ((تو)): أي الماء إذا غمس فيه الجنب يده لم ينجس، وإنما قال ذلك لأن القوم كانوا حديثي العهد بالإسلام وقد أمروا بالاغتسال من الجنابة، كما أمروا بتطهير البدن عن النجاسة، فربما سبق إلي فهم بعضهم أن العضو الذي عليه الجنابة في سائر الأحكام كالعضو الذي عليه النجاسة، فيحكم بجنابة الماء من غمس عضو الجنب فيه، كما يحكم بنجاسته من غمس النجس فيه، فبين لهم أن الأمر بخلاف ذلك- انتهي كلامه.

فإن قلت: كيف الجمع بين هذا الحديث وبين حديث حميد في الفصل الثالث: ((نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغتسل الرجل بفضل المرأة))؟ قلت: هذا الحديث يدل علي الجواز، وذلك علي ترك الأولي، فالنهي تنزيه لا تحريم.." (١)

"وقال تعالى ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا﴾ الإسراء ١١١

وقال تعالى ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى﴾ طه ١٣٠

وقال تعالى ﴿ولذكر الله أكبر﴾ العنكبوت ٤٥

وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ الأحزاب ٤١ - ٤٢

وقال تعالى ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ الأحزاب ٣٥

وقال تعالى ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود﴾ ق ٤٠

وقال تعالى ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ الأنفال ٤٥

وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ المنافقون ٩." (٢)

"سورة الأحزاب

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ١ الى ٧٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليما حكيما (١) واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا (٢) وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٣) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (٤)

ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣/٨١٨

(٢) سلاح المؤمن في الدعاء ابن الإمَام ص/٥٢

ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما (٥) النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا كان ذلك في الكتاب مسطورا (٦) وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا (٧) ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذابا أليما (٨) يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا (٩)

إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا (١٠) هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا (١١) وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا (١٢) وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا (١٣) ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا (١٤)

ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا (١٥) قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا (١٦) قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧) قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا (١٨) أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا (١٩)

يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا (٢٠) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (٢١) ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (٢٢) من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (٢٣) ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما (٢٤)

ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا (٢٥) وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا (٢٧) يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا (٢٨) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما (٢٩) يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا (٣٠) ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما (٣١) يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا (٣٢) وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٣٣) واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا (٣٤)

إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين

والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما (٣٥) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦) وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا (٣٧) ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨) الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩)

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨) يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩)

يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢) يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣) إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما (٥٤)

لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥) إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦) إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا (٥٧) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا (٥٨) يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين

عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (٥٩)
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (٦٠) ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٦٢) يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (٦٤)
خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا (٦٥) يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٦٦)
وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (٦٨) يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (٦٩)
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (٧١) إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢) ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما (٧٣)." (١)

"تقدم شرحها، فبدأ أولا بالانقياد الظاهر، ثم بالتصديق، ثم بالأوصاف التي بعدهما تندرج في الإسلام وهو الانقياد، وفي الإيمان وهو التصديق، ثم ختمها بخلة المراقبة وهي ذكر الله كثيرا. ولم يذكر لهذه الأوصاف متعلقا إلا في قوله: والحافظين فروجهم والذاكرين الله كثيرا، نص على متعلق الحفظ لكونه منزلة العقلاء ومركب الشهوة الغالبة، وعلى متعلق الذكر بالاسم الأعظم، وهو لفظ الله، إذ هو العلم المحتوي على جميع أوصافه، ليتذكر المسلم من تذكره، وهو الله تعالى، وحذف من الحافظات والذاكرات المفعول لدلالة ما تقدم، والتقدير: والحافظاتها والذاكراته. أعد الله لهم: غلب الذكور، فجمع الإناث معهم وأدرجهم في الضمير، ولم يأت التركيب لهم ولهن.

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا، وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا، ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا، ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما، يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، وسبحوه بكرة وأصيلا، هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما، تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا، ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا.

قال الجمهور، وابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وغيرهم: خطب الرسول لزيد زينب بنت جحش، فأبت وقالت: لست بناكحة،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤٤٣/٨

فقال: «بلى فأنكحيه فقد رضيته لك» ، فأبت، فنزلت.

وذكر أنها وأخاها عبد الله كرها ذلك، فلما نزلت الآية رضيا.

وقال ابن زيد: وهبت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهي أول امرأة وهبت للنبي صلى الله عليه وسلم نفسها، فقال: «قد قبلتك وزوجتك زيد بن حارثة» ، فسخطت هي وأخوها، قالا: إنما أردناه فزوجنا عبده، فنزلت

، والسبب الأول أصح. ومناسبة هذه الآية أنه لما ذكر تلك الأوصاف السابقة من." (١)

"سورة المنافقون

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة المنافقون (٦٣) : آية ٩]

يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون (٩)

المقصود: أن دوام الذكر لما كان سببا لدوام المحبة، وكان الله سبحانه أحق بكمال الحب والعبودية والتعظيم والإجلال، كان كثرة ذكره من أنفع ما للعبد. وكان عدوه حقا هو الصاد له عن ذكر ربه، وعبوديته.

ولهذا أمر سبحانه بكثرة ذكره في القرآن. وجعله سببا للفلاح. فقال تعالى:

٦٢: ١٠ اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال: ٣٣: ٤١ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وقال: ٣٣: ٣٥ والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال: ٦٣: ٩ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله. ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وقال: ٢: ١٥٢ فاذكروني أذكركم

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سبق المفردون. قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا»

وفي الترمذي عن أبي الدرداء عن." (٢)

"الضم، ويجوز أن يكون مصدرا غير جمع وضم إتباعا كاليسر واليسر» قلت: قوله: «جمع رمزة» إلى قوله «في الأصل» كلام مثبج لا يفهم منه معنى صحيح. وقرأ الأعمش: «رمزا» بفتحهما. وخرجها الزمخشري على أنه جمع رامز كخادم وخدم.

وانتصابه على هذا على الحال من الفاعل وهو ضمير زكريا، والمفعول معا وهو الناس كأنه: إلا مترامزين كقوله:

١٢٧٤ - متى ما تلقني فردين ترجف ... روانف إليتيك وتستطارا

/ وكقوله:

١٢٧٥ - فلئن لقيتك خاليين لتعلمن ... أبي وأيك فارس الأحزاب

قوله تعالى: ﴿كثيرا﴾ نعت لمصدر محذوف أو حال من ضمير ذلك المصدر وقد عرف. أو نعت لزمان محذوف تقديره:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٨/٤٨٠

(٢) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم ابن القيم ص/٥٤٤

ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا.

والباء في قوله: ﴿بالعشي﴾ بمعنى «في» أي: في العشي والإبكار. والعشي يقال من وقت زوال الشمس إلى مغيبها، كذا قال الزمخشري. وقال الراغب: «العشي: من زوال الشمس إلى الصباح» والأول هو المعروف. وقال الواحدي: «العشي: جمع عشية وهي آخر النهار» .." (١)

"الأكثرون؛ لأن ضمير المخاطب لا يبدل منه» . وقال الشيخ: «قال الزمخشري: بدل من» لكم «كقوله: ﴿للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ [الأعراف: ٧٥] قال:» ولا يجوز على مذهب جمهور البصريين أن يبدل من ضمير المتكلم ولا من ضمير المخاطب بدل شيء من شيء، وهما لعين واحدة. وأجاز ذلك الكوفيون والأخفش. وأنشد:

٣٦٨٦ - بكم قريش كفينا كل معضلة ... وأم نهج الهدى من كان ضليلا

قلت: لا نسلم أن هذا بدل شيء من شيء وهما لعين واحدة، بل بدل بعض من كل باعتبار الواقع؛ لأن الخطاب في قوله «لكم» أعم من ﴿من كان يرجو الله﴾ وغيره، ثم خصص ذلك العموم لأن المتأسي به عليه السلام في الواقع إنما هم المؤمنون. ويدلك على ما قلته ظاهر تشبيه الزمخشري هذه الآية بآية الأعراف، وآية الأعراف البدل فيها بدل كل من كل. ويجاب: بأنه إنما قصد التشبيه في مجرد إعادة العامل.

والثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة ل «حسنة» . الثالث: أن يتعلق بنفس «حسنة» قالهما أبو البقاء. ومنع أن يتعلق ب «أسوة» قال: «لأنها قد وصفت» . و «كثيرا» أي: **ذكرا كثيرا**." (٢)

"الأصل في الصلاة: اللزوم فكأن العبد لزم هذه العبادة لا يحتاج طلبه من الله

تعالى، وقال الخطابي: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى التعظيم والتكريم، وهى

خصيصة له لا شرك فيها، وعن الفخر الفارسي المزي: قال بعض العلماء

ينبغي أن ينوي المصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بقلبه أن صلاتي على النبي إنما تكون

امتثالا لأمر الله تعالى حيث أمرنا بالصلاة عليه، الثاني: ينوي موافقة الله

وملائكة، الثالث: ينوي امتثال أمر الله تعالى في ذكره حيث قال: (اذكروا

الله **ذكرا كثيرا**) الرابع: ينوى أن هذا ذكر حبيب الله وذكر الحبيب

موجب لرضا المحب، الخامس: ينوي أن الله تعالى أمره بالدعاء وأنا اخترت

هذا الدعاء، السادس: ينوي طلب الزيادة للنبي صلى الله عليه وسلم لقيام حقوقه الواجبة

عليه، السابع: ينوي إظهار محبته؛ لأن من أحب شيئا أكثر من ذكره،

الثامن: ينوى تعظيمه، التاسع: ينوي ذكر آله وتعظيم آله، العاشر: ينوي ارتجاء

الشفاعة والزلفة، وفي المحكم الصلاة أو الاستغفار صلى دعاء (١) ، قال الأعشى

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/١٦٧

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩/١٠٩

عليك مثل الذي صليت فاعتمني يوما فإن يبحث المرء مضطجعا، وقد

اختلف العلماء في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، فمذهب الشافعي أنها

فرض في التشهد / الآخر، قال النووي: ونقله أصحابنا عن عمر بن الخطاب

وابنه، ونقله الشيخ أبو حامد عن ابن مسعود وأبي مسعود البدري، وقد أسلفناه

أيضا عن الشعبي وهو أحد الروايتين عن أحمد بن حنبل- رحمه الله-، وقال

إسحاق: إن تركها عمدا لم تصح صلاته وإن تركها سهوا رجوت أن تجزيه،

وقال ابن أبي زيد عن ابن المواز: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة، " قال أبو

محمد: يريد ليس من فرائض الصلاة، وحكى ابن القطان وعبد الوهاب أن

ابن المواز يراها فريضة في الصلاة، وفال أبو حنيفة ومالك وأكثر العلماء: هي

مستحبة، وقال ابن حزم: فإن قائل يقول: لم تجعلوا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في

أثر التشهد فرضا كما يقول الشافعي؟، قلنا: لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل أن هذا

القول فرض في الصلاة، ونحن نقول أنه فرض على كل مسلم أن يقوله مرة

في الدهر، وزعم محمد بن جرير والطحاوي أنه لا سلف للشافعي في هذا

القول ولا سنة يتبعها، وما أسلفناه من الأخبار يرد قولهما ويوضح صحة ما

---

(١) كذا ورد هذا السياق' بالأصل "، والمعنى مضطرب؛ لاضطراب المتن.." (١)

"وقال (١) الإمام أحمد: حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة، عن زياد بن أبي زياد -مولى عبد الله بن عياش (٢) بن أبي ربيعة -أنه بلغه عن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما عمل آدمي عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله". وقال معاذ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم"؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "ذكر الله عز وجل" (٣) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن رجلا سأله فقال: أي المجاهدين أعظم أجرا يا رسول الله؟ فقال: "أكثرهم (٤) لله ذكرا". قال: فأي الصائمين أكثر أجرا؟ قال: "أكثرهم لله ذكرا". ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أكثرهم لله ذكرا". فقال أبو بكر لعمر، رضي الله عنهما: ذهب الذاكرون بكل خير. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أجل" (٥) .

وسنذكر بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**

---

(١) شرح ابن ماجه لمغلطاي علاء الدين مغلطاي ص/١٥٤١

وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ الآية [الأحزاب:٤١، ٤٢] ، إن شاء الله تعالى.
وقوله: ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ أي: هيأ لهم (٦) منه لذنوبهم مغفرة وأجرا عظيما وهو الجنة.

---

(١) في ت: "وروى".
(٢) في ف، أ: "عباس".
(٣) المسند (٥/٢٣٩) .
(٤) في أ: "أكثرهم".
(٥) المسند (٣/٤٣٨) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٧٤) : "وفيه زبان بن فائد وهو ضعيف، وقد وثق، وكذلك ابن لهيعة، وبقية رجاله ثقات".
(٦) في ت، ف: "أعد لهم".." [1]

"فهو كذاب أفاك، دجال ضال مضل، ولو تخرق (١) وشعبذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرجيات (٢) ، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله، سبحانه وتعالى، على يد الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان، لعنهما الله. وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، [فكل واحد من هؤلاء الكذابين] (٣) يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من (٤) جاء بها. وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره، ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم﴾ الآية [الشعراء:٢٢١، ٢٢٢] . وهذا بخلاف الأنبياء، عليهم السلام، فإنهم في غاية البر والصدق (٥) والرشد والاستقامة [والعدل] (٦) فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات، والأدلة الواضحات، والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسموات.
﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) ﴾

---

(١) في أ: "تمخرق".
(٢) في أ: "النيرنجيات".
(٣) زيادة من أ.
(٤) في أ: "ما".

---

[1] تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٢١/٦

(٥) في أ: "الصدقة".

(٦) زيادة من أ.." (١)

"قلت: وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ في مسند [الإمام] (١) أحمد، من حديث زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش: أنه بلغه عن معاذ بن جبل، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بنحوه، فالله أعلم.

وقال (٢) الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا فرج بن فضالة، عن أبي سعد الحمصي قال: سمعت أبا هريرة يقول: دعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدعه: "اللهم، اجعلني أعظم شكرك، وأتبع نصيحتك، وأكثر ذكرك، وأحفظ وصيتك". (٣)

ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى، عن وكيع، عن أبي فضالة الفرج بن فضالة، عن أبي سعيد الحمصي، عن أبي هريرة، فذكر مثله وقال: غريب. (٤)

وهكذا رواه الإمام أحمد أيضا عن أبي النضر هاشم بن القاسم، عن فرج بن فضالة، عن أبي سعيد المدني (٥) عن أبي هريرة فذكره. (٦)

وقال (٧) الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن معاوية بن صالح، عن عمرو بن قيس قال: سمعت عبد الله بن بسر يقول: جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أحدهما: يا رسول الله، أي الناس خير؟ قال: "من طال عمره وحسن عمله". وقال الآخر: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا (٨) ، فمرني بأمر أتشبث به. قال: "لا يزال لسانك رطبا بذكر الله". (٩)

وروى الترمذي وابن ماجه [منه] (١٠) الفصل الثاني، من حديث معاوية بن صالح، به. (١١) وقال الترمذي: حسن غريب.

وقال (١٢) الإمام أحمد: حدثنا سريج (١٣) ، حدثنا ابن وهب، عن عمرو بن الحارث قال: أن دراجا أبا السمح حدثه، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون." (١٤)

وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا عقبة بن مكرم العمي، حدثنا سعيد بن سفيان (١٥) الجحدري، حدثنا الحسن بن أبي جعفر، عن عقبة بن أبي ثبيت (١٦) الراسبي، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اذكروا الله **ذكرا كثيرا** [حتى] (١٧) يقول

---

(١) زيادة من أ.

(٢) في ت: "وروى".

(٣) المسند (٢/٤٧٧) .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة   ابن كثير ٦/٤٣١

(٤) سنن الترمذي برقم (٣٦٠٤) .

(٥) في أ: "المزني".

(٦) المسند (٣١١/٢) .

(٧) في ت: "وروى".

(٨) في ت: "علي".

(٩) المسند (١٩٠/٤) .

(١٠) زيادة من ف، أ.

(١١) سنن الترمذي برقم (٣٣٧٥) وسنن ابن ماجه برقم (٣٧٩٣) .

(١٢) في ت: "وروى".

(١٣) في أ: "شريح".

(١٤) المسند (٦٨/٣) وفيه دراج، عن أبي الهيثم ضعيف.

(١٥) في أ: "سفر".

(١٦) في أ: "سبب".

(١٧) زيادة من ت، ف، أ، والمعجم.." [١]

"المنافقون: تراءون." (١)

وقال (٢) الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي، سمعت أبا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله فيه، إلا رأوه حسرة يوم القيامة." (٣)

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ : إن الله لم يفرض [على عباده] (٤) فريضة إلا [جعل لها حدا معلوما، ثم] (٥) عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه، إلا مغلوبا على تركه، فقال: ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ [النساء:١٠٣] ، بالليل والنهار، [في البر والبحر] (٦) ، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته.

والأحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله كثيرة جدا، وفي هذه الآية الكريمة الحث على الإكثار (٧) من ذلك.

وقد صنف الناس في الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالنسائي والمعمري وغيرهما (٨) ، ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الأذكار للشيخ محيي الدين النووي، رحمه الله تعالى (٩)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٣٢/٦

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٢/١٦٩) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٧٦) : "فيه الحسين بن أبي جعفر الجعفري وهو ضعيف".

(٢) في أ: "زاده".

(٣) المسند (٢/٢٢٤) وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٨٠) : "رجاله رجال الصحيح".

(٤) زيادة من ت، ف، أ.

(٥) زيادة من ت، ف، أ.

(٦) زيادة من ت، ف، أ.

(٧) في أ: "الإكثرار".

(٨) في ت: "والمعمري والكلم الطيب لشيخ الإسلام وغيرهم".

(٩) وقد طبع كتاب الأذكار بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط في دار الهدى وعليه تخريج لابن علان اسمه: "الفتوحات الربانية" طبع في الهند.

هذا وقد جاء في نسخة "ت" بعد هذه الفقرة ما يلي:

"فذكر الله أصل موالاة الله، عز وجل، ورأسها. والغفلة أصل معاداته ورأسها، فإن العبد لا يزال يذكر ربه حتى يحبه فيواليه، ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه ويعاديه. قال الله تعالى: (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) وما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمة بمثل ذكر الله، فالذكر جلاب النعم دفاع النقم. قال تعالى: (إن الله يدفع عن الذين آمنوا) وفي القراءة الأخرى: (يدافع عن الذين آمنوا) فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله ومادة الإيمان وقوته بذكر الله، فمن كان أكمل إيمانا وأكثر ذكرا كان دفاع الله عنه، ودفعه أعظم. ومن نقص نقص ذكر بذكر ونسيان بنسيان، وقال تعالى: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) والذكر رأس الشكر، والشكر جلاب النعم، موجب للمزيد. قال بعض السلف: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن برك. ومجالس الذكر رياض الجنة كما روى ابن أبي الدنيا من حديث جابر، عن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "يأيها الناس ارتعوا في رياض الجنة" قلنا يا رسول الله: وما رياض الجنة؟ قال: "مجالس الذكر"، ثم قال: "اغدوا وروحوا فاذكروا فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه". فمجالس الذكر مجالس الملائكة كما في الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون في الطريق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلم إلى حاجتكم، فتحف بأجنحتها إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: وهل رأوني؟ قال: يقولون: لا والله يا ربنا ما رأوك، فيقول: كيف لو أنهم رأوني؟ قال: فيقولون: لو أنهم رأوك كانوا أشد عبادة وأشد تحميدا وتمجيدا، وأكثر تسبيحا، فيقول: ما يسألوني؟ فيقولون: يسألونك الجنة، فيقول: وهل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا ربنا ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها كانوا أشد حرصا عليها، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة، فيقول: مم يتعوذون؟ قال: فيقولون: من النار، فيقول: هل رأوها؟ فيقولون: لا والله يا ربنا ما رأوها، فيقول: كيف لو رأوها؟

فيقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة، فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، فيقول ملك من الملائكة: إن فيهم فلانا ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم"، فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم، فلهم نصيب من قوله: (وجعلني مباركا أينما كنت) [مريم:٣١] وإن الله، عز وجل، ليباهى بالذاكرين الملائكة، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد، فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذلك. قال: أما إني لم أسألكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل

عنه حديثا مني، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه. قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن علينا بك. قال: "آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ " قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك؟ قال: "أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة" فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى، دليل على شرف الذكر عنده ومحبته له وأن له مزية على غيره من الأعمال.

والذكر نوعان: أحدهما: ذكر أسماء الرب وصفاته والثناء عليه، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به وهذا أيضا نوعان: أحدهما: إنشاء الثناء بها من الذاكر، وهذا النوع هو المذكور في الحديث نحو: سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ونحو ذلك، فأفضل هذا النوع أجمعه للثناء وأعمه نحو: سبحان الله عدد خلقه، فهذا أفضل من مجرد سبحان الله، وقول: الحمد لله عدد ما خلق في السماء، وعدد ما خلق في الأرض، وعدد ما خلق بينهما، وعدد ما هو خالق، أفضل من مجرد قولك: الحمد لله، وهذا في حديث جويرية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: "لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم، لوزنتهن: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته". رواه مسلم. وفي الترمذي وسنن أبي داود عن سعد بن أبي وقاص أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبح به، فقال: "أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل؟ " فقال: سبحان الله عدد ما خلق في السماء، وسبحان الله عدد ما خلق في الأرض، وسبحان الله عدد ما بين ذلك، وسبحان الله عدد ما هو خالق، والله أكبر مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك".

والنوع الثاني: الخبر عن الرب تبارك وتعالى بأحكام أسمائه وصفاته نحو قولك: إن الله، عز وجل، يسمع أصوات عباده، ويرى حركاتهم، ولا يخفى عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم من آبائهم وأمهاتهم، وهو على كل شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد الواجد ونحو ذلك. وأفضل هذا النوع الثناء عليه بما أثنى به على نفسه، وبما أثنى عليه رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل كما قال: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ، وهذا النوع أيضا ثلاثة أنواع: حمد، وثناء، ومجد.

فالحمد: الإخبار عنه بصفات كماله مع محبته والرضا عنه، ولا يكون المحب الساكت حامدا، ولا المثنى بلا محبة حامدا، حتى يجمع له المحبة والثناء، فإن كرر المحامد شيئا بعد شيء، كانت ثناء، فإن كان المدح بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدا. قد جمع الله تعالى لعبده الأنواع الثلاثة فى أول سورة فاتحة الكتاب، فإذا قال العبد: (الحمد لله رب

العالمين) قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال: (الرحمن الرحيم) قال: أثنى علي عبدي. وإذا قال: (مالك يوم الدين) قال: مجدني عبدي.

والنوع الثاني من الذكر: ذكر أمره ونهيه وأحكامه، وهذا أيضا نوعان: أحدهما: ذكره بذلك إخبارا عنه بأنه أمر بكذا ونهى عن كذا وأحب كذا وسخط كذا، والثاني: ذكره عند أمره فيبادر إليه، وعند نهيه فيهرب منه، فذكر أمره ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر، فذكره أفضل الذكر وأجله وأعظمه.

فائدة:

فهذا ذكره هو الفقه الأكبر، وما دونه من أفضل الذكر إذا صحت فيه النية، ومن ذكره تعالى ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه ومواقع فضله على عبيده، وهذا من أجل أنواع الذكر، فهذه خمسة أنواع، وهي تكون بالقلب واللسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان؛ لأن ذكر القلب يثمر المعرفة، ويصح المحبة، ويثير الحياء، ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويردع عن التقصير في الطاعة والتهاون في المعاصي والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا ما من تلك الأثمار، وإن أثمر شيئا ما، فثمرته ضعيفة.

والذكر أفضل من الدعاء؛ لأن الذكر ثناء على الله، عز وجل، بجميل صفاته وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟ ولهذا جاء في الحديث: "من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين". ولهذا كان مستحبا في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله والثناء عليه بين يدي حاجته، ثم يسأل حاجته كما جاء في حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد عجل هذا"، ثم دعاه فقال له أو لغيره: "إذا صلى أحدكم، فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو بما شاء ". رواه الإمام أحمد والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وهكذا دعا ذو النون الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" وفي الترمذي: دعوة أخي ذي النون إذ دعا بها في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له". وهكذا عامة الأدعية النبوية، ومنه

قول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الكرب: "لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض ورب العرش الكريم". ومنه حديث بريدة الأسلمي، رواه أهل السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو وهو يقول: اللهم أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الذي لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، فقال: "والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى". وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يصلي ثم دعا: اللهم أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم فقال النبي: "لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى" وروى أبو داود والنسائي من حديث أنس، فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم، فكان ذكر الله والثناء عليه أنجح ما سأل به

حوائجه، فهذا من فوائد الذكر، وهو أنه يجعل الدعاء مستجابا فلهذا قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا) فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته وافتقاره واعترافه، كان أبلغ في الإجابة وأفضل. فإنه يكون قد توسل إلى المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله، وعرض، بل صرح، بشدة حالته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه وأوصاف المسؤول مقتضى منه، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، فكان أبلغ وألطف موقعا وأتم معرفة وعبودية، وأنت ترى في الشاهد ولله المثل الأعلى أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره، وذكر حاجته هو وفقره ومسكنته، كان أعطف لقلب المسؤول وأقرب إلى قضاء حاجته من أن يقول له ابتداء أعطني كذا وكذا، فإذا عرف هذا فتأمل قول موسى، عليه السلام: (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) وقول ذي النون في دعائه: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) وقول أبينا آدم: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) وفي الصحيحين أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه؛ قال يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي فقال: "قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم" فجمع في هذا الدعاء الشريف العظيم القدر بين الاعتراف بحاله، والتوسل إلى ربه بفضله وجوده، وأنه المتفرد بغفران الذنوب ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معا فهكذا آداب الدعاء والعبودية.

وقراءة القرآن أفضل الأذكار وهي أفضل من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، وهذا من حيث النظر إلى كل واحد منهما مجردا، وقد تعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل تعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل، وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود، فإنه أفضل من قراءة القرآن، وكذلك التشهد، وكذلك رب اغفر لي بين السجدتين، وقول رب اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني بين السجدتين أفضل من القراءة. وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة، ذكر التهليل والتسبيح والتكبير والتحميد أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة. وكذلك إجابة المؤذن، والقول كما يقول، أفضل من القراءة، وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله على خلقه، لكن لكل مقام مقال، متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره، واختلت الحكمة، وفقدت المصلحة المطلوبة منه، وهكذا الأذكار المفيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن، مثاله أن يحدث له من التفكر في ذنوبه فيحصل له توبة واستغفار أو يحصل له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن، فيعدل إلى الأذكار والدعوات التي تحصنه وتحوطه، وكذلك أيضا قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة القرآن، لم يحضر قلبه فيها. وإذا أقبل على الذكر والدعاء إليها اجتمع قلبه كله على الله، وأحدث له تضرعا وخشوعا وابتهالا، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع له، وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأكثر أجرا، وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نص وفرقان بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيعطي كل ذي حق حقه ويضع كل شيء موضعه، فللعين موضع، وللرجل موضع، وللماء موضع، وللحم موضع، وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظام الأمر والنهي، والله الموفق.

وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقت، والتحمير وماء الورد أنفع له في وقت. وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية،

رحمه الله، يوما: سئل بعض أهل العلم: أيما أنفع للعبد التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيا فالبخور وماء الورد نافع له، وإن كاد دنسا فالصابون والماء الجاري أنفع له فقال: كيف والثياب لا تزال دنسة؟.

ومن هذا الباب أن سورة (قل هو الله أحد الله) تعدل ثلث القرآن، ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث والطلاق والخلع والعدد ونحوها، بل هذه الآيات في وقتها، وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص. ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه، فكانت أفضل من كل القراءة والذكر والدعاء بمفرده بجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء فهذا أصل نافع جدا للعبد يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وينزلها منازلها لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها فيربح عليه إبليس الفضل الذي بينهما أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل عن مفضولها، وإن كان ذلك وقته فتفوته مصلحته بالكلية لظنه أن اشتغاله به أكثر ثوابا وأعظم أجرا". اهـ.." (١)

"﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦) ﴾

قال البخاري: قال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء. وقال ابن عباس: يصلون: يبركون. هكذا علقه البخاري عنهما (١) .

وقد رواه أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية كذلك. وروي مثله عن الربيع أيضا. وروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس كما قاله سواء، رواهما ابن أبي حاتم.

وقال أبو عيسى الترمذي: وروي عن سفيان الثوري وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب: الرحمة، وصلاة الملائكة: الاستغفار.

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو الأودي، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، قال الأعمش عن عطاء (٢) بن أبي رباح ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ قال: صلاته تبارك وتعالى: سبوح قدوس، سبقت رحمتي غضبي.

والمقصود من هذه الآية: أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعا.

وقد قال (٣) ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثني أبي، عن أبيه، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر - يعني: ابن المغيرة -عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟ فناداه ربه: يا موسى، سألوك: "هل يصلي ربك؟ " فقل: نعم، إنما أصلي أنا وملائكتي على أنبيائي ورسلي. فأنزل الله عز وجل، على نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ .

وقد أخبر أنه سبحانه وتعالى (٤) ، يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا. هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٣٣/٦

[الأحزاب:٤١-٤٣] . وقال تعالى: ﴿وبشر الصابرين (٥) . الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] . وفي الحديث: "إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف". وفي

(١) صحيح البخاري (٥٣٢/٨) "فتح".

(٢) في ت: "وروى ابن أبي حاتم بسنده عن عطاء".

(٣) في ت: "وقد روى".

(٤) في ت: "وقد أخبر الله تعالى" وفي ف: "وقد أخبر أنه سبحانه بأنه".

(٥) في ت: "المؤمنين " وهو خطأ.." [1]

"فارزقني من فضلك، وأنت خير الرازقين. رواه ابن أبي حاتم.

وروي (١) عن بعض السلف أنه قال: من با ع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة، بارك الله له سبعين مرة، لقول الله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾

وقوله: ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ أي: حال بيعكم وشرائكم، وأخذكم وعطائكم، اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة؛ ولهذا جاء في الحديث: "من دخل سوقا من الأسواق فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير كتبت (٢) له ألف ألف حسنة، ومحي عنه ألف ألف سيئة" (٣)

وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا، حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا.

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين (١١) ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ، فقال تعالى: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما﴾ أي: على المنبر تخطب. هكذا ذكره غير واحد من التابعين، منهم: أبو العالية، والحسن، وزيد بن أسلم، وقتادة.

وزعم مقاتل بن حيان: أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل، فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر إلا القليل منهم. وقد صح بذلك الخبر، فقال الإمام أحمد:

حدثنا ابن إدريس، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد، عن جابر قال: قدمت عير المدينة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلا فنزلت: ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾

أخرجاه في الصحيحين، من حديث سالم، به (٤)

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زكريا بن يحيى، حدثنا هشيم، عن حصين، عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان، عن جابر بن

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٥٧/٦

عبد الله قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فقدمت عير إلى المدينة، فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى لم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد، لسال بكم الوادي

---

(١) في م: "وروى أيضا".

(٢) في أ: "كتب الله".

(٣) جاء من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رواه الإمام أحمد في المسند (٤٧/١) والترمذي في السنن برقم (٨٢٤٣) وابن ماجة في السنن برقم (٢٢٣٥) وقال الترمذي: "هذا حديث غريب".

(٤) المسند (٣١٣/٣) وصحيح البخاري برقم (٤٨٩٩) وصحيح مسلم برقم (٨٦٣) .." [1]

"عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله.

وقال الإمام أحمد «١» : حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله أي العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة؟ قال صلى الله عليه وسلم: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» قال: قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله تعالى؟ قال: «لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويتخضب دما، لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه» .

وقال الإمام أحمد «٢» : حدثنا عفان، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة، فأتى على جمدان فقال «هذا جمدان سيروا فقد سبق المفردون» قالوا: وما المفردون؟ قال صلى الله عليه وسلم «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» ثم قال صلى الله عليه وسلم «اللهم اغفر للمحلقين» قالوا: والمقصرين؟ قال صلى الله عليه وسلم «اللهم اغفر للمحلقين» قالوا، والمقصرين؟ قال: «والمقصرين» تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم دون آخره.

وقال الإمام أحمد «٣» : حدثنا حجين بن المثنى، حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة عن زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة قال: إنه بلغني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما عمل آدمي عملا قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل» وقال معاذ رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من تعاطي الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم غدا فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال صلى الله عليه وسلم «ذكر الله عز وجل» .

وقال الإمام أحمد «٤» : حدثنا حسن، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا زبان بن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أن رجلا سأله فقال: أي المجاهدين أعظم أجرا يا رسول الله؟ قال

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ١٢٣/٨

صلى الله عليه وسلم «أكثرهم لله تعالى ذكرا» قال: فأي الصائمين أكثر أجرا؟ قال صلى الله عليه وسلم «أكثرهم لله عز وجل ذكرا» ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة. كل ذلك يقول رسول الله «أكثرهم لله ذكرا» فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجل» . وسنذكر إن شاء الله تعالى بقية الأحاديث الواردة في كثرة الذكر عند قوله تعالى في هذه السورة يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا [الأحزاب: ٤١- ٤٢] الآية، إن شاء الله تعالى. وقوله تعالى:

(١) المسند ٣/ ٧٥.

(٢) المسند ٢/ ٤١١.

(٣) المسند ٥/ ٢٣٩.

(٤) المسند ٣/ ٤٣٨. [.....]."[1]

"رضي الله عنهما، فذكر مثله سواء.

والأحاديث في هذا كثيرة، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد صلى الله عليه وسلم إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب وأفاك دجال ضال مضل، لو تخرق وشعبذ وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرجيات فكلها محال وضلال عند أولي الألباب كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن ومسيلمة الكذاب باليمامة من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجى أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله، وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها.

وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق أو لما لهم فيه من المقاصد إلى غيره ويكون في غاية الإفك والفجور في أقوالهم وأفعالهم، كما قال تعالى: هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم [الشعراء: ٢٢١- ٢٢٢] الآية، وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولونه ويفعلونه ويأمرون به وينهون عنه، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات، فصلوات الله وسلامه عليهم دائما مستمرا ما دامت الأرض والسموات.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٦/٣٧٤

من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)
يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن، لما لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب. قال الإمام أحمد «١» :
حدثنا يحيى بن سعيد عن عبد الله بن سعيد، حدثني مولى ابن عياش عن أبي بحرية عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم» قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «ذكر الله عز وجل» «٢» وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد

---

(١) المسند ٥/ ١٩٥.
(٢) أخرجه الترمذي في الدعاء باب ٦، وابن ماجة في الأدب باب ٥٣.." [1]
"مولى ابن عياش عن أبي بحرية واسمه عبد الله بن قيس التراغمي عن أبي الدرداء رضي الله عنه به، قال الترمذي: رواه بعضهم عنه فأرسله. قلت وقد تقدم هذا الحديث عند قوله تعالى:
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات في مسند الإمام أحمد من حديث زياد بن أبي زياد مولى عبد الله بن عياش أنه بلغه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه، فالله أعلم.
وقال الإمام أحمد «١» : حدثنا وكيع، حدثنا فرج بن فضالة عن أبي سعيد الحمصي قال:
سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول: دعاء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدعه: اللهم اجعلني أعظم شكرك، وأتبع نصيحتك، وأكثر ذكرك، وأحفظ وصيتك، ورواه الترمذي «٢» عن يحيى بن موسى عن وكيع عن أبي فضالة الفرج بن فضالة عن أبي سعيد الحمصي عن أبي هريرة رضي الله عنه، فذكر مثله، وقال: غريب، وهكذا رواه الإمام أحمد أيضا عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن فرج بن فضالة عن أبي سعيد المري عن أبي هريرة رضي الله عنه، فذكره.
وقال الإمام أحمد «٣» : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس قال: سمعت عبد الله بن بسر يقول: جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال صلى الله عليه وسلم: «من طال عمره وحسن عمله» وقال الآخر: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فمرني بأمر أتشبث به، قال صلى الله عليه وسلم: «لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى» «٤» وروى الترمذي وابن ماجة الفصل الثاني من حديث معاوية بن صالح به، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.
وقال الإمام أحمد «٥» : حدثنا سريج، حدثنا ابن وهب عن عمرو بن الحارث قال: أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٦/٣٨٤

مجنون» . وقال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد، حدثنا عقبة بن مكرم العمي، حدثنا سعيد بن سفيان الجحدري، حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن عقبة بن أبي ثبيب الراسبي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذكروا الله **ذكرا كثيرا** حتى يقول المنافقون إنكم تراؤون» .

وقال الإمام أحمد «٦» : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا شداد أبو طلحة الراسبي، سمعت أبا الوازع جابر بن عمرو يحدث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال

---

(١) المسند ٢/ ٤٧٧.

(٢) كتاب الدعوات باب ١١٣.

(٣) المسند ٤/ ١٩٠.

(٤) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ٤.

(٥) المسند ٣/ ٦٨.

(٦) المسند ٢/ ٢٢٤.." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا رأوه حسرة يوم القيامة» .

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: اذكروا الله **ذكرا كثيرا** إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه، فقال: فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم [النساء: ١٠٣] بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. وقال عز وجل: وسبحوه بكرة وأصيلا فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته، والأحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا، وفي هذه الآية الكريمة الحث على الإكثار من ذلك. وقد صنف الناس في الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالنسائي والمعمري وغيرهما. ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الأذكار للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله.

وقوله تعالى: وسبحوه بكرة وأصيلا أي عند الصباح والسماء، كقوله عز وجل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون [الروم: ١٧- ١٨] وقوله تعالى: هو الذي يصلي عليكم وملائكته هذا تهييج إلى الذكر، أي إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، كقوله عز وجل كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون [البقرة: ١٥١- ١٥٢] وقال النبي صلى الله عليه وسلم «يقول الله تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» «١» والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد عند الملائكة، حكاه البخاري عن أبي العالية، ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عنه، وقال غيره: الصلاة من الله عز وجل الرحمة. وقد يقال: لا منافاة بين القولين، والله

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٣٨٥/٦

أعلم.

وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار، كقوله تبارك وتعالى: الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات [غافر: ٧- ٩] الآية. وقوله تعالى: ليخرجكم من الظلمات إلى النور أي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين وكان بالمؤمنين رحيما أي في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصرهم الطريق الذي ضل عنه وحاد عنه من سواهم من

(١) أخرجه البخاري في التوحيد باب ١٥، ٤٣، ومسلم في الذكر حديث ٢، ٢١.." [١]

"ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو الأودي، حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمرو بن مرة، قال الأعمش أراه عن عطاء بن أبي رباح إن الله وملائكته يصلون على النبي قال: صلاته تبارك وتعالى سبوح قدوس، سبقت رحمتي غضبي والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين: العلوي والسفلي جميعا.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسين، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن، حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق عن جعفر يعني ابن المغيرة، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن بني إسرائيل قالوا لموسى عليه السلام: هل يصلي ربك؟ فناداه ربه عز وجل: يا موسى سألوك هل يصلي ربك، فقل: نعم أنا أصلي وملائكتي على أنبيائي ورسلي، فأنزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما.

وقد أخبر سبحانه وتعالى بأنه يصلي على عباده المؤمنين في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته [الأحزاب:

٤١- ٤٣] الآية وقال تعالى: وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم [البقرة: ١٥٥- ١٥٧] الآية، وفي الحديث «إن الله وملائكته يصلون على ميامن الصفوف» «١» ، وفي الحديث الآخر «اللهم صل على آل أبي أوفى» «٢» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة جابر وقد سألته أن يصلي عليها وعلى زوجها «صلى الله عليك وعلى زوجك» «٣» ، وقد جاءت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصلاة عليه، وكيفية الصلاة عليه، ونحن نذكر منها إن شاء الله ما تيسر والله المستعان.

قال البخاري «٤» عند تفسير هذه الآية: حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد، أخبرنا أبي عن مسعر عن الحكم عن ابن أبي ليلى. عن كعب بن عجرة قال: قيل يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة؟ قال: «قولوا اللهم صلى

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٣٨٦/٦

على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد» .

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب ٩٥، وابن ماجة في الإقامة باب ٥٥.

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات باب ٣٢، وأبو داود في الزكاة باب ٧، والنسائي في الزكاة باب ١٣، وابن ماجة في الزكاة باب ٨، وأحمد في المسند ٤/ ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٨١، ٣٨٣.

(٣) أخرجه الدارمي في المقدمة باب ٧.

(٤) كتاب التفسير، تفسير سورة ٣٣، باب ١٠.." [1]

"العبيد والنساء والصبيان، ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار، كما هو مقرر في كتب الفروع.

وقوله تعالى: وذروا البيع أي اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة، ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه، والله أعلم. وقوله تعالى: ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون أي ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أي في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون.

وقوله تعالى: فإذا قضيت الصلاة أي فرغ منها فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله، كما كان عراك بن مالك رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين، رواه ابن أبي حاتم.

وروي عن بعض السلف أنه قال: من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله وقوله تعالى: واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة، ولهذا جاء في الحديث «من دخل سوقا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحي عنه ألف ألف سيئة» «١» وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا.

[سورة الجمعة (٦٢) : آية ١١]

وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين (١١)

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٦/٤٠٥

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى: وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما أي على المنبر تخطب، هكذا ذكره غير واحد من التابعين، منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم، وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر إلا القليل منهم، وقد صح بذلك الخبر فقال الإمام أحمد «٢» : حدثنا ابن إدريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات باب ٣٥، وابن ماجة في التجارات باب ٤٠، وأحمد في المسند ١/ ٤٧.

(٢) المسند ٣/ ٣١٣. [.....]."[1]

"والثاني: أن يتعلق بمحذوف على أنه صفة «لحسنة» .

والثالث أن يتعلق بنفس «حسنة» قالهما أبو البقاء، ومنع أن يتعلق بأسوة قال: لأنها قد وصفت و «كثيرا» أي **ذكرا كثيرا**.

فصل

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة أي قدوة صالحة أن تنصروا دين الله وتؤازروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذا كسرت رباعيته، وجرح وجهه وقتل عمه، وأوذي بضروب من الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا، واستنوا بسنته ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ قال ابن عباس لمن كان يرجو ثواب الله. وقال مقاتل: يخشى الله واليوم الآخر أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال وذكر الله كثيرا في جميع المواطن على السراء والضراء، ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ لما بين حال المنافقين ذكر حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب وهو أنهم لما رأوا الأحزاب قالوا تسليما لأمر الله وتصديقا بوعده وهو قولهم: ﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ ، وقولهم ﴿وصدق الله ورسوله﴾ ليس بإشارة إلى ما وقع فإنهم كانوا يعرفون صدق الله قبل الوقوع وإنما هو إشارة إلى بشارة وهو أنهم قالوا: ﴿هذا ما وعدنا الله﴾ وقد وقع صدق الله في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس ﴿وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾ (عند وجوده ووعد الله إياهم ما ذكر في سورة البقرة: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة﴾ [الآية: ٢١٤] إلى قوله: ﴿إن نصر الله قريب﴾ [البقرة: ٢١٤] فالآية تتضمن أن المؤمنين يلحقهم مثل ذلك البلاء فلما) (رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما) أي تصديقا لله وتسليما له.

قوله: ﴿وصدق الله ورسوله﴾ من تكرير الظاهر تعظيما لقوله:." [2]

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ١٤٨/٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٢٦/١٥

"يصير رجلا، وقيل: من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته وأهدى لهم إذ هو كالوالد لولد ليس له غيره. ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ أي علمه بكل شيء دخل فيه أن لا نبي بعده، فعلم أن من الحكمة إكمال شرع محمد عليه (الصلاة و) السلام أن زوجه بزوجة دعيه تكميلا للشرع، وذلك من حيث إن قول النبي – صلى الله عليه وسلم – يفيد شرعا لكن إذا امتنع هو عنه يفيد في بعض النفوس نفرة، ألا ترى أنه ذكر بقوله ما فهم منه حل أكل الضب، ثم لما لم يأكله بقي في النفوس شيء، ولما أكل لحم الجمل طاب أكله، مع أنه في بعض الملل لا يؤكل وكذلك الأرنب، روى أبو هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحكم بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة لا يجيبون سواها فكنت أنا موضع تلك اللبنة ختم به البنيان، وختم بي الرشد» ، وقال – عليه (الصلاة و) السلام: «إن لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي وأنا العاقب» والعاقب الذي ليس بعده شيء.

قوله

: ﴿يا

أيها

الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ قال ابن عباس: لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم." (١)

"يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أهله في تركه إلا مغلوبا على عقله وأمرهم به في الأحوال كلها، فقال: ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ [النساء: ١٠٣] وقال: ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ أي بالليل والنهار، والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا ينساه أبدا ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أي صلوا له بكرة يعني صلاة الصبح و «أصيلا» يعني صلاة العصر، وقال الكلبي: «وأصيلا» صلاة الظهر والعصر والعشاء، وقال مجاهد معناه: قولوا: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلى بالله فعبر بالتسبيح عن أخواته، وقيل: المراد من قوله: «**ذكرا كثيرا**» هذه الكلمات يقولها الطاهر والخبيث والمحدث.

قوله: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين فذكر صلاته تحريضا للمؤمنين على الذكر والتسبيح، قال السدي: قالت بنو إسرائيل لموسى: أيصلي ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى فأوحى الله إليه قل لهم: إني أصلي وإن صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء. وقيل: الصلاة من الله هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده، وقيل: الثناء عليه. قال أنس: لما نزلت إن الله وملائكته يصلون على النبي قال أبو بكر: ما خصك الله يا رسول الله بشرف إلا وقد أشركنا فيه فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

قوله: «وملائكته» إما عطف على فاعل «يصلي» ، وأغنى الفصل بالجار عن التأكيد بالضمير، وهذا عند من يرى الاشتراك أو القدر المشترك أو المجاز؛ لأن صلاة الله غير صلاتهم. وإما مبتدأ وخبره محذوف، أي «وملائكته يصلون» وهذا عند من

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٥٥٩

يرى شيئا مما تقدم جائزا إلا أن فيه بحثا، وهو أنهم نصوا على أنه إذا اختلف مدلولا الخبرين فلا يجوز حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه وإن كانا بلفظ واحد، فلا تقول: «زيد ضارب وعمرو» يعني وعمرو ضارب في الأرض أي مسافر.." (١)

"قبلها هو أن الله تعالى في هذه السورة مكارم الأخلاق وأدب نبيه على ما تقدم والله تعالى أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه فكلما ذكر لنبيه مكرمة، وعلمه أدبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه، ولما بدأ الله تعالى في تأديب النبي – عليه الصلاة والسلام – ذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله: ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ [الأحزاب: ١] وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من أزواجه بقوله: بعده ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٥٢] وثلث بما يتعلق بجانب العامة بقوله: ﴿يا أيها النبي إنآ أرسلناك شاهدا﴾ [الأحزاب: ٤٥] كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١] ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات﴾ ثم كما ثلث في تأديب بجانب الأمة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ [الأحزاب: ٥٣] وبقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ [الأحزاب: ٥٦] فإن قيل: إذا كان هذا إرشادا إلى ما يتعلق بجانب من هو خواص المرء فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس؟ .

فالجواب: هذا إرشاد إلى أعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها، وبيانه أن المرأة إذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تأكد العهد، ولهذا قال تعالى في حق الممسوسة: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ [النساء: ٢١] فإذا أمر الله (تعالى) بالتمتع والإحسان مع من لا مودة بينه وبينهما فلما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة إليها بالإفضاء أو حصل تأكدها بحصول الولد بينهما، وهذا كقوله تعالى: ﴿فلا تقل لهمآ أف ولا تنهرهما﴾ [الإسراء: ٣٢] لو قال: لا تضربهما ولا تشتمهما ظن أنه حرام لمعنى مختص بالضرب أو الشتم، فأما إذا قال: ﴿لا تقل لهما أف﴾ علم من معان كثيرة فكذلك ههنا لما أمرنا بالإحسان مع من لا مودة معها علم منه الإحسان مع الممسوسة ومن لم تطلق بعد ومن ولدت عنده منه.

قوله: «ثم طلقتموهن» إن قيل: ما الفائدة بالإتيان «بثم» وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك؟ فالجواب: أنه جرى على الغالب. وقال الزمخشري: نفى التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين أن يطلقها قريبة العهد بالنكاح وبين أن يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المرأة في حبالة الزوج ثم طلقها. قال أبو حيان:." (٢)

"وقوله تعالى: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ أمر بأن نذكره بالأسماء والصفات التي بينها لنا وهدانا إليها، لا بأسماء تذكر بحسب الرأي والقياس.

وقيل: أمر بالذكر أولا، ثم قال: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ ، أي: وافعلوا ما أمركم به من الذكر كما هداكم لدين الإسلام، كأنه قال: إنما أمرتكم بهذا الذكر؛ لتكونوا شاكرين لتلك النعمة، ونظيره ما أمرهم به من التكبير عند فراغ رمضان، فقال: ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وقال في الأضاحي: ﴿كذلك سخرها لكم لتكبروا الله

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٥٦٠

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٥/٥٦٤

على ما هداكم﴾ [الحج: ٣٧] .

وقيل: أمر أولا بالذكر باللسان، وثانيا بالذكر بالقلب، فإن الذكر في كلام العرب ضربان:

أحدهما: الذكر ضد النسيان.

والثاني: الذكر بالقول.

فالأول: كقوله: ﴿ومآ أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره﴾ [الكهف: ٦٣] .

والثاني: كقوله: ﴿فاذكروا الله كذكركم آبآءكم﴾ [البقرة: ٢٠٠] ،

و ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ [البقرة: ٢٠٣] فالأول محمول على الذكر باللسان، والثاني على الذكر بالقلب.

وقال ابن الأنباري: معنى قوله: ﴿واذكروه كما هداكم﴾ أي: اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته.

وقيل: المراد مواصلة الذكر بالذكر؛ كأنه قيل لهم: اذكروا الله واذكروه، أي: اذكروه ذكرا بعد ذكر؛ كما هداكم هداية بعد هداية، نظيره قوله: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١] .

وقيل: المراد بالذكر الأول: ذكر الله بأسمائه وصفاته الحسنى، والمراد بالثاني: الاشتغال بشكر نعمائه والشكر مشتمل أيضا على الذكر.

فصل

قال بعضهم: إن هذه الهداية خاصة، والمراد: كما هداكم في مناسك حجكم إلى سنة إبراهيم - عليه السلام -.

وقال بعضهم: بل هي عامة متناولة لكل أنواع الهدايات.

قوله: ﴿وإن كنتم من قبله لمن الضآلين﴾ : «إن» هذه هي المخففة من الثقيلة، واللام." (١)

"وقال عطاء: أراد صوم ثلاثة أيام؛ لأنهم كانوا إذا صاموا لم يتكلموا إلا رمزا.

وقرأ العامة: «رمزا» - بفتح الراء وسكون الميم - وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة بن قيس «رمزا» بضمها - وفيه وجهان:

أحدهما: أنه مصدر على «فعل» - بتسكين العين - في الصل، ثم ضمت العين؛ إتباعا، كقولهم اليسر والعسر - في اليسر والعسر - وقد تقدم كلام أهل التصريف فيه.

والثاني: أنه جمع رموز - كرسل في جمع رسول - ولم يذكر الزمخشري غيره.

وقال أبو البقاء: «وقرئ بضمها - أي: الراء - وهو جمع رمزة - بضمتين - وأقر ذلك في الجمع. ويجوز أن يكون مسكن الميم - في الأصل - وإنما أتبع الضم الضم.

ويجوز أن يكون مصدرا غير جمع، وضم، إتباعا، كاليسر واليسر» .

قال شهاب الدين: قوله: «جمع رمزة» إلى قوله: في الصل؛ كلام لا يفهم منه معنى صحيح.

وقرأ الأعمش: «رمزا» بفتحهما.

وخرجها الزمخشري على أنه جمع رامز - كخادم وخدم - وانتصابه على هذا - على الحال من الفاعل - وهو ضمير زكريا

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣/٤٢٦

- والمفعول معا - وهو الناس - كأنه قال: إلا مترامزين، كقوله: [الوافر]

١٤٥٠ - متى ما تلقني فردين ترجف ... روانف أليتيك وتستطارا

وكقوله: [الكامل]

١٤٥١ - فلئن لقيتك خاليين لتعلمن ... أيي وأيك فارس الأحزاب؟

قوله: «كثيرا» نعت لمصدر محذوف، أو حال من ضمير ذلك المصدر، أو نعت لزمان محذوف تقديره: **ذكرا كثيرا**، أو زمانا كثيرا، والباء في قوله: «بالعشي» بمعنى «في» أي: في العشي والإبكار.

والعشي: يقال من وقت زوال الشمس إلى مغيبها، كذا قال الزمخشري.." (١)

"الله تعالى أربعا: تنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحف بهم الملائكة، ويذكرهم الرب فيمن عنده» . وقد قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] [البقرة: ١٥٢] وذكر الله لعبده: هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى بين ملائكته ومباهاته به وتنويهه بذكره. قال الربيع بن أنس: إن الله ذاكر من ذكره، وزائد من شكره، ومعذب من كفره، قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** - وسبحوه بكرة وأصيلا - هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣] [الأحزاب: ٤١ - ٤٣] ، وصلاة الله على عبده: هي ثناؤه عليه بين ملائكته، وتنويهه بذكره، كذا قال أبو العالية، ذكره البخاري في " صحيحه "، وقال رجل لأبي أمامة: رأيت في المنام كأن الملائكة تصلي عليك، كلما دخلت، وكلما خرجت، وكلما قمت، وكلما جلست، فقال أبو أمامة: وأنتم لو شئتم، صلت عليكم الملائكة، ثم قرأ: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** - وسبحوه بكرة وأصيلا - هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣] خرجه الحاكم.." (٢)

"الحديث الخمسون. عن عبد الله بن بسر قال: «أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل، فقال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فباب نتمسك به جامع؟ قال: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل» خرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ.

وخرجه الترمذي، وابن ماجه، وابن حبان في " صحيحه " بمعناه، وقال الترمذي: حسن غريب، وكلهم خرجه من رواية عمرو بن قيس الكندي، عن عبد الله بن بسر. وخرج ابن حبان في " صحيحه " وغيره من حديث معاذ بن جبل، قال: «آخر ما فارقت عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قلت له: أي الأعمال خير وأقرب إلى الله؟ قال: أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل» . وقد سبق في هذا الكتاب مفرقا ذكر كثير من فضائل الذكر، ونذكر هاهنا فضل إدامته والإكثار منه. قد أمر الله سبحانه المؤمنين بأن يذكروه **ذكرا كثيرا**، ومدح من ذكره كذلك؛." (٣)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٢١١

(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ٢/٣٠٧

(٣) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ٢/٥١٠

"قال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** - وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] [الأحزاب: ٤١] ، وقال تعالى: ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال: ٤٥] [الجمعة: ١٠] ، وقال تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥] [الأحزاب: ٣٥] ، وقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ [آل عمران: ١٩١] [آل عمران: ١٩١] . وفي " صحيح مسلم " عن أبي هريرة «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر على جبل يقال له: جمدان، فقال: سيروا هذا جمدان، قد سبق المفردون قالوا: ومن المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» . وخرجه الإمام أحمد، ولفظه: «سبق المفردون قالوا: وما المفردون؟ قال: الذين يهترون في ذكر الله» . وخرجه الترمذي، وعنده: «قالوا: يا رسول الله، وما المفردون؟ قال: المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم، فيأتون يوم القيامة خفافا» . وروى موسى بن عبيدة عن أبي عبد الله القراظ، عن معاذ بن جبل قال: «بينما نحن مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نسير بالدف من جمدان إذ استنبه، فقال: يا معاذ أين السابقون؟ فقلت: قد مضوا وتخلف أناس. فقال: يا معاذ إن السابقين الذين يستهترون بذكر الله عز وجل» خرجه جعفر الفريابي.." (١)

"قال: أي: بالقبلة الأولى، وتصديقكم نبيكم، واتباعه إلى الآخرة، أي: ليعطينكم أجرهما جميعا، (إن الله بالناس لرءوف رحيم) .

وعن الحسن في هذه الآية، قال: ما كان الله ليضيع محمدا - صلى الله عليه وسلم - وانصرافكم معه حيث انصرف، (إن الله بالناس لرءوف رحيم) .

وهذا القول: يدل على أن المراد بالإيمان التصديق مع الانقياد، الاتباع
المتعلق بالقبلتين معا، فيدخل في ذلك الصلاة - أيضا.

* * *

قوله تعالى: (فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون (١٥٢)
وفي "صحيح مسلم" عن أبي هريرة وأبي سعيد - كلاهما - عن النبي
- صلى الله عليه وسلم -، قال: "إن لأهل ذكر الله أربعا: تنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحف بهم الملائكة، ويذكرهم الرب فيمن عنده".
وقد قال الله عز وجل: (فاذكروني أذكركم) ، وذكر الله
لعبده: هو ثناؤه عليه في الملإ الأعلى بين الملائكة ومباهاتهم به وتنويهه
بذكره.
قال الربيع بن أنس: إن الله ذاكر من ذكره، وزائد من شكره، ومعذب من
كفره.

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ٥١١/٢

وقال عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور) .." [1]

"وصلاة الله عز وجل على العبد: هو ثناؤه عليه بين ملائكته.

وتنويهه بذكر، كذا قال أبو العالية، ذكره البخاري في "صحيحه ".

وقال رجل لأبي أمامة: رأيت في المنام كأن الملائكة تصلي عليك كلما

دخلت، وكلما خرجت، وكلما قمت، وكلما جلست، فقال أبو أمامة:

وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة، ثم قرأ: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته) .

* * *

قال تعالى: (واشكروا لي ولا تكفرون) ، وقال: (واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون) .

والشكر بالقلب واللسان، والعمل بالجوارح؛ فالشكر بالقلب: الاعتراف

بالنعم للمنعم، وأنها منه وبفضله.

وجاء من حديث عائشة مرفوعا: "ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من عند الله إلا كتب الله له شكرها".

ومن الشكر بالقلب: محبة الله على نعمه، ومنه حديث ابن عباس

المرفوع: "أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ".

قال بعضهم: إذا كانت القلوب جبلت على حب من أحسن إليها

فواعجبا لمن لا يرى محسنا إلا الله! كيف لا يميل بكليته إليه! وقال بعضهم:." [2]

"وهذه الخصال الأربع لكل مجتمعين على ذكر الله تعالى، كما في " صحيح مسلم " (١) عن أبي هريرة وأبي سعيد، كلاهما عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: ((إن لأهل ذكر الله تعالى أربعا: تنزل عليهم السكينة، وتغشاهم الرحمة، وتحف بهم الملائكة، ويذكرهم الرب فيمن عنده)) . وقد قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ (٢) وذكر الله لعبده: هو ثناؤه عليه في الملأ الأعلى بين ملائكته ومباهاتهم به وتنويهه بذكره. قال الربيع بن أنس: إن الله ذاكر من ذكره، وزائد من شكره، ومعذب من كفره (٣) ، وقال - عز وجل -: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى

النور﴾ (٤) ، وصلاة الله على عبده: هي ثناؤه عليه بين ملائكته، وتنويهه بذكره، كذا قال أبو العالية، ذكره البخاري في " صحيحه " (٥) .

---

(١) تفسير ابن رجب الحنبلي   ابن رجب الحنبلي ١/١٢٨

(٢) تفسير ابن رجب الحنبلي   ابن رجب الحنبلي ١/١٢٩

(١) ٨/ ٧٢ (٢٧٠٠) (٣٩) .

(٢) البقرة: ١٥٢.

(٣) أخرجه: الطبري في " تفسيره " ٢/ ٣٧.

(٤) الأحزاب: ٤١ – ٤٣.

(٥) ٦/ ١٥١ معلقا.." [1]

"وقال رجل لأبي أمامة: رأيت في المنام كأن الملائكة تصلي عليك، كلما دخلت، وكلما خرجت، وكلما قمت، وكلما جلست، فقال أبو أمامة: وأنتم لو شئتم، صلت عليكم الملائكة، ثم قرأ: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ خرجه

الحاكم (١) .

قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه)) : معناه أن العمل هو الذي يبلغ بالعبد درجات الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ولكل درجات مما

عملوا﴾ (٢) ، فمن أبطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند الله تعالى، لم يسرع به نسبه، فيبلغه تلك الدرجات، فإن الله تعالى رتب الجزاء على الأعمال، لا على الأنساب، كما قال تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾ (٣) ، وقد أمر الله تعالى بالمسارعة إلى مغفرته ورحمته بالأعمال، كما قال: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ﴾ (٤) الآيتين، وقال: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾ (٥) .

قال ابن مسعود: يأمر الله بالصراط، فيضرب على جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم زمرا زمرا، أوائلهم كلمح البرق، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، ثم كمر البهائم، حتى يمر الرجل سعيا، وحتى يمر الرجل مشيا، حتى يمر آخرهم يتلبط على بطنه، فيقول:

---

(١) في " المستدرك " ٢/ ٤١٨.

وانظر: تهذيب الكمال للمزي ٣/ ٤٥١ (٢٨٥٨) .

(٢) الأنعام: ١٣٢.

(٣) المؤمنون: ١٠١.

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٣/ ١٠٢٧

(٤) آل عمران: ١٣٣ - ١٣٤.

(٥) المؤمنون: ٥٧ - ٦١.." [1]

"وكلهم خرجه من رواية عمرو بن قيس الكندي، عن عبد الله بن بسر.

وخرج ابن حبان في " صحيحه " (١) وغيره (٢) من حديث معاذ بن جبل، قال: آخر ما فارقت عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قلت له: أي الأعمال خير وأقرب إلى الله؟ قال: ((أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله - عز وجل -)) .

وقد سبق في هذا الكتاب مفرقا ذكر كثير من فضائل الذكر، ونذكر هاهنا فضل إدامته، والإكثار منه.

قد أمر الله سبحانه المؤمنين بأن يذكروه **ذكرا كثيرا**، ومدح من ذكره كذلك؛ قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة

وأصيلا﴾ (٣) ، وقال تعالى: ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ (٤) ، وقال تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ (٥) ، وقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ (٦) .

وفي " صحيح مسلم " (٧) عن أبي هريرة: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مر على جبل يقال له: جمدان، فقال: ((سيروا هذا جمدان (٨) ، قد سبق المفردون)) . قالوا: ومن المفردون يا رسول الله؟ قال: ((الذاكرون الله كثيرا والذاكرات))

.

---

(١) برقم (٨١٨) .

(٢) أخرجه: البخاري في " خلق أفعال العباد ": ٧٢، والطبراني في " الكبير " ٢٠/ (١٨١)

و (٢٠٨) و (٢١٢) و (٢١٣) وفي " مسند الشاميين "، له (٢٠٣٥) و (٣٥٢١) ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٥١٦) .

(٣) الأحزاب: ٤١ - ٤٢.

(٤) الجمعة: ١٠.

(٥) الأحزاب: ٣٥.

(٦) آل عمران: ١٩١.

(٧) ٨/ ٦٣ (٢٦٧٦) (٤) .

(٨) جمدان: هو جبل بين ينبع والعيص، على ليلة من المدينة، وهو بضم الجيم، ثم سكون الميم. مراصد الاطلاع ١/ ٣٤٥.." [2]

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٣/ ١٠٢٨

(٢) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٣/ ١٢٨٢

"قلبه بمعرفة الربوبية ثم بمعرفة العبودية، لأنه إنما خلق لرعاية هذا العهد وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون [الذاريات: ٥٦] وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم [البقرة: ٤٠] فلا جرم أنزل الله تعالى هذه السورة جامعة لكل ما يحتاج إليه العبد في الوفاء بذلك العهد

وقوله «إذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله ذكرني عبدي»

مناسب لقوله تعالى فاذكروني أذكركم «١»

«أنا جليس من ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»

والذكر مقام عال شريف ذكره الله تعالى في القرآن كثيرا يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** [الأحزاب: ٤١] واذكر ربك في نفسك [الأعراف: ٢٠٥] تذكروا فإذا هم مبصرون [الأعراف: ٢٠١] الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم [آل عمران: ١٩١] ولهذا وقع الابتداء به.

وقوله «ذكرني عبدي»

دل على أن ذاته المخصوصة صارت مذكورة بقوله «بسم الله الرحمن الرحيم» وهذا يدل على أن الله اسم علم.

وقوله «إذا قال: الله رب العالمين يقول الله: حمدني عبدي»

يدل على أن مقام الحمد أعلى من مقام الذكر لأنه أو كلام في أول خلق العالم حيث قالت الملائكة: ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك [البقرة: ٣٠] وآخر كلام في الجنة وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين [يونس: ١٠] ولأن الفكر في ذات الله تعالى غير ممكن

«تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله»

وكل من تفكر في مخلوقاته ومصنوعاته كان وقوفه على رحمته وفضله وإحسانه أكثر فيحمد الله تعالى أكثر،

فقوله «حمدني عبدي»

شهادة من الله تعالى على وقوف العبد بعقله وفكره على وجوه فضله وإنعامه في ترتيب العالم وتربية العالمين، وأنه أقر بقلبه ولسانه بكرمه وإحسانه.

قوله «وإذا قال: الرحمن الرحيم» «يقول الله: عظمني عبدي»

يدل ذلك على أن الإله الكامل المكمل المنزه عن الشريك والنظير والمثل والند والضد، هو في غاية الرحمة والفضل والكرم مع عباده. ولا شك أن غاية ما يصل العقل والفهم والوهم إليه من تصور معنى الكمال والجلال ليس إلا هذا المقام وهو التعظيم لله.

وقوله «وإذا قال: مالك يوم الدين يقول الله: مجدني عبدي»

أي نزهني وقدسني عن الظلم وعن شبهة الظلم حيث قضيت معادا يحشر إليه العباد ويقضي فيه بين الظالم والمظلوم والقوي والضعيف.

أيحسب الظالم في ظلمه ... أهمله القادر أم أمهلا

ما أهملوه بل لهم موعد ... لن يجدوا من دونه موئلا

---

(١) رواه مسلم في كتاب الذكر حديث (٣، ١٨) . البخاري في كتاب التوحيد باب ١٥. الترمذي في كتاب الدعوات باب ١٣١. ابن ماجه في كتاب الأدب باب ٥٣. أحمد في مسنده (٢/ ٢٥١، ٤٠٥) .." [١]

"نتركه في وقت الطاعة، وكان غيرهم يقفون بعرفة والذين كانوا يقفون بعرفة يفيضون قبل أن تغرب الشمس، والذين يقفون بمزدلفة إذا طلعت الشمس ويقولون: أشرق ثبير كيما نغير أي نسرع للنحر. وقيل: أي ندفع من مزدلفة فندخل في غور الأرض. وثبير جبل هناك فأمر الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم بمخالفة القوم في الدفعتين فأمره بأن يفيض من عرفات بعد غروب الشمس. وبأن يفيض من المزدلفة قبل طلوع الشمس، فإن السنة أيضا من قبيل الوحي. قال الواحدي: المشعر الحرام هو المزدلفة سماه الله تعالى بذلك لأن الصلاة والمقام والمبيت به والدعاء عنده. وقال في الكشاف: المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام وعليه الميقدة، أي: يوقد هناك النار في الجاهلية، قال: وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة إلى وادي محسر، وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام. قال: والصحيح أنه الجبل لما

روى جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر- يعني بالمزدلفة- بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر.

وقال: عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة وإلا فالمزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر، أو جعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر. والمشعر المعلم لأنه معلم لعبادته ووصف بالحرام لحرمته. وأما الذكر المأمور به هناك فقيل: هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء. والصلاة تسمى ذكرا قال تعالى وأقم الصلاة لذكري [طه: ١٤] والدليل عليه أن فاذكروا أمر فهو للوجوب ولا ذكر يجب هناك إلا هذا، والجمهور على أن المراد ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل.

عن ابن عباس أنه نظر إلى الناس ليلة جمع فقال: لقد أدركت الناس هذه الليلة لا ينامون كما هداكم «ما» مصدرية أو كافة. أطلق الأمر بالذكر أولا ثم قيده ثانيا. والمعنى:

اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة كي تكونوا شاكرين والهداية إما كل أنواع الهدايات أو الهداية إلى سنة إبراهيم في مناسك الحج، أو اذكروا كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه بحسب الرأي والقياس، فإن أسماء الله تعالى توقيفية أو الذكر الأول محمول على الذكر باللسان، والثاني على الذكر بالقلب. أو المعنى اذكروه بتوحيده كما ذكركم بهدايته، أو المراد بتثنية الأمر تكريره وتكثيره كقوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** [الأحزاب: ٤١] وعلى هذا فيكون قوله كما

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ١١٧/١

هداكم متعلقا بالأمرين جميعا، أو الذكر الأول مقيد بأنه عند المشعر الحرام والثاني مطلق يدل على وجوب ذكره في كل مكان وعلى كل حال. فالأول إقامة للوظيفة الشرعية والثاني ارتقاء إلى معارج." (١)

"يخصه بهذا المنصب الشريف قضاء لحقوق الإخاء، فمن منع المستوجبين فقد ظلم وكان أفصح منه لسانا وأكبر سنا وألين جانبا. قال جار الله: وزيرا وهارون مفعولا اجعل قدم ثانيهما عناية بأمر الوزارة، أو لي ووزيرا مفعولان هارون عطف بيان للوزير وأخي في الوجهين بدل من هارون أو عطف بيان آخر. وقيل: يجوز فيمن قرأ اشدد على الأمر أن يجعل أخي مرفوعا على الابتداء واشدد خبره فيوقف على هارون وشد الأزر به عبارة عن تقويته به وأن يجعله ناصرا له فيما عسى يرد عليه من الشدائد والخطوب، بل يجعله وسيلة له في أمر النبوة وطريق الرسالة لأنه صرح بذلك في قوله وأشركه في أمري. ثم ذكر غاية الأدعية فإن المقصد الأسنى هو الاستغراق في بحر التوحيد ونفي الإشراك، فإن التعاون مهيج الرغبات ومسهل سلوك سبل الخيرات فقال كي نسبحك كثيرا أي تسبيحا كثيرا ونذكرك **ذكرا كثيرا** وقدم التسبيح وهو التنزيه لأن النفي مقدم على الإثبات، فبالأول تزول العقائد الفاسدة، وبالثاني ترتسم النقوش الحسنة المفيدة. ثم ختم الأدعية بقوله إنك كنت بنا بصيرا

وفيه فوائد منها:

أنه فوض استجابة الدعوات إلى عمله بأحوالهما وأنهما بصدد أهلية الإجابة أم لا، وفيه من حسن الأدب ما لا يخفى. ومنها أنه عرض فقره واحتياجه على علمه وأنه مفتقر إلى التعاون والتعاضد ولهذا سأل ما سأل. ومنها أنه أعلم بأحوال أخيه هل يصلح لوزارته أم لا، وأن وزارته هل تصير سببا لكثرة التسبيح والذكر. وحين راعى من دقائق الأدب وأنواع حسن الطلب ما يجب رعايته فلا جرم أجاب الله تعالى مطالبه وأنجح مآربه قائلا قد أوتيت سؤلك والسؤل بمعنى المسئول كالخبز بمعنى المخبوز والأكل بمعنى المأكول.

وزيادة قوله يا موسى بعد رعاية الفاصلة لأجل كمال التمييز والتعيين والله أعلم.

بمصالح عبيده.

التأويل:

يا من طاب بطهارته بساط النبوة ما أنزلنا عليك القرآن إلا لتسعد بتخلقك بخلقه ويسعد بسببك الأولون والآخرون من أهل السموات وأهل الأرضين.

تنزيلا ممن خلق أرض بشريتك وسموات روحانيتك التي هي أعلى الموجودات الممكنات كما

قال «أول ما خلق الله روحي» .

استوى بصفة الرحمانية على عرش قلبك ليكون معه وقت لا يسعك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل: له ما في السماوات الروحانية من الصفات الحميدة وما في الأرض البشرية من الصفات الذميمة وما بينهما أي بين سماء الروح وأرض النفس

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٥٦٣/١

وهو القلب بما فيه من الإيمان والإيقان والصدق والإخلاص وما تحت الثرى أي ما هو مركوز في جبلة الإنسانية: وإن تجهر." (١)

"ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله والخاشعين والخاشعات وفيه إشارة إلى الصلاة لأن الخشوع من لوازمها قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون [المؤمنون:

١، ٢] فلذلك أردفها بالصدقة. ثم بالصيام المانع من شهوة البطن فضم إلى ذلك الحفظ من شهوة الفرج التي هي ممنوع منها في الصوم مطلقا وفي غير الصوم مما وراء الأزواج والسراري. ثم ختم الأوصاف بقوله والذاكرين الله كثيرا يعني أنهم في جميع الأحوال يذكرون الله يكون إسلامهم وإيمانهم وقنوتهم وصدقهم وصومهم وحفظهم فروجهم لله.

وإنما وصف الذكر بالكثرة في أكثر المواضع فقال في أوائل السورة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا وقال في الآية والذاكرين الله كثيرا ويجيء بعد ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** لأن الإكثار من الأفعال البدنية متعسر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الأغلب، ولكن لا مانع من أن يذكر الله وهو آكل أو شارب أو ماش أو نائم أو مشغول ببعض الصنائع والحرف، على أن جميع الأعمال صحتها أو كمالها بذكر الله تعالى وهي النية. قال علماء العربية: في الآية عطفان: أحدهما عطف الإناث على الذكور، والآخر عطف مجموع الذكور والإناث على مجموع ما قبله. والأول يدل على اشتراك الصنفين في الوصف المذكور وهو الإسلام في الأول والإيمان في الثاني إلى آخر الأوصاف، والثاني من باب عطف الصفة على الصفة فيؤل معناه إلى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم.

وحين انجر الكلام من قصة زيد إلى هاهنا عاد إلى حديثه.

قال الراوي: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت حجش وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية. فقالا: رضينا يا رسول الله فأنكحها إياه وساق عنه المهر ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر.

وقيل: نزلت في أن كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهي أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد قبلت، وزوجها زيدا فسخطت هي وأخوها وقالا: إنما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده.

وقال أهل النظم: إنه تعالى لما أمر نبيه أن يقول لزوجاته إنهن مخيرات فهم منه أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد ضرر الغير فعليه أن يترك حق نفسه لحظ غيره، فذكر في هذه الآية أنه لا ينبغي أن يظن ظان أن هوى نفسه متبع، وأن زمام الاختيار بيد الإنسان كما في حق زوجات النبي، بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله، فأمر الله هو المتبع وقضاء الرسول هو الحق، ومن خالف الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا، لأن المقصود هو الله والهادي هو النبي، فمن ترك المقصد." (٢)

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٥٣٩/٤

(٢) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٦١/٥

"يكون فيه الميل الكلي إلى أهل الدنيا أصوب وإلى الحق أقرب. وقرن في بيوتكن من عالم الملكوت ولا تبرجن في عالم الحواس راغبين في زينة الدنيا كعادة الجهلة وأقمن الصلاة التي هي معراج المؤمن يرفع يده من الدنيا ويكبر عليها ويقبل على الله بالإعراض عما سواه، ويرجع من مقام تكبر الإنسان إلى خضوع ركوع الحيوان، ومنه إلى خشوع سجود النبات، ثم إلى قعود الجماد فإنه بهذا الطريق أهبط إلى أسفل القالب فيكون رجوعه بهذا الطريق إلى أن يصل إلى مقام الشهود الذي كان فيه في البداية الروحانية، ثم يتشهد بالتحية والثناء على الحضرة، ثم يسلم عن يمينه على الآخرة وما فيها وعن شماله على الدنيا وما فيها. وإيتاء الزكاة بذل الوجود المجازي لنيل الوجود الحقيقي. الرجس لوث الحدوث، والبيت لأهل الوحدة بيت القلب يتلى فيه آيات الواردات والكشوف. إن الذين استسلموا للأحكام الأزلية وآمنوا بوجود المعارف الحقيقية، وقتنوا أي أغرقوا الوجود في الطاعة والعبودية، وصدقوا في عهدهم وصبروا على الخصال الحميدة وعن الأوصاف الذميمة، وخشعوا أي أطرقت سريرتهم عند بواده الحقيقة، وتصدقوا بأموالهم وأعراضهم حتى لم يبق لهم مع أحد خصومة، وصاموا بالإمساك عن الشهوات وعن

رؤية الدرجات، وحفظوا فروجهم في الظاهر عن الحرام وفي الباطن عن زوائد الحلال، وذكروا الله بجميع أجزاء وجودهم الجسمانية والروحانية. وما كان لمؤمن ولا مؤمنة

إذا صدر أمر المكلف أو عليه، فإن كان مخالفا للشرع وجب عليه الإنابة والاستغفار، وإن كان موافقا للشرع فإن كان موافقا لطبعه وجب عليه الشكر، وإن كان مخالفا لطبعه وجب أن يستقبله بالصبر والرضا. وفي قوله والله أحق أن تخشاه دلالة على أن المخلصين على خطر عظيم حتى إنهم يؤاخذون بميل القلب وحديث النفس وذلك لقوة صفاء باطنهم، فاللطيف أسرع تغيرا.

فلما قضى زيد منها وطرا قضاء شهوته بين الخلق إلى قيام الساعة ما كان على النبي من حرج فيما فيه أمان هو نقصان في نظر الخلق فإنه كمال عند الحق إلا إذا كان النظر للحق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أن نسبة المتابعين إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم كنسبة الابن إلى الأب الشفيق ولهذا

قال «كل حسب ونسب ينقطع إلا حسبي ونسبي» .

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٧٣]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥)

وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨) يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩) يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن

معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠)

ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢) يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣) إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما (٥٤) لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥)

إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦) إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا (٥٧) والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا (٥٨) يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما (٥٩) لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا (٦٠)

ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا (٦١) سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا (٦٢) يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (٦٣) إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا (٦٤) خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا (٦٥)

يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٦٦) وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا (٦٧) ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا (٦٨) يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها (٦٩) يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠)

يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (٧١) إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢) ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما (٧٣)." (١)

"بمؤتمن بل ضامن ولهذا لا يكون وارث المودع مقبول القول فلم يكن له بد من تجديد عهد وإيمان حتى يصير أمينا عند الله ويصير القول قوله فيكون له ما كان لآدم من الفوز، ولهذا ذكر ما فيه عاقبة حمل الأمانة قائلا ليعذب إلى قوله ويتوب إشارة إلى الفريقين. ثم وصف نفسه بكونه غفورا رحيما بإزاء كون الإنسان ظلوما جهولا ولا يخفى ما في هذه الإشارة

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٦٥/٥

من البشارة.

التأويل:

اذكروا الله **ذكرا كثيرا** فمن أحب شيئا أكثر ذكره. وأهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر يكفيه الإشارة هو الذي يصلي أي لولا صلاتي عليكم لما وفقتم لذكري كما أنه لولا سابقة محبتي لما هديتم إلى محبتي، فكان في الأزل بالمؤمنين رحيما فلهذا أخرجهم في الأبد من ظلمة الوجود المجازي إلى نور الوجود الحقيقي إنا أرسلناك شاهدا لنا بنعت المحبوبية ومبشرا للطالبين برؤية جمالنا ونذيرا للبطالين عن كمال حسننا وحسن كمالنا وداعيا إلى الله بإذنه لا بطبعك وهواك وسراجا منيرا في أوقات عدم الدعوة، وذلك أن النظر إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم كاف لمن كان له قلب مستنير، فإذا انضمت الدعوة إلى ذلك كان في الهداية غاية. وفضلا كبيرا هو القلب المستنير. إنا أحللنا لك أزواجك لما اتصفت نفسه بصفات القلب وزال عنها الهوى اتصفت دنياه بصفات الآخرة فحل له في الدنيا ما يحل لغيره في الآخرة إن الله وملائكته يصلون صلاة تليق بتلك الحضرة المقدسة مناسبة لحضرة النبوة بحيث لا يفهم معناها غيرهما منها الرحمة، ومنها المغفرة الواردة، ومنها الشواهد، ومنها الكشوف، ومنها المشاهدة، ومنها الجذبة، ومنها القربة، ومنها الشرب، ومنها الري، ومنها السكون، ومنها التجلي، ومنها الفناء في الله، ومنها البقاء به، وهكذا لأمته بحسب مراتبهم كقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم [البقرة: ١٥٧] إنا عرضنا الأمانة هي قبول الفيض الإلهي بلا واسطة ولهذا سمي أمانة لأن الفيض من صفات الحق فلا يتملكه أحد. وقد اختص الإنسان بإصابة رشاش النور الإلهي فكان عرض الفيض عاما على قلب المخلوقات ولكن كان حمله خاصا بالإنسان لأن نسبة الإنسان إلى سائر المخلوقات نسبة القلب إلى الشخص، فالروح يتعلق بالقلب ثم يصل فيضه بواسطة العروق والشرايين إلى سائر البدن فيتحرك به وهذا سر الخلافة إنه كان ظلوما لأنه خلق ضعيفا وحمل قويا جهولا لأنه ظن أنه خلق للمطعم والمشرب والمنكح ولم يعلم أن هذه الصورة قشر وله لب وللبه لب وهو محبوب الله. فبقوة الظلومية والجهولية حمل الأمانة ثم بروحه المنور برشاش الله أدى الأمانة فصارت الصفتان في حق حامل الأمانة ومؤدي حقها مدحا، وفي حق الخائنين فيها ذما. ولما لم يكن لروح الملائكة." (١)

"﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾

٤ ـ." (٢)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٣٨ الى ٣٩]

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨) الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩)

وقوله تعالى: ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ... الآية: هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الأمة أعلمهم أنه لا

---

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٤٧٩/٥

(٢) تفسير الجلالين المحلي، جلال الدين ص/٥٥٦

حرج على نبيه في نيل ما فرض الله له وأباحه من تزويجه لزينب بعد زيد، ثم أعلم أن هذا ونحوه هو السنن الأقدم في الأنبياء، من أن ينالوا ما أحله الله لهم، وعبارة الواحدي: ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له أي: أحل الله له من النساء. سنة الله في الذين خلوا من قبل، يقول: هذه سنة قد مضت لغيرك يعني كثرة أزواج داود وسليمان- عليهما السلام- وكان أمر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا. وقوله تعالى: الذين يبلغون رسالات الله من نعت قوله: في الذين خلوا من قبل، انتهى.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤٠ الى ٤٤]
ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)
وقوله تعالى: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم إلى قوله كريما أذهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم لأنهم استعظموا أن يتزوج زوجة ابنه، فنفى القرآن تلك النبوة، وقوله: أبا أحد من رجالكم يعني المعاصرين له وباقي الآية بين. ثم أمر سبحانه عباده بأن يذكروه **ذكرا كثيرا**، وجعل تعالى ذلك دون حد ولا تقدير لسهولته على العبد، ولعظم الأجر فيه. قال ابن عباس: لم يعذر أحد في ترك ذكر الله عز وجل إلا من غلب على عقله «١» ، وقال: الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا.
وروى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون» «٢» . ت:

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٠٦) رقم (٢٨٥٣١) ، وذكره البغوي (٣/ ٥٣٤) ، وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٩٥) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٨٦) ، وعزاه لابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٦٨) ، وعبد بن حميد في «المنتخب» (ص ٢٨٩) رقم (٩٢٥) ، وأبو يعلى (٢/ ٥٢١) رقم (١٣٧٦) ، وابن حبان (٨٠٥) ، والحاكم (١/ ٤٩٩) كلهم من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعا. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٩) وقال: رواه أحمد، وأبو يعلى، وفيه دراج وقد ضعفه جماعة، وبقية رجال أحد إسنادي أحمد ثقات.." (١)

"حيث إن الإسلام عمل يقيده الوقت، والدفع عنه أمر لا يقيده وقت بل أيان طرق الضر لبناء الإسلام دفع عنه كما هو حكم الدفع في الأمور الدينية، فكانت الصلاة لمواقيت اليوم والليلة، والصوم والحج لمواقيت الأهلة، والزكاة لميقات الشمس، والجهاد لمطلق الميقات حيث ما وقع من مكان وزمان ناظرا بوجه ما لما يقابله من عمود الإسلام الذي هو ذكر كلمة الإخلاص وهي لا إله إلا الله على الدوام ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٥٠/٤

[الأحزاب: ٤١] ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [التوبة: ٥] انتهى. وقال ﴿الذين يقاتلونكم﴾ أي من شأنهم قتالكم لا من ليس شأنه ذلك كالصبيان؛ وفيه إشعار بأن القتال عن سبب المقاتلة فهو مما يفعل عن سبب لا مما يفعل لوقت، وصيغة المضارع لم يقصد بها إلا صدور الفعل من غير نظر إلى زمان مخصوص كما قالوه في أمثاله.
ولما كان الله سبحانه وتعالى قد أوجب العدل في كل." (١)

"كالذين آذوا موسى﴾ فوصاهم جل وتعالى ونزههم بما نهاهم عنه أن يتشبهوا بمن استحق اللعن والغضب في سوء أدبهم وعظيم مرتكبهم، إلى ما تضمنت السورة من هذا القبيل، ثم أتبع سبحانه ما تقدم بالبشارة العامة واللطف الشامل كقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ ثم قال تعالى: ﴿وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾ وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ - إلى قوله تعالى: ﴿أجرا كريما﴾ وقوله تعالى ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ وقوله تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ - إلى قوله: ﴿وأجرا عظيما﴾ وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾ - إلى قوله: ﴿عظيما﴾ وقوله تعالى: ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ إلى قوله: ﴿وكان الله غفورا رحيما﴾ وقوله تعالى مثنيا على المؤمنين بوفائهم وصدقهم ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ - إلى قوله: ﴿وما بدلوا تبديلا﴾ وقوله: ﴿وإثما مبينا﴾ وفي." (٢)

"رضي الله عنها بأنه هو سبحانه زوجه إياها لأنه قضى أن لا بنوة بينه وبين أحد من رجال أمته توجب حرمة زوج الولد: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي ادعوا ذلك بألسنتهم ﴿اذكروا﴾ أي تصديقا لدعواكم ذلك ﴿الله﴾ الذي هو أعظم من كل شيء ﴿**ذكرا كثيرا**﴾ أي بأن تعقدوا له سبحانه صفات الكمال وتثنوا عليه بها بألسنتكم، فلا تنسوه في حال من الأحوال ليحملكم ذلك على تعظيم رسوله صلى الله عليه وسلم حق تعظيمه، واعتقاد كماله في كل حال، وأنه لا ينطق عن الهوى، لتحوزوا مغفرة وأجرا عظيما، كما تقدم الوعد به.
ولما كان ثبوت النبوة بينه وبين أحد من الرجال خارما لإحاطة العلم، وجب تنزيهه سبحانه عن ذلك فقال: ﴿وسبحوه﴾ أي عن أن يكون شيء على خلاف ما أخبر به، وعن كل صفة نقص بعد ما أثبتم له كل صفة كمال ﴿بكرة وأصيلا *﴾ أي في أول النهار وآخره أي دائما لأن هذين الوقتين إما للشغل الشاغل ابتداء أو انتهاء أو للراحة، فوجوب الذكر فيهما وجوب له في غيرهما من باب الأولى، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا." (٣)

"الوحي لكتم " وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه "، (وكفى بالله حسيبا): كافيا للمخاوف، (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) حتى يثبت بينه وبينه ما بين الوالد والولد من حرمة المصاهرة وغيرها، والمراد

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ١٠٧/٣

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٨٠/١٥

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٦٩/١٥

ولده لا ولد ولده، وأما قاسم وإبراهيم وطاهر مع أنهم لم يبلغوا مبلغ مبلغ الرجال، فما كانوا من رجالهم، (ولكن رسول الله) أي: ولكن كان رسول الله، (وخاتم النبيين): آخرهم، وعيسى عليه السلام ينزل بدينه مؤيدا له، (وكان الله بكل شيء عليما) فهو أعلم حيث يجعل رسالته.

* * *

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨) يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩) يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن." (١)

"يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا (٥٢)

* * *

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**)، في الحديث (أكثروا ذكر الله حتى يقال مجنون)، وعن ابن عباس رضى الله عنه: ما فرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، (وسبحوه بكرة): أول النهار، (وأصيلا) وآخره خصوصا، وعن بعض: المراد صلاة الصبح والعصر أو." (٢)

"- قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في." (٣)

"قوله ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ يقول: لا يفرض على عبادة فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله فقال: اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار في البر والبحر في السفر والحضر في الغنى والفقر والصحة والسقم والسر والعلانية وعلى

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣/٣٥٧

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٣/٣٥٨

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٦/٦١٨

كل حال وقد سبحوه بكرة وأصيلا فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم وهو وملائكته

قال الله تعالى ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ قال: باللسان بالتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد واذكروه على كل حال ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ يقول: صلوا لله بكرة بالغداة وأصيلا بالعشي

وأخرج أحمد والترمذي والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال: الذاكرون الله كثيرا قلت يا رسول الله: ومن الغازي في سبيل الله قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفضل منه درجة

وأخرج أحمد ومسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا: وما المفردون يا رسول الله قال: الذاكرون الله كثيرا

وأخرج أحمد والطبراني عن معاذ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا سأله فقال: أي المجاهدين أعظم أجرا قال: أكثرهم لله ذكرا قال: فأي الصائمين أعظم أجرا قال: أكثرهم لله ذكرا

الصلاة والزكاة والحج والصدقة

كل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أكثرهم لله ذكرا فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: يا أبا حفص ذهب الذاكرون بكل خير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجل

وأخرج ابن أبي شيبة وابن مردويه عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: بينما نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدف بين حمدان قال يا معاذ أين السابقون قلت." (١)

"أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيرا إلا أشركنا فيه فنزلت ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾

وأخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن سليم بن عامر رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى أبي أمامة فقال: إني رأيت في منامي أن الملائكة تصلي عليك كلما دخلت وكلما خرجت وكلما قمت وكلما جلست قال: وأنتم لو شئتم صلت عليكم الملائكة ثم قرأ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية رضي الله عنه في قوله ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ قال: صلاة الله: ثناؤه وصلاة الملائكة عليهم: الصلام الدعاء

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن عكرمة رضي الله عنه قال: صلاة الرب: الرحمة

وصلاة الملائكة: الاستغفار

وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير رضي الله عنه في قوله ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ قال: الله يغفر لكم وتستغفر لكم ملائكته

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٦/٦١٩

وخ ابن أبي حاتم عن سفيان رضي الله عنه أنه سئل عن قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم قال: أكرم الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليهم كما صلى على الأنبياء فقال ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾

وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم عن الحسن رضي الله عنه في قوله ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ قال: إن بني إسرائيل سألوا موسى عليه السلام هل يصلي ربك فكان ذلك كبر في صدر موسى عليه السلام فأوحى الله إليه أخبرهم اني أصلي وأن صلاتي ان رحمتي سبقت غضبي

وأخرج ابن أبي شيبة عن مصعب بن سعد رضي الله عنه قال: إذا قال العبد: سبحان الله

قالت الملائكة: وبحمده

وإذ قال: سبحان الله وبحمده

صلوا عليه." (١)

"نبيا من زمرة الأنبياء الصالحين لتبليغ احكام الله الى عباده وهدايتهم الى جنابه

ثم لما سمع زكريا من الملائكة ما سمع من البشارة قال متحسرا مستبعدا حصول الولد منه لكونه على خلاف جرى العادة مناجيا مع ربه على سبيل التأسف رب يا من رباني بنعمك الى كبر سنى أنى يكون لي غلام اى من اين يحصل لي ولد مني في كبر سنى وقد بلغني الكبر غايته والحال ان امرأتي عاقر عقيم ذات عقر من الأولاد في اصل الخلقة ومع ذلك كبيرة اليوم لا ترجى منها الولادة وبعد ما قد بث الشكوى نحو الحق متحسرا متأسفا قال له جبريل بوحي الله إياه لا تستبعد من كمال قدرة الله أمثال هذا فانه سبحانه كذلك يخلق عموم ما يشاء سبحانه بلا سبب يوافق العادة إذ الله المقتدر المختار يفعل ويوجد ما يشاء من الموجودات ابداعا واختراعا بلا سبق مادة ومدة واسباب عادية فلك ان ترفع غشاوة الأسباب الحاجبة عن البين وتنسب ما جرى في ملكه اليه سبحانه بلا رؤية الوسائط والأسباب إذ لا حجاب عند اولى الألباب بل كل ما صدر عنه لا يتوقف على شيء من سوابقه ولا يتوقف عليه شيء من لواحقه عند اولى البصائر الناظرين بنور الله في تجددات تجليات الوجود الإلهي

ثم لما تفطن زكريا عليه السلام من هذا الكلام ما تفطن قال مستسرعا مستنشطا رب يا من رباني بأنواع اللطف والكرم اجعل لي بفضلك آية امارة وعلامة اعرف بها الحمل والحبل ليفرح بها قلبي وأخلص عن التردد والانتظار قال آيتك ألا تكلم الناس اى أنت لا تطيق التكلم معهم لعدم مساعدة آلاتك عليه مدة ثلاثة أيام ولا تعلمهم حوائجك إلا رمزا اشارة بيد ورأس وغير ذلك وبعد ما حبست نفسك عن التكلم والتنطق اذكر ربك في نفسك **ذكرا كثيرا** وسبح اى نزه ربك عن مطلق النقائص تسبيحا مقرونا بالعشي اى جميع أجزاء الليل والإبكار اى جميع أجزاء النهار لتستوعب أنت جميع أوقاتك وآنائك بتسبيحه. من هذا تفطن العارف ان الداعي المناجى الى الله المستجيب من لدنه سبحانه لا بد له ان يفرغ قلبه عن غير الله ويستوعب أوقاته بذكره بل يكل لسانه عن ذكر الغير مطلقا حتى يفوز بمطلوبه ويجيب له بفضله وطوله

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٦٢٢/٦

واذكر يا أكمل الرسل لمن تبعك من مدائح آل عمران واصطفاء الله إياهم سيما وقت إذ قالت الملائكة بأمر الله ووحيه لمريم رضى الله عنها ملهمين لها منادين على سرها أبشري يا مريم إن الله الذي أظهرك من كتم العدم ورباك بأنواع اللطف والكرم قد اصطفاك واختارك لخدمة بيته مع انه لم يعهد اختيار النساء للخدمة وطهرك بفضله عن مطلق الخبائث والأدناس العارضة للنسوان واصطفاك اى قد خصصك وفضلك بهاتين الخصلتين الحميدتين على نساء العالمين وانما خصها سبحانه بما خصها لتكون آية ومقدمة لعموم ما يترتب على وجودها ويظهر منها من البدائع التي قد اودعها الله في نفسها من حملها بلا مباشرة احد بل بمجرد كلمة ملقاة من عنده وإرهاصات ومعجزات صدرت منها ومن ابنها بحيث لم يظهر مثلها من الرسل والأنبياء ثم لما أخبرت الملائكة إياها باصطفائه سبحانه نادتها الملائكة ثانيا بأمر الله ايضا تعليما لها التوجه والرجوع الى الله على وجه الخضوع والتذلل والإخبات والخشوع

يا مريم المختارة المقبولة عند الله اقنتي اى توجهي وتضرعي لربك الذي رباك بلطفه وقبلك نذيرة من أمك واصطفاك على نساء العالمين بأنواع الفضائل شكرا لما تفضل عليك واسجدي تذللي واخضعى ملقية جباهك على تراب المذلة والهوان." (١)

"غيره من الوسائل والأسباب العادية ترجع الأمور اى تدابير الأمور الكائنة في عالم الكون والفساد إذ منه بدأ واليه يعود عموم ما هو مثبت وموجود

يا أيها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم الاعتصام بحول الله وقوته عليكم إذا لقيتم فئة من الكفار فاثبتوا وتمكنوا تجاه العدو ولا تضطربوا ولا تستدبروا وبعد استقراركم وثباتكم اذكروا الله **ذكرا كثيرا** واستعينوا منه وتوكلوا عليه لعلكم تفلحون وتفوزون بالنصر والظفر والغلبة والغنيمة ان اخلصتم النية

وبالجملة أطيعوا الله ورسوله في جميع حالاتكم سيما عند المقابلة والمقاتلة مع العدو ولا تنازعوا بينكم باختلاف الآراء والأهواء بل فوضوا أموركم كلها الى الله ورسوله وان وقع النزاع والمخالفة بينكم فتفشلوا وتضعفوا فيفتر عزمكم وتذهب ريحكم اى دولتكم وهيبتكم التي قد ظهرت عليكم من نور الإسلام وبعد ما سمعتم ما سمعتم اصبروا على مشاق الجهاد ورابطوا قلوبكم الى الله ورسوله إن الله مع الصابرين المرابطين المتمكنين يعين عليهم وينصرهم

ولا تكونوا ايها المؤمنون القاصدون نحو الجهاد كالذين اى كالكفار الذين خرجوا من ديارهم يعنى مكة للقتال بطرا مفاخرين مباهين مستظهرين بعددهم وعددهم ويقصدون بذلك الخروج رئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وهم بمجرد هذا القصد الفاسد والنية الكاسدة يصدون ويصرفون عباد الله عن سبيل الله الموضوع على العدل القويم المسمى بالصراط المستقيم والله المطلع بجميع أحوالهم بما يعملون ويأملون من المخايل الفاسدة محيط بعلمه الحضوري يجازيهم عليها بمقتضى علمه وخبرته

ومن جملة ما يعين عليكم ويمد لنصركم تغرير الشيطان واغراؤه على أعداءكم امدادا لهم ونصرا فيصير وبالا عليهم وخزيا لا عونا ونصرا اذكروا وقت إذ زين اى حسن وحبب لهم الشيطان أعمالهم اى عداوتهم وقتالهم معكم وقال الشيطان تحريضا

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ١٠٧/١

لهم على القتال ملقيا في روعهم على سبيل الوسوسة حتى تخيلوا انهم لا يغلبون أصلا اعتمادا على كثرة عددهم وعددهم لا غالب لكم اليوم من الناس فلكم اليد والغلبة والاستيلاء والصولة والاستعلاء وإني جار مجير لكم مغيث فلما تراءت الفئتان اى تلاقيا وتلاحقا فرأى اللعين من صفوف الملائكة ما رأى نكص على عقبيه ورجع قهقرى وقال إني بريء منكم ومن جواركم إني أرى من جنود السماء ما لا ترون أنتم ينزلون منها لامداد هؤلاء باذن الله وبالجملة إني أخاف الله من قهره وغضبه والله القادر المقتدر على وجوه الانتقام شديد العقاب اليم العذاب لا نجاة للعصاة الغواة من عذابه وعقابه

اذكروا وقت إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض اى الذين لم يصف عن شوب الشبهة صدورهم ولم يصلوا الى مرتبة الاطمئنان في الايمان حين خرجتم نحو العدو مجترئين مع قلتكم وكثرة عدوكم قد غر هؤلاء الحمقى دينهم فالقوا أنفسهم الى التهلكة بأيديهم بخروج ثلاثمائة عزل بلا عدة الى زهاء ألف مستعدين فلا تبالوا ايها المطمئنون بالإيمان بهم وبقولهم ولا تفتروا ولا تضعفوا من هذياناتهم بل توكلوا على ربكم وفوضوا أموركم كلها اليه واعلموا ان من يتوكل على الله مخلصا فهو حسبه فإن الله عزيز غالب في ذاته قادر على اعانة من استعان منه حكيم متقن في فعله وامره يفعل ويأمر ما تستبعده العقول وتدهش فيه الأحلام

ولو ترى ايها الرائي وقت إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة." (١)

"على صدقي في دعواي اشرح لي صدري ووسع لي قلبي بحيث لا اخطر ببالي خوفا من العدو أصلا

ومع ذلك يسر وسهل لي أمري هذا بحيث لا اضطرب في التبليغ ولا استوحش من جاه فرعون وشوكته

ومتى شرعت لأداء الرسالة احلل وارفع عقدة من لساني لكنة عارضة من مهابة العدو سيما هذا الطاغي المتجبر مع ان اللكنة خلقية لي

يفقهوا قولي وغرضي منه

وبعد ما وفقتني لأداء رسالتك يا ربي اجعل لي وزيرا ظهيرا يصدقني في امرى ويعينني عليه ولا تجعل ظهيري من الأجانب لقلة شفقتهم وعطفهم على بل اجعل ظهيري يا ربي من أهلي وأقربهم بي واولى بمعاونتي

هو هارون إذ هو أخي الأكبر بمنزلة ابى في الشفقة ومتى جعلت أخي هارون ظهيري ووزيري

اشدد به وقو بسببه واحكم بإقامته يا معينى أزري ظهري

ولا يتحقق تقويته على حقيقة الا بعد اشتراكه معى في امر الرسالة أشركه بلطفك يا ربي في أمري ورسالتي بان تكشف أنت بلطفك عليه حقيقة الأمر والتوحيد كما كشفت لي ليكون هو ايضا من المكاشفين الموقنين بوحدانيتك ومن الممتثلين بأوامرك المجتنبين عن نواهيك

وانما سألتك يا ربي الإعانة بأخي كي نسبحك ونقدس ذاتك عما لا يليق بشأنك تقديسا

كثيرا ونذكرك ونناجى معك بذكر أسمائك الحسنى وصفاتك العظمى **ذكرا كثيرا** وكيف لا نسبحك ونذكرك

إنك بذاتك وأسمائك واوصافك قد كنت محيطا بنا بصيرا لعموم أحوالنا وبعد ما ناجى موسى مع ربه ما ناجى

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٢٩٠/١

قال تعالى رفقا له وامتنانا عليه لرجوعه نحوه بالكلية قد أوتيت سؤلك ونعطيك عموم مسئولك وقد حصل لك جميع مطالبك لتوجهك علينا ورجوعك إلينا يا موسى

كيف ولقد أنعمنا عليك من قبل حين لا ترقب لك ولا شعور بان مننا عليك من وفور رحمتنا وشفقتنا لك مرة أخرى وقت إذ أوحينا وألقينا إلى قلب أمك ما يوحى وما يلهم عند نزول البلاء على قلوب الأحباء ليتخلصوا عن ورطة الهلاك وذلك حين احاطة شرطة فرعون المأمورين من عنده لعنه الله بقتل أبناء بنى إسرائيل على بيت أمك ليقتلوك ظلما فاضطربت أمك وأيست من حياتك فالهمناها حينئذ

أن اقذفيه واطرحيه في التابوت المصنوع من الخشب فاتخذت تابوتا ووضعتك فيه ثم ألهمناها ثانيا إذا وضعت فيه توكلي على خالقه وحافظه وفوضى امره اليه فاقذفيه في اليم يعنى النيل ولا تخافي من غرقه فليلقه اليم بالساحل البتة إذ من عادة الماء إلقاء ما فيه الى جانبه فإذا قرب من الساحل ورآه الناس يأخذه يأمر بأخذه عدو لي يعنى فرعون المفرط بدعوى الألوهية لنفسه وعدو له يعنى الوليد إذ هو من أبناء بنى إسرائيل وهو عدو لهم بل هو سبب عداوة جميعهم في الحقيقة وبعد ما امر عدوك بأخذك والتقاطك من البحر يا موسى قد ألقيت من كمال قدرتي ووفور حولي وقوتي في نفس فرعون لعنه الله وزوجته آسية رضى الله عنها وجميع اهل بيته عليك على حفظك وحضانتك يا موسى محبة عظيمة في قلوبهم مع شدة عداوتهم معك وقد كانت تلك المحبة صادرة مني بارزة من هوياتهم منشعبة من محبتي إياك حفظا لك وإظهارا لكمال قدرتي بان أربيك في يد عدوك فتكون أنت سببا لهلاكه وانما ألقيت في قلوبهم المحبة الصادرة الناشئة منى لتصنع ولتربى أنت وان كنت بيد العدو ظاهرا على عيني اى اعيان أوصافي وأسمائي إذ الكل بعد ما انخلعوا عن اكسية هوياتهم الباطلة وتجردوا عن جلباب ناسوتهم العاطلة." (١)

"عما يؤذيهم يدافع كيد الكفرة العداة البغاة الطغاة عن الذين آمنوا بالله وصدقوا بشعائر دينه وقصدوا إقامتها على مقتضى امره ووحيه وكيف لا يدفع سبحانه مع كمال قدرته وقوته خيانة من خان باحبائه واصدقائه إن الله المنتقم لاعدائه لا يحب كل خوان مبالغ في الخيانة سيما مع أوليائه كفور مبالغ في كفران نعمه غايته إذ قد صرفها في غير محله مثل هدى الكفرة وذبحهم لأصنامهم وأوثانهم ولما اشتد إضرار الكفرة على المسلمين وامتد إذا هم عليهم ظلما وعدوانا أراد المؤمنون ان يقاتلوا ويشاجروا معهم فمنعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال والحرب باذن الله ووحيه اليه صلى الله عليه وسلم سبعين مرة حتى نزلت سبعون آية في المنع وقال صلى الله عليه وسلم في كل مرة اصبروا حتى يأتى الله ثم لما شق على المسلمين ظلمهم وضرهم وصاروا مهانين أذلاء صاغرين مع قدرتهم على مقاتلتهم ومدافعتهم

أذن ورخص من جانب الحق على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم للذين يقاتلون ويريدون القتال معهم بعد ما تحملوا كثيرا من أذاهم وظلمهم فنزلت هذه الآية للرخصة بعد ما نزلت سبعون للمنع ولذلك قيل قد نسخت هذه الآية نيفا وسبعين آية وانما رخصهم سبحانه بها بأنهم ظلموا اى بسبب انهم قد صاروا مظلومين صاغرين من أذى الكفار والمشركين وإن الله القادر المقتدر على نصرهم اى نصر الأولياء على الأعداء لقدير ينصرهم ويغلبهم عليهم وان كانوا اكثر منهم

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ١/٥١٢

وكيف لا ينتقم سبحانه على أعدائه لأجل أوليائه إذ هم الذين قد أخرجوا من ديارهم ظلما وعدوانا بغير حق وبلا رخصة شرعية موجبة للإخراج والاجلاء إلا أن يقولوا يعنى لا موجب لإخراجهم سوى قولهم هذا ربنا الله الواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الشريك والولد وكيف لا يدفع سبحانه شر الكفرة عن أوليائه الموحدين ولا ينصرهم على أعدائهم إذ لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط اهل الايمان على المشركين المعاندين لهدمت صوامع لقد خربت وانهدمت البتة باستيلاء الأعداء على الأولياء صوامع اسم لمعابد الرهابنة وبيع للنصارى وصلوات هي كنائس اليهود ومساجد للمسلمين وبالجملة انما أعد وهيئ كل واحد منها في الأديان المذكورة يذكر فيها اى ليذكر في كل واحدة منها اسم الله كثيرا اى **ذكرا كثيرا** وحينا كثيرا والله لينصرن الله المتكفل لعباده من ينصره ومن يعين دينه ونبيه ويصدق كتابه إن الله المطلع لما في صدور عباده من الإخلاص لقوي عزيز غالب قادر على وجوه الانعام والانتقام لأوليائه وأعدائه كما سلط ضعفاء اهل الايمان على صناديد العرب والعجم من الاكاسرة والقياصرة وأشاع دينهم بين الأنام الى يوم القيمة وكيف لا ينصرهم سبحانه إذ هم الموحدون

الذين إن مكناهم وقدرناهم وجعلنا لهم التصرف والاستيلاء في الأرض وأقطارها المعدة للطاعات والعبادات أقاموا واداموا الصلاة والميل إلينا البتة بجميع جوارحهم واركانهم ميلا مقرونا بأنواع الخضوع والخشوع واصناف الاستكانة والانكسار تطهيرا لنفوسهم عن العتو والاستكبار وتقريبا لأنفسهم إلينا على وجه المذلة والافتقار ومع ذلك قد آتوا الزكاة مصفية لبواطنهم عن زخرفة الدنيا الغدار وقد أمروا ايضا على من دونهم بالمعروف المستحسن شرعا وعقلا وكذلك نهوا عن المنكر المستقبح شرعا وطبعا على الوجه المبين لهم من السنة رسلهم وكتبهم المنزلة عليهم من الله وبالجملة لله المدبر المصلح لأحوال عباده عاقبة الأمور اى عواقب عموم الأمور ومآلها اليه سبحانه حقيقة وان صدرت." (١)

"الصمد المتصف بجميع أوصاف الكمال المستجمع لعموم الأسماء الحسنى التي لا تعد ولا تحصى **ذكرا كثيرا** مستوعبا بجميع أوقاتكم وحالاتكم وازمانكم وآناتكم وبالغوا في ذكره كي تصلوا من اليقين العلمي الى العيني

وسبحوه ونزهوه عن جميع ما لا يليق بشأنه من لوازم الحدوث وأوصاف الإمكان بكرة وأصيلا اى في جميع آنات أيامكم ولياليكم طالبين الترقي من اليقين العيني الى الحقي وكيف لا تذكرون الله ولا تسبحون له ايها المؤمنون مع ان شكر المنعم المفضل واجب عقلا وشرعا

هو الذي سبحانه يصلي ويرحم عليكم ايها المؤمنون بذاته وبمقتضيات أسمائه وصفاته وملائكته يستغفرون لكم باذنه وانما يفعل بكم سبحانه هذه الكرامة العظيمة ليخرجكم من الظلمات ظلمة العدم الأصلي وظلمة الطبيعة والهيولى وظلمة الحجب التعينية إلى النور اى نور الوجود البحت الخالص عن ظلمات التعينات والكثرات مطلقا وكان سبحانه بالمؤمنين الموفقين على التوحيد الذاتي رحيما يوفقهم على الايمان حسب رحمته الواسعة ثم يوصلهم الى رتبة التوحيد والعرفان مرقيا من مضيق الإمكان الى سعة فضاء الوجوب عناية لهم وتفضلا عليهم ثم يشرفهم بشرف لقائه بلا كيف ولا اين ولا وضع ولا اضافة محاذات ومقابلة بعد ما انخلعوا عن جلباب الناسوت وتشرفوا بخلعة اللاهوت

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية   النخجواني ١/٥٥٥

تحيتهم وترحيبهم من قبل الحق يوم يلقونه سبحانه سلام تسليم وتطهير عن رذائل التعينات ونقائص الأنانيات والهويات المستتبعة لانواع الضلالات والجهالات وأعد لهم سبحانه نزلا عليهم أجرا كريما وجزاء عظيما مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ثم قال سبحانه

يا أيها النبي المؤيد المختص بأنواع الفضائل والكمالات واصناف الكرامات والمعجزات إنا من مقام عظيم جودنا قد أرسلناك الى كافة البرايا وعامة العباد شاهدا تشهد لهم الحقائق وتحضرهم المعارف وتوصلهم بالتنبيهات الواضحة الى مرتبة الكشف والشهود لكون اصل جبلتهم وفطرتهم مجبولا من لدنا عليها ومبشرا تبشرهم بالتوحيد المسقط لعموم الإضافات المستتبعة لانواع الكثرات المشوشة لنفوسهم وقلوبهم ونذيرا تنذرهم عن مقتضيات القوى البهيمية من الشهوية والغضبية الموروثة لهم من عالم الناسوت الجالبة لانواع الخذلان والحرمان

وداعيا تدعوهم إلى توحيد الله المنزه عن مطلق التحديد والتعديد دعوة مسبوقة بإذنه سبحانه وبمقتضى توفيقه ووحيه والهامه وبالجملة قد أرسلناك يا أكمل الرسل الى عموم العباد سراجا منيرا تضيء لهم أنت بدعوتك وارشادك وهم يستضيئون منك بتوفيقنا إياهم في ظلمات الضلالات ومهاوي الجهالات المتراكمة من الحجب الظلمانية والكثافات الهيولانية المتولدة من ظلمات الأوهام والخيالات الباطلة الطبيعية الباقية فيهم من ظلمة العدم

وبعد ما سمعت يا أكمل الرسل سبب بعثتك وسره بشر المؤمنين الموقنين بتوحيد الله المترقين من اليقين العلمي الى العيني الطالبين الوصول الى اليقين الحقي بأن لهم اى قد حق وثبت لهم من عناية الله إياهم فضلا كبيرا لا فضل اكبر منه واشرف ألا وهو الفوز بشرف اللقاء والرضاء بعموم ما جرى عليهم من القضاء

وبعد ما سمعت وظيفتك مع المؤمنين المسترشدين منك يا أكمل الرسل الطالبين هدايتك وارشادك إياهم وشرف صحبتك معهم لا تطع الكافرين المصرين على الكفر والعناد المجاهرين به والمنافقين الذين يخفون كفرهم وضلالهم عنك لمصلحة دنيوية ويظهرون عندك خلاف ما في نفوسهم ولا تجلس معهم ولا تصاحبهم أصلا وان آذوك في مرورك عنهم وملاقاتك معهم بغتة دع." (١)

"فتمنوا الموت

المقرب لكم الى الله إذ الانتقال من دار الغرور الى دار السرور يقرب العباد الى الرحيم الغفور إن كنتم صادقين في دعوى المحبة والولاية فتمنوه

والله يا أكمل الرسل لا يتمنونه أبدا اى لا يتمنى احد منهم الموت أصلا وما سبب اعراضهم وانصرافهم عن الموت المقرب منه تعالى الا بما قدمت أيديهم اى بشؤم ما قدموا واقترفوا بأنفسهم من الكفر والعصيان وانواع الفسوق والطغيان وبالجملة الله المطلع بما في استعدادات عباده عليم بالظالمين منهم وبما في ضمائرهم من محبة الحياة والقساوة المفرطة يجازيهم على مقتضى علمه

قل لهم يا أكمل الرسل بعد ما قد اعرضوا عن تمنى الموت وابتغائه طلبا لمرضاة الله وشوقا اليه سبحانه ايضا على وجه

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ١٥٩/٢

التبكيت والإلزام إن الموت الذي تفرون منه وتخافون ان تمنوه بألسنتكم مخافة ان لا يلحقكم بل تفرون عن مجرد التلفظ به فكيف عن لحوقه فإنه ملاقيكم وملاصقكم ولاحق بكم حتما إذ كل نفس ذائقة كأس الموت وكل حي بالحياة لا بد وان يموت سوى الحي الحقيقي الذي لا يموت ولا يفوت ثم بعد ما تموتون تردون تحشرون وتساقون نحو المحشر وتعرضون إلى عالم الغيب والشهادة بعلمه الحضوري يعنى بما صدر منكم وما خفى في ضمائركم ونياتكم فينبئكم ويخبركم يومئذ بما كنتم تعملون من خير وشر فيجازيكم عليه. ثم لما تهاون المسلمون في امر الجمعة وتكاسلوا في الاجتماع قبل الصلاة بل انفضوا وانصرفوا عن الجامع حين خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا صدا الملاهي المعهودة لمجيء العير على ما هو عادتهم دائما عاتبهم الله سبحانه وانزل عليهم الآية وناداهم نداء عتاب وخطاب حيث قال

يا أيها الذين آمنوا مقتضى ايمانكم المبادرة الى مطلق الطاعات والعبادات سيما إذا نودي واذن للصلاة من يوم الجمعة اى في يوم الجمعة الا وهو الأذان المعهود قبيل الخطبة فاسعوا مجيبين مسرعين إلى سماع ذكر الله في الخطبة والتذكيرات الواردة فيها وذروا البيع واتركوا المبايعة بعد سماع الأذان ذلكم اى ترك البيع والسعى نحو المسجد والانصراف اليه خير لكم وانفع في عقباكم إن كنتم تعلمون صلاحكم وفسادكم في اولاكم واخراكم

فإذا قضيت الصلاة المكتوبة لكم يوم الجمعة مع الامام وأديت على وجهها فانتشروا في اقطار الأرض وابتغوا واطلبوا حوائجكم من فضل الله المنعم المتفضل يعطكموها حسب إحسانه وسعة جوده وانعامه واذكروا الله **ذكرا كثيرا** في عموم أحوالكم وأعمالكم ولا تحصروا ولا تقصروا ذكره سبحانه في الصلاة المفروضة فقط بل اشتغلوا بذكره وشكره في عموم الأوقات والحالات بالقلب واللسان وسائر الجوارح والأركان إذ ما من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم الا قليلا وواظبوا عليه لعلكم تفلحون وتفوزون بخير الدارين وصلاح النشأتين

وهم من غاية حرصهم على مقتضيات القوى البهيمية بعد ما كانوا في الجامع والخطيب على المنبر إذا رأوا وسمعوا تجارة حاضرة يدور الناس حولها أو سمعوا لهوا طبلا مخبرا لهم عن مجيء العير انفضوا إليها اى مالوا وانصرفوا نحوها مسرعين فخرجوا من الجامع سوى اثنى عشر رجلا وامرأة وتركوك يا أكمل الرسل قائما على المنبر وبالجملة ما هي الا ثلمة قد حدثت في الدين المبين موجبة مقتضية للتهاون باحكام الشرع المتين قل لهم يا أكمل الرسل ازالة لها ولما يتفرع عليها ما عند الله من المثوبات الاخروية الموجبة للدرجات العلية والمقامات السنية خير لكم." (١)

"ذلك وغيره ﴿عليما﴾ فيعلم من يليق بالختم ومن يليق بالبدء.

قال الأستاذ ولي الدين الملوي في كتابه حصن النفوس: في سؤال القبر واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالأحمدية والمحمدية علما وصفه برهان على ختمه، إذ الحمد مقرون بانقضاء الأمور مشروع عنده ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحكم بنيانه، ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون بسواها، فكنت أنا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل» وقال عليه الصلاة والسلام: «إن لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي يمحو الله

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٢/٤١٤

تعالى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الله تعالى الناس على قدمي، وأنا العاقب» والعاقب الذي ليس بعده نبي.
ولما كان ما أثبته لنفسه سبحانه وتعالى من إحاطة العلم مستلزما للإحاطة بأوصاف الكمال قال تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي: ادعوا ذلك بألسنتهم ﴿اذكروا الله﴾ الذي هو أعظم من كل شيء تصديقا لدعواكم ذلك ﴿ذكرا كثيرا﴾ قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أهله في تركه إلا مغلوبا على عقله. وأمرهم به في الأحوال فقال تعالى: ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ (النساء: ١٠٣)
وقال تعالى: ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ أي: بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية، وقال مجاهد: الذكر الكثير: أن لا ينساه أبدا، فيعم ذلك سائر الأوقات وسائر ما هو أهله من التقديس والتهليل والتمجيد.
﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أي: أول النهار وآخره خصوصا، وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات؛ لكونهما مشهودين. كإفراد التسبيح من جملة الإذكار لأنه العمدة فيها، وقال البغوي: وسبحوه أي: صلوا له بكرة أي: صلاة الصبح، وأصيلا يعني صلاة العصر. وقال الكلبي: وأصيلا يعني صلاة الظهر والعصر والعشاءين وقال مجاهد: معناه قولوا سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فعبر بالتسبيح عن إخوانه، وقيل: المراد من قوله تعالى: ﴿ذكرا كثيرا﴾ هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.
وعن أنس لما نزل قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ (الأحزاب: ٥٦)
وقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله ما أنزل الله تعالى عليك خيرا إلا أشركنا فيه أنزل الله تعالى:
﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ أي: يرحمكم ﴿وملائكته﴾ أي: يستغفرون لكم، فالصلاة من الله تعالى رحمة، ومن الملائكة استغفار للمؤمنين، فذكر صلاته تحريضا للمؤمنين على الذكر والتسبيح. قال السدي: قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: أيصلي ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى، فأوحى الله تعالى إليه قل لهم: إني أصلي، وإن صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء، وقيل: الصلاة من الله: هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده. وقيل: الثناء عليه. واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم، وهو سبب للرحمة من حيث أنهم مجابو الدعوة، فقد اشتركت الصلاتان، واللفظ المشترك يجوز استعماله في معنييه معا، وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز. قال الرازي: وينسب هذا القول للشافعي رحمه الله تعالى." (١)

"النور من النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله سراجا.
تنبيه: جوز الفراء أن يكون الأصل وتاليا سراجا، ويعني بالسراج: القرآن، وعلى هذا فيكون من عطف الصفات وهي الذات واحدة؛ لأن التالي هو المرسل. وقوله تعالى:
﴿وبشر المؤمنين﴾ عطف على محذوف، مثل فراقب أحوال أمتك. ولم يقل أنذر المعرضين إشارة للكرم. وقوله تعالى: ﴿بأن

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٣/٢٥٤

لهم من الله فضلا كبيرا﴾ كقوله تعالى ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ (الأحزاب: ٣٥)
والعظيم والكبير متقاربان.
ولما أمره سبحانه وتعالى بما يسر نهاه عما يضر بقوله تعالى:
﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ أي: لا تترك إبلاغ شيء مما أنزلت إليك من الإنذار وغيره كراهة لشيء من مقالهم وأفعالهم في أمر زينب وغيرها، فإنك نذير لهم، وزاد على ما في أول السورة محط الفائدة في قوله مصرحا بما اقتضاه ما قبله ﴿ودع﴾ أي: اترك على حالة حسنة لك وأمر جميل بك ﴿أذاهم﴾ فلا تحسب له حسابا أصلا، واصبر عليه فإن الله تعالى دافع عنك لأنك داع بإذنه ﴿وتوكل على الله﴾ أي: الملك الأعلى ﴿وكفى بالله﴾ أي: الذي له الإحاطة الكاملة ﴿وكيلا﴾ أي: حافظا. قال البغوي: وهذا منسوخ بآية القتال.

ولما بدأ الله تعالى بتأديب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ وثنى بما يتعلق بجانب من هو تحت يده من أزواجه الشريفات بقوله تعالى: بعده: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ وثلث بما يتعلق بذكر العامة بقوله تعالى: ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا﴾ وكان تعالى كلما ذكر لنبيه مكرمة وعلمه أدبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه، فلذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بجانب الله تعالى فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا﴾** ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات﴾ أي: عقدتم على الموصوفات بهذا الوصف الشريف المقتضى لغاية الرغبة فيهن، وأتم الوصلة بينكم وبينهن ثم كما ثلث في تأديب النبي صلى الله عليه وسلم بجانب الأمة ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ (الأحزاب: ٥٣)
﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ (الأحزاب: ٥٦)
فإن قيل: إذا كان هذا إرشادا بما يتعلق بجانب منه ومن خواص المرأة فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس بقوله تعالى: ﴿ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أي: تجامعوهن، أطلق المس على الجماع؛ لأنه طريق له كما سمى الخمر إثما؛ لأنها سببه؟ أجيب: بأن هذا إرشاد إلى أعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها.1
وبيانه: أن المرأة إذا طلقت قبل المسيس لم يحصل بينهما تأكيد العهد، ولهذا قال تعالى في حق الممسوسة: ﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ (النساء: ٢١)
فإذا أمر الله تعالى بالتمتع والإحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بما حصلت المودة بالنسبة إليها بالإفضاء، أو حصل تأكدها بحصول الولد بينهما، وهذا كقوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ (الإسراء: ٢٣)
ولو قال: لا تضر بهما ولا تشتمهما ظن أنه حرام لمعنى يختص بالضرب أو الشتم لهما، فأما إذا قال: ﴿لا تقل لهما أف﴾

لعلم منه معان كثيرة فكذلك ههنا أمر بالإحسان مع من لا مودة معها، فعلم منه الإحسان إلى الممسوسة، ومن لم تطلق بعد، ومن ولدت عنده منه، وقرأ حمزة والكسائي بضم التاء وألف بعد الميم، والباقون بفتح." (١)

"٤٢ - آل عمران

يؤخره إلى أن يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد إذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سني يحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بستة أشهر أو بثلاث سنين لأن ظهور العلامة كان عقيب تعيينها لقوله تعالى في سورة مريم ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم﴾ الآية اللهم إلا أن تكون المجاوبة بين زكريا ومريم في حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم في الصغر بموجب قولها المحكي والجعل إبداعي واللام متعلقة به والتقديم لما مر مرارا من الاعتناء بما قدم والتشويق إلى ما أخر أو بمحذوف وقع حالا من آية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعي لمفعولين اولهما آية وثانيهما لى والتقديم لأنه لا مسوغ لكون آية مبتدأ عند انحلال الجملة إلى مبتدأ وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول الناسخ

﴿قال آيتك ألا تكلم الناس﴾ أي أن لاتقدر على تكليمهم

﴿ثلاثة أيام﴾ أي متوالية لقوله تعالى في سورة مريم ﴿ثلاث ليال سويا﴾ مع القدرة على الذكر والتسبيح وإنما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة كأنه قيل آية حصول المطلوب ووصول النعمة أن تحبس لسانك إلا عن شكرها وأحسن الجواب ما اشتق من السؤال

﴿إلا رمزا﴾ أي إشارة بيد أو رأس أو نحوهما وأصله التحرك يقال ارتمز أي تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثناء منقطع لأن الإشارة ليست من قبيل الكلام أو متصل على أن المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولاريب في كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزا بفتحتين على أنه جمع رامز كخدم وبضمتين على أنه جمع رموز كرسل على أنه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله ... متى ما تلقني فردين ترجف ... روانف إليتيك وتستطارا ...

﴿واذكر ربك﴾ أي في أيام الحبسة شكرا لحصول التفضل والإنعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية

﴿كثيرا﴾ أي **ذكرا كثيرا** أو زمانا كثيرا

﴿وسبح﴾ أي سبحه تعالى أو افعل التسبيح

﴿بالعشى﴾ أي من الزوال إلى الغروب وقيل من العصر إلى ذهاب صدر الليل

﴿والإبكار﴾ من طلوع الفجر إلى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلاة بدليل تقييده بالوقت كما في قوله تعالى ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ وقيل الذكر اللساني كما أن المراد بالذكر الذكر القلبي وقرئ الأبكار بفتح الهمزة على أنه جمع بكر كسحر وأسحار." (٢)

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٢٥٦/٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣٤/٢

"﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾ في حيز الجر على أنه صفة للموصول الأول أو بيان له أو بدل منه أو في محل النصب على المدح أو في محل الرفع بإضمار مبتدأ والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم مكة المعظمة ﴿بغير حق﴾ متعلق بأخرجوا أي أخرجوا بغير ما يوجب إخراجهم وقوله تعالى ﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ بدل من حق أي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجبا للإقرار والتمكين دون الإخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة [ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب] وفي الاستثناء منقطع ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ بتسليط المؤمنين على الكفارين في كل عصر وزمان وقرئ دفاع ﴿لهدمت﴾ لخربت ابتسيلاء المشكرين على أهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف ﴿صوامع﴾ للرهابنة ﴿وبيع﴾ للنصارى ﴿وصلوات﴾ أي وكنائس لليهود سميت بها لأنها يصلى فيها وقيل أصلها صلوتا بالعبرية فعربت ﴿ومساجد﴾ للمسلمين ﴿يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾ أي **ذكرا كثيرا** أو وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها وقيل صفة للأربع وليس كذلك فإن بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها مما لا يقتضيه المقام ولا يرتضيه الأفهام ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ أي وبالله ينصرن الله من ينصر أولياءه أو من ينصر دينه ولقد أنجز الله عز سلطانه وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم أرضهم وديارهم ﴿إن الله لقوى﴾ على كل ما يريده من مراداته التي من جملتها نصرهم ﴿عزيز﴾ لا يمانعه شيء ولا يدافعه." (١)

"﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ خصلة حسنة حقها يؤتسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد أو هو في نفسه قدوة يحق التأسي به كقولك في البيضة عشرون منا حديدا أي هي في نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهي لغة فيها ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ أي ثواب الله أو لقاءه أو أيام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل هو مثل قولك أرجو زيدا وفضله فإن اليوم الآخر من أيام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة أو صفة لها وقيل بدل من لكم والأكثرون على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه ﴿وذكر الله﴾ أي وقرن بالرجاء ذكر الله ﴿كثيرا﴾ أي **ذكرا كثيرا** أو زمانا كثيرا فإن المثابرة على ذكره تعالى تؤدي إلى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الائتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم." (٢)

"﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله﴾ بما هو أهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس **﴿ذكرا كثيرا﴾** يعم الأوقات والأحوال." (٣)

"﴿ ﴾

أي أديت وفرغ منها ﴿فانتشروا فى الأرض﴾ لإقامة مصالحكم ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أي الربح فالأمر للإطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٠٩/٦

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٩٧/٧

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٠٦/٧

الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ ذكرا كثيرا أو زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تفوزوا بخير الدارين." (١)

"٤٥٦ - وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل على كل أحيانه» . رواه مسلم، وحديث ابن عباس سنذكره في كتاب الأطعمة، إن شاء الله تعالى.

---

٤٥٦ - (وعن عائشة قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه») : جمع حين بمعنى الوقت. قال الأشرف: الذكر نوعان: قلبي ولساني. والأول أعلاهما، وهو المراد في الحديث، وفي قوله تعالى: ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ [الأحزاب: ٤١] وهو أن لا ينسى الله تعالى في كل حال، وكان للنبي صلى الله عليه وسلم حظ وافر من هذين النوعين إلا في حالة الجنابة ودخول الخلاء، فإنه يقتصر فيهما على النوع الذي لا أثر فيه للجنابة، ولذلك إذا خرج من الخلاء قال: (" غفرانك ") . (رواه مسلم) : ورواه البخاري تعليقا، وفي رواية: «كان يذكر الله على كل أحيانه» ، إلا في الجنابة فهو محمول على الذكر القرآني، وفي الخبر الصحيح: (" «كرهت أن أذكر الله إلا على طهر» ") أو " طهارة " محمول على الذكر اللساني، والكراهة ؛ لأنه خلاف الأفضل، وقيل: تحمل الكراهة على ما إذا تيسرت الطهارة، وأغرب بعض الشافعية حيث قال: إن الذكر القلبي المحض لا ثواب فيه، فيحمل على أنه أراد من حيث كونه ذكرا مأمورا به، وأما من حيث الحضور مع الله ففيه ثواب ؛ أي ثواب.

قلت: وقد أخرج أبو يعلى عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (" «لفضل الذكر الخفي الذي لا يسمعه الحفظة سبعون ضعفا، إذا كان يوم القيامة، وجمع الله الخلائق لحسابهم، وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا، قال لهم: انظروا هل بقي له من شيء؟ فيقولون: ما تركنا شيئا مما علمناه وحفظناه إلا وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول الله: إن لك عندي حسنا لا تعلمه وأنا أجزيك به، وهو الذكر الخفي» ") . كذا ذكره السيوطي في البدور السافرة، وذكر في الجامع الصغير ولفظه: الذكر الذي لا يسمعه الحفظة يزيد على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعين ضعفا. رواه البيهقي في (" شعب الإيمان ") عن عائشة، فالحديثان حجتان ظاهرتان للسادة النقشبندية زبدة القادة الصوفية قدس الله أسرارهم العلية. فقول ابن حجر: فالحق أن الأعلى ما جمع القلب واللسان، ثم اللساني، ثم القلبي، محمول على غفلته ؛ لأنه إذا أراد بالذكر مطلق الذكر سواء أمره الشارع به أم لا فيرده ما ذكرناه، ولإجماع علماء الظاهر والباطن على أن الحضور القلبي أفضل من مجرد الذكر اللساني، وإن أراد به الذكر الذي أمر به الشارع فلا وجه لقوله: أن اللساني أعلى من القلبي ؛ للاتفاق على عدم الاعتداد بالقلبي حينئذ.

(وحديث ابن عباس) : أي: المذكور في المصابيح هنا الذي رواه مسلم. وهو: «خرج النبي صلى الله عليه وسلم فأتي بطعام فذكروا له الوضوء أي: قالوا له: أنتوضأ ثم نأكل؟ فقال: " أريد أن أصلي، فأتوضأ» ؟ " بحذف همزة الاستفهام الإنكاري،

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨/٢٥٠

أي: ما أريد. (سنذكره في كتاب الأطعمة، إن شاء الله تعالى) : فإنه أنسب بذلك الكتاب، والله تعالى أعلم بالصواب.." (١)

"أي: سقطت، (" خطايا وجهه ") : من الصغائر، قال النووي: ضبطناه بالخاء المعجمة، وكذا نقله القاضي عياض عن جميع الرواة إلا عن أبي جعفر فإنه رواه بالجيم، ذكره الطيبي، أي: جرت مع ماء الوضوء، وذهبت ذنوب وجهه، (" وفيه ") ، أي: خطايا فمه من جهة الكلام، ومن طريق الطعام، (" وخياشيمه ") ، أي: أنفه جمع خيشوم، وهو باطن الأنف من جهة رائحة طيب محرم على جهة القصد، والظاهر أن عطف " فيه " وما بعده على ما قبله تفسيري لقوله: (" ثم إذا غسل وجهه ") ، أي: كله أو باقيه (" كما أمره الله ") : إشارة إلى أن غسله فرض بأمره تعالى عز قائلا: ﴿إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم﴾ [المائدة: ٦] بخلاف ما سبق، فإنهما سنتان بأمره – عليه السلام – أو بمعنى كما أمره الله أن يبدأ بغسله ولذا قال – عليه السلام – عند إرادة السعي " ابدءوا بما بدأ الله تعالى به "، (" إلا خرت خطايا وجهه ") : من ذنوب عينيه (" من أطراف لحيته ") ، أي: موضعها (" مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين ") ، أي: منضمتين إليهما، أو إلى معنى " مع " خلافا لزفر، فإنه ليس بفرض عنده، وفي الآية والحديث رد على الشيعة حيث انعكس الأمر عليهم، وانقلب الرأي لديهم، فيغسلون اليدين من المرفقين إلى الأصابع (" إلا خرت خطايا يديه ") : وهي كثيرة (" من أنامله ") : وهي رءوس أصابعه (" مع الماء، ثم يمسح رأسه ") : ظاهره الاستيعاب إما بطريق الفرضية وإما على طريق السنية، (" إلا خرت خطايا رأسه ") : ومنها خطايا الأذنين، ولذا يمسحان بمائه عندنا فيكون قوله: (" من أطراف شعره ") : بفتح العين وسكونها نظرا إلى الأصل، أو التغليب، (" مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين ") : كما مر (" إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء، فإن ") : شرطية (" هو ") ، أي: الرجل ورافعه فعل مضمر يفسره (" قام ") : ولحذفه برز ضميره المستكن فيه، أي: فإن قام بعد فراغ الوضوء (" فصلى فحمد ") : وفي نسخة: وحمد، أي: وشكر (" الله ") ، أي: بعد الصلاة (" وأثنى عليه ") ، أي: ذكر الله ذكرا كثيرا، وقيل: فائدته الإعلام بأن لفظ الحمد غير متعين (" ومجده ") ، أي: عظمه بالقلب واللسان، فهو تعميم بعد تعميم، أو بعد تخصيص، وجعله ابن حجر لمزيد التأكيد والإطناب (" بالذي ") ، أي: بالتحميد الذي (" هو له أهل ") ، أي: مما يليق بعظمة جماله وجلالة جلاله وبهاء كماله، وقدم الجار لإفادة الاختصاص والاهتمام، قال ابن الملك: ضمير " هو " عائد إلى الموصول، وضمير " له " إلى الله، (" وفرغ قلبه ") ، أي: جعله حاضرا لله وغائبا عما سواه، أي: في صلاته وحالة مناجاته (" لله ") ، أي: لا لغيره حتى الثواب ؛ لأن ربط القصد به ينافي مقام الكمال المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ [الكهف: ١١٠] (" إلا انصرف ") : قيل: " هو " في قوله " فإن هو " فاعل محذوف وعائد إلى الرجل المذكور تقديره: إن قام الرجل المذكور ففعل كذا وكذا، فليس إلا انصرف، (" من خطيئته ") : وقيل: الأولى أن تكون " إن " فيه نافية، وقال ابن حجر: وجواب " إن " فلا ينصرف خارجا من شيء من الأشياء إلا انصرف خارجا من خطيئته، أي: صغائره فيصير متطهرا منها ("كهيئته ") ، أي: كصفته (" يوم ولدته أمه ") : بفتح الميم، وفي نسخة: "كهيئة يوم " بالإضافة مع

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٤٣٦/٢

تنوين " يوم " وفتحه على البناء، وظاهره غفران الكبائر والصغائر إلا أن الصغائر محققة والكبائر بالمشيئة مقيدة.
قال الطيبي: " فإن هو قام " إن شرطية، والضمير المرفوع بعدها فاعل فعل يفسره ما بعده، وجواب الشرط محذوف، وهو المستثنى منه، أي: لا ينصرف في شيء من الأشياء إلا من خطيئته. . . . إلخ، وجاز تقدير النفي لما مر من أن الكلام في سياق النفي، وهذا على مذهب الزمخشري، وأما مذهب ابن الحاجب، فيجوز في الإثبات نحو: قرأت إلا يوم الجمعة، (رواه مسلم) .." (١)

"٢٢٦٢ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له: جمدان، فقال: " سيروا، هذا جمدان، سبق المفردون " قالوا: وما المفردون؟ يا رسول الله! قال: " الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» " (رواه مسلم) .

٢٢٦٢ - (وعن أبي هريرة، قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسير في طريق مكة) : أي: سيرا ظاهرا، وفي طريق رب الكعبة سيرا باطنا، وهو يحتمل أن يكون ذاهبا إلى مكة، أو راجعا إلى المدينة، (فمر على جبل) : على ليلة من المدينة (يقال له: جمدان) : بضم الجيم وسكون الميم وفي آخره نون، وهو مع جماديته يشعر بذكر الرحمن، ويستبشر بمن يمر عليه من أرباب العرفان، كما ورد: «أن الجبل ينادي الجبل باسمه، أي: فلان هل مر بك أحد ذكر الله؟ فإذا قال: نعم استبشر» ، الحديث. (رواه الطبراني، عن ابن مسعود) .
وفي عوارف المعارف روي عن أنس بن مالك أنه قال: «ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض ينادي بعضها بعضا: هل مر بك اليوم أحد صلى عليك أو ذكر الله عليك؟ فمن قائلة نعم، ومن قائلة لا. فإذا قالت نعم علمت أن لها بذلك فضلا عليها» . (فقال: " سيروا) : أي: سيرا حسنا مقرونا بذكر وحضور وشكر وسرور " هذا جمدان ": متحرك بالسيران، وإن كنتم ترونه ساكنا كالحيران، سئل الجنيد، لم تركت السماع؟ فقال: قال تعالى: ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون﴾ [النمل: ٨٨] (سبق المفردون) : بتشديد الراء المسكورة وتخفيفها أي: المفردون أنفسهم عن أقرانهم، المميزون أحوالهم عن إخوانهم بنيل الزلفى والعروج إلى الدرجات العلى؛ لأنهم أفراد بذكر الله عمن لم يذكر الله أو جعلوا ربهم فردا بالذكر، وتركوا ذكر ما سواه وهو حقيقة التفريد هنا. (قالوا: وما المفردون؟ يا رسول الله!) : قيل: السؤال عن الصفة أعني التفريد، أو الإفراد، لأنه ما يسأل به عن حقيقة الشيء يسأل به عن وصفه أيضا نحو سؤال فرعون: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] وجواب موسى - عليه الصلاة والسلام -: ﴿رب السماوات والأرض﴾ [الشعراء: ٢٤] في وجه، ولذلك لم يقولوا: ومن هم؟ فأجاب بأن التفريد الحقيقي المعتد له هو تفريد النفس بذكر الله تعالى في أكثر الأوقات، فكأنهم قالوا: ما صفة المفردين حتى نتأسى بهم فنسبق إلى ما سبقوا إليه ونطلع على ما

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٢/٨٢٤

اطلعوا عليه؟ (قال: " الذاكرون الله كثيرا) : أي: **ذكرا كثيرا**. قيل: في أكثر أحوالهم كما يدل له تفسيره - صلى الله عليه وسلم - في حديث." (١)

"٥٥٦٣ - (عليكم بذكر ربكم) أي بالإكثار منه امتثالا لقوله تعالى ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ وأفضل الذكر لا إله إلا الله كما مر مرارا (وصلوا صلاتكم في أول وقتكم) الأصل في أول وقتها (فإن الله عز وجل يضاعف لكم الأجور) لكن يستثنى من ندب تعجيل الصلاة أول وقتها صور لعارض

(طب عن عياض) عياض في الصحابة نحو عشرين فكان ينبغي تمييزه." (٢)

"٧٠٢٦ - (كان يذكر الله تعالى) بقلبه ولسانه بالذكر الثابت عنه من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك (على) قال الولي العراقي: هي ههنا بمعنى في وهو الظرفية كما في قوله تعالى ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ أي في حين غفلة (كل أحيانه) أي أوقاته متطهرا ومحدثا وجنبا وقائما وقاعدا ومضطجعا وماشيا وراكبا وظاعنا ومقيما فكأن ذكر الله يجري مع أنفاسه والحديث عام مخصوص بغير قاضي الحاجة لكراهة الذكر حالتئذ باللسان وبغير الجنب لخبر الترمذي وغيره كان لا يحجبه عن القرآن شيء ليس الجنابة وبغير حالة الجماع وقضاء الحاجة فيكره هذا ما عليه الجمهور وتمسك بعموم الحديث المشروح قوم منهم الطبري وابن المنذر وداود فجوزوا القراءة للجنب قالوا: لكون الذكر أعم من كونه بقراءة أو بغيرها وإنما فرق بالعرف وحملوا حديث الترمذي على الأكمل جمعا بين الأدلة وقال العارف ابن العربي: كان يذكر الله على كل أحيانه لكن يكون الذكر في حال الجنابة مختصا بالباطن الذي هو ذكر السر فهو في سائر حالاته محقق بالمقام وإنما وقع اللبس على من لا معرفة له بأحوال أهل الكمال فتفرقوا واختلفوا قال: قالوا: ولنا منه ميراث وافر فينبغي المحافظة على ذلك انتهى. وأخرج أبو نعيم عن كعب الأحبار قال موسى: يا رب أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك قال: أنا جليس من ذكرني قال: يا رب فإنا نكون على حال نجلك ونعظمك أن نذكرك بالجنابة والغائط قال: يا موسى اذكرني على كل حال أي بالقلب كما تقرر قال الأشرفي: الذكر نوعان قلبي ولساني والأول أعلاهما وهو المراد في الحديث وفي قوله تعالى ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) وهو أن لا ينسى الله على كل حال وكان للمصطفى صلى الله عليه وسلم حظ وافر من هذين النوعين إلا في حالة الجنابة ودخول الخلاء فإنه يقتصر فيهما على النوع الأعلى الذي لا أثر فيه للجنابة ولذلك كان إذا خرج من الخلاء يقول غفرانك انتهى. وقال غيره: لا ينافيه حديث كرهت أن أذكر الله إلا على طهر وتوضأ لرد السلام لكونه ذكر الله لأنه أخذ بالأفضل والأكمل

(م د ت هـ) وأبو يعلى كلهم في الطهارة إلا الترمذي ففي الدعوات (عن عائشة) وعلقه البخاري في الصلاة وذكر الترمذي في العلل أنه سأل عنه البخاري فقال: صحيح." (٣)

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٤/١٥٤٠

(٢) فيض القدير المناوي ٤/٣٤٩

(٣) فيض القدير المناوي ٥/٢١٤

"علما بالغلبة في لسان المحدثين عليه، ويحتمل أنه يريد في الصحيح من الحديث للقابل للحسن والضعيف (مشهورة منها حديث أصحاب الغار الثلاثة وحديث جريج وقد سبقا) سبق حديث الغار في باب الإخلاص وحديث جريج في باب فضل ضعفة المسلمين (وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختصارا) وقد **ذكرا كثيرا** منها المنذري في «ترغيبه» (ومن أهمها حديث عمرو بن عبسة) بفتح المهملة والموحدة والسين المهملة (رضي الله عنه الطويل) صفة حديث (المشتمل على جمل كثيرة) بالمثلثة تأكيد لمدلول جمل وتنوينه (من قواعد الإسلام) أي أصوله وضوابطه الشاملة لكثير من جزئياته (وآدابه) جمع أدب وهو

كالسنة في الطلب وإن تفاوت تأكيدا كما في «الروضة» ، وتقدم تعريف الأدب أول لكتاب (وسأذكره بتمامه إن شاء الله تعالى في باب الرجاء، قال فيه: دخلت على النبي بمكة) وقوله: (يعني في أول النبوة) هذا مدرج لبيان زمن دخوله ووصوله (فقلت له: ما أنت) المسؤول عنه وصفه، فلذلك أجابه بقوله (قال: نبي) أي أنا نبي، ومراده به الرسول، فهو من إطلاق النبي بالمعنى الشامل للرسول كما يدل عليه قوله أرسلني الله (قلت: وما نبي؟) أي ما حقيقة هذا اللفظ ومدلوله (قال) بيان لما يؤخذ منه ذلك (أرسلني ا) حذف المرسل لأجله للتعميم وليسأل عنه السائل فيصل إليه بعد الطلب فيكون أقر عنده (فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: أرسلني بصلة الأرحام) أي بالأمر بها والحث عليها، وذلك داع لدوام الاتصال وترك التقاطع والانفصال (وكسر الأوثان) جمع وثن، قيل هي الأصنام، وقيل أعم: أي إزالتها (وأن يوحد) بالبناء للمفعول (ا) حال كونه (لا يشرك به شيء، وذكر) عمرو (تمام الحديث) في باب الرجاء إن شاء الله تعالى (والله أعلم) .." [1]

"بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) ، وقال تعالى (١) : (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) ، وقال تعالى (٢) : (إن المسلمين والمسلمات) ... إلى قوله تعالى: (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) ، وقال تعالى (٣) : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١)

نفسك) أي: سرا (تضرعا) أي: تذللا (وخيفة) أي: خوفا منه، فالنصب على العلة، ويصح كونه على الحال، أي: متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) أي: قصدا بينهما، وهو كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن تسمع نفسك دون غيرك (بالغدو والآصال) أوائل النهار وأواخره، وخصا بطلب الذكر فيهما دون غيرهما؛ لفضلهما ولأن بدء اليوم وختمه بالبر والعمل الصالح مقتض لغفران ما يقع بينهما من المخالفات كما في حديث (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله (وقال تعالى: واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) جملة الترجي في محل الحال من فاعل، اذكروا أي: ائتوا بعمل البر راجين الفلاح من الله تعالى، فإن الأعمال أمارات ظنية وليست بدلالات قطعية، ففيه إيماء إلى نهي العامل عن الركون إلى عمله دون الله تعالى، وتنبيه على أن المطلوب كون الظاهر مستعملا في أعمال البر مع عدم النظر لذلك بالقلب (وقال تعالى إن المسلمين والمسلمات) أتى بذلك توطئة لقوله (إلى قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) المناسب للترجمة إذ لو بدأ به لتوهم أن الثواب المذكور بعده مرتب عليه بانفراده، وإنما هو جزء للمرتب عليه ذلك (أعد الله لهم) أي: هيأ لهم (مغفرة) لذنوبهم

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ١٧٦/٣

عظيمة كما يومىء إليه إسناد ذلك إليه سبحانه، مع ما في ذلك من الإيماء إلى مزيد العناية وكمال الرعاية (وأجرا عظيما) على الطاعات (وقال تعالى يأيها الذين أمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) في الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلى ركعتين جميعا كتبا في الذاكرين الله كثيرا والذاكرات" هذا حديث مشهور رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهما. وفي الحديث "أكثروا ذكر الله حتى يقولوا (٤) مجنون"، وفى الأذكار للمصنف: سئل ابن الصلاح عن القدر

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤١، ٤٢.

(٤) أي المنافقون ومن ألحق بهم أهـ. مناوي ملخصا.." [1]

"وروى الخطيب عن أبي بكير الزبيري قال: قال الرشيد لمالك: لم نر في كتابك ذكرا لعلي وابن عباس، فقال: لم يكونا ببلدي ولم ألق رجالهما، فإن صح هذا فكأنه أراد **ذكرا كثيرا**، وإلا ففي " الموطأ " أحاديث عنهما.

قال الغافقي: عدة شيوخه الذين سماهم خمسة وتسعون رجلا، وعدة صحابته خمسة وثمانون رجلا، ومن نسائهم ثلاث وعشرون امرأة، ومن التابعين ثمانية وأربعون رجلا كلهم مدنيون إلا ستة: أبو الزبير المكي، وحميد وأيوب البصريان، وعطاء الخراساني، وعبد الكريم الجزري، وإبراهيم بن أبي عيلة الشامي.

وأخرج ابن فهر عن الشافعي: ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك. وفي لفظ: ما على الأرض كتاب هو أقرب إلى القرآن من كتاب مالك. وفي لفظ: ما بعد كتاب الله أكثر صوابا من موطأ مالك. وفي آخر: ما بعد كتاب الله أنفع من الموطأ. وأطلق جماعة على الموطأ اسم الصحيح، واعترضوا قول ابن الصلاح: أول من صنف فيه البخاري وإن عبر بقوله: " الصحيح المجرد " للاحتراز عن الموطأ فلم يجرد فيه الصحيح بل أدخل المرسل والمنقطع والبلاغات، فقد قال مغلطاي: لا فرق بين الموطأ والبخاري في ذلك لوجوده أيضا في البخاري من التعاليق ونحوها، لكن فرق الحافظ بأن ما في الموطأ كذلك " هو مسموع لمالك غالبا، وما في البخاري قد حذف إسناده عملا لأغراض قررت في التعليق، فظهر أن ما في البخاري من ذلك لا يخرجه عن كونه جرد فيه الصحيح بخلاف الموطأ.

وقال الحافظ مغلطاي: أول من صنف الصحيح مالك، وقول الحافظ هو صحيح عنده وعند من يقلده على ما اقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع وغيرهما، لا على الشرط الذي استقر عليه العمل في حد الصحة، تعقبه السيوطي بأن ما فيه من المراسيل مع كونها حجة عنده بلا شرط وعند من وافقه من الأئمة هي حجة عندنا أيضا؛ لأن المرسل حجة عندنا إذا اعتضد، وما من مرسل في الموطأ إلا وله عاضد أو عواضد، فالصواب إطلاق أن الموطأ صحيح لا يستثنى منه شيء. وقد صنف ابن عبد البر كتابا في وصل ما في الموطأ من المرسل والمنقطع والمعضل قال: وجميع ما فيه من قوله بلغني،

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٢٠٣/٧

ومن قوله عن الثقة عنده مما لم يسنده أحد وستون حديثا كلها مسندة من غير طريق مالك إلا أربعة لا تعرف:
أحدها: إني لا أنسى ولكن أنسى لأسن.
والثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم أري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغه غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر.." (١)

"سنة وافتضضت اثنى عشر الف جارية وبنيت أربعين الف مدينة وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتح الخزائن اربعمائة بغل وكان يحمل الى خراج الدنيا فلم ينازعنى أحد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فاصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بألف قفيز من در فلم اقدر عليه فمت جوعا يا اهل الدنيا اذكروا امواتكم **ذكرا كثيرا** واعتبروا بي ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى فان أهلي لم يحملوا من وزري شيأ انتهى: قال السعدي چون همه نيك وبد ببايد مرد خنك آنكس كه كوى نيكى برد برك عيشى بكور خويش فرست كس نيارد ز پس ز پيش فرست عمر برفست آفتاب تموز اندكى ماند وخواجه غره هنوز فعلى اهل القلوب القاسية ان يعالجوا قلوبهم بامور أحدها الإقلاع عما هي عليه بحضور مجالس العلم والوعظ والتذكير والتخفيف والترغيب واخبار الصالحين فان ذلك مما يلين القلوب وينجح فيها والثاني ذكر الموت فيكثر من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات والثالث مشاهدة المحتضرين فان في النظر الى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته وتأمل صورته بعد مماته ما يقطع عن النفوس لذاتها ويطرد عن القلوب مسراتها ويمنع الأجفان من النوم والراحة من الأبدان ويبعث على العمل فيزيد في الاجتهاد والتعب ويستعد للموت قبل النزول فانه أشد الشدائد قيل لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت قال هو كشجرة الشوك ادخلت في جوف ابن آدم فاخذت كل شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى وفي الحديث (لو ان شعرة من وجع الميت وضعت على اهل السموات والأرضين لماتوا أجمعين وان في يوم القيامة لسبعين هو لا وان ادنى هول ليضعف على الموت سبعين ضعفا) قل من كان عدوا لجبريل لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه عبد الله بن صوريا من اليهود بسكن فدك فقال يا محمد كيف نومك فانا أخبرنا عن نوم النبي الذي يجئ في آخر الزمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم (تنام عيناى وقلبي يقظان) قال صدقت فاخبرنى عن الولد أمن الرجل يكون أو من المرأة قال (اما العظم والعصب والعروق فمن الرجل واما الدم واللحم والظفر والشعر فمن المرأة) قال صدقت يا محمد قال فما بال الولد يشبه أعمامه ليس فيه من شبه أخواله شيء او يشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء قال (أيهما علاماؤه ماء صاحبه كان الشبه له) قال صدقت يا محمد وسأله عن الطعام الذي حرم إسرائيل على نفسه قال (ان يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر ان شفاه الله حرم على نفسه أحب الطعام اليه وهو لحم الإبل وأحب الشراب اليه وهو ألبانها) قال صدقت يا محمد وسأله عن أول نزل الجنة قال (الحوت) قال صدقت يا محمد ثم قال بقيت خصلة ان قلتها آمنت بك واتبعتك أي ملك يأتيك بما تقول من الله تعالى فقال (جبريل) قال ذاك عدونا لانه ملك العذاب ينزل بالقتال والعذاب وكسر السفن والشدائد ورسولنا ميكائيل لانه ملك

---

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٦٣/١

الرحمة ينزل بالغيث والبشر والرخاء فقال له عمر ما بدء عداوتكم له فقال عادانا مرارا كثيرة وكان من أشد عداوته لنا ان الله تعالى انزل على نبينا موسى عليه السلام ان البيت المقدس سيخرب." (١)

"فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا او لغير ذلك كما ذكر في التفاسير وفيه دليل على وجوب الوقوف بعرفات لان الاضافة مأمور بها وهي موقوفة على الحضور فيها والوقوف بها وما لم يتم الواجب الا به فهو واجب فيكون الوقوف واجبا فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والتسبيح والتحميد والثناء والدعوات عند المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعلى الميقدة وفي المغرب الميقدة هو موضع بالمشعر الحرام على قزح كان اهل الجاهلية يوقدون عليها النار وتقييد محل الذكر والوقوف بقوله عند المشعر الحرام للتنبيه على ان الوقوف فيما يقرب من جبل قزح أفضل من الوقوف في سائر مواضع ارض مزدلفة وذلك لا ينافى صحة الوقوف فى جميع مواضعها كما ان عرفات كلها موضع الوقوف لكن الوقوف بقرب جبل الرحمة أفضل واولى والمشعر العلم اى للعبادة. والشعائر العلامات من الشعار وهو العلامة ووصفه بالحرام لحرمته فلا يفعل فيه ما نهى عنه واذكروه كما هداكم اى كما علمكم كيف تذكرونه مثل كون الذكر **ذكرا كثيرا** وعلى وجه التضرع والخيفة والطمع ناشئا عن الرغبة والرهبة ومشاهدة جلال المذكور وجماله كما قال عليه السلام (الإحسان ان تعبد الله كأنك تراه) فالمقصود من الكاف مجرد التقييد لا التشبيه اى اذكروه على الوجه الذي هداكم اليه لا تعدلوا عما هديتم اليه كما تقول افعل كما علمتك وليس هذا تكرارا لقوله فاذكروا الله عند المشعر الحرام لان الاول لبيان محل الذكر والوقوف وتعليم النسك المناسب لذلك المحل وأوجب بالثاني ان يكون ذكرنا إياه كهدايته إيانا اى موازيا لها في الكم والكيف وإن هى المخففة واللام هي الفارقة كنتم من قبله اى من قبل ما ذكر من هدايته إياكم لمن الضالين غير العالمين بالايمان والطاعة قال القاشاني ان الله تعالى هدى اولا الى الذكر باللسان في مقام النفس. ثم الى الذكر بالقلب وهو ذكر الافعال اى تصور آلاء الله ونعمائه ثم الى ذكر السر وهو معاينة الافعال ومكاشفة علوم تجليات الصفات.

ثم الى ذكر الروح وهو مشاهدة أنوار تجليات الصفات مع ملاحظة نور الذات. ثم الى ذكر الخفي وهو مشاهدة جمال الذات مع بقاء الاثنينية. ثم الى ذكر الذات وهو الشهود الذاتي بارتفاع البعد وان كنتم من قبل الهدى الى هذه المقامات لمن الضالين عن طريق هذه الاذكار انتهى ولما امر بذكر الله تعالى إذا فعلت الافاضة امر بان تكون الافاضة من حيث أفاض الناس مرتبا الأمر الثاني على الاول بكلمة ثم فقال ثم أفيضوا اى ارجعوا من حيث أفاض الناس اى من عرفة لا من المزدلفة كانت قريش وحلفاؤها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وسكان حرمه فلا نخرج من الحرم ويستعظمون ان يقفوا مع الناس بعرفات لكونها من الحل وسائر العرب كانوا يقفون بعرفات اتباعا لملة ابراهيم عليه السلام فاذا أفاض الناس من عرفات أفاض الحمس من المزدلفة فانزل الله هذه الآية فأمرهم ان يقفوا بعرفات وان يفيضوا منها كما يفعله سائر الناس والمراد بالناس العرب كلهم غير الحمس. والحمس في الأصل جمع احمس وهو الرجل الشجاع والأحمس ايضا الشديد الصلب في الدين والقتال وسميت قريش وكنانة وجديلة وقيس حمسا لتشددهم في دينهم وكانوا لا يستظلون ايام منى ولا

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١/١٨٧

يدخلون البيوت من ابوابها وكذلك كان من حالفهم او تزوج منهم واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ومخالفتكم." (١)

"ثم قتل يحيى قبل ان رفع عيسى الى السماء وسيدا عطف على مصدقا اى رئيسا يسود قومه ويفوقهم فى الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يهم بمعصية فيالها ما أسناها وحصورا اى مبالغا فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة- روى- انه مر فى صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت. والحصور الممتنع من النساء مع القدرة عليهن وقد تزوج مع ذلك ليكون اغض لبصره ونبيا اى يوحى اليه إذا بلغ هو مبلغه من الصالحين اى ناشئا منهم لانه كان من أصلاب الأنبياء عليهم السلام. والصلاح صفة تنتظم الخير كله والمراد به هنا ما فوق الصلاح الذي لا بد منه فى منصب النبوة البتة من أقاصي مراتبه قال عند نداء الملائكة إياه وبشارتهم له بالولد بالاستفهام متعجبا من حيث العادة ومسرورا بالولد رب أنى يكون لي اى كيف يحصل لى غلام وفيه دلالة على انه خبر بكونه غلاما عند التبشير وقد بلغني الكبر اى أدركني كبر السن واثر فى وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر اى ذات عقر وعقيم لا تلد قال اى الله كذلك اشارة الى مصدر يفعل فى قوله تعالى الله يفعل ما يشاء اى ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الأفاعيل الخارقة للعادات. فالله مبتدأ ويفعل خبره والكاف فى محل النصب على انها فى الأصل نعت لمصدر محذوف اى الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر قال رب اجعل لي آية اى علامة تدل اى تحقق المسئول او وقوع الحبل وانما سألها لان العلوق امر خفى لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة منه حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهره ظهورا معتادا قال آيتك اى علامة حدوث الولد ألا تكلم الناس اى ان لا تقدر على تكليمهم ثلاثة أيام اى متوالية مع لياليها فان ذكر الليالى او الأيام يقتضى دخول الاخرى فيها لغة وعرفا وانما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة إلا رمزا اى اشارة بيد او رأس او نحوهما وسمى الرمز كلاما لانه يؤدى ما يؤدى الكلام ويفهم منه ما يفهم من الكلام فلهذا جاز الاستثناء المتصل منه ثم امره تعالى بذكره لعدم منعه عن ذكر الله فقال واذكر ربك اى فى ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل والانعام كثيرا اى **ذكرا كثيرا** وسبح بالعشي اى سبحه تعالى اى من الزوال الى الغروب والإبكار من طلوع الفجر الى الضحى قال الامام فى قوله تعالى واذكر ربك كثيرا فيه قولان. أحدهما انه تعالى امر بحبس لسانه عن امور الدنيا إلا رمزا فاما فى الذكر والتسبيح فقد كان لسانه جيدا وكان ذلك من المعجزات الباهرة. والقول الثاني ان المراد منه الذكر بالقلب وذلك لان المستغرقين فى بحار معرفة الله تعالى عادتهم فى أول الأمر ان يواظبوا على الذكر اللساني مدة فاذا امتلأ القلب من نور ذكر الله سكتوا باللسان وبقي الذكر بالقلب ولذلك قالوا من عرف الله كل لسانه فكان زكريا عليه السلام امر بالسكوت باللسان والاستحضار معا فى الذكر والمعرفة." (٢)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣١٧/١

(٢) روح البيان إسماعيل حقي ٣١/٢

"ما قبله اى ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن أنفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين بدفع سببه فان اسباب الموت فى إمكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وأنفسكم أعز عليكم من إخوانكم وأمرها أهم لديكم من أمرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا لا بسبب انكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود مؤديا الى الموت

ز پيش خطر تا توانى كريز ... وليكن مكن با قضا پنجه تيز

كرت زندگانى نبشتست دير ... نه مارت كز آيد نه شمشير وتير

واعلم ان الموت ليس له سن معلوم ولا أجل معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على اهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان بعض الصالحين ينادى بالليل على سور المدينة الرحيل الرحيل فلما توفى فقد صوته امير تلك المدينة فسأل عنه فقيل انه مات فقال

ما زال يلهج بالرحيل وذكره ... حتى أناخ ببابه الجمال

فأصابه متيقظا متشمرا ... ذا أهبة لم نلهه الآمال

- روى- انه مر دانيال عليه السلام ببرية فسمع مناديا يا دانيال قف ساعة ترعجبا فلم ير شيأ ثم نادى الثانية قال فوقفت فاذا بيت يدعونى الى نفسه فدخلت فاذا سرير مرصع بالدر والياقوت فاذا النداء من السرير اصعد يا دانيال ترعجبا فارتقيت السرير فاذا فراش من ذهب مشحون بالمسك والعنبر فاذا عليه شاب ميت كأنه نائم وإذا عليه من الحلي والحلل ما لا يوصف وفى يده اليسرى خاتم من ذهب وفوق رأسه تاج من ذهب وعلى منطقته سيف أشد خضرة من البقل فاذا النداء من السرير أن احمل هذا السيف واقرأ ما عليه قال فاذا مكتوب عليه هذا سيف صمصام بن عوج بن عنق بن عاد بن ارم وانى عشت الف عام وسبعمائة وافتضضت اثنى عشر الف جارية وبنيت أربعين الف مدينة وهزمت سبعين الف جيش وفى كل جيش قائد مع كل قائد اثنا عشر الف مقاتل وباعدت الحكيم وقربت السفيه وخرجت بالجور والعنف والحمق عن حد الانصاف وكان يحمل مفاتيح الخزائن اربعمائة بغل وكان يحمل الى خراج الدنيا فلم ينازعنى أحد من اهل الدنيا فادعيت الربوبية فاصابنى الجوع حتى طلبت كفا من ذرة بألف قفيز من در فلم اقدر عليه فمت جوعا يا اهل الدنيا اذكروا امواتكم ذكرا كثيرا واعتبروا بي ولا تغرنكم الدنيا كما غرتنى فان أهلي لم يحملوا من وزري شيأ. فعلى العاقل ان لا يركن الى الدنيا ويتذكر مرجعه ويتجنب عن المنافقة والظلم والجور ويتصف بالإخلاص والعدل والإحسان فانه هو المفيد: قال ابن الكمال

پرده دارى ميكند در طاق كسرى عنكبوت ... بوم نوبت ميزند بر قلعه افراسياب

تخم احسان را چه دارى برفشان اى بي خبر ... چونكه دانى دانه عمرت خورد اين آسياب

جعلنا الله وإياكم من المتيقظين الواصلين الى ذروة اليقين قبل حلول الاجل والحين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا المراد بهم شهداء أحد وكانوا سبعين رجلا اربعة من." (١)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٢٣/٢

"وكان صلى الله عليه وسلم يضرب مثلا للمؤمنين والمنافقين والكافرين كمثل رهط ثلاثة رفعوا الى نهر فقطعه المؤمن ووقف الكافر ونزل فيه المنافق حتى إذا توسط عجز فناداه الكافر هلم الى لا تغرق وناداه المؤمن هلم الى لتخلص فما زال المنافق يتردد بينهما إذ اتى عليه ماء فغرقه فكان المنافق لم يزل فى شك حتى يأتيه الموت

اى كه دارى نفاق اندر دل ... خار بادت خليده اندر حلق

هر كه سازد نفاق پيشه خويش ... خوار گردد بنزد خالق وخلق

والاشارة إن المنافقين

انما يخادعون الله

فى الدنيا لان الله تعالى وهو خادعهم

فى الأزل عند رش نوره على الأرواح وذلك ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فلما رش نوره أصاب أرواح المؤمنين واخطأ أرواح المنافقين والكافرين ولكن الفرق بين المنافقين والكافرين ان أرواح المنافقين رأوا رشاش النور وظنوا انه يصيبهم فاخطأهم وأرواح الكافرين ما شاهدوا ذلك الرشاش ولم يصبهم وكأن المنافقين خدعوا عند مشاهدتهم الرشاش إذ ما أصابهم فمن نتائج مشاهدتهم الرشاش وإذا قاموا إلى الصلاة

من نتائج حرمانهم إصابة النور قاموا كسالى يراؤن الناس

كيما يرونهم النور ولا يذكرون الله إلا قليلا

لانهم يذكرونه بلسان الظاهر القالبى لا بلسان الباطن القلبي والقالب من الدنيا وهى قليلة قليل ما فيها والقلب من الآخرة وهى كثيرة كثير ما فيها فالذكر الكثير من لسان القلب كثير والفلاح فى الذكر الكثير لا فى القليل لقوله تعالى اذكروا الله **ذكرا كثيرا** اى بلسان القلب لعلكم تفلحون ولما كان ذكر المنافقين بلسان القالب كان قليلا فما أفلحوا به وانما كان ذكر المنافق بلسان الظاهر لانه رأى رشاش النور ظاهرا من البعد ولم يصبه فلو كان أصابه ذلك النور لكان صدره منشرحا به كما قال تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه اى على نور ممارش به ربه ومعدن النور هو القلب فكان قلبه ذاكرا لله بذلك النور فانه يصير لسان القلب فقليل الذكر منه يكون كثيرا فافهم جدا فلما كانت أرواح المنافقين مترددة متحيرة بين مشاهدة رشاش النور وبين الظلمة الخلقية لا الى هؤلاء الذين أصابهم النور ولا الى هؤلاء الذين لم يشاهدوا الرشاش لذلك كانوا مذبذبين بين ذلك المؤمنين والكافرين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله باخطاء ذلك النور كما قال ومن اخطأه فقد ضل فلن تجد له سبيلا هاهنا الى ذلك النور يدل عليه قوله ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور اى ومن لم يجعل الله له قسمة من ذلك النور المرشش عليهم فماله اليوم نصيب من نور الهداية كذا فى التأويلات النجمية اللهم ارزقنا الذكر الكثير واعصمنا من الذنب الصغير والكبير.

يقال حصون المؤمن ثلاثة المسجد وذكر الله وتلاوة القرآن والمؤمن إذا كان فى واحد من ذلك اى من الأشياء الثلاثة فهو فى حصن من الشيطان قال على رضى الله عنه (يأتى على الناس زمان لا يبقى من الإسلام الا اسمه ومن القرآن إلا رسمه

يعمرون مساجدهم وهي خراب من ذكر الله تعالى شر اهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود: قال السعدي قدس سره." (١)

"حين بعث موسى نبيا بالشام كي غاية للادعية الثلاثة الاخيرة: والمعنى بالفارسية [تا] نسبحك تسبيحا كثيرا اى ننزهك عما لا يليق بك من الافعال والصفات التي من جملتها ما يدعيه فرعون ونذكرك **ذكرا كثيرا** اى على كل حال ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال فان التعاون يهيج الرعبات ويؤدى الى تكاثر الخير وتزايره قال فى التأويلات النجمية يشير الى ان للجليس الصالح والصديق الصديق أثرا عظيما فى المعاونة على كثرة الطاعة والموافقة والموافقة فى اقتحام عقبات السلوك وقطع مفاوزه: قال الحافظ

دريغ ودرد كه تا اين زمان ندانستم ... كه كيمياى سعادت رفيق بود رفيق

إنك كنت بنا بصيرا الباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لرعاية الفواصل اى عالما بأحوالنا وان التعاون يصلحنا وان هارون نعم الوزير والمعين لى فيما أمرتني به فانه اكبر منى سنا وافصح لسانا وكان اكبر من موسى بأربع سنين او بسنة على اختلاف الروايات قال الله تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى مسئولك ومطلوبك فعل بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز والإيتاء عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوقوع تلك المطالب وحصولها له قال داود القيصري قدس سره ومن جملة كمالات الاقطاب ومنن الله عليهم ان لا يبتليهم بصحبة الجهلاء بل يرزقهم صحبة العلماء الأدباء الأمناء يحملون عنهم اثقالهم وينفذون أحكامهم وأقوالهم انتهى وذلك كما كان آصف بن برخيا وزيرا لسليمان عليه السلام الذي كانت قطب وقته ومتصرفا وخليفة على العالم فظهر عنه ما ظهر من إتيان عرش بلقيس كما حكاه الله تعالى فى القرآن وكان انو شروان يقول لا يستغنى أجود السيوف عن الصيقل ولا أكرم الدواب عن السوط: ولا اعلم الملوك عن الوزير وفى الحديث (إذا أراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا أعانه وان نوى شرا كفه) وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وزراء كما قال (ان لى وزيرين فى الأرض أبا بكر وعمر ووزيرين فى السماء جبريل واسرافيل) فكان من فى السماء يمده عليه السلام من جهة الروحانية ومن فى الأرض من جهة الجسمانية قال الله تعالى هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين فنصر الله سماوى ونصر المؤمنين ارضى وبالكل يحصل الامداد مطلقا وفى الحديث (إذا تحيرتم فى الأمور فاستعينوا من اهل القبور) ذكره الكاشفى فى الرسالة العلية وابن الكمال فى شرح الأربعين حديثا والمراد من اهل القبور الروحانيون سواء كانوا فى الأجساد الكثيفة او اللطيفة فافهم ثم ان العادل يرث من النبي عليه السلام هذه الوزارة واما الظالم فيجعل له وزير سوء وهو علامة غضب الله وانتقامه: قال الشيخ سعدى قدس سره

بقومي كه نيكى پسندد خداى ... دهد خسرو عادل نيك راى

چوخواهد كه ويران كند عالمى ... كند ملك در پنجه ظالمى

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٠٨/٢

: وقال الحافظ

زمانه كرنه سر قلب داشتى كارش ... بدست آصف صاحب عيار بايستى." [١]

"بالنسبة إليها وفى الاسئلة المقحمة تقديم الشيء بالذكر لا يدل على شرفه كقوله تعالى (فمنكم كافر ومنكم مؤمن) يذكر فيها اسم الله كثيرا اى **ذكرا كثيرا** او وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها ويجوز ان يكون صفة للاربع لان الذكر فى الصوامع والبيع والصلوات كان معتبرا قبل انتساخ شرائع أهلها وفى الآية اشارة الى انه تعالى لو لم ينصر القلوب على النفوس ويدافع عن القلوب استيلاء النفوس لهدمت صوامع اركان الشريعة وبيع آداب الطريقة وصلوات مقامات الحقيقة ومساجد القلوب التي يذكر فيها اسم الله كثيرا فان الذكر الكثير لا يتسع الا فى القلوب الواسعة المنورة بنور الله ولينصرن الله من ينصره اى بالله لينصرن الله من ينصر أولياءه او من ينصر دينه ولقد أنجز الله وعده حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم وأورثهم ارضهم وديارهم إن الله لقوي على كل ما يريده عزيز لا يمانعه شيء ولا يدافعه وفى بحر العلوم يغنى بقدرته وعزته فى إهلاك اعداء دينه عنهم وانما كلفهم النصر باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة الأعداء وبذل الأرواح والأموال لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيها الى منافع دينية ودنيوية فان قلت فاذا كان الله قويا عزيزا غالبا غلبة لا يجد معها المغلوب نوع مدافعة وانفلات فما وجه انهزام المسلمين فى بعض وقد وعدهم النصرة قلت ان النصرة والغلبة منصب شريف فلا يليق بحال الكافر لكن الله تعالى تارة يشدد المحنة على الكفار واخرى على المؤمنين لانه لو شدد المحنة على الكفار فى جميع الأوقات وأزالها عن المؤمنين فى جميع الأوقات لحصل العلم الاضطراري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب فلهذا المعنى تارة يسلط الله المحنة على اهل الايمان واخرى على اهل الكفر لتكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر فى الدلائل الدالة على صحة الإسلام فيعظم ثوابه عند الله ولان المؤمن قد يقدم على بعض المعاصي فيكون تشديد المحنة عليه فى الدنيا كفارة له

فى الدنيا واما تشديد المحنة على الكافر فانه يكون غضبا من الله كالطاعون مثلا فانه رحمة للمؤمنين ورجز اى عذاب وغضب للكافرين مر عامر برجل قد صلبه الحجاج قال يا رب ان حلمك على الظالمين أضر بالمظلومين فرأى فى منامه ان القيامة قد قامت وكأنه دخل الجنة فرأى المصلوب فيها فى أعلى عليين فاذا مناد ينادى حلمى على الظالمين أحل المظلومين فى أعلى عليين واعلم ان الله تعالى يدفع فى كل عصر مدبرا بمقبل ومبطلا بمحق وفرعونا بموسى ودجالا بعيسى فلا تستبطئ ولا تنضجر: قال الحافظ

اسم أعظم بكند كار خود اى دل خوش باش ... كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود

قال بعض الكبار الأمراء يقاتلون فى الظاهر واولياء الله فى الباطن فاذا كان الأمير فى قتاله محقا والطرف المقابل مستحقا للعقوبة أعانه رجال الغيب من الباطن وإلا فلا وفى التوراة فى حق هذه الامة أناجيلهم فى صدورهم اى يحفظون كتابهم لا

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٥/٣٨٠

يحضرون قتالا الا وجبريل عليه السلام معهم وهو يدل على ان كل قتال حق يحضره جبريل ونحوه الى قيام الساعة بل القتال إذا كان حقا قالوا حد يغلب الالف: قال الحافظ." (١)

"كالمذهب والأسلوب فيقال فلان فى واد غير واديك وقوله (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) فانه يعنى أساليب الكلام من المدح والهجاء والجدل والغزل وغير ذلك من الأنواع اى فى كل نوع من الكلام يغلون قال فى الوسيط فالوادى مثل لفنون الكلام وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلو فى مدح او ذم وأنهم يقولون فى أشعارهم عند التصلف والدعاوى ما لا يفعلون من الأفاعيل: يعنى [بفسق ناكرده بر خود كواهى ميدهند و پيغامهاى نادادە بكسى در سلك نظم ميكشند] ويرغبون فى الجود ويرغبون عنه وينفرون عن البخل ويصرون عليه ويقدحون فى الناس بأدنى شيء صدر عنهم ثم انهم لا يرتكبون الا الفواحش وذلك تمام الغواية والنبي عليه السلام منزه عن كل ذلك متصف بمحاسن الأوصاف ومكارم الأخلاق مستقر على المنهاج القويم مستمر على الصراط المستقيم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين وذكروا الله **ذكرا كثيرا** بان كان اكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد فى الدنيا والترغيب فى الآخرة او بان لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوه همهم وعادتهم قال ابو يزيد قدس سره الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور وانتصروا [انتقام كشيدند از مشركان] قال فى تاج المصادر والانتصار [دادبستدن] من بعد ما ظلموا بالهجو لان الكفار بدأوهم بالهجاء يعنى لو وقع منهم فى بعض الأوقات هجو وقع بطريق الانتصار ممن هجاهم من المشركين كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم فانهم كانوا يذبون عن عرض النبي عليه السلام وكان عليه السلام يضع لحسان منبرا فى المسجد فيقوم عليه يهجو من كان يهجو رسول الله: قال الكمال الاصفهانى

هجا كفتن ار چه پسنديده نيست ... مبادا كسى كالت آن ندارد

چوآن شاعرى كو هجا كو نباشد ... چوشيرى كه چنكال ودندان ندارد

وعن كعب بن مالك رضى الله عنه انه عليه السلام قال (اهجهم فو الذي نفسى بيده لهو أشد عليهم من النبل) وفى الحديث (جاهدوا المشركون باموالكم وأنفسكم وألسنتكم) اى اسموعهم ما يكرهونه ويشق عليهم سماعه من هجو وكلام غليظ ونحو ذلك قال الامام السهيلي رحمه الله فهم سبب الاستثناء فلو سماهم بأسمائهم الاعلام كان الاستثناء مقصورا عليهم والمدح مخصوصا بهم ولكن ذكرهم بهذه الصفة ليدخل معهم فى هذا الاستثناء كل من اقتدى بهم شاعرا كان او خطيبا او غير ذلك انتهى قال فى الكواشي لا شك ان الشعر كلام فحسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه ولا بأس به إذا كان توحيدا او حثا على مكارم الأخلاق من جهاد وعبادة وحفظ فرج وغض بصر وصلة رحم وشبهه او مدحا للنبى عليه السلام والصالحين بما هو الحق انتهى وفى التأويلات النجمية لارباب القلوب فى الشعر سلوك على أقدام التفكر بنور الايمان

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤٠/٦

وقوة العمل الصالح وتأييد الذكر الكثير ليصلوا الى أعلى درجات القرب وتؤيدهم الملائكة بدقائق المعاني بل يوفقهم الله لاستجلاب الحقائق ويلهمهم بألفاظ الدقائق فبالالهام يهيمون." (١)

"عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرنى تكذيبكم بعد ذلك أصلا وكل أحد بعد ذلك مأخوذ بعمله قال فى الاسئلة المقحمة معنى البلاغ هو إلقاء المعنى الى النفس على سبيل الافهام وان لم يفهم السامع فقد حصل منى ذلك الإبلاغ والاسماع والافهام من الله تعالى

پيش وحي حق بگر كر سر نهد ... كبريا از فضل خود سمعش دهد

جز مكر جانى كه شد بى نور وفر ... همچوماهى كنك بد از اصل كر

وفى الآية تسلية للرسول عليه السلام ودعاء له الى الصبر وزجر لمخالفيه فيما فعلوا من التكذيب والجحود فعلى المؤمن الطاعة والتقوى وقبول وصية الملك الأقوى فان التقوى خير الزاد يوم التلاق وسبب النجاة وجالبة الأرزاق وأعظم اسباب التقوى التوحيد وهو أساس الايمان ومفتاح الجنان ومغلاق النيران- روى- ان عمر رضى الله عنه مر بعثمان رضى الله عنه وسلم عليه فلم يرد سلامه فشكا الى ابى بكر رضى الله عنه فقال لعله لعذر ثم أرسل الى عثمان وسأل عن ذلك فقال لم اسمع كلامه فانى كنت فى امر وهو انا صاحبنا النبي زمانا فلم نسأل عما تفتح به الجنان وتغلق أبواب النيران فقال ابو بكر رضى الله عنه سألت عن ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم فقال هى الكلمة التي عرضتها على عمى ابى طالب فابى لا اله الا الله محمد رسول الله وذكر الله اكثر الأشياء تأثيرا فاذكروا الله **ذكرا كثيرا** قال السرى رحمه الله صحبت زنجيا فى البرية فرأيته كلما ذكر الله تغير لونه وابيض فقلت يا هذا أرى عجبا فقال يا أخى اما انك لو ذكرت الله تغيرت صفتك قال الحكيم الترمذي رحمه الله ذكر الله يرطب اللسان فاذا خلا عن الذكر أصابته حرارة النفس ونار الشهوة فتعس وييس وامتنعت الأعضاء عن الطاعة كالشجرة اليابسة لا تصلح الا للقطع وتصير وقود النار وبالتوحيد تحصل الطهارة التامة عن لوث الشرك والسوي فالنفس تدعو مع الشيطان الى أسفل السافلين والله تعالى يدعو بلسان نبيه الى أعلى عليين وقد دعا الأنبياء كلهم فقبحوا الأوثان والشرك والدنيا وحسنوا عبادة الله والتوحيد والاخرى ورغبوا الى الشكر والطاعة فى الدنيا التي هى الساعة بل كلمح البصر لا يرى لها اثر ولا يسمع لها خبر فالعاقل يستمع الى الداعي الحق ولا يكذب الخبر الصدق فيصل بالتصديق والقبول والرضى الى الدرجات العلى والراحة العظمى

مده براحت فانى حيات باقى را ... بمحنت دو سه روز از غم ابد بگريز

أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق اعتراض بين طرفى قصة ابراهيم عليه السلام لتذكير اهل مكة وانكار تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله والهمزة لانكار عدم رؤيتهم الموجب لتقريرها والواو للعطف على مقدر وإبداء الخلق اظهارهم من العدم الى الوجود ثم من الوجود الغيبى الى الوجود العيني قال الامام الغزالي رحمه الله الإيجاد إذا لم يكن مسبوقا بمثله يسمى إبداء وان كان مسبوقا بمثله يسمى إعادة والله تعالى بدأ خلق الإنسان ثم هو يعيدهم اى يرجعهم ويردهم بعد العدم الى الوجود

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣١٦/٦

ويحشرهم والأشياء كلها منه بدت واليه تعود. ومعنى الآية ألم ينظروا اى اهل مكة وكفار قريش ولم يعلموا علما جاريا مجرى الرؤية فى الجلاء والظهور كيفية خلق الله ابتداء من مادة ومن غير مادة اى قد علموا ثم يعيده." (١)

"منه وذكر الله كثيرا اى **ذكرا كثيرا** فى جميع أوقاته وأحواله اى وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق الاتساء برسول الله قال الحكيم الترمذي الاسوة فى الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته فى قول وفعل قال الشيخ سعدى

درين بحر جز مرد ساعى نرفت ... كم آن شد كه دنبال راعى نرفت

كسانى كزين راه بركشته اند ... برفتند بسيار وسركشته اند

خلاف پيمبر كسى ره كزيد ... كه هركز بمنزل نخواهد رسيد

محالست سعدى كه راه صفا ... توان رفت جز بر پى مصطفى

فمتابعة الرسول تجب على كل مؤمن حتى يتحقق رجاؤه ويثمر عمله لكونه الواسطة والوسيلة وذكر الرجاء اللازم للايمان بالغيب فى مقام النفس وقرن به الذكر الكثير الذي هو عمل ذلك المقام ليعلم ان من كان فى البداية يلزم متابعته فى الأعمال والأخلاق والمجاهدات بالنفس والمال إذ لو لم يستحكم البداية لم يفلح بالنهاية ثم إذا تجرد وتزكى عن صفات نفسه فليتابعه فى موارد قلبه كالصدق والإخلاص والتسليم ليحتظى ببركة المتابعة بالمواهب والأحوال وتجليات الصفات فى مقام القلب كما احتظى بالمكاسب والمقامات وتجليات الافعال فى مقام النفس وهكذا فى مقام الروح حتى الفناء وفى التأويلات النجمية يشير الى ما سبقت به العناية لهذه الامة فى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم كما اخبر بلفظ (لقد كان) اى كان (لكم) مقدرا فى الأزل ان يكون لكم عند الخروج من العدم الى الوجود (في رسول الله أسوة حسنة) اى اقتداء حسن وذلك فان أول كل شيء تعلقت به القدرة للايجاد كان روح رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله (أول ما خلق الله روحى) فالاسوة الحسنة عبارة عن تعلق القدرة بأرواح هذه الامة لاخراجهم من العدم الى الوجود عقيب إخراج روح رسول الله صلى الله عليه وسلم من العدم الى الوجود فمن أكرم بهذه الكرامة يكون له اثر فى عالم الأرواح قبل تعلقه بعالم الأشباح وبعد تعلقه بعالم الاشخاص فأما اثره فى عالم الأرواح فبتقدمه على الأرواح بالخروج الى عالم الأرواح وبرتبته فى الصف الاول بقرب روح رسول الله صلى الله عليه وسلم او فى الصف الذي يليه وبتقدمه فى قبول الفيض الإلهي وبتقدمه عند استخراج ذرات الذريات من صلب آدم فى استخراج ذراته وبإحضارها فى الحضرة وبتقدمه فى استماع خطاب ألست بربكم وبتقدمه فى اجابة الرب تعالى بقوله قالوا بلى وبتقدمه فى المعاهدة مع الله وبتأخره فى الرجوع الى صلب آدم وبتأخره فى الخروج عن أصلاب الآباء الى أرحام الأمهات وفى الخروج عن الرحم وبتأخر تعلق روحه بجسمه فان لله الذي هو المقدم والمؤخر فى هذه التقدمات والتأخرات حكمة بالغة ولها تأثيرات عجيبة يطول شرحها واما اثره فى عالم الأشباح فاعلم انه بحسب هذه المراتب فى ظهور اثر الاسوة يظهر اثرها فى عالم الأشباح عند تعلق نظر الروح بالنطفة فى الرحم اولا الى ان تتربى النطفة بنظره فى الأطوار المختلفة ويصير قالبا مسويا مستعدا لقبول تعلق الروح به فمثل القالب المسوى مع الروح كمثل الشمعة مع نقش

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٤٥٨/٦

الخاتم إذا وضع عليها يقبل جميع نقوش الخاتم فالروح المكرم إذا تعلق بالقالب المسوى يودع فيه جميع خواصه التي استفادها من." (١)

"المفعول لدلالة المذكور عليه وفى المفردات الفرج والفرجة الشق بين الشيئين كفرجة الحائط والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه والذاكرين الله **ذكرا كثيرا** والذاكرات اى والذاكراته فترك المفعول كما فى الحافظات اى بقلوبهم وألسنتهم وفى التأويلات النجمية بجميع اجزاء وجودهم الجسمانية والروحانية بل بجميع ذرات المكونات بل بالله وجميع صفاته وقال ابن عباس رضى الله عنهما يريد ادبار الصلوات وغدوا وعشيا وفى المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا وراح من منزله ذكر

الله انتهى والاشتغال بالعلم النافع وتلاوة القرآن والدعاء من الذكر وفى الحديث (من استيقظ من منامه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وعن مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا أعد الله لهم بسبب ما عملوا من الطاعات العشر المذكورة وجمعوا بينها وهو خبر ان والعطف بالواو بين الذكور والإناث كالمسلمين والمسلمات كالعطف بين الضدين لاختلاف الجنسين. واما عطف الزوجين على الزوجين كعطف المؤمنين والمؤمنات على المسلمين والمسلمات فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع اى عطفهما لتغاير الوصفين مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات بما عملوا من الأعمال الصالحات وفى التأويلات هى نور من أنوار جماله جعل مغفر الرأس روحهم يعصمهم مما يقطعهم عن الله وأجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعات وهو الجنة واليوم سهولة العبادة ودوام المعرفة وغدا تحقيق المسئول ونيل ما فوق المأمول وفى التأويلات العظيم هو الله يعنى اجرا من واهب الطافه بتجلى ذاته وصفاته وعن عطاء بن ابى رباح من فوض امره الى الله فهو داخل فى قوله (إن المسلمين والمسلمات) ومن أقر بأن الله ربه ومحمدا عليه السلام رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل فى قوله (والمؤمنين والمؤمنات) ومن أطاع الله فى الفرائض والرسول فى السنة فهو داخل فى قوله (والقانتين والقانتات) ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل فى قوله (والصادقين والصادقات) ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل فى قوله (والصابرين والصابرات) ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل فى قوله (والخاشعين والخاشعات) قال فى بحر العلوم بنى الأمر فى هذا على الأشد وليس هذا بمرضى عنه انتهى يقول الفقير بل بنى على الأسهل فانه أراد ترك الالتفات يمينا وشمالا وهو أسهل بالنسبة الى الاستغراق فى الشهود. ومن تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو داخل فى قوله (والمتصدقين والمتصدقات) ومن صام من كل شهر ايام البيض فهو داخل فى قوله (والصائمين والصائمات) ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل فى قوله (والحافظين فروجهم والحافظات) ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وعن ابى سعيد الخدري رضى الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العباد أفضل درجة عند الله يوم

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٥٧/٧

القيامة قال (الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) قالوا يا رسول الله ومن الغازي فى سبيل الله قال (لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى تكسر او تخضب دما لكان ذاكر الله كثيرا أفضل." (١)

"وبركة وزيادة فى العقل والحفظ وعلى الشبع داء الا إذا كان به ضرر فليذق اولا شيأ قليلا ثم ليحتجم وإذا أراد الحجامة يستحب ان لا يقرب النساء قبل ذلك بيوم وليلة وبعده مثل ذلك ولا يدخل فى يومه الحمام وإذا احتجم او افتصد لا ينبغى ان يأكل على اثره مالحا فانه يخاف منه القروح او الجرب ولا يأكل رأسا ولا لبنا ولا شيأ مما يتخذ من اللبن ويستحب على اثره الخل ليسكن ما به ثم يحسو شيأ من المرقة ويتناول شيأ من الحلاوة ان قدر عليه كما فى بستان العارفين والله الشافي وهو الكافي يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد والتكبير ونحوها. والذكر إحضار الشيء فى القلب او فى القول وهو ذكر عن نسيان وهو حال العامة او ادامة الحضور والحفظ وهو حال الخاصة إذ ليس لهم نسيان أصلا وهم عند مذكورهم مطلقا **ذكرا كثيرا** فى جميع الأوقات ليلا ونهارا صيفا وشتاء وفى عموم الامكنة برا وبحرا سهلا وجبلا وفى كل الأحوال حضرا وسفرا صحة وسقما سرا وعلانية قياما وقعودا وعلى الجنوب وفى الطاعة بالإخلاص وسؤال القبول والتوفيق وفى المعصية بالامتناع منها وبالتوبة والاستغفار وفى النعمة بالشكر وفى الشدة بالصبر فانه ليس للذكر حد معلوم كسائر الفرائض ولا لتركه عذر مقبول الا ان يكون المرء مغلوبا على عقله واحوال الذاكرين متفاوتة يتفاوت اذكارهم فذكر بعضهم بمجرد اللسان بدون فكر مذكوره ومطالعة آثاره بعقله وبدون حضور مذكوره ومكاشفة أطواره بقلبه وبدون انس مذكوره ومشاهدة أنواره بروحه وبدون فنائه فى مذكوره ومعاينة أسراره بسره وهذا مردود مطلقا وذكر بعضهم باللسان والعقل فقد يذكر بلسانه ويتفكر مذكوره ويطالع آثاره بعقله لكن ليس له الحضور والانس والفناء المذكور وهو ذكر الأبرار مقبول بالنسبة الى الاول وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب فقط بدون الانس والفناء المذكور وهو ذكر اهل البداية من المقربين مقبول بالنسبة الى ذكر الأبرار وما تحته وذكر بعضهم باللسان والعقل والقلب والروح والسر جميعا وهو ذكر ارباب النهاية من المقربين من الأنبياء والمرسلين والأولياء الأكملين وهو مقبول مطلقا وللارشاد الى هذه الترقيات قال عليه السلام (ان هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد) قيل يا رسول الله فما جلاؤها قال (تلاوة كتاب الله وكثرة ذكره) فبكثرة الذكر يترقى السالك من مرتبة اللسان الى ما فوقها من المراتب العالية ويصقل مرآة القلب من ظلماتها واكدارها ثم ان ذكر الله وان كان يشتمل الصلاة والتلاوة والدراسة ونحوها الا ان أفضل الاذكار لا اله الا الله فالاشتغال به منفردا مع الجماعة محافظا على الآداب الظاهرة والباطنة ليس كالاشتغال بغيره [سلمى كويد مراد از ذكر كثير ذكر دلست چه دوام ذكر بزبان ممكن نيست] وقال بعضهم الأمر بالذكر الكثير اشارة الى محبة الله تعالى يعنى أحبوا الله لان النبي عليه السلام قال من أحب شيأ اكثر من ذكره [نشان دوستى آنست كه نكذارد كه زبان از ذكر دوست يا دل از فكر او خالى ماند]

در هيچ مكان نيم ز فكرت خالى ... در هيچ زمان نيم ز ذكرت غافل

فاوجب الله محبته بالاشارة فى الذكر الكثير وانما أوجبها بالاشارة دون العبارة الصريحة." (٢)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ١٧٦/٧

(٢) روح البيان إسماعيل حقي ١٩١/٧

"الرديئة والمفيض تعالى وتقدس فى غاية التنزه والتقدس فليس بينهما مناسبة والاستفاضة منه انما تحصل بواسطة ذى جهتين اى جهة التجرد وجهة التعلق كالحطب اليابس بين النار والحطب الرطب وكالغضروف بين اللحم والعظم وتلك الواسطة حضرة صاحب الرسالة عليه السلام حيث يستفيض من جهة تجرده ويفيض من جهة تعلقه فالصلاة عليه واجبة عقلا كما انها واجبة شرعا اى بهذه الآية لكن مطلقا اى فى الجملة إذ ليس فيها تعرض للتكرار كما فى قوله تعالى (اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) وقال الطحاوي تجب الصلاة عليه كلما جرى ذكره على لسانه او سمعه من غيره قال فى بحر العلوم وهو الأصح لان الأمر وان كان لا يقتضى التكرار الا ان تكرار سبب الشيء يقتضى تكراره كوقت الصلاة لقوله عليه السلام (من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله) اى من رحمته وفى الحديث (لا يرى وجهى ثلاثة أقوام أحدها العاق لوالديه والثاني تارك سنتى والثالث من ذكرت عنده فلم يصل على) وفى الحديث (اربع من الجفاء ان يبول الرجل وهو قائم وان يمسح جبهته قبل ان يفرغ وان يسمع النداء فلا يشهد مثل يشهد المؤذن وان اذكر عنده فلا يصلى على) فان قلت الصلاة على النبي لم تخل عن ذكره ولو وجبت كلما ذكر لم نجد فراغا من الصلاة عليه مدة عمرنا قلت المراد من ذكر النبي الموجب للصلاة عليه الذكر المسموع فى غير ضمن الصلاة عليه وقيل تجب الصلاة فى كل مجلس مرة فى الصحيح وان تكرر ذكره كما قيل فى آية السجدة وتشميت العاطس وان كان السنة ان يشمت لكل مرة الى ان يبلغ الى ثلاث ثم هو مخير ان شاء شمته وان شاء تركه وكذلك تجب الصلاة فى كل دعا فى اوله وآخره وقيل تجب فى العمر مرة كما فى اظهار الشهادتين والزيادة عليها مندوبة والذي يقتضيه الاحتياط وتستدعيه معرفة علو شأنه ان يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع كما قال فى فتح الرحمن المختار فى مذهب ابى حنيفة انها مستحبة كلما ذكر وعليه الفتوى وفى تفسير الكاشفى [وفتوى بر آنست كه نام آن حضرت هر چند تكرار يابد يك نوبت درود واجبست وباقى سنت] اى يستحب تكرارها كلما ذكر بخلاف سجود التلاوة فانه لا يندب تكراره بتكرير التلاوة فى مجلس واحد. والفرق ان الله تعالى غنى غير محتاج بخلاف النبي عليه السلام كما فى حواشى الهداية للامام الخبازى ولو تكرر اسم الله فى مجلس واحد او فى مجالس يجب لكل مجلس ثناء على حدة بان يقول سبحان الله او تبارك الله او جل جلاله او نحو ذلك فان تعظيم الله لازم فى كل زمان ومكان ولو تركه لا يقضى بخلاف الصلاة على النبي عليه السلام لانه لا يخلو عن تجدد نعم الله الموجبة للثناء فلا يخلص للقضاء وقت بخلاف الصلاة على النبي فتبقى دينا فى الذمة فتقضى لان كل وقت محل للاداء وفى قاضى خان رجل يقرأ القرآن ويسمع اسم النبي لا تجب عليه الصلاة والتسليم لان قراءة القرآن على النظم والتأليف أفضل من الصلاة على النبي فاذا فرغ من القرآن ان صلى عليه كان حسنا وان لم يصل لا شيء عليه اما الصلاة عليه فى التشهد الأخير كما سبق فسنة عند ابى حنيفة ومالك وشرط لجواز الصلاة عند الشافعي وركن عند احمد فتبطل الصلاة عندهما بتركها عمدا كان او سهوا لقوله عليه." (١)

"فالامر للاطلاق بعد الحظر اى للاباحة لا للايجاب كقوله وإذا حللتم فاصطادوا وذكر الامام السرخسي ان الأمر للايجاب لما روى انه عليه السلام قال طلب الكسب بعد الصلاة هو الفريضة بعد الفريضة وتلا قوله تعالى فاذا قضيت

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٧/٢٢٧

الصلاة وقيل انه للندب فعن سعيد بن جبير إذا انصرفت من الجمعة فساوم بشيء وان لم تشتره وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا يطلب شيء من الدنيا انما هو عبادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ في الله وعن الحسن وسعيد ابن المسيب طلب العلم (كما قال الكاشفى) وكفته اند انتشارهم در زمين مسجد است جهت رفتن بمجلس علما ومذكران وقيل صلاة التطوع والظاهر ان مثل هذا ارشاد للناس الى ما هو الاولى ولا شك في اولوية المكاسب الاخروية مع ان طلب الكفاف من الحلال عبادة وربما يكون فرضا ان الاضطرار واذكروا الله بالجنان واللسان جميعا كثيرا اى **ذكرا كثيرا** او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة يقول الفقير انما امر تعالى بالذكر الكثير لان الإنسان هو العالم الأصغر المقابل للعالم الأكبر وكل ما في العالم الأكبر فانه يذكر الله تعالى بذكر مخصوص له فوجب على اهل العالم الأصغر أن يذكروا الله تعالى بعدد أذكار اهل العالم الأكبر حتى تتقابل المرآتان وينطبق الإجمال والتفصيل فان قلت فهل في وسع الإنسان أن يذكر الله تعالى بهذه المرتبة من الكثرة قلت نعم إذا كان من مرتبة السر بالشهود التام والحضور الكامل كما قال ابو يزيد البسطامي قدس سره الذكر الكثير ليس بالعدد لكنه بالحضور انتهى وقد يقيم الله القليل مقام الكثير كما روى ان عثمان رضى الله عنه صعد المنبر فقال الحمد لله فارتج عليه فقال ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانا يعد ان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل ومنه قال امامنا الأعظم ابو حنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار ما يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وذلك لان الله تعالى سمى الخطبة ذكرا له على انا نقول قوله عثمان ان أبا بكر وعمر إلخ كلام ان كلام في باب الخطبة لاشتماله على معنى جليل فهو يجامع قول صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة وهذا مما لا يتنبه له أحد والحمد لله على الهامه وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه الذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكر ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح والذكر بهذا المعنى يتحقق في جميع الأحوال قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والذكر الذي امر بالسعي اليه اولا هو ذكر خاص لا يجامع التجارة أصلا إذ المراد منه الخطبة والصلاة امر به اولا ثم قال إذا فرغتم منه فلا تتركوا طاعته في جميع ما تأتونه وتذرونه لعلكم تفلحون كى تفوزوا بخير الدارين الحاصل ذكر وى موجب جمعيت ظاهر وباطن وسبب نجات دنيا وآخرتست

از ذكر خدا مباش يكدم غافل ... كز ذكر بود خير دو عالم حاصل

ذكر است كه اهل شوق را در همه حال ... آسايش جان باشد وآرامش دل." (١)

"جمعها ضحايا كالأضحاة جمعها أضحى. ولا يخفي ما بين الكلامين سميت بذلك لذبحها وقت الضحى بيده فهي السنة أن يذبح المضحي بيده ويجوز التوكيل للقادر إلا أنها قالت المالكية: ولا أجر له في ذلك ويكره عند الأكثر (حم) (١) عن أنس) رمز المصنف لصحته.

٧٠٠٨ - "كان يذكر الله تعالى على كل أحيانه" (م د ت هـ) عن عائشة (صح) ".

(كان يذكر الله) الذكر اللساني فإنه الذي يظهر للراوي ومعلوم أن ذكره - صلى الله عليه وسلم - بلسانه لا يفارقه ذكره

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٩/٥٢٥

بقلبه (على كل أحيانه) بأي ذكر من تلاوة وغيرها ماشيا وراكبا وقاعدا أو غير ذلك كما قال تعالى: ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١]، وهو ألا ينسى ذكره تعالى على حال، قال العراقي: على هنا بمعنى في كما في: ﴿ودخل المدينة على حين غفلة﴾ [القصص: ١٥]، أي في حين.

قلت: لك أن تقول هي للاستعلاء على بابها أي متمكنا من الذكر تمكن من تعلق على الشيء بحيث لا يفارقه واعلم أن هذا مخصوص بحال الجنابة لحديث: "أنه كان لا يحجبه عن القرآن شيء ليس إلا الجنابة" (٢). وقد أخذ جماعة لجواز القراءة للجنب بهذا العموم منهم الطبري ولك أن تقول هذا يخص به قراءة القرآن وينفي غيره من الذكر جائزا للجنب والأكمل أن لا يذكر الله إلا على طهارة فقد تيمم من الجدار لرد السلام وقال: "كرهت أن أذكر الله إلا على طهارة" أو نحو هذا. (م د ت هـ) (٣) عن عائشة) وعلقه البخاري [٣/ ٣٦٠] في

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١١٨)، وابن ماجة (٣١٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٩٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٠٧)، والنسائي في المجتبى (٢٦٥)، وابن خزيمة (٢٠٨)، والضياء في المختارة (٥٩٧).

(٣) أخرجه البخاري تعليقا باب الحائض تقضي المناسك كلها إلا الطواف بالبيت (١/ ١١٦)، وباب هل يتبع المؤذن فاه هاهنا وهاهنا (١/ ٢٢٧)، ومسلم (٣٧٣)، وأبو داود (١٨)، والترمذي =." [1]

"ثم ذكر الحق تعالى الوقوف بعرفة، والرجوع إلى المزدلفة والمشعر الحرام، فقال:

فإذا أفضتم ... قلت: (أفضتم) : دفعتم، وأصل الإفاضة: الدفع بقوة، من فاض الماء إذا نبع بقوة، ثم استعمل في مطلق الاندفاع على سبيل المبالغة. و (عرفات) فيها الصرف وعدمه، كأذرعات. وسمى عرفات لقول إبراهيم الخليل عليه السلام لجبريل حين علمه المناسك: قد عرفت. أو لمعرفة آدم حواء فيها. والكاف في (كما هداكم) تعليلية، و (ما) مصدرية، أي: واذكروه لأجل هدايته لكم. و (إن كنتم) مخففة، واللام فارقة، وقوله: (أو أشد) نعت لمصدر محذوف، أي: أو ذكرا أشد ... الخ.

يقول الحق جل جلاله: فإذا وقفتم بعرفة، وأفضتم منها، فانزلوا المزدلفة وبيتوا بها، فإذا صليتم الصبح بغلس فقفوا عند المشعر الحرام، وهو جبل في آخر المزدلفة، واذكروا الله عنده بالتهليل والتكبير والتلبية إلى الإسفار، هكذا فعل الرسول- عليه الصلاة والسلام-، واذكروه لأجل ما هداكم إليه من معالم دينه ومناسك حجه، وغير ذلك من شعائر الدين، أو فاذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة، وقد كنتم من قبل هذه الهداية لمن الضالين.

وكانت قريش لا تقف مع الناس ترفعا عليهم، بل تقف بالمزدلفة، فأمرهم الحق جل جلاله بالوقوف مع الناس، فقال لهم: ثم أفيضوا يا معشر قريش من حيث أفاض الناس بأن تقضوا معهم، وتفيضوا من حيث أفاضوا، واستغفروا الله في تغييركم مناسك إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام- إن الله غفور لكم، رحيم بكم إن تبتم ورجعتم واتبعتم رسولكم.

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٥٦١/٨

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٠٠ الى ٢٠٢]

فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق (٢٠٠) ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٢٠١) أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب (٢٠٢)

فإذا قضيتم مناسككم وفرغتم من حجكم فاذكروا الله **ذكرا كثيرا** كذكركم آباءكم أو ذكرا أشد ذكرا منهم، حيث كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة، وكانوا إذا فرغوا من حجهم وقفوا بمنى، بين المسجد والجبل، فيذكرون مفاخر آبائهم، ومحاسن أيامهم، فأمروا أن." (١)

"قلت: جملة: (ولا يذكرون الله) حال من واو (يراءون) ، وكذلك (مذبذبين) أي: يراءون حال كونهم غير ذاكرين مذبذبين، أو منصوب على الذم، والمذبذب: المضطرب المتردد.

يقول الحق جل جلاله: إن المنافقين يخادعون الله

بإظهار الإيمان وإخفاء الكفر، وهو خادعهم

، أي: مجازيهم على خداعهم بأن يظهر لهم يوم القيامة نورا يمشون به على الصراط، كما يعطي المؤمنين، فإذا مضوا به طفئ نورهم وبقي نور المؤمنين، فينادونهم: انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا، فيتهافتون في النار. فسمي هذه العقوبة خداعا تسمية للعقوبة باسم الذنب.

وكانوا إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى

أي: متثاقلين، لا يريدون بها وجه الله، فإن رءاهم أحد، صلوا، وإلا انصرفوا، فلم يصلوا، يراؤن

بأعمالهم الناس

أي: المؤمنين، ولا يذكرون الله إلا قليلا

لأن المرائى لا يذكر إلا بحضرة الناس، وهو أقل أحواله، أو لا يذكرونه في صلاتهم إلا قليلا، لأنهم لا يذكرون إلا التكبير والتسليم، وقال ابن عباس: إنما ذلك لأنهم يفعلونها رياء وسمعة، ولو أرادوا بذلك وجه الله تعالى لكان كثيرا.

وقال قتادة: إنما قل ذكرهم، لأنه لم يقبل، فكل ما رد من العمل فهو قليل، وكل ما قبل فهو كثير.

وكانوا أيضا مذبذبين أي: مترددين ومتحيرين بين الكفر والإيمان، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أي: لا صائرين إلى المؤمنين ولا إلى الكافرين. قال قتادة: ما هم بمؤمنين مخلصين، ولا مشركين مصرحين بالشرك، هكذا سبق في علم الله، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا أي: طريقا إلى الهدى، ومثله قوله تعالى: ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

الإشارة: كل من أحب أن يرى الناس محاسن أعماله وأحواله، ففيه شعبة من النفاق وشعبة من الرياء، وعلامة المرائي: تزيين ظاهرة وتخريب باطنه، يتزين للناس بحسن أعماله وأحواله، يراقب الناس ولا يراقب الله، وكان بعض الحكماء يقول: يقول الله- تعالى-: «يا مرائي: أمر من ترائي بيد من تعصيه» . فمثل هذا أعماله كلها قليلة، ولو كثرت في الحس كالجبال

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢٣٠/١

الرواسي، وأعمال المخلصين كلها كثيرة ولو قلت في الحس، وأعمال المرائين كلها قليلة ولو كثرت في الحس. قال في القوت: وصف الله تعالى ذكر المنافقين بالقلة، لكونه غير خالص، كما قيل في تفسير قوله تعالى: **ذكرا كثيرا** أي: خالصا، فسمي الخالص كثيرا. هـ.

قوله تعالى: مذبذبين بين ذلك: هذه صفة أهل الدعوى، المستشرفين على الحقيقة بالعلم، ليسوا من الخصوص ولا من العموم، مترددين بين الفريقين، ومن يضلل الله عن طريق التحقيق، فلن تجد له سبيلا.." (١)

"ونذكرك بأن نصفك بما يليق بك من صفات الكمال، **ذكرا كثيرا**، إنك كنت بنا بصيرا أي: عالما بأحوالنا، وبأن ما دعوناك به مما يصلحنا ويقوينا على ما كلفتنا من أداء الرسالة، و (بنا) : متعلق ببصيرا.

والله تعالى أعلم.

الإشارة: فإذا انخلعت أيها الفقير عن الكونين، وألقيت عصاك بوادي البين، فاذهب إلى فرعون نفسك ووجود حسك، إنه طغى عليك، حيث حجبك عن شهود ربك، فلا حجاب بينك وبين ربك، إلا حجاب نفسك، ووقوفك مع شهود حسك، فهو أكبر الفراعين في حقك، فاهدم وجوده، وأغرق في بحر الحقيقة شهوده، وذلك بالغيبة عنه في شهود مولاه، فإذا تعسر الأمر عليك فاستعن بمولاك، وقل: اللهم اشرح لي صدري، ووسعه لمعرفتك، ويسر لي أمري في السير إلى حضرة قدسك، واحلل عقدة الكون من قلبي ولساني، حتى لا أعقد إلا على محبتك، ولا أتكلم إلا بذكرك وشكرك، كما قال الشاعر:

فإن تكلمت لم أنطق بغيركم ... وإن صمت فأنتم عقد إضماري.

واجعل لي وزيرا من أهلي، وهو شيخي، اشدد به أزري، وأشركه في أمري، حتى يتوجه بكلية همته إلى سري، كي ننزهك تنزيها كثيرا، بحيث لا نرى معك غيرك، ونذكرك كثيرا، بحيث لا نفتر عن ذكرك بالقلب أو الروح أو السر، إنك كنت بنا بصيرا. قال الورتجبي: قوله تعالى: (اذهب إلى فرعون..) الخ، لما علم موسى مراد الحق منه بمكابدة الأعداء، والرجوع من المشاهدة إلى المجاهدة، سأل من الحق شرح الصدر، وإطلاق اللسان، وتيسير الأمر، ليطيق احتمال صحبة الأضداد ومكابدتهم. ثم قال: فطلب قوة الإلهية وتمكينا قادريا بقوله: (رب اشرح لي صدري) ، عرف مكان مباشرة العبودية أنها حق الله، وحق الله في العبودية مقام امتحان، وفي الامتحان حجاب عن مشاهدة الأصل، فخاف من ذلك، وسأل شرح الصدر، أي: إذا كنت في غين الشريعة عن مشاهدة غيب الحقيقة، اشرح صدري بنور وقائع المكاشفة، حتى لا أكون محجوبا بها عنك. ألا ترى إلى سيد الأنبياء والأولياء صلوات الله عليه، كيف أخبر عن ذلك الغين، وشكى من صحبة الأضداد في أداء الرسالة، بقوله: «إنه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة» هـ. وفيه مقال «١» ، إذ هو غين أنوار لا غين أغيار، فتأمله. والله تعالى أعلم.

ثم أجاب الحق جل جلاله سؤاله، فقال:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٧٩/١

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٣٦ الى ٤١]

قال قد أوتيت سؤلك يا موسى (٣٦) ولقد مننا عليك مرة أخرى (٣٧) إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى (٣٨) أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني (٣٩) إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى (٤٠)

واصطنعتك لنفسي (٤١)

---

(١) بل فيه مقالات، فالشريعة يستحيل أن تكون غينا، والله تعالى يقول فيها ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ويقول:

وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ... ويقول: وكذلك جعلناه نورا فشريعته روح ونور.." [١]

"جمع صومعة- بفتح الميم، وهي: متعبد النصارى والصابئين منهم، ويسمى أيضا الدير. وسمي بها موضع الأذان في الإسلام: وبيع: جمع بيعة- بكسر الباء-: كنائس النصارى، وصلوات: كنائس اليهود، سميت بما يقع فيها،. وأصلها: صلوتا بالعبرانية، ثم عربت، ومساجد للمسلمين، يذكر فيها اسم الله كثيرا أي: **ذكرا كثيرا**، أو وقتا كثيرا، صفة مادحة للمساجد، خصت بها دلالة على فضلها وفضل أهلها. وقيل يرجع للأربع، وفيه نظر فإن ذكر الله تعالى في الصوامع والبيع والكنائس قد انقطع بظهور الإسلام، فقصد بيانه، بعد نسخ شرائعها مما لا يقتضيه المقام، ولا ترتضيه الأفهام. وقدمت الثلاثة على المساجد لتقدمها وجودا، أو لقربها من التهديم.

ولينصرن الله من ينصره أي: وتالله، لينصرن الله من ينصر دينه ونبيه- عليه الصلاة والسلام- وأولياءه. ومن نصره: إشهاره وإظهاره، وتعليمه لمن لا يعلمه، وإعزاز حامل لوائه من العلماء والأولياء. وقد أنجز الله وعده، حيث سلط المهاجرين والأنصار على صناديد العرب وأكاسرة العجم وقياصرة الروم، وأورثهم أرضهم وديارهم، إن الله لقوي عزيز: غالب على كل ما يريد، ومن جملته: نصرهم وإعلاؤهم.

ثم وصف الذين أخرجوا من ديارهم بقوله: الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قلت: الصواب ما قاله مكي: أنه بدل من: «من ينصره» ، في محل نصب.

قيل: المراد بهم: الصحابة- رضى الله عنهم-، وقيل: الأمة كلها. وقيل: الخلفاء الأربعة لأنهم هم الذين مكنوا في الأرض بالخلافة، وفعلوا ما وصفهم الله به. وفيه دليل صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله- عز وجل- أعطاهم التمكين، ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة. وعن عثمان رضى الله عنه: (هذا، والله، ثناء قبل بلاء) ، يعني: أن الله تعالى أثنى عليهم قبل ظهور الشر من الهرج والفتن فيهم. ولله عاقبة الأمور فإن مرجعها إلى حكمه وتقديره فقط.

وفيه تأكيد للوعد بإظهار أوليائه وإعلاء كلمته.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣/٣٨٥

الإشارة: إذا اتصل الإنسان بشيخ التربية فقد أذن له في جهاد نفسه، إن أراد الوصول إلى حضرة ربه لأنها ظالمة تحول بينه وبين سعادته الأبدية. وإن الله على نصرهم لقدير لأن همة الشيخ تحمله وتنصره بإذن الله. وأما إن لم يتصل بشيخ التربية، فإن مجاهدته لنفسه لا تصيب مقاتلها لدخولها تحت الرماية، فلا يصيبها ضربه، وأما الشيخ فلأنه يريه مساوئها ويعينه على قتلها.

وقوله تعالى: الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق هم الذين أمروا بقتل نفوسهم، فإنهم إذا خرقوا عوائد نفوسهم، وخرجوا عن عوائد الناس، رفضوهم وأنكروهم، وربما أخرجوهم من ديارهم، فقل أن تجد وليا بقي في وطنه الأول، وما نقموا منهم وأخرجوهم إلا لقصدهم مولاهم، وقولهم: ربنا الله دون شيء سواه، فحيث خرجوا عن." (١)

"يقول الحق جل جلاله: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أي: لم يكن أبا رجل منكم حقيقة، حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح، والمراد: من رجالكم البالغين، وأما أولاده القاسم، والطيب، والطاهر، فماتوا قبل أن يكونوا رجالا، وأما الحسن والحسين، فأحفاد، لا أولاد. ولكن كان رسول الله، وكل رسول أبو أمته، فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم، ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه، لا في سائر الأحكام الثابتة بين الآباء والأبناء. وزيد واحد من رجالكم، الذين ليسوا بأولاد حقيقة، فكان حكمه حكمهم. والتبني من باب الاختصاص والتقريب، لا غير. وكان أيضا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين أي: آخرهم الذي ختمهم، أو: ختموا به على قراءة عاصم. بفتح التاء، بمعنى: الطابع، كأنه طبع وختم على مقامات النبوة، كما يختم على الكتاب لئلا يلحقه شيء. فلا نبي بعده. وعيسى ممن نبأ قبله، وحين ينزل ينزل عاملا على شريعته صلى الله عليه وسلم، كأنه بعض أمته. ومن قرأ بكسر التاء، فمعناه: فاعل الختم، كما قال- عليه الصلاة والسلام-: «أنا خاتم النبيين فلا نبي بعدي» «١» . ويصح أن يكون بمعنى الطابع أيضا إذ فيه لغات خاتم- بالفتح والكسر-، وخاتام، وخيتام. وكان الله بكل شيء عليما، فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة، وكيف ينبغي شأنه.

الإشارة: كان صلى الله عليه وسلم أبا الأرواح حقيقة إذ الوجود كله ممتد من نوره، وأبا الأشباح باعتبار أنه السابق نوره. فأول ما ظهر نوره- عليه الصلاة والسلام-، ومنه امتدت الكائنات، فهو بذرة الوجود. وسيأتي في قوله: فأنا أول العابدين «٢» تتميم ذلك إن شاء الله. ولم يكن أبا باعتبار تولد الصلب، وهو الذي نفاه الله تعالى عنه.

ثم حض على الذكر إذ هو سبب التهذيب والتأديب، فيزجر صاحبه عن الخوض فيما لا يعنى، فقال:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٣٨/٣

(١) أخرجه مطولا أحمد فى المسند (٥/ ٢٧٨) ، وعزاه السيوطي فى الدر (٥/ ٣٨٦) لابن مردويه، عن ثوبان. وجاء الجزء الأول «أنا خاتم النبيين» في حديث «مثلى ومثل الأنبياء من قبلى..» الحديث، أخرج البخاري فى (المناقب، باب خاتم النبيين، ح ٣٥٣٥) ومسلم فى (الفضائل، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ٤/ ١٧٩١) من حديث سيدنا أبى هريرة رضي الله عنه.

(٢) الآية ٨١ من سورة الزخرف.." [1]

"يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** قياما، وقعودا، وعلى جنوبكم، قال ابن عباس: (لم يعذر أحد في ترك ذكر الله- عز وجل- إلا من غلب على عقله) «١» . وقال: الذكر الكثير: ألا تنساه أبدا. وروى أبو سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون» «٢» .

والذكر أنواع: تهليل، وتحميد، وتقديس، واستغفار، وتلاوة، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل: المراد: ذكر القلوب، فإن الذكر الذي يمكن استدامته، هو ذكر القلب، وهو استدامة الإيمان والتوحيد. وأما ذكر اللسان فإن إدامته كالمتعذر. قاله القشيري. وسبحوه أي: نزهوه، أو: قولوا: سبحان الله وبحمده، بكرة أول النهار وأصيلا آخر النهار. وخصا بالذكر لأن ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون فيهما. وعن قتادة: (قولوا:

سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله) . أو: الفعلان- أي: (اذكروا) و (سبحوه) - موجهان إلى البكرة والأصيل، كقولك: صم وصل يوم الجمعة. والتسبيح من جملة الذكر، وإنما اختص من بين أنواعه إبانة لفضله لأن معناه: تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات. ويجوز أن يراد بالذكر وإكثاره: تكثير الطاعات والعبادات، فإنها من جملة الذكر، ثم خص من الذكر التسبيح بكرة، وهي صلاة الفجر، وأصيلا، وهي صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء، أو: صلاة الفجر والعشاءين.

هو الذي يصلي عليكم وملائكته، لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره، حنوا عليه، كحنو المرأة على ولدها. ثم كثر، حتى استعمل في الرحمة والترؤف، ومنه قولهم: صلى الله عليك، أي: ترحم عليك وترأف. فإن قلت: صلاة الله غير صلاة الملائكة، فكيف اشتركا في العطف؟ قلت: لاشتراكهما في قدر مشترك، وهو إرادة وصول الخير إليهم، إلا أنه منه تعالى برحمته، ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار.

وذكر السدي: أن بني إسرائيل قالت لموسى عليه السلام: أيصلي ربنا؟ فكبر هذا الكلام على موسى عليه السلام، فأوحى الله إليه: أن قل لهم: إني أصلي، وإن صلاتي رحمتي، وقد وسعت كل شيء «٣» . وفي حديث المعراج: «قلت: إلهي لما لحقني استيحاش قبل قدومي عليك، سمعت مناديا ينادي بلغة، تشبه لغة أبي بكر، فقال: قف، إن ربك

---

(١) أخرجه الطبري (٢٢/ ١٧) .

(٢) أخرجه أحمد فى المسند (٣/ ٦٨، ٧١) والحاكم (١/ ٤٩٩) وصححه، من حديث سيدنا أبى سعيد الخدري رضي

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد   ابن عجيبة ٤/٤٣٩

الله عنه.

(٣) عزاه فى الدر المنثور (٥/ ٣٨٩) لعبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الحسن.." [١]

"«السلام عليكم، مرحبا بعبادي الذين أرضوني باتباع أمري» هو إشارة إلى قوله: سلام عليكم طبتم «١» .

وأعد لهم أجرا كريما، يعني الجنة وما فيها.

الإشارة: قال القشيري: قوله تعالى: اذكروا الله **ذكرا كثيرا**. الإشارة فيه: أحبوا الله لقوله- عليه الصلاة والسلام- «من أحب شيئا أكثر من ذكره» «٢» فيحب أن يقول: الله، ولا ينس الله بعد ذكر الله. هـ. قلت: لأن ذكر الله عنوان محبته، ومنار وصلته، وهو الباب الأعظم في الدخول إلى حضرته، ولله در القائل:

الذكر عمدة لكل سالك ... تنورت بنوره المسالك

هو المطية التي لا تنتكب ... ما بعدها في سرعة الخطا نجب

به القلوب تطمئن في اليقين ... ما بعده على الوصال من معين

به بلوغ السالكين للمنى ... به بقاء المرء من بعد الفنا

به إليك كل صعب يسهل ... به البعيد عن قريب يحصل

فهو أقوى سبب لديك ... وكله إليك، لا عليك

فكل طاعة أتى الفتى بها ... هو أساسها، كذاك سقفها

ووحده يفوق كل طاعه ... كما أتى عن صاحب الشفاعه

كفى بفضله لدا البيان ... ذهابه بالسهو والنسيان

إذا ذكرت من له الغنى العظيم ... لديك يصغر الفقير يا نديم

عليه دم حتى إذا تجوهرا ... بسره الفؤاد كل ما ترى

ترى به المذكور دون ستر ... وقد علا الإدراك درك الفكر

به الحبيب في الورى تجلى ... به السوى عن الحجا تولى

به تمكن المريد في الفنا ... حتى يصير قائلا أنا أنا

به رجوعه إلى العبادة ... به التصرف الذي في العاده

تالله لو جئت بكل قول ... ما جئتكم بما له من فضل. هـ.

---

(١) من الآية ٧٣ من سورة الزمر.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٤٤٠

(٢) عزاه السيوطي فى الجامع الصغير (ح ٨٣١٢) للديلمى، فى الفردوس، وضعفه، من حديث السيدة عائشة- رضي الله عنها.." (١)

"من أهل العلم.

﴿

فإذا قضيت الصلاة﴾ أي: أديت وفرغ منها ﴿فانتشروا في الأرض﴾ ، أمر إباحة، أي: اخرجوا لإقامة مصالحكم، ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ ؛ الرزق، قال ابن عباس: " إنما هي عيادة المريض، وحضور الجنائز، وزيارة أخ في الله " ومثله في الحديث، وعن الحسن: طلب العلم، وقيل: صلاة التطوع. ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ ، أي: **ذكرا كثيرا**، أو زمنا كثيرا، ولا تخصوا ذكره بالصلاة، ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي: كي تفوزوا بخير الدارين.

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾ ، روي أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد، فقدم دحية بن خليفة، بتجارة من زيت الشام، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فقاموا إليها؛ خشية أن يسبقوا إليه، فما بقي معه عليه السلام إلا ثمانية، أو اثنا عشر؛ العشرة المبشرون بالجنة، وبلال وابن مسعود، وقيل: أربعون، وهذا مبنى الخلاف في عدد الجماعة التي تنعقد بهم وتجب عليهم، فقال مالك: تنعقد باثني عشر غير الإمام، وتجب على قرية يمكنهم الإقامة والدفع عن أنفسهم في الغالب، وقال الشافعي: أربعون رجلا وقال أبو حنيفة: لا بد من المصر الجامع، والسلطان القاهر، وتصح الصلاة عنده بأربعة. ولما انفضوا قال صلى الله عليه وسلم: " والذي نفس محمد بيده لو قاموا جميعا لأضرم الله عليهم الوادي نارا " وفي مراسيل أبي داود: إن الخطبة كانت بعد الصلاة، فتأولوا . رضي الله عنهم . أنهم قد قضوا ما عليهم، فحولت الخطبة بعد ذلك قبل الصلاة. هـ.

وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق، وهو المراد باللهو. وتخصيص التجارة برجع الضمير إليها؛ لأنها المقصودة، أو لأن الانفضاض إذا كان للتجارة مع الحاجة إليها مذموما، فما ظنك بالانفضاض إلى اللهو، فهو مذموم في نفسه، وقيل: التقدير: إذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهوا انفضوا إليه، فحذف الثاني لدلالة الأول عليه. وقال أبو حيان: وإنما قال: " إليها "، ولم يقل: إليهما، لأن العطف بـ " أو " لا يثنى فيه الضمير، بل يفرد، وقال الطيبي: الضمير راجع إلى اللهو، باعتبار المعنى، والسر فيه: أن التجارة إذا شغلت المكلف عن الذكر عدت لهوا، وتعد فضلا إن لم تشغله، كما ذكر قبل ذلك، فراجعه.

﴿وتركوك قائما﴾ على المنبر، وفيه ندليل على طلب القيام في الخطبة إلا لعذر. ﴿قل ما عند الله﴾ من الثواب ﴿خير من اللهو ومن التجارة﴾ فإن في ذلك نفع محقق دائم، بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم. ﴿والله خير الرازقين﴾ فإليه اسعوا، ومنه اطلبوا الرزق، أي: لا يفوتهم رزق الله بترك البيع، فهو خير الرازقين.." (٢)

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٤٢/٤

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٥/٧

"والجليس بمعنى المجالس قلبت همزتها واو لقلبها في موازر من أهلي (٢٩) اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل.
هارون مفعول أول لاجعل ووزيرا ثانيهما قدم للعناية به- ولى صلة او حال وجاز ان يكون لى مفعولا ثانيا ووزيرا او لهما وهرون عطف بيان- وان يكون مفعولاه وزيرا ومن أهلي ولى تبيين كقوله ولم يكن له كفوا أحد ... أخي (٣٠) قرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بإسكانها على الوجوه بدل من هرون او مبتدا خبره.
اشدد به أزري (٣١) قال في القاموس الأزر الإحاطة والقوة والضعف عند التقوية والظهر فالمعنى قو به ظهرى او اشدد به قوتى او قو به ضعفى.
وأشركه في أمري (٣٢) اى في امر النبوة وتبليغ الرسالة- قرأ ابن عامر اشدد بفتح الالف القطعي واشركه بضم همزة القطع على صيغة المضارع المجزوم على انه جواب الأمر- والجمهور بهمزة الوصل المضمومة في الابتداء- وفتح همزة القطع في الثاني على صيغة الأمر على انه بدل اشتمال من قوله اجعل.
كي نسبحك تسبيحا كثيرا (٣٣) قال الكلبي اى نصلى لك وكثيرا.
ونذكرك **ذكرا كثيرا** (٣٤) فان التعاون تهج الرغبات وتؤدى الى تكاثر الخيرات.
إنك كنت بنا بصيرا (٣٥) عالما بأحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هارون نعم المعين لى فيما أمرتني به-.
قال الله تعالى قد أوتيت سؤلك اى جميع مسئولاتك فعل بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى المأكول يا موسى (٣٦) ولقد مننا عليك جواب قسم محذوف اى والله لقد أنعمنا عليك.
مرة أخرى (٣٧) اى في وقت اخر قيل ذلك وقيل هى هذه المرة.
إذ للتعليل وجاز ان يكون ظرفا لمننا أوحينا إلى أمك بالهام او في المنام او على لسان بنى في وقتها او ملك (لا على وجه النبوة) كما اوحى الى مريم- (فائدة) الوحى والنبوة التي التشريع مختص بالأنبياء وهم الرجال فحسب وهى التي انقطعت وختمت بخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم- واما الوحى الذي ليس للتشريع سواء كان بطريق الإلهام او بكلام الملائكة كما كان لمريم فغير مختص بالأنبياء- بل يكون للاولياء ايضا ولم ينقطع بعد النبي صلى الله عليه وسلم- وكذا حصول كمالات النبوة بالتبعية قد يكون لغير الأنبياء ايضا- قال الشيخ الأكبر محى الدين ابن العربي قدس سره في الفتوحات في الباب الماءتين والسبعين ان النبوة وان انقطعت في هذه الامة بحكم التشريع فما انقطع الميراث منها فمنهم من يرث النبوة ومنهم من يرث رساله." (١)

"الى من احسن اليه خيرا فكيف يكون فيه خير فهو بمنزلة الدعوى مع البرهان ونظيره قوله تعالى وما تنقم منا إلا أن آمنا ونظيره قول الشاعر
وبلدة ليس بها أنيس ... الا اليعافير والا العيس
وقيل هذا استثناء منقطع بمعنى لكنهم اخرجوا بسبب قولهم ربنا الله وهذا القول حق فالاخراج به إخراج بغير حق- وجاز ان يكون استثناء من كلام محذوف تقديره ما اخرجوا الشيء الا بان قالوا ربنا الله وهذا القول حق فالاخراج به إخراج بغير

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٦/١٣٧

حق فهو في مقام التعليل لما سبق ولولا دفع الله «١» الناس بعضهم ببعض بدل من الناس ببعض اى ببعضهم بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين– قرأ نافع لولا دفاع الله بكسر الدال والف بعد الفاء بمعنى المدافعة للمبالغة والباقون بفتح الدال واسكان الفاء من غير الف لهدمت قرأ نافع وابن كثير بتخفيف الدال والباقون بتشديدها صوامع ادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وابن ذكوان تاء هدمت في الصاد ولم يدغم غيرهم «٢» قال مجاهد والضحاك يعنى صوامع الرهبان وقال قتادة صوامع الصابئين وبيع جمع بيعة وهى كنيسة النصارى وصلوات وهى كيائس اليهود يسمونها بالعبرانية صلوة ومساجد المسلمين من امة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الاية لولا دفع الله الناس لهدمت في كل شريعة نبي مكان عبادتهم فهدمت في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد يذكر فيها اى في المساجد او في جميع الاربعة اسم الله كثيرا صفة لمصدر محذوف اى **ذكرا كثيرا** ولينصرن الله من ينصره اى ينصر دينه جواب قسم محذوف والجملة معترضة للوعد– إن الله لقوي على نصرهم عزيز (٤٠) لا يمكن ممانعته تأكيد للوعد

---

(١) عن ثابت بن عرفجة الحضري قال حدثنى سبعة وعشرون من اصحاب على وعبد الله ان عليا قال انما نزلت هذه الاية لولا دفع الله الناس الاية قال لولا دفع الله باصحاب محمد من التابعين لهدمت صوامع ١٢ منه رح.

(٢) وفي الأصل غيره.

(١) "..

"لما حكم ان لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يعنى رجلا– اخرج ابن ماجة من حديث ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال فى ابراهيم حين توفى لو عاش لكان نبيا– ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه إذا ينزل يكون على شريعته مع ان عيسى عليه السلام صار نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقد ختم الله سبحانه الاستنباء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبقاء نبى سابق لا ينافى ختم النبوة وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) فيعلم من يليق به ختم النبوة وكيف ينبغى شأنه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل الأنبياء كمثل قصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا موضع تلك اللبنة فكنت انا سددت موضع اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل– وفى رواية فانا اللبنة وانا خاتم النبيين– متفق عليه وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لى اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمى وانا العاقب الذي ليس بعده نبى متفق عليه وعن ابى موسى الأشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى لنا نفسه اسماء فقال انا محمد واحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الرحمة– رواه مسلم–.

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) قال ابن عباس لم يفرض الله على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على عقله فامر به فى الأحوال كلها فقال فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال اذكروا الله **ذكرا كثيرا** بالليل والنهار فى البر والبحر

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٦/٣٣٠

والصحة والسقم فى السر والعلانية- وقال مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا قلت وهذا لا يتصور الا بعد فناء القاب ودوام الحضور.

وسبحوه اى صلوا له بكرة يعنى صلوة الصبح وأصيلا (٤٢) قال الكلبي يعنى صلوة الظهر والعصر والعشاءين وقال مجاهد يعنى قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فعبر بالتسبيح عن أخواته وقيل المراد بالذكر الكثير هذه." (١)

"بالمثلثة فعربت، والمساجد هي مساجد المسلمين. وقيل: المعنى: لولا هذا الدفع لهدمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد المساجد. قال ابن عطية: هذا أصوب ما قيل في تأويل الآية. وقيل: المعنى: ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة وقيل: لولا دفع الله العذاب بدعاء الأخيار، وقيل غير ذلك. والصوامع: جمع صومعة، وهي بناء مرتفع، يقال: صمع الثريدة إذا رفع رأسها، ورجل أصمع القلب: أي حاد الفطنة، والأصمع من الرجال: الحديد القول، وقيل: الصغير الأذن. ثم استعمل في المواضع التي يؤذن عليها في الإسلام، وقد ذكر ابن عطية في صلوات تسع قراءات، ووجه تقديم مواضع عبادات أهل الملل على موضع عبادة المسلمين كونها أقدم بناء وأسبق وجودا. والظاهر من الهدم المذكور معناه الحقيقي كما ذكره الزجاج وغيره، وقيل: المراد به المعنى المجازي، وهو تعطلها من العبادة، وقرئ «لهدمت» بالتشديد، وانتصاب كثيرا في قوله: يذكر فيها اسم الله كثيرا على أنه صفة لمصدر محذوف، أي: **ذكرا كثيرا**، أو وقتا كثيرا، والجملة صفة للمساجد، وقيل: لجميع المذكورات ولينصرن الله من ينصره اللام هي جواب لقسم محذوف، أي: والله لينصر الله من ينصره، والمراد بمن ينصر الله من ينصر دينه وأولياءه، والقوي: القادر على الشيء، والعزيز: الجليل الشريف، قاله الزجاج، وقيل: الممتنع الذي لا يرام ولا يدافع ولا يمانع، والموصول في قوله: الذين إن مكناهم في الأرض في موضع نصب صفة لمن في قوله من ينصره، قاله الزجاج. وقال غيره: هو في موضع جر صفة لقوله «للذين يقاتلون» . وقيل: المراد بهم المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان، وقيل: أهل الصلوات الخمس، وقيل: ولاة العدل، وقيل غير ذلك. وفيه إيجاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على من مكنه الله في الأرض وأقدره على القيام بذلك، وقد تقدم تفسير الآية، ومعنى ولله عاقبة الأمور أن مرجعها إلى حكمه وتدبيره دون غيره.

وقد أخرج عبد الرزاق وأحمد وعبد بن حميد، والترمذي وحسنه، والنسائي وابن ماجه والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والطبراني، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم: إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن القوم، فنزلت أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية. قال ابن عباس: وهي أول آية نزلت في القتال.

قال الترمذي: حسن، وقد رواه غير واحد عن الثوري، وليس فيه ابن عباس، انتهى. وقد روي نحو هذا عن جماعة من التابعين. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال: الذين أخرجوا من ديارهم أي: من مكة إلى المدينة بغير حق، يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه عن عثمان بن عفان قال: فينا

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٣٥١/٧

نزلت هذه الآية الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق والآية بعدها، أخرجنا من ديارنا بغير حق، ثم مكنا في الأرض، فأقمنا الصلاة، وآتينا الزكاة، وأمرنا بالمعروف، ونهينا عن المنكر، فهي لي ولأصحابي. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه عن علي ابن أبي طالب قال: إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب محمد ولولا دفع الله الناس الآية: قال لولا دفع." (١)

"في كل شيء، ومثلها: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا «١» ، وقوله: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله «٢» ، واللام في لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر: متعلق بحسنة، أو: بمحذوف هو صفة لحسنة، أي: كائنة لمن يرجو الله. وقيل: إن الجملة بدل من الكاف في لكم، ورده أبو حيان وقال: إنه لا يبدل من ضمير المخاطب بإعادة الجار. ويجاب عنه: بأنه قد أجاز ذلك الكوفيون والأخفش وإن منعه البصريون، والمراد بمن كان يرجو الله: المؤمنون، فإنهم الذين يرجون الله ويخافون عذابه، ومعنى يرجون الله: يرجون ثوابه أو لقاءه، ومعنى يرجون اليوم الآخر: أنهم يرجون رحمة الله فيه، أو يصدقون بحصوله، وأنه كائن لا محالة، وهذه الجملة تخصيص بعد التعميم بالجملة الأولى وذكر الله كثيرا معطوف على كان، أي: ولمن ذكر الله في جميع أحواله **ذكرا كثيرا**، وجمع بين الرجاء لله والذكر له، فإن بذلك تتحقق الأسوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم بين سبحانه ما وقع من المؤمنين المخلصين عند رؤيتهم للأحزاب، ومشاهدتهم لتلك الجيوش التي أحاطت بهم كالبحر العباب فقال: ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله الإشارة بقوله «هذا» إلى ما رأوه من الجيوش، أو إلى الخطب الذي نزل، والبلاء الذي دهم، وهذا القول منهم قالوه استبشارا بحصول ما وعدهم الله ورسوله من مجيء هذه الجنود، وإنه يتعقب مجيئهم إليهم نزول النصر، والظفر من عند الله، و «ما» في «ما وعدنا الله» هي الموصولة، أو المصدرية، ثم أردفوا ما قالوه بقولهم: وصدق الله ورسوله أي: ظهر صدق خبر الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما أي: ما زادهم ما رأوه إلا إيمانا بالله وتسليما لأمره. قال الفراء: ما زادهم النظر إلى الأحزاب إلا إيمانا وتسليما. قال علي بن سليمان: «رأى» يدل على الرؤية، وتأنيث الرؤية غير حقيقي، والمعنى: ما زادهم الرؤية إلا إيمانا للرب، وتسليما للقضاء، ولو قال ما زادتهم لجاز من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه أي: من المؤمنين المخلصين رجال صدقوا: أتوا بالصدق، من صدقني إذا قال الصدق، ومحل «ما عاهدوا الله عليه» : النصب بنزع الخافض، والمعنى: أنهم وفوا بما عاهدوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة من الثبات معه، والمقاتلة لمن قاتله، بخلاف من كذب في عهده، وخان الله ورسوله، وهم المنافقون، وقيل: هم الذين نذروا أنهم إذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا له، ولم يفروا، ووجه إظهار الاسم الشريف، والرسول في قوله: صدق الله ورسوله بعد قوله: ما وعدنا الله ورسوله هو قصد التعظيم كما في قول الشاعر:

أرى الموت لا يسبق الموت شيء وأيضا لو أضمرهما لجمع بين ضمير الله، وضمير رسوله في لفظ واحد. وقال صدقا، وقد ورد النهي عن جمعهما كما في حديث «بئس خطيب القوم أنت» لمن قال ومن يعصهما فقد غوى. ثم فصل سبحانه حال الصادقين بما وعدوا الله ورسوله، وقسمهم إلى قسمين فقال: فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٣/٥٤١

(١) . الحشر: ٧.

(٢) . آل عمران: ٣١.." [1]

"كان محمد أبا أحد من رجالكم قال: نزلت في زيد بن حارثة. وأخرج أحمد، ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثل النبيين كمثل رجل بنى دارا، فانتهى، إلا لبنة واحدة، فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة» وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل ابتنى دارا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع اللبنة، فأنا موضع اللبنة حتى ختم بي الأنبياء» . وأخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما من حديث أبي هريرة نحوه. وأخرج أحمد، والترمذي وصححه من حديث أبي بن كعب نحوه أيضا.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٨]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥)

وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨)

قوله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** أمر سبحانه عباده بأن يستكثروا من ذكره بالتهليل، والتحميد، والتسبيح، والتكبير، وكل ما هو ذكر الله تعالى. قال مجاهد: هو أن لا ينساه أبدا، وقال الكلبي: ويقال **ذكرا كثيرا**: بالصلوات الخمس، وقال مقاتل: هو التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير على كل حال وسبحوه بكرة وأصيلا أي: نزهوه عما لا يليق به في وقت البكرة، ووقت الأصيل، وهما أول النهار وآخره، وتخصيصهما بالذكر لمزيد ثواب التسبيح فيهما، وخص التسبيح بالذكر بعد دخوله تحت عموم قوله: اذكروا الله تنبيها على مزيد شرفه، وإنافة ثوابه على غيره من الأذكار.

وقيل: المراد بالتسبيح بكرة: صلاة الفجر، وبالتسبيح أصيلا: صلاة المغرب. وقال قتادة، وابن جرير:

المراد: صلاة الغداة وصلاة العصر. وقال الكلبي: أما بكرة: فصلاة الفجر، وأما أصيلا: فصلاة الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء. قال المبرد: والأصيل: العشي، وجمعه أصائل هو الذي يصلي عليكم وملائكته والصلاة من الله على العباد رحمته لهم، وبركته عليهم، ومن الملائكة الدعاء لهم، والاستغفار كما قال: ويستغفرون للذين آمنوا «١» قال مقاتل بن سليمان، ومقاتل بن حيان: المعنى ويأمر ملائكته بالاستغفار لكم، والجملة مستأنفة كالتعليل لما قبلها من الأمر بالذكر والتسبيح. وقيل: الصلاة من الله على العبد: هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده، وقيل: الثناء عليه، وعطف ملائكته على الضمير

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٣١٢/٤

هنا معنى مجازي يعم صلاة الله بمعنى الرحمة، وصلاة الملائكة، بمعنى الدعاء لئلا يجمع بين حقيقة ومجاز في كلمة واحدة، واللام في ليخرجكم من الظلمات إلى النور متعلق بيصلي، أي: يعتني بأموركم هو وملائكته ليخرجكم من ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات، ومن ظلمة الضلالة إلى نور الهدى، ومعنى الآية: تثبيت

(١) . غافر: ٧. [.....]."[١]

"وهي منسوخة بآية السيف: وتوكل على الله في كل شؤونك وكفى بالله وكيلا توكل إليه الأمور وتفوض إليه الشؤون، فمن فوض إليه أموره كفاه، ومن وكل إليه أحواله لم يحتج فيها إلى سواه.

وقد أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: اذكروا الله **ذكرا كثيرا** يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها أجلا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، فقال: اذكروا الله قياما وقعودا، وعلى جنوبكم بالليل والنهار، في البر والبحر، في السفر والحضر، في الغنى والفقر، في الصحة والسقم، في السر والعلانية وعلى كل حال، وقال: وسبحوه بكرة وأصيلا إذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله: هو الذي يصلي عليكم وملائكته.

وقد ورد في فضل الذكر والاستكثار منه أحاديث كثيرة، وقد صنف في الأذكار المتعلقة بالليل والنهار جماعة من الأئمة: كالنسائي، والنووي، والجزري، وغيرهم، وقد نطقت الآيات القرآنية بفضل الذاكرين وفضيلة الذكر ولذكر الله أكبر «١» وقد ورد أنه أفضل من الجهاد كما في حديث أبي سعيد الخدري عند أحمد، والترمذي، والبيهقي «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل: أي: العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال:

الذاكرون الله كثيرا، قلت: يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون أفضل منه درجة» وأخرج أحمد عن أبي الدرداء قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا أعداءكم، فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟

قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عز وجل» . وأخرجه أيضا الترمذي، وابن ماجه. وفي صحيح مسلم وغيره من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرا» وأخرج أحمد، وأبو يعلى، وابن حبان، والحاكم، وصححه، والبيهقي عن أبي سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون» . وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مراؤون» .

وورد في فضل التسبيح بخصوصه أحاديث ثابتة في الصحيحين وغيرهما، فمن ذلك حديث أبي هريرة قال: «من قال في يوم مائة مرة سبحان الله وبحمده حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر» . وأخرج أحمد ومسلم والترمذي وغيرهم عن سعد

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٤/٣٣٠

بن أبي وقاص قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا: أيعجز أحدكم أن يكتسب في اليوم ألف حسنة؟ فقال رجل: كيف يكتسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة» . وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف، وعبد ابن حميد، وابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه في الشعب عن البراء بن عازب في قوله: تحيتهم يوم يلقونه سلام قال: يوم

---

(١) . العنكبوت: ٢٩.." (١)

"سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم «١»

وقال أيضا:

سعى ساعيا غيظ بن مرة بعد ما ... تبزل ما بين العشيرة بالدم «٢»

أي فاعملوا على المضي إلى ذكر الله، واشتغلوا بأسبابه من الغسل والوضوء والتوجه إليه، ويؤيد هذا القول قول الشاعر:

أسعى على جل بني مالك ... كل امرئ في شأنه ساعي

وذروا البيع أي: اتركوا المعاملة به ويلحق به سائر المعاملات. قال الحسن: إذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل الشراء والبيع، والإشارة بقوله: ذلكم إلى السعي إلى ذكر الله وترك البيع، وهو مبتدأ وخبره خير لكم أي: خير لكم من فعل البيع وترك السعي، لما في الامتثال من الأجر والجزاء. وفي عدمه من عدم ذلك إذا لم يكن موجبا للعقوبة إن كنتم تعلمون أي: إن كنتم من أهل العلم، فإنه لا يخفى عليكم أن ذلكم خير لكم فإذا قضيت الصلاة أي: إذا فعلتم الصلاة وأديتموها وفرغتم منها فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف فيما تحتاجون إليه من أمر معاشكم وابتغوا من فضل الله أي: من رزقه الذي يتفضل به على عباده بما يحصل لهم من الأرباح في المعاملات والمكاسب، وقيل: المراد به ابتغاء ما عند الله من الأجر بعمل الطاعات واجتناب ما لا يحل واذكروا الله كثيرا أي: **ذكرا كثيرا** بالشكر له على ما هداكم إليه من الخير الأخروي والدنيوي، وكذا اذكروه بما يقربكم إليه من الأذكار، كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك لعلكم تفلحون أي: كي تفوزوا بخير الدارين وتظفروا به وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما سبب نزول هذه الآية أنه كان بأهل المدينة فاقة وحاجة، فأقبلت عير «٣» من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة، فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا في المسجد. ومعنى: «انفضوا إليها» تفرقوا خارجين إليها. وقال المبرد: مالوا إليها، والضمير للتجارة، وخصت بإرجاع الضمير إليها دون اللهو لأنها كانت أهم عندهم، وقيل: التقدير: وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهوا انفضوا إليه، فحذف الثاني لدلالة الأول عليه كما في قول الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما ... عندك راض والرأي مختلف

وقيل: إنه اقتصر على ضمير التجارة لأن الانفضاض إليها إذا كان مذموما مع الحاجة إليها فكيف

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٣٣٢/٤

(١) . وعجزه: فلم يفعلوا ولم يلاموا ولم يألوا.

(٢) . «غيظ بن مرة» : حي من غطفان بن سعد. «تبزل بالدم» : أي تشقق.

(٣) . «العير» : الإبل تحمل الطعام، ثم غلب على كل قافلة.." [١]

"فيه خوارق العادات عندها دعا زكريا ربه قال في مناجاته في جوف الليل رب هب لي من لدنك ذرية طيبة أي رب أعطني من محض قدرتك من غير وسط معتاد ولدا مباركا تقيا صالحا كهبتك لحنة- العجوز العاقر- مريم إنك سميع الدعاء (٣٨) أي مجيب الدعاء فنادته الملائكة أي جبريل كما أخرجه ابن جرير عن السدي وهو قائم يصلي في المحراب أي في الموضع العالي الشريف في المسجد أن الله يبشرك بولد يسمى بيحيى.

قرأ ابن عامر وحمزة «إن» بكسر الهمزة. والباقون بالفتح مصدقا بكلمة من الله أي بعيسى ابن مريم. ومعنى كونه كلمة من الله كونه مخلوقا بلا أب.

قال ابن عباس: إن يحيى كان أكبر سنا من عيسى بستة أشهر، وكان يحيى أول من آمن وصدق بأنه كلمة الله، ثم قتل يحيى قبل رفع عيسى بمدة يسيرة وسيدا أي رئيسا للمؤمنين في العلم والحلم والعبادة والورع. قال ابن عباس: أي حليما عن الجهل. وقال مجاهد: أي كريما على الله وحصورا أي مانعا من النساء للعفة والزهد لا للعجز ونبيا من الصالحين (٣٩) أي من المرسلين قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر أي قال زكريا لجبريل: يا سيدي من أين يكون لي ولد وقد أدركني كبر السن وامرأتي عاقر أي عقيم لا تلد؟. قال ابن عباس: كان زكريا يوم بشر بالولد ابن مائة وعشرين سنة وكانت امرأته إيشاع بنت فاقوذ بنت تسعين وثمان قال أي جبريل: كذلك أي الأمر كما قلت لك من خلق ولد منكما وأنتما على حالكما من الكبر الله يفعل ما يشاء (٤٠) من الأفاعيل الخارقة للعادة

قال أي زكريا: رب اجعل لي آية أي علامة في حبل امرأتي.

قال أي الله تعالى: آيتك أي علامتك في حبل امرأتك ألا تكلم الناس أي أن لا تقدر على تكليمهم من غير خرس ثلاثة أيام متوالية بلياليها إلا رمزا أي إلا تحريكا بالشفتين والحاجبين والعينين واليدين واذكر ربك باللسان والقلب في مدة الحبسة عن كلام الدنيا مع الخلق شكر الله تعالى على هذه النعمة كثيرا أي **ذكرا كثيرا** على كل حال وسبح بالعشي والإبكار (٤١) أي صل عشيا وغدو كما كنت تصلي واذكر إذ قالت الملائكة أي جبريل لمريم مشافهة: يا مريم إن الله اصطفاك بتفرغك لعبادته وتخصيصك بأنواع اللطف والهداية، والعصمة والكفاية في أمر المعيشة وسماع كلام جبريل شفاها وطهرك من المعصية ومسيس الرجال ومن الأفعال الذميمة ومن مقالة اليهود وتهمتهم. ويقال: أنجاك من القتل واصطفاك على نساء العالمين (٤٢) بولادة عيسى من غير أب ونطقه حال انفصاله من مريم حتى شهد ببراءتها عن التهمة.

روي أنه صلى الله عليه وسلم قال: «حسبك من نساء العالمين أربع: مريم، وآسية امرأة فرعون، وخديجة،." [٢]

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٢٧١/٥

(٢) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ١٢٤/١

"يكون تابعا له مثاله من كان يقصد مدينة، فنزل بطريق تلك المدينة في قرية يصح منه في العرف أن يقول في جواب من يقول: لم جئت إلى هذه القرية؟ إني جئت إلى هذه القرية، وإنما قصدت المدينة الفلانية، وهذه وقعت في طريقي، وإن كان قد جاءها ودخلها إذا عرفت هذا فإن الخير كله بقضاء، وما في العالم من الضرر بقدر. ثم وصف الله تعالى الذين خلوا بقوله تعالى:

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه في تبليغ الرسالة ولا يخشون أحدا إلا الله أي الذين هم كانوا رسلا مثل محمد وكفى بالله حسيبا (٣٩) ، أي كافيا للمخاوف، فينبغي أن لا يخشى غيره، أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب أن يكون حق الخشية منه تعالى. ما كان محمد أبا أحد من رجالكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها، فليس محمد أبا زيد ولكن رسول الله، أي ولكن كان محمد رسولا لله والعامة على تخفيف «لكن» ، ونصب «رسول» على إضمار «كان» .

وقرأ أبو عمرو وفي رواية بتشديدها على أن «رسول» اسمها، والخبر محذوف، أي ولكن رسول الله. هو وقرأ زيد بن علي، وابن أبي عبلة بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء وخبره مقدر، أي هو، أو بالعكس، أو ولكن هو رسول الله. وخاتم النبيين أي وكان آخرهم الذين ختموا به. وقرأ عاصم بفتح التاء. والباقون بكسرها، أي فإن رسول الله كالأب للأمة في الشفقة من جانبه وفي التعظيم من طرفهم، بل أقوى، فإن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، والأب ليس كذلك، ثم إن النبي الذي يكون بعده، نبي إن ترك شيئا من النصيحة يستدركه من يأتي بعده وأما من لا نبي بعده يكون أشفق على أمته، وأهدى لهم إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) . ومن جملته الحكم الذي بينه لكم وكنتم منه في شك، والحكمة في تزوجه صلى الله عليه وسلم بزوجة من تبناه إكمال شرعه، وذلك أن قول النبي يفيد شرعا لكن إذا امتنع هو عنه يبقى في بعض النفوس نفرة، ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم أحل أكل الضب، ثم لما لم يأكله بقي في النفوس شيء، ولما أكل لحم الجمل طاب أكله عندها مع أنه في بعض الملل لا يؤكل، وكذلك الأرنب.

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله بما هو أهله من التهليل، والتحميد باللسان والقلب، **ذكرا كثيرا** (٤١) يعم الأوقات والأحوال أي بالليل والنهار، والبر والبحر، والصحة

والسقم، في السر والعلانية عند المعصية والطاعة. وسبحوه أي نزهوه عما لا يليق به. بكرة وأصيلا (٤٢) .

وهذا إشارة إلى المداومة وذلك، لأن مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط، هو الذي يصلي عليكم وملائكته أي فالله تعالى وملائكته يعتنون بما فيه خيركم وصلاح أمركم، فالله يهديكم برحمته والملائكة يستغفرون لكم ليخرجكم من الظلمات إلى النور، أي يخرجكم بذلك من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة، وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) أي وكان." (١)

"كتاب الأذكار والدعوات

(فضيلة الذكر)

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٢٥٦/٢

من الآيات قوله سبحانه وتعالى: (فاذكروني أذكركم) [البقرة: ١٥٢] وقال تعالى: (اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) [الأحزاب: ٤١] وقال تعالى: (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) [آل عمران: ١٩١] وقال تعالى: (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) [النساء: ١٠٣] قال «ابن عباس» : «أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية» ، وقال تعالى: (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) [الأعراف: ٢٠٥] وقال تعالى في ذم المنافقين: (ولا يذكرون الله إلا قليلا) [النساء: ١٤٢] .

ومن الأخبار قوله صلى الله عليه وسلم: يقول الله عز وجل: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه.

وقال صلى الله عليه وسلم: من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل.

وسئل صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ فقال: أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل.

وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى: إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه وإذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا الحديث.

ومن الآثار قول الحسن: «الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك وبين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره، وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل» .

فضيلة مجالس الذكر:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة." [(١)]

"القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ٤٠]

قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء (٤٠)

قال رب أنى أي كيف أو من أين يكون لي غلام وقد بلغني الكبر أي أدركني الكبر الكامل المانع من الولادة فأضعفني وامرأتي عاقر أي ذات عقر، فهو على النسب، وهو في المعنى مفعول أي معقورة، ولذلك لم يلحق تاء التأنيث قال كذلك يكون لك الولد على الحال التي أنت وزوجتك عليها لأن الله تعالى لا يحتاج إلى سبب بل الله يفعل ما يشاء لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر. وفي إعراب كذلك أوجه. منها: أنه خبر لمحذوف أي الأمر كذلك. وقوله تعالى:

الله يفعل ما يشاء بيان له. ومنها أن الكاف في محل النصب على أنها في الأصل نعت لمصدر محذوف. أي الله يفعل ما يشاء فعلا من ذلك الصنع العجيب الذي هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة آل عمران (٣) : آية ٤١]

قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار (٤١)

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/٨٢

قال زكريا رب اجعل لي آية أي علامة أعرف بها حصول الحمل. وإنما سألها لكون العلوق أمرا خفيا لا يوقف عليه. فأراد أن يعلمه الله به من أوله ليتلقى تلك النعمة بالشكر من أولها ولا يؤخره إلى أن يظهر ظهورا معتادا قال الله تعالى آيتك ألا تكلم الناس أي أن لا تقدر على تكليمهم ثلاثة أيام إلا رمزا أي إشارة بيد أو رأس. وإما جعلت آيته ذلك لتخليص المدة لذكره تعالى شكرا على ما أنعم به عليه. وقيل: كان ذلك عقوبة منه تعالى بسبب سؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إياه- حكاه القرطبي عن أكثر المفسرين- واذكر ربك كثيرا أي **ذكرا كثيرا** وسبح أي وسبحه بالعشي وهو آخر النهار. ويقع العشي أيضا على ما بين الزوال والغروب والإبكار وهو الغدوة أو من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس. قال السيوطي في (الإكليل) : في الآية الحث على ذكر الله تعالى وهو من شعب الإيمان.

قال محمد بن كعب: لو رخص الله لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا لأنه منعه من الكلام وأمره بالذكر- أخرجه ابن أبي حاتم-.." (١)

"قدمنا في مقدمة الكتاب مصطلح السلف في قولهم (نزلت هذه الآية في كذا) وبينا أنه قد يراد بذلك، أن الآية تشمل ذلك الشيء لدخوله في عمومها، لا أنه سبب لنزولها، وذلك في بعض المقامات، وما هنا منه. وبتحقيق هذا يسقط ما للرازي هنا من أنه إذا قيل بنزولها في منع المأموم من الجهر بالقراءة، يذهب تناسب الآية مع ما قبلها من إفحام المشركين، بأن يستمعوا لقراءته، ليقفوا على إعجازه. وما للخازن، بأن الآية مكية، وخطبة الجمعة والعيدين شرعتا بالمدينة- فافهمه-
.

الثالث-

روى الإمام أحمد «١» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من استمع إلى آية من كتاب الله، كتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة» .

قال ابن كثير تفرد به الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

وقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأعراف (٧) : آية ٢٠٥]

واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين (٢٠٥)

واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد عام. أو المعنى: واذكر ربك أيها الإنسان. والأول أظهر، لأن ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من خصائصه، فإنه مشروع لأمته. وقد أوضح هذا آية: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا [الأحزاب: ٤١- ٤٢] . والأمر بالذكر، قال الزمخشري: هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك. وقال بعض الزيدية: هذا الأمر يحتمل الوجوب، إن فسر الذكر بالصلاة، وإن أريد الدعاء أو الذكر باللسان، فهو محمول على

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢/٣١٥

الاستحباب. قال: وبكل فسرت الآية.

ثم إنه تعالى ذكر آدابا لذكره:

الأول- أن يكون في نفسه، لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص، وأقرب إلى الإجابة، وأبعد من الرياء.

---

(١) أخرجه في المسند ٢/ ٣٤١.." [(١)]

"قال ابن القيم في (زاد المعاد) : ومن خصائص زينب أن الله سبحانه كان هو وليها الذي زوجها لرسوله من فوق سماواته. وتوفيت في أول خلافة عمر بن الخطاب.

وكان أولا عند زيد بن حارثة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه، فلما طلقها زوجه الله إياها، لتتأسى به أمته في نكاح أزواج من تبنوه. انتهى.

السابع- قالوا: لا ينقض عموم قوله تعالى: من رجالكم بكونه صلى الله عليه وسلم أبا للطاهر والقاسم وإبراهيم، لأنهم لم يبلغوا الحلم. ولو بلغوا لكانوا رجالا له، صلى الله عليه وسلم، لا لهم. انتهى.

وهذا من التعمق في البحث. وإلا فدلالة السياق أوضح من تخصيص الإضافة.

قال ابن كثير: لم يعيش له عليه الصلاة والسلام ولد ذكر، حتى بلغ الحلم. فإنه صلى الله عليه وسلم ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة رضي الله عنها. فماتوا صغارا، وولد له صلى الله عليه وسلم إبراهيم من مارية القبطية. فمات أيضا رضيعا. وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، رضي الله عنهن أجمعين. فمات في حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث. وتوفيت فاطمة بعده بستة أشهر. انتهى.

ثم أمر تعالى بكثرة ذكره، والعناية بشكره لما من به من هدايته، إلى نور شريعته حتى ينسى عار الكفر وجاهليته، بقوله سبحانه:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله أي بما هو أهله من صنوف التحميد والتمجيد ذكرا كثيرا أي يعم الأوقات والأحوال. قال ابن عباس رضي الله عنهما.

إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة، إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه. ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، وأمرهم به في الأحوال كلها. فقال تعالى: فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم [النساء: ١٠٣] ، وقال اذكروا الله ذكرا كثيرا، أي بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال وسبحوه بكرة وأصيلا أي في أول النهار

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٤٧/٥

وآخره، ليسري أثر التسبيح فيهما بقية النهار والليل. لأن ذكره وتسبيحه، يفيدان تنوير القلوب وقت خلوها عن الأشغال. قال الزمخشري: والتسبيح من جملة الذكر. وإنما اختصه من بين أنواعه." (١)

"وقوله تعالى: فما لكم عليهن من عدة تعتدونها هذا أمر مجمع عليه بين العلماء، أن المرأة إذا طلقت قبل الدخول بها، لا عدة عليها. فتذهب فتتزوج في فورها من شاءت. ولا يستثنى من هذا إلا المتوفى زوجها. فإنها تعتد منه أربعة أشهر وعشرا. وإن لم يكن دخل بها، بالإجماع أيضا. وقوله تعالى: فمتعوهن المتعة هاهنا أعم من أن تكون نصف الصداق المسمى، أو المتعة الخاصة إن لم يكن قد سمى لها. قال تعالى: وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم [البقرة: ٢٣٧] ، وقال عز وجل: لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف، حقا على المحسنين [البقرة: ٢٣٦] .

وعن ابن عباس: إن كان سمى لها صداقا، فليس لها إلا النصف. وإن لم يكن سمى لها صداقا، فأمتعها على قدر عسره ويسره، وهو السراح الجميل. انتهى.

وعليه، فالآية في المفوضة التي لم يسم لها. وقيل: الآية عامة. وعليه، فقيل الأمر للوجوب، وأنه يجب مع نصف المهر المتعة أيضا. ومنهم من قال للاستحباب، فيستحب أن يمتعها مع الصداق بشيء.

لطيفة:

قال الرازي: وجه تعلق الآية بما قبلها، هو أن الله تعالى في هذه السورة، ذكر مكارم الأخلاق، وأدب نبيه على ما ذكرناه. لكن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بما أمر به نبيه المرسل، فكلما ذكر للنبي مكرمة، وعلمه أدبا، ذكر للمؤمنين ما يناسبه. فكما بدأ الله في تأديب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما يتعلق بجانب الله، بقوله يا أيها النبي اتق الله [الأحزاب: ١] ، وثنى بما يتعلق بجانب العامة بقوله يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا [الأحزاب: ٤٥] ، كذلك بدأ في إرشاد المؤمنين بما يتعلق بجانب الله فقال: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** [الأحزاب: ٤١] ، ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت أيديهم بقوله يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم، كما ثلث في تأديب النبي بجانب الأمة، ثلث في حق المؤمنين بما يتعلق بجانب نبيهم، فقال بعد هذا يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي [الأحزاب: ٥٣] ، وبقوله: يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه. انتهى.." (٢)

"سورة العنكبوت

(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب.) سورة ص

(أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) سورة النساء

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٨/٨٩

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٨/٩٣

(الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد) سورة الزمر

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) سورة الحشر

(إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)

(ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما) سورة الأحزاب." (١)

"ومنشأ الاشتباه عند بعضهم أن الله تعالى أمرنا بذكره وتسبيحه في آيات، وبذكر اسمه وتسبيح اسمه في آيات أخرى، فقال تعالى: (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) (٧٣: ٨٩) (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) (٧٦: ٢٥) (ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) (٢٢: ٤٠) (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين) (٦: ١١٨) (وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) (٦: ١١٩) (فاذكروا اسم الله عليها صواف) (٢٢: ٣٦) أي البدن عند نحرها، وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا) (٣٣: ٤١ - ٤٢) . (فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم) (٢: ١٩٨) . (فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ٢) (: ٢٠٠) . (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض) (٣: ١٩١) . (فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) (٤: ١٠٣) . وقال تعالى في التسبيح: (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته

ويسبحونه وله يسجدون) (٧: ٢٠٦) أي يسبحون ربك فعدى التسبيح بنفسه إلى ضمير الرب كما عداه بنفسه إلى اسم الرب في قوله تعالى: (سبح اسم ربك الأعلى) (٨٧: ١) وبالباء في قوله: (فسبح باسم ربك العظيم) (٥٦: ٧٤، ٩٦) . وقال (سبح لله ما في السماوات والأرض) (٥٧: ١) ومثله كثير. وقال تعالى: (فتبارك الله) (٢٣: ١٤) . (تبارك الذي نزل الفرقان) (٢٥: ١) كما قال: (تبارك اسم ربك) (٥٥: ٧٨) .

رأى بعضهم أن يجمع بين هذه الآيات بجعل الاسم عين المسمى، وأن ذكر الله وذكر اسمه وتسبيحه وتسبيح اسمه واحد؛ لأن اسمه عين ذاته، وأن هذا خير من القول بأن لفظ " اسم " مقحم زائد. والصواب أن الذكر في اللغة ضد النسيان، وهو ذكر القلب، ولذلك قرنه بالتفكر في سورة آل عمران (٣: ١٩١) وهما عبادتان قلبيتان، وقال: (واذكر ربك إذا نسيت) (١٨: ٢٤) ويطلق الذكر أيضا على النطق باللسان؛ لأنه دليل على ذكر القلب وعنوان وسبب له، وإنما يذكر اللسان اسم الله تعالى كما يذكر من كل الأشياء أسماءها، دون ذوات مسمياتها، فإذا قال: " نار " لا يقع جسم النار على لسانه فيحرقه، وإذا قال الظمآن: " ماء " لا يحصل مسمى هذا اللفظ في فيه فينقع غلته، فذكر الله تعالى في القلب هو تذكر عظمته وجلاله وجماله ونعمه، وورد التصريح بالأمر بذكر نعمة الله وآلاء الله. وذكره باللسان هو ذكر أسمائه الحسنى وإسناد

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٥/١

الحمد والشكر والثناء إليها، وكذلك تسبيحه تعالى، فالقلب يسبحه باعتقاد كماله وتذكر تنزيهه عما لا يليق به، واللسان يسبحه بإضافة التسبيح إلى أسمائه من غير ذكر للفظ الاسم. روى أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم في " مستدركه " وابن حبان في " صحيحه " عن عقبة بن عامر قال: لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم " قال لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " اجعلوها في ركوعكم " فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى " قال: " اجعلوها في سجودكم " والمراد أن يقولوا: " سبحان ربي العظيم " لا "." (١)

"والطريق إلى هذه المعرفة والحب كثرة الذكر والفكر، وتدبر القرآن مع التزام سائر أحكام الشرع، وإنما الذكر ذكر القلب، مع حسن النية وصحة القصد، وتأمل سننه وآياته في الخلق، بأن تذكر عند رؤية كل حسن وجمال وكمال في الكون أنه من الله عز وجل، وأن تذكره عند سماع كل صوت من ناطق مفهوم، وصامت معلوم، كخرير المياه، وهزيز الرياح، وحفيف الأشجار، وتغريد الأطيار. وكذا نغمات الأوتار. وتتذكر أنها تسبح بحمد الله، ومن صنع الله الذي أتقن كل شيء، كما قال تعالى في تسبيح نبيه داود عليه السلام،

في زبوره: إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب (٣٨: ١٨، ١٩) .

والمحفوظ عند أهل الكتاب في خاتمة الزبور وهو المزمور المائة والخمسون: " سبحوا الله في قدسه، سبحوه في فلك قوته، سبحوه على قواته، سبحوه بصوت الصور، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار سبحوه بصنوج التصويت، سبحوه بصنوج الهتاف، كل نسمة فلتسبح الرب هللوا " اهـ.

وفي المزامير كثير من هذه التسابيح في المعازف، وكان من شريعة موسى عليه السلام، ولكنه ليس من ديننا، وشعائر شريعتنا، والتحقيق أن شرع من قبلنا ليس شرعا لنا، ولم يأذن الله تعالى لنا أن نحدث شيئا في دينه بآرائنا وأهوائنا، وهو قد أكمل لنا الدين، وبلغنا رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن كل بدعة ضلالة وقال: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد متفق عليه، وقد ابتدع بعض الصوفية إدخال المعازف والرقص في ذكر الله بما يجتمعون له فيجعلونه من قبيل الشعائر، وإنما الذي نطق به كتاب الله، إثبات تسبيح كل شيء لله، قال تعالى: تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم (١٧: ٤٤) .

فالذي ينبغي لنا أن نستفيده من ذلك أن نذكر في قلوبنا عند رؤية كل شيء من صنع الله، وسماع كل صوت من مخلوقات الله، أنه يسبح بحمد الله بدلالته على تنزيهه عما لا يليق به، وعلى قدرته وحكمته ومشيئته ورحمته، وأن لها تسبيحا آخر غيبيا لا نفقهه بكسبنا؛ لأننا لا ندرك حياتها، وقد يكون إدراكه ثمرة روحية لمن زكت أنفسهم بذكر الله وتسبيحه، وخرجوا به من ظلمات الأهواء والشهوات إلى نور قدسه، يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما." (٢)

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٥/١

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢١٣/١٠

"اللغوية التي موضوعها المصالح العامة من دينية ودنيوية، كوسائل الجهاد وتأليف الكتب وبناء المدارس والمستشفيات وتنوير المساجد.

إن قيل: إن هذه الزيادة التي أتى بها الصالحون هي من المشروع بإطلاقات الكتاب والسنة العامة كقوله تعالى: اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٣٣: ٤١) وقوله: صلوا عليه وسلموا تسليما (٣٣: ٥٦) فلا تنافي ما تقدم – قلنا:

(٤) إن حقيقة الاتباع المأمور به أن يلتزم إطلاق ما أطلقته نصوص

الكتاب والسنة، وتقييد ما قيدته؛ ولذلك قال الفقهاء: " وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان " – وهذه عبارة المنهاج – وما ذلك إلا أنهما قيدتا بعدد معين، وكيفية مخصوصة، وزمن مخصوص وهذا حق الشارع لا المكلف – وإلا فهما من الصلاة التي هي أفضل العبادات، وقد فصل هذا الموضوع الإمام الشاطبي في كتابه الاعتصام.

(٥) إن الزيادة على المشروع في العبادة كالنقص منه، وإن التكلف والمبالغة في المشروع منها غلو في الدين، وهو مذموم شرعا بالإجماع، وصح عن النبي - صلى الله عليه وسلم - النهي عنه، والأمر بالمستطاع منه.

(٦) إن الزيادة لا يتحقق كونها زيادة إلا مع الإتيان بالأصل، فمن ترك شيئا من المأثور المشروع، وأتى بشيء من هذه العبادات المبتدعة فهو مفضل له على ما شرعه الله تعالى أو سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وكفى بذلك ضلالا واتباعا للهوى، ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه يأتي بشيء منها إلا بعد إتيانه بجميع ما صح في الكتاب والسنة في ذلك، وأكثر المتعبدين بهذه الأوراد والأحزاب لا يعنون بحفظ المأثور ولا يعلمونه، إلا قليلا من المشهور بين العامة كالوارد عقب الصلوات، وهم يبتدعون فيه بالاجتماع له، ورفع الصوت به كما بينه الشاطبي وسماه البدعة الإضافية، ورد بحق على من تساهل فيه من المتفقهة.

(٧) إن هذه الأوراد والأحزاب لا يخلو شيء منها فيما اطلعنا عليه من أمور منكرة في الشرع، وأمور لا يجوز فعلها إلا بتوقيف منه، كوصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه، ولا وصفه به رسوله أو القسم عليه بخلقه، أو بحقوقهم عليه بدون إذنه، أو القسم بغيره، وقد سماه الرسول - صلى الله عليه وسلم - شركا، وكذا وصف رسوله - صلى الله عليه وسلم - بما لا يصح وصفه به، وإسناد أفعال إليه لم تصح بها رواية، وكذا الغلو فيه صلوات الله وسلامه عليه، بما لا يليق إلا بربه وخالقه وخالق كل شيء، ومنه ما هو كفر صريح. ولبعض الدجالين المعاصرين صلوات وأوراد فيها من هذه المنكرات

ما لا يوجد في غيرها من أمثالها، والذين يعرفون سيرة هؤلاء الدجالين يعلمون أنهم وضعوها للتجارة بالدين." (١)

"ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك، فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك

---

(١) تفسير المنار   محمد رشيد رضا ٣٢٧/١٠

ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان: قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر، فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلى ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له، فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل " اهـ المراد منه.

بعد الأمر بالاستماع والإصغاء لتلاوة القرآن، في سياق حصانة الأنفس من مس الشيطان، أمرنا تعالى بالذكر العام الشامل للقرآن تلاوة وتدبرا ولغيره، فإن كل نوع من أنواع ذكره تعالى حصن للنفس وتزكية لها فقال:

واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول قال ابن جرير: إن الأمر بالذكر هنا موجه إلى مستمع القرآن أمر بأن يتدبر في نفسه ما يسمع. وقال عطية العوفي: إن المراد بالذكر هنا الدعاء – والجمهور على أنه أمر عام كما تقدم، وأن الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه. والتضرع إظهار الضراعة، وهي الذلة والضعف والخضوع بكثرة وشدة عناية. والخيفة حالة الخوف والخشية – أي واذكر ربك الذي خلقك ورباك بنعمه في نفسك بأن تستحضر معنى أسمائه وصفاته وآياته وآلائه وفضله عليك وحاجتك إليه متضرعا له خائفا منه، راجيا نعمه – واذكره بلسانك مع ذكره في نفسك ذكرا دون الجهر برفع الصوت من القول، وفوق التخافت والسر، بل ذكرا قصدا وسطا – كما قال في آخر سورة الإسراء: ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا (١٧: ١١٠) ولا تحصل فائدة الذكر باللسان إلا مع ذكر القلب، وهو ملاحظة معاني القول، وكأي من ذي ورد يذكر الله **ذكرا كثيرا** يعد بالسبحة منه المئين أو الألوف ثم لا يفيده كل ذلك معرفة بالله ولا مراقبة له، بل هو عادة تقارنها عادات أخرى منكرة شرعا. وما ذلك إلا أنه ذكر لساني محض لا حظ فيه للقلب. ذكر النفس وحده ينفع دائما، وذكر اللسان وحده قلما ينفع، وقد يكون في بعض الأحوال ذنبا. والأكمل الجمع بين ذكر اللسان والقلب.." (١)

"وبعد أن بين تعالى صفة الذكر والذاكر بين وقته فقال: بالغدو والآصال الغدو مصدر غدا يغدو – كعلا يعلو علوا – أي ذهب غدوة وهو أول النهار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، ثم توسع فيه حتى استعمل بمعنى الذهاب مطلقا – ويقابله الرواح وهو الرجوع – ومنه غدوها شهر ورواحها شهر (٣٤: ١٢) والآصال جمع أصيل وهو العشي من وقت العصر إلى غروب الشمس، فهو كقوله تعالى في سورة الأحزاب: يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا (٣٣: ٤١، ٤٢) وقوله في سورة الدهر أو الإنسان واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا (٧٦: ٢٥) وقوله في سورة آل عمران: وسبح بالعشي والإبكار (٣: ٤١) وخص هذان الوقتان بالذكر؛ لأنهما طرفا النهار، ومن افتتح نهاره بذكر الله، واختتمه به كان جديرا بأن يراقبه تعالى

ولا ينساه فيما بينهما، وأهم الذكر فيهما صلاتا الفجر والعصر اللتان تحضرهما ملائكة الليل وملائكة النهار، ويشهدان عند الله تعالى بما وجدا عليه العبد كما ورد في الصحيح.

ولا تكن من الغافلين عن ذكره تعالى في سائر الأوقات، وإنما يتسامح بقلة الذكر فيما بين البكرة والأصيل؛ لأنه وقت العمل للمعاش، فمن غفل عن ذكره تعالى مرض قلبه، وضعف إيمانه، واستحوذ عليه الشيطان فأنساه نفسه، ولله در القائل

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٩/٤٦٤

إذا مرضنا تداوينا بذكركم ... ونترك الذكر أحيانا فننتكس

ثم عزز عز وجل هذا الأمر وهذا النهي بما يعد خير أسوة للإنسان، وهو التشبه والمشاركة لملائكة الرحمن، فقال: إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته أي: إن ملائكة الله المقربين، الذين هم عنده كحملة عرشه والحافين به ومن شاء، تقدس وتعالى بهذه العناية الشريفة التي لا يعلمها سواه، وهم أعلى مقاما من الموكلين بالمخلوقات وتدبير نظامها كالسحاب والمطر والريح والجنة والنار – إن هؤلاء المقربين العالين عنده لا يستكبرون عن عبادته كما يستكبر عنها هؤلاء المشركون، الذين عد بعضهم السجود لله تعالى حطة وضعة لا تحتمل ويسبحونه أي ينزهونه عن كل ما لا يليق بعظمته وكبريائه وجلاله وجماله من اتخاذ الند والشريك والظهير والمساعد على الخلق والتدبير، كما يفعل الذين اتخذوا من دونه شفعاء أندادا لله يحبونهم كحب الله ويعبدونهم مع الله وله يسجدون أي: وله وحده يصلون ويسجدون، فلا يشركون معه أحدا، فيجب أن يكون لكل مؤمن أسوة حسنة بخواص ملائكته، وأقرب المقربين عنده تبارك اسمه وتعالى جده.

وقد شرع الله تعالى لنا السجود عند تلاوة هذه الآية أو سماعها إرغاما للمشركين واقتداء بالملائكة العالمين، ومثلها آيات أخرى بمعناها في الجملة، وهذه هي الأولى في ترتيب المصحف. ونسأله تعالى أن يجعلنا من خير الذاكرين له، الشاكرين لنعمه المسبحين بحمده، الساجدين له دون سائر خلقه، وأن يوفقنا لإتمام تفسير كتابه إنه على كل شيء قدير.." (١)

"التسبيح وتلاوة القرآن". ونقله ابن غيلان في شرحه على حلية الأبرار للنووي (١: ١٥).

تعليق:

قد جمعنا بين الحديث المرفوع والأثر الموقوف على سعيد ابن جبير من كبار علماء التابعين لاتحادهما في المعنى وورودهما على غرض واحد، وقدمنا الحديث لأنه الأصل، وأخرنا الأثر لأنه الفرع الشاهد المقوى لسند ذلك الحديث ..

وقوله في الحديث: وإن قلت صلاته ... الخ. يريد صلاة التطوع وصيام التطوع. أما من قلت صلاته الواجبة أو صيامه الفرض فإنه عاص لا يوصف بالطاعة.

وبهذا الحديث وذلك الأثر تعلم المراد من الآيات الآمرة بالذكر كقوله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وقوله: ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ فليس المراد من الذكر في أمثال هاتين الآيتين خصوصا الذكر اللسانى، بل المراد الطاعة بجميع أنواعها من صلاة وصيام وصدقة ونصيحة وتلاوة القرآن وتسبيح وتحميد وتهليل وغير ذلك، فإن المطيع إنما أطاع الله لكونه ذكره بقلبه أو بلسانه.

وغرضنا من تقديم هذين الحديث والأثر إلى القراء أن يعلموا أولا: أن معنى الذكر أوسع مما يتخيلون، وأن بعض من يعدونهم من العباد في غير الذاكرين هم في عرف الشرع من الذاكرين.

وأن يعلموا ثانيا: أن ما عليه كثير من العوام من الاعتماد

على السبح (١) دون الطاعة هو غرور في غرور، وان كثيرا

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٩/٤٦٥

(١) كذا في الأصل. ولعل الصواب: التسبيح.." (١)

"السابقة، ولم يرجعوا إلى المدينة، وكان القتال قتال جلاد وكر وفر، وطعن وضرب، ومحاربة بالسيوف، ومبارزة فى الصفوف- ما قاتلوا إلا قتالا يسيرا رياء وخوفا من العار، لا قتالا يحتسبون فيه الثواب من الله وحسن الأجر.

وبعد أن فصل أحوالهم، وشرح نذالتهم، وعظيم جبنهم- عاتبهم أشد العتب، وأبان لهم أنه قد كان لهم برسول الله معتبر لو اعتبروا، وأسوة حسنة لو أرادوا التأسى، فقال:

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) أي إن المثل العالية، والقدوة الحسنة ماثلة أمامكم لو شئتم، فتحتذون الرسول فى أعماله، وتسيرون على نهجه لو كنتم تبتغون ثواب الله، وتخافون عقابه إذا أزفت الآزفة، وعدم النصير والمعين، إلا العمل الصالح، وكنتم تذكرون الله **ذكرا كثيرا**، فإن ذكره يؤدى إلى طاعته، ويحقق الائتساء برسوله.

وخلاصة ذلك: هلا اقتديتم بالرسول، وتأسيتم بشمائله؟.

ولما ذكر سبحانه حال المنافقين- ذكر حال المؤمنين حين لقاء الأحزاب، فقال:

(ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما) أي ولما أبصر المؤمنون الصادقون المخلصون لله فى القول والعمل- الأحزاب الذين أدهشت رؤيتهم العقول، وتبلبلت لها الأفكار، واضطربت الأفئدة- قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار الذي يعقبه النصر فى نحو قوله: «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب» وقوله: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون»

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم، والعاقبة لكم عليهم»

وقوله: «إنهم سائرون إليكم تسعا أو عشرا» أي فى آخر تسع ليال أو عشر من حين الإخبار.." (٢)

"(٨) الصوم فإنه نعم العون على كسر الشهوة كما

روى ابن ماجه من قوله صلى الله عليه وسلم «والصوم زكاة البدن»

أي إنه يزكيه ويطهره من الأخلاط الرديئة طبعا وشرعا،

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» .

(٩) حفظ الفروج عن المحارم والآثام كما جاء فى الآية الأخرى: «والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون» .

(١) مجالس التذكير من حديث البشير النذير ابن باديس، عبد الحميد ص/١٩٩

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٤٦/٢١

(١٠) ذكر الله **ذكرا كثيرا** بالألسنة والقلوب، روى عن مجاهد أنه قال:
لا يكتب الرجل من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله تعالى قائما وقاعدا ومضطجعا.
وأخرج النسائي وابن ماجه وأبو داود وغيرهم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات»
: روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «سبق المفردون، قالوا وما المفردون؟ قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» .
وروى أحمد عن سهل بن معاذا الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن رجلا سأله فقال: أى المجاهدين أعظم أجرا يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله تعالى ذكرا، قال فأى الصائمين أكثر أجرا؟ قال صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله عز وجل ذكرا، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثرهم لله ذكرا، فقال أبو بكر لعمر رضى الله عنهما:
ذهب الذاكرون بكل خير، فقال صلى الله عليه وسلم: أجل» .
هؤلاء الذين جمعوا هذه الأوصاف يمحو عنهم ذنوبهم ويؤتيهم الأجر العظيم فى جنات النعيم.." (١)
"أولاد النبي صلى الله عليه وسلم
ولد للنبي صلى الله عليه وسلم من خديجة ثلاثة ذكور: القاسم والطيب والطاهر، وماتوا صغارا لم يبلغ أحد منهم الحلم، وولد له إبراهيم من مارية القبطية ومات رضيعا، وولد له من خديجة أربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، والثلاث الأول متن فى حياته صلى الله عليه وسلم. وماتت فاطمة بعد أن قبض صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى بستة شهور.
(وكان الله بكل شيء عليما) فيعلم من الأجدر بالبدء به من الأنبياء، ومن الأحق بأن يكون خاتمهم، وبعلم المصالح فى ذلك.
ونحو الآية قوله: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» .

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

المعنى الجملي
بعد أن ذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي صلى الله عليه وسلم مع ربه من تقواه وإخلاصه له فى السر والعلن، وما ينبغي أن يكون عليه مع أهله وأقار به من راحتهم وإيثارهم على نفسه فيما يطلبون كما يومئ إلى ذلك قوله: (يا أيها النبي قل

---
(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٠/٢٢

لأزواجك) إلخ، أرشد عباده إلى تعظيمه تعالى وإجلاله بذكره والتسبيح له بكرة وأصيلا، فهو الذي يرحمهم، وملائكته يستغفرون لهم، كى يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وكان بعباده المؤمنين رحيما.." (١)

"الإيضاح

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) أي أيها الذين صدقوا الله ورسوله، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم **ذكرا كثيرا** فى جميع أحوالكم جهد الطاقة، لأنه المنعم عليكم بأنواع النعم، وصنوف المنن.

(وسبحوه بكرة وأصيلا) أي ونزهوه عما لا يليق به طرفى النهار، لأن وقت البكرة وقت القيام من النوم وهو يعد كأنه حياة جديدة بعد موت، ووقت الأصيل وقت الانتهاء من العمل اليومي، فيكون الذكر شكرا له على توفيقه لأداء الأعمال، والقيام بالسعي على الأرزاق فلم يبق إلا السعى إلى ما يقربه من ربه بالعمل للآخرة.

ثم ذكر السبب فى هذا الذكر والتسبيح فقال:

(هو الذي يصلي عليكم وملائكته) أي إن ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا- هو الذي يرحمكم ويثنى عليكم فى الملإ من عباده، وتستغفر لكم ملائكته.

وفى هذا من التحريض على ذكره والتسبيح له مالا يخفى.

(ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أي إنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم- أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان.

(وكان بالمؤمنين رحيما) فى الدنيا والآخرة، أما فى الدنيا فانه هداهم إلى الحق الذي جهله غيرهم، وبصصرهم الطريق الذي حاد عنه سواهم من الدعاة إلى الكفر، وأما فى الآخرة فإنه آمنهم من الفزع الأكبر وأمر الملائكة أن يتلقوهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وهذا ما أشار إليه بقوله:

(تحيتهم يوم يلقونه سلام) أي تحييهم الملائكة بذلك إذا دخلوا الجنة، كما قال تعالى: «والملائكة يدخلون عليهم من كل باب. سلام عليكم بما صبرتم» .." (٢)

"المعدود، وعدة المرأة: الأيام التي بانقضائها يحل بها التزوج، فمتعوهن: أي أعطوهن المتعة، وهى قميص وخمار (ما تغطى به المرأة رأسها) وملحفة (ما تلتحف به من قرنها إلى قدمها- ملاية) سرحوهن: أي أخرجوهن من منازلكم، سراحا جميلا: أي إخراجا مشتملا على لين الكلام خاليا من الأذى.

المعنى الجملي

أدب الله نبيه بمكارم الأخلاق بقوله: يا أيها النبي اتق الله، وثنى بتذكيره بحسن معاملة أزواجه بقوله: يا أيها النبي قل لأزواجك، وثلث بذكر معاملته لأمته بقوله:

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا، وكان كلما ذكر للنبى مكرمة، وعلمه أدبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه، فأرشد المؤمنين فيما

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٧/٢٢

(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٨/٢٢

يتعلق بجانبه تعالى بقوله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا، وفيما يتعلق بما تحت أيديهم من الزوجات بقوله: يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات، وفيما يتعلق بمعاملتهم لنبيهم بقوله لا تدخلوا بيوت النبي إلخ، وقوله:
(يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

الإيضاح

أي يا أيها الذين آمنوا إذا عقدتم على المؤمنات وتزوجتموهن ثم طلقتموهن من قبل المسيس، فلا عدة لكم عليهن بأيام يتربصن بها تستوفون عددها، ولكن اكسوهن كسوة تليق بحالهن إذا خرجن وانتقلن من بيت إلى آخر، ويختلف ذلك باختلاف البيئة والبلد الذي تعيش فيه المرأة، وأخرجوهن إخراجا جميلا، فهيئوا لهن من المركب والزاد وجميل المعاملة ما تقر به أعينهن ويسر به أهلوهن، ليكون فى ذلك بعض السلوة مما لحقهن من أذى بقطع العشرة التي كن ينتظرن دوامها، ومن الخروج من بيوت كن يرجون أن تكون هى المقام إلى أن يلاقين ربهن أو تموت عنهن بعولتهن.
روى البخاري عن سهل بن سعد وأبي أسيد رضى الله عنهما قالا: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج أميمة بنت شراحيل، فلما أن دخلت عليه بسط يده إليها،." (١)

"بسماع ندائه واستجابة دعائه- سأل ربه عن كيفية تلك الاستجابة، وهى على غير السنة الكونية، فأجابه بقوله:
(قال كذلك الله يفعل ما يشاء) أي قال تعالى بتبليغ ملائكته: كذلك الله يفعل ما يشاء، فمتى شاء أمرا أوجد له سببه أو خلقه بغير الأسباب المعروفة، فلا يحول دون مشيئته شيء، ففوض إليه الأمر ولا تسأل عن الكيفية، فلا سبيل لك للوصول إلى معرفتها.
(قال رب اجعل لي آية) أي قال: رب اجعل لى علامة تدلنى على الحمل، وقد سأل ذلك استعجالا للسرور قاله الحسن البصري، وقيل: ليتلقى تلك النعمة بالشكر حين حصولها، ولا يؤخره حتى يظهر ظهورا معتادا.
(قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا) أي علامة ذلك ألا تقدر على تكليم الناس، بل تعجز عن خطابهم بحصر يعترى لسانك إذا أردته، ثلاثة أيام متوالية مع لياليها إلا بإشارة بيد أو رأس أو نحوهما، ولا تعجز عن ذكر الله وتسبيحه لتكون المدة كلها مشغولة بالذكر قضاء لحق الشكر.
(واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار) أي واذكره ذكرا كثيرا في أيام الحبسة شكرا له، وسبحه في الصباح والمساء.

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٤٢ الى ٤٤]
وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين (٤٢) يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين (٤٣) ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون (٤٤)." (٢)

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ٢١/٢٢
(٢) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٤٩/٣

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨) يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩) يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما (٥٠) ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما (٥١) لا يحل لك." (١)

"قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) ﴾.

عن ابن عباس في قوله: ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ ، يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها جزاء معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله. قال: ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. فقال: ... ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ ، فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته. قال الله عز وجل: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ .

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ ، هذا تهييج إلى الذكر. أي: إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، كقوله عز وجل: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون * فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ . وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «يقول الله تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» . (والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد." (٢)

---

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ٣/٥٠٥

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ٣/٥٠٧

"جملة: «أذن للذين ... » لا محل لها استئنافية.

وجملة: «يقاتلون ... » لا محل لها صلة الموصول (الذين) .

وجملة: «ظلموا ... » في محل رفع خبر أن.

وجملة: «إن الله ... لقدير» لا محل لها معطوفة على جملة أذن.

(الذين) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم «١» ، و (الواو) في (أخرجوا) نائب الفاعل (من ديارهم) متعلق ب (أخرجوا) ، (بغير) متعلق بحال من نائب الفاعل «٢» ، (إلا) أداة استثناء..

والمصدر المؤول (أن يقولوا ...) في محل نصب على الاستثناء المنقطع «٣» .

(الواو) استئنافية (لولا) حرف امتناع لوجود (دفع) مبتدأ مرفوع خبره محذوف تقديره موجود (الناس) مفعول به للمصدر دفع (بعضهم) بدل من الناس منصوب (ببعض) متعلق ب (دفع) ، (اللام) واقعة في جواب لولا (صوامع) نائب الفاعل لفعل هدمت (فيها) متعلق ب (يذكر) ، (اسم) نائب الفاعل لفعل يذكر (كثيرا) مفعول مطلق نائب عن المصدر فهو صفته أي **ذكرا كثيرا** (الواو) استئنافية (اللام) لام القسم لقسم مقدر (ينصرن) مضارع مبني على الفتح في محل رفع (من) اسم موصول مفعول به في محل نصب (إن الله لقوي) مثل إن الله.. لقدير (عزيز) خبر ثان.

وجملة: « (هم) الذين أخرجوا ... » لا محل لها استئنافية.

---

(١) يجوز أن يكون في محل جر بدلا من الموصول السابق (عن الذين آمنوا) - الآية ٣٨-، أو من الموصول الثاني (للذين يقاتلون) - الآية ٣٩.. ويجوز أن يكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره أعني. [.....]

(٢) يعني مظلومين.

(٣) استثني القول من الإخراج.. والسيوطي جعل الاستثناء مفرغا بالتقدير أي: ما أخرجوا من ديارهم بأي شيء إلا بقولهم ربنا الله، فالمصدر المؤول في محل جر بحرف جر محذوف.." [١]

"عمرو. وفي (ولكن رسول الله) ولكن كان رسول الله. وعلة ذلك، أن الواو لا تعطف مفردا على مفرد مخالف له في الإيجاب والسلب، بخلاف الجملتين المتعاطفتين، فيجوز تخالفهما فيه، نحو: قام زيد ولم يقم عمرو.

٣- قال ابن عصفور: إن (لكن) عاطفة، والواو زائدة لازمة.

٤- قال ابن كيسان: إن (لكن) عاطفة، والواو زائدة غير لازمة.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

الإعراب:

---

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ١١٩/١٧

(أيها) منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب (الذين) بدل من أي في محل نصب (ذكرا) مفعول مطلق منصوب.

جملة: «يأيها الذين ... » لا محل لها استئنافية.

وجملة: «آمنوا ... » لا محل لها صلة الموصول (الذين) .

وجملة: «اذكروا ... » لا محل لها جواب النداء.

(٤٢) (بكرة) ظرف زمان منصوب متعلق ب (سبحوه) ..

وجملة: «سبحوه ... » لا محل لها معطوفة على جملة اذكروا.

(٤٣) (عليكم) متعلق ب (يصلي) ، (ملائكته) معطوفة على الضمير المستتر فاعل يصلي مرفوع، ولم يؤكد بالمنفصل لوجود الفاصل (عليكم) ، (اللام) للتعليل (يخرجكم) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام (من الظلمات) متعلق ب (يخرجكم) ، وكذلك (إلى النور) .." [(١)]

"﴿٤١ - ٤٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾ .

يأمر تعالى المؤمنين، بذكره **ذكرا كثيرا**، من تهليل، وتحميد، وتسبيح، وتكبير وغير ذلك، من كل قول فيه قربة إلى الله، وأقل ذلك، أن يلازم الإنسان، أوراد الصباح، والمساء، وأدبار الصلوات الخمس، وعند العوارض والأسباب.

وينبغي مداومة ذلك، في جميع الأوقات، على جميع الأحوال، فإن ذلك عبادة يسبق بها العامل، وهو مستريح، وداع إلى محبة الله ومعرفته، وعون على الخير، وكف اللسان عن الكلام القبيح.

﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أي: أول النهار وآخره، لفضلها، وشرفها، وسهولة العمل فيها.." [(٢)]

"- أحكم الطرق وأصدقها للدعوة إلى الحق: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ ١.

- وبالجملة، جميع طرق العمل المعترف بها والمسلمة "بالعقل والنقل"٢.

ولماذا لا نذكر في نفس المجموعة بعض أمثلة فقط لواجباتنا نحو الله؟

- الإيمان بالله: ﴿ولكن البر من آمن بالله﴾ ٣.

- طاعته: ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ ٤.

- التفكر في أقواله وأفعاله: ﴿أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ ٥.

- استدامة ذكره: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ ٦.

- الاعتراف بفضله: ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون﴾ ٧.

---

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ١٧٠/٢٢

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٦٦٧

- الاعتماد عليه: ﴿قل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت﴾ ٨.
- إسناد كل شيء لإرادته: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا، إلا أن يشاء الله﴾ ٩.
- حبه: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ ١٠.
- عبادته: ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم﴾ ١١.

---

١ ١٦/ ١٢٥ "= ١ أ".
٢ ٢/ ٢٢٨ و٢٣٢ و٢٣٣ و٢٣٤ و٢٣٥ و٢٤٠ و٢٦٣ و٤/ ٥ و٨ و١١٤ و٣٣/ ٣٢. "= ١١ ب".
٣ ٢/ ١٧٧ و٦/ ١٣٦ "= ١ أو١ ب".
٤ ٢٤/ ٥٤ "= ١ ب".
٥ ٧/ ١٨٥ و٣٠/ ٨ و٣٨/ ٢٩ "= ٣ أ".
٦ ٣٨/ ٤١ "= ١ ب".
٧ ١٦/ ٧٨ و٢٨/ ٧٣ و٤٣/ ١٢-١٤ و٥٦/ ٦٣-٦٤ "=٤ أ".
٨ ٩/ ١٢٩ و٣٩/ ٣٨ "= ١ أو١ ب".
٩ ١٨/ ٢٣ "=١ أ".
١٠ ٢/ ١٦٥ و٥/ ٥٤ "= ٢ ب".
١١ ٢/ ٢١ و٥١/ ٥٦ "= ١ أو١ ب".." (١)

"عدم رد سباب المشركين:
﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾ ١.
تجنب مجالسة الخائضين في آيات الله:
﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ ٢.
﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾ ٣.
عدم الإكثار من الحلف بالله:
﴿ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم﴾ ٤.
احترام اليمين متى حلف:
﴿واحفظوا أيمانكم﴾ ٥.

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص/٢٩٨

دوام ذكر الله:

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ ٦.

﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾ ٧.

﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ ٨.

---

١ الأنعام: ١٠٨.

٢ الأنعام: ٦٨.

٣ النساء: ١٤٠.

٤ البقرة: ٢٤٤.

٥ المائدة: ٨٩.

٦ الأحزاب: ٤١.

٧ الحشر: ١٩.

٨ الزخرف: ٣٦.." (١)

"تسبيحه وتكبيره:

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ ١.

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ ٢.

أداء الصلاة المفروضة:

﴿إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا﴾ ٣.

﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون﴾ ٤.

﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ ٥.

﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ ٦.

﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ ٧.

حج البيت "على الأقل مرة في العمر":

﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين، فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ ٨.

---

١ الأحزاب: ٤١-٤٢.

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص/٧٦٨

٢ الفتح: ٨-٩.

٣ النساء: ١٠٣.

٤ الروم: ١٧-١٨.

٥ الإسراء: ٧٨.

٦ البقرة: ٢٣٨.

٧ الإسراء: ١١٠.

٨ آل عمران: ٩٦-٩٧.." (١)

"**ذكرا كثيرا** بلسانه، دون أن يتصل شيء من هذا الذكر بعقله أو قلبه، ودون أن يظهر لذلك أثر في قوله أو فعله.. وأوضح من هذا أن هذه الأوصاف يغذى بعضها بعضا، ويمسك بعضها ببعض، فتبدو كأنها صفة واحدة، إذا نظر إليها باعتبار، وتبدو كأنها أوصاف إذا نظر إليها باعتبار آخر.. إنها أشبه بالجسد الحى.. إذا نظرت إليه مجملا وجدت ذلك الإنسان، المشخص بذاته، وصفاته، وإذا نظرت إليه مفصلا، وجدته ذلك الإنسان المشخص بذاته وصفاته.. وملاك الحياة في هذا الجسد هو القلب، كما أن ملاك تلك الأوصاف، هو الإيمان المستقر فى هذا القلب! والسؤال الثاني، الذي يلقانا من هذه الآية الكريمة، هو: هل هذا الجمع لتلك الصفات منظور فيه إلى شيء أكثر من مجرد الجمع والحصر، دون مراعاة للترتيب، والتقديم والتأخير؟ وإذا كان هناك نظر إلى أكثر من مجرد الجمع والحصر، فهل هذا الترتيب تصاعدى أم تنازلى؟ والجواب- والله أعلم- أن جمع هذه الأوصاف إنما هو من تدبير الحكيم العليم، وتعالت حكمة الله، وجل علمه عن أن يجيء تدبير من تدبير الله عن غير حكمة وعلم..!

فالإسلام- الذي جاء بدءا- هو أول درجات السلم، الذي يرقى فيه المرء إلى منازل الشريعة، وهو المدخل، الذي يدخل منه إلى دين الله..

والإيمان.. هو العروج بالإسلام إلى موطنه من القلب.

والقنوت.. هو استجابة القلب، وتقبله لهذا الإيمان الذي استقر فيه واطمأن به.." (٢)

"وبهذه الآية تختم قصة زواج النبي صلوات الله وسلامه عليه، من زينب بنت جحش، مطلقة مولاه، ومتبناه، زيد بن حارثة.. وقد شغب عليها المشاغبون، وبنوا حولها من أوهامهم وضلالاتهم، أساطير من واردات الكذب والكيد للإسلام، ولنبى الإسلام، حتى لقد صوروا النبي- صلوات الله وسلامه عليه- رجلا استبدت به الشهوة، حتى لقد كاد يتخلى عن رسالته التي أقامه الله عليها، ويشغل نفسه بالجري وراء إشباع شهواته..

وآيات القرآن الكريم- لمن يؤمنون بأنه من عند الله- صريحة فى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه- كان ممتحنا من ربه بهذا الزواج الذي لم يكن يدور في خاطره في أية لحظة من لحظات حياته، وذلك ليقضى بهذا الزواج على تلك العادة

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص/٧٦٩

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٧١١/١١

المتمكنة في المجتمع العربي، والتي دخلت الإسلام مع المسلمين بهذا السلطان المتمكن، الذي كان لها على النفوس..

فإذا نظرنا إلى ماوراء آيات القرآن الكريم، نجد أن زينب بنت جحش هذه لم تكن غريبة عن النبي، بل كانت ابنة عمته، وكانت تحت نظره من مولدها إلى أن خطبها هو- صلوات الله وسلامه عليه- لزيد بن حارثة..

فماذا كان يمنع النبي من أن يتزوجها لو أنها وقعت من قلبه موقعا؟

ولو أنه كان للنبي أية رغبة فيها أكان يخطبها ويزوجها لمتبناه، فتحرم عليه إلى الأبد، كما كان هو الحال في زوجات الأبناء الأدعياء قبل أن ينزل القرآن بما يقضي على التبني وأحكامه! أذلك مما يستقيم أبدا مع عقل أو منطق؟

«ما يكون لنا أن نتكلم بهذا.. سبحانك.. هذا بهتان عظيم» ..!

الآيات: (٤١- ٤٨) [سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٨]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥)

وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨)." (١)

"التفسير:

قوله تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا» مناسبة هذه الآية لما قبلها من آيات، هى أن الآيات السابقة عليها تضمنت حكما من الأحكام، كان مبعث ظنون، ومثار شغب عند المنافقين والذين في قلوبهم مرض ... وليس يحمى المؤمنين من غبار هذه الظنون، ودخان هذا الشغب، إلا أن يعتصموا بالله، وأن يذكروا جلاله وعظمته، وأن يستحضروا علمه وقدرته، فذلك هو الذي يحفظ عليهم إيمانهم، ويدفع عنهم غواشى الشكوك والريب، التي يسوقها إليهم الكافرون والمنافقون..

قوله تعالى:

«هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما» .

هو إغراء للمؤمنين بذكر الله، وتسبيحه بكرة، أي صباحا، وأصيلا." (٢)

"القولهم: بأن جبريل أرسل إلى علي ولكنه شبه له محمد بعلي إذ كان أحدهما أشبه بالآخر من الغراب بالغراب (وكذبوا) فبلغ الرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فهم أثبتوا الرسالة لمحمد صلى الله عليه وسلم ولكنهم زعموه غير المعين

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٧٢٧/١١

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٧٢٨/١١

من عند الله.

وتشبه طقوس البهائية طقوس الماسونية إلا أن البهائية تنتسب إلى التلقي من الوحي الإلهي، فبذلك فارقت الماسونية وعدت في الأديان والملل ولم تعد في الأحزاب.

وانتصب رسول الله معطوفا على أبا أحد من رجالكم عطفا بالواو المقترنة ب لكن لتفيد رفع النفي الذي دخل على عامل المعطوف عليه.

وقرأ الجمهور وخاتم النبيئين بكسر تاء خاتم على أنه اسم فاعل من ختم.

وقرأ عاصم بفتح التاء على تشبيهه بالخاتم الذي يختم به المكتوب في أن ظهوره كان غلقا للنبوءة.

[٤١، ٤٢]

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ إلى ٤٢]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)

إقبال على مخاطبة المؤمنين بأن يشغلوا ألسنتهم بذكر الله وتسبيحه، أي أن يمسكوا عن مماراة المنافقين أو عن سبهم فيما يرجفون به في قضية تزوج زينب فأمر المؤمنين أن يعتاضوا عن ذلك بذكر الله وتسبيحه خيرا لهم، وهذا كقوله تعالى: فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا [البقرة: ٢٠٠] ، أي خير من التفاخر بذكر آبائكم وأحسابكم، فذلك أنفع لهم وأبعد عن أن تثور بين المسلمين والمنافقين ثائرة فتنة في المدينة، فهذا من نحو قوله لنبيئه ودع أذاهم [الأحزاب: ٤٨] ومن نحو قوله: ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم [الأنعام: ١٠٨] ، فأمروا بتشغيل ألسنتهم وأوقاتهم بما يعود بنفعهم وتجنب ما عسى أن يوقع في مضرة.

وفيه تسجيل على المنافقين بأن خوضهم في ذلك بعد هذه الآية علامة على النفاق لأن المؤمنين لا يخالفون أمر ربهم.

والجملة استئناف ابتدائي متصل بما قبله للمناسبة التي أشرنا إليها.." (١)

"فالجملة عطف على جملة قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى قوله:

ومتاعا للمقوين [الواقعة: ٤٩- ٧٣] ، وهي تذييل.

والتسبيح: التنزيه، وقد تقدم عند قوله تعالى: ونحن نسبح بحمدك في سورة البقرة [٣٠] .

واسم الرب: هو ما يدل على ذاته وجماع صفاته وهو اسم الجلالة، أي بأن يقول:

سبحان الله، فالتسبيح لفظ يتعلق بالألفاظ.

ولما كان الكلام موضوعا للدلالة على ما في النفس كان تسبيح الاسم مقتضيا تنزيه مسماه وكان أيضا مقتضيا أن يكون التسبيح باللفظ مع الاعتقاد لا مجرد الاعتقاد لأن التسبيح لما علق بلفظ اسم تعين أنه تسبيح لفظي، أي قل كلاما فيه معنى التنزيه، وعلقه باسم ربك، فكل كلام يدل على تنزيه الله مشمول لهذا الأمر ولكن محاكاة لفظ القرآن أولى وأجمع بأن

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٢/٤٧

يقول: سبحان الله. ويؤيد هذا ما

قالته عائشة رضي الله عنها «إنه لما نزل قوله تعالى: فسبح بحمد ربك واستغفره [النصر: ٣] كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده:

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن»

أي يتأوله على إرادة ألفاظه.

والباء الداخلة على باسم زائدة لتوكيد اللصوق، أي اتصال الفعل بمفعوله وذلك لوقوع الأمر بالتسبيح عقب ذكر عدة أمور تقتضيه حسبما دلت عليه فاء الترتيب فكان حقيقا بالتقوية والحث عليه، وهذا بخلاف قوله: سبح اسم ربك الأعلى [الأعلى: ١] لوقوعه في صدر جملته كقوله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا [الأحزاب: ٤١، ٤٢] .

وهذا الأمر شامل للمسلمين بقرينة أن القرآن متلو لهم وأن ما تفرع الأمر عليه لا يختص علمه بالنبيء صلى الله عليه وسلم فلما أمر بالتسبيح لأجله فكذلك من علمه من المسلمين.

والمعنى: إذ علمتم ما أنزلنا من الدلائل وتذكرتم ما في ذلك من النعم فنزهوا الله وعظموه بقصارى ما تستطيعون.." [١]

"بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمنون

قوله تعالى: قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون، ذكر - جل وعلا - في هذه الآيات التي ابتدأ بها أول هذه السورة علامات المؤمنين المفلحين فقال قد أفلح المؤمنون [٢٣ \ ١] أي: فازوا وظفروا بخير الدنيا والآخرة.

وفلاح المؤمنين مذكور **ذكرا كثيرا** في القرآن ؛ كقوله وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا [٣٣ \ ٤٧] وقوله الذين هم في صلاتهم خاشعون [٢٣ \ ٢] أصل الخشوع: السكون، والطمأنينة، والانخفاض ومنه قول نابغة ذبيان:

رماد ككحل العين لأيا أبينه ... ونؤى كجذم الحوض أثلم خاشع

وهو في الشرع: خشية من الله تكون في القلب، فتظهر آثارها على الجوارح.

وقد عد الله الخشوع من صفات الذين أعد لهم مغفرة وأجرا عظيما في قوله في الأحزاب والخاشعين والخاشعات إلى قوله أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما [٣٣ \ ٣٥] .

وقد عد الخشوع في الصلاة هنا من صفات المؤمنين المفلحين الذين يرثون الفردوس، وبين أن من لم يتصف بهذا الخشوع تصعب عليه الصلاة في قوله وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين [٢ \ ٤٥] وقد استدل جماعة من أهل العلم بقوله الذين هم في صلاتهم خاشعون على أن من خشوع المصلي: أن يكون نظره في صلاته إلى موضع سجوده، قالوا: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ينظر إلى السماء في الصلاة، فأنزل الله الذين هم في صلاتهم خاشعون فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر حيث يسجد.

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٣٢٨/٢٧

وقال صاحب الدر المنثور: وأخرج ابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في سننه، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة «أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا صلى رفع بصره إلى." (١)

"الحد، بقوله: وأنهم يقولون ما لا يفعلون، فلم يحده مع إقراره بموجب الحد.

قوله تعالى: وأنهم يقولون ما لا يفعلون. هذا الذي ذكره هنا عن «الشعراء» من أنهم يقولون ما لا يفعلون، بين في آية أخرى أنه من أسباب المقت عنده جل وعلا، وذلك في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون [٦١ \ ٢ – ٣] والمقت في لغة العرب: البغض الشديد، فقول الإنسان ما لا يفعل، كما ذكر عن الشعر يبغضه الله، وإن كان قوله ما لا يفعل فيه تفاوت، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات. قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة «الكهف» ، في الكلام على قوله تعالى: ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا الآية [١٨ \ ٢] مع شواهده العربية.

قوله تعالى: وذكروا الله كثيرا. أثنى الله تعالى في هذه الآية الكريمة على الذين آمنوا وعملوا الصالحات بذكرهم الله كثيرا، وهذا الذي أثنى عليهم به هنا من كثرة ذكر الله، أمر به في آيات أخر، وبين جزاءه ؛ قال تعالى: واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون [٨ \ ٤٥] وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا [٣٣ \ ٤١ – ٤٢] وقال تعالى: إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية [٣ \ ١٩١ – ١٩٢] وقال تعالى: والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما [٣٣ \ ٣٥] .

قوله تعالى: وانتصروا من بعد ما ظلموا. قد قدمنا الآيات الموضحة له ؛ كقوله تعالى: ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس [٤٢ \ ٤١ – ٤٢] في آخر سورة «النحل» ، في الكلام على قوله تعالى: وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين [١٦ \ ١٢٦] .." (٢)

"إلى آخر كلامه، وفيه كلام علي بن الحسين الذي ذكرنا آنفا.

قال مقيده عفا الله عنه وغفر له: التحقيق إن شاء الله في هذه المسألة، هو ما ذكرنا أن القرآن دل عليه، وهو أن الله أعلم نبيه – صلى الله عليه وسلم – بأن زيدا يطلق زينب، وأنه يزوجها إياه – صلى الله عليه وسلم –، وهي في ذلك الوقت تحت زيد، فلما شكاها زيد إليه – صلى الله عليه وسلم – قال له: «أمسك عليك زوجك واتق الله» ، فعاتبه الله على قوله: «أمسك عليك زوجك» بعد علمه أنها ستصير زوجته هو – صلى الله عليه وسلم –، وخشي مقالة الناس أن يقولوا: لو أظهر ما علم من تزويجه إياها أنه يريد تزويج زوجة ابنه في الوقت الذي هي فيه في عصمة زيد.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣٠٥/٥

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١٠٧/٦

والدليل على هذا أمران:

الأول: هو ما قدمنا من أن الله جل وعلا قال: وتخفي في نفسك ما الله مبديه، وهذا الذي أبداه الله جل وعلا هو زواجه إياها في قوله: فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها، ولم يبد جل وعلا شيئا مما زعموه أنه أحبها، ولو كان ذلك هو المراد لأبداه الله تعالى كما ترى.

الأمر الثاني: أن الله جل وعلا صرح بأنه هو الذي زوجه إياها، وأن الحكمة الإلاهية في ذلك التزويج هي قطع تحريم أزواج الأدعياء في قوله تعالى: فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم الآية، فقوله تعالى: لكي لا يكون على المؤمنين حرج، تعليل صريح لتزويجه إياها لما ذكرنا، وكون الله هو الذي زوجه إياها لهذه الحكمة العظيمة صريح في أن سبب زواجه إياها ليس هو محبته لها التي كانت سببا في طلاق زيد لها كما زعموا، ويوضحه قوله تعالى: فلما قضى زيد منها وطرا الآية ؛ لأنه يدل على أن زيدا قضى وطره منها، ولم تبق له بها حاجة، فطلقها باختياره، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**.

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من الأمر بالإكثار من الذكر، جاء معناه في آيات أخر ؛كقوله تعالى: فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم [٤ \ ١٠٣] ، وقوله تعالى: الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم [٣ \ ١٩١] ، وقوله تعالى: والذاكرين الله كثيرا والذاكرات الآية [٣٣ \ ٣٥] ، إلى غير ذلك من الآيات.." [١]

"منادى تقدم إعرابه، واجعل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت، ولي متعلقان باجعل وآية مفعول به وجملة النداء وما تلاه مقول القول وجملة القول مستأنفة (قال: آيتك ألا تكلم الناس) الجملة مستأنفة وآيتك مبتدأ وأن وما في حيزها في تأويل مصدر خبر وتكلم فعل مضارع

منصوب بأن والناس مفعول به والجملة مقول القول (ثلاثة أيام إلا رمزا) ثلاثة أيام: ظرف زمان متعلق بتكلم وإلا أداة استثناء منقطع واجب النصب لأن الرمز ليس من جنس الكلام، ولك أن تعتبره من جنس الكلام فتكون «رمزا» استثناء من أعم الأحوال أو من أعم المصادر، أي حالا أو مفعولا مطلقا، وهذه الأوجه متساوية الرجحان في هذا التركيب العجيب (واذكر ربك كثيرا) الواو استئنافية واذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وربك مفعول به وكثيرا مفعول مطلق أو ظرف زمان، أي **ذكرا كثيرا** أو وقتا كثيرا (وسبح بالعشي والإبكار) الواو عاطفة وسبح عطف على اذكر وبالعشي جار ومجرور متعلقان بسبح والإبكار عطف عليه.

البلاغة:

في قوله «رمزا» فن الإشارة، وقد تقدم بحثه قريبا، لأنه دل على ما في نفس البشر من خلجات ومعان. وقد تشبث الشعراء

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٦/٢٤١

بأذيال هذه البلاغة، قال أبو تمام:

توحي بأسرارنا حواجبنا ... وأعين بالوصال ترتشق

وقال أيضا:

كلمته بجفون غير ناطقة ... فكان من رده ما قال حاجبه." [١]

"حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط ودفع الله مبتدأ محذوف الخبر وجوبا والناس مفعول به لدفع لأنه مصدر مضاف الى فاعله وهو الله والمعنى ولولا أن دفع الله الناس بعضهم ببعض لغلب المفسدون وتعطلت المصالح ويقل عمله عكسه وهو أن يضاف المصدر الى مفعوله ثم يأتي فاعله مرفوعا كقول الاقيشر الاسدي:

أفنى تلادي وما جمعت من نشب ... قرع القواقيز أفواه الأباريق

فقرع بالقاف والعين المهملة مرفوع على الفاعلية بأفنى وهو مصدر مضاف الى مفعوله وهو القواقيز بقافين وزاي معجمة: أقداح يشرب بها الخمر واحدها قاقوزة بزاءين معجمتين فجمعها قوازيز، وأفواه فاعل المصدر وهو جمع فم وأصله فوه فلذلك ردت في الجمع على أنه روي البيت بنصب الأفواه فيكون من القسم الأول.

وبعضهم بدل بعض من الناس وببعض متعلق بدفع واللام واقعة في جواب لولا وهدمت فعل ماض مبني للمجهول وصوامع نائب فاعل وبيع وصلوات ومساجد عطف على صوامع وأخر ذكر المساجد لأن الصوامع والبيع والكنائس أقدم منها في الوجود وجملة يذكر صفة للمواضع المذكورة وفيها متعلقان بيذكر واسم الله نائب فاعل وكثيرا صفة لمصدر محذوف أي ذكرا كثيرا أو صفة لظرف محذوف أي وقتا كثيرا. (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وينصرن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة. والله فاعل ومن موصول مفعول به وجملة ينصره صلة وجملة ان وما بعدها تأكيد لتعليل النصر والله اسمها واللام المزحلقة وقوي خبرها الأول وعزيز خبرها الثاني. (الذين إن." [٢]

"السمع إنصاتهم الى الملأ الأعلى ليسترقو شيئا أو إلقاء الشيء المسموع الى الكهنة، والسمع مفعول به والواو حالية وأكثرهم مبتدأ وكاذبون خبر والجملة حالية. (والشعراء يتبعهم الغاوون)

كلام مستأنف أيضا مسوق لإبطال كونه شاعرا كما زعموا وسيأتي بحث ضاف عن الشعر ومن هم الشعراء الذين يتبعهم الغاوون في باب الفوائد والشعراء مبتدأ وجملة يتبعهم خبر ويتبعهم فعل مضارع ومفعول به مقدم والغاوون فاعل مؤخر. (ألم تر أنهم في كل واد يهيمون) الجملة مفسرة والهمزة للاستفهام التقريري ولم حرف نفي وقلب وجزم والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي تر وفي كل واد متعلقان بيهيمون ويهيمون فعل مضارع وفاعل والجملة خبر أنهم، ويجوز أن تعلق الجار والمجرور بمحذوف هو الخبر وجملة يهيمون حالية، وتمثيل ذهابهم في كل شعب من القول بالوادي سيأتي بحثه في باب البلاغة.

(وأنهم يقولون ما لا يفعلون) جملة معطوفة. (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا) إلا أداة استثناء والذين

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ١/٥٠٦

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٦/٤٣٩

مستثنى من الشعراء المذمومين وجملة آمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا داخل في حيز الصلة وذكروا الله عطف أيضا وكثيرا صفة لمفعول مطلق محذوف أي ذكروا الله **ذكرا كثيرا** أو صفة لظرف زمان محذوف أي وقتا كثيرا.
(وانتصروا من بعد ما ظلموا) عطف على ما تقدم وما مصدرية أي من بعد ظلمهم من إضافة المصدر لمفعوله. (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) الواو استئنافية والسين حرف استقبال ويعلم فعل مضارع والذين فاعله وجملة ظلموا صلة وأي منقلب منصوب على المفعولية المطلقة لأن أيا تعرب بحسب ما تضاف إليه وقد علقت يعلم." [1]

"المفهوم فإن الضوء الحاصل من الشمس في البيت أمر موجود لكن إذا نسب الى الشمس يسمى اضاءة وإذا نسب الى البيت يسمى استضاءة.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٨]
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥)
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨)

الإعراب:
(يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الذكر ليس له حدود ينتهي إليها ويقف عندها إذ ما من عبادة إلا ولها حدود معلومة ورسوم مرسومة، ما عدا الذكر فانه يتجاوز حدود الزمان والمكان. واذكروا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وذكرا مفعول مطلق وكثيرا صفة. (وسبحوه بكرة وأصيلا) فعل أمر." [2]

"١٠- اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون [العنكبوت: ٤٥] .

١١- يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا [الأحزاب: ٤١- ٤٢] .

١٢- أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين (٢٢) الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد [الزمر: ٢٢- ٢٣] .

١٣- ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم

---
(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ١٤٧/٧
(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٢٩/٨

الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون [الحديد: ١٦] .

١٤- استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون [المجادلة: ١٩] .

١٥- يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون [المنافقون: ٩] .

حيث يبدو من هذه الآيات وأمثالها الكثيرة ما اقتضته حكمة التنزيل من إعارة هذا الأمر عناية بالغة لما ينطوي فيه من أهداف سامية دنيوية وأخروية معا.

ولقد أثرت أحاديث نبوية عديدة في ذكر الله وفوائده والحث عليه. منها حديث رواه الشيخان والترمذي عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني. فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن اقترب إلي شبرا تقربت إليه.." (١)

"حديث عن عبد الله بن عمر أخرجه الإمام أحمد جاء فيه: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال: «أنا محمد النبي الأمي ثلاثا ولا نبي بعدي. أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه، وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجوز بي وعوفيت وعوفيت أمتي فاسمعوا وأطيعوا ما دمت فيكم فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله أحلوا حلاله وحرموا حرامه» «١» .

ولقد رشح القرآن الدين الإسلامي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم في آيات عديدة ليكون دين البشرية جميعا في كل زمن ومكان مثل آية الفتح هذه: هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا (٢٨) [٢٨] «٢» وآية سورة النور هذه: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون (٥٥) .

ولقد احتوى القرآن من الأسس والمبادئ والتشريعات والتلقينات والنظم والمعالجات في صدد العقائد والمعاملة والحياة الدنيوية والأخروية ما يكفل حل جميع الإشكالات والتمشي مع كل طور وزمن ومكان وصلاح البشرية وسعادتها على أتم وجه وأفضله. وجاءت السنن النبوية متممة موضحة مفسرة فلم يعد هناك حاجة إلى أنبياء ورسل من بعده وذلك هو مصداق قول الله وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٨]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٢/٥٦٦

أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥)
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨) .

---

(١) نقلنا نص هذا الحديث والأحاديث السابقة عن ابن كثير.

(٢) هذا المعنى جاء أيضا في آية سورة التوبة [٣٣] وفي آية سورة الصف [٩] .." [١]

"من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلى الكعبين، إلا خرت خطايا رجليه من أنامله مع الماء. فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو له أهل، وفرغ قلبه لله، إلا انصرف من خطيئته كهيئته يوم ولدته أمه)) . رواه مسلم.

١٠٥٠- (٥) وعن كريب: أن ابن عباس،

خطايا الأذنين، فيكون قوله: (من أطراف شعره) بفتح العين وسكونها نظرا إلى الأصل أو التغليب. (فإن) شرطية. (هو) أي الرجل ورافعه فعل مضمر يفسره. (قام) ولحذفه برز ضميره المستكن فيه، أي فإن قام بعد فراغ الوضوء. (وأثنى عليه) أي ذكر الله ذكرا كثيرا وقيل فائدته الإعلام بأن لفظ الحمد غير متعين. (ومجده) أي عظمه بالقلب واللسان، فهو تعميم بعد تعميم، أو بعد تخصيص. وجعله ابن حجر لمزيد التأكيد والإطناب. (بالذي) أي بالتحميد الذي. (هو له أهل) أي مما يليق بعظمته وجلاله وكماله. وقدم الجار لإفادة الاختصاص والاهتمام قال ابن الملك: ضمير "هو" عائد إلى الموصول، وضمير "له" إلى الله. (وفرغ قلبه) من التفريغ، أي جعله حاضرا لله وغائبا عما سواه، أي في صلاته وحالة مناجاته. (لله) أي لا لغيره. (إلا انصرف من خطيئته) قيل: "هو" في قوله فإن هو فاعل محذوف وعائد إلى الرجل المذكور وتقديره: إن قام الرجل المذكور ففعل كذا، وكذا فليس إلا انصرف من خطيئته. وقيل: الأولى أن تكون إن فيه نافية. وقال ابن حجر: وجواب "إن" فلا ينصرف خارجا من شيء من الأشياء إلا انصرف خارجا من خطيئته أي صغائره، فيصير متطهرا منها. وقال الطيبي: فإن هو قام، إن شرطية، والضمير المرفوع بعدها فاعل فعل محذوف يفسره ما بعده، وجواب الشرط محذوف، وهو المستثنى منه، أي لا ينصرف في شيء من الأشياء إلا من خطيئته. وجاز تقدير النفي لما مر من أن الكلام في سياق النفي. وهذا على مذهب الزمخشري. وأما مذهب ابن الحاجب فيجوز في الإثبات نحو قرأت إلا يوم الجمعة. (كهيئتة) أي كصفته. (يوم ولدته أمه) بفتح ميم يوم. وفي نسخة: كهيئة يوم بالإضافة مع تنوين يوم وفتحه على البناء قاله القاري. (رواه مسلم) وأخرجه أيضا أحمد (ج٤: ص١١٢) والبيهقي. ولأبي داود وأحمد أيضا نحوه. وأخرجه النسائي وابن ماجه مختصرا بمعنى ما روى أبوداود.

١٠٥٠- قوله: (وعن كريب) بضم الكاف مصغرا، هو ابن أبي مسلم الهاشمي مولاهم المدني، أبورشدين مولى ابن عباس

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٣٩٣/٧

ثقة من أوساط التابعين، مات بالمدينة سنة ثمان وتسعين في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك. (أن ابن عباس) يعني عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فإنه المراد عند الإطلاق.." (١)

"قالوا: وما المفردون؟ يا رسول الله! قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)) . رواه مسلم.

عن شيوخنا. وقال النووي في شرح مسلم: بفتح الفاء وكسر الراء المشددة هكذا نقله القاضي عن متقني شيوخهم وذكر غيره أنه روى بتخفيفها وإسكان الفاء. وقال في الأذكار: روي المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والمشهور الذي قاله الجمهور التشديد، يقال فرد الرجل في رأيه وأفرد وفرد واستفرد كله بمعنى أي استقل به وتخلى بتدبيره. والمراد به الذين تفردوا بذكر الله تعالى وانفردوا واعتزلوا عن الناس للتعبد. وقيل: هم الذين هلك أترابهم من الناس وذهب القرن الذين كانوا فيه وانفردوا عنهم وبقوا بعدهم يذكرون الله تعالى، وقال ابن الإعرابي: يقال فرد الرجل إذ اتفقه واعتزل الناس وخلا بمراعاة الأمر والنهي (قالوا) أي بعض الصحابة (وما المفردون) أي من هم "فما" بمعنى من كما في قوله تعالى: ﴿والسماء وما بناها﴾ [الشمس: ٥] والواو رابطة بين السؤال والجواب. وقيل: الواو للعطف على محذوف كأنهم قالوا: لا نعلم المفردين ونقول ما المفردون. وقيل: الواو زائدة للتحسين، قال التوربشتي: فإن قيل لم قالوا ما المفردون؟ ولم يقولوا من المفردون؟ قلنا: لأنهم فتشوا عن معرفة معنى هذا اللفظ عند الإطلاق ما هو المراد منه لا تعيين المتصفين به وتعريف أشخاصهم يعني أن السؤال عن الصفة أي التفريد أو الإفراد فأجاب صلى الله عليه وسلم بأن التفريد الحقيقي المتعبد هو تفريد النفس بذكر الله تعالى. وقيل: الأظهر إن "ما" ههنا تغليب غير ذوي العقول لكثرتهم على ذوي العقول لقلتهم لما حرر في محله أن الأشياء كلها له حظ من الذكر والتسبيح ومعرفة الرب والخشية منه (الذاكرون الله كثيرا) أي **ذكرا كثيرا**. واختلف في تفسير الكثرة. فقال ابن عباس: كثرة الذكر يحصل بالذكر في أدبار الصلاة والغدو والعشي وفي المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا أو راح من منزله. وقال مجاهد: يحصل بذكره قياما وقعودا واضطجاعا. وقال عطاء: بإقامة الصلوات الخمس مع حقوقها، وسأل ابن الصلاح عن ذلك فقال: بالمواظبة على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساءا في الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهارا وهي مبينة في كتاب عمل اليوم والليلة وهذه الأقوال ذكرها النووي في الأذكار (والذاكرات) قال النووي: تقديره والذاكراته فحذفت الهاء هنا كما حذفت في القرآن لمناسبة رؤس الآي، ولأنه مفعول يجوز حذفه (رواه مسلم) وأخرجه أيضا أحمد والترمذي والحاكم (ج١ص٤٩٥) ولفظ الترمذي في الجواب. قال المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا، والمستهترون بضم الميم وفتح التاءين. قال في جامع الأصول: المستهتر بالشي المولع به المواظب عليه عن حب ورغبة فيه. وقال في النهاية: يقال أهتر فلان بكذا واستهتر فهو مهتر به ومستهتر أي مولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره – انتهى. وقال المنذري: المستهترون بذكر الله هم المولعون به المداومون عليه لا يبالون ما قيل فيهم ولا ما فعل بهم. وقال ابن القيم في." (٢)

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٤٦١/٣

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٣٨٠/٧

"الذين يبلغون فى محل جر على الوصف للأنبياء أو الرفع والنصب على المدح، على: هم الذين يبلغون، أو على: أعنى الذين يبلغون.

حسيبا كافيا للمخاوف، أو محاسبا على الصغيرة والكبيرة، فيجب أن يكون حق الخشية من مثله.

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤٠ الى ٤٤]

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

٤٠- ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما:

ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أي أبا رجل منكم على الحقيقة، حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح.

ولكن رسول الله ولكن كان رسول الله، وكل رسول أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له عليهم.

وخاتم النبيين وكان خاتم النبيين.

٤١- يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا:**

اذكروا الله حمدا وثناء وتقديسا وتهليلا وتكبيرا.

كثيرا وأكثروا ذلك.

٤٢- وسبحوه بكرة وأصيلا:

وسبحوه ونزهوه عما لا يجوز عليه من الصفات.

بكرة وأصيلا أي فى كافة الأوقات.

٤٣- هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما:

يصلي عليكم يترحم عليكم.

وملائكته هو قولهم: اللهم صل على المؤمنين.

٤٤- تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما:

تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول، أي يحيون يوم القيامة بسلام.." (١)

"ومن هذا النوع تأكيد الضمير المتصل بالمنفصل نحو: اسكن أنت وزوجك الجنة.

ومنه تأكيد المنفصل بمثله نحو: وهم بالآخرة هم كافرون.

ثالثها: تأكيد الفعل بمصدره، وهو عوض من تكرار الفعل مرتين، وفائدته رفع توهم المجاز فى الفعل، بخلاف التوكيد السابق

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ١٠/٥٥١

فإنه لرفع توهم المجاز فى المسند إليه.

والأصل فى هذا النوع أن ينعت بالوصف المراد نحو: اذكروا الله **ذكرا كثيرا**.

وقد يضاف وصفه إليه نحو: اتقوا الله حق تقاته.

وقد يؤكد بمصدر فعل آخر واسم عين نيابة عن المصدر نحو: وتبتل إليه تبتيلا والمصدر تبتلا، والتبتيل مصدر بتل.

رابعها: الحال المؤكدة نحو: يوم أبعث حيا.

النوع الرابع: التكرار. وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة، وله فوائد، منها:

التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر، وقد نبه تعالى على السبب الذى لأجله كرر الأقاصيص والإنذار فى القرآن بقوله: وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا.

ومنها: التأكيد.

ومنها: زيادة التنبيه على ما ينفى التهمة ليكمل تلقى الكلام بالقبول، ومنه: وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد. يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع فإنه كرر فيه النداء لذلك.

ومنها: إذا طال الكلام وخشى تناسى الأول أعيد ثانيها تطرية له وتجديدا لعهده، ومنه: ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها.

ومنها: التعظيم والتهويل نحو: الحاقة ما الحاقة.." (١)

"رقم مسلسل/ الآية/ رقم الآية/ مكان النزول/ السورة/ رقم السورة ٥٩١٤/ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى/ ٢٨٢/ مدنية/ البقرة/ ٢ ٥٩١٥/ يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم/ ٩/ مدنية/ المجادلة/ ٥٨ ٥٩١٦/ يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات/ ١٠/ مدنية/ الممتحنة/ ٦٠ ٥٩١٧/ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا/ ٩٤/ مدنية/ النساء/ ٤ ٥٩١٨/ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا/ ٦/ مدنية/ المائدة/ ٥ ٥٩١٩/ يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا/ ١١/ مدنية/ المجادلة/ ٥٨ ٥٩٢٠/ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا/ ١٥/ مدنية/ الأنفال/ ٨ ٥٩٢١/ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا/ ٤٥/ مدنية/ الأنفال/ ٨ ٥٩٢٢/ يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة/ ١٢/ مدنية/ المجادلة/ ٥٨ ٥٩٢٣/ يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات/ ٤٩/ مدنية/ الأحزاب/ ٣٣ ٥٩٢٤/ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة/ ٩/ مدنية/ الجمعة/ ٦٢ ٥٩٢٥/ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا/** ٤١/ مدنية/ الأحزاب/ ٣٣ ٥٩٢٦/ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم/ ١١/ مدنية/ المائدة/ ٥ ٥٩٢٧/ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم/ ٩/ مدنية/ الأحزاب/ ٣٣ ٥٩٢٨/ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا/ ٧٧/ مدنية/ الحج/ ٢٢ ٥٩٢٩/ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول/ ٢٤/ مدنية/ الأنفال/ ٨ ٥٩٣٠/ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة/ ١٥٣/ مدنية/ البقرة/ ٢ ٥٩٣١/ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا/ ٢٠٠/ مدنية/ آل

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٢/٢٣٦

عمران/ ٣ ٥٩٣٢/ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول/ ٥٩/ مدنية/ النساء/ ٤ ٥٩٣٣/ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول/ ٣٣/ مدنية/ محمد/ ٤٧ ٥٩٣٤/ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله/ ٢٠/ مدنية/ الأنفال/ ٨ ٥٩٣٥/ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا/ ٢٩/ مدنية/ الأنفال/ ٨ ٥٩٣٦/ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم/ ١٤٩/ مدنية/ آل عمران/ ٣ ٥٩٣٧/ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا/ ١٠٠/ مدنية/ آل عمران/ ٣ ٥٩٣٨/ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم/ ٧/ مدنية/ محمد/ ٤٧ ٥٩٣٩/ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا/ ٦/ مدنية/ الحجرات/ ٤٩ ٥٩٤٠/ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم/ ٢٥٤/ مدنية/ البقرة/ ٢ ٥٩٤١/ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم/ ٢٦٧/ مدنية/ البقرة/ ٢." (١)

"وربما احتملت الوجهين جميعا، نحو قوله: (هنالك الولاية لله) الكهف: ٤٤ ويدل على أن أصلها: المكان، أنك تقول: اجلس هنالك، تريد: المكان، ولا يجوز: سر هنالك، تريد الزمان، والظرف قولك «هنا» ، واللام للتأكيد، والكاف للخطاب، ولا موضع لها من الإعراب.

٣٩- فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيي مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين «وهو قائم يصلى» : ابتداء وخبر، فى موضع الحال من الهاء فى «فنادته» ، و «يصلى» فى موضع الحال من المضمر فى «قائم» .

«مصدقا» : حال من «يحيى» ، أو هى حال مقدرة وكذلك: وسيدا، وحصورا، ونبيا.

٤٠- قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء «عاقر» : إنما جاء بغير هاء، على التشبيه، ولو أتى على الفعل لقال: عقرى، بمعنى: معقورة أي: بها عقر فمنعها من الولد.

«كذلك الله يفعل» : الكاف، فى موضع نصب على تقدير: يفعل الله ما يشاء فعلا كذلك.

٤١- قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار «اجعل لى آية» : اجعل، بمعنى: صير، فهو يتعدى إلى مفعولين، أحدهما جر: «لى» ، و «آية» .

«أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا» : أن، فى موضع رفع خبر «آيتك» ويجوز رفع «تكلم» ، على أن يضمر الكاف فى «أن» أي: آيتك أنك لا تكلم الناس.

و «ثلاثة» : ظرف.

«إلا رمزا» : استثناء ليس من الأول، وكل استثناء ليس من جنس الأول فالوجه فيه النصب.

«كثيرا» : نعت لمصدر محذوف أي: **ذكرا كثيرا**." (٢)

"مر ٥٤ واذكر فى الكتاب اسمعيل- ٥٦ واذكر فى الكتاب ادريس ص ١٧ واذكر عبدنا داود- ٤١ واذكر عبدنا أيوب- ٤٥ واذكر عبادنا ابراهيم واسحق- ٤٨ واذكر اسمعيل واليسع حق ٢١ واذكر اخا عاد مل ٨ واذكر اسم ربك

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٣/٤١١

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٤/٦٥

وتبتل هر ٢٥ واذكر اسم ربك بكرة اذكروا بق ٤٠ و ٤٧ و ١٢٢ يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى- ٦٣ واذكروا ما فيه لعلكم (عف ١٧٠) - ١٩٨ فاذكروا الله عند المشعر- ٢٠٠ فاذكروا الله كذكركم- ٢٠٣ واذكروا الله فى أيام- ٢٣١ واذكروا نعمة الله عليكم (عمر ١٠٣ ما ٨ و ١٢ و ٢٢ ابر ٩ حب ٩ فط ٣) - ٢٣٩ فإذا امنتم فاذكروا الله نسا ١٠٢ فاذكروا الله قياما ما ٥ واذكروا اسم الله عليه عف ٦٨ و ٧٣ واذكروا إذ جعلكم خلفاء- فاذكروا آلاء الله عف ٨٥ واذكروا إذ كنتم قليلا نف ٢٦ واذكروا إذ أنتم قليل- ٤٦ واذكروا الله كثيرا (جع ١٠) حج ٣٦ فاذكروا اسم الله عليها حب ٤١ اذكروا الله **ذكرا كثيرا** اذكرن اذكرنى اذكرونى حب ٣٤ واذكرن ما يتلى سف ٤٢ اذكرنى عند ربك بق ١٥٢ فاذكرونى أذكركم اذكروه ذكر يذكر بق ١٩٨ واذكروه كما هداكم نعم ١١٨ و ١١٩ مما ذكر اسم الله عليه نف ٢ إذا ذكر الله وجلت قلوبهم (حج ٣٥) زم ٤٥ وإذا ذكر الله وحده- وإذا ذكر الذين من دونه محمد ٢٠ وذكر فيها القتال بق ١١٤ ان يذكر فيه إسمه نعم ١٢١ مما لم يذكر اسم الله عليه حج ٤٠ يذكر فيها اسم الله ور ٣٦ أن ترفع ويذكر فيها اسمه ذكر ذكرهم نعم ٧٠ وذكر به أن تبسل ق ٤٥ فذكر بالقرآن يا ٥٥ وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين طو ٢٩ فذكر فما أنت بنعمة عل ٩ فذكر إن نفعت الذكرى شية ٢١ فذكر إنما أنت مذكر ابر ٥ وذكرهم بأيام الله ذكر ذكروا ذكرتم كه ٥٨

ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه (سج ٢٢) ما ١٤ و ١٥ ونسوا حظا مما ذكروا به نعم ٤٤ فلما نسوا ما ذكروا به (عف ١٦٤) فر ٧٣ إذا ذكروا بآيات سج ١٥ إذا ذكروا بها خروا صا ١٣ وإذا ذكروا لا يذكرون يس ١٩ طائركم معكم أئن ذكرتم تذكر يتذكر يذكر فط ٣٧ أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر عد ٢١ إنما يتذكر أولوا الألباب (زم ٩) طه ٤٤ لعله يتذكر أو يخشى مم ١٣ وما يتذكر إلا من ينيب عت ٣٥ يوم يتذكر الإنسان فجر ٢٣ يومئذ يتذكر الإنسان ص ٢٩ وليتذكر أولوا الألباب بق ٢٦٩ وما يذكر إلا أولوا الألباب (عمر ٧) عبس ٤ أو يذكر فتنفعه الذكرى." (١)

"ان ١١٠ ويعلم ما تكتمون بق ٤٢ وتكتموا الحق- ٢٨٣ ولا تكتموا الشهادة نكتم يكتمها تكتمونه ما ١٠٩ ولا نكتم شهادة الله بق ٢٨٣ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه عمر ١٨٧ للناس ولا تكتمونه كثب كثيبا عل ١٤ وكانت الجبال كثيبا كثر كثر كثرت كثركم نسا ٦ مما قل منه أو كثر نف ١٩ شيئا ولو كثرت عف ٨٥ إذ كنتم قليلا فكثركم أكثرت أكثروا عد ٣٢ فأكثرت جدالنا فجر ١٢ فأكثروا فيها الفساد استكثرت استكثرتم تستكثر عف ١٨٧ لاستكثرت من الخبر نعم ١٢٨ قد استكثرتم من الانس عد ٦ ولا تمنن تستكثر كثرة كثرتكم ما ٣ ولو أعجبك كثرة الحديث بة ٢٦ إذ أعجبتكم كثرتكم كثير كثيرا بق ١٠٩ ود كثير من أهل عمر ١٤٦ قاتل معه ربيون كثير ما ٦٩ وكثير منهم ساء- ٧٤ وصموا كثير

منهم حج ١٨ وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب حد ١٦ و ٢٦ و ٢٧ وكثير منهم فاسقون نسا ١١٣ لا خير فى كثير من نجواهم ما ١٦ ويعفو عن كثير (شو ٣٠) نعم ٢٣٣ زين لكثير من المشركين سر ٧٠ وفضلناهم على كثير نم ١٥ الذى فضلنا على كثير شو ٣٤ ويعف عن كثير رات ٧ لو يطيعكم فى كثير بق ٢٦ يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا- ٢٦٩ فقد أوتى خيرا كثيرا عمر ٤١ واذكر ربك كثيرا- ١٨٦ اشركوا أذى كثيرا نسا ١ منهما رجالا كثيرا- ١٨ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا- ٨١ اختلافا كثيرا- ٩٩ مراغما كثيرا وسعة- ١٥٨ عن سبيل الله كثيرا ما ١٦ يبين لكم كثيرا- ٣٥ ثم إن كثيرا

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٧/١٧٠

منهم ما ٥٢ وإن كثيرا من الناس (يو ٩٢ روم ٨) - ٦٥ وترى كثيرا منهم يسارعون- ٦٧ و ٧١ وليزيدن كثيرا- ٨٠ من قبل وأضلوا كثيرا- ٨٣ ترى كثيرا منهم يتولون- ٨٤ ولكن كثيرا منهم نعم ٩١ تبدونها وتخفون كثيرا- ١١٩ وإن كثيرا ليضلون عف ١٧٨ كثيرا من الجن نف ٤٤ ولو أراكهم كثيرا- ٤٦ واذكروا الله كثيرا بة ٣٥ إن كثيرا من الأحبار- ٨٣ وليبكوا كثيرا هد ٩١ ما نفقه كثيرا مما ابر ٣٦ إنهن أضللن كثيرا طه ٣٣ كي نسبحك كثيرا- ٣٤ ونذكرك كثيرا حج ٤٠ يذكر فيها اسم الله كثيرا فر ١٤ وادعوا ثبورا كثيرا- ٣٨ وقرونا بين ذلك كثيرا- ٤٩ أنعاما وأناسي كثيرا شع ٢٢٧ وذكروا الله كثيرا حب ٢١ وذكر الله كثيرا- ٣٥ والذاكرين الله كثيرا- ٤١ اذكروا الله **ذكرا كثيرا** يس ٦٢ أضل منكم جبلا كثيرا ص ٢٤ وإن كثيرا من الخلطاء حس ٢٢ لا يعلم كثيرا مما." (١)

"يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤) يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨)." (٢)

"مقبول، وجهر غير مقبول، والجهر غير المقبول هو أن يتحول الذكر إلى إزعاج والعياذ بالله، ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ ... ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا﴾ [الإسراء: ١١٠] .

ولعل إخواننا القراء يتنبهون إلى هذه الآية؛ تنبها يجعلهم يلتفتون إلى أداء أمر الله في هذا المجال فلا يجهرون ولا يرفعون أصواتهم به لدرجة الإزعاج، لأني أقول لكل واحد منهم: إن ربك لم يطلب منك حتى الجهر، إنما طلب دون الجهر، وأقول ذلك خاصة لهؤلاء الذين يفسدون نعمة الله على خلقه؛ فيصيحون ليلا ويمنعونهم من رحمة الله ليلا التي قال عنها: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ [القصص: ٧٣] .

فلا تفسدوا على الناس رحمة ربنا؛ لأن الدعوة إلى الله ليست صياحا على المنابر، إلا إذا كنتم تصنعون لأنفسكم دعاية إعلامية على مساجد الله وعلى منابر الله. وهذا أمر مرفوض وغير مقبول شرعا. ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة﴾ والحق تبارك وتعالى يقول مرة: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١] .

ومرة يقول: ﴿واذكر ربك﴾

وقوله: «اذكر الله» يستشعر سماعها التكاليف؛ لأن الله هو المعبود، والمعبود." (٣)

"ونعود إلى قول الله تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال﴾ والذكر حدث، والحدث يحتاج إلى زمان وإلى مكان. والغدو والآصال زمنان يستوعبان النهار؛ فالغدو هو أول النهار، والآصال هو من العصر للمغرب، مثلما نقول «شمس الأصيل» .

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٣٩٢/٧

(٢) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ١٢٣/٥

(٣) تفسير الشعراوي الشعراوي ٤٥٤٨/٨

وهذه الآية الكونية تتكرر في القرآن الكريم كثيرا، فالحق تبارك وتعالى يقول: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] .

وكما يقول عز وجل: ﴿إنآ أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الفتح: ٨ - ٩] .

و «الأصيل» هنا مشترك، ومقابل الأصيل يطلق الحق عليه مرة بكرة، وأخرى يطلق عليه: الغدو، وسبحانه القائل: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشآء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ [النور: ٣٥ - ٣٦] .

إنك ساعة أن تقرأ «في بيوت» تعرف أن هنا حدثا؛ لأن قوله: «في بيوت»." (١)

"أي: نسوا العبر التي وقعت للأمم التي عاشت من قبلهم؛ فنصر الله الدين رغم عناد هؤلاء.

وقد يطلق الذكر على كل ما يبعثه الحق سبحانه على لسان أي رسول: ﴿ ... فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل: ٤٣]

وقد يطلق الذكر على العطاء الخير من الله.

ويطلق الذكر على تذكر الله دائما؛ وهو سبحانه القائل: ﴿فاذكروني أذكركم ... ﴾ [البقرة: ١٥٢]

أي: اذكروني بالطاعة أذكركم بالخير والتجليات، فإذا كان الذكر بهذه المعاني؛ فنحن نجد الاطمئنان في أي منها، فالذكر بمعنى القرآن يورث الاطمئنان.

ويقول الحق سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤١٤٣]

فكل آية تأتي من القرآن كانت تطمئن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه صادق البلاغ عن الله؛ فقد كان المسلمون قلة مضطهدة، ولا يقدرون على حماية أنفسهم، ولا على حماية ذويهم.

ويقول الحق سبحانه في هذا الظرف: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ [القمر: ٤٥]." (٢)

"مساجد الدنيا كلها من أقصى الشرق لأقصى الغرب، ومن الشمال للجنوب.

ولو نظرت إلى أوقات الصلوات لرأيت أنها مرتبطة بحركة الفلك وبالشمس في الشروق، وفي الزوال، وفي الغروب، وباعتبار فارق التوقيت في كل بلاد الله تجد أن ذكر الله دائم لا ينقطع أبدا في ليل أو نهار، فأنت تؤذن للصلاة، وغيرك يقيم، وغيركما يصلي، أنت تصلي الظهر، وغيرك يصلي الصبح أو العصر، بل أنت في الركعة الأولى من الصبح، وغيرك في الركعة الثانية،

---

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٤٥٥١/٨

(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ٧٣٢٢/١٢

أنت تركع وغيرك يسجد.
إذن: هي منظومة عبادية دائمة في كل وقت، ودائرة في كل مكان من الأرض، فلا ينفك الكون ذاكرا لله. أليس هذا ذكرا كثيرا؟ أليست كلمة (الله أكبر) دائرة على ألسنة الخلق لا تنتهي أبدا؟
ثم لما كان دفع الله الناس بعضهم ببعض ينتج عنه معركة تسفر عن منتصر ومنهزم، قال سبحانه: ﴿ولينصرن الله من ينصره. ﴾ [الحج: ٤٠] فإن كان التدافع بين الكفار فإنه لا ينتهي، وإن كان بين حق لله وباطل حكم الله بأنه باطل لا بد أن تنتهي بنصرة الحق، وغالبا لا تطول هذه المعركة؛ لأن الحق دائما في حضانة الله، إنما تطول المعارك بين باطل وباطل، فليس أحدهما أولى بنصرة الله من الآخر، فيظل كل منهما يطحن في الآخر، وإن لم تكن حربا ساخنة كانت حربا باردة، لماذا؟ لأنه لا يوجد قوي لا هوى له يستطيع أن يفصل فيها، وطالما تدخل الهوى تستمر المعركة.
يبقى في القسمة العقلية المعركة بين حق وحق، وهذه لا وجود لها؛ لأن الحق واحد في الوجود، فلا يمكن أن يحدث تصادم أبدا بين أهل الحق.." (١)

"أمرنا ربنا سبحانه بذكره ذكرا كثيرا؛ لأن الذكر عمدة العبادات وأيسرها على المؤمن؛ لذلك نجد ربنا يأمرنا به عند الانتهاء من العبادات كالصلاة والصيام والحج، وجعله سبحانه أكبر فقال ﴿ولذكر الله أكبر ... ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .
والذكر شغل الذاكرة، وهي منطقة في المخ، قلنا: إن المعلومة يستقبلها الإنسان في بؤرة شعوره، فإذا أراد أن يحفظ بها لحين الحاجة إليها حفظها في الحافظة، أو في حاشية الشعور، فأنت مثلا ترى شخصا فتقول: هذا الرجل لم أره منذ عشرين سنة، وآخر مرة رأيته كان في المكان الفلاني.
إذن: الذكر لشيء كان موجودا في بؤرة الشعور، الذكر يعني قضية موجودة عندك بواقع كان لها ساعة وجودها، لكن حصلت عنها غفلة نقلتها إلى حاشية الشعور أو الحافظة، بعد ذلك نريد منك ألا تنساها في الحاشية أو في منطقة بعيدة بحيث تحتاج إلى مجهود لتذكرها، إنما اجعلها دائما في منطقة قريبة لك، بحيث يسهل عليك تذكرها دون عناء.
وكذلك ينبغي أن يكون ذكرك لله، فهو القضية الحيوية التي ينبغي أن تظل على ذكر لها دائما وأبدا، وكيف تنسى ذكر ربك وقد أخذ عليك العهد، وأنت في عالم الذر، وأخذ منك الإقرار بأنه سبحانه." (٢)
"كل شيء وعلمه بكل شيء واستحقاقه للعبادة.
وقد ورد في فضل الذكر والدعاء والحث عليهما آيات كثيرة وأحاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نذكر ما تيسر منها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا - وسبحوه بكرة وأصيلا - هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٣] وقال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال تعالى: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات﴾ [الأحزاب: ٣٥] إلى أن قال سبحانه: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا

(١) تفسير الشعراوي الشعراوي ٩٨٤٦/١٦
(٢) تفسير الشعراوي الشعراوي ١٢٠٥٩/١٩

عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥] وقال تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب – الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ [آل عمران: ١٩٠ – ١٩١] وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال: ٤٥] وقال تعالى: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾ [البقرة: ٢٠٠] وقال تعالى:." (١)

"الله عليك، فتدخل عليه السرور، وتدخل عليه الأمل حتى لا ييأس من رحمة الله عز وجل.

الحاصل أن الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: (سددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا) يعني معناه: استعينوا في أطراف النهار؛ وأوله وآخره، وشيء من الليل (والقصد القصد تبلغوا) هذا يحتمل أن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يضرب مثلا للسفر المعنوي بالسفر الحسي، فإن الإنسان المسافر حسا يبتغي له أن يكون سيرة في أول النهار وفي آخر النهار وفي شيء من الليل، لأن ذلك هو الوقت المريح للراحلة وللمسافر، ويحتمل أنه أراد بذلك أن أول النهار وآخره محل التسبيح، كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا) (الأحزاب: ٤١، ٤٢) ، وكذلك الليل محل للقيام.

وعلى كل حال فالرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ أمرنا أن لا نجعل أوقاتنا كلها دأبا في العبادة، لأن ذلك يؤدي إلى الملل والاستحسار والتعب والترك في النهاية. أعانني الله وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

* * *

١٤٦ ـ وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: (ما هذا الحبل؟) قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد) متفق عليه.

EXذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ فيما نقله أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل المسجد يعني المسجد النبوي ـ فإذا حبل ممدود بين ساريتين، أي بين عمودين، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا حبل لزينب تربطه، فإذا تعبت من الصلاة تعلقت به من أجل أن تنشط، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (حلوه) يعني أخروه وأزيلوه. ثم قال: (ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر." (٢)

"ثم ذكر حديث أبي هريرة في الرجل يجلس مجلسا لا يذكر الله فيه أو يضطجع مضطجعا لا يذكر الله فيه كان عليه من الله ترة والترة يعني الخسارة أن تجلس مجلسا لا تذكر الله فيه فهذا خسارة لأنك لم تربح فيه وفيه دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يكثر من ذكر الله قائما وقاعدا وعلى جنبه وكذلك إذا اضطجعت مضطجعا لم تذكر اسم الله فيه فإنه يكون عليك من الله ترة أي خسارة فأكثر من ذكر الله دائما وأبدا كن كمن قال الله تعالى فيهم: إن في خلق السماوات والأرض

---

(١) تحفة الأخيار ببيان جملة نافعة مما ورد في الكتاب والسنة من الأدعية والأذكار ابن باز ص/٤

(٢) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٢/٢٢٧

واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم لتكون ممتثلا لقول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أعاننا الله على ذكره وشكره وحسن عباده." [١]

"كتاب الأذكار

/L2٠ باب فضل الذكر والحث عليه

قال الله تعالى ﴿ولذكر الله أكبر﴾ وقال تعالى ﴿فاذكروني أذكركم﴾ وقال تعالى ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ وقال تعالى ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ .

وقال تعالى ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى قوله تعالى ﴿والذاكرين الله كثيرا والذكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ والآيات في الباب كثيرة معلومة.

EXقال المؤلف رحمه الله تعالى في كتابه رياض الصالحين كتاب الأذكار.

الأذكار جمع ذكر والمراد بذلك ذكر الله عز وجل ثم ذكر باب فضل الذكر والحث عليه وذكر آيات متعددة وليعلم أن ذكر الله تعالى يكون بالقلب ويكون باللسان ويكون بالجوارح أما القلب فهو التفكر ذكر الله تعالى بالقلب أن يتفكر الإنسان في أسماء الله وصفاته وأحكامه وأفعاله وآياته وأما الذكر باللسان فظاهر ويشمل كل قول يقرب إلى الله عز وجل من التهليل والتسبيح والتكبير وقراءة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقراءة السنة وقراءة العلم." [٢]

"كل قول يقرب إلى الله فهو ذكر لله عز وجل.

وأما ذكر الله بالأفعال فهو ذكر الله بالجوارح فهو كل فعل يقرب إلى الله كالقيام في الصلاة والركوع والسجود والقعود وغير ذلك لكن يطلق عرفا على ذكر الله تعالى التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل وذكر المؤلف رحمه الله في ذلك آيات منها قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثير وسبحوه بكرة وأصيلا فخاطب الله المؤمنين وأمرهم أن يذكروا الله تعالى **ذكرا كثيرا** في كل وقت وفي كل حال وفي كل مكان اذكر الله **ذكرا كثيرا** ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أي قولوا سبحان الله في البكور والأصيل يعني في أول النهار وآخر النهار ويحتمل أن يراد بالنهار كله وفي الليل كله وقال الله تعالى ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ وهذا ذكره الله عز وجل في سياق لقاء العدو فقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ فذكر الله تعالى من أسباب الثبات والفلاح والفلاح كلمة جامعة يراد بها حصول المطلوب والنجاة من المرهوب وقال الله تعالى ﴿اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر﴾ قيل المعنى ولما فيها من ذكر الله أكبر وقيل المعنى ذكر الله عموما أكبر وهو أن الإنسان إذا صلى كان ذلك سببا لحياة قلبه وذكره لله عز وجل كثيرا وقال تعالى في وصف الخلق من عباده ﴿إن المسلمين والمسلمات." [٣]

---

(١) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٣٤٤/٤

(٢) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٤٨٣/٥

(٣) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٤٨٤/٥

"﴿واذكر ربك في نفسك﴾ يعني فيما بينك وبين نفسك ﴿تضرعا وخيفة﴾ يعني تضرعا إلى الله عز وجل وافتقارا إليه وإظهارا للفقر بين يديه ﴿وخيفة﴾ يعني خيفة منه أو خيفة ألا تقبل لقول الله تعالى ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ يعني يؤتون ما آتوا ومع هذا قلوبهم وجلة يخافون ألا يقبل منهم لأن الله تعالى لا يتقبل إلا من المتقين ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول﴾ يعني الإسرار ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ ثم ذكر أيضا قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ .

وقوله تعالى ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق﴾ والآيات في هذا كثيرة وسوف يأتي إن شاء الله في الأحاديث تفسير ذلك.

١٤٥١ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد رواه مسلم.

١٤٥٢ - وعنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة قال أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات." (١)

"[الخطبة العاشرة في أن ذكر الله يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح]

الخطبة العاشرة

في أن ذكر الله يكون بالقلب وباللسان وبالجوارح الحمد لله الذي جعل ذكره سببا للفوز بدار السلام، ومكفرا للذنوب والآثام، وجعل الإعراض عنه سببا للخسارة والحرمان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الجلال والإكرام، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل الأنام، ومصباح الظلام صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الكرام وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم المقام، وسلم تسليما. أما بعد: فيا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا، وسبحوه بكرة وأصيلا، واعلموا أن في ذكر الله حياة القلوب والقرب من علام الغيوب، وفي ذكر الله كشف الغموم وتفريج الكروب وفي ذكر الله زوال المكروه، وحصول المطلوب، وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن اقترب إلى شبرا اقتربت إليه ذراعا، وإن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» . وذكر الله تعالى محله القلب واللسان والجوارح، فأما ذكر الله بالقلب، فمعناه أن يكون ذكر الله تعالى دائما في قلبه يفكر في أسماء الله الحسنى ومعاني صفاته العليا، وأفعاله التي بهرت العقول وأحكامه التي بلغت من الحكمة غايتها القصوى، وأما ذكر الله باللسان، فمعناه أن ينطق بلسانه بذكر ربه بذكر أسمائه وصفاته وأحكامه، فالتهليل والتكبير والتسبيح والحمد والثناء من ذكر الله، ودرس القرآن، والعلوم الدينية، وتعليمها، وتعلمها من ذكر الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من ذكر الله، وأما ذكر الله بالجوارح، فإن كل فعل تفعله متقربا إلى الله متبعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو من ذكر الله أيها المؤمنون اذكروا ربكم قياما وقعودا، وعلى جنوبكم، فإن ذلك هو الحياة والصلاح، واعرفوا، رحمكم الله، الأذكار الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم،

---

(١) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٥/٥٣٨

واعملوا بها، فإنها خير وبركة، فمن ذلك أن النبي صلىالله عليه وسلم قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير في يوم مئة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك، ومن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة حطت خطاياه، ولو كانت مثل زبد البحر» . وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك." (١)

"وله الحمد، وهوعلى كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل» ، وقال صلى الله عليه وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» . وقال صلى الله عليه وسلم: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس» ، وقال صلى الله عليه وسلم: «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم الخليل عليه السلام، فقال: أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر» . وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه «أن أعرابيا قال: يا رسول الله علمني كلاما أقوله قال: (قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، قال هؤلاء لربي فما لي قال: قل: اللهم اغفر لي، وارحمني، واهدني، وارزقني، ولازموا الاستغفار، فإن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب) » قال ابن عمر رضي الله عنهما: كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مئة مرة ربي اغفر لي، وتب علي إنك أنت التواب الرحيم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** - وسبحوه بكرة وأصيلا - هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما - تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٤]

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . الخ.." (٢)

"وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** - وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] وكان النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه، فأديموا ذكر ربكم، واغرسوا لأنفسكم في جنات النعيم، فإن غراسها سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . الخ.." (٣)

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ١٥١/٢

(٢) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ١٥٢/٢

(٣) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ١٥٥/٢

"[الخطبة السابعة عشرة في ذكر الله تعالى]

الخطبة السابعة عشرة

في ذكر الله تعالى الحمد لله المذكور بكل لسان المشكور على كل إحسان خلق الخلق ليعبدوه وأظهر لهم آياته ليعرفوه ويسر لهم طرق الوصول إليه ليصلوه فهو ذو الفضل العظيم والخير الواسع العميم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليما.

أما بعد أيها الناس اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة واصيلا كونوا من أولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم كونوا من الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وتنفرج الكروب بذكر الله يحصل النصر ويثبت الله القلب في مواطن الفزع ولذلك أمر الله تعالى بذكره عند مقابلة الأعداء في الحرب فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال: ٤٥] إن ذكر الإنسان لربه يملأ قلبه سرورا ويكسو وجهه نورا ويذكره الله به يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ [البقرة: ١٥٢] ويقول تعالى في الحديث القدسي الذي رواه النبي -صلى الله عليه وسلم- عنه «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم» وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- «سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا» وقال -صلى الله عليه وسلم- «مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله كمثل الحي والميت» وسئل -صلى الله عليه وسلم- من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله قال: «من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه» وقال -صلى الله عليه وسلم- «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وأمر أن يلقن الميت إياها عند موته، وإن من أكبر ذكر الإنسان لها عند موته أن يكون مكثرا لها في حياته فإن من أكثر من شيء ألفه.

وقال -صلى الله عليه وسلم- «أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها» .

وقال -صلى الله عليه وسلم- «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل» .

وقال «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك»." (١)

"بمعنى العبادة؛ وهو كل ما يتعبد به الإنسان لله؛ ولكن كثر استعماله في الحج؛ وفي الذبح؛ ومنه قوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام: ١٦٢] .

قوله تعالى: ﴿كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾ ؛ «ذكر» هنا مصدر مضاف لفاعله؛ و «آباء» مفعول به؛ أي كما تذكرون آباءكم، أو أشد ذكرا؛ و ﴿أشد﴾ يشمل الشدة في الهيئة، وحضور القلب، والإخلاص؛ والشدة في الكثرة أيضا؛ فيذكر الله **ذكرا كثيرا**، ويذكره ذكرا قويا مع حضور القلب.

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٢/٣٧٤

وقوله تعالى: ﴿كذكركم آباءكم﴾ ؛ لأنهم كانوا في الجاهلية يذكرون أمجاد آبائهم إذا انتهوا من المناسك؛ وكل يفخر بنسبه، وحسبه؛ فأمر الله تعالى أن نذكره سبحانه وتعالى كذكرهم آباءهم، أو أشد ذكرا.

وقوله تعالى: ﴿أو أشد ذكرا﴾ : قال كثير من النحويين: إن ﴿أو﴾ بمعنى: بل؛ أي بل أشد؛ وهو هنا متوجه؛ ويشبهها من بعض الوجوه قوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ [الصافات: ١٤٧] ؛ وقد ذكر ابن القيم في قوله تعالى: ﴿أو يزيدون﴾ أن ﴿أو﴾ هنا ليست بمعنى «بل» ؛ ولكنها لتحقيق ما سبق – يعني: إن لم يزيدوا فلن ينقصوا –؛ وبناء على هذا نقول مثله في هذه الآية: أي كذكركم آباءكم – إن لم يزد فلا ينقص –؛ إلا أنه هنا إذا جعلناها بمعنى «بل» تكون أبلغ؛ لأن ذكر الله يجب أن يكون أشد من ذكر الآباء.

قوله تعالى: ﴿فمن الناس﴾ ؛ «من» للتبعيض؛ والمعنى: بعض الناس؛ بدليل أنها قوبلت بقوله تعالى: ﴿ومنهم﴾ ؛ فيكون." (١)

"وذكر الله تعالى الذكر في طرفي النهار في مواضع كثيرة من كتابه كقوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ وقال: ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ . وقال: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ وقال: ﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ .

فهذه الأوقات الثلاثة منها وقتان وهما أول النهار وآخره يجتمع في كل من هذين الوقتين عمل واجب هو تطوع فأما العمل الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر وهما من أفضل الصلوات الخمس، وهما البردان اللذان من حافظ عليهما دخل الجنة، وقد قيل في كل منهما أنها الصلاة الوسطى.

وأما العمل التطوع فهو ذكر الله بعد صلاة الصبح حتي تطلع الشمس، وبعد العصر حتي تغرب الشمس. وقد وردت النصوص الكثيرة في أذكار الصباح والمساء وفي فضل من ذكر الله حيث يصبح وحيث يمسي.

وقد روي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا: " ابن آدم اذكرني ساعة من أول النهار وساعة من آخره أغفر لك ما بين ذلك إلا الكبائر أو تتوب منها ". وكان السلف لآخر النهار أشد تعظيما من أوله.

قال ابن المبارك: بلغنا أنه من ختم نهاره بذكر الله كتب نهاره كله ذكرا. وقال أبو الجلد: بلغنا أن الله تعالى ينزل مساء كل يوم إلي السماء الدنيا ينظر إلي أعمال بني آدم.

عليك ياذا الجلال معتمدي ... طوبى لمن كنت أنت مولاه

---

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة ابن عثيمين ٢/٤٣٢

طوبى لمن بات خائفا وجلا ... يشكوا إلى ذي الجلال بلواه

وما به علة ولا سقم ... أكثر من حبه لمولاه." (١)

"رسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة لهذه الحادثة. كان بأمر الله- تعالى- وإذنه.

قال- تعالى-: ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له، سنة الله في الذين خلوا من قبل. وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا. ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين، وكان الله بكل شيء عليما ثم وجهت السورة الكريمة نداء إلى المؤمنين أمرتهم فيه بالإكثار من ذكر الله- تعالى- ومن تسبيحه وتنزيهه. كما وجهت نداء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بينت له فيه وظيفته، قال- تعالى-: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**. وسبحوه بكرة وأصيلا. هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما. تحيتهم يوم يلقونه سلام، وأعد لهم أجرا كريما، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا.

٩- ثم تحدثت السورة بعد ذلك بشيء من التفصيل عن بعض الأحكام التي تتعلق بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبعلاقته صلى الله عليه وسلم بهن من حيث القسم وغيره، ومن حيث الزواج بغيرهن.

كما تحدثت عن الآداب التي يجب على المؤمنين أن يلتزموها عند دخولهم بيوت النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة منه. لأجل تناول طعام، أو لأجل أمر من الأمور الأخرى التي تتعلق بدينهم أو دنياهم.

ثم ختمت هذه الآيات بقوله- تعالى- يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما.

١٠- وبعد هذا البيان المفصل لكثير من الأحكام والآداب، أخذت السورة الكريمة في أواخرها، في تهديد المنافقين الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وفي بيان أن سنن الله في خلقه لا تتخلف، وأن علم وقت قيام الساعة إلى الله- تعالى- وحده، وأن الإصرار على الكفر يؤدى إلى سوء العاقبة، وأن السير على طريق الحق. يؤدى إلى مغفرة الذنوب. وأن الإنسان قد ارتضى حمل الأمانة. التي عجزت عن حملها السموات والأرض والجبال.

قال- تعالى-: إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا. ليعذب الله المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات، وكان الله غفورا رحيما.." (٢)

"١١- ومن هذا العرض المجمل لآيات سورة الأحزاب، نرى أنها قد اهتمت بموضوعات من أبرزها ما يلي:

(أ) كثرة التوجيهات والإرشادات، من الله- تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم إلى أفضل الأحكام، وأقوم الآداب، وأهدى السبل.

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٤/٤٨٧

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ١١/١٦٥

وهذه التوجيهات والإرشادات. نراها في كثير من آيات سورة الأحزاب لا سيما التي نادت الرسول صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة.

ومن ذلك قوله- تعالى-: يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين.

وقوله- سبحانه- يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها.

وقوله- عز وجل-: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا.

وقوله- تعالى-: يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن.

وقوله- سبحانه-: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن.

(ب) أمر المؤمنين بطاعة الله- تعالى-، وبطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ونهيهم عن كل مأمن شأنه أن يتعارض مع تشريعات الإسلام ومع آدابه.

وهذه الأوامر والنواهي، نراها في كثير من آيات هذه السورة الكريمة.

ومن ذلك قوله- تعالى-: يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم، إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها.

وقوله- سبحانه-: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، وسبحوه بكرة وأصيلا.

وقوله- عز وجل-: يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن، فما لكم عليهن من عدة تعتدونها....

وقوله- تعالى-: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا.

وقوله- سبحانه-: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا.

(ج) هذه السورة الكريمة تعتبر على رأس السور القرآنية التي اهتمت ببيان فضل نساء النبي صلى الله عليه وسلم وحقوقهن، وواجباتهن وخصائصهن.." (١)

"حضرها: فو الذي بعثه بالحق نبيا لانهالت- أى: لتفتت- حتى عادت كالكثيب- أى كالرمل المتجمع- لا ترد فأسا ولا مسحاة «١» .

وهذه الآية الكريمة وإن كان نزولها في غزوة الأحزاب، إلا أن المقصود بها وجوب الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أقواله وأفعاله، كما قال- تعالى-: وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا.

والجار والمجرور في قوله- سبحانه-: لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر متعلق بمحذوف صفة لقوله حسنة، أو بهذا اللفظ نفسه وهو حسنة.

والمراد بمن كان يرجو الله واليوم الآخر: المؤمنون الصادقون الذين وفوا بعهودهم.

أى: لقد كان لكم- أيها الناس- قدوة حسنة في نبيكم صلى الله عليه وسلم، وهذه القدوة الحسنة كائنة وثابتة للمؤمنين حق الإيمان. الذين يرجون ثواب الله- تعالى-، ويؤملون رحمته يوم القيامة، إذ هم المنتفعون بالتأسى برسولهم صلى الله عليه

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ١٦٦/١١

وسلم وقوله: وذكر الله كثيرا معطوف على كان، أى: هذه الأسوة الحسنة بالرسول صلى الله عليه وسلم ثابتة لمن كان يرجو الله واليوم والآخر، ولمن ذكر الله- تعالى- **ذكرا كثيرا**، لأن الملازمة لذكر الله- تعالى- توصل إلى طاعته والخوف منه- سبحانه-.

وجمع- سبحانه- بين الرجاء والإكثار من ذكره، لأن التأسى التام بالرسول صلى الله عليه وسلم لا يتحقق إلا بهما.

ثم بين- سبحانه- بعد ذلك- على سبيل التشريف والتكريم- ما قاله المؤمنون الصادقون عند ما شاهدوا جيوش الأحزاب، فقال- تعالى-: ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما.

واسم الإشارة هذا يعود إلى ما رأوه من الجيوش التي جاء بها المشركون، أو إلى ما حدث لهم من ضيق وكرب بسبب ذلك.

أى: وحين رأى المؤمنون الصادقون جيوش الأحزاب وقد أقبلت نحو المدينة، لم يهنوا ولم يجزعوا، بل ثبتوا على إيمانهم وقالوا هذا الذي نراه من خطر داهم، هو ما وعدنا به الله ورسوله، وأن هذا الخطر سيعقبه النصر، وهذا الضيق سيعقبه الفرج، وهذا العسر سيأتى بعده اليسر.

---

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ٢٢٩ وما بعدها.." [1]

"ثم جاءت الآيات الكريمة بعد ذلك لتؤكد هذا المعنى وتقرره، فأمرت المؤمنين بالإكثار من ذكر الله- تعالى- ومن تسبيحه وتحميده وتكبيره، فقال- سبحانه-:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

والمقصود بذكر الله- تعالى- في قوله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** ما يشمل التهليل والتحميد والتكبير وغير ذلك من الأقوال والأفعال التي ترضيه- عز وجل-.

أى: يا من آمنتم بالله حق الإيمان، أكثروا من التقرب إلى الله- تعالى- بما يرضيه، في كل أوقاتكم وأحوالكم، فإن ذكر الله- تعالى- هو طب النفوس ودواؤها، وهو عافية الأبدان وشفاؤها، به تطمئن القلوب، وتنشرح الصدور..

والتعبير بقوله: اذكروا الله **ذكرا كثيرا** يشعر بأن من شأن المؤمن الصادق في إيمانه، أن يواظب على هذه الطاعة مواظبة تامة.

ومن الأحاديث التي وردت في الحض على الإكثار من ذكر الله، ما رواه الإمام أحمد عن أبي الدرداء.. رضى الله عنه.. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق- أى:

الفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم، قالوا:

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ١١/١٩٤

وما هو يا رسول الله؟ قال: ذكر الله- عز وجل-» .

وعن عمرو بن قيس قال: سمعت عبد الله بن بسر يقول: جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما: يا رسول الله، أى الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله» .

وقال الآخر: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا، فمرني بأمر أتشبث به.

قال: «لا يزال لسانك رطبا بذكر الله» .." (١)

"رسالتك، وهذا الوزير والمعين هو أخى هارون، الذي أسألك أن تقوى به ظهري، وأن تجعله شريكا لي في تبليغ رسالتك، حتى نؤديها على الوجه الأكمل وكأن موسى- عليه السلام- قد علم من نفسه حدة الطبع، وسرعة الانفعال، فالتجأ إلى ربه لكي يعينه بأخيه هارون، ليقويه ويتشاور معه في الأمر الجليل الذي هو مقدم عليه، وهو تبليغ رسالة الله إلى فرعون الذي طغى وبغى وقال لقومه أنا ربكم الأعلى.

قال ابن عباس: نبئ هارون ساعتئذ حين نبئ موسى.

وقوله: كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا تعليل للدعوات الصالحات التي تضرع بها موسى إلى ربه- تعالى-.

أى: أجب- يا إلهى- دعائي بأن تشرح صدري.. وتشد بأخى هارون أزرى، كي نسبحك تسبيحا كثيرا، ونذكرك ذكرا كثيرا، إنك- سبحانك- كنت وما زلت بنا بصيرا، لا يخفى عليك شيء من أمرنا أو من أمر خلقك، فأنت المطلع على حالنا وعلى ضعفنا، وأنت العليم بحاجتنا إليك وإلى عونك ورعايتك.

بهذه الدعوات الخاشعات ابتهل موسى إلى ربه، وأطال الابتهال في بسط حاجته، وكشف ضعفه.. فماذا كانت النتيجة؟.

لقد كانت النتيجة أن أجاب الله له دعاءه، وحقق له مطالبه، وذكره ببعض مننه عليه فقال- تعالى-:.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٣٦ الى ٤١]

قال قد أوتيت سؤلك يا موسى (٣٦) ولقد مننا عليك مرة أخرى (٣٧) إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى (٣٨) أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني (٣٩) إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى (٤٠)

واصطنعتك لنفسي (٤١)." (٢)

"بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، لا سيما عبده المصطفى ، وبعد:

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي   محمد سيد طنطاوي ٢١٩/١١

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي   محمد سيد طنطاوي ١٠٠/٩

فقد قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)﴾ سورة الأحزاب ، وقال عز وجل: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ (٢٠٥) سورة الأعراف.

وقال جل وعلا: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ (١٧) سورة الروم.." [(١)]

"يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم **ذكرا كثيرا**، واشغلوا أوقاتكم بذكر الله تعالى عند الصباح والمساء، وأدبار الصلوات المفروضات، وعند العوارض والأسباب، فإن ذلك عبادة مشروعة، تدعو إلى محبة الله، وكف اللسان عن الآثام، وتعين على كل خير.." [(٢)]

"وتريد) وقد أذنت لك، فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلى فقرأ من القرآن، وجعل يبكى حتى بلت الدموع حقويه، ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه، وجعل يبكى، ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رأيت دموعه قد بلت الأرض، فأتاه بلال ليؤذن بصلاة الغداة فرآه يبكى فقال له: يا رسول الله: أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا؟! ثم قال: وما لي لا أبكى؟ وقد أنزل الله على في هذه الليلة: إن في خلق السموات والأرض. ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها.

وأولوا العقول والأرواح الطيبة هم الذين ينظرون إلى السماء والأرض وما فيهما فيذكرون الله ويذكرون نعمه وفضله على العالم في كل حال من قيام وقعود واجتماع ذكر بالقلب حتى يطمئن ألا بذكر الله تطمئن القلوب [سورة الرعد آية ٢٨] ثم يتبعون ذكر الله بالتفكير في بديع صنعه وأسرار خلقه وما في هذه العوالم من منافع وحكم وأسرار تدل على كمال العلم وتمام القدرة والوحدانية التامة في الذات والصفات والأفعال.

والمراد التفكر في خلق الله لا في ذات، الله، فقد ورد «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق» ومع التفكر اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا، وما حال هؤلاء الذين يجمعون بين التذكر والتفكير؟ يقولون باللسان وقلبهم بين الخوف والرجاء: ربنا ما خلقت هذا الكون باطلا وما خلقت هذا الخلق عبثا أو كما مهملا! بل لا بد لهذا الخلق من نهاية يأخذ المطيع والعاصي جزاءه إن خيرا فخير وإن شرا فشر، وإذا كان كذلك فقنا يا ربنا واصرف عنا عذاب النار بعنايتك وتوفيقك لنا. واجعلنا مع الأبرار بهدايتك ورحمتك يا أرحم الراحمين، ثم إنهم بعد أن يصلوا بالفكر والذكر إلى حقيقة هذا العالم ومآله وقد دعوا ربهم أن يقيهم عذاب جهنم في الحياة الثانية يقولون متضرعين: ربنا إنك من تدخله النار فقد أهنته وأخزيته لأن من يعصيك فأنت قاهره ومذله، وكيف لا وقد سخرت هذا العالم وأخضعته لكمال قدرتك وعظيم إرادتك، فمن عاداك فلا ملجأ منك إلا إليك، وليس له شفيع أو نصير، وما للظالمين من أنصار!! وقد وصف من يدخل النار بأنه يستحق هذا

(١) أذكار وآداب الصباح والمساء محمد إسماعيل المقدم ص/٣

(٢) التفسير الميسر مجموعة من المؤلفين ص/٤٢٣

لظلمه وتجاوزه الحد المعقول، هذا ما نتجه الفكر والنظر الصحيح في الكون وما فيه.

وأما السمع فحينما سمعوا نداء الرسل الكرام قالوا: ربنا إننا سمعنا رسولا ينادى." (١)

"أنهم ظلموا في كل ما لحقهم من الكفار، وإن الله على نصر المؤمنين لقدير، ينصرهم بغير حرب ولا تعب، ولكن يريد الله من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته، وليمحص الله الذين آمنوا، ولو يشاء الله لانتصر منهم، ولكن ليبلو بعضكم ببعض.

ثم وصف هؤلاء المؤمنون بقوله: الذين أخرجوا من ديارهم أى مكة بغير حق يقتضى الإخراج. لكن لقولهم: ربنا الله، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد [سورة البروج آية ٨] .

أيها الناس: لا تعجبوا من إذن الله لأوليائه بالقتال، ووعدهم بالنصر على أعدائهم وحثهم على القتال، فلولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال أعداء الله وأعدائهم قديما وحديثا لاستولى أهل الشرك عليهم، ولضاعت مواضع العبادة في الأرض، وهدمت صوامع الرهبان، وبيع النصارى وكنائسهم، وصلوات اليهود وكنائسهم، وكذلك مساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله **ذكرا كثيرا**.

وو الله لينصرن الله من ينصره، إن الله لقوى قادر. عزيز لا يغالب ومن ينصره الله هو من ينصر دينه ويتبع أمره ونهيه، ويطيع رسوله وكتابه، والله- سبحانه وتعالى- أقسم لينصرنه، ومن أصدق من الله حديثا: إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم، أفبعد صريح القرآن نطلب من الله النصر والدفاع. وما نصرنا دينه إلا بالانتساب إليه بالاسم فقط. أما القرآن، وحكمه، أما روح الدين والخوف من الله، فشيء في الكتب فقط، ويردد على اللسان فحسب، ولقد صدق الله: وقليل من عبادي الشكور [سورة سبأ آية ١٣] .

من ينصره الله هم الذين إن مكناهم في الأرض وأعطيناهم السلطان على الناس، أتوا بأربعة أمور عليها ينبنى الملك، وبها تؤسس الدولة الصالحة وهي:

(أ) إقامة الصلاة كاملة تامة في أوقاتها وبشروطها، إذ هي الواجب العملي الأول على كل مسلم، وهي الصلة بين العبد وربه، وهي مطهرة للنفس، وتقوية للروح، وتجديد لمعنى الإسلام، ودواء لكل داء إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر [سورة العنكبوت آية ٤٥] وإقامة الصلاة لامتثال العبد أمر الله كله.

(ب) إيتاء الزكاة. والحوادث التي مرت بالعالم في العصر الحديث، وما نتج من." (٢)

"من أقوال بعيدة عن الصواب جدا، وقد علمت الحق فيها الذي تؤيده الشواهد الكثيرة. والله أعلم بكتابه.

من تأديب الله للمؤمنين وعنايته بهم [سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم

---

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٣٢٤/١

(٢) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ٥٩٠/٢

من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

المعنى:

يا أيها المؤمنون: اذكروا الله ولا تكونوا كالذين نسوه فأنساهم أنفسهم حتى ضلوا السبيل، يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله كثيرا في القيام والقعود وعلى جنوبكم، أى: في كل حال يجب على المسلم أن يذكر ربه ولا ينساه، يذكره بقلبه، ويستشعر عظمته، ويخشى حسابه وعذابه، ويراقبه مراقبة من يعلم أنه يسمعه ويراه، اذكروه على سبيل التعظيم والإجلال، وسبحوه بكرة وأصيلا، والذكر والتسبيح أعم من الصلاة وأشمل، والمراد بالبكرة والأصيل: أول النهار وآخره، وإن كان المقصود جميع الأوقات فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السماوات والأرض وعشيا وحين تظهرون [سورة الروم الآيتان ١٧، ١٨] .

هو الذي يصلى عليكم أيها المؤمنون، وتصلى عليكم ملائكته، والصلاة من الله رحمة بنا، ومن الملائكة استغفار لنا، كل ذلك ليخرجكم من ظلمات النفس الأمارة بالسوء. ومن ظلمات الدنيا الغرور. ومن ظلمات وسوسة الشيطان. بما يهديكم ويرشدكم ويثنى عليكم ويوفقكم إلى طرق النور والعلم والإسلام والخير، وكان بالمؤمنين رحيما الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور [البقرة ٢٥٧] .." (١)

"وإذا كان الله يصلى علينا ويرحمنا ويخرجنا من الظلمات إلى النور، وهو ربنا الرءوف الرحيم أفلا نذكره **ذكرا كثيرا؟** وهو القائل: فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون [سورة البقرة آية ١٥٢] .

واذكروا أيها المؤمنون أن الله- سبحانه- لا ينساكم يوم القيامة بل هو صاحب الفضل عليكم يحيي عباده بالتحية المباركة الطيبة: تحيتهم يوم يلقونه سلام، سلام من الله وفضل عظيم، وأعد لهم وهيأ أجرا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه، وإنما هو أجر كريم يأتى العباد بلا طلب ولا تعب ولا مشقة. نسأله- سبحانه- أن يوفقنا للعمل حتى نكون مع هؤلاء في ذلك الأجر الكريم!!

بعض الآداب الإسلامية [سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤٥ الى ٤٩]

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (٤٥) وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا (٤٦) وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا (٤٧) ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا (٤٨) يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا (٤٩)." (٢)

"٤٠ - الذين ظلمهم الكفار وأرغموهم على ترك وطنهم مكة والهجرة منها وما كان لهم من ذنب عندهم إلا أنهم عرفوا الله فعبدوه - وحده - ولولا أن الله سخر للحق أعوانا ينصرونه ويدفعون عنه طغيان الظالمين لساد الباطل، وتمادى

---

(١) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ١٠١/٣

(٢) التفسير الواضح محمد محمود حجازي ١٠٢/٣

الطغاة فى طغيانهم، وأخمدوا صوت الحق، ولم يتركوا للنصارى كنائس، ولا لرهبانهم صوامع، ولا لليهود معابد، ولا للمسلمين مساجد يذكر فيها اسم الله **ذكرا كثيرا**، وقد أخذ الله العهد الأكيد على نفسه أن ينصر كل من نصر دينه، وأن يعز كل من أعز كلمة الحق فى الأرض. ووعد الله لا يتخلف، لأنه قوى على تنفيذ ما يريد عزيز لا يغلبه غالب.." [١]

"جاء تذكير الفعل معهم بتأويل الجمع، كقوله تعالى: "والملائكة يدخلون عليهم من كل باب" (١).

ويحيى هذا، هو المسمى عند المسيحيين: يوحنا المعمدان.

٤٠ - ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾:

لما بشرته الملائكة بذلك، وتحقق من البشارة، تعجب من وقوع ذلك مع وجود الموانع، فقال: يا رب، من أين يكون لي غلام، وقد أدركتني الشيخوخة - فقد كانت سنه - على ما روى عن ابن عباس - مائة وعشرين سنة - وامرأتي عاقر لا تلد! وقد كانت هي الأخرى متقدمة في السن، إذ بلغت ثمان وتسعين سنة، على ما روى عن ابن عباس.

وإنما خاطب بذلك ربه ولم يخاطب الملائكة الذين بشروه، مبالغة في التضرع إلى الله تعالى. وحينئذ أجابه المولى قائلا: (كذلك الله يفعل ما يشاء) أي: الله يفعل ما يشاء، مثل ذلك من الأفعال الخارقة للعادة، الخارجة عن القياس.

٤١ - ﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ... ﴾ الآية.

قال زكريا - لما سمع هذا الجواب الحاسم من الله رب العالمين - اجعل لي علامة أستدل بها على حمل امرأتي. قال الله له: علامتك، ألا تقدر على مكالمة الناس، ثلاثة أيام متوالية من غير آفة.

وتقييد عدم الكلام بالناس، مؤذن بأنه كان غير محبوس عن ذكر الله تعالى. وكان حديثه مع الناس - في هذه المدة - رمزا. كما قال تعالى: (إلا رمزا) والرمز: الإشارة باليد أو الرأس أو نحوهما.

ثم أمره الله أن يذكر سبحانه، في وقت لا يحتبس فيه لسانه عن الناس، فقال:

(واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار) يعني: واذكر ربك **ذكرا كثيرا**، ونزهه عما لا يليق به: في وقت العشي - من الزوال إلى الغروب - أو من العصر إلى أن يذهب صدر الليل، واصنع مثل ذلك في وقت الإبكار - من الفجر إلى الضحى. والمراد من العشي والإبكار. جميع الأوقات. والذكر: يتناول ما كان باللسان والقلب.

(١) الرعد: ٢٣.." [٢]

"عن الجمعة، وقول الصحابي الواحد إذا خولف فيه لا يعتبر حجة، والأمر بالسعي إلى صلاة الجمعة متوجه يوم العيد كتوجهه في سائر الأيام، وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة (سبح اسم ربك الأعلى) و (هل أتاك حديث الغاشية) قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضا في الصلاتين. أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه (١).

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم   مجموعة من المؤلفين ص/٤٩٤

(٢) التفسير الوسيط - مجمع البحوث   مجموعة من المؤلفين ١/٥٦٣

المعنى الإجمالي للآية: يا أيها الذين آمنوا وكنتم من المقيمين في بلد الجمعة المكلفين بالصلاة: إذا سمعتم أذان الجمعة فعليكم أن تمضوا إلى مكان أدائها وعليكم السكينة والوقار، وأن تستمعوا إلى خطبة الجمعة، وتصلوا صلاتها في جماعة وأنتم متوضئون، فإنه لا صلاة من غير وضوء، وعليكم أن تمتنعوا عن البيع والشراء ابتداء من الأذان الأول على الأقل؛ لتتفرغوا لسماع خطبتها وأدائها مع الجماعة، فإن البيع والشراء حينئذ حرام، ويقول بعض العلماء: إنهما باطلان؛ ذلكم خير لكم في دينكم، ففي ذلك غفران لذنوبكم ومثوبة من الله لكم، إن كنتم تميزون بين الخير والشر والنفع والضر.

١٠ - ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (١٠)﴾:

فإذا فرغتم من صلاة الجمعة فمباح لكم أن تنتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم ونحو ذلك واطلبوا من رزق الله بسعيكم، واذكروا الله **ذكرا كثيرا** في جميع الأحوال، واشكروه على توفيقكم لأداء الفرائض؛ لكي تفلحوا وتفوزوا في دنياكم وأخراكم.

ويقول القرطبي: كان عراك بن مالك إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: "اللهم إني قد أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين".

---

(١) انظر للقرطبي في شرح هذه الآية في المسألة الحادية عشرة.." (١)

"تستغرق قلبه وتسيطر على باطنه، كما أمره - عز وجل - أن يعبده ظاهرا ويذكره بلسانه في قوله (واذكر اسم ربك) ليكون الظاهر والباطن مشغولا بالله وحده.

هذا، واتفق أئمة الإسلام وعلماؤه على مشروعية طلب ذكر الله، كما اتفقوا على أن كلمة (لا إله إلا الله) هي أفضل ما قاله الرسول والنبيون من قبله - صلى الله عليه وسلم - ولكن ما المراد من ذكر الله؟ هل يشمل ويضم كل العبادات؟ أو هو نوع معين منها؟ ثم ما مقداره؟ وما هي أفضل الأوقات التي يطلب فيها وتكون أرجى في الإجابة؟ وهل هو مطلوب على سبيل الندب أو على سبيل الحتم والوجوب؟ وما الحالة التي ينبغي أن يكون عليها الذاكر عند ذكر ربه؟ أمور اختلفوا فيها ولكل وجهة.

والذي يتضح لنا أن الذكر هو عمل من أعمال اللسان، وأن لكل جارحة عبادتها الخاصة بها، وذلك عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث: "أوصاني ربي بتسع ... " الخ الذي جاء فيه: "وأن يكون نطقي ذكرا، وصمتي فكرا، ونظري عبرا"، وأيضا فإن إطلاق الذكر على كل ما نطق به اللسان من العبادات فيه ضرب من التجوز؛ إذ قد عطف الأمر بالتسبيح (وهو من عمل اللسان أيضا) على الأمر بالذكر في قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا) والعطف - كما يقولون - يقتضي المغايرة، نسأل الله حسن التوفيق إلى ما يحبه الله ويرضاه.

٩ - ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا (٩)﴾:

أي: هو سبحانه - رب المكان الذي تشرق فيه الشمس وتغرب؛ فهو رب الأرض جميعا ومالكها، ومدبر أمرها وأمر ما

---

(١) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٠/١٤٢٠

فيها، لا معبود بحق إلا هو، وما دام – سبحانه – مختصا بالربوبية والألوهية فقد وجب على كل عاقل أن يتخذه وكيلا؛ فيسلم نفسه إليه، ويعتمد ويتوكل عليه، ويفوض كل أمره إليه، فهو – جل شأنه – نعم الوكيل ونعم المولى والنصير، قال بعضهم: من رضي بالله – تعالى – وكيلا وجد إلى كل الخير سبيلا.

١٠ – ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا (١٠)﴾:

أي: احبس نفسك على ما يصيبك من أذى قومك وسفاهتهم التي يرمونك بها من صفات التعييب والتنقيص كقولهم: ساحر، شاعر، كاهن، مجنون إلى غير ذلك مما." (١)

"ومعنى الآية: ما كان محمد أبا أحد من رجالكم أبوة نسبية، ولكنه كان رسول الله وخاتم النبيين والمرسلين، فلا حرج عليه في أن يتزوج مطلقة زيد بن حارثة؛ لأنه كان ابنا دعيا ولم يكن ابنا نسبيا، ولهذا دعى إلى أبيه حارثة بعد أن صحح الله أنساب الناس: ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ فلهذا أبطل بنوة الأدعياء، وآثارها، وختم بمحمد نبوة ورسالات الأنبياء والمرسلين.

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)﴾

المفردات:

﴿بكرة وأصيلا﴾: أول النهار وآخره.

﴿من الظلمات إلى النور﴾: من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة.

﴿يوم يلقونه﴾: عند الموت أو البعث أو دخول الجنة.

﴿أجرا كريما﴾: أجرا عظيما هو الجنة.

التفسير

٤١، ٤٢ – ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)﴾:

المقصود من ذكر الله – تعالى – أن تذكر أسماؤه وصفاته باللسان تارة وبالقلب تارة أخرى، ومرجع الكثرة في الذكر إلى العرف.." (٢)

"ومن العلماء من عين الذكر بلفظه، قال مقاتل في تفسيرهما: هو أن يقول: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) على كل حال، ومنهم من ضبط كثرته مع هذا النص بثلاثين مرة.

وفي مجمع البيان عن الواحدي بسنده إلى ابن عباس قال: جاء جبريل – عليه السلام – إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا محمد قل: "سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عدد ما علم ورنة ما علم وملء ما علم، فإنه من قالها كتب له ست خصال، كتب من الذاكرين الله تعالى كثيرا ... " إلى آخر الحديث.

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٦٣٨/١٠

(٢) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٩٥/٨

ومعنى الآيتين: يا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله اذكروا الله بأسمائه الحسنى وصفاته بألسنتكم سرا وجهرا وبقلوبكم **ذكرا كثيرا**، ونزهوه سبحانه – عما لا يليق به أول النهار وآخره، أطهارا ومحدثين، فإن ذلك أفضل الزاد إلى المعاد، وتخصيص البكرة والأصيل بالذكر ليس لقصر الذكر والتسبيح عليهما دون سائر الأوقات، بل لفضلهما لكونهما تحضرهما ملائكة الليل وملائكة النهار وتلتقى فيهما.

والتسبيح نوع من الذكر، وإفراده من بين الأذكار لكونه عمدة في ذكر الله – تعالى – فما لم ينزه الله – تعالى – عما لا يليق به لا يتحقق ذكر الله تعالى.

٤٣ – ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾:

هذه الآية استئناف في مقام التعليل للأمرين قبلها، والصلاة من الله على عباده المؤمنين رحمته لهم وبركاته عليهم، وصلاة الملائكة دعاؤهم للمؤمنين واستغفارهم لهم، كما قال – سبحانه – في شأنهم: ﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾ ومن مؤمنى الإنس والجن دعاء، قاله ابن عباس – رضي الله عنهما.

والمعنى: الله هو الذي يصلى عليكم أيها المؤمنون فيرحمكم ويغدق نعمه وبركاته وفتوحاته عليكم، كما يصلى عليكم ويستغفر لكم ملائكته عناية بكم وإكراما لكم، لكي يخرجكم بذلك من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الكفر والعصيان إلى نور الإيمان والطاعة، وكان الله بالمؤمنين رحيما، حيث صلى الله عليهم، وكلف بالصلاة ملائكته المقربين.." (١)

"كي نسبحك كثيرا كثيرا منصوب لأنه صفة لمصدر محذوف، أي نسبحك تسبيحا كثيرا.

اشدد به أزري يقرأ بوصل الهمزة وقطعها، فالوصل دعاء وطلب وهو كالأمر، والقطع فعل مضارع مجزوم لأنه جواب اجعل على تقدير شرط مقدر، فهو مجزوم بجواب الطلب.

البلاغة:

واضمم يدك إلى جناحك استعارة، استعار جناح الطير بجنب الإنسان.

بيضاء من غير سوء فيه احتراس: وهو أن يؤتى بشيء يرفع توهم غير المراد، فلو اقتصر على بيضاء لأوهم أن ذلك من برص أو بهق، فاحترس بقوله من غير سوء.

المفردات اللغوية:

واضمم الضم: الجمع يدك اليمنى بمعنى الكف إلى جناحك إلى جنبك الأيسر تحت العضد، علما بأن أصل الجناح للطائر، ثم أطلق على اليد والعضد والجنب، وهذا هو المراد هنا تخرج خلاف ما كانت عليه من الأدمة بيضاء مشعة كشعاع الشمس تعشي البصر من غير سوء من غير عاهة أو قبح كالبرص الذي تنفر الطباع منه آية أخرى معجزة ثانية غير العصا.

لنريك أي فعلنا ذلك لنريك بها من آياتنا الكبرى هي صفة: آياتنا أي من آياتنا العظمى الدالة على قدرتنا وعلى رسالتك.

---

(١) التفسير الوسيط – مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٩٦/٨

وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى، ضمها إلى جناحه كما تقدم، ثم أخرجها اذهب رسولا إلى فرعون ومن معه بهاتين الآيتين وادعه إلى العبادة إنه طغى جاوز الحد في كفره، وعتوه وتجبره، حتى ادعى الألوهية اشرح لي صدري

أي وسعه لتحمل أعباء الرسالة والصبر على مشاقها ويسر لي أمري سهل لي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة واحلل عقدة من لساني أزل تلك العقدة التي في لساني، حدثت في احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير، لئلا ينفر مني الناس ويستخفوا بي يفقهوا قولي يفهموا قولي عند تبليغ الرسالة.

واجعل لي وزيرا معينا، والأزر: القوة أو الظهر، يقال: آزره: أي قواه وأعانه وأشركه في أمري أي اجعله شريكا معي في النبوة والرسالة كي نسبحك كثيرا أي تسبيحا كثيرا ونذكرك كثيرا أي ونذكرك **ذكرا كثيرا** إنك كنت بنا بصيرا عالما بأحوالنا، فأنعمت بالرسالة، ولا نريد بالطاعة إلا رضاك.." (١)

"سببا آخر وهو الدفاع عن حرية العبادة في الأرض، وحماية الأماكن المقدسة، فقال:

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت.. هذه هي سنة التدافع من أجل الحفاظ على التوازن بين البشر، والقتال مشروع لحماية أماكن العبادة، وإقرار مبدأ حرية العبادة. والمعنى: لولا أنه تعالى يدفع بقوم عن قوم، ويكف شرور أناس من غيرهم، ولولا تشريع القتال دفاعا عن الوجود والحرمات، لهدمت مواطن العبادة، سواء كانت معابد للرهبان أو للنصارى أو لليهود أو للمسلمين، التي يذكر فيها اسم الله **ذكرا كثيرا**.

ويلاحظ وجود التنقل في بيان مواضع العبادة من الأقل إلى الأكثر، ومن الأضيق إلى الأوسع، فإن المساجد أكثر ارتيادا، وأصح عبادة وأسلم قصدا.

وكذلك قدمت الصوامع والبيع في الكلام على المساجد لأنها أقدم وجودا. قال بعض العلماء: هذا ترق من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد، وهي أكثر عمارا، وأكثر عبادا، وهم ذوو القصد الصحيح «١» .

ولينصرن الله من ينصره أي وليؤيدن الله بنصره الذين يقاتلون في سبيل إعلاء كلمة التوحيد ورفع لواء دينه، كقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم، والذين كفروا فتعسا لهم، وأضل أعمالهم [محمد ٤٧/ ٧- ٨] .

وهذا إخبار من الله عز وجل عن مغيبات المستقبل وعما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم إن مكنهم في الأرض، وبسط لهم في الدنيا، وكيف يقومون بأمر الدين «٢» .

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٢٦

(٢) الكشاف: ٢/ ٣٥٠." (٢)

"ويتناشدون فيها الأشعار، فلما أنعم الله عليهم بنعمة الإسلام، أمرهم بأن يذكروه كذكرهم لآبائهم.

وروى القفال عن ابن عمر قال: طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته القصواء، يوم الفتح، يستلم الركن

---

(١) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٢٠١/١٦

(٢) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٢٣٠/١٧

بمحجنه، ثم حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:
«أما بعد، أيها الناس: إن الله قد أذهب عنكم حمية الجاهلية وتفككها، يا أيها الناس، إنما الناس رجلان: بر تقي كريم على الله، أو فاجر شقي هين على الله، ثم تلا: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. الآية [الحجرات ٤٩/ ١٣] .
وخطب النبي صلى الله عليه وسلم أيضا في حجة الوداع في ثاني أيام التشريق، فأرشد العرب إلى ترك تلك المفاخرات، وقال: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر، إلا بالتقوى، أبلغت؟» قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وإبطال تلك العادة كان بالأمر بذكر الله **ذكرا كثيرا** مبالغا فيه، كما كانوا يذكرون آباءهم ومفاخرهم، بل أشد من ذكرهم آباءهم.
ثم ذكر ما يكون من الناس الذاكرين في الدعاء، ليأخذوا بأحسن الأحوال ويتركوا غيره، فقال: الناس في الحج قسمان: قسم يقصر دعاءه على أمور الدنيا، والاستزادة من خيراتها، ويسكت عن الآخرة، وكأنها لا تخطر له ببال، ولا يهتم بشيء من أمورها، فيطلب الجاه والغنى والنصر على الأعداء ونحو ذلك من حظوظ الدنيا، هذا القسم لا خلاق (لا حظ) لهم في الآخرة، مما أعده الله للمتقين من رضوانه وجناته.." [1]

"وتذكرونه **ذكرا كثيرا** في الليل والنهار، حبا به وتعظيما له، وخوفا من عقابه، وطمعا في ثوابه وجزائه، فإن ذكره دافع إلى طاعته، والتأسي برسوله.
وهذا عتاب للمتخلفين، وإرشاد للناس جميعا أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في السراء والضراء وحين البأس ولقاء الشجعان ونزال الأبطال.

ثالثا– موقف المؤمنين:
ثم بعد بيان حال المنافقين أبان الله تعالى حال المؤمنين عند لقاء الأعداء، فقال:
ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما أي ولما شاهد المؤمنون المصدقون بموعود الله لهم، المخلصون في القول والعمل الأحزاب المتجمعة حول المدينة قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار بمجابهة الأعداء ثم النصر القريب، وصدق الله ورسوله الوعد بالنصر، وما زادهم تجمع الأعداء وتلك الحال من الشدة والضيق إلا إيمانا بالله، وتصديقا لرسوله صلى الله عليه وسلم، وتسليما لقضائه وقدره وانقيادا لأوامره وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، واعتقادا جازما أن النصر من عند الله تعالى بعد أن يتخذ العباد الأسباب، ويستعدوا للحرب، ويقاتلوا فعلا لأن الجهاد تكليف من الله لعباده، وتعطيل التكليف معصية، ومجرد الاعتماد على قدرة الله وإمداده بالعون والنصر دون عمل من عباده: سوء فهم وجهل وتمنيات شيطانية خادعة.

---
(١) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٢/٢١٥

والتحذير من هذه المفاهيم المخطئة متكرر في القرآن، قال تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟ ألا إن نصر الله قريب [البقرة ٢/ ٢١٤] وقال سبحانه: أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا: آمنا، وهم لا يفتنون [العنكبوت ٢٩/ ٢] .." (١)

"١١- لن يمنع حذر من قدر، فمن حضر أجله، مات أو قتل، ولا ينفعه الفرار، ويكون تمتعه في الدنيا بعد الفرار إلى انقضاء الأجل زمنا قليلا، وكل ما هو آت فقريب.

١٢- للمنافقين خصال اجتماعية وشخصية قبيحة ومذمومة، فهم بخلاء على المسلمين فيما يحقق المصلحة العامة، بخلاء بأنفسهم وأحوالهم وأموالهم، جبناء يخافون من لقاء الشجعان، سليطو اللسان يؤذون غيرهم بالكلام يتفاخرون بما هو كذب وزور، والحقيقة أنهم كفرة، لم يؤمنوا بقلوبهم، وإن كان ظاهرهم الإسلام، لوصف الله عز وجل لهم بالكفر في قوله: أولئك لم يؤمنوا وهم كغيرهم من الكفار حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، فلا ثواب لهم إذا لم يقصدوا وجه الله تعالى بها، وإحباط أعمالهم على الله هين يسير.

ولجبنهم يظنون الأحزاب لم ينصرفوا، وكانوا قد انصرفوا، وإن يرجع الأحزاب إليهم للقتال، يتمنوا أن يكونوا مع أعراب البادية، حذرا من القتل.

وانتظارا لإحاطة السوء والهلاك بالمسلمين، يتساءلون ويتحدثون: أما هلك محمد وأصحابه! أما غلب أبو سفيان وأحزابه! ولو كانوا في ميدان المعركة ما قاتلوا إلا رياء وسمعة.

١٣- قوله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية عتاب للمتخلفين عن القتال، معناه: كان لكم قدوة في النبي صلى الله عليه وسلم حيث بذل نفسه لنصرة دين الله في خروجه إلى الخندق، والتأسي لمن كان يرجو ثواب الله في اليوم الآخر، ويرجو لقاء الله بإيمانه، ويصدق بالبعث الذي فيه جزاء الأفعال، ويذكر الله **ذكرا كثيرا**، خوفا من عقابه، ورجاء لثوابه.

وهل التأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم على سبيل الإيجاب أو الاستحباب! قولان:

أحدهما- على الإيجاب حتى يقوم دليل على الاستحباب.." (٢)

"١٠- الذكر الكثير لله تعالى: وهو استحضار عظمة الله تعالى في القلب، وتنزيهه باللسان عن كل نقص، ووصفه بكل كمال في جميع الأحوال، بنية صادقة لله. ويلاحظ أن الله تعالى في أكثر المواضع حيث ذكر «الذكر» قرنه بالكثرة، ليرشدنا إلى أنه لا يصير الإنسان ذاكرا حتى يداوم على الذكر قائما وقاعدا ومضطجعا، وهذا مروي عن مجاهد. وقد يصبح ذاكرا بصلاة التهجد ليلا، كما

أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل، فصليا ركعتين، كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات» .

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢١/٢٧٤

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢١/٢٨٥

ويكون الذكر أيضا بالصلاة وفي الأكل والشرب والمشي والبيع والشراء والركوب والهبوط، وغير ذلك من الأحوال في غير أماكن القاذورات، كما قال تعالى: الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم [آل عمران ٣/ ١٩١] .

وقال سبحانه: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا [الأحزاب ٣٣/ ٤١- ٤٢] .

وقد ختمت هذه الآداب بالذكر لأن صحة جميع الأعمال الدينية من إسلام وإيمان وقنوت وصدق وصبر وخشوع وصدقة وصوم بذكر الله تعالى وهي النية.

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سبق المفردون، قالوا: وما المفردون؟ قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات» .

وأخرج أحمد أيضا عن معاذ الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن رجلا سأله، فقال: أي المجاهدين أعظم أجرا يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: أكثرهم لله تعالى ذكرا، قال: فأي الصائمين أكثر أجرا؟ قال صلى الله عليه وسلم: أكثرهم لله عز وجل ذكرا، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة، كل ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:." (١)

"أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله تعالى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي» .

ومنها ما رواه أحمد والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، فلا رسول بعدي ولا نبي» فشق ذلك على الناس، فقال: «ولكن المبشرات» قالوا: يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال: «رؤيا الرجل المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة» .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا نبوة بعدي إلا ما شاء الله» قال ابن عبد البر: يعني الرؤيا- والله أعلم- التي هي جزء منها كما قال صلى الله عليه وسلم: «ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة» .

وإتمام النبوات مشابه لإتمام الأخلاق،

قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الحاكم عن أبي هريرة: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» .

وهذا كله رد قاطع على المتنبئين كالأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، وسجاح، وغيرهم من أدعياء النبوة الأفاكين، كما قال تعالى: هل أنبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل أفاك أثيم [الشعراء ٢٦/ ٢٢١- ٢٢٢] .

تعظيم الله تعالى وإجلاله بالأذكار والتسابيح الكثيرة

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

(١) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٢١/٢٢

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)." (١)

"البلاغة:

بكرة وأصيلا بينهما طباق.

المفردات اللغوية:

اذكروا الله ذكرا كثيرا أي في أغلب الأوقات، ويشمل مختلف أنواع التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة وأصيلا أول النهار وآخره، وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الأوقات، لكونهما مشهودين بملائكة الليل والنهار هو الذي يصلي عليكم أي بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم، والاهتمام بما يصلحكم، والمراد بالصلاة المشتركة بين الله وملائكته: هو العناية بصلاح أمركم، وظهور شرفكم ورفعة شأنكم ليخرجكم ليديم إخراجه إياكم من الظلمات إلى النور من ظلمات الكفر والمعصية إلى نور الإيمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما أي كان الله وما يزال رحيما بعباده المؤمنين، حتى اعتنى بصلاح أمرهم ورفع قدرهم وهو دليل على أن المراد بالصلاة الرحمة تحيتهم أي تحية الله للمؤمنين بلسان الملائكة هي السلام، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول، أي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت أو الخروج من القبر، أو دخول الجنة سلام إخبار بالسلامة من كل مكروه وآفة وأعد لهم أجرا كريما هي الجنة.

سبب النزول: نزول الآية (٤٣) :

هو الذي يصلي..: أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال: لما نزلت:

إن الله وملائكته يصلون على النبي [الأحزاب ٣٣/ ٥٦] قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما أنزل الله تعالى عليك خيرا إلا أشركنا فيه، فنزلت:

هو الذي يصلي عليكم وملائكته.

المناسبة:

بعد بيان ما ينبغي أن يكون عليه النبي صلى الله عليه وسلم مع الله وهو التقوى والإخلاص، وما ينبغي أن يكون عليه مع أهله وأقاربه بقوله تعالى: يا أيها." (٢)

"النبي قل لأزواجك

وهو تحقيق الحرية والاستقرار الزوجي، أمر الله تعالى عباده المؤمنين بما أمر به أنبياءه المرسلين من تعظيم الله وإجلاله بذكره وتسبيحه في أغلب الأوقات ومختلف أنواع الطاعات، بقوله: يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ليحقق لهم أجزل

---

(١) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٢٢/ ٣٩

(٢) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٢٢/ ٤٠

الثواب ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

التفسير والبيان:

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بكثرة ذكر ربهم تبارك وتعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم، لينالوا جزيل الثواب وجميل المآب، فيقول:

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا أي يا أيها الذين أيقنوا وصدقوا بالله ورسوله اذكروا الله بألسنتكم وقلوبكم **ذكرا كثيرا**، يملأ عليكم مشاعركم، في جميع الأحوال، ويحقق في نفوسكم خشية ربكم، ونزهوه عن كل ما لا يليق به أول النهار وآخره، أي في غالب الأوقات لأن بداية الشيء ونهايته تشمل وسطه أيضا بحكم الاستمرار، قال الزمخشري في تفسير بكرة وأصيلا أي في كافة الأوقات. وإنما ذكر هذان الوقتان لكونهما مشهودين بملائكة الليل والنهار.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ذكر الله على فم كل مسلم»

وروي «في قلب كل مسلم»

وعن قتادة: «قولوا: سبحان الله، والحمد الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم، قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم:

ذكر الله عز وجل» .." (١)

"للصلاة، وكانت العرب تسميه (العروبة) أي الرحمة، وأول من سماه جمعة كعب بن لؤي لاجتماع الناس فيه إليه، وأول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قباء، حينما قدم المدينة، وصلى الجمعة في دار بني سالم بن عوف. وأول من أقام الجمعة بالمدينة قبل الهجرة أسعد بن زرارة بقرية على ميل من المدينة. قال ابن حجر: فرضت الجمعة بمكة، ولم نقم بها لفقد العدد، أو لأن شعارها الإظهار، وكان صلى الله عليه وسلم بها مستخفيا «١» .

فاسعوا فامشوا، وعبر بالسعي إشارة إلى أنه يطلب من المسلم القيام للجمعة بهمة ونشاط، وجد وعزيمة، لأن لفظ السعي يفيد الجد والعزم. إلى ذكر الله للصلاة. وذروا البيع اتركوا عقد البيع وسائر وجوه المعاملات. ذلكم خير لكم أي السعي إلى ذكر الله خير لكم من المعاملة، فإن نفع الآخرة خير وأبقى. إن كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين، فإن علمتم أنه خير فافعلوه.

قضيت الصلاة أديت وفرغ منها. فانتشروا في الأرض أي فتفرقوا، وهو أمر بعد حظر، فيفيد الإباحة لا الوجوب، واحتج به من جعل الأمر بعد الحظر للإباحة. وابتغوا من فضل الله اطلبوا الرزق. واذكروا الله كثيرا اذكروه في مجامعكم ومجالسكم

---

(١) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٤١/٢٢

ذكرا كثيرا.

لعلكم تفلحون تفوزون بخير الدارين.

وإذا رأوا تجارة أو لهوا التجارة تشمل كل أنواع الكسب، واللهو: الطبول والمزامير ونحوها. انفضوا إليها انصرفوا إلى التجارة، وإلى اللهو. وتركوك قائما على المنبر وأنت تخطب. قل: ما عند الله من الثواب. خير للذين آمنوا من اللهو ومن التجارة، لأن ثواب الله محقق مخلد، بخلاف ما يتوهم من نفع اللهو والتجارة. والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه، فكل ما ييسر الله للإنسان من رزق عائلته هو من رزق الله تعالى.

سبب النزول: نزول الآية (١١) :

وإذا رأوا تجارة..: أخرج أحمد والشيخان (البخاري ومسلم) والترمذي عن جابر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير «٢» قد

---

(١) تفسير الألوسي: ٢٨/ ١٠٠

(٢) العير: الإبل المحملة طعاما من دقيق وبر وزيت. [.....]."[١]

"الصلاة، وعليكم السكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا» .

وأخرج الشيخان أيضا عن أبي قتادة قال: بينما نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال «١» ، فلما صلى قال: ما شأنكم؟ قالوا: استعجلنا إلى الصلاة، قال: فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة، فامشوا وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا» .

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أقيمت الصلاة، فلا تأتوها تسعون، ولكن ائتوها تمشون، وعليكم السكينة والوقار، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا» .

ثم أباح الله تعالى العمل والسعي للدنيا بعد الصلاة، فقال:

فإذا قضيت الصلاة، فانتشروا في الأرض، وابتغوا من فضل الله، واذكروا الله كثيرا، لعلكم تفلحون أي إذا أديتم الصلاة وفرغتم منها، فيؤذن ويباح لكم الانتشار والتفرق في الأرض للتجارة والتصرف فيما تحتاجون إليه من أمر معاشكم، والابتغاء، أي الطلب من فضل الله أي من رزقه الذي يتفضل به على عباده من الأرباح في المعاملات والمكاسب، ولا تنسوا في أثناء عملكم وبيعكم وشرائكم أن تذكروا الله **ذكرا كثيرا** بالشكر له على ما هداكم إليه من الخير الأخروي والدنيوي، وبالاذكار التي تقربكم إليه، كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك، كي تفوزوا بخير الدارين وتظفروا به.

وفي هذا دلالة على أن عمل المؤمن للدنيا ينبغي أن يكون مصحوبا بذكر الله تعالى ومراقبته، حتى لا يطغى عليه حبها، وآن في مراقبة الله تعالى تحقيق الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٩٥/٢٨

(١) الجلب والجلبة: الأصوات.." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة.

٣- المؤمن يلازم ذكر الله تعالى في كل أحواله، من قيام وقعود واضطجاع وغيرها، ليظل على صلة بربه، فقال سبحانه: اذكروا الله ذكرا كثيرا [الأحزاب ٣٣/ ٤١] وقال: فاذكروني أذكركم [البقرة ٢/ ١٥٢] .

ويدل هذا على أن المصلي يصلي قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب،

كما ثبت لدى الأئمة الستة من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: «كانت بي بواسير، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فقال: صل قائما، فإن لم تستطع فقاعدا، فإن لم تستطع فعلى جنب»

والقيام فرض على القادر في صلاة الفريضة، وتصح صلاة النافلة حال القعود وأجره نصف أجر القائم، والمضطجع نصف أجر القاعد،

ورد في حديث عمران بن حصين في رواية: «صلاة الراقد مثل نصف صلاة القاعد» .

والذكر إما باللسان، وإما بالصلاة فرضها ونفلها.

٤- ويضم إلى الذكر عبادة أخرى هي التفكر في قدرة الله تعالى ومخلوقاته لزيادة التبصر، وتقوية الإيمان.

٥- صيغ الدعاء في هذه الآيات تدل على الإيمان بالله والرسول، وعلى الثقة بوعد الله ومصاحبة الأبرار، وعلى كمال الطلب بمغفرة الذنوب وستر العيوب والبعد عن النار، فإن الله سبحانه وعد من آمن بالجنة، فسألوا أن يكونوا ممن وعدوا بذلك دون الخزي والعقاب. والدعاء على هذا النحو على جهة العبادة، والدعاء مخ العبادة. وطلب النصر على العدو معجلا لإعزاز الدين،

روى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من وعده الله عز وجل على عمل ثوابا، فهو منجز له رحمة، ومن وعده على ذنب عقابا فهو فيه بالخيار» .

ومعنى الدعاء بإنجاز ما وعد الله: طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب." (٢)

"أخرج عبد الرزاق والطبري بسنديهما الصحيح عن قتادة قوله (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) قال: نزلت في زيد، إنه لم يكن بابنه، ولعمري ولقد ولد له ذكور، إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) أي: آخرهم (وكان الله بكل شيء عليما) .

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا)

أخرج الطبري بسنده الحسن عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (اذكروا الله ذكرا كثيرا) يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٩٨/٢٨

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢١٠/٤

أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، قال (اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) بالليل والنهار في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال وقال (وسبحوه بكرة وأصيلا) فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله عز وجل (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) .

أخرج عبد الرزاق بسنده الصحيح عن قتادة قوله (وسبحوه بكرة وأصيلا) صلاة الغداة، وصلاة العصر.

قوله تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته ...)

قال البخاري: حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ما لم يحدث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه. لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة".

(صحيح البخاري ١٦٧/٢ ح٦٥٩ – ك الأذان، ب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة..) .

وأخرجه مسلم بنحوه (٤٥٩/١) ك المساجد، ب فضل صلاة الجمعة ... ح٢٧٣، ٢٧٤) .." [(١)]

"ومن أحرم بحج أو عمرة ثم حيل بينه وبين إتمامه بسبب مانع مرضي أو إداري أو خوف من عدو، وجب عليه التحلل في مكانه وذبح الهدي (أي شاة) ، ويجب الهدي أيضا على المتمتع والقارن شكرا لله على تيسيره وفضله، فمن عجز عن الهدي صام ثلاثة أيام في الحج قبل اليوم الثامن من ذي الحجة، وسبعة أيام في وطنه إذا لم يكن الشخص من سكان الحرم المكي (المسجد الحرام) .

وعلى الحاج التزام آداب وقواعد معينة في أثناء الحج ومنها الابتعاد عن الصلة الخاصة بالزوجات، وعن فحش الكلام وعن الفسوق والخروج عن طاعة الله بفعل أي شيء محرم كالصيد والطيب والزينة ولبس المخيط من الثياب والأحذية، والتنابز بالألقاب، والجدال والمراء والخصام لأن الحاج في طاعة وعبادة وتقشف لا يناسبه هذه الأمور، لقوله تعالى:

[سورة البقرة (٢) : آية ١٩٧]

الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب (١٩٧)

«١» «٢» [البقرة: ٢/ ١٩٧] .

ويجوز للحاج والمعتمر التجارة بعد الانتهاء من أعمال الحج والعمرة، قال الله تعالى:

[سورة البقرة (٢) : آية ١٩٨]

ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين (١٩٨)

«٣» [البقرة: ٢/ ١٩٨] .

ويكثر الحاج والمعتمر من التلبية والتهليل والدعاء عند المشعر الحرام بالمزدلفة، ومن ذكر الله **ذكرا كثيرا** حسنا، اعترافا بفضل

---

(١) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور   حكمت بشير ياسين ١٣١/٤

الله الذي هدى المؤمن هداية حسنة، وعلمه كيف يذكر ربه، وكان قبل ذلك ضالا جاهلا لا يعرف كيف يكون ذكر الله. ويستمر في الحج وبعده ذكر الله والاستغفار والدعاء بالخير للمؤمن نفسه ولوطنه وأمته، فمن دعا الله لأمر دنيوي فقط، فلا نصيب له في الآخرة، والأفضل الدعاء بالتوفيق والرزق والصحة في الدنيا، وبالثواب والجنة في الآخرة، وتجنب الأعمال

---

(١) لا وقاع ولا إفحاش في القول.

(٢) لا خصام ولا ملاحاة.

(٣) إثم وحرج.." (١)

"والمانع نفسه من شهواتها، وهو نبي صالح يوحى إليه، وهذه بشارة أخرى بنبوة يحيى، بعد البشارة بولادته.

تعجب زكريا عليه السلام من هاتين البشارتين، فقال: كيف يكون لي غلام، وقد أصبحت كبير السن، وامرأتي عقيم لا تلد، فأجابته الملائكة: كذلك الله يفعل ما يشاء، أي مثل ذلك الخلق غير المعتاد الحاصل مع امرأة عمران، يفعل الله ما يشاء في الكون. فطلب زكريا من ربه أن يجعل له علامة تدل على الحمل ووجود الولد منه، استعجالا للسرور، أو ليشكر تلك النعمة، فجعل الله علامة ذلك ألا يقدر على كلام الناس مدة ثلاثة أيام متوالية، إلا بالإشارة والرمز بيد أو رأس أو نحوهما.

وأمره الله أن يذكر ربه ويكبره **ذكرا كثيرا**، ويسبحه أو ينزهه عما لا يليق به طوال الوقت، ولا سيما عند الصباح والمساء.

واذكر أيها النبي حين قالت الملائكة لمريم: يا مريم، إن الله لكثرة عبادتك وزهدك اختارك رمزا لسمو الأخلاق والصفات، وطهرك من الأكدار والعيوب، والوساوس والدناءات، وطهرك من عادات النساء كالحيض والنفاس والولادة من غير جماع، وفضلك على نساء العالمين في زمانك.

يا مريم، الزمي الطاعة والخضوع والخشوع لله، واسجدي له مع التعظيم، وصلي جماعة مع المصلين.

تلك القصص التي أخبرناك عنها أيها النبي، من أخبار زكريا ويحيى ومريم: هي من أخبار الغيب التي لم تطلع عليها أنت ولا أحد من قومك، وإنما هي بالوحي الذي أوحينا به على يد جبريل الأمين، ولم تكن حاضرا معهم حينما جاءت امرأة عمران، وألقت مريم في بيت المقدس، وتنافس الأحبار في رعايتها وخدمتها.." (٢)

"معنى الدعاء في شد الأزر، وتشريك هارون عليه السلام في النبوة، والأزر: الظهر، كأنه قال: شد به عوني، واجعله مقاومي فيما أحاول من الأمور.

٧، ٨- أدعوك يا رب أن تؤازرني بأخي هارون لكي ننزهك ونسبحك كثيرا عما لا يليق بك من الصفات والأفعال، ونذكرك كثيرا وحدك، دون أن نشرك معك غيرك، قال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا، حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا. وقوله ونذكرك كثيرا (٣٤) نعت لمصدر محذوف، تقديره:

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٩٩/١

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ١٩٣/١

تسبيحا وذكرا كثيرا.

إنك يا رب كنت بنا بصيرا، أي عليما بأحوالنا وأحوال غيرنا، في اصطفائك لنا، وإعطائك إيانا النبوة، وخبيرا ببعثتك لنا إلى عدوك فرعون الطاغية الجبار الذي ادعى الألوهية، فنمتثل أمرك ولك الحمد على نعمك الجليلة التي لا تعد ولا تحصى.

لقد كانت غاية موسى عليه السلام من مطالبه الثمانية لنعم الله تعالى غاية سامية، وسببا يلزمه ويحمله على كثرة العبادة والاجتهاد في أمر الله تعالى. وهذا مطمح أولياء الله المقربين وصفوته المختارين، إنهم حين يدعون ربهم، لا يرغبون في تحقيق مطامع الدنيا ولذاتها، وإنما يرغبون في زيادة العون على القيام بمرضاة الله والإكثار من عبادته، وشكره على نعمه الكثيرة، فهو أكثر الناس تقديرا لهذه النعم، وأحرص الناس على شكر المنعم المتفضل، وهو الله عز وجل.

نعم الله على موسى عليه السلام قبل النبوة

أجاب الله تعالى دعاء موسى ومطالبه الثمانية في شرح الصدر وتيسير الأمر وحل العقدة وغيرها، إما بنحو كامل أو على قدر الحاجة في الأفعال، وذلك منة من الله عز وجل، ثم قرن الله إليها تذكير موسى بقديم منته عليه، وهي ثماني نعم أنعم بها." (١)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٢١ الى ٢٧]

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (٢١) ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (٢٢) من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا (٢٣) ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما (٢٤) ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا (٢٥)

وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا (٢٦) وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا (٢٧)

«

[الأحزاب: ٣٣/ ٢١- ٢٧] .

أوجب الله تعالى على كل مسلم أن يقتدي بالنبي عليه الصلاة والسلام، حين قاتل وصبر وجاد بنفسه، في وقعة الأحزاب وغيرها، والمعنى: لقد كان لكم معشر المؤمنين، أسوة أي قدوة صالحة يقتدى به وهو رسول الله، فهو مثل أعلى لكم في الشجاعة والإقدام، إذا كنتم تريدون ثواب الله وفضله على العمل الصالح، وتخشون الله وحسابه، وتذكرونه ذكرا كثيرا في جميع الأوقات، حبا به سبحانه وتعظيما له، وخشية منه، وطمعا في فضله ورحمته، فإن ذكر الله تعالى دافع لطاعته، ومانع من نقمته، والتأسي برسوله. وهذا عتاب للمتخلفين، وإرشاد للتأسي برسول الله. وبما أن ذكر الله من خير الأعمال نبه عليه الحق سبحانه وتعالى.

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي   وهبة الزحيلي ٢/١٥١٨

وموقف المؤمنين يختلف عن المنافقين، فحينما شاهد المؤمنون فئات الأحزاب وجموعهم الحاشدة قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله من الاختبار بمجابهة الأعداء ثم يعقبه النصر القريب، وصدق الله ورسوله الوعد بالنصر، وما زاد المؤمنين تجمع

---

(١) حصونهم.." (١)

"وتعليم الكتاب والسنة للناس، إن الله كان وما يزال تام اللطف والخبرة، حين علم ما ينفعكم، ويصلحكم في دينكم، وجعل في بيوت آل البيت الآيات والشرائع.

ثم سوى الله تعالى في عشر صفات بين الرجل والمرأة وهي الإسلام والانقياد لأوامر الله تعالى والتصديق التام بما جاء عن الله من شرائع وأحكام وآداب، والقنوت لله: وهو دوام العمل الصالح، والطاعة في رضا وسكون وخشوع، والصدق في القول والعمل باعتباره علامة على الإيمان، كما أن الكذب أمارة على النفاق، والصبر على المصائب، وتحمل المشاق في أداء العبادة وترك المعصية، والخشوع في العبادة، وهو السكون والطمأنينة، والتؤدة والوقار، والتواضع لله تعالى، والتصدق بالمال لمساعدة المحتاجين والضعفاء الذين لا مكسب لهم، وصوم الفرض والنفل لإشراقة الروح وقوة النفس، والتسامي عن الماديات والشهوات، والإقبال على الله تعالى تشبها بالملائكة، والعفة وحفظ الفروج عن المآثم والمحرمات إلا عن المباح بالزواج، وذكر الله تعالى **ذكرا كثيرا**، أي استحضار عظمة الله تعالى في القلب، وتنزيهه باللسان عن كل نقص، ووصفه بكل كمال في جميع الأحوال.

هؤلاء المتصفون بهذه الخصال العشر هيأ الله تعالى لهم مغفرة سابغة تمحو سيئاتهم وذنوبهم، وأجرا عظيما لا مثيل له: وهو الجنة بمنازلها العالية وطيباتها، وأنهارها، وجمالها، ونعيمها الدائم.

زواج زيد بن حارثة بزينب

في أسباب نزول بعض الآيات إيضاح لدلالاتها، وبيان للظروف التي تقدمتها، كما أن فيها دفعا قويا لامتثال أمر الله تعالى، والتزام توجيهاته، وبيان خطة قضائه وقدره.." (٢)

"ذكر الله تعالى

ربط الله تعالى قلوب عباده بغرس أصول الإيمان والتقوى فيها، وعلمهم بسبب تعرضهم للنسيان كيفية تجديد رابطتهم بالله تعالى، من طريق مداومة ذكر الله تعالى **ذكرا كثيرا**، من غير تقدير بحد معين، لتسهيل الأمر عليهم، وتعظيم الأجر فيه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غلب على عقله، وقال: الكثير: ألا ينساه أبدا.

وأخرج أحمد وأبو يعلى وابن حبان والحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أكثروا ذكر الله حتى يقولوا: مجنون» .

وفي ترطيب اللسان بذكر الله تعالى واستحضار القلب عظمة الله: إشعار بفائدة الذكر، وبضرورة الارتباط الوثيق بالله تعالى

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٠٦٣/٣

(٢) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٠٧٠/٣

وخشيته، ليستقيم الإنسان على أمر الله، قال الله تعالى آمرا بالذكر، مبينا فائدته القصوى وثمرته عند الله عز وجل:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٤]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

[الأحزاب: ٣٣/ ٤١- ٤٤] .

الآية تبيان فضيلة الذكر، وثواب الذاكرين. فيا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله، اذكروا الله بألسنتكم وقلوبكم **ذكرا كثيرا**، من غير تحديد وقت، ولا تقدير قدر، إنما المطلوب غلبة ذكر الله تعالى في أحوال الإنسان، وضموا إلى الذكر التسبيح في الصباح والمساء، والمراد: في كل الأوقات، التي تبدأ بطرفي النهار والليل، وإنما خص هذان الوقتان بالذكر، لكونهما مشهودين بملائكة الليل والنهار. وأكد النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بمداومة الذكر، روى البيهقي عن مكحول مرسلا: «إن ذكر الله شفاء، وذكر الناس داء» . ورواه الديلمي عن أنس بن مالك بلفظ: «ذكر الله شفاء." (١)

"أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإخوتي في الله ..

والذي فلق الحبة وبرأ النسمة؛ إني أحبكم في الله، وأسأل الله جل جلاله أن يجمعنا بهذا الحب؛ في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، اللهم اجعل عملنا كله صالحا، واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد غيرك فيه شيئا.

قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١]

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:"ألا نبئكم بخير أعمالكم، وأرضاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم

ويضربوا أعناقكم؟! " قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال:

"ذكر الله" (صحيح، سنن ابن ماجه: ٣٧٨٠).." (٢)

"وذكر الله- يا بني- ينجيك من عذاب الله، وبه يغفر لك ذنبك، ويقوى على الحق قلبك، قال رسولى الله:"وما عمل آمي عملا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله".

(حسن، مسند الإمام أحمد: ٥/ ٢٣٩)

وإذا ذكرت الله ذكرك، قال الملك - سبحانه وتعالى -: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢].

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٠٧٤/٣

(٢) الأنس بذكر الله محمد حسين يعقوب ص/٦

ولا أدري أي قلب هنا؟!

قلب أمرئ يسمع هنا الوعد ثم يتخلف عن ذكر الله!!

قال بعض السلف: إني أعلم متى يذكرني ربي، قيل متى وكيف؟ قال: أما قرأتم قول الله: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢].

واعلم أن أخطر ما في الغفلة وترك الذكر أنك إن لم يذكرك ربك افترسك الشيطان، واستولى عليك، قال الملك – سبحانه وتعالى –: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (٣٦) وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾ [الزخرف: ٣٦، ٣٧].

ولهذا– أخي الحبيب– لما أمر الله بالذكر أمر بالإكثار منه شرطا فرضا، وعفق الفلاح والنجاة بهذا الذكر الكثير، قال الله – صلى الله عليه وسلم –: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣].." [(١)]

"تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والكلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رب يسر وأعن وتمم بخير ياكريم إخوتي في الله، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني أحبكم في الله، أسأل الله أن يرزقنا وإياكم الصدق والإخلاص، والعفو والعافية، في الدين والدنيا والآخرة.

أما بعد:

قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ [البقرة: ١٥٢]

وقال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾. [الأحزاب: ٤١]

وقال: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥].." [(٢)]

"﴿فاذكروني﴾ **ذكرا كثيرا** ﴿أذكركم﴾ ذكرا.

﴿فاذكروني﴾ بوصف السلامة ﴿أذكركم﴾ يوم القيامة، يوم لاتنفع الندامة

﴿ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ هذا طعم الخير .. فكيف طعم النظر؟!!

هذا سماع ذكره في دار الشقاء .. فكيف في دار البقاء؟!!

هذا في دار المحنة .. فكيف في دار النعمة؟!!

هذا ذكره في الدنيا من وراء حجاب، فكيف ذكره عند النظر إليه في دار الثواب؟!

قال النبي – صلى الله عليه وسلم –:"أوبياء الله النين إذا رؤوا ذكر الله".

(رواه الحكيم، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ٢٥٥٧)

---

(١) الأنس بذكر الله   محمد حسين يعقوب ص/١١

(٢) الأنس بذكر الله   محمد حسين يعقوب ص/١٧

وورد أن أبا هريرة – رضي الله عنه – كان يسبح كل يوم اثنتي عشر ألف تسبيحة ويقول: أسبح بقدر ديتي! أي إنه يدفع ديته ويشتري نفسه، ويعتق رقبته من النار بهذا العدد من الذكر كل يوم.

وكان خالد بن معدان – رحمه الله – يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن، فلما مات ووضع على سريره ليغسل؛ جعل بأصبعه يحركها بالتسبيح.." (١)

"(٤٢) أنه أكبر الأسباب الجالبة لنعم الله – عز وجل – والمستدفعة

لنقمه – سبحانه وتعالى –، قال – عز وجل –: ﴿(٩) فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا (١٠) يرسل السماء عليكم مدرارا (١١) ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ [نوح: ٩ – ١٢] وقال – عز وجل –: ﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾ [إبراهيم: ٧]، قال بعض السلف: ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك!!!

(٤٣) أن الذكر يوجب صلاة الله – عز وجل – وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله – عز وجل – عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح وفاز كل الفوز، قال – سبحانه وتعالى –: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٣]، فهذه الصلاة منه – عز وجل – ملائكته إنما هي سبب لإخراج العبد من الظلمات إلى النور، فأي خير لم يحصل لهم وأي شر لم يندفع عنهم؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله!!

(٤٤) أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا فعليه بمجالس الذكر، قال – صلى الله عليه وسلم –: "إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا" قالوا: وما رياض الجنة؟! قال:"حلق الذكر".

(حسن، سنن الترمذي: ٣٥١٠)." (٢)

"الخاتمة، نسأل الله حسنها

وبعد ...

هكذا –أيها الحبيب المحب– نصل إلى نهاية المطاف، وخاتمة هذا الكتاب، بعد أن طوفت بك في رياض الجنة، ومعارج الأنوار، ومدارج الإلهام، ومنازل الإنس.

فاعلم أنه ليس للذكر حد ينتهي إليه، بل فتح الله بابه على مصراعيه فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١]، فالكثرة لا تحد، والوانق الرامق المتطلع إلى النظر إلى وجه الله الكريم لا يفتر لسانه، ولا يكف عن ذكر محبوبه، بل يكون هذا الذكر مطفأ شوقه، ومنبع ذوقه،

فانطلق على بركة الله، وانهل .. واعمل .. وفي النهاية– إخوتاه .. وقبل أن أنزل القلم من يدي ..

(١) الأنس بذكر الله محمد حسين يعقوب ص/٤٨

(٢) الأنس بذكر الله محمد حسين يعقوب ص/٦٣

أرى أنه من الأدب الواجب علي .. أن أضرع إلى الله سبحانه وتعالى الكريم الرحيم الذي أتم علي هذا العمل: فاللهم اجعلني وإياكم من الشاكرين الصالحين، ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ [النمل: ١٩]..." (١)

"لأتم نعمتي عليم بهدايتكم إلى أحسن الشرائع وأقومها، ولأهيئكم لكل خير وكمال مثل ما أنعمت عليكم بإرسال رسولي، يزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمونه من أمور الدين والدنيا معا، وفي الآية الأخيرة (١٥٢) أمر تعالى المؤمنين بذكره وشكره، ونهاهم عن نسيانه وكفره، فقال تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ ١ لما في ذكره بأسمائه وصفاته ووعده ووعيده من موجبات محبته ورضاه ولما في شكره بإقامة الصلاة وأداء سائر العبادات من مقتضيات رحمته وفضله، ولما في نسيانه وكفرانه من التعرض لغضبه وشديد عقابه وأليم عذابه.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- الإعراض عن جدل المعاندين، والإقبال على الطاعات تنافسا فيها وتسابقا إليها إذ هو أنفع وأجدى من الجدل والخصومات مع من لا يرجى رجوعه إلى الحق.

٢- وجوب استقبال القبلة في الصلاة وسواء كان في السفر أو في الحضر إلا أن المسافر يجوز أن يصلي النافلة حيث توجهت دابته أو طيارته أو سيارته إلى القبلة وإلى غيرها.

٣- حرمة خشية الناس٢ ووجوب خشية الله تعالى.

٤- وجوب شكر الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة.

٥- وجوب٣ تعلم العلم الضروري ليتمكن العبد من عبادة الله عبادة تزكي نفسه.

٦- وجوب٤ ذكر الله بالتهليل والتكبير والتسبيح ووجوب شكره بطاعته.

٧- حرمة نسيان ذكر الله، وكفران نعمه بترك شكرها.

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين (١٥٣) ﴾

---

١ ورد في الصحيح أن الله تعالى يقول: " من ذكرني في نفسي ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه" والمراد من الملأ: الخير، الملائكة، وورد: "أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه". وقال معاذ بن جبل: "ما عمل ابن آدم عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر عز وجل".

٢ في هذا إبطال للتقية التي جعلها الروافض من أصول دينهم.

---

(١) الأنس بذكر الله محمد حسين يعقوب ص/٢٨٣

٣ شاهده من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "طلب العلم فريضة على كل مسلم" وهو حديث صحيح الإسناد.

٤ شاهده من القرآنك ﴿يا أيها الذين أمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ الأحزاب." (١)

"وذلك لعدم إيمانهم بالله تعالى وعدم حبهم له كما أخبر عنهم بأنهم مذبذبون بين الكفر والإيمان والمؤمنين والكافرين فلا إلى الإيمان والمؤمنين يسكنون، ولا إلى الكفر والمنافقين يسكنون فهم في تردد وحسرة دائمون، وهذه حال من يضله الله فإن من يضلل الله لا يوجد لهدايته سبيل.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين:

١- بيان صفات المنافقين١.

٢- قبح الرياء وذم المرائين.

٣- ذم ترك الذكر والتقليل منه لأمر الله تعالى بالإكثار منه في قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ .

٤- ذم الحيرة والتردد في الأمور كلها.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا (١٤٤) إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا (١٤٥) إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما (١٤٦) ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما (١٤٧) ﴾

شرح الكلمات:

﴿سلطانا مبينا﴾ : حجة واضحة لتعذيبكم.

---

١ وفي صحيح مسلم وصف بحال المنافقين في تذبذبهم وحيرتهم، إذ قال صلى الله عليه وسلم: "مثل المنافق؛ كمثل الشاة العائرة –المترددة بين قطيعين من الغنم- بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه أخرى".." (٢)

"هؤلاء الأنبياء السابقون طريقتهم التي سنها الله لهم هي أنهم ينفذون أمر الله ولا يلتفتون إلى الناس ويقولون ما يقولون، ويخشون ربهم فيما فرض عليهم ولا يخشون غيره، وكفى بالله حسيبا أي حافظا لأعمال عباده ومحاسبا عليها ومجاز بها، وقوله تعالى في ختام السياق ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ لا زيد ولا غيره إذ لم يكن له ولد ذكر قد بلغ الحلم إذ مات الجميع صغارا وهم أربعة ثلاثة من خديجة وهم القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وهو من مارية القبطية، فلذا، لا يحرم عليه أن يتزوج مطلقة زيد لأنه ليس ابنه وإن كان يدعى زيد بن محمد قبل إنهاء التبني وأحكامه ولكن رسول الله وخاتم النبيين فلا نبي بعده فلو كان له ولد ذكر رجلا لكان يكون نبيا وسولا كما كان أولاد إبراهيم وإسحق ويعقوب وداود، ولما

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ١/١٣٢

(٢) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ١/٥٦١

أراد الله أن يختم الرسالات برسالته لم يأذن ببقاء أحد من أولاد نبيه بل توفاهم صغارا، أما البنات فكبرن فتزوجن وأنجبن ومتن حال حياته إلا فاطمة فقد ماتت بعده بستة أشهر وقوله تعالى: ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ فما أخبر به هو الحق وما حكم به هو العدل وما شرعه هو الخير فسلموا لله في قضائه وحكمه فإن ذلك خير وأنفع.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١- بيان أن المؤمن الحق لا خيرة عنده في أمر يقضي فيه الله ورسوله بالجواز أو المنع.

٢- بيان أن من يعص الله ورسوله يخرج عن طريق الهداية إلى طريق الضلالة.

٣- جواز عتاب الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم.

٤- بيان شدة حياء الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥- بيان إكرام الله لزيد بأن جعل اسمه يقرأ على ألسنة المؤمنين إلى يوم الدين.

٦- بيان إفضال الله على زينب لما سلمت أمرها لله وتركت ما اختارته لما اختاره الله ورسوله فجعلها زوجة لرسول الله وتولى عقد نكاحها في السماء فكانت تفاخر نساءها بذلك.

٧- تقرير حديث ما ترك عبد شيئا لله إلا عوضه الله خيرا منه.

٨- إبطال أحكام التبني التي كانت في الجاهلية.

٩- تقرير نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم وكونه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده.

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢) هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم." (١)

"من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)

شرح الكلمات:

يا أيها الذين آمنوا: أي يا من آمنتم بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا.

اذكروا الله ذكرا كثيرا : أي بقلوبكم وألسنتكم.

وسبحوه بكرة وأصيلا: أي نزهوه بقول سبحان الله وبحمده صباحا ومساء.

هو الذي يصلي عليكم: أي يرحمكم.

وملائكته: أي يستغفرون لكم.

ليخرجكم من الظلمات: أي يرحمكم ليديم إخراجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان.

تحيتهم يوم يلقونه سلام: أي سلام فالملائكة تسلم عليهم.

وأعد لهم أجرا كريما: أي وهيأ لهم أجرا كريما وهو الجنة.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤/٢٧٤

معنى الآيات:

هذا النداء الكريم من رب رحيم يوجه إلى المؤمنين الصادقين ليعلمهم ما يزيد به إيمانهم ونورهم، ويحفظون به من عدوهم وهو ذكر الله فقال تعالى لهم ﴿يا أيها الذين (١) آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ لا أحد له ولا حصر إذ هو الطاقة التي تساعد على الحياة الروحية، وسبحوه (٢) بكرة وأصيلا بصلاة الصبح صلاة العصر. وبقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر دبر كل صلاة من الصلوات الخمس. وقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي (٣) عليكم وملائكته﴾ وصلاته تعالى عليهم

---

١ – قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يعذر واحد في ترك ذكر الله إلا من غلب عليه عقله وورد في فضل الذكر قوله صلى الله عليه وسلم "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا وما هو يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل– وقوله وقد جاءه أعرابيان فقال أحدهما يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: من طال عمره وحسن عمله وقال الآخر إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فمرني بأمر أتشبث به. فقال صلى الله عليه وسلم لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى.

٢ – يجوز أن يراد بالتسبيح صلوات النوافل، وجائز أن يكون التسبيح نحو سبحان الله وبحمده إذ ورد عنه صلى الله عليه وسلم وصح من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة غفر له ما تقدم من ذنبه.

٣ – الصلاة الدعاء والذكر بخير وهي من الله تعالى ثناؤه على العبد بين الملائكة قاله البخاري وقيل صلاة الله تعالى على العبد الرحمة ويكون على النبي الثناء عليه وعلى غير النبي الرحمة وهذا أولى، ولا منافاة بين القولين لقوله تعالى: (فاذكروني أذكركم) . وهي من الملائكة دعاء واستغفار لقوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا الآية من سورة المؤمن.." (١)

"وابتغوا من فضل الله: أي اطلبوا الرزق من الله تعالى بالسعي والعمل.

تفلحون: أي تنجون من النار وتدخلون الجنة.

انفضوا إليها: أي إلى التجارة.

وتركوك قائما: أي على المنبر تخطب يوم الجمعة.

ما عند الله خير من اللهو ومن: أي ما عند الله من الثواب في الدار الآخرة خير من اللهو ومن التجارة.

التجارة

والله خير الرازقين: أي فاطلبوا الرزق منه بطاعة وإتباع هداه.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من صدقتم الله ورسوله ﴿إذا نودي للصلاة من يوم ١الجمعة٢﴾ أي إذا أذن المؤذن بعد زوال يوم الجمعة وجلس الإمام على المنبر ﴿فاسعوا٣ إلى ذكر ٤ الله﴾ أي امضوا إلى ذكر الله الذي هو الصلاة والخطبة

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٤/٢٧٥

إذ بهما يذكر الله تعالى. وقوله ﴿وذروا البيع٥﴾ إذ هو الغالب من أعمال الناس، وإلا فسائر الأعمال يجب إيقافها والمضي إلى الصلاة.

وقوله ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي ترك الأعمال من بيع وشراء وغيرها والمضي إلى أداء صلاة الجمعة وسماع الخطبة خير ثوابا وعاقبة.

وقوله تعالى ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أي أديت وفرغ منها فانتشروا في الأرض أي لكم بعد انقضاء الصلاة أن تتفرقوا حيث شئتم في أعمال الدين والدنيا. تبتغون فضل الله، ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ أي أثناء تفرقكم وانتشاركم في أعمالكم اذكروا الله ولا تنسوه واذكروه **ذكرا كثيرا** لعلكم تفلحون أي رجاء فلاحكم وفوزكم في دنياكم وآخرتكم.

---

١ المراد من النداء: الأذان الذي يكون الإمام على المنبر إذ كان الأذان واحدا حتى زاد عثمان رضي الله عنه ثانيا حين كثر الناس بالمدينة.

٢ لفظ الجمعة: بضم كل من الجيم والميم، وبتسكين الميم، والجمع: جمع كغرفة وغرف وجمعات كغرفات وكان يومها يسمى العروبة بفتح العين وقيل أول من سماها الجمعة كعب بن لؤي وقيل: الأنصار، وأول جمعة صليت في الإسلام هي الجمعة التي جمع فيها أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير أهل المدينة وصلوها زكانوا اثني عشر رجلا: وأول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة هي جمعته في بني سالم بن عوف وهو في طريقه من قباء إلى المدينة، وأول جمعة بعدها كانت بجواثي: قرية من قرى البحرين.

٣ ليس المراد بالسعي الجري واشتداد العدو وإنما هو المشي والمضي لحديث صحيح: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن أئتوها وعليكم السكينة" ومن إطلاق السعي والمراد المضي والعمل لا غير قول الشاعر:

أسعي على جل بني مالك

كل امرئ في شأنه ساعي

وفي القرآن: ﴿ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها﴾ .

٤ ذكر الله: الصلاة والخطبة قبلها.

٥ لا خلاف في حرمة البيع والشراء عند الأذان الثاني.." (١)

"١ / أهمية الذكر وفضله

غير خاف على كل مسلم أهمية الذكر وعظيم فائدته؛ إذ هو من أجل المقاصد وأنفع الأعمال المقربة إلى الله تعالى، وقد أمر الله به في القرآن الكريم في مواطن كثيرة، ورغب فيه، ومدح أهله وأثنى عليهم أحسن الثناء وأطيبه.

يقول الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ ١، ويقول تعالى: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾ ٢، ويقول تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ ٣، ويقول تعالى: ﴿والذاكرين

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٣٥٠/٥

الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ ٤ .

فأمر تعالى في هذه الآيات بذكره بالكثرة، وذلك لشدة حاجة العبد إلى ذلك وافتقاره إليه أعظم الافتقار، وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأي لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله، وندم على ذلك ندما شديدا عند لقاء الله يوم القيامة.

---

١ سورة الأحزاب، الآية: (٤١) .

٢ سورة البقرة، الآية: (٢٠٠) .

٣ سورة آل عمران، الآية: (١٩١) .

٤ سورة الأحزاب، الآية: (٣٥) .." [1]

"فالذكر نور لقلب الذاكر ووجهه وأعضائه، ونور له في دنياه وفي البرزخ وفي يوم القيامة.

. ومن فوائد الذكر: أنه يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز، يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، وسبحوه بكرة وأصيلا، هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾ ١ .

---

١ سورة الأحزاب، الآية: (٤١،٤٢،٤٣) .." [2]

"٦/ فضل الإكثار من ذكر الله

لقد أمر الله في كتابه عباده المؤمنين بالإكثار من ذكره قياما وقعودا وعلى الجنوب، بالليل والنهار، وفي البر والبحر، وفي السفر والحضر، وفي الغنى والفقر، وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلن، وفي كل حال، ورتب لهم على ذلك جزيل الأجر، وعظيم الثواب، وجميل المآب.

قال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، وسبحوه بكرة وأصيلا، هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾ ١ .

ففي هذه الآية الحث على الإكثار من ذكر الله تعالى، وبيان ما يترتب على ذلك من أجر عظيم وخير عميم، وقوله: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ فيه أعظم الترغيب في الإكثار من ذكر الله، وأحسن حظ على ذلك، أي: أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، وهو نظير قوله تعالى: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ ٢ فالجزاء من جنس العمل، فمن ذكر الله في نفسه ذكره الله في نفسه، ومن ذكر الله في ملأ ذكره الله في ملأ خير منهم، ومن نسي الله نسيه الله.

---

(١) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ١١/١

(٢) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢٢/١

١ سورة الأحزاب، الآيات: (٤١ . ٤٤) .

٢ سورة البقرة الآية: (١٥١،١٥٢) .." [١]

"الثامن: أنه جعله خاتمة الأعمال الصالحة، كما كان مفتاحها.

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته، وأنهم أولو الألباب دون غيرهم.

العاشر: أنه جعله قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها، فمتى عدمته كانت كالجسد بلا روح.

ثم قال رحمه الله في بيان تفصيل هذه الأوجه العشرة:

. أما الأول: وهو الأمر به مطلقا ومقيدا، فكقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا، هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما﴾ ١، وقوله تعالى: ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة﴾ ٢.

. وأما النهي عن ضده فكقوله: ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ ٣، وقوله: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾ ٤.

. وأما تعليق الفلاح بالإكثار منه فكقوله: ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ ٥.

. وأما الثناء على أهله وحسن جزائهم فكقوله: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ إلى قوله ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات

١ سورة الأحزاب، الآية: (٤١،٤٢،٤٣) .

٢ سورة الأعراف، الآية: (٢٠٥) .

٣ سورة الأعراف، الآية: (٢٠٥) .

٤ سورة الحشر، الآية: (١٩) .

٥ سورة الجمعة، الآية: (١٠) .." [٢]

"٣٧/ فضل التسبيح

لقد كان الحديث فيما سبق عن كلمة التوحيد لا إله إلا الله، فضلها ومعناها وشروطها، وأمور أخرى هامة متعلقة بها، وفيما يلي ننتقل إلى الحديث عن كلمة: (سبحان الله) ، فهي إحدى الكلمات الأربع التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها خير الكلام وأحبه إلى الله، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: " أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"١، وقد مر معنا جملة طيبة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في تفضيل هؤلاء الكلمات،

(١) فقه الأدعية والأذكار   عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٣٩/١

(٢) فقه الأدعية والأذكار   عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٤٦/١

وبيان ما لهن من منزلة عالية ومكانة رفيعة.

وكلمة: سبحان الله، التي هي إحدى هؤلاء لها شأن عظيم، فهي من أجل الأذكار المقربة إلى الله، ومن أفضل العبادات الموصلة إليه، وقد جاء في بيان فضلها وشرفها وعظم قدرها نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، بل إن ما ورد في ذلك لا يمكن حصره لكثرته وتعدده، وقد ورد ذكر التسبيح في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة، بصيغ مختلفة وأساليب متنوعة، فورد تارة بلفظ الأمر كما في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ ٢، وتارة بلفظ الماضي كما في قوله تعالى: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ ٣، وتارة بلفظ المضارع كما في قوله تعالى: ﴿يسبح لله

١ صحيح مسلم (رقم:٢١٣٧) .

٢ سورة الأحزاب، الآية: (٤١ ـ ٤٢) .

٣ سورة الحشر، الآية: (١) .." [1]

"وأما التي لنبينا صلى الله عليه وسلم فمنها قوله تعالى: ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ ١، وقوله: ﴿ومن اليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا﴾ ٢، وقوله تعالى: ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ ٣.

وأما التي للأنبياء فقول الله تعالى لزكريا عليه السلام: ﴿وسبح بالعشي والإبكار﴾ ٤، وقوله تعالى عن زكريا عليه السلام في وصيته لقومه بالمحافظة على التسبيح: ﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ ٥، وقوله تعالى عن يونس عليه السلام في إنجائه من ظلمات البحر وبطن الحوت لملازمته للتسبيح: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ ٦.

وأما التي للمؤمنين فقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ ٧، وقوله تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ ٨، وقوله تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو

١ سورة الحجر، الآية: (٩٨ ـ ٩٩) .

٢ سورة الإنسان، الآية: (٢٦) .

٣ سورة النصر، الآية: (٣) .

٤ سورة آل عمران، الآية: (٤١) .

٥ سورة مريم، الآية: (١١) .

٦ سورة الصافات، الآية: (١٤٣،١٤٤) .

(١) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢٠١/١

٧ سورة الأحزاب، الآية: (٤٢،٤١) .

٨ سورة السجدة، الآية: (١٥) .." [١]

"١١٢ / أذكار طرفي النهار

إن من الأذكار والأدعية الراتبة التي وظفها الشرع الحكيم على المسلم في يومه وليلته أذكار طرفي النهار، بل هي أوسع الأذكار المقيدة وأكثرها ورودا في النصوص، حثا عليها وترغيبا فيها وذكرا لأنواع كثيرة من الأذكار تقال في هذين الوقتين الفاضلين.

يقول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ ١ والأصيل ما بين العصر وغروب الشمس.

ويقول تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والأبكار﴾ ٢، والإبكار: أول النهار، والعشي: آخره.

ويقول تعالى: ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ ٣، ويقول تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون﴾ ٤، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ومحل هذه الأوراد هو الصباح الباكر من بعد صلاة الصبح إلى قبل طلوع الشمس، والمساء ويقال العشي والآصال من بعد صلاة العصر إلى قبل الغروب، على أن الأمر في ذلك واسع إن شاء الله فيما لو نسي العبد ذلك في وقته أو عرض له عارض فلا بأس أن يأتي بأذكار الصباح بعد طلوع الشمس، وأذكار المساء بعد غروبها.

---

١ سورة: الأحزاب الآية (٤٢ - ٤٣) .

٢ سورة: غافر، الآية (٥٥) .

٣ سورة ق، الآية (٣٩) .

٤ سورة الروم، الآية (١٧) .." [٢]

"١١ - ومن الأمور بالغة الأهمية في علاج ضعف الإيمان ذكر الله تعالى وهو جلاء القلوب وشفاؤها، ودواؤها عند اعتلالها، وهو روح الأعمال الصالحة وقد أمر الله به فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ ووعد بالفلاح من أكثر منه فقال: ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ وذكر الله أكبر من كل شيء قال الله تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ وهو وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمن كثرت عليه شرائع الإسلام فقال له: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله) (١)

وهو مرضاة للرحمن مطردة للشيطان مزيل للهم والغم وجالب للرزق فاتح لأبواب المعرفة وهو غراس الجنة وسبب لترك آفات اللسان، وهو سلوة أحزان الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به فعوضهم الله بالذكر الذي ينوب عن الطاعات البدنية والمالية ويقوم مقامها، وترك ذكر الله من أسباب قسوة القلب:

---

(١) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢٠٤/١

(٢) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ١١/٣

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم ... وأجسامهم قبل القبور قبور
وأرواحهم في وحشة من جسومهم ... وليس لهم حتى النشور نشور

ولذلك لا بد لمن يريد علاج ضعف إيمانه من الإكثار من ذكر الله قال تعالى: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾. وقال الله تعالى مبينا أثر الذكر على القلب: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (٢)

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى عن العلاج بالذكر: " في القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى فينبغي

---

(١) رواه الترمذي ٣٣٧٥ وقال حديث حسن غريب وهو في صحيح الكلم ٣.

(٢) الرعد /٢٨.." [1]

"يكون عبادة، قال صلى الله عليه وسلم: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر» ، رواه مسلم. وقد صح الحديث بأن نفقة الرجل على أهله صدقة، وفي صحيح مسلم عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن نفقتك على عيالك صدقة» ، وأخرج الإمام أحمد من حديث المقدام بن معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أطعمت نفسك فهو لك صدقة» ، وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلم يغرس غرسا إلا كان ما أكل منه له صدقة، وما سرق منه له صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، ولا ينقصه أحد إلا كان له صدقة» . وفي رواية له أيضا: «فلا يأكل منه إنسان ولا دابة ولا طائر إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة» .

عباد الله: والعبادة قسمان: قسم واجب وقسم مستحب، والقسم الواجب منه ما يتكرر في اليوم والليلة خمس مرات كالصلوات الخمس ومنه ما يتكرر كل أسبوع كصلاة الجمعة ومنه ما يتكرر كل عام كصيام رمضان، وأداء الزكاة ومنها ما يجب مرة واحدة في العمر كالحج والعمرة من المستطيع، والقسم المستحب لا يتحدد بوقت كنوافل الصلوات ونوافل الصدقات ونوافل الصيام فيما عدا الأوقات المنهي عن الصلاة فيها وعن صيامها، ومن نوافل العبادة ما يطلب كل وقت كذكر الله بالقلب واللسان. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا – وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤١ – ٤٢] وقال تعالى:." [2]

"[الدعاء لولاة الأمور]

الدعاء لولاة الأمور الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والحمد لله الذي خلق الخلق ليعبدوه، وأبان آياته ليعرفوه، وسهل لهم طريق الوصول إليه ليصلوه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن نبينا وإمامنا وقدوتنا محمدا عبده ورسوله، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليكون للعالمين

---

(١) ظاهرة ضعف الإيمان محمد صالح المنجد ص/٦٣

(٢) خطب مختارة مجموعة من المؤلفين ص/٥٥

نذيرا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليما كثيرا. أما بعد: أيها الناس اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، وسبحوه بكره وأصيلا، واعلموا رحمكم الله أن الذكر هو أحب الكلام إلى الله، ففي الحديث الذي يرويه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده» رواه مسلم، فذكر الله يحيي القلوب وينورها ويزكى النفوس ويسعدها.

فأكثروا من ذكر الله ومن دعائه والتضرع إليه " والدعاء هو العبادة " وليس شيء أكرم على الله من الدعاء، ولا يرد القضاء إلا الدعاء.

فاسألوا الله حوائجكم صغيرها وكبيرها عاجلها وآجلها، وانتظروا الفرج من الله. قال تعالى: ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ [الأعراف: ٥٥] ثم اعلموا أيها." (١)

"[فضل ذكر الله تعالى]

فضل ذكر الله تعالى الحمد لله المذكور بكل لسان المشكور على كل إحسان خلق الخلق ليعبدوه وأظهر لهم آياته ليعرفوه ويسر لهم طرق الوصول إليه ليصلوه فهو ذو الفضل العظيم والخير الواسع العميم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان وسلم تسليما.

أما بعد أيها الناس: اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا، كونوا من أولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم، كونوا من الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وتنفرج الكروب، بذكر الله يحصل النصر ويثبت الله القلب في مواطن الفزع، ولذلك أمر الله تعالى بذكره عند مقابلة الأعداء في الحرب فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال: ٤٥] إن ذكر الإنسان لربه يملأ قلبه سرورا ويكسو وجهه نورا ويذكره الله به، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ [البقرة: ١٥٢] ويقول تعالى في الحديث القدسي الذي رواه النبي صلى الله عليه وسلم عنه: «أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم» ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «سبق المفردون، قالوا وما المفردون يا رسول الله؟ قال الذاكرون الله كثيرا» ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم «مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله كمثل." (٢)

"باب: المبحث الثالث: في التسبيح فضله ومكانته ومدلوله

فضل التسبيح

...

المبحث الثالث: في التسبيح فضله ومكانته ومدلوله

المطلب الأول: فضل التسبيح

---

(١) خطب مختارة مجموعة من المؤلفين ص/١٠٤

(٢) خطب مختارة مجموعة من المؤلفين ص/٢٧٧

إن التسبيح له شأن عظيم ومكانة رفيعة؛ إذ هو أحد الكلمات الأربع التي وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنها خير الكلام وأحبه إلى الله، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر" ١، وقد مر معنا جملة طيبة من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في تفضيل هؤلاء الكلمات، وبيان ما لهن من منزلة عالية ومكانة رفيعة.

وكلمة: سبحان الله، التي هي إحدى هؤلاء الكلمات لها شأن عظيم، فهي من أجل الأذكار المقربة إلى الله، ومن أفضل العبادات الموصلة إليه، وقد جاء في بيان فضلها وشرفها وعظم قدرها نصوص كثيرة في الكتاب والسنة، بل إن ما ورد في ذلك لا يمكن حصره لكثرته وتعدده، وقد ورد ذكر التسبيح في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرة، بصيغ مختلفة وأساليب متنوعة، فورد تارة بلفظ الأمر كما في قوله –تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ ٢، وتارة بلفظ الماضي كما في قوله تعالى: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ ٣، وتارة بلفظ المضارع كما في قوله تعالى: ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾ ٤، وتارة بلفظ المصدر كما في قوله تعالى: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين

---

١ صحيح مسلم (رقم:٢١٣٧) .

٢ سورة الأحزاب، الآية: (٤١ – ٤٢) .

٣ سورة الحشر، الآية: (١) .

٤ سورة الجمعة، الآية: (١) .." [1]

"من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ ١.

وأما التي للمؤمنين فقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ ٢، وقوله تعالى: ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ ٣، وقوله تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾ ٤، الآية.

وأما التي في الحيوانات والجمادات فمنها قوله تعالى: ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾ ٥، وقوله تعالى: ﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب﴾ ٦، وقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صآفات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون﴾ ٧.

وأما التي لعموم المخلوقات فمنها قوله تعالى: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾ ٨، وقوله تعالى: ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾ ٩.

---

(١) دراسات في الباقيات الصالحات عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٤٢

١ سورة الصافات، الآية: (١٤٣، ١٤٤) .

٢ سورة الأحزاب، الآية: (٤١، ٤٢) .

٣ سورة السجدة، الآية: (١٥) .

٤ سورة النور، الآية: (٣٦،٣٧) .

٥ سورة الإسراء، الآية: (٤٤) .

٦ سورة ص، الآية: (١٨،١٩) .

٧ سورة النور، الآية: (٤١) .

٨ سورة الحشر، الآية: (١) .

٩ سورة التغابن، الآية: (١) .." (١)

"النداء الحادي والستون: في الأمر بذكر الله وتسبيحه عز وجل بكرة وعشيا وبيان ثواب ذلك من الله عز وجل الآيات (٤١ – ٤٢ – ٤٣ – ٤٤) من سورة الأحزاب

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾ .

الشرح:

اعلم أيها القارئ أن هذا النداء الكريم من رب رحيم يوجه إلى المؤمنين الصادقين، وجهه إليهم ربهم ليعلمهم ما يزيد به إيمانهم ونورهم، ويحفظون به من عدوهم وعدو أبيهم، إبليس عليه لعائن الله. ألا إنه ذكر الله تعالى: إذ قال لهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ أي لا حد له ولا حصر، إذ هو الطاقة التي تساعد على الحياة الروحية ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ البكرة من طلوع الفجر إلى الضحى، والأصيل من الزوال إلى غروب الشمس، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم أنواع التسبيح منها: سبحان الله وبحمده مائة مرة، وأن من سبح هذا التسبيح بهذا العدد غفر له ما تقدم من ذنبه، إن قالها بعد الصبح أو بعد العصر فاز بهذا الأجر، وهو مغفرة ذنوبه وأعظم به من أجر، ومنها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير مائة مرة. وذكر صلى الله عليه وسلم أن من أتى بهذا الذكر كان كمن أعتق عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة وحطت عنه مائة خطيئة، وظل يومه ذلك كله في حرز من الشيطان، ولم يأت أحد بمثل ما أتى به من الأجر، إلا من قال مثله أو زاد. ومنها التسبيح دبر الصلوات الخمس نحو سبحان الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله ثلاثا وثلاثين، والله." (٢)

---

(١) دراسات في الباقيات الصالحات عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٤٥

(٢) نداءات الرحمن لأهل الإيمان أبو بكر الجزائري ص/١٦٩

"ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام أي ليرقى المنبر ويخطب الناس حضرت الملائكة يستمعون الذكر ".

وقوله تعالى: ﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ أي امشوا إلى أداء صلاة الجمعة بعد سماع الخطبة. وهذا المشي يسبقه أمور منها الغسل، ولبس الثياب الجديدة أو النظيفة الخاصة بها، ومنها مس الطيب ومنها السواك. وهذا الإمام أحمد رحمه الله يروى في مسنده الصحيح الحديث التالي. يقول صلى الله عليه وسلم: " من اغتسل يوم الجمعة، ومس من طيب أهله، إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع ما بدا له، ولم يؤذ أحدا ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى ". وروى أصحاب السنن أن النبي (صلى الله عليه وسلم) على المنبر قال: " ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته ".

وقوله تعالى: ﴿وذروا البيع﴾ أي اتركوا البيع والشراء إذ لفظ البيع يطلق على الشراء. ولهذا يحرم أي عقد يتم والإمام على المنبر يوم الجمعة. كما يحرم أي عمل كتجارة أو حياكة أو صناعة أو زراعة. أو طهى طعام وما إلى ذلك من سائر الأعمال

وقوله تعالى: ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي إن ترك الأعمال من بيع وشراء وغيرها من سائر الأعمال والذهاب إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة خير ثوابا وخير عاقبة في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أي أديت وفرغ منها ﴿فانتشروا في الأرض﴾ أي لقضاء حوائجكم كالبيع والشراء وسائر الأعمال المأذون فيها من المباحات. وقوله: ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أي اطلبوا ما تحتاجون إليه من أمور دنياكم ومعاشكم فقد أذن الله تعالى لكم فيه بعد أن منعكم منه عند سماع النداء والإمام على المنبر وقال: ﴿من فضل الله﴾ إذ كل رزق يحصل عليه العبد هو من عطاء الله وفضله، وما للعبد إلا إتيان الأسباب الموضوعة لذلك، فلذا لا يطلب المحرم سواء كان طعاما أو شرابا أو لباسا أو غيرها، إذ ذاك لم يأذن الله فيه فهو ليس من فضله تعالى، وقوله تعالى: ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ أي أثناء تفرقكم وانتشاركم في أعمالكم طلبا لفضل الله تعالى في هذه الحال اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم ولا تنسوه واذكروه **ذكرا كثيرا**، وقوله تعالى: ﴿لعلكم تفلحون﴾ . أي اذكروا الله كثيرا." (١)

"أن هذا الرجل لا يستطيع القيام بأعمال غير الذكر.

(٣) إن الذكر هو أفضل الأقوال لمن داوم عليه وأنه جامع للخير والسعادة.

الموجز:

في هذا الحديث أن رجلا من الصحابة الكرام طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدله على أمر سهل جامع شامل لخصال الخير، فأرشده الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ذكر الله، فقال: "لا يزال لسانك رطبا، أي غضا من ذكر الله" تديم تكراره آناء الليل والنهار، فاختاره له صلى الله عليه وسلم لخفته وسهولته عليه ومضاعفة أجره ومنافعه العظيمة التي لا تعد ومرجعها القرآن العزيز والأحاديث الكثيرة التي جاءت بفضله ومنافعه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وقال النبي

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان أبو بكر الجزائري ص/٢٣٢

صلى الله عليه وسلم:"من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر من ذكر الله"وقال عليه الصلاة والسلام:"كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم"، ومما قيل في الذكر:

شعر:

وساعات الذكر ثروة وغنى ... وساعات اللهو إفلاس وفاقات

آخر:

وأكثر ذكره في الأرض دوما ... لتذكر في السماء إذا ذكرت

وصلى الله على سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعلى آله وصحابته أجمعين، والحمد لله رب العالمين، آمين.." [1]

"الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴿٤١﴾ وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ . وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ . وقال: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ . وقال: ﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم ﴿٤٨﴾ ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم﴾ . وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ .

وفي الحديث الصحيح: ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت)) .

وقوله – صلى الله عليه وسلم –: ((سبق المفردون)) . قالوا: ما المفردون يا رسول الله؟ قال ((الذاكرون الله كثيرا والذاكرات)) .

وفي حديث صحيح: ((ألا أخبركم بأفضل أعمالكم، وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم)) ؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ((ذكر الله)) .

وفي حديث صحيح: أن رجلا أتى إلى رسول – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، وأنا كبرت فأخبرني بشيء أتشبث به. قال: ((لا يزال لسانك رطبا بذكر الله)) .." [2]

"له كلاليب من الشهوات، والصراط الأخروي على متن جهنم له كلاليب كشوك السعدان، فمن تجاوز هذا الصراط بإيمانه تجاوز ذاك الصراط على حسب إيقانه، وإذا اهتدى العبد إلى الصراط المستقيم زالت همومه وغمومه وأحزانه.

عشر زهرات يقطفها من أراد الحياة الطيبة

١ . جلسة في السحر للاستغفار: ﴿والمستغفرين بالأسحار﴾ .

٢ . وخلوة للتفكر: ﴿ويتفكرون في خلق السماوات والأرض﴾ .

٣ . ومجالسة الصالحين: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم﴾ .

٤ . والذكر: ﴿اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ .

---

(١) الأحاديث الأربعين النووية مع ما زاد عليها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد عبد الله بن صالح المحسن ص/٩٤

(٢) لا تحزن عائض القرني ص/١١٣

٥. وركعتان بخشوع: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ .

٦. وتلاوة بتدبر: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ .

٧. وصيام يوم شديد الحر: ((يدع طعامه وشرابه وشهواته من أجلي)) .

٨. وصدقة في خفاء: ((حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)) .

٩. وكشف كربة عن مسلم: ((من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة)) .

١٠. وزهد في الفانية: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ .

تلك عشرة كاملة.." (١)

"الأذكار صوتيا؛ كيما يتسنى للقارئ حفظها والعمل بها.

هذا، وإن يسر الله لك – أخي المؤمن – الاستزادة، فالذكر خير الزاد، وعند الله مغانم كثيرة، ولديه المزيد. قال تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥] ، وقال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** *وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢] وقال سبحانه ﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾ [ق: ٣٥] . وقال." (٢)

"زوجته بنت ثمان وسبعين سنة، فقد اجتمع فيهما الشيخوخة والعقم في الزوجة وكل من السببين مانع من الولد ﴿قال كذلك الله يفعل ما يشآء﴾ أي لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر ﴿قال رب اجعل لي آية﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ أي علامتك عليه أن لا تقدر على كلام الناس إلا بالإشارة ثلاثة أيام بلياليها مع أنك سوي صحيح والغرض أنه يأتيه مانع سماوي يمنعه من الكلام بغير ذكر الله ﴿واذكر ربك كثيرا﴾ أي اذكر الله **ذكرا كثيرا** بلسانك شكرا على النعمة، فقد منع عن الكلام ولم يمنع عن الذكر لله والتسبيح له وذلك أبلغ في الإعجاز ﴿وسبح بالعشي والإبكار﴾ أي نزه الله عن صفات النقص بقولك سبحان الله في آخر النهار وأوله.

وقيل: المراد صل لله، قال الطبري: يعني عظم ربك بعبادته بالعشي والإبكار.

البلاغة: ١ – ﴿والله أعلم بما وضعت﴾ ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ جملتان معترضتان لتعظيم الموضوع ورفع منزلة المولود.

٢ – ﴿وإني أعيذها﴾ صيغة المضارع للدلالة على الاستمرار والتجدد.

٣ – ﴿وأنبتها نباتا حسنا﴾ شبهها في نموها وترعرعها بالزرع الذي ينمو شيئا فشيئا، والكلام مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع أحوالها بطريق الاستعارة التبعية.

٤ – ﴿فنادته الملائكة﴾ المنادي جبريل وعبر عنه باسم الجماعة تعظيما له لأنه رئيسهم.

٥ – ﴿بالعشي والإبكار﴾ بين كلمتي العشي والإبكار طباق وهو من المحسنات البديعية.

الفوائد: الأولى: روي أن «حنة» امرأة عمران كانت عجوزا فبينما هي ذات يوم تحت ظل شجرة إذ رأت طائرا يطعم فرخه

---

(١) لا تحزن عائض القرني ص/٢١٧

(٢) منتقى الأذكار خالد الجريسي ص/١٥

فحنت إلى الولد وتمنته وقالت: اللهم إن لك علي نذرا إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته ثم هلك عمران وهي حامل وهذا سر النذر.

الثانية: قال ابن كثير عند قوله تعالى ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا﴾ قال: والآية فيها دلالة على كرامات الأولياء، وفي السنة بهذا نظائر كثيرة وساق بسنده عن جابر قصة الجفنة وخلاصتها «أن النبي صلى الله عليه وسلم جاع أياما فدخل على ابنته فاطمة الزهراء يسألها عن الطعام فلم يكن عندها شيء وأرسلت إليها جارتها برغفيين وقطعة لحم فوضعتها في جفنه ثم رأت الجفنة وقد امتلأت لحما وخبزا.»." (١)

"خلوا من قبل﴾ أي هذه سنة الله في جميع الأنبياء السابقين حيث وسع عليهم فيما أباحلهم، قال القرطبيك أي سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه في النكاح، سنة الأنبياء الماضية كداود وسليمان، فكان لداود مائة امرأة ولسليمان ثلاثمائة امرأة، عدا السريات ﴿وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ أي قضاء مقضيا، وحكما مقطوعا به من الأزل، لا يتغير ولا يتبدل، ثم أثنى تعالى على جميع الأنبياء والمرسلين بقوله: ﴿الذين يبلغون رسالات الله﴾ أي هؤلاء الذين أخبرتك عنهم يا محمد وجعلت لك قدوة بهم، هم الذين يبلغون رسالات الله إلى امن أرسلوا إليه ﴿ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ أي يخافون الله وحده ولا يخافون أحدا سواه، فاقتد يا محمد بهم ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ أي يكفي أن يكون الله محاسبا على جميع الأعمال والأفعال، فينبغي أن لا يخشى غيره، ثم أبطل تعالى حكم التبني الذي كان شائعا في الجاهلية فقال: ﴿ما كان محمد أبآ أحد من رجالكم﴾ قال المفسرو: لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس: إن محمدا قد تزوج امرأة ابنه فنزلت هذه الآية قال الزمخشري: أي لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة، حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ أي ولكنه عليه السلام آخر الأنبياء والمرسلين، ختم الله به الرسالات السماوية، فلا نبي بعده، قال ابن عباس: يريد: لو لم أختم به النبيين لجعلت له ولدا يكون بعده نبيا ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ أو هو العالم بأقوالكم وأفعالكم، لا تخفى عليه خافية من أحوالكم ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ أي اذكرا الله بالتهليل والتحميد، والتمجيد والتقديس **ذكرا كثيرا**، بالليل والنهار، والسفر والحضر ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أي وسبحوا ربكم في الصباح والمساء، قال العلماء: خصهما بالذكر لأنهما أفضل الأوقات بسبب تنزل الملائكة فيهما ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ أي هو جل وعلا يرحمكم على الدوام، ويعتني بأمركم، وبكل ما فيه صلاحكم وفلاحكم ﴿وملائكته﴾ أي وملائكته يصلون عليكم أيضا بالدعاء والإستغفار وطلب الرحمة، قال ابن كثير: والصلاة من الله سبحانه ثناؤه على العبد عند الملائكة، وقيل: الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة: الدعاء والإستغفار ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ أي لينقذكم من الضلالة إلى الهدى، ومن ظلمات العصيان إلى نور الطاعة والإيمان ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ أي واسع الرحمة بالمؤمنين، حيث يقبل القليل من أعمالهم، ويعفوا عن الكثير من ذنوبهم، لإخلاصهم في إيمانهم ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ أي تحية هؤلاء المؤمنين يوم يلقون ربهم السلام والإكرام في الجنة من الملك العلام كقوله تعالى ﴿سلام قولا من رب رحيم﴾ [يس: ٥٨] ﴿وأعد لهم أجرا كريما﴾ أي وهيأ لهم أجرا حسنا وهو الجنة وما فيها من النعيم

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ١/١٨٢

المقيم، قال ابن كثير: والمراد بالأجر الكريم الجنة وما فيها من المآكل والمشارب، والملابس والمساكن، والملاذ والمناظر، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم." (١)

"أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون وعليكم السكينة» . وقال الحسن: والله ما هو بالسعي على الأقدام، ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا عليهم السكينة والوقار، ولكنه سعي بالقلوب، والنية، والخشوع ﴿ذلكم خير لكم﴾ أي ذلك السعي إلى مرضا الله، وترك البيع والشراء، خير لكم وأنفع من تجارة الدنيا، فإن نفع الآخرة أجل وأبقى ﴿إن كنتم تعلمون﴾ أي إن كنتم من أهل العلم القويم، والفهم السليم ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أي فإذا أديتم الصلاة وفرغتم منها ﴿فانتشروا في الأرض﴾ أي فتفرقوا في الأرض وانبثوا فيها للتجارة وقضاء مصالحكم ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أي واطلبوا من فضل الله وإنعامه، فإن الرزق بيده جل وعلا هو المنعم المتفضل، الذي يضيع عمل العامل، ولا يخيب أمل السائل ﴿واذكروا الله كثيرا﴾ أي واذكروا ربكم **ذكرا كثيرا**، باللسان والجنان، لا وقت الصلاة فحسب ﴿لعلكم تفلحون﴾ أي كي تفوزوا بخير الدارين قال سعيد بن جبير: ذكر الله طاعته، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر ولو كان كثير التسبيح.

. ثم أخبر تعالى أن فريقا من الناس يؤثرون الدنيا الفانية على الآخرة الباقية، ويفضلون العاجل على الآجل فقال ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾ هذا عتاب لبعض الصحابة الذين انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركوه قائما يخطب يوم الجمعة، والمعنى: إذا سمعوا بتجارة رابحة، أو صفقة قادمة، أو شيء من لهو الدنيا وزينتها، تفرقوا عنك يا محمد وانصرفوا إليها، وأعاد الضمير إلى التجارة دون اللهو ﴿انفضوا إليها﴾ لأنها الأهم المقصود ﴿وتركوك قآئما﴾ أي وتركوا الرسول قائما على المنبر يخطب قال المفسرون: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة، فأقبلت عير من الشام بطعام قدم بها «دحية الكلبي» وكان أصاب أهل المدنية جوع وغلاء سعر وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورا بها، فلما دخلت العير كذلك انفض أهل المسجد إليها، وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر، ولم يبق معه إلا اثني عشر رجلا قال جابر بن عبد الله: أنا أحدهم فنزلت الآية قال ابن كثير: وينبغي أن يعلم أن هذه القصة كانت لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما هو الحال في العيدين، كما روى ذلك أبو داود ﴿قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة﴾ أي قل لهم يا محمد: إن ما عند الله من الثواب والنعيم، خير مما أصبتموه من اللهو والتجارة ﴿والله خير الرازقين﴾ أي خير من رزق وأعطى، فاطلبوا منه الرزق، وبه استعينوا لنيل فضله وإنعامه.

البلاغة: تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١ – التشبيه التمثيلي ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ لأن وجه الشبه منتزع من متعدد

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٤٨٦

أي مثلهم في عدم الانتفاع بالتوراة، كمثل الحمار الذي يحمل على ظهره الكتب العظيمة ولا يكون له منها إلا التعب والعناء.." (١)

"[فضل الذكر والأمر به]

فضل الذكر والأمر به قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال تعالى: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** - وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢]

وقال تعالى: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ [الأحزاب: ٣٥]

وقال تعالى: ﴿واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار﴾ [آل عمران: ٤١]

وقال تعالى: ﴿الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم﴾ [آل عمران: ١٩١]." (٢)

"[فضل لا حول ولا قوة إلا بالله]

فضل لا حول ولا قوة إلا بالله ٣٩ - عن أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قل: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة» . رواه البخاري (٦٣٨٤) ، ومسلم (٤ ٢٧٠) .

٤٠ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة» . رواه أحمد (٢ / ٣٣٣) .

[أذكار طرفي النهار]

أذكار طرفي النهار وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر وغروب الشمس.

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** - وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢]

والأصيل: ما بين العصر وغروب الشمس.." (٣)

"غفورا رحيما﴾ . وقال تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم﴾ . وقال تعالى: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم﴾ وقال الله عز وجل في حديث قدسي: "يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم"، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب". ذكر الله: ذكر الله غذاء روحي يبث الطمأنينة والهدوء والسعادة في الإنسان ويبعد الهم والقلق ويبعد الأفكار الوسواسية والسلوك القهري، ويبعد الشيطان الرجيم١، قال الله تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/٣٥٩

(٢) الذكر والدعاء عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢٧

(٣) الذكر والدعاء عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٤٩

القلوب﴾ وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ وقال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ .

الصبر: الصبر مفتاح الفرج، والصبر تفويض الأمر إلى الله فضيلة خلقية ونفحة روحية يعتصم بها الإنسان فيهدأ ويسكن قلبه ويطمئن، والصبر يبعد الشيطان ويرضي الرب ويسر الصديق ويسوء العدو، والصبر عون نفسي هائل يقي الإنسان من الانهيار أمام الشدائد والبلايا والمصائب، ومن الصبر المثابرة على العبادة، ومنه الشجاعة على المكاره، ومنه كتمان الأسرار، ومنه تحمل أذى الناس، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ وقال تعالى: ﴿بشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وقال تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ وقال تعالى: ﴿ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ وقال بعض الحكماء: "العاقل يفعل في أول يوم من المصيبة ما يفعل الجاهل بعد أيام"٢.

---

١ يقول الشاعر:

يا رب ذكراك ملء قلبي ... في كل آن وملء نفسي

فيالها من نعيم أمن ... ويالها من نعيم أنس

٢ يقول الشاعر:

ومن يستعن بالصبر نال مراده ... ولو بعد حين إنه خير مسعد

ويقول آخر:

إني رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر." (١)

"فضل الذكر

قال الله تعالى: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾ (١)،

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ (٢)، ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما﴾ (٣)، ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ (٤)،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.." (٢)

---

(١) التوجيه والإرشاد النفسي الدكتور حامد عبد السلام زهران ص/٣٦٢

(٢) حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة سعيد بن وهف القحطاني ص/٦

"﴿وقياما﴾

(٦٤) – وهم يبيتون قياما في طاعة الله تعالى وعبادته ويذكرونه **ذكرا كثيرا** في ركوعهم وسجودهم.

(وقال تعالى في صفة عباد الرحمن في سورة أخرى: ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون.﴾ يبيتون – أي يدركهم الليل.." (١)

"﴿يرجو﴾

(٢١) – يحث الله تعالى المؤمنين على الاقتداء برسول الله A والتأسي به في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته فقال للذين أظهروا الضجر وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: هلا اقتديتم برسول الله، وتأسيتم بشمائله فلكم في رسول الله أسوة حسنة إن كنتم تبتغون ثواب الله، وتخافون عقابه، وتذكرون الله **ذكرا كثيرا**، فذكر الله يؤدي إلى أسوة حسن – قدوة صالحة في كل أمر.." (٢)

"التحريض على أعمال البر

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: فيقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ [النساء:٧٤] .

قوله تعالى: ﴿فليقاتل في سبيل الله﴾ [النساء:٧٤] تحريض على القتال في سبيل الله، والتحريض على أعمال البر ورد في جملة من الآيات والأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: فجاء التحريض على الصدقة في قوله تعالى: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم﴾ [الحديد:١١] ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فمن استطاع أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل) .

وجاء التحريض على الصلاة في قوله تعالى: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾ [الإسراء:٧٩] ، وفي قوله تعالى: ﴿يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلا﴾ [المزمل:١-٢] ، وفي السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا إله إلا الله! من يوقظ صواحب الحجرات كي يصلين) ، وقال عليه الصلاة والسلام: (رحم الله امرأ قام من الليل يصلي فأيقظ أهله، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل تصلي فأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء) .

وجاء التحريض على الذكر في قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا** * وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢] ، وفي السنة يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (سبق المفردون، قيل: وما المفردون يا رسول الله؟! قال: الذاكرون الله كثيرا والذاكرات) .

فالتحريض على أعمال البر ورد في مواطن كثيرة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أيسر التفاسير لأسعد حومد   أسعد حومد ص/٢٨٠١

(٢) أيسر التفاسير لأسعد حومد   أسعد حومد ص/٣٤٣٥

ومن أعمال البر: قتال أعداء الله من الكفار، قال تعالى محرضا نبيه على ذلك: ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا﴾ [النساء:٨٤] ، وهذه الآية تحريض عام للمؤمنين.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ولا تطع كل حلاف مهين)

باسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد: فيقول الله سبحانه: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم * عتل بعد ذلك زنيم * أن كان ذا مال وبنين * إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ [القلم:١٠-١٥] .

قوله تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ [القلم:١٠] الحلاف: هو كثير الحلف، فهل يستفاد من الآية أن كثرة الحلف مذموم، أو لا يستفاد ذلك منها؟ من العلماء من قال: إن كثرة الحلف مذموم لهذه الآية الكريمة: ﴿ولا تطع كل حلاف﴾ [القلم:١٠] ولقوله تعالى: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ [المائدة:٨٩] ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يكثر من الأيمان، ولأن من حام حول الحمى يوشك أن يواقعه، فإذا أكثر الشخص من الحلف أوشك أن يقع في الحلف على الحرام، أو الحلف المحرم، أو الحلف كاذبا، أو الوقوع فيما حلف عليه وينسى -لكثرة أيمانه- فلا يكفر وأيضا: لأن الله سبحانه وتعالى وصف أهل النفاق أنهم يكثرون من الأيمان كي يصرفوا الناس عنهم، قال تعالى: ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ [المجادلة:١٦] أي: وقاية يتقون بها أقوال الناس فيهم وأحكام الناس فيهم، فهذه حجج من قالوا بكراهة ذلك بأن كثرة الحلف مذموم.

ومن أهل العلم من قال: إن كثرة الحلف لا بأس به إذا كان الشخص يحلف بحق، ويحلف على حق؛ وذلك لأن الحلف بالله فيه ذكر لله سبحانه، فالذي يقسم بالله يذكر الله أثناء القسم، قالوا: وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب:٤١] .

قالوا: وأيضا قد أقسم النبي صلى الله عليه وسلم جملة أيمان دون أن يطلب منه القسم، ففي قصة العسيف -أي: الأجير- الذي كان مستأجرا عند رجل فزنى بامرأته: أتى أبوه وأتى زوج المرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كي يقضي بينهم، قال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفسي بيده! لأقضين بينكما بكتاب الله عز وجل) ، دون أن يطلب منه هذا القسم.

وأيضا لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه أسامة بن زيد يستشفع في المرأة المخزومية التي سرقت، قال عليه الصلاة والسلام: (والذي نفس محمد بيده! لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) ، دون أن يطلب منه أيضا القسم.

فهذه حجج من قالوا بعدم الكراهية إذا كان الشخص محقا في قسمه، وحجج الذين قالوا بكراهية الإكثار من القسم لغير حاجة، والله سبحانه وتعالى أعلم.

لكن الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ [القلم:١٠] على ذم الإكثار من الحلف لا يتم؛ لأنها لم تنفرد

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٢/١٤

بالحكم، وإنما أردفت بصفات أخرى.

(مهين) المهين: هو الحقير، والكذاب أيضا، فالحلاف المذموم في هذه الآية هو الحلاف المهين.." [(١)]

"حكم قراءة ومس القرآن من الحائض

Q هل يحل للمرأة الحائض قراءة القرآن ومسه؟

A الحديث الوارد في منع الحائض من قراءة القرآن حديث ضعيف، فحديث: (إني لا أحل المسجد لجنب ولا لحائض) حديث ضعيف من رواية جسرة بنت دجاجة وهي مجهولة، أيضا في الباب حديث علي رضي الله عنه: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأنا القرآن لا يحجبه شيء إلا الجنابة) وهو حديث أيضا ضعيف، إذا ما هو المانع من أن تقرأ الحائض القرآن، لم يسلم مانع -إلى الآن- من الكلام فيه، فكيف إذا عارض ما صح من قول عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه) .

وتقدم أن غير المتوضأ يقرأ القرآن أيضا من حديث ابن عباس في الصحيحين: (أن النبي صلى الله عليه وسلم قام من الليل يصلي فمسح النوم عن وجهه ثم قرأ العشر الآيات الأواخر من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ) ففي الحديث أنه قرأ عشر آيات قبل أن يتوضأ صلى الله عليه وسلم، فلا يسلم دليل لمنع الحائض من قراءة القرآن.

لكن قد ورد حديث: (إني كرهت أن أذكر الله على غير طهارة) ويجمع بينه وبين حديث عائشة: (كان رسول الله يذكر الله على كل أحيانه) وبين حديث ابن عباس: (أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ عشر آيات قبل أن يتوضأ) ، وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ [الأحزاب:٤١] (وعند الجماع يقول: باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا، ويجامع أهله) فهل يكره للحائض أن تقرأ القرآن قياسا للحائض على الجنب، فالجنب كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (إني كرهت أن أذكر الله على غير طهارة) يكره له قراءة القرآن، أقول: إن قياس الحائض على الجنب قياس لا يصح؛ لأن كراهية ذكر الله لغير الطاهر -المحدث حدثا أصغر أو أكبر- نحمله على المبادرة إلى الاغتسال، وهذا مطلب ومقصد شرعي، لكن ماذا عسانا أن نجني من منع الحائض من القراءة؟ بل لم يقدم منعنا لها موعد الطهر، ولم يؤخر موعد الطهر إذا نبقى على الأصل ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا﴾ [الأحزاب:٤١] والقرآن ذكر.

بقيت مسألة المس: والمعول عليه في المسألة كتاب ربنا وما صح من سنة نبينا صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن المسألة لم ينعقد عليها إجماع، فمادام لم ينعقد على المسألة إجماع، إذا أتخير القول الذي وافق الدليل الصحيح، فنقول: ما هو المانع من مس المصحف للمرأة الحائض؟ يستدل المستدل بقوله تعالى: ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ [الواقعة:٧٩] فالإجابة على هذا أن عليك أيها القارئ أن تقرأ الآيات السابقة واللاحقة حتى تفهم المراد وتعرف إلى من يعود الضمير في قوله: (لا يمسه) : ﴿إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون﴾ [الواقعة:٧٧-٧٨] الكتاب المكنون المحفوظ ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي   مصطفى العدوي ٢/٧١

[الواقعة:٧٩] وجمهور المفسرين على أن المقصود بالمطهرين في الآية الملائكة، وأن المقصود بالكتاب المكنون أي: المحفوظ عند الله سبحانه وتعالى.

وأما حديث (لا يمس القرآن إلا طاهر) فكل طرقة تالفه ضعيفة لا يستدل به، من تتبعي أستطيع الآن أن أقول إن جمهور أهل الحديث على تضعيفه.

ثم إن من العلماء من حسنه وحمله في حالة تحسينه على أن المراد بالطاهر المؤمن لحديث: (إن المؤمن لا ينجس) ولأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار.

إذا ما هو المانع للحائض من مس وقراءة المصحف.

ومن المعلوم أن الفقهاء لا يدققون في مسألة ثبوت الحديث وصحته، بل يبنون الحكم بدون التدقيق على هذه الجزئية، وقد يأتي الحكم بسبب ذلك مخالفا للحق.

مثلا قد يبنى على جزئية ما الحكم بشيء، وهي جزئية صغيرة تكون في الحديث، لكن ينبني عليها حكم بإثبات أو نفي، بل حتى أهل الحديث قليل منهم الذي يركز على هذه الجزئيات الصغيرة، وكمثال في حديث جلسة الاستراحة الذي هو من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، في وصفه لصلاة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقد جاء من طريق عبد الله بن نمير في البخاري يقول: (إذا قمت إلى الصلاة فقم حتى تطمئن قائما ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم اعتدل حتى تطمئن قائما ثم اسجد حتى) .

الشاهد: أن الحديث فيه بعد القيام من الركوع: (ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم قم حتى تطمئن جالسا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا) بعد السجدة الأخيرة جاء الخلاف بين الرواة فراو قال: (ثم اجلس حتى تطمئن جالسا ثم قم) هذه الزيادة مروية من طريق عبد الله بن نمير عن عبيد الله، وفي رواية أبي أسامة حماد بن أسامة لم يذكر زيادة الجلوس الأخيرة (ثم اجلس حتى تطمئن جالسا) بل قال: (ثم قم) .

البخاري أخرج الحديث من طريق عبد الله بن نمير في موطن وفي موطن آخر أخرجه وبعد أن أخرجه نبه على كلام أبي أسامة وقال: لم يذكر حماد بن أسامة (ثم اجلس حتى تطمئن جالسا) ، فالحافظ ابن حجر يقول: إن البخاري يومئ إلى تضعيف هذه الزيادة الأخيرة (ثم اجلس حتى تطمئن جالسا) التي هي من رواية عبد الله بن نمير، ومن المعلوم أن شيخ ابن نمير وأبي أسامة واحد وهو عبيد الله فالحديث من طريق واحد وجاء يحيى بن سعيد القطان ورواه أيضا عن عبيد الله ليس فيه هذه الجلسة، وجاء أيضا -على ما يحضرني- أنس بن عياض أبو ضمرة وغيره ورووا الحديث ولم يذكروا هذه الجلسة.

فالفقيه لا يدقق في هذه الزيادات، بل قليل من أهل الحديث من يدقق فيها.

فالدقائق الصغيرة مثل هذه التي ينبني عليها حكم تحتاج إلى بحث دقيق جدا، لأنها سيرتب على صحتها أو عدم صحتها الحكم الشرعي بالنسبة لجلسة الاستراحة، وإن كان هناك أدلة أخر في الباب، لكن أصل الاستدلال على جلسة الاستراحة هو حديث أبي حميد الساعدي.

مداخلة: بالنسبة لمس وقراءة القرآن للحائض هل ورد عن نساء النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك شيء؟ الشيخ: بالنسبة للفعل قد يكون ورد عن بعض أزواج النبي عليه الصلاة والسلام أو عن بعض أمهات المؤمنين أنهن قرأن بلا حرج.

الخلاصة أنه لم يحدث في المسألة كما أسلفنا إجماع، ولم يرد شيء يمنع المرأة الحائض من مس وقراءة القرآن من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالمسألة اجتهادية، واجتهادنا الذي نراه حقا أنه لا بأس للمرأة الحائض أن تقرأ القرآن أو تمس المصحف، والجنب فقط هو الذي يكره له قراءة القرآن، لحديث: (إني كرهت أن أذكر الله على غير طهارة) .." (١)

"- ٤١ - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**

- ٤٢ - وسبحوه بكرة وأصيلا

- ٤٣ - هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما

- ٤٤ - تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما

يقول تعالى آمرا عباد المؤمنين بكثرة الذكر لربهم تبارك وتعالى، المنعم عليهم بأنواع النعم وصنوف المنن، لما." (٢)

"لهم في ذلك من جزيل الثواب، وجميل المآب، روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم»؟ قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: «ذكر الله عز وجل» (أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه). وعن عبد الله بن بشر قال: جاء أعرابيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أحدهما: يا رسول الله أي الناس خير؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من طال عمره وحسن عمله»، وقال الآخر: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فمرني بأمر أتشبث به، قال صلى الله عليه وسلم:

«لايزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى» (أخرجه الإمام أحمد وروى الترمذي وابن ماجه الفصل الأخير منه). وفي الحديث: «أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون» (أخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري مرفوعا)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من قوم جلسوا مجلسا لم يذكروا الله تعالى فيه إلا رأوه حسرة يوم القيامة» (أخرجه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو مرفوعا)، وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة، إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه فقال: ﴿اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال. وقال عز وجل: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته، والأحاديث والآيات والآثار في الحث على ذكر الله تعالى كثيرة جدا (صنف العلماء في الأذكار كتبا كثيرة ومن أحسنها كتاب (الأذكار) للإمام النووي).

وقوله تعالى: ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ أي عند الصباح والمساء، كقوله عز وجل: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٢١/٨٢

(٢) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ١٠٠/٢

تصبحون﴾، وقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ هذا تهييج إلى الذكر، أي إنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، كقوله عز وجل: ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» والصلاة من الله تعالى: ثناؤه على العبد عند الملائكة، حكاه البخاري عن أبي العالية، وقال غيره: الصلاة من الله عز وجل: الرحمة، وأما الصلاة من الملائكة فبمعنى الدعاء للناس والاستغفار، كقوله تبارك وتعالى: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾، وقوله تعالى: ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ أي بسبب رحمته بكم وثنائه عليكم ودعاء ملائكته لكم، يخرجكم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهدى واليقين، ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ أي في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحق وبصرهم الطريق، الذي ضل عنه الدعاة إلى الكفر أو البدعة، وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم من الفزع الأكبر، وأمر ملائكته يتلقونهم بالبشارة بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وما ذاك إلا لمحبته لهم ورأفته بهم. روى الإمام البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله." (١)

"قال: «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر، فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس، زاد النداء على الزوراء» (رواه البخاري) يعني يؤذن به على الدار التي تسمة بالزوراء، وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد. وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نودي به، فأمر عثمان رضي الله عنه أن ينادى قبل خروج الإمام حتى يجتمع الناس، وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان، ويعذر المسافر والمريض وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر في كتب الفروع.

وقوله تعالى: ﴿وذروا البيع﴾ أي اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودي للصلاة، ولهذا اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثاني، وقوله تعالى: ﴿ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ أي ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة ﴿خير لكم﴾ أي في الدنيا والآخرة ﴿إن كنتم تعلمون﴾، وقوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾ أي فرغ منها ﴿فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ لما حجر عليهم من التصرف بعد النداء، وأمرهم بالاجتماع، أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله، كما كان (عراك بن مالك) رضي الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين (رواه ابن أبي حاتم). وروي عن بعض السلف أنه قال: من با ع واشترع في يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾، وقوله تعالى: ﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ أي في حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم، اذكروا الله **ذكرا كثيرا**، ولا تشغلكم الدنيا عن الذي ينفعكم في الدار الآخرة، ولهذا جاء في الحديث: "من دخل سوقا من الأسواق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٢/١٠١

له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة". وقال مجاهد: لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا.." (١)

"قضاء مقضيا كائنا ماضيا.

[٣٩] ﴿الذين يبلغون رسالات الله﴾ [الأحزاب: ٣٩] يعني سنة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله، ﴿ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله﴾ [الأحزاب: ٣٩] أي لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم وفرض عليهم، ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ [الأحزاب: ٣٩] حافظا لأعمال خلقه ومحاسبهم " ثم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس: إن محمدا تزوج امرأة ابنه.

[٤٠] فأنزل الله عز وجل: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم﴾ [الأحزاب: ٤٠] يعني زيد بن حارثة، أي ليس أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، فإن قيل: أليس أنه كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وكذلك الحسن والحسين، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال للحسن: «إن ابني هذا سيد» ؟ قيل: هؤلاء كانوا صغارا لم يكونوا رجالا. والصحيح ما قلنا: إنه أراد أبا أحد من رجالكم ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب: ٤٠] ختم الله به النبيين، وقرأ ابن عامر وابن عاصم: ﴿وخاتم﴾ [الأحزاب: ٤٠] بفتح التاء على الاسم، أي آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم. قال ابن عباس: يريد لو لم أختم به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا. وروي عن عطاء عن ابن عباس: إن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا، ﴿وكان الله بكل شيء عليما﴾ [الأحزاب: ٤٠] عن أبي سلمة قال: كان أبو هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه، ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت أنا سددت موضع اللبنة، ختم بي البنيان وختم بي الرسل» (١) .

[٤١] قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١] قال ابن عباس: لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهى إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله فلذلك أمرهم به في كل الأحوال، فقال: ﴿فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم﴾ [النساء: ١٠٣] وقال: ﴿اذكروا الله **ذكرا كثيرا**﴾ [الأحزاب: ٤١] أي بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم، وفي السر والعلانية. وقال مجاهد: الذكر الكثير أن لا تنساه أبدا.

[٤٢] ﴿وسبحوه﴾ [الأحزاب: ٤٢] أي صلوا له، ﴿بكرة﴾ [الأحزاب: ٤٢] يعني صلاة الصبح، ﴿وأصيلا﴾ [الأحزاب: ٤٢] يعني صلاة العصر. وقال الكلبي: وأصيلا صلاة الظهر والعصر والعشاءين. وقال مجاهد: يعني قوله سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فعبر بالتسبيح عن أخواته. وقيل: المراد من قوله **ذكرا كثيرا** هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث.

[٤٣] ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ [الأحزاب: ٤٣] فالصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار للمؤمنين.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٢/٥٠١

قال السدي: قالت بنو إسرائيل لموسى: أيصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى، فأوحى الله إليه أن قل لهم إني أصلي وإن صلاتي رحمتي، وقد وسعت رحمتي كل شيء، وقيل: الصلاة من الله على العبد هي إشاعة الذكر الجميل له في عباده. وقيل: الثناء عليه ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ [الأحزاب: ٤٣] أي من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم أخرجكم من ظلمة الكفر إلى النور؟ ﴿وكان بالمؤمنين رحيما﴾ [الأحزاب: ٤٣]

[قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم] أجرا كريما. . .
[٤٤] ﴿تحيتهم﴾ [الأحزاب: ٤٤] أي تحية المؤمنين، ﴿يوم يلقونه﴾ [الأحزاب: ٤٤] أي يرون الله، ﴿سلام﴾ [الأحزاب: ٤٤] أي يسلم الله

---

(١) أخرجه المصنف في شرح السنة ١٣ / ٢٠١ وأخرج البخاري نحوه ٦ / ٥٥٨ وكذا مسلم ٤ / ١٧٩١.." [١]

---

(١) مختصر تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل عبد الله الزيد ٧٥٧/٥